































# دستور الرؤساء

في سياسة رؤوسهم

للملأمة الاب قالوي اليسوعي

ترجمة عن اصله في اللغة الافرنسية التقيد إلى عفو ربه

الفن مبارك النبي اللبناني

ورفعة تقدمة اجلال واحترام  
الى غبطة السيد السند

مار الياس بطرس الحويك

بطريرك انطاكية ومناظر المشرق

الكلبي الطوبى

---

= طبع في مطبعة « الارز » \* جونية ( لبنان ) = سنة ١٩١٣

---







حضرة ولدنا القس مبارك المتيني رئيس دير سيدة نسييه اللبناني المحترم

بعد اهداء البركة الرسولية لحضرتكم بوافر الاشواق لمشاهدتكم  
على كل خير . قد تبين لنا ان كتاب « دستور الرؤساء في سياسة  
مروثوسيم » الذي عنيتم باستخراجه من اللغة الافرنسية الى العربية  
هو من الاهمية بمكان لما فيه من التعاليم الصحيحة والقوائد الجمة  
الكافلة لمطالعيه من رؤساء ومروثوسين بجميل التبصرة والهداية وحسن  
الامر والطاعة . وعليه قد اجزنا بملء السريرة طبعه رجاء ان يكون  
دستوراً للعمل فيقي الرؤساء عثرات الرئاسة باحسان سياسة مروثوسيم  
وترقيتهم الى ذروة الفضيلة والكمال ويحفظ في المروثوسين روح الانقياد  
الحمي الحامل لهم على الخضوع الواجب والامثال المقدس . هذا وفيما  
نشئ على غيرتكم ونشاطكم في ترجمة هذا الكتاب النفيس ونحث  
الجميع على اقتنائه ومطالعه نسأل الله من صميم القواد ان يكافئكم  
خير مكافأة ويجعل عملكم هذا مشراً للثار المتغاة . وعربوناً لذلك  
نكرر اهداء البركة الرسولية لحضرتكم

الحقير  
الياس بطرس  
البطريوك الانطاكي

في ٣١ اذار سنة ١٩١٣

الحم

طهارة







## المقدمة

(( باسم الله ذات المحبة ))

قال الرسول ( اكور ١٢ : ٢٦ = فاذا تألم عضو تألم معه سائر الاعضاء . واذا اكرم عضو فرح معه سائر الاعضاء . فاقم جسد المسيح واعضاء من كل عضو » قال القديس يوحنا فم الذهب في العظة ٣١ شارحاً هذه الآية : ليس الخير فقط بل الشر ايضاً يكون رباطاً للاعضاء . ومن ثم اذا نحتت شوكة اخص القدم شعر الجسم كله بالالم واهتم كل الاهتمام بمعالجة العضو المصاب فينحني الظهر ويمدود البطن وينطوي الساقان وتقدم اليدان على اخراج الشوكة ويطأ الرأس وتتفرس العينان محدقتين بحرص . واهتمام فهل في الجسم ياترى عضواً حط من اخص القدم وشرف من الرأس ومع ذلك فالرأس ينحني للعال نحو الرجل وينحني معه كل الجسم . وهكذا اذا شعرت العين بالمشاكل الجسد كله بالمها واحجم عن العمل ما دامت متألمة فتقف الرجل عن السير واليد عن الحركة والمعدة تتقبض قوتها الهاضمة فكيف ذلك والالم في العين . فما بال المعدة معذبة تعب والارجل والايدي لا حراك لها . فما ذلك الا لان الجسم كله يجملته قد شاطر العين المها . فالم عضو واحد هو وثاق شديد العرى للجسم كله وعلى مثال ذلك اذا كان الرأس متوجهاً كان ذلك للجسم كله مجداً وفخراً . واذا وصف عضو من الاعضاء بالحسن والبهاء كما لو قلنا مثلاً ما اجل الالف او ما احسن العنق او ما ألطف الوجه راينا للخال انوار الهيبة والخبور متلاثلة في الاعين وهي التي اذا شاهدت احد الاعضاء متألماً اخبرنا وقت بالدموع ولولم يكن الالم فيها نفسها « فهكذا المسيح » فانتسب هذا الترتيب الحبيب في وحدة الجنس البشري ولتتبع اثاره في وحدة المحبة في الجسم الادبي ولتتبع كل الخذر مما يضر بها . اه



أقد وقع نظري ذات يوم على هذه فقرة العلامة الفريد يوحنا فم الذهب  
فتأملاتها وتدبرتها فرأيت فيها اسراراً عويصة فتيقنت منها ان الحب المسيحي من  
اقوى العوامل على ان يجعل المجتمع الرهباني كشخص واحد يعيش افراده على  
الارض كأنهم ارواح في السماء وكان يمكن بي هذا الفكر عندما كنت ادير على  
خاطري ما شاهدته عيناى من مجالي الحب المسيحي ومحاسنه في ابناء الرهبنة  
اليسوعية الكريمة مدة عشر سنوات قضيتها بينهم في كلية القديس يوسف الشهيرة  
قابصرت هناك المحبة المائكة سائدة كما وصفها يوحنا فم الذهب فعلقت من ذلك  
الوقت ابحت عما هي الوسائط التي تباع الجماعات الرهبانية الى شيء من ذلك فلم  
اجد ذريعة اسهل واين من السلطة وهي حياة المجتمع ومصدر خيوره فوطنت  
النفيس على اغاثة الرؤساء اصحاب السلطة باعداد دستور لهم في لغتنا العربية يكون  
لهم ذليلاً وضياء يتوهمون به خطواتهم وخطوات مروؤسيهم في هذه الحطة . -  
ولما كان العلامة المفضل الاب قالوي اليسوعي قد احزقصب السبق في تعليم هذا  
الفن العجيب عولت على استخراج درر تأليفه الموسوم بسياسة الجماعات الرهبانية  
ودعوته « دستور الرؤساء في سياسة مروؤسيهم » لانني طالعت مراراً هذا التأليف  
النفيس فالقيت فيه تعاليم مفيدة للرؤساء في معرفة واجباتهم المقدسة وللمروؤسين  
في معرفة روح الفضائل الرهبانية الحقة وهي تبين ايضاً حقوق الرئاسة وفروضها  
وطريقة العمل بها على وجه سماوي كامل يضمن راحة وسعادة الرؤساء والمروؤسين  
معاً وقد اثرت هذا الكتاب على سواه لما امتاز به من دعائم الحقائق الصافية  
والبراهين الدامغة المؤيدة بتعاليم الكتاب الالهي واباء الكنيسة القديسين التي  
تبين لنا كيف يجب ان نعامل بعضنا بعضاً وان يعتني الواحد منا بخير صاحبه كما  
يعاملنا الله ويعتني بخير كل واحد منا صالحاً او غير صالح . فارجو ان تعود ترجمتي  
هذه العربية باخير على مطالعها رؤساء ومروؤسين وبالمحبة المسيحية التي تربط  
بعضهم ببعض وتضعهم في النهاية بالمحبة الازلية التي هي الذات الالهية مقر  
سعادتنا ومنتهى املنا . امين



## [ الكتاب الاول ]

( في تدبير الجماعات الرهبانية )

« الباب الاول »

في الرئاسة على اطلاقها

﴿ الفصل الاول ﴾

في صعوبة الرئاسة

عدد ١

( في ان تدبير الجماعة المشتركة هو رأس الصناعات )

ان كان الانسان عالماً صغيراً كما ارتأى احد الاقدمين او كان بالاحرى عالماً كبيراً متضمناً في عالم صغير كما قال القديس غريغوريوس لزم لعمرى ان يكون تدبير انسان واحد أشبه بتدبير عالم من العوالم وتدبير الجماعة أشبه بتدبير عوالم عددها يساوي افراد تلك الجماعة .

فالانسان هو أشد احتيالا من جميع الحيوانات واكثرها تقلباً وهو قلق في خيالاته مختل في امياله مستبد في آرائه صعب المراس في حاجاته فانك ترى افراد البشر يختلف بعضهم عن بعض بما أوتوا من المزايا فمنهم جبان هلوع يحتاج إلى دافع يدفعه إلى العمل ويمكّنه منه . وجنوح شرس يفتقر الى من يوقفه عند حده . وبإيد خامل تضطر إلى اماله وجريء حقوم لا بد من ان تسبق فتتدارك ما يخفف سيره وواجهم كتوم ينبغي ان يألف السلامة ويستأنس بالامان . ومنهم متناهب في اللين بادي السريرة مفرط في المكاشفة يقتضي له ان يتعود الرصانة والكتمان فكيف يدنى الرئيس في معرفة حركات هذه القلوب العديدة ويوفق بين اخلاقه واخلاق جماعة مختلفة الطبقات ويوافقهم في هذه المسالك المتباينة أو يظاهر



بمواقفتهم ولو بصناعة التكلف ومحرك هذه الآلات الكثيرة وهو آمن على سلامتها من الكسر؟

هذه هي صعوبة التدبير العمومية اللازمة عن الاخلاق المتقلبة والافكار المضطربة وعن استعالة التراضي بينها وعن قيادة اصحابها بنظام ذي سياق واحد لا يتغير . فما اشد تلك الصعوبة في تدبير جماعات الرهبان لان الرهبانية ليست الا اجتماع اناس لا يمكنك ان تدهشهم بظواهر الابهة او تهيبهم بالوعيد او تحتال عليهم بضروب من السياسة اذ ليس لك عليهم من السلطة الا بقدر ما يسمعون لك به ولا غرو ان تدبير أمور الرهبانية متجه الى اسمى الغايات وأشرفها كيف لا وغاية الرهبانية هي الاتحاد بالله تعالى بقداسة خصوصية تؤدي اليها نذورها وقد يوجد بين الرهبان من يجمع بشهواته الى أمور الدنيا وليس فيه ما يردعه عنها من المواطن نحو السماويات فانه ليس من احد مجهل ان الامراض المتأبسة تصيب النفوس كما تصيب الابدان وان الجماعات كالمثل لها اوقات عسر وشدة وان الرئيس لا يخرج عن ان يكون انساناً يغويه الجهل ويستهو به الضعف .

فتدبير شؤون الرهبانية الذي هو صناعة بها يُقاد الرهبان الى الكمال هو أسمى التدابير شرفاً وأشدّها صعوبة فانه يتطلب من الدقة والهمة والعزم ما لا يتطلبه غيره من أمور الدنيا ولا يجب في ذلك إذ هو نتيجة الحكمة الحقيقية المهتدية بنور الامتحان

ومن المعلوم الواضح ان الخلل في الطاعة يحدث غالباً من كيفية صدور الامر فمن عرف كيف يأمر يطاع بسهولة لان المروّسين يضطرون الى الطاعة بحكم الصواب وبحكم النفع المشترك عندما يرون ان امر الرئيس الحكيم مقرون بالعدل ومتجه الى غاية تحصل منها فائدة عامة فمن البين اذن ان اعظم المصائب التي تحمل بالجماعات الرهبانية ليست الاضطهاد بل انما هي ترأس من لا يصلح للرياسة





## (( في ان الرئاسة تتطلب احرار مناقب ممتازة يسبقها نوع )) من الدربة والتحنك

لعلمي ان الرئيس لا تكفيه القداسة بل لا بد له من ان يكون متصفاً بأعظم المناقب وأسمى المواهب من رفعة يولد له ثقة المروءسين به واهابة بها يحترمونه ولا يخرجون عن طاعته وصراة يقتدر اليها للتأديب بشرط ان لا تقضي الى التهور منه ولطف لا يشوبه شيء من الجبانة ورقة يتمكن معها من العقوبة والردع وعزم لا يثنيه من التساهل عند اللزوم وتيقظ لا يدع شيئاً يفوته وحكمة تجعله يتغاضى عن الحوادث ويتجاهلها الى فرصة مناسبة . فذلك هي صفات حميدة ومزايا فريدة تقضي على صاحبها بمكانتها والتسرع عليها ياديء ذي بدء حتى تتمكن منه وتكمل فيه وحتى يعرف بها ويقر له بها غيره . أفلا ترى كيف ان الخطيب السياسي يادس صناعة الخطابة في منزلة عن الناس ويتعلم اصولها آخذاً عن البارعين فيها الذين يجلبون الالباب بحسن بيانهم وذلك قبل ان يعار المناظر للمعاملة من مصالح الوطن ؟ وكيف ان الطبيب النطاسي يقضي السنين العديدة منكباً على درس صناعته درساً متواصلاً قبل ان يشرع في معالجة المرضى ؟ وان كل فرد من افراد الناس يعتني بما يقتضيه مقامه او مهنته من العلم والتحذيب والتعود حتى يدرك الغاية القصوى من ذلك ويفوز بالكمال فيه ؟ وان شرائع الامم المتقدمة تستوقف كل جريء غيبي يجعل الى الاحتراف بمهنة ذات بال اشفاقاً من ان يبلغ به الادعاء الى ما يلحق ضرراً بحياة ابناء جلده او باموالهم ؟ قل لي يا رعاك الله أتمدب الحكومة الى فن الملاحة والحرب البحرية اناساً لم يروا البحر في حياتهم . أو من لم يشتهروا بهندسة الصناعة الا بما جرى على يدهم من حوادث الفرق ؟ أو تقوض قيادة جيوشها الى قواد لم يشاهدوا سوى ما رسم من مواقع الحرب على الورق او الى من لم يقابلوا



العدو الا ولوا ادياراً من امامه ؟ أو تكمل ادارة ماليتها الى من لا يرى في فن الحساب الا الاحاجي والمعميات او من يعجز فيه عن التصرف في قضاء حاجات نفسه ؟ فما أشد العناية التي بها يسمى الملك في اختيار اساتذة لتعليم انجالهم قال العلامة ساويرد افاكساردو « انه ليس لحرق من راع الناس سبيل الى ان يولد في قلوب ابناء الملك شيئاً من العواطف الكريمة والاحساسات الشريفة لأن البومة اذا اتحدت استاذاً تهذيب فرخ النسر تجسسه في ظلال العوسج وظلام الليل بدلاً من ان تعود ان يشخص بصره الى الشمس وان يحلق في طيرانه ارض لبنان والذرى الشاحنة . اهـ »

فليت شعري ما الذي يجعل رئيس الجمعيات الرهبانية وحده مستثنى من حكم هذه الشريعة العامة ؟ أترك اهم الصناعات واصعبها عرضة للصدفة والاتفاق ولا يكون لها نصيب من التعلم والتمرن ؟ واي قوم يولون عليهم رجلاً لا يعتقدون ان فيه مقدرة على القيام باعباء الولاية او يظنون ان من تعود الطاعة صار حقيقاً بالامر والنهي او يطلبون ان يكون عمله الذي يأتيه من قبل التجربة عمل صانع ماهر ؟

فإنه من المقرر عن حكمة في كل نظام ان المختار للرئاسة لا يتسلم ازمة للسلطة العليا الا بعد ان يكون تدرج في الوظائف الادنى وتدرّب على القيام بحقوقها وان يكون حصل له خبرة في معرفة الناس وادارة الشؤون المتعلقة بسلكه الرهباني وظهر منه ما دلّ على درايته ومحبته واقدامه وصبره وبعد ان يكون والحالة هذه قضى مدة من الزمان قائماً بفروع الوظائف شاغلاً اواسط درجاتها

فليس اذن كل من عرف كيف يطيع يعرف كيف يأمر وينهي . قال القديس بوناوتورا . في الفصل الاول من كتابه الستة الاجنحة انك ترى بعض الرهبان يعيشون وهم مروءسون عيشة محبة وسلام بين اخوانهم بيد انهم عندما يرتقون الى مقام الرياسة يظهر نقصهم لا من حيث انهم ليسوا باهل لها فقط بل من حيث انهم يفعلون ما يدل على انهم جهلاء وما لا يمكن تحمله . اهـ



ولا غرو أن حسن السلوك بين الاخوة في العيشة المشتركة شيء وحسن ادارة الجماعة شيء آخر لان هذه صناعة لذاتها ولها ما ليس لغيرها من اسباب الفضل والاعتبار. فان المروءوس لا يحتاج في ايفاء واجباته وبلوغه حد الكمال الا الى السهر على نفسه وحسن الطاعة لرؤسائه . اما الرئيس المكلف بادارة مروءسيه فلا يكفي تيقظه وطاعته لقوانينه الامر الواجب عليه من حيث ان مثله يؤثر تأثيراً شديداً في بنیان اخوته بل يلزم بان يصلح تقاض بعض . . ويزيد فضائل بعض . . وان يوجه عناية الافراد جميعاً الى غاية واحدة اي الى مصلحة عامة قد تكون على عكس ما آربهم ورجائب كل منهم وعلى خلاف الاوهام العامة بينهم والعوائد المألوفة مندهم والنتيجة ان الانسان المعتدل اذا قرن بعزله الطاعة وشيئاً من حسن التصرف في الكلام تسارت عيوبه الخلقية وظهر انه انسان اهل للرتب التي لم يبلغها بعد اما الرئاسة فانها تظهر العيوب للعيان وترن بميزان العدل صاحب الجدارة والفضل .

وكثير من المروءسين يزينون لانفسهم انهم جسامعون كل ما يلزم للرئيس الكامل الماهر من الاوصاف المشروطة وانهم لو اقلت الرئاسة اليهم ، قالايدها اظهر فضلهم علي من ترأس عليهم ظهوراً ساطعاً . فما اسهل الانتقاد وما اصعب الاختبار فان هؤلاء لو ارتقوا الى درجة الرئاسة لكفاهم ذلك مؤونة للاقتناع ان فضيلتهم ما كانت الا قطاب الوظائف وسوء مداركهم التعمي عما فيها من المعاطب

(( في انه على الرئيس ان يتعلم صناعة التدبير ))

يُقضى على كل رئيس لا من قبيل الحكمة فقط بل من قبيل الفرض ايضاً ان يجدد عند افتقاره الى تسمية ما يُطلب منه من الصفات اللازمة والى بلوغه حد النهاية من التدرب والتمرن المحكي عنه في تعلم اصول التدبير تلك الاصول التي وضعها



أولو الفطنة واثبتوا ذوق الخبرة مستندين في أكثرها على ما جاء في الكتاب الكريم وموافقات القديسين والتي عمل واوصى بها جميع مؤسسي الجماعات الافاضل ولا غرو ان نجاح الادارة الرهبانية ينجم عن درس هذه المبادئ . وعن السلوك بموجبها وليس لجماعة من جماعات الرهبانيات سبيل الى التقدم في معارج الكمال وهي لم تتبع شريعة الدين المسيحي التي وضعتها الحكمة نفسها ويستحيل ان يسلم يوم الحساب من لم يسس مبادئه بمقتضى تلك السنن والشرائع التي يترتب اتباعها الواجب على معرفتها ومعرفتها على درسا .

وجاء في التواريخ ان سقراط الفيلسوف كان يلقي تلميذه الشاب تيوكليس هذا المبدأ وهو : ان شئت ان تتبحر في العلوم الحقيقة بالملوك فاجمع بين النظري والعمل منها . فالنظري سهل لك الطريق والعمل يمكنك من السلوك فيها بقدم واسع . اهـ

فالتصور ان مجرد انتخاب الشخص للرئاسة هو الضمين والكافل لمعرفة حسن السياسة فيها وان هذه المعرفة هي مفاضة في النفس بغير احتياج الى تحصيل وانه ليس لها قواعد ومبادئ كما لغيرها منها وان النور الطبيعي كاف لحسن الادارة والاصابة في التدبير فجميع ذلك ضلال مبين . ومن المسلم ان الله يولي الرئيس نصراً وانواراً مخصوصة وان هذه النعم تتكاثر وتتوافر والانوار تتزايد وتتألق بقدر ما يكون الرئيس متحداً به تعالى ومتفانياً في حب مجده الاعظم . أفكثيرهم لما ترى أولئك الذين تهبط الحكمة على قلوبهم من العلماء كما هبطت على قلب سليمان ؟ او الذين كفاهم الاختبار مؤونة درس الكتب الموضوعة في هذا الامر الجلل ؟ او الذين اخصتهم الطبيعة بالعقل الثاقب والفكر الصائب فتسددت اعمالهم منطابقة على شرائع العدل ومبادئ الفطنة ولم يحيدوا عنها مطلقاً ؟ اني كنت في الامس مروؤساً وها انا اليوم رئيساً فعلى مَ تدل توليتي الرئاسة ؟ أتدل على الله هبطت علي بها روح الحكمة ؟ هيات ! بل انا ذلك يدل على امر واحد وهو ان روؤسائي رأوني الان اهلاً لترأس على اخوتي وان آمالهم معقودة اني



استغيت بالعون الالهي وانا في هذا المقام الذي يتفق اني ندبت اليه لاول مرة .  
فابادر الى درس الاصول التي ينبغي ان اسلك بموجبها والتي هي محررة في قانوننا  
اوفي غيره من الكتب الموضوعة في فن التدبير الرهباني واني اتبعها بكل  
طيبة خاطر

ومن المسلم بداهة انه يقتضي ان يتعلم الانسان اصول الصناعة التي يختارها  
من الصناعات كفن الحرب والتجارة والهندسة وما اشبه ذلك ويعتني بحفظها  
حق الحفظ آخذاً عن اساتذة بارعين فيها واما اشرف الصناعات الست هي قيادة  
الانفس الى الكمال بموجب قانون فكل يدعي اتقانها او معرفة ما يكفيها منها لاجل  
ممارستها بحجة انه عاقل فاضل همام مقدم وغير ذلك من الصفات . وقد برح الحقا  
ان السياسة الرهبانية تقتضي الى ذكاء العقل والشجاعة والنشاط والصلاح بيد انها  
لا تكتفي بهذه لان هذه ليست الاساس لها او شرط جوهري لقوامها او الركن  
الاول من اركانها لانها تحتاج الى عمل كثير من الاشياء سوى ذلك من تلقن  
الاصول والقواعد وحفظ امثولات المدرسين واحدة فواحدة . ورب رئيس يصير  
ماهر بدون ذلك ولكنه لا يتسنى في اموره الا بعد سقطات عديدة ويزداد تقرباً  
من الخطر كلما ازدادت نجمته وذكاءه باتخاذ طريقة للامر والنهي على استحسانه  
واختياره ويلقي نفسه ويلقي جماعته في خطر الغواية والضلال

قال ارسطاطليس ثلاثة تكفل الفلاح في كل فن من الفنون العقل والدرس  
والتسمر . هـ .

فسياسة الاديار الرهبانية ليست من الفنون الملتبسة المشتبهة الا عند اولئك  
الذين يستثقلون ان يبحثوا عن احوال قلب الانسان وعن الغاية التي لاجلها قامت  
حالة الرهبانية بحثاً كافياً . فان اصول هذا الفن بينة واضحة لا تخفى على من نظر  
الى هذه المسائل المهمة وتأمل فيها بعض التأمل . ولا جرم انه يتحصل من درس  
قلب الانسان والتأمل في غاية الحالة الرهبانية فن سياسي لا يشوبه ريب وخلاصة  
من الحقائق متناسبة وجملة من الاحكام متناسقة صحيحة مثل غيرها من باقي العلوم المختلفة



## ﴿ الفصل الثاني ﴾

### في مضار الرياسة

عدد ١

( في ان الرياسة تبلو ذوي النضية )

يصعب كثيراً على الراهب الرئيس ان يبقى متحداً بالله مواصلاً الدعاء المقدس بحسب عادته وقد اثقلته امور شتى تهمة وتنقاسم عنايته من اشغال تقاجنه وزيارات توعب عقله من الافكار الغريبة . بها يذبل القلب وتطفى شعة التقوى فتفقد بعد ذلك النفس طمأنينتها وتتمكن من تشايت الفكر حتى تتوصل رويداً رويداً الى ان تألفه فترتضي به . وعلى هذا النحو لا يكثر الرئيس لترك الصلوات ومحاسبة النفس في فحص الضمير ولا للقراءة الروحية بل لا يهتم اكبر الهفوات المنوعة بحجة ان ذلك لا بد منه للقيام بحق الوظيفة وان الله لا يكلف نفساً فوق طاقتها . ثم انه يستغرق اوقاته في الانكباب على درس القوانين والفرائض لموضوعة لاجل كمال المروءوس فلا يبقى له منها ما يكفيه للاشتغال بما فيه كمال الرئيس . فينقص على هذا النمط . ميل التقوى فيه وترول منه . بهولة مناجاته الله تعالى

قال تاسيث : ان المؤرخين المدنيين يخبرون ان فسباسيانوس هو الملك الوحيد الذي زاد فضله بقبضه على صولجان الملك لان اشد الملوك اعتدالاً لم يحفظ نفسه من العدوى الفاشية حول عرش الساطنة بل غلب فيه ذكر الرفعة والمجد على القيام بما تحتم عليه من قيادة رعاياه في سبيل العدل والاستقامة وكان اعتناؤه بان تحترم الناس سلطته احب اليه من ان تستفح بها رعاياه

لا ريب ان في الانسان ميلاً غريزياً الى السيادة والعظمة واذا اهمله ينمو ويزداد فيه ويصعب عليه ازالته فيتمكن منه هذا الميل الى الامرة وهو غافل ولا يزال يقوى فيه حتى يصبح في حالة . معها يضايقه ان يرى لسلطته حداً والمشورة

اقتضاء. ويشق عليه ان يجمع برفق لطالب حاجة ويجزم بلا رؤية ويتأثر من اقل الاشياء. ولا يدع الحقيقة سبيلاً الى الوصول اليه ويعرض من اهل الاخلاص ويتكلف الى المداهنين ويندر تأمله في نفسه وفي فروضه. وهذا التبديل يحصل بعض الاحيان بسرعة غريبة حتى يتنكر ذلك الرئيس بعد ان يمر عليه سنة او سنتين وهو في مقن الرئاسة فتصوب عليك معرفته بعدئذ لان سكرات السلطنة تكون علت على ما كام فيه من حسن الصفات الأولى

قال احد افاضل الرهبان : ويلي اني اخترت الرهبانية لانسام احتقاراً. لا لاثال افتخاراً. أو لم اعاهد نفسي علانية بالطاعة فكيف احاول الان ان اكث عهاي اه

ولكن قد يحدث ان الرئيس لا يخاطب نفسه بمثل هذا الكلام وان فعرف فلا يعتم ان ينقلب فتأخذه نشوة الشرف ويتعجب بنفسه عن ما يرى انه ارتقى الى مقام الرئاسة ويتأيل طرباً عند سماعه احاديث المتعلقين من اهل التعريض والتورية وينسب النجاح في الاشغال لنفسه حملاً على ما يظنه فيها من الفطنة والدراية ولا يخيفه شيء. الا قرب مدة رياسته من النهاية فجميع ذلك يدل دلالة صريحة ان روح العظمة اشغل محل روح الله فيه لان روح الله يدفنا الى ان لا نرى في الرئاسة الا العناء والخطر وان نحاول التملص منها والابتعاد عنها

ان اسرائيل قد اختار بامر الله هارون عظيم كهنة على حين كاد هارون يهلك لما بذله من المساعدة على عبادة العجل الذهبي واما موسى اخوه كليم الله فحرمه الله تعالى من ارض الميعاد اذنب اقترافه في قيادة الشعب وترك الله كذلك شاوول هدفاً للنكبات بعد ان اختاره ففُسح ملكاً لانه خائف واجبات وظيفته قال الحكيم في سفر الجامعة انه يتسلط احياناً انسان على انسان لضرره اه (ق ٨) ولا يكث سقوط الرؤساء فقط من حيث ارتباك اشغالهم وكثرة تفرغهم والكرامات التي تحوق بهم والملاقون الذين يراوغونهم ويزعزونهم ويضعفون قواهم شيئاً فشيئاً بل انه من المحقق ايضاً انهم لا يقومون من سقطاتهم الا بعد ان



يتكلفوا عرق القربة . فما السبيل اذن الى النهوض من السقوط ؟ ان السبيل الى ذلك اما حلول عقوبة واما ابداء نصيحة تشف عن حجة والحال ان هذين النوعين من المساعدة لا تتوفر غالب الاحيان اسبابهما للرئيس على ما قال موديست دي سانت إمامبل في الفصل الاول من كتابه الرئيس الكامل . فمن الناس من يلقونهم ومنهم من ينتقدونهم واما امر تبصيرهم واصلاحهم فهو قرض لا يفوته حقه من العناية به وكلما سكت الناس عن ذكر هفواتهم وبيان الوسائل التي بها تقال عثراتهم ظنوا في انفسهم انهم كاملون وانه لا حاجة لهم مطلقاً الى استرشاد احد من اخوتهم فيا للعجب العجيب كيف يندد الناس بالرئيس ويسلقونه بالسنة حداد وهم مسكوت عن ميوبه . فان منهم من لا يجسر على كشفها له حرصاً على مرضاته ومنهم من يعرفهم عن ذلك الجبابة والضعف ومنهم من يصبر عليه لامر في النفس ومنهم من لا يبالي به حتى يهتم لاصلاحهم ومنهم يكتفون بذلك خشية ان يؤمى بسوء النية فكأنه حكم على المساعدة التي يحصل عليها المروءسون في وقتها ان تولي مدبرة من امام وجه الرئيس في جميع الاوقات . وكأن المقام الذي يشغله هذا الرئيس ولا على اصلاح اخوته وجعله في ملجأ امين من اصلاح نفسه فقد اصاب ايزودوروس دي سافيلاً اذ قال : يصوب على ذي ولاية اطلق عنان هواه ان يعود الى سواء السبيل ا هـ

## عدد ٢

في ان الرئيس مطالب اشد مطالبة

قال القديس لورنسيوس يستيانوس ليس في الوظيفة الرعائية راحة بل هم ناصب ولا هي تولي صاحبها شرفاً بل تلقي على عاتقه ثقلًا باهظاً وليست فاتحة الامان بل هي نذير الاخطار ا هـ . والحق يقال ان الانسان كلما علت منزلته اضعى معرضاً للسقوط في قعر الهاوية فالرئيس كخوري الرعية لا يتأقن له ان يخلص وحده ولا ان يهلك وحده . ايامر الرؤساء مروءسيهم بان يحفظوا القانون حق الحفظ ويدفعون كلامن الرهبان الى الكمال الذي يطالبه الله به ؟ أمجلبون المنافع والفوائد ويدرون

للاضرار والفساد ؟ أو احرزوا ما وجب احرازه من الفطنة والمحبة والنشاط والمروءة والتفاني ؟ فيبقوا مع ذلك في معظم المخاطر لان اخيار الروساء لم يعملوا كل الخير لهذا رغبوا فيه بل زهلوا فعملوا الشر الذي كانوا يحذرون منه قليل هم ذوو القلوب الصادقة والمستعدون لقبول النعم

فما احسن ما قال احد الاولين وهو : يمكنك ان ترسم على خاتم من ذهب اسماء الملوك الصالحين اه ويشير بذلك الى ان فن التدبير هو الفن النفيس الذي يبحث الناس فيه عن الحكمة وانه لا يتفهمه الا الخاصة منهم وان ذوي الولاية لا يستحقون ان يسموا اولياء الا بقدر ما يقل خطاؤهم على حد قول الشاعر : كفى المرء نبلاً ان تعدّ معائبه

وهل من يجهل ما حل من المصائب بعالي الكاهن وباهل بيته وجميع شعبه من اجل ميل ضعيف غلب عليه وما جاء في الجايان من الكلام الذي به يتهدد الله تعالى الا باقعة الذين تقصروا من عنايتهم في التيقظ والسهر على اصحاب البدع وفي الثبات في وجههم وهم مع ذلك حقيقون بكل ثناء لصبرهم وبسالتهن وایمانهم ومحبتهم واعمالهم المبرورة ؟

قال القديس بطرس داميانوس : على الرئيس ان يؤدي جواباً عن كل نفس هلكت بسبب اهماله او سوء مثاله اه وزاد على ذلك القديس غريغوريوس فقال : لانه اذا غدا من يضطر بموجب سلكه الرهباني ان يعيش عيشة مقدسة سيأ لهلاك اخوة بسوء امثاله وقبح اقواله اوجبت عليه حاله الرهبانية شقاء اكثر مما يوجبه عليه ركوب المعاصي في الدنيا فانه حينئذ يهلك وحده ويسام عذاباً على قدر خطيئته لان شر هذه العناية معها عظم لا يوازي شر الشكوك التي يلقيها الراهب في الرهبانية وهو آخذ على نفسه القيام بالخدم المقدسة لانه لا احد يرى ان ينهه اذا اخطأ . وما يؤدي له من الاعتبار بالنظر الى مقامه يجعل ثمة كالوباء سريع العدوى اه ( كتابه الرعائي ف ١ ف ٢ )

فما كان بموجب رأي هذين العالمين ان خطايا الرئيس تنتقل كالخطية الاصلية



من اولائك الذين شاهدوها وتمتد الى كثير من الافراد غيرهم وان الرئيس يطالب ويعاقب بكل ما يعزى اليه من الاعمال السيئة . فقد يخال لك ان هفواتك تبقى مستورة لا يعلم بها احد ولا تدري انها غير خفية على جماعة مروتوسيك وانهم يتساحون بارتكابها اقتداء بك وان كل من اقتدى بك وارتكبها زاد فوق ذنبك ذنباً وهو لم يخفف من ذنبه شيئاً . واعلم ان كلما كثرت المطالب التي تؤدي عنها حساباً للناس كثرت المطالب التي تؤدي عنها حساباً لله تعالى ورب فعل لا يوجب به الناس عقوبة على فاعله واما الله تعالى فيوجب به عليه عقاباً شديداً . فان الافضلية التي يمتاز بها الرئيس في الدنيا يترتب عليها افضلية عذاب يمتاز بها في الآخرة بدليل ما جاء في الفصل الـ ٦ من سفر الحكمة وهو : ان الصغير اهل للرحمة اما ارباب القوة فبقوة يفحصون اهـ

ولهذا ينتهر القديس يوحنا الذهبي الفم طالب الرئاسة قائلاً : ويل لك يا اشقى الناس اجمعين انك لا تعلم ماذا تصنع عندما تطلب لنفسك وظيفة يصعب عليك القيام بها لانك اذا لبثت وحدك منفرداً فلا يسألك الله تعالى حساباً الا عن نفسك واذا هلك لا سمح الله وانت في عزلك لا تلتزم الا اداء الحساب عن نفسك فقط ولكن اذا تقدمت الى مقام الرئاسة وادركك الاجل تلاقي من شدة العذاب في النار ما يتايل كثرة النفوس التي قدتها الى الهلاك او يجب عليك ان تتكبد ورق تقربة في مدة رئاستك حتى تقي نفسك من هذه العاقبة الوخيمة افلا ترى اذن ان من يحتاج الى الرئاسة هذا الارتياح الموبق يكون عدواً لنفسه ؟ واعلمي انه يصعب على الانسان ان ينجو بنفسه من النار فأتني يتسنى في نجاة غيره منها ؟ ( عظته على رسالة بولس الى اهل تيطرس )

### العدد ٣

في ان تجنب الرئاسة اسلم من طلبها اجمع القديسون على ان في الرئاسة من اللطف والرقه ما تأبى معه ان يتولاها اي من تقدم اليها من طلابها كيفما اتفق فكأنها محتفظة لنفسها من اختيارولي

امرها فان املتها اليك قبل ان تندفع هي الى ميلك اليها تكون في ذلك اغتصبته  
اغتصاباً اذ هي تنفر من وجه من يتجاسر على طلبها ويحتال لها واذا ساقها القدر  
المتاح فسقطت بين يديه لا تسلمة تقبها بيد انها تلح في طلب من يهرب منها  
وتجتهد في ان تخفف عليه حملها

ان من يرغب في الرئاسة يجهل احوالها اذ ليس فيها الا تعب القلب وخطر  
على النفس فاني يتدر هذا الجاهل ان يقوم باعبائها

قال العلامة توستات : دفع الطمع ساداتنا الرسل الى ان طلبوا بادي ذي  
بدء ان يشغلوا المحل الاول في مملكة المسيح وذلك لان الروح القدس ما كان حل  
عليهم بعد ولكنهم علموا بعد عيد العصرة ما تلتزم لرئاسة من العذاب والتذل  
والخدمة والصبر الجميل فتحققوا انها حمل ثقيل وعبودية شديدة كما تحقق ذلك  
بعدهم جميع القديسين ه ( على الفصل ٢٠ من متى )

فلا ريب ان هذا كان السبب الذي من اجله وضع الامبراطور لاوون هذه  
الشرعية في جملة الشرائع الرومانية وهي : لا يجوز ان يبتاع الاسقف وظيفة بل  
ليس له ان يقبلها الا بعد مزيد الاحلاح عليه وليس له ان يسعى في طلبها بل عليه  
ان يفر من امامها وينفر منها اذا دعي اليها وان يتبرأ منها عند الاشتداد لاستحصال  
رضاه بها حتى يكون جبره عليها عذراً له في قبولها لانه لا يكون اهلاً لها ان لم  
يقبلها بالرغم عن نفسه

قال القديس يوحنا الذهبي الفم : من يطلب ولاية النفوس لا يخاف  
ديثونة الله . وان من العجائب ان يخاص واحد من هؤلاء المتهورين لانه اذا كان  
الذين لا يقبلون الرياسة الا عن ضرورة واضطرار يطوحن بنفوسهم الى كثير من  
الايثار فكيف يكون حال من يهررون فيها بطيئة خاطر ولم يدخلوا اليها الا من  
باب المطامع ؟ فعلى من كان عليه مثل هذه المطالبة ان يجزع ويهلع ولذلك اشير  
برفض الرياسة عند الاستطاعة وبالمقاومة عند الجبر عليها واذا ما نفذ المقدّر وقيدت  
بها لا تنكف عن الهز والخوف ما دمت رئيساً اه ( عظة ال ٣٤ على رسالة القديس



بولس الى العبرانيين (

وقال ايضاً هذا العلامة القديس . في مقالته في الكهنوت : اما انا فمذنبهتي انه 'نظر في امر ترقيتي الى درجة الاسقفية لم ازل اراني بين الموت والحياة لانه قد اعتراني من ذلك خوف وغم شديدان جداً فاني اذا تأملت من جهة في جمال عروس المسيح وقداستها ومن جهة اخرى في كثرة خطاياي لا اتمالك من الاسف والاسى على شقاها وشتائي ولا من الهتاف قائلاً : اية معصية كبرى اقترفتها الكنيسة على الله تعالى وبأي جرم اغاضت ربها حتى قصد ثدايلها بتسليمي قيادتها ؟ وايم الله ان تيقن نفسي بنقصها وضعفها يثقل كاهلي ويحركني الى البكاء الشديد ويخرجني عن الهدى . ١٠ ( كتاب ال )

وقال ايضاً في هذا الصدد القديس اغسطينوس : لا ارى سبباً لارتقائي الى درجة الاسقفية الاكثره مآثمى لاني 'وليت' تحريك الدفة وانا لا احسن تحريك المقذاف . ١٠ ( الرسالة ال ٢١ )

ان جميع القديسين شعروا بمثل هذا الخوف عند توليتهم امور الاديار الرهبانية التي هي اشبه بولاية الاسقفيات فالقديس برونوس كان يفضل ان يكون مرووساً لماية رئيس على كونه رئيساً على مرووس واحد . وحبته في ذلك هو قوله : ان ناب الذنب يخيفني وانا راع اكثر من عصي الرعاة التي يهتشون بها علي' وانا في القطيع ١١ والقديس توما يقول في رؤساء الرهبان ما قاله في الاساقفة وهو انه في الرئاسة ثلاثة امور ١ فروض الوظيفة وواجباتها التي توول الى خير المرووسين و٢ الرفعة واشرف المغضآن بالرتبة و٣ الارتياح الطبيعي لها . فالرغبة في الرئاسة حباً لايفاً ما تطلبه من الفروض والواجبات هي عمل ممدوح . والرغبة فيها لما فيها من الرفعة هي طمع اثم واما الرغبة فيها قصد اطلاق عنان الميل والارتياح فهذه كناية عن اناية بصورة توجب الخجل . ١٠ ( على ال ١٣ الروما )

وقد جآ في كتاب مرشد الرؤساء ان الراهب الذي لايرتقي الى مرتبة للرئاسة بسلم التواضع والخوف لا يكون جديراً بها وارتقاؤه اليها يورثه سقوطاً سريعاً

مهولاً مشوياً

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

#### في منافع الرياسة

العدد ١

في انها تدعو الى ممارسة فضائل كثيرة

من جملة فضائل الرئيس المشروطة المحبة وهي فيه اكثر امتداداً واوفر شمولاً واشد مشابهة بحبة الله تعالى منها في غيره من الرؤوسين وذلك بالنسبة الى وفرة الفرص التي تقارن فيها وكثرة عدد الذين يتطلبونها منه لانه وان كان بعد لم يبلغ الكمال لا ينفك عن ان يقود اليه غيره ومثله في ذلك على ما قال القديس غريغوريوس مثل الرسام القبيح المنظر الذي لا يمل من العمل في رسم صورة انسان جميل ومنها الصبر فانه يتمتع فيه بالتشكي والتذمر عليه وامتهانه ومخالفته ونكران جميله وخيائته ولا ريب في انه يزداد فضيلة على فضيلة بالضرورة والاضطرار اذا قدم ما يصادفه في يومه من المحن والمتاعب كفارة عن خطايا الامر الذي يعتاض به عن الصوم وجلد الجسد لان ذلك يكون له بمثابة مطهر في هذه الدنيا الفانية ومنها التواضع الذي يزداد فيه بالنظر الى انه يرى نفسه غاب الاحيان عاجزاً عن الوصول الى ما يتمناه من رؤوسيه والذي يجده هو في المحافظة عليه وهو بين الكرامات والمدائح ويحتاج اليه اذ يرى في رؤوسيه كثيراً من الفضائل السامية التي لا يساويهم بها

واذا مست الحاجة الى ان ينقطع عن عمل من اعماله التقوية فيكون ذلك لداعي خير في جانب الجماعة ولجد الله الاعظم . به يزداد اجره ولا ينقص فريجه على هذه الصورة من هذه الجهة اكثر مما يخسر من الاخرى . وقد يطراء على محبته لله ما يكسر حدتها ويشوب صفاءها غير انه يصبح اشد متانة واكثر تأييداً بل



تصير محبة شبيهة بمحبة هامة الرسل التي ظهرت منه عندما سأله معلمه قائلاً :  
يا بطرس اتحبنى ارفع نعاجي اه

لا ريب في ان الرئيس هو عرضة للسقوط أكثر من غيره لكن سقوطه لا يكون  
في الغالب الا عن افراط في الغيرة او عن غفلة او من ارتباك المهمات والله تعالى  
جلت حكمته تواب رحيم في مثل هذه الاحوال فانه يصلح ما اختل ويشفي ما  
اعتل ويد-تخرج الخير من الئرو ذاك لنفع الروساء والمروؤسين على السواء

وما لا مشاحة فيه ان الرئيس ينحسر شيئاً من اجر الطاعة بخلاف ما لو كان  
مروؤساً غير انه له اجر الطاعة لله تعالى ولقوانينه ولن هم اعلى منه في درجات  
الرياسة بل اروضيه ايضاً من حيث انه خادم لهم خدمة حقيقية

قد جاء من احدى داهيات الزيارة انها لما انتخبت رئيسة حزنت وبكت  
قلناً منها انها فقدت اجر الطاعة فاجابها القديس فرنسيس سائس قائلاً : قد  
اخطأت يكائك اذ اجر طاعتك يتضاعف ويزداد لامك لما كنت مروؤسة  
كان لك في طاعتك اجر طاعة واحدة عندما كانت رئيستك تأمرك بشيء من  
الاشياء واما الان وانت رئيسة فكما آمرت احدى مروؤساتك بعمل من الاعمال  
تنالين اجرا لان الله تعالى اختارك رئيسة وأمرك بان تصدرى الاوامر لمروؤساتك  
وتدبرين فكما آمرت طعت وكلما طعت آجرك الله سبحانه لانك لا تأمرين الا  
طاعة له وللقوانين المرسومة منه جلّت احكامه اه

وكتب هذا القديس نفسه الى رئيسة اخرى قال : ربما انتخبك الله رئيسة  
لكي تصلحي نقائصك او لكي يملكك على اخفائها بحرص اذ انك في حال الرياسة  
تمرن نفسك مشهداً لله ولله لائكة وللبشر لان من يملك محلاً مرتفعاً ينتبه لكل  
خطوة من خطواته اه

فقصارى القول ان الرئيس اذا كان ملتزماً باحراز جميع الفضائل حتى يمكنه  
ان يبني مروؤسيه بمثاله الصالح وان يصلح ما فيه من الشوائب ليتسنى في اصلاح  
مروؤسيه وان يعمل هو نفسه بما يقوله لهم ويشعر قلبه بما يريد ان يوآلده في قلوبهم

من المرافف الصادقة الا يجد في نفسه مهازاً ينبه وقيداً يربطه بالكمال الرهباني  
ربطاً وثيقاً ؟

العدد ٢

في ان الله يولي الرئيس عوناً قوياً

قال القديس اوغسطينوس ما من شيء اصعب من الوظيفة الرمائية واشد  
خطراً واوفر واسعد استحقاقاً منها بشرط ان يسلك الرئيس بحسب اوامر السيد  
المسيح معلمه الالهي . فاي شيء اشرف للانسان من ان يختاره الله ليقود في  
طريق الخلاص والكمال تلك الانفس الخالدة اقتداء بشمن دم يسوع المسيح التي  
جعل الروح القدس مقر نعيمه فيها او ان يدعى اباً وراعياً او يدعى معيناً لله في  
عمل الفداء وان يؤتي ذلك حقه ؟ فيا له من مقام يسمر كل مقام سواء ويا لها من  
منزلة تفوق كل منزلة دونها اذ في ذلك لقاربة تتغطي الطبيعة البشرية . هو الله  
تعالى يولينا الثوث من عنده بقدر ما يضع علينا من الفروض ويجود بطوله وحوله  
علي من فعل بقوله ويسبغ علينا من النعم ما يعصمنا من مزية التدم . فاذا كان  
الله ينتخب الملاك الحارس الذي يامرُه بحراسة الملك من اجواق سالات الملائكة  
العليا بين الروساء والسلطين كما يرتأي القديس توما وكان يقف على جانبي الملك  
ملاكاً يجعله الواحد منها مسيحياً صادقاً والآخر ملكاً صالحاً لانه لا يكون  
مسيحي صالح ملكاً طالحاً ولا ملكاً طالح مسيحياً صالحاً . وكان روساء  
الملائكة والسلطين القائمون بحسب رأي القديس غريغوريوس في حراسة الاقاليم  
والمدن هم مستشارو ذلك الملك وملازمو جانبه ليحسن سياسته ا فلا يلزم عن  
ذلك ان نعتقد بانه ليس لرئيس الدير ملاك حارس فقط بل ملاكان من روساء  
الملائكة والسلطين يساعده احدهما على اكتساب الكمال مساعده خاصة  
ويساعده الثاني على تدير مروضيه وان نعتقد ايضاً ان الملائكة القائمة بحراسة  
الرهبان مروضيه يهتمون بخدمته ويعضدونه فيما يؤول الى الخير العام ؟ فما اعظم



الاجر الذي يحصل للرئيس بهذه الوسائل القوية المتوفرة لديه ؟ وكم يتلافى من السقطات ويمتث غيره على ممارسة الفضائل ويخلص من الانفس ويقود منها الى طريق الكمال ؟ ألا يشارك مروثسيه في الخير الحاصل من جميع ما يعملونه من الاعمال الصالحة كاصلوات والامانات والمواظ على اعمال المحبة الى غير ذلك لانه هو سبب هذا الخير الخاص اذ يهيء القلوب له ويقود رهبانه اليه ؟

ان القديسة تريزيا قامت فيما يسميه الرئيس في سحابة يومه من الاعمال المقدسة لاسيما فيما يترتب عليها من النتائج العظيمة فانذعات من هذه الوسيلة السميدة التي بها يُجبر الرئيس على تقديس نفسه ليقوى على تقديس نفس غيره ولم تتألك عن ان تلمن اللاب غوتزالس انها تعتقد الاعتقاد التام بان المندوب للقيام باشراف الاعمال الالهية الباذل حياته في سبيل ايصال الانفس المختارة الى الكمال الرهباني المطلوب ينال من الاجر بفعل واحد ما لا يناله المروثوسون بافعال عديدة

### العدد ٣

في انه يجب ان تتحمل الرئاسة بصبر واتكال

من المقرر انه لا مناقضة بين فضيلة وفضية فلا يؤدي الافراط بالتواضع الى المعصية على الله تعالى ولعبري اذا خيل لنا ان الله لا يقدرنا على ايفاء الوظيفة حقها عندما يدعونا وينتخبنا لها لما نحن عليه من الضعف بالطبع نكون بذلك ادخلنا فسادا باصول التواضع المسيحي لان هذا يؤدي الى القول انه اذا كنا ضعفاء فالله تعالى ضعيف بيد انه من الضروري ان يعتقد المتواضع الحقيقي انه اذا كنا نحن نعرف من انفسنا العجز والنقصان فالله تعالى يقدر على كل شيء باية آلة اختارها . واذا كان لا يُغفر لنا ان شككنا في قوة بشرية فلا يُغفر لنا بالاولى ان شككنا في قدرة الله تعالى لانه من الصواب ان نرضخ بالصبر والاتكال لحكم الانتخاب القانوني الدال على مشيئته سبحانه جل وعلا

قال القديس توما : رد الرئاسة خطية تخالف المحبة التي توجب ان

نضجتي راحتنا في سبيل الخير العام و٢ التواضع الذي يوجب ان نخضع للروساء  
والحال ان الانتخاب القانوني يساوي امرهم اه

وقال القديس غريغوريوس التريزي : من الجسارة ان يقبل الراهب  
الوظائف بلا تمييز ولا روية ومن الحياة ان يأبأها على الاطلاق واما انا فعندي  
ان خير الامور اوسطها فاني اكثر جبانة من الذين يتهافتون الى الرتب واكثر  
جسارة من الذين يرفضونها برمتها اه

وقال في ذلك البابا غريغوريوس القديس : ان التواضع الحقيقي لا يرفض  
بمكابرة وعناد الرياسة التي يؤمر بقبولها واما من جادل التسلص منها وهو يرى ان  
الله يأمره بها فلا يكون الا متكبرا . ولنا من موسى كلم الله مثل في ذلك يجب  
الاقتداء به فانه لم يكن يريد ان يأخذ على عاتقه قيادة الشعب العبراني لكنه فعل  
ذلك امتثالاً لامر الله تعالى فلو اقبل على قيادة هذه الملايين من الناس بغير  
روية ولا نظر لمد منه ذلك تهوراً ولو رفض قبول هذه القيادة بتاتا كان حسب  
عليه ذلك اثماً من قبيل العصيان . غير انه اظهر حينئذ فضيلتي الطاعة والتواضع  
لانه أبى ان يكون قائداً لاختوته بالنظر الى عجزه ثم رضي به بعد ذلك لثقة بقوة  
الله الذي كان ينفذ هو احكامه ولشدة اتكاله عليه جل جلاله اه ( الراعي ق ١  
ف ٦ و ٧ )

وكتب العلامة بالرمينوس في هذا المعنى نفسه الى احد الاساقفة الذي لم  
يكن مر حينئذ على ارتقائه الى هذه الدرجة زمان طويل فقال : اذا ما راق لله  
تعالى خالقنا وقادينا ان يضعنا في وسط هذه المخاطر ( يعني بذلك الرياسة ) فن  
نحن حتى نجترى ان نقول له لماذا تعاملنا هكذا ؟ فاذا كان الذي احبنا وبذل  
نفسه فدى عنا تنازل فقال للقديس بطرس : ان كنت تحبني ارفع نعاجي اه  
( وكأنه قال ذلك لجميع الرعاة ) فمن يا ترى اذن تدفعه القعة الى ان يحبيه قائلاً :  
لا اريد ان ارفع نعاجك خوفاً على نفسي من الهلاك لانه يكون دل بذلك على انه  
يجب نفسه ولا يجب الله تعالى لان من احب الله محبة حقيقية يقول كما قال



الرسول : اني اوثر ان اكون مبسلاً ومبعداً عن يسوع المسيح لاجل خلاص اخوتي من ان ارفض قبول وظيفة يريد الله ان يلقياها على مناكبي اه ومن المحقق ان من تمكنت فيه المحبة لا يخشى من وقوعه في خطر الهلاك ومن المحقق عندنا ايضاً بشهادة الكتاب الكريم الصادقة ان المحبة تغطي وفرة الخطايا وان كنا نرتكب هفوات كثيرة بالنظر الى ما نحن عليه من الجهل والضعف اه

فمن الثابت اذن بالمثل والايان انه لا شيء يمكننا من امر الخلاص مثل عون الله تعالى لنا واننا آمن على سلامتنا ونحن في وسط اعظم التجارب اذا ما حفظتنا يد الله تعالى فيها منا عليها ونحن متزرون في اقصى المحلات المعترلة . فالحاصل اذن انه ان كان في الرياسة خوف فلها ايضاً عون من الله خصوصي او كان فيها شيء من الصعوبات فلها فوائد كثيرة تساعد على ممارسة النضية فيها . فالنظر الى هذا التعويض وهذه المكافأة يحملنا ان نسلم انفسنا لله بكل طمأنينة قلب . فلما انتخب سرياكوس بطريقاً على كرسي القسطنطينية كتب اليه البابا غريغوريوس في هذا المعنى قال : اعلمتنا في كتابك انك شاعر بتقصيرك وعجزك وان هذا الحمل جاء فوق طاقتك فعليه تاكدنا نحن انك قادر على القيام باعباء هذه الوظيفة السامية لانه لا يستطيع القيام بوظائف الكنيسة الا من عرف عن خلوص وثقة انه غير كفوء لها فانه اذ ذاك يلقي اتكاله ورجاءه على الله الذي له وحده القدرة على ان يساوي بين ثقل الواجبات التي يلقياها على مناكبنا والعون الذي نحتاجه منه للنهوض بها

كتب البابا اينوشنسيوس الثالث الى اسقف كان يلتمس اعفاء من رتبة الاسقفية ليشتمع بسكون العزلة قال . هب ان فيك من الشوق ما تعيرك شدته اجنحة تطير بها الى تلك العزلة التي تتمناها فاني احب ان تعلم انه يجب ان تطوي تلك الجوانح ولا تشرها للطيران الا بعد صدور امرنا . اه

## ﴿ الفصل الرابع ﴾

### في الرياسة الموقته وغير الموقته

#### في الحجج التي تؤيد الرياسة غير الموقته

١ ان الرياسة غير الموقته تمنع الاجتماعات التي تطلب نفقات كثيرة  
واسفاراً طويلةً وغياباً مأسوفاً عليه وتهيج ما سكن من حركات المطامع  
والحسد وتولد الانشقاقات المشومة

٢ ان من يقوم بمهمة من المهام والمناصب مدةً طويلةً تتناوبه احوال شتى  
وتجري له حوادث كثيرة من شأنها ان توسع نطاق مداركه وتنبه افكاره وتحركه  
في التدبير اي تحريك واما الرئيس الموقت فلا يكون عند نهاية سنيه الثلاث اميناً  
من انه يعرف الحالة التي وصلت اليها الرهبانية والرهبان . ومن الثابت انه  
لا شيء يزيد الاهابة في الرئيس والثقة والاحترام في المروثوس مثل السلطان الواحد  
الثابت كما انه لا شيء يحمل المروثوس متصلاً والرئيس جباناً وهائباً مثل معرفته  
بالعزل او التبديل وهذا الذي حمل مؤسسي الرهبانية مثل القديس باسيليوس  
والقديس اغوستينوس والقديس مبارك والقديس دومنيكوس والقديس فرنسيس  
الاسيزي على ان يجعلوا في بادئ الامر زياصة رهبانياتهم العامة غير موقته . وقد  
دتي الامر يجري على هذه الصورة زمناً طويلاً

٣ من المعتاد ان يعتني الانسان في المصلحة المسلمة اليه تسليماً غير موقت  
اكثر من منايته فيها وهي موقته اذ يُجبر عند حلول الاجل على تسليمها الى غيره  
فان الانسان اذا ما كان واثقاً من نفسه انه يتعقب هو نفسه عملاً يرى انه يعود  
بفوائد كثيرة عامة وانه يرى بعينه تلك النتائج التي يتصورها وكان اميناً من النجاح  
فيه بالنظر لما يكون اكتسبه من النفوذ والخبرة يتجرا حينئذ على ان يحاول  
الشروع فيه وينشط لاجرائه وانجازه فان ايزوكرات الحكيم يرتأي في خطابه الذي



التقاء على لسان بيكوكايس ان الذين يتقلدون مهام الاحكام الى سنة واحدة  
يترونها قبل ان يحسنوا معرفة مصالح لوطن وان يعتادوا تدبير الاعمال بيد ان  
الذين يتولون رهم من الاهلية على درجة وسعوى رياسة واحدة في مدة حياتهم  
يفضلون غيرهم بالتجربة والامتحان لان من كانت مهمته موقتة يتساهل في امور  
كثيرة اذ يتقاعد عما شق من الاعمال ويترك الاهتمام فيه لمن يخلفه واما ذوو المهمة  
غير الموقتة فلا يهملون شيئاً لانهم لا ينتظرون من يقوم مقامهم في اعمالهم حتى تتم  
انقاصد في شأنها اه

٤ لما كان لكل رئيس جهة تعلق ونظر في الاعمال يختلف بهما عن غيره  
كان تبدل الرؤساء مورثاً للرهبانية ادواراً وتقلبات من شأنها ان تجب عليها  
اضراراً وترزع منها اركاناً

٥ ان الرئيس غير الموقت لا يخاف امراً ولا يرجو شيئاً من قبل رؤوسه  
لا لاجل تجديد انتخابه ولا لتحسين ما يكون بينه وبينهم من المناصب والعلاقات  
بعد العزل من الرياسة فليبه لا يصادف ما يضطره الى تسليم امر من الاور الى  
من ليس باهل له ولا ما يقعه عن اصلاح الخلل وزالة الشوائب الحاصلة في  
الرهبانية

٦ لما كان وجود رئيس فاضل واحد اهل من وجود كثيرين كانت  
الرياسة غير الموقتة مصونة من الخطر الذي تتعرض له الرياسة الموقتة بالنظر الى  
الاقتراع الدوري لان زيادة التبديل في هذه الرياسة يفضي الى لقاء مقاليدها في  
ايدي شبان لا يكون لهم خبرة ولا علم بالقضية الثابتة الراهنة بل يكون كل ما  
عندهم منها كناية عن بعض الرغائب والظواهر الموافقة اصول الآداب اذ يجهلون  
الطرق الروحية ومبادئ السياسة الرهبانية فيكتفون بحفظ النظام الخارجي وهم  
غافلون عن التهذيب الباطني الحقيقي فانهم اذا ما رأوا ادوات الآلة تتحرك  
بعضها ببعض بنظام وترتيب يرضون بذلك ولا يطلبون زيادة عليه

٧ ان الرؤوس الذين لم تتأصل فيهم الفضائل يتخذون من تبديل

الروساء حجة للتراخي في الانقياد الى الطاعة لانهم يعلنون انفسهم بان الرئيس الآتي يعاملهم باطف ويفرج عنهم الشدة فلا يرون اضطراراً لتحسين احوالهم ولموافقة الرئيس في ما يراه ولا يهتمون الا لانجاس اعمالهم كيفما اتفق لهم وهم متربصون من يوم الى يوم ومن مجمع الى آخر اما الرئاسة غير الموقته فتسد في وجههم السبيل الى مثل هذه المكابرة بل تدفعهم الى ان يغيروا سلوكهم وينضجوا تمام الخضوع قلعاً من معارضة السلطان الذي لا ينتهي الا بانتهاء الحياة ويتفق بعض الاحيان ان يوجد الرئيس المعزول تحت سلطان خلفه في الدير الذي عزل عن رياسته فيصعب عليه حينئذ ان يتعاشي كل ما يمس حاسات خلفه من تقدير يفرط منه او لوم يرميه به او تدمير من بعض حوادث تحصل له. الامر الذي يسبب عثار الرووسين واما الرئاسة غير الموقته فلا يكون فيها سبيل الى شيء من ذلك كله ولا من امثالها ويمتنع فيها كذلك امكن ارتكاب السيئون التي تحدث مرات كثيرة بين رئيس ورووس بواسطة العهد الصريحة او المضرة التي بها يعد الواحد منهما الآخر باقتراعه له والحصول على الوعد البات منه بالمكافأة او بأمل الحصول عليها يوماً من الايام. ولا يبقى ايضاً في الرئاسة غير الموقته مكان للافراط بالتسامح عن القصور الذي يديه من صوت الرئيس من الرهبان ولا من التعامل بالنفور والاشمزاز على من لم يصوت له

٩ ان الوحدة في السلطان وبقاء سلطان الواحد هما علامتان مرسومتان من يد الله تعالى لكل سلطان في هذه الدنيا لان السلطان هو بحصر الامر صورة الله تعالى على الارض والمتسلط يمثله عز وجل في عبادته فلا ترى ان في الكنيسة حبراً واحداً سامي السيادة وفي المملكة سلطاناً واحداً معزواً بالقوة وفي الابريشية امقفاً واحداً وفي العائلة رباً واحداً فقط ؟

## العدد ٢

في الحجج التي تؤيد الرئاسة الموقته

١ يخشى ان تنقلب الرئاسة غير الموقته الى استبداد مطلق بالنظر الى ان



الرئيس لا يطالب بحساب ولا يخاف من عزل فالرئيس اثبات في الرئاسة يغلب  
المعجب فيه على المحبة الابوية فيظهر في جميع اقواله واعماله ثم ينسي ما في الطاعة  
من الصعوبة كأنه لم يختبرها ويسكت الرهبان القادرون على ارشاده ويشتهون الى  
حد انهم لا يصدقونه النصيح تاركينه وشأنه منصرفين عن مصالح اخوتهم العامة  
وعن صوالح القانون ايضاً وذلك ليثبتوا في مناصبهم الخاصة . قال بوسويه :  
السلطان من طبعه الازدياد اه فالانسان كلما زاد سلطانه ازداد رغبة فيه حتى اذا  
ما انتهى الى اعلى درجة منه انتهى به الطمع الى ما لا حد له . فيختص الرئيس  
لنفسه التليل من الحرية التي يتسامح بها القانون للمرووسين ان لم يكن هناك  
حواجز تمنعه

٢ ان الرئاسة غير الموقته تقضي في بعض الاحيان والاحوال الى الخصام اذ  
يقتصر الرئيس في الاشغال على تسليمها لمن يجب كما يُسمح له لامن يكون اهلاً  
لها وجديراً بها فيتولد من ذلك تدمير في السر لا يوصف وقد يجاهر به صاحبه  
علانية

٣ كان الرومانيون ينتخبون اولياء الامر بينهم بالدور كل ثلاث سنين  
مرة وكانوا يعلقون القسم الاكبر من نجاح مملكتهم على هذا النظام لانه على ما جاء  
في سفر المكابيين لم يكن من حشد بينهم وانهم افتخروا بسيادتهم حينئذ على  
الدنيا جميعها وان روساهم كانوا ذوي رفق واعتدال

٤ ان كثيراً من خيار المرووسين يلبثون خاملين بالنظر الى قلة ميل  
الرئيس غير الموقت اليهم لان الرئيس يستميل بالطبع اصحاب الاعمال الى موافقة امياله  
فان من غلبت فيه السويداء مثلاً يختار عماله من ذوي الطباع الدموية او البلغمية  
لليهم وسهولة قيادتهم ومن علم بعجزه اختارهم من ذوي المقدرة والاقدام واما  
ذوو الرئاسة الموقته فلا يقومون في هذا المحذور بل يختارون للمناصب والخدمات  
من يرونه اهلاً لها ومن تكون حنكتهم التجارب

٥ لا اشكال في الاعتراض بان ولاية الاسقفية غير موقته . لان الاسقف

عقد مع ابرشيته عقداً غير منقسم يشبه عقد الزواج ويمكن مع ذلك نقله من اسقفية الى اخرى وانه فوق هذا لا يساكن في داره افراد اسقفيته وكهنتها ولا هم متعلقون به بحكم النذور. من حيث ا. ودهم الروحية والزمنية كما يتعلق الرهبان بروسائهم ٦ ان رجاء التبدل القريب يجعل نير الرياسة خفيفاً محتملاً وان كان ثقيلاً يجذ ذاته غير انه اذا كان الرئيس فقط الطباع وسلطانه غير موقت تكون حال المروثوس متضعضة ويفتقر في مصابه هذا الى قسم عظيم من الصبر الجميل ولا يطيع من يقدر ان يحمله كل العمر اثقال حقه الا طاعة خوف وجبر واذا ما نقر قلبه او شعر بنقصان في محبة الرئيس له او كان بينه وبين الرئيس مباينة بالخلق وهو لا يرجو احداً يلتجئ اليه او يتكل عليه ولا يرى لنفسه في مستقبله نجاحاً في داخله اللهم والغم ويستولي عليه الملل ويتملك فيه الجبن والضعف والياس

٧ لذوي الرياسة غير الموقته ادوار تظهر فيها بسالتهم غير ان الرئيس اذا اكتمل او الم به الحبل من العمل يسوقه الكلل الى الفشل وهو لا يكتث لشيء مما فعل اما الرئيس الموقت فيرى ان الدعة المعينة للعمل قصيرة وانه في شرح شبابه فيبذل قصارى الجهد في ان يشهر رياسته ببعض الاعمال الكبيرة المفيدة فتتقدم بذلك الرهبانية راغبة في بلوغ غايتها تقدماً متصلاً ويتسع نطاق كمالها بما يؤول لمجد الله على قدر ما تستطيعه

٨ ان الحالة الرهبانية هي حالة خضوع وتواضع فكيف يتأتى للرئيس غير الموقت الذي لا تفرض عليه الطاعة الا لاسقفه وللأببا فقط اللذين لا يأمرانه بها الا ما ندر ان يكتسب فضيلة التواضع وما يتفرع عنها من الفضائل بغير ممارسة الطاعة ؟ او كيف يمر في فن الامرة الذي لا يتعلم احسن تعلم الا بها ؟ ولا شك ان من يعود اصدار الاوامر والنواهي يصعب عليه قبولها ولا يمنع عن نفسه ما يقدر على نيله منها فان من الف الكرامة والسيادة يستولي عليه التهور والكبرياء وما ينشئ وقوعه في الرياسة غير الموقته هو ان يظن الرئيس ان الاموال الموقوفة هي له وان يتصرف فيها تصرف اللائق في ملكه كيفما شاء واراد ولعمري انه متى كان



سلطان الرئيس مطلقاً وليس له من يطالبه بحساب فيوقفه على حدّ وهو لا يخاف من احد فيرعوي . لا يلبث ان يستهويه الشيطان والحالة هذه فيطلق العنان ليله وهواه ويتسامح لغيره بما يتسامح به لنفسه من الافراط بالنفقات والاكثار من الزيارات وغير ذلك من المخالفات القانونية فاذا كان ذلك كذلك فما يكون حال النظام الرهباني ولنا في ذلك اعتبار آخر وهو ان المساواة التي تساعد كل المساعدة على المحبة والالفة لا رجود لها بين الرئيس غير الموقت ومروثوسيه ومن الصواب والعدل ان الرئيس الذي يكون استفاد من مثال اخوته بخضوعهم وطاعتهم له ان يفيدهم هو بعد ذلك بانثى والامثال نفسها عندما يدخل في مدادهم

١ ان الرئيس الموقت يحرص على نفسه كل الحرص لعلمه بانه يزل بعد قليل من الوظيفة ولا يبقى محذور من توبيخه على ما يكون قد فرط منه من التقصير في واجباته واذا كان اثر مثله بهض الاخوة فيبقى للرهبانية امل بان من يخلفه في الرئاسة يقل تلك المثرات واما من كانت رئاسته غير موقته وتراخى في حفظ القوانين او استبد في اراءه فلا يكون له ما يردعه عن غيه سوى ما قل من النصائح الضعيفة على ان البقاء على السلطان مدة مديدة يزيد القلب تصنعاً وتصلباً لوان في ذلك كله عراقيل شديدة تمنع الرهبان عن التقدم في طريق الكمال . وما الرئيس الموقت السيء السيرة الا كالحمي المثلثة فانها وان اشتدت وطأتها على المريض فلا بد لها من فترة تترك له فيها فرصة للراحة اما الرئيس غير الموقت فاذا ما ساءت سيرته يكون كالحمي الدائمة التي لا تنقطع الا بقطع حياة المريض

### المدد ٣

#### في بيان رأي العلامة سوارس وعادة الكنيسة

ان هذا العلامة بعد ايراده الحجج الموجبة والسالبة في هذه المسألة يسلم بان الافضل لخير الرهبانية والانسب لحالتها هو ان تكون الرئاسة العامة موقته بشرط ان لا تضر بالرهبانية الاجتماعات العامة الكثيرة ولكن اذا كان لا بد لتجديد الرئاسة

العامّة من هذه الاجتماعات التي يكثر فيها عدد اصحاب الاصوات فيرى ان الاوفق بل ان اخف الشرين ان تكون الرئاسة غير موقته او تضرب لها مدة طويلة اه .

( في كلامه على الرهبانية المختلفة جلد الـ ٤ ، المقالة الـ ٨ كـ ٢ ف ٢ . )

اما عادة الكنيسة في ذلك فهي ان البابا غريغوريوس الـ ١٣ رسم ان تكون مدة رئاسة الرهبانيات في ايطاليا ثلاث سنين لا تتجاوزها وان لساثر الرهبانيات الخارجة حقاً بان يكون روساؤها العامون غير موقتين اما رؤساء الاديرة فلا تكون مدة رياستهم في اي مكان كان الا ثلاث سنين او ستاً وفي هذا برهان قاطع على ما يقوله سوارس ان العادة القديمة في طول مدة الرئاسة لم تكن لتؤديها الكنيسة التي ابدلتها بما رآته مناسباً بل نافماً وهو الرئاسة الموقته

ولكنه لم يسمح للرهبانيات التي حافظت على العادة القديمة من اطلاق مدة الرئاسة العامة بالمداومة على ذلك الا بعد تشكيل مجلس شورى بين المدبرين ومجلس تفتيش عمومي للرهبانية لدفع المطامع ومنع الاستبداد

غير ان اطلاق مدة الرئاسة العامة لا تسمح بها بموجب قوانين ( دي فرار ) الاخوة الا نادراً لان مجمع الاساقفة والقانونيين المقدس رأى الافضل ان تضرب لرئاسة هؤلاء الرهبان مدة عشر سنين واثنيتي عشرة سنة وان تجدد الرئاسة بعد مرور هذه المدة اذا كان سلوك الرئيس موافقاً للقانون فتحصل هذه الرهبانيات بذلك على منافع الرئاسة المطلقة المدة من غير ان تتحمل من اضرارها شيئاً اه ( مجمع حقوق الاحبار جلد ٦٣ )

واما رهبانيات النساء فلم يسمح لها المجمع المقدس باطلاق مدة الرئاسة فيها الا نادراً لانه من الامور الممتنعة عادة ان تسلم سياسة الرهبانية الى امرأة مدة حياتها ومن المقرر والحالة هذه ان الاجازة للراهبات بتجديد الرئاسة العامة تصادف محاذير كثيرة لانها تسلب حرية الاختيار وتعرض ذوات الصوت للاندفاع الى الاقتراع بعامل الحياء اذ لا يقدمن الا على انتخاب الرئيسة التي مرت عليها السنون وهي في الرئاسة هذا ونصرف النظر من ان الشيطان يوسوس



لرئيسة فتعد لها ولا سيما في السنين الاخيرة زمرة من الراهبات تسلم اليهن  
الوظائف المخصوصة بذوات الصوت الفاعلي فلهذا لم يؤيد المجمع المقدس هذه  
الطريقة الا نادراً ولا سيما في المدات الاخيرة وجل ما هناك انه اذا سمح بتجديد  
الرئيسة العامة بعد مجمع الثلاث سنين او الخمس سنين يكون ذلك باذن الاسقف  
المترأس على مجمع الراهبات بصفة قاصد الكرسي الرسولي ولا يسمح عادة بتثبيت  
الرئيسة العامة بعد مرور الثلاث سنين او الست سنين من رياستها بدون الاجازة  
الرسولية التي لا تستحصل الا عند وقوع الانتخاب بالاكثرية او بشبه الاكثرية  
فمذه هي الطريقة التي توافق جميع المطالب وتقطع جميع المعاذير فتصير مدة  
الرياسة العامة مطلقة اذا كانت الرئيسة العامة حسنة التدبير وكانت الاخوات  
راضيات عنها والا فلمن عزلها عند الاقتضاء (من المجمع المذكور كتاب ال ٥٤)  
فعلى كل واحد من تابعي هاتين الخطتين ان يستفيد من الوجوه النافعة  
الواردة في قانونه المتعلقة بهذا المعنى ويحترز من الاسباب المخلة والطرق المضرة

## ﴿ الفصل الخامس ﴾

في ما يطلب في المنتخب من الصفات العامة

اولاً

- الاصابة في الرأي -

اذا كانت الاصابة في الرأي من الصفات المشروطة لقبول المبتدئ شرط  
لزام فكم يكون وجوبها في الرئيس شديداً . وان شئت ان تعرف ما هي  
الاصابة في الرأي فاعلم انها صفة بها يرى الانسان الاشياء ويحكم فيها كما هي  
عليه بلا زيادة ولا نقصان ويدرك ما يرد فيها من الادلة الموجبة والسالبة والوجوه  
القوية والضعيفة ولا يزيد او ينقص في اعتبار امر فوق ما يجب له بل يكون نظره

فيه صحيحاً وقياسه سديداً . وهي تصدر عن استقامة الإرادة وسعة العقل معاً لانه اذا كان الانسان يميز الاشياء ويتدبرها وتقديرها نظرياً بالعقل فهو بالارادة يعزم ويعمد على الاجراء بالفعل فالاصابة بالرأي والعناد فيه ونقصه من الازداد لان العنيد لا يسلم بالحقيقة ولا بالعدل وان ظهرا له ظهوراً واضحاً والناقص الرأي ليس له قدرة على معرفة الفرق بين الحقيقة والضلال والعدل والظلم مهما كانت ارادته سالحة .

وتختلف درجات ذوي الرأي الصائب في الصلاح وقد يغاطون ولكنهم لا يخرجون بغلطهم عن ان يكونوا صالحين . فاصابة الرأي هذه قابلة للتزقي وان كان معظم قوتها طبيعياً لان توسيع المدارك العقلية المستمر واندفاع الارادة اندفاعات شديدة وقوية من شأنها ان يرفعا درجاتها ويزيذاها تحسناً . وذو العناد لا يكون دائماً عنيداً كما ان ناقص الرأي لا يكون دائماً ضعيفاً فان للعنيد حالتين الاولى هي اتباع ما يخطر على باله من الخواطر لساعته والثانية الاتقياد لهواه الطبيعي واما ناقص الراي فلا يعثر على الغالب الا في بعض الاحوال ومن بعض الوجوه فقط غير ان عثارة مقطوع فيه لا يمكن تلافيه لانه مسبب عن العقل لا عن القلب ويتكرر بتكرر احواله ووجوهه فتازم عنه سقطات لا تتبدل ولا تتغير

وعليه فمن كان ناقص الرأي يتعذر اصلاحه ولا يعول عليه في امر من الامور فكأنه آلة كبيرة اذا ما اختل بعض دراليها او نقص سن من اسنان دولاب منها وقف دورانها او تعسر معها اشتدت عليها اللوالب والمحركات فانك تراه مستقيماً حكيماً في اموره جميعها الا في ما تعود السقوط فيه فانه اذا ما وصل الى تلك النقطة وقف دولابه رغماً عن تحريكك لولبه وتضعضت آله باختلال ادواتها وتحققت انت ان اجتهادك في اصلاحه من قبل العبث ولو كررت عليه الامر مئات من المرات :

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

فالرئيس الناقص الرأي هو اسوأ الروساء لانه لا يرى الا بين واحدة ولا



يسمع الا باذن واحدة ولا يدفع جماعته الا من جهة واحدة فيفضي به الامر على هذه المنوال الى ان يقودهم الى الهاوية آجلاً او عاجلاً

ثم ان من دلائل اصابة الرأي الا يقتحم الرجل في احكامه بلا روية بل ان يعرف كيف يرتاب وكيف يستشير ويعترف بتقصيره وعجزه وان يكون معتدلاً في امياله ثابتاً رزيناً يحافظ على نفسه في سكونها وسلامتها ولا يتعلق قلبه بصغار الامور ولا يعجب بنفسه وان يكون في احاديثه محتزاً كتوماً موجزاً يفكر بما يتكلم ويتكلم بما يفكر ويقوى على حفظ السر ولا يواخذ بما ياباه الذوق العام .

وان يكون في اعماله حكيماً محتاطاً بفحص الامور ويزنها ويبحث فيها وينظر في اسبابها ويستدرك موانعها ويسطو على الحوادث وهو ساكن الجاش لا يقلقه شي من الاشياء . ومنها انه اذا فرط منه غلط يعترف به ويطلب الصفح عنه ولا يحسب ذلك عاراً عليه وانه يعرف ايضاً كيف يصفح عن الذنب ويعذر المذنب وكيف يصرف النظر عن كلمة يلحقه منها بعض الالهانة وينضي على كثير من الاعمال المختلفة ومنها انه في وظيفته دقيق امين متهاك مثزه يعرف حد واجباته وينذل قصارى جهده في سبيل القيام بها ومنها انك تتحاله في وجوده بين الاخوة كانه قائم في ظهرائي اهله يساوي الجماعة في عيشتهم كانه فرد منهم وينذل الخدمة لكل واحد منهم ويكون كله في الكل والكل فيه

## ثانياً

### الفضيلة الراسخة

من رام ان يقوم بالرياسة حق قيام ترتب عليه ان يكون متعمقاً في مبادئها وان تكون تلك المبادي موعبة في ذهنه وان يكون له مقدرة على ايعابها في ذهن غيره ولعمري ان الخلق بالرياسة ليس من أحسن المباحث عن الفضائل بل من كتب الفضائل على صفحات قلبه وكان له في طرقها وطرائقها فطنة وذوق سليم فان اول سلطان يحوزه الانسان انما هو سلطانه على شهواته كما قال الرب لتايين

ان لم تحسن فتد الباب خطيئة رابضة اليها تنقاد اشواقك وهي تسود عليك ١٠  
( تكوين ٤٠ : ٠٧ ) ولا غرو ان من كان له سلطان على نفسه كان حقيقاً بان  
يتسلط على غيره ومن لم يكن له سلطان على نفسه لا قوة فيه لان مبدأ القوة  
فيه الضعف فيتحم اذن على الرئيس ان يكون متعوداً على مقاومة هواه والتغلب  
عليه لانه لا قوة لمن لا يقوى على نفسه اولاً ولا ثبات لمن لا يثبت في مقاومة  
شهواته وقد قال القديس اغسطينوس : على الانسان ان يتمنى لنفسه ارادة  
مستقيمة قبل ان يتمنى لها السيادة والسلطان ١٠ ( العدد ٥ و ٦ من الكتاب  
ال ١٣ في الثالث )

فكم يجب على من كانت مهنته ان يقدر غيره ان يكون هو نفسه قديساً  
فان في الملح جوهر الملوحة وفي النار جوهر الحرارة وفي العسل جوهر الحلاوة  
والا فمن اين للملح ان يملح وللنار ان تسخن وللعسل ان يحلى  
اما على الرسام ان يتعلم من رسام والموسيقي من موسيقي والفيلسوف من  
فيلسوف والقديس من قديس ؟ ان كل ما في المعاول من الكمال هو في العلة بنوع  
اكمل فعليه لا يكفي ان يكون في الرئيس قداسة عمومية متوسطة بل يلزم ان  
تكون قداسته عظيمة سامية وان يكون مكتسباً نعماً كثيرة يقدر ان يشارك  
فيها غيره من غير ان تنقص فيه وان يكون راسخ القدم في الفضيلة حتى يقدر ان  
يعضد من سواه وهو لا يتزعزع وان يكون حاراً في العبادة حتى يسخن القلوب  
وهو لا يفتر ٠ قال القديس بوناونتورا ( في الستة الاجنحة ف ٢ ) ان الرئيس او  
الحبر يجب ان يكون مفعماً من روح التقوى حتى يستطيع ان يعمل كل اعمال  
الفضيلة من دون مساعدة أحد اذ يسهر على نفسه سهرًا دائماً من غير افتقار الى  
من يرشده ويدبره او ينبيه وينهضه من سقوطه ١٠

فهل يخفى بعد ذلك على احد ان الرئاسة كالبلور في النظارة المعظمة تكبر  
مرئيات الاجرام كأنها تقرب البعيد منها وتريك الهفوة ذنباً عظيماً وتجعل لاحقر  
الامر صدى ذا دوي هائل وجلبة عظيمة كيف لا والجمهور بأجمعه بمراقبة  
الرئيس وانتقاد اعماله وذلك ليس لاجل الاقتفاء بفضائله ولو كثرت وعظمت  
بل للتمسك برذائله ولو كانت خفيفة نادرة وما ذلك الا لان في فضائل الرئيس



شجباً لوزائل المروثوسين وفي رذائله تبرئة من رذائلهم .  
ولهذا لما تأمل القديس يوحنا الذهبي الفم في ان للانسان ثلاث حالات اما  
ان يكون بلا رئيس او يكون له رئيس ولا يطيعه او يكون رئيسه غير صالح  
ويطيعه فلم يتألك ان يقول ان اسوأ هذه الحالات الثلاث انما هي الاخيرة لانه  
وان كانت حالة المروثوس وهو بلا رئيس ذات خطر عظيم يتفق مع ذلك للانسان  
الذي لا يرى له من يوقظه من غفلته ويذمّه في الخطر الملم به ان ينبه نفسه  
ويوقظها وكذلك من لا يطيع رئيسه فيرمل ان ينتصح بعد ذلك ويرجع الى  
الطاعة ويحفظ واجباته . لكن اذا كان الرئيس شريراً ومروثوسه يطيعه فالله  
يعلم في اية هاوية عظيمة يستطآن الواحد بعد الآخر . اهـ ( هذا ما نقله موديست  
دي سانت امابل في كتابه الرئيس الكامل ك ١ ف ال ١٦٠ )

### ثالثاً

#### المعارف التي تتطلبها الرئاسة

قال « فنجاس » أحد كتبة اللاتين في مقالته في الحرب : ان الملك أشد  
اضطراباً من غيره الى تحصيل المعارف الكثيرة النافعة التي يمكن ان تستفيد  
تبعته من تعلمها . اهـ

وقال ساودرا ناكسادو في كتابه المسمى بسياسة الملك المسيحي ف ال ٤ :  
ان الملك الذي يفتقر الى ان يتكلم عنه آخر لا يكون ملكاً بل مثلاً . اهـ  
وقال أيضاً الشهير هومر الشاعر لا ينبغي ان يعتبر في الملك جمال الوجه ولا مناسبة  
الاعضاء لانه يساوي النساء بذلك ولا يفضلهن فيه ولا ان نعتبر فيه فصاحة  
اللسان لان تلك ليست الا صناعة يجاريه بها الخطباء والمتفلسفون ولا الغنى لان  
التجار يحشدون منه ركاماً بل ينبغي ان يعتبر فضله وفضيلته وهو ان يكون له  
اعين ينظر بها الى ما يكون امامه وما يكون وراءه يعني انه يجب ان يعد من  
اهل الحكمة والعلم . فالحكمة والعلم يجعلان له الماضي والمستقبل حاضرين  
ليحسن بذلك سيرته وسيرة تبعته . اهـ

وقال أحد العلماء الاقدمين : ان اهل العالم يرون ضعف ما يراه غيرهم

بالكمية والمسافة لان العلم والفطنة هما سراجا الحياة البشرية او هما فيها كالعينين في الانسان اه

وقال البابا بيوس الثاني : ان العلوم في افراد العامة كالفضة وفي أولي الحساب والنسب كالذهب وفي الملوك كاللاس اه

وقال كذلك القديس اغسطينوس : اعظم ما يمكن ان تحصل عليه الناس والممالك عادة من السعادة واليمن هو نتيجة عمل رجال صالحين ممتازين بالفضيلة الثابتة والمقدرة على حسن التدبير اه ( مدينة الله ك ه ف ال ١٩ )

وسبق افلاطون فقال : سعيدة هي المملكة التي يتولى امرتها الفلاسفة اه ولعمري ان الفلسفة المسيحية تنحصر بكلمتين العلم والفضيلة فالعلم يرشد الانسان الى ما ينبغي عمله والفضيلة تقويه على العمل ولا يقوم احدهما بدون الآخر .

فلنصغ بعد كل ذلك الى ما يقوله لنا الروح القدس في سفر تثنية الاشتراع ( ف ١٧ : ١٨ ) ومتى جلس على عرش ملكه فليكتب له نسخة من هذه التوراة في سفر من عند الكهنة اللاويين ولتكن عنده يقراء فيها كل ايام حياته لكي يتعلم كيف يتقي الرب الاله ويحفظ كلام هذه الشريعة كله وهذه الرسوم ويعمل بها لئلا يرتفع قلبه على اخوته ولئلا يعيل عن الوصية يئنة او ينسوة ولكي تطول ايامه على مملكته هو وبنوه فيما بين اسرائيل اه . فينتج من ذلك ان الشرط والسر في ما يجعل الملك صالحاً وعظيماً انا هو ان يقرأ الشريعة ويدرسها كل يوم وان يبتجئها في عقله وقلبه لكي تكون رسماً ومثالاً لسيرته وتدبيره فعليه لما اراد الرب ان يرحم شعبه قال لهم : اني اعطيكم رعاة على وفق قلبي فيرعونكم بعلم وعقل اه ( ارميا ٣ : ١٥ ) ولما اراد ان يقسو عليهم قال : اني اصب عليكم سنطتي واجعلكم في ايدي اناس متوحشين ( جهلة ) صانعي مهالك اه حزقيال ( ٢١ : ٣١ ) وجاء في ابن سيراخ ( ف ال ١٠ ) ان الملك الجاهل يبئد شعبه وجاء ايضاً في سفر الايام الثاني ( ف ال ١٠ ) وسيكون اسرائيل اياماً كثيرة بلا اله حق وبلا كاهن ومعلم وبلا شريعة اه وهكذا تهدد الرب شعبه قائلاً باسان عاموص ( ف ٨ ) بان يبئده بالجوع ولكنه ليس



الجوع الى الخبز ولا العطش الى الماء بل الى استماع كلمة الرب  
 فلنغير شيئاً من هذا التعبير ولنوجه الى روساء الجماعات الرهبانية ما يقوله  
 تعالى للملك والشعب مما تقدم ذكره ولعمري ان الرهبان المروثوسين الذين لا  
 يتجردون من الارادة الذاتية فقط بل من القطنة ايضاً وذلك لكي يسلموا  
 قيادة انفسهم تسليمًا مطلقاً لروسائهم فاي خير يمكنهم ان يتمنوا افضل من  
 انتيائهم للرئيس حكيم متعمق في المعارف الروحية التي يقدر ان يفيضها عليهم  
 كما تفيض الشمس اشعتها على القمر وسائر السيارات لانه من المقرر بالطبع ان  
 الاعلى يؤثر في الادنى ويورثه الى سواء السبيل وما يضر بمصلحة هؤلاء  
 المروثوسين انما هو ابتلاؤهم برئيس اخق غافل جاهل طرق الله تعالى يضطرون  
 لان يتقدموا له الاحكام والخضوع وهو عاجز عن ان يعوضهم عن ذلك بشيء من  
 العواطف الروحية المؤدية الى الخلاص او من تعاليم الكتاب الالهية وهذا لا  
 يكون في الجماعات الرهبانية الا عقاباً عن اثارها الجاهل على الحكيم فصح فيها  
 والحالة هذه، مثل سليمان الحكيم القائل : مثل من يكرم الجاهل كمثل من يلقي  
 صرة اللؤلؤ في درجة . اهـ (ف ٢٦) فانه من المعلوم ان من يذكر لفظة رئيس يذكر  
 مدجل العلم والمعارف الروحية بل اخا التفضيلة وحليف القداسة لانه اذا كانت  
 العلوم غير المقترنة بالقداسة تجعل الانسان متكبراً كانت القداسة غير المقرونة  
 بالعلوم المكتسبة من المطالعة والتأمل عبثاً لا فائدة فيها . ولا شك بان ما قاله  
 المجمع التريدينيني عن الاسقف يقال ايضاً عن الرئيس بكل صواب . فانه قال  
 نقلاً عن مرسوم البابا اسكندر الثالث : ان الاسقف يجب ان يكون عالماً بما  
 يقتضيه مهنته . اهـ أفليس الرئيس على ما يقوله القديس بولس الرسول سفير السيد  
 المسيح الذي بعثه الله تعالى ليظهر للناس أوامره ويبين لهم مشيئاته ويقضي  
 مصالح مروثوسيه الابدية ؟ وما السفير الا مبلغ افكار ملكه فعليه إذن ان  
 يكون مطلعاً على اسرار هذه الافكار ودقاتتها وإلا يخشى ان يقع منه عند  
 التبليغ ما يخالفها أو ان يبدى افكاراً له بدلاً منها .

فأخص هذه المعارف الواجب على الرئيس علمها هو الحالة الرهبانية وجوهر  
 النذور وكمالها ورسوم الرهبانية مثل قوانينها وفرائضها وعوائدها ثم واجبات

كل وظيفة فيها ولاسيا واجبات الوظيفة الخاصة به ثم عليه ان يعرف حدود سلطانه حق المعرفة ويفرق بين الامور التي تتعلق به وحده وتلك التي تتعلق بمشورة مجمع المديرين وعليه ايضاً ان يكون عالماً جداً بحالة القلب البشري والطباع المتباينة وامراض النفس المختلفة وعلاجاتها وماهية الفضائل وسبل اكتسابها واذا رأى انه صار خيراً محسناً في كل ما تقدم ذكره فليحذر من ان ينسيه اياه الزمان وكثرة الاشغال وينتهر الفرص جميعها لمراجعة درس الحياة الرهبانية النسكية بموجب الطريقة الخاصة برهبانيته وينبغي له في ذلك ان يبحث عن اسرار السيد المسيح مرسله وعن مقاصده وان يميز بعضها من بعض ويتبحر في معرفتها فيستخير منها بالاشعة الالهية ويتخذ منها مسحة سماوية تجعله سراجاً مضيئاً بل كوكباً دريئاً في فلك جماعته ويمتص منها العصير النقي الصافي والسائغ الشافي الذي به يعمل غسله كما يقول القديس ايرونيموس ويجمع منها كنوزه الثمينة التي يعرض ما يكون حفظ فيها من التحف القديمة والحديثة كما يقول القديس مبارك في قوانينه ومنها يولف مكتبة روحية في قلبه على ما قال القديس ايرونيموس ومنها يلا روحه من كل ما هو نقي وجوهري لكي يقدم اللبن للاطفال في وقته عند الحاجة اليه بحسب ما عني به ملاخيا اذ قال : ان شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيه تطلب الشريعة اذ هو ملاك رب الجنود . ( ف ٢ : ٠٧ )

ان هذه العاوم اللازمة الضرورية للرئيس من الرهبان هي عين العلوم المطلوبة من الاسقف لكنها تختلف في الرئيس تبعاً لدرجات الرئاسة . فالدرجة الاولى في الرياسات الرهبانية أي الرئاسة العامة تتطلب من العلوم ارجحها واسماها ليقدّر بها الرئيس العام على حل المشاكل المعضلة المتعلقة بنظام الرهبانية ولاسيا بالحياة الرهبانية العلمية والدرجة الثانية هي رئاسة المعاملة التي يكتفي الرئيس فيها بالعلوم المتوسطة التي بها يقدر ان يميز بين المشاكل فيحل بعضها ويحول البعض الآخر الى الديوان الاعلى والدرجة الثالثة هي رئاسة الاديرة وجماهيرها وهذا يقتضي فطنة بها يتبين الرئيس مواضع النظر والتأمل في فصل بعض الامور ووجوب طلب المشورة فيها . والحاصل انه من البين ان الدير الذي يكون جمهوره غفيراً



او مؤلفاً من الرهبان الشبان يجب ان يكون الرئيس فيه اوفر فطنة وارجح علماً من غيره ليتمكن من تدبير شؤونه بالحكمة والصواب .

#### رابعاً

#### السن القانونية

قال ايوب البار انما الحكمة عند الاشيب والفطنة في طول الايام اه (١٢ : ١٢) والحكيم زاد على ذلك اذ قال . الشيبة اكليل فخر وهي في طريق البراه (امثال ١٦ : ٣١) ومعنى البر في الاية العدل فعليه ترى ان الرب لما اراد ان يعاقب اورشليم لم يجد الى ذلك سبيلاً اقرب من تزع السلطان من يد الشيوخ كما جاء في اشعيا (٤ : ٣) اني اجعل الصبيان روساءهم اه ويصح بهذه ما تنبأ به سليمان فقال : ويل لك ايتها الارض اذا كان ملكك صيياً (جامعة ١٠ : ١٦) والسيد المسيح نفسه كان ابن ثلاثين سنة لما شرع يجري اعمال حياته المشتهرة ويوحنا المعمدان القاصد السابق لم يفتح رسالته الا وهو في هذه السن من عمره والقديس ايرونيموس يرى ان السيد المسيح لم يفضل بطرس الرسول على يوحنا ولم يقلده الرياسة الا لانه كان متقدماً في العمر ومحنكاً بالتجارب

ويؤكد ابن رشد تأكيداً ان المناصب هي من خصوصيات الشيوخ لان معارفهم اوسع وفضيلتهم امتن ويحظر افلاطون في كتابه (حكم المشيخة) على الشبان تولي التدبير لانه لا يرى فيهم ما يجب له من التمرن والتدرب بل يرى عكس ذلك من سرعة الاضطراب والانقياد للاهواء النفسانية وقال سيناك الفيلسوف : ان ظل الشيخ اوفر حرمة ووقاراً من سيف الغلام وفصاحته اه ويشير العلامة شيشرون الى ثلاثة اشياء تقضي الى دمار اقوى الممالك وهي الانانية (حب الذات) والعداوة الصماء وولاية العلمان والتدريس اغسطينوس رأى ان المملكة الرومانية كانت نامية زاهرة حينما كان يتولاها الشيوخ ولكن منذ انقلبت الولاية من ايديهم الى ايدي الشبان مالت المملكة الى السقوط ثم انتهى امرها الى الخراب التام

ويعتقد افلاطون وارسطوط وفياترارد ان الفطنة لا تكمل في الانسان كمالاً تالماً الا عندما يبلغ من عمره سن الخمسين فصاعداً الى سن الستين

ولئن كان للفطنة علاقة كبرى في كمال العمر فهي مع ذلك تتعلق بالرأي  
السديد الصائب لان الشيوخ لا تعرف بيباض الشعر كما تعرف بالحكمة فقد  
يمكن ان يعيش المرء كثيراً في سنين قليلة وان يعيش قليلاً في سنين كثيرة فالاول  
بالنظر الى ما يكتسب من الفطنة والادب في عمر قليل والثاني هو الجاهل الخامل  
الذي لم يحصل في العمر الطويل شيئاً من فن معرفة البشر والدربة فيه أفلا ترى  
بعض الاحيان شباناً لم يكادوا يتجاوزون سن البلوغ يتسامون على شيوخ قد  
تجاوزوا السبعين سنة بسرعة الحاطر والذكاء في ما يرون والغرم والحزم في ما  
يقصدون عمله ؟

فبناء على ما تقدم اصدر المجمع التريدينتيني قراراً فيه يمنع الراهبات عن ان  
ينتخبن لمن رئيسة الا من الواقي لا تقل سنهن عن الاربعين سنة ويكن عائشات  
في الرهبانية عيشة رضية ثماني سنرات متتابعات واذا لم يجدن بين راهبات ديرهن  
من حوين الضمات المذكورة فلهن ان ينتخبن رئيسة عليهن راهبة من راهبات دير  
آخر بشرط ان يكون ذلك الدير من تلك الرهبانية نفسها ولكن اذا رأى  
رئيس مجتمعهن ان ذلك لا يوافق مصلحتهن فيأذن لهن اذ ذاك ان ينتخبن راهبة  
من ديرهن بشرط ان لا تقل سنهن عن الثلاثين سنة وان تكون قضت في  
الرهبانية خمس سنوات على الاقل ولا يتم ذلك الا برضاء الاسقف او بعض  
الروساء

اما روساء الرهبان فلا ينتخب احد منهم قبل دخوله في السنة الخامسة  
والعشرين من عمره ولا ينتخب احد رئيساً عاماً قبل سن الثلاثين سنة عملاً  
بالحكام الحق القانوني وقانون بعض الرهبانيات يمنع انتخاب رئيس لم تبلغ سنه  
الثلاثين سنة

ولنا كلمة نقولها بعد قبل الختام في عافية المنتخب وقواء الطبيعية وهي اذا  
كان المنتخب للرئاسة مريضاً عاجزاً لا يقدر على حفظ قوانينه ولا على الحضور  
لقيام الفروض بالنظر الى مرض يعاوده غالب الاحيان او يوجب ان يعيش عيشة  
خصوصية وقاية لصحة جسمه او يدعو الى التقذر منه فالحق القانوني يوجب ابطال  
الانتخاب في هذه الحالات الثلاث والكلام هنا في الامراض الهامة لا في تشریش

او انحراف عارض يزول باقرب المدات

غير انه اذا اصاب الرئيس مرض بعد الانتخاب يتعمده عن القيام بواجبات رئاسته فيشار عليه حينئذ بان يتنزل عن كرسي الرئاسة وان ألبى فلا كابر الروساء ان ينزلوه او ان يقيموا له مساعداً ريثما يكون شفي من مرضه هذا شفاء تاماً.

## ﴿ الفصل السادس ﴾

### في واجبات الرئيس عند حلول الانتخاب

#### العدد ١

في انه يجب على الرئيس ان يكون مستعداً لتخلى الرئاسة وان يكون سروره عند ذلك أشد منه عند قبولها

اذا ما نظر الرئيس ان مدة رئاسته قد ناهزت النهاية وأخذ اذ ذاك يجتهد بتدبير الوسائل الممكنة في ان يعمل تجديد انتخابه لازماً ضرورياً بحجة ان على الديور مبالغ من الديون مثلاً او باندمرافه إلى القيام بأبنتية عظيمة لم تنته بعد او باكتساب رضا ذوي الفضل في الرهبانية واستمالتها الى نفسه أو بحصول ثقة الجماعة فيه ومنع غيره من ذلك او بالحاقه بغيره بعض الاذية او اذا شرع بعد انحطاطه عن الرئاسة يتدخل في سياسة الرهبانية او في ما يعرقل أمورها من دسائس سرية كأن يندد ويقدح في اعمال من خلفه في الرئاسة وينقده فيها مقابلاً الحاضر بالماضي دافعاً البعض الى التشكي والتذمر متخذاً لنفسه حزباً يتمسك به واذا ألبى ان يستأذن الرئيس خايفته في شيء أو ان يكشف له افكاره واعتقد انه من المغضوب عليهم وجاهر بذلك مسلماً نفسه للكآبة مبتعداً عن مخالطة الاخوة منفرداً عنهم مدات طويلة أشار بذلك جميعه إلى ان الفضائل التي كان يزدهي ويفتخر بها لم تكن فضائل حقيقية راهنة وان الغرر والضرر لم يقعا في حظه عن الرئاسة بل بانتخابه لها . قالت القديسة شنتال : ان الرئاسات اذا كن من ذوات التنسك والتواضع كما ينبغي ان تكون الراهبات وهن قائمات في الاديرة المختصة بالله تعالى حيث يمارس التنسك والتواضع ممارسة



خصوصية لا يجدن سبباً للتشكي عند عزلهن من الرياسة ولكن إذا شعرن وقتئذٍ بالكدر أو بالغم فيظهر جلياً منه رغبتهن في الرياسة ومنها انهن غير اهل لها وانهن غير صالحات لترقية الانفس القديسة إلى درجة الكمال السامية . فالرئيس الذي يشق عليه تبديل إحدى الرئاسات وهو يراها قديسة ويحسب نياتها صالحة يجب ان يجبر نفسه على النظر في مداواة ذلك الشر العظيم واني التمس منه ذلك مستحلفاً ايّاه باسم سيدنا يسوع المسيح جل وعلا . لان تلك الشفقة ليست إلا خديعة شيطانية يجب ان ينجو منها بأية وسيلة كانت والا فيكون جار على الانفس المسلمة لعنايته جوراً عظيماً

فعلى الرئيس إذن ان يكون مستعداً أبداً لتخلية الرياسة اطاعة لاول اشارة ترد عليه في ذلك فاننا نرى القديس فرنسيس الاسيزي والقديس دومنيكوس والقديس اغناطيوس واكثر القديسين من موسي الرهبانيات وروسائهم راغبين في ترك الرياسة وأية رغبة وذلك لاعتقادهم انهم ليسوا جديرين بها ولعلمهم ان خطر الخلاص في حال الرياسة هو اعظم منه في حال الطاعة . ومن المعلوم ان الرئيس كلما كان قديساً ازدادت طاعته في ترك الرياسة لا بطيبة خاطر فقط بل بفرح وسرور لانه يعتبر نفسه احقر الاخوة اقتداءً بالرسول ويعتقد صحة هذا المبدأ وهو انه ليس احد اهلاً للرياسة الا اعتقد انه غير اهل لها . اه وان الاب « لينز » يعتبر الانتخاب من الله اذا ما وجدت فيه هذه الدلائل الثلاثة وهي : ١ ألا يكون المنتخب سعى في انتخابه لا بذاته ولا بواسطة غيره بل يكون قاوم ذلك بكل جهده و ٢ ان يكون الانتخاب جرى بمقتضى القانون بالسكينة والسلام وارشاد العقل السليم حتى يحسب المنتخبون منقادين بوحى من الله تعالى و ٣ ان لا يشعر الرئيس بعد انتخابه بارتياح إلى الرياسة بل ان يستولي عليه خجل شديد لا يتمنى معه إلا العودة الى حالته السابقة حالة الاتياد والطاعة .

ولعمري اذا كان الملك يشعر بثقل مهمته في سياسة نفس واحدة فأنى للانسان ان يتمنى سياسة نفوس كثيرة ؟ واذا كان الرئيس يطلب الرياسة لنفسه أو يأبى تركها رغماً عن القانون فمن أين له النعمة للقيام باعبائها ؟ فالبعض وهم

قليلون يشعرون بالحزن والغم عند تخليّة الرئاسة لأن قلب الانسان مفطور على الميل اليها أو لتعود النفس الامرة والتحكم إذ

لكل أمرء من دهرء ما تعودا

فمن امتاز عن الجماعة بارتقائه إلى شرف المناصب لا يرضى بسهولة وطبيعة نفس بان يعود الى ما كان عليه ويحصى في عداد جماهير المروّسين لانه لا يرى ان في الراحة المرافقة الحياة المنفردة تعويضاً كافياً عن الشرف والمجد اللّازمين عن السيادة هذه ولا عجب فيما اذا كان بعض الروساء يتظاهرون بالتواضع ويقولون انهم غير اهل لمناصبهم وان ثقل هذه المناصب يفوق قواهم او انهم يفضلون حمل الصليب على شرف الرفعة ويقولون عند عزلهم عن الرئاسة علانية: الحمد لله لقد عتقنا من رق العبوديّة وصار لنا الان فرصة للتنفس والاستراحة. لانهم لا يفعلون ذلك عن تواضع وابتناع بل هو تظاهر منهم بما ليس فيهم لانهم يرون وجوباً للتردي بشعار القديسين فيظهرون الفرح ويبطنون الحزن لجراح لا تندمل بمرور ايام طويلة واما ذاك الفرح الناتج عن التصنع فيزول بسرعة وينقلب الى حزن شديد ولهجة التأمر لا تعم ان تتغير فينوب عنها البؤس والاعتماد فتصبح عيشة الرئيس المعزول غير مرضية ولا تُرى موافقة بينها وبين الطبع البشري فيعمل حينئذ الرئيس بخلاف ما كان يعلمه من وجوب التحمل والصبر وقد يتصل لا سمح الله الى ان يهدم بمثله هذا ما كان بناء بمثله السابق من مآثر الفضيلة في قلوب اخوانه

## العدد ٢

في انه على الرئيس ان يذكر اذا مست الحاجة آباء المجمع بما عليهم من شديد الالتزام ان ينتخبوا من هو اجدر من غيره

لا شك ان الواجب الاول والاهم الذي تطلبه الرهبانية ويحكم به الضمير على اصحاب الاصوات في المجمع العام انما هو الا يوجهوا ابصارهم الى من كان متطلباً الوظيفة او كان له الحزب الاكبر بين الرهبان او الى من كان له وسائل تربطه به

مثل علاقة صداقة او قرابة دموية او غير ذلك بل الى كل من كان اجدر واقدر على القيام بها من غيره والا فيخطئون بسلوكهم على خلاف ما يوافق خير الرهبانية وخير المنتخب الذي يعرضونه لخطر كان في غنى عنها

ان علماء اللاهوت واولهم القديس توما عندما يتكلمون في واجبات رعاية الكنيسة يحكمون بانه على الراعي لا ان يكون كهو، الوظيفة فقط بل اشد كفاءة لها من غيره . فان السيد المسيح قال لبطرس عندما اراد ان ينتخبه للرياسة : يا بطرس اتجنبي اكثر من هولاء اه فهو يعلمنا بذلك انه لا يريد ان يسلم رعاية قطيعه الا الى من كان يحبه محبة تفوق محبة الآخرين ومن البين طبعاً ان رفعة المقام توجب الافضلية فلا بد من ان يكون الراعي مثلاً اعقل من غم رعيته والقائد امهر من افراد عسكره والملك اقدر من التبة . قال القديس امبروسوس : كيف اثق ان الله وهبك نعمة بها تتولى امر قيادتي وسيرتك اقل كمالاً من سيرتي اه قال ساودورا فاكساردو : قد اعتادت الشعوب منذ القديم الا تولى عليها الا من فاق غيره بالفضيلة والعدالة لاعتقادهم ان الشعب يعتبر الملك الذي يكون على هذه الصفة اعتباراً شديداً وان الله يرضى عنه ويوفق مساعيه في سياسة رعيته واخبر المؤرخ كرينوف بان الملك سيروس ما كان يرى من يوجد اهلاً للحكم الا من كان افضل من الجميع اه

فعلياً اذن عندما اندب الى تعيين احد في وظيفة ان انتخب من كان الاجدر بين المرشحين لها ومن الثابت ان ما يوجب المحافظة على الودية امران نفاستها وخوف تلفها وفقدانها والحال انه لا شيء اثن وانعى الى الحرص من خلاص النفس فعلينا ولا محيص في المحافظة على هذه الودية ان لا نستودعها الا من كان اعظم امانة ولا لسواه لانه لو مرض ملك من الملوك او اودت العاصفة باحدى السفن الى الغرق او احتشدت العساكر لمبارزة العدو في ميدان الحرب أفلا يختار حينئذ الطبيب العلامة النطاقي ادواة الملك والربان الامهر لتخليص تلك السفينة والقائد الابرع لتدبير الجيوش في معامع القتال ؟ او ليس من المقرر ان راعي الانفس هو في مهمته ملك وربان وقائد ؟ فلماذا اذن نختار لهذه المهمة من كان غيره اجدر بها منه ؟ أفلا ترى اننا بذلك نعرضه لاشد المؤاخذة لا سيما اذا ماتت



تلك النفس او غرقت سفنها او اندحرت عساكرها ؟  
 فالحاصل مما تقدم ١ ان من ينتخب لرعاية الكنيسة من كان اقل جدارة من  
 غيره يخطي خطية مميتة (مجمع تريد ج ٢٤ ف ١) و ٢ ان من ينتخب من لم  
 يبلغ بعد السن القانونية او من هو ذو سيرة مشبوهة او هو خال من العلم والفطنة  
 الضروريين فيخطي خطية يوازي عظمها عظام الاضرار الناجمة عن عجز ذلك  
 المنتخب وعيه وهذا واضح من آيات كثيرة في الدين الكنسية واوامر الاحبار  
 الرومانيين

ومن البين انه ما قيل في الاسقف راعي الكنيسة يقال بالحصر او بالقياس  
 في رئيس الجماعات الرهبانية

غير ان افضلية الجدارة لا تكون على ما علم القديس توما في الافضل بذاته  
 بل في الافضل والانسب بالنظر الى الوظيفة فان حفظ القوانين مثلاً والمحبة  
 والبرارة والفضيلة مناقب عظيمة في الراهب المروءوس تساعد على خلاص نفسه  
 الكبرى لكن الفطنة والحزم والمقدرة والعلم والمكانة مناقب مشروطة في  
 الرئيس تساعد على فعل الخير العام

فعليه كان تفضيل هذه الخصال على الاولى معتبراً ولا يعد محاباة بل انما  
 هو ضرب من الحكمة والفطنة الواجبة في كل فرد من افراد المنتخبين

ويسوغ في بعض الظروف تفضيل الاقل جدارة بالنظر الى جهتي العلم  
 والمهارة على غيره وذلك ١ اذا كان الاجدر واعظاً او معلماً مأموراً بعمل انفع  
 للخير العام و ٢ اذا كان بذلك توقيف بعض المنتخبين عن انتخاب من ليس  
 باهل و ٣ اذا كان التناوت بالجدارة ضعيفاً لا يعتد به و ٤ اذا دعا الى ذلك  
 داع صوابي مثل خير الكنيسة العام او مصلحة الجماعة لانه في مثل هذه  
 الظروف ينبغي دائماً ان نزاعي اوفر الخيرين والاعم من المصلحتين

### العدد ٣

على الرئيس ان يحذر من الدسيسة والتخرب

ان القوانين في بعض الرهبانيات تحرم على الراهب كل عمل به يستميل

الاصوات لانتخابه او انتخاب شخص آخر مخصوص سواء كان ذلك بتوسط ثالث او بدونه هذا ولو كانت تلك القوانين تسوغ للرهبان اصحاب الاصوات ان يستفسر بعضهم من بعض عن صفات المرشحين للانتخاب والمسؤول ان يجيب السائل بما يعلمه عن امر المسؤول عنه من غير ترغيب في انتخاب شخص مخصوص او عن انتخابه

ثم اعلم انه يجوز على الاطلاق بقطع النظر عما في بعض القوانين من الاحكام المخصوصة ان يسأل كل من اصحاب الاصوات من شاء عن صفات المرشح للانتخاب ويسوغ للمسؤول ان يجيب بما يعلمه من مناقب المرشح او شوائبه والترغيب السائل او لتوقيفه عنه فيباح للمنتخبين مثل هذه المفاوضات والاستفسارات التي لا يستطيعون بدونها ان يعرفوا صفات المنتخب حتى معرفة لان الرقوف على ذلك ضروري قبل الاقدام على الانتخاب

قال القديس يوحنا الذهبي فه : اذا اراد احد ان يشتري له عبدا يدعو الطبيب لمعاينته ويسأل عنه الجيران ثم يمتحنه هو بنفسه ويطلب منه بعد ذلك كفيلا وكل ذلك قبل بت عقد البيع فكيف اذن يسوغ لمن كان له حق الانتخاب ان ينتخب حبرا للكنيسة اول من يخطر له على بال من دون نظرية ولا روية في صفاته ؟ او لا يعلم انه بذلك يسبب لنفسه مؤاخذة كبرى على كل الشرور التي تصدر عن هذا الراعي ؟ اه

وقال القديس غريغوريوس : يجب ان يجري الفحص عن صفات المنتخب قبل الانتخاب وان يكون بتدقيق وتنقيب ولا سيما في الانتخابات الى درجة سامية ولا يبقى من يسأل عن الرئيس بعد ذلك او يحكم عليه سوى الله وحده اه

على انه يجب على من يسأل عن صفات المرشح او من يقصد ان يبينها لمن يعنيه ان يعرفها ١ الا يكون رجل حزب يسعى الى بلوغ مأربه و٢ الا تكون مواعدة بينه وبين المبحوث عنه و٣ الا يدعو بعد السؤال والجواب عن صفات المرشحين اصحاب الاصوات الى الاتفاق مجاهرة على انتخاب شخص بعينه لانه اذا ساع البحث والتنقيب فلا يسوغ شي من التحزب على الاطلاق ولا من

المعاهدة في امر انتخاب شخص مخصوص (١) .  
وجاء في المنتخبات ( انا لكنا رأس ٤٥ ) ان رئيسة الراهبات العامة يجب  
ان تنتخب في المجمع العام والمجمع التريديكتيني يشير بذلك بنوع جلي اذ يحرم  
قبول اصوات الغائباب وعليه فلا يسمح بالاقتراع بالكتابة الا لداع غير عادي  
بشرط استشارة المجمع المقدس فلا يسوغ بأولى حجة تثبت الرئيسة العاسة في  
وظيفتها من دون التمام مجمع عام ومن المجهف بمحقوق ذوات الاصوات ان يقدم  
لهن لائحة مكتوب فيها اسماء من يجب انتخابهن لوظيفة الرياسة فتقديم مثل  
هذه اللائحة اذن محرم ولاسقف الابرشية التي يلتئم فيها المجمع العام ان يتأس  
المجمع بصفة نائب عن الكرسي الرسولي اه

وقد جاء في التأليف نفسه ( رأس ٥٤ ) انه في بعض الرهبانيات التي لا يعمل  
الرهبان فيها عملاً سوى التأمل وتدبير الحياة الباطنة يُنتخب الرئيس العام من آباء  
مجمع دير الذي هو الدير العام او المعتبر بمنزلة ام بالنظر الى سائر الاديرة وسبب  
ذلك هو ان سلطان الرئيس العام في هذه الرهبانيات محصور في امور قليلة اما  
الامر في سائر الرهبانيات التي يعمل الرهبان فيها اعمالاً عادية فيجري بعكس  
ذلك وهذا هو السبب الذي من اجله يأمر المجمع المقدس الا يحصل انتخاب  
الرئيس العام الا في المجمع العام ولما كان لا يجوز ان يكون سلطان الرئيس العام  
مطلقاً بدون تغيير حذراً من ان يميل به هوى النفس الى الجور والتشفي لزم ان  
تحال جميع الاعمال الهامة الى مجمع المديرين اه

وعلى السلف ان يقدم للخلف بعد انتخابه الطاعة والاحترام البنويين ثم يعود

---

(١) ان هذا واضح في الشرع القانوني وفي الرسوم الرهبانية لان كليهما  
يمنع ويحرم الاطلاع على صوت وان واحداً من اصوات القرعة السرية واذا لم  
يراع ذلك بطلت القرعة وقد جاء في قوانين رهبانيتنا اللبنانية ما نصه : معدوم  
الصوتين من رشي بتوسل او بال او بتهديد او اقنع باي نوع كان الرهبان  
اصحاب الاصوات كي ينتخبوه او ينتخبوا آخر معينا باسمه اه (ق ٤ ب ٦ عدد)

( المترجم )



الى نفسه ويتصفح التوانين وهو ممثل امام الحضرة الالهية يبحث عما بدا منه من الامور التي من شأنها ان تبعث الى التراخي في حفظ النظام وعن بذله المساعدة لكل فرد من افراد الرهبانية في سعيه الى بلوغ الكمال المتوجب عليه او عن تقاعده عن ذلك وليسأل نفسه عما اذا كان في مدة رياسته اكثر منه قبلها تقشفاً واتضاعاً واتحاداً بالله ومحبة نحو الاخوة وتعلقاً بالفضيلة وتمسكاً بالطاعة

## العدد ٤

نصائح القديسة شانتال المتعلقة بحسن الصلة بين المنتخبات للرياسة

حديثاً والمغزولات عنها (١)

تفرض التوانين على الرئيسة المعينة ان تحترم سابقاتها في الرياسة اية كن احتراماً باطنياً قلبياً وظاهراً علنياً امام جميع الاخوات وان تطالب رأيهن ومشورتهن وتعتمد عليهن بقدر الامكان في كل ما يعرض لها . ويجب عليها ايضاً ان تحترم القديسات الاوليات اللواتي اتسسن الاخوية وحملن ثقلها على عاتقهن وبذلن اهم العناية في سبيل قيامها ونجاحها فلا يليق بها ان تعاملهن بشيء من القسوة والاذلال ولا سيما في حضور سائر الراهبات كما تعامل غيرهن في بعض الظروف لترويض اطباعهن وتعويدهن احترام الساطة هذا اذا لم يفعلن ما يوجب لومهن ومما يترتب عليها ايضاً ان تبذل قصارى الجهد في المحافظة على خطة السياسة التي سلكتها سابقاتها وان تتحاشى البحث عن خطاها وصوابها فيها ولو حصل لذلك مناسبة في بعض الظروف بل عليها ان تتحدث في كل فرصة عن حكمتها وتقواها لان في تفضيلها نفسها على غيرها دليلاً على ادعائها ويعد ذلك تهوراً منها . وجبها لمدح نفسها وتصرفها تصرفاً يلزم عنه تعريف الناس انها افضل من سابقتها دليل على البغضاء وعليه فمن كانت نفسها متضعة وضيرها سلباً تفرغ كمنانة الجهد في تلافي ما ينتص محبتها للرئيسة السالفة وتعتي لاجل هذه الغاية كل الاعتناء باخفاء نقائصها ولا تصلحها الا في السر بكل فطنة حتى لا يشعر احد بذلك

---

(١) ان كل ما يقال في هذا الفصل للراهبات يقال للرهبان لان الشواعر

البشرية هي هي في الرجال كما في النساء.

وينبغي لنا أخيراً أن نتذكر أيضاً القاعدة في قوانيننا وهي : ألا نعامل أحداً بما لا نريد أن يعاملنا هو به اه . وعليها أيضاً ألا تظهر شيئاً من الحسد والنفور إذا ما شاهدت الأخوات يحترمن سالفتها ويكرمنها . وإذا ما طلبن مقابلتها سرّاً فعليها أن تؤذن لهنّ بذلك بكل طيبة نفسٍ لئلا ترتب الرئيسة السالفة ويرتبنّ هنّ في نقصان الثقة بهنّ بل عليها إذا ما شاهدت بعض الراهبات يُقلان من إكرام سالفتها أن تردعهنّ عن ذلك بالتوبيخ والتهديد ويظهر لي أنه لا شيء يغيظ الله مثل نكران الجميل ونسيان الخيرات والبركات التي حزنها بدعاء رواسنا السالفين واتعابهم

أما الرئيسة السابقة فيجب عليها أن تكون قدوةً صالحة في الفضائل لتظهر أنها تعلمت حتى عملت بما كانت تعلمه وتأمر غيرها به من الطاعة والخضوع للروثاء ولتعلم أن القانون لا يخفّض من مقامها إلا لكي يريها علو درجة التواضع الخطير إذا عرفت كيف تتواضع عن رضى وطيبة خاطر بدون تكلف ولا متاومة حتى تكون قادرة على أن تعامل جميع الأخوات بالحرية التامة وتعامل كذلك الام الرئيسة بشرط أن تضيف الى ذلك الاحترام الواجب وتكون حقيقة بهذه قدوة لهنّ في الفضائل وافضل عمل تعلمه هو أن تفرغ عقلها وقلبها من حب التدخل تاركة الامور لمن تتولاها راغبة عن معرفة تدابير الرياسة وسياستها إلا بقدر ما تريد الرئيسة المعيّنة أن تبينه لها وتفاوضها به وليس لها أن تتعقب رئيستها بوجه من الوجوه ولا تندّد بها في اجراءاتها كيفما كانت حالها لكن اذا رأت الرئيسة في افتقار الى نصيحة او تنبيه فلتبدي لها ذلك بحجة ووداعة ولتحذر من أن تستميل اليها الأخوات الحديثات بل فلتشير اليهنّ أن يذهبنّ الى امهنّ الرئيسة إلا اذا ما أمرتهنّ الرئيسة نفسها بان يذهبنّ اليها لاجل خيرهنّ الروحي ولتحذر حذراً شديداً أن تضيع الزمان الذي اعطاها اياه الله لخير نفسها وكما لها الخاص وعليه فاذا سارت سيرة توافق سيرة الرئيسة المعيّنة قائمة بما توجه عليها الالفة والمحبة من الاكرام والاحترام كما يليق ببنات مريم البتول وابينا الطوباوي افاض الله البركات عليها وعلى الجماعة كلها وانتفعت الأخوات من مثلها هذا المقدس وغين في الفضيلة غمواً سريعاً اه (تحاريرها السرية)

وتحضر هذه القديسة في بعض اجوبتها المتعلقة بالرسوم الرهبانية جميع الاخوات على اكرام الرئيسة المعزولة فتقول : ان الاخوات مجبرات على اكرامها واجلالها واظهار الامتنان لها من اجل ما قاسته من الاتعاب في خدمتهن وليحتذرن من التثديد بها في سياستها الماضية بوجه العموم والخصوص كما انه لا ينبغي ولا يليق ان يقابلن بين سياستها وسياسة الرئيسة المعينة مظهرات بذلك بعض التشكي او الدمدمة بالنظر الى السياسة الحاصلة لانه من اخص واجبات الراهبات ان يقدمن من الاكرام والطاعة والمحبة القلبية للرئيسة التي قيضتها العناية الالهية لهن في تلك الحال وان يثقن بها كل الثقة

وانني ارغب كل الرغبة في ان تسكن الرئيسة السابقة في الدير الذي ترأست فيه لكي تعلم بمثلها ما كانت تعلمه بارشاداتها من حب الخضوع والطاعة الكاملة ولا غرو ان في ذلك فائدة كبرى لسائر الراهبات وللدير نفسه وقد اختبرت ذلك بالفعل في اشخاص كثيرين لانه ليس من يعرف تمام المعرفة ما هو الخضوع الحقيقي الا الذي مارسه فعلاً بعدما كان رئيساً يطلب لنفسه ما وجب له على غيره من الطاعة والخضوع واني لا اعتبر اولئك الرئيسات اللواتي يسرن هذه السيرة كما ينبغي حتى اني اعتقد انهن بذلك يبرهن فعلاً عن فضائلهن الزاهنة وان هذا الامر جزيل النفع اذ به نحافظ على ما فينا من التواضع والاخلاص الرهبانيين اما لو دعانا صوت الطاعة الى الانتقال من الدير الذي نقيم فيه الى دير آخر فقلبه وهذا هو الافضل اه .

ولها ايضاً جواب الى رئيسة معزولة كانت قد شكت اليها من رئيستها المعينة شكاية مرة قالت فيه : قد بان لي من كتابك ان بينك وبين الام الرئيسة نفوراً وجفاء وانك لا تبدين لها الاحترام والخضوع الواجبين لله بشخصها وترعين انك تفعلين ذلك عن غيرة ونشاط . غير ان هذا ايتها الابنة العزيزة نشاط كاذب لان النشاط الحقيقي لا يدفعنا الى عمل الا بروح التواضع واللين وعملك هذا صادر عن روح العظمة والسيادة الذي يتأثر من اصغر الاشياء ويأبى تحمله والصبر عليه وان ما تشكين من رئيستك لا اراه ناجماً عن خبث فيها بل عن شيء من الضعف البشري يوجب عليك عذرها واحتمالها وتعزيتها لان الانسان



لا يحصل على تمام المقدرة والكمال فعليه اني استحلفك بالله ان توافقيها كما كان يقتضي ان توافقك حين كنت في مقام الرياسة اذ علينا اذا ما كنا رؤساء ان نسلك بروح المسيح اي بروح التواضع والدعة واذا زالت عنا الرياسة فاصبحنا مروضات لزم ان نسلك بموجب اشارات رؤسائنا كما كنا نزيد ونحن رؤساء ان نسلك الاخوات بموجب ما نشير به لانه بدون ذلك تتعذر المعادلة باختلال الموازنة اه .

ولعمري ليس لنا ان نضيف الى هذه النصائح الشريفة سوى ما اعتادت القديسة نفسها ان تكرر في اجوبتها على نظامات الرهبانية وهو قولها : يا اخواني لا يلزمنا بعد هذا سوى الاجراء والعمل . اه .

---

## [ الكتاب الثاني ]

﴿ في قداسة الرئيس ﴾

### الفصل الاول

في روح الصلاة الواجب للرئيس

#### العدد ١

في ان روح الصلاة هو واجب وضروري للرئيس  
ليضبط نفسه من شتات الافكار وزيغها من

قساوة القلب

ان اعمال الرياسة لمقدسة غير انها مقرونة بالسجس والعراقل ولذلك شبهها القديس غريغوريوس بهياج الامواج وهو يعترف بان النفس اذا ما اتزعجت

وتضعفت في هذه الزوابع لا تلبث ان تذهل عما تفعله وتغض النظر عن الخسائر الروحية التي تلم بها وعن الشوائب التي ترتكبها فقد تقف وهي تدفع غيرها الى الامام وتضل عن الطريق وهي تهدي اليها المعتسفين عنها . وقال القديس اغوستينوس : يجب ان نخاف من ان يُثقل حمل الاعمال الخارجية علينا فيبهظنا ان لم نرفع النفس ونوجهها الى التأمل في الحقيقة تأملاً ساموياً ونعوّدها ذلك اه (مدينة الله ك ١٩ ف ١٩)

وكتبت القديسة تريزيا الى اسقف اوسا قالت : ان الرب اعلمني انه ينقصك في الحياة الروحية شي . جوهرى وهو الصلاة والثبات فيها فاعلم ان الجفاف الذي تكابده النفس يتولد من هذا النقصان لانه اذا خلا الاساس سقط البنيان اه وكتب القديس برزدوس الى البابا اوجانيوس في هذا الصدد قال : وجه اهتمامك اولاً الى نفسك لئلا تشغل عنها غيرها انشغالاً لا فائدة فيه . فماينفعك لوربحت العالم كله وخسرت نفسك ؟ ومهما كنت حكيماً عظيماً وانت لا تتقن تدبير نفسك فحكمتك ناقصة هي بل عندي انك لست منها على شي . ونقصها على ما اظن جوهرى جداً فلئن امتددت بعرفتك الى اقاصي الارض وطبقت اعلى السماوات وسبرت غور البحار وادركت اسمى الاسرار الغامضة وانت تجهل نفسك فلا تكون الا رجلاً يبني بناية بلا اساس بل يجمع حجارة بعضها فوق بعض كأنه يبني خراباً وكل ما تبني او تجمع خارجاً عن نفسك فانما يكون كركام من غبار او العوبة للارياح . ومن لم يكن حكيماً في امر نفسه فليس بحكيم حقيقي فالحكيم اذن من كان لنفسه حكيماً ومن ورد مورد الحكمة قبل غيره . فما هو الامر الاول الذي تعبره ؟ أليس هو امر نفسك ؟ وما هو الامر الاخير الذي تعبره ؟ او ليس هو امر نفسك ايضاً ؟ أفلا ترى كيف ان الله تعالى يجمع بين اخراج كلمته منه وحفظها فيه وانما كلمتك انت هي التبصر فلا حرج اذا استعملته في امور غيرك بشرط الا تغفل عن امر نفسك او تعديت به منك الى اخر او صرفته هنا وهناك بشرط الا ينقطع عنك وازل عنك كل فكر او هاجس يخالف امر الخلاص بل كل تصور خارج عنه . واجتهد في امر خلاصك وحده اه وهكذا كان هذا القديس يكرر كلامه على الخبر الاعظام هذا نفسه الذي

كان تلميذاً له قائلًا : أيلتجي . العالم بأسره اليك وانت لا تلتجي . الى نفسك ؟  
اتبذل نفسك دون الجميع وتأبى ان تبذلها دون خلاصك ؟ أيلتقي الناس من  
موردك الصافي الفائض وانت تهلك ظمأً اهـ

وزاد على ما تقدم معنى آخر صحيحاً موثقاً جداً في من يكون اختبار مفهومه  
بالفعل فقال : يزعجك في بادىء الامر شتات الافكار الذي يعرض لك وثقل  
اعمال مهتك ولكن لا يمر على ذلك قليل من الزمن حتى تهوّن العادة وتجعل  
نيره ليناً خفيفاً جداً فيظهر بعده مشتهى ومرغوباً فيه فينتهي بك رويداً رويداً  
الى ان تستولي عليك قساوة القلب ثم بعد ذلك يتمكن فيك التكره من  
الاشياء المقدسة والنفور منها فمن الصواب اذن ان تخلّي يوماً بعد يوم بينك وبين  
هذه الاشغال قبل ان تسوقك الى حالة لا تحبها وكاني بك تقول لي الى اين  
تسوقني ؟ فاعلم انها تسوقك الى صلابة القلب . وان سألتني قائلًا ما هي صلابة  
القلب ولم يداخلك الرعب من مجرد ذكر اسمها ؟ قلت انك واقع فيها . اهـ  
( من كتاب اعتباراته ك ١ ف ٥ وك ٢ ف ٣ )

هذا وان جيلبر احد تلامذة القديس برناردوس قد اشبع ما ذكره معلّمه في  
هذا المعنى فقال : ان الكراهة من عبادة الله تقترن دائماً باضطراب النفس والحزن  
في القلب والعجب في الكلام والتهيه في الجلوس والهيئة وكلوح الوجه وتقطيبه  
ومخالفة الحشمة والادب في جميع الحركات والتوقف عن عمل المعروف وجفاف  
القلب من ماء الحياء والمحبة وكلل الحس العام ونقده في الحكم على الغير  
وبالنتيجة انك ترى الفضيلة منفية والتقوى خامدة وابواب العقل مقفلة في وجه  
الصّلاح من الرهبان بل في وجه الحنن الالهي ونعمه لان الانانية والترهات قد  
غلبت فلم تبقى بعدها شيئاً اهـ ( من عظته ٢٩ في سفر النشيد )

فعلى الرئيس اذن ان يتأهب للصلاة السحرية ويتحصن ليقى نفسه من وثبات  
الشتات الملازمة لاعمال مهمته وليعدّ له خلوة في داخله يمكنه ان يجتلي فيها عند  
تراكم اشغاله وعليه ايضاً ان يستعيز في المساء بمخاطبته الله بمخاطبة حارة عما  
يكون خسره في نهاره والأى يكون كعبد الكرم التي ترفع الجنة عن الارض  
وتقيها الاضرار فتخضر الجنة وتثمر ثماراً فاخرة وهي لا تبرح تحتها جافة



## يابسة لا خضرة فيها ولا نضرة

العد ٢

ان روح الصلاة هو ضروري للرئيس لكي يعمل اعماله وهو خاضع لله وسالك بموجب روح الله فان حكم الرئيس بالنظر الى مروضيه يشبه من وجه حكم الله تعالى بالنظر الى خلقه لان الرئيس وكيل الله موثمن على سلطانه في الارض فيتحتم عليه ان يتكلم ويعمل كما لو كان الله تعالى هو المتكلم والعامل وان يسوس كذلك رهبانه كما يسوس الله خلائقه

فالله موجود في كل مكان وهو يرى ويفحص كل شيء من دون ان يراه احد ويسمع الجميع صوته من دون ان يفوه بكلمة ويهتم بكل شيء ولا يهمل واحدة من خلائقه شعار سلطنته الفطنة والحكمة والقوة والثبات وغايته في كل اعماله شريفة لا ثقة به والوسائط التي يستعملها هي مقدسة وموصلة الى التداسة وهو تعالى يجازي ويكافي بالعدل والانصاف بدون محاباة ومراعاة ويوافق بين معاملاته وطباع عباده ويمهلهم في اعمالهم ريثما تحين الاوقات الموافقة وهكذا هو يشدد الضعفاء ويعززي المحزونين ويزيد الصالح صلاحاً ويهدي الاشرار بسوابق نعمة ويعاقب اذا دعت الضرورة عقاب اب باقل من الوجوب وبقصد التكفير عن الذنوب والخلاصة انه تقدرت اسماؤه في سلام ليس للتغيير اليه سبيل مها تراكت طلبات البشر ومهما كثرت الاصوات الصارخة اليه ومهما تضاعفت الحوادث التي يدبرها وانه سواء سمع ام اجاب اكرم ام اهين عاقب ام اثاب هو منزّه عن الكلل ومعصوم عن الزلل

هو الدستور الذي ينبغي للرئيس ان يدرسه ويتأمل في احكامه بدون انقطاع لكي يمكنه من ان يسلك في تدابير على خطة الكمالات الالهية فانه يمثل من الله تعالى جلاله بالرزانة والحشمة وقدرته بالنشاط والاقدام وحكمته بالفطنة وجودته بالرفق وسعته باليقظة وعنايته بالاهتمام المتواصل وجوده بالاحسان ومحبه بالركة الابوية وعدله بالانصاف ورحمته بالشفقة واعتداله بالسكينة وثباته بالغرابة وازليته بالمواظبة المتواصلة على القيام باعباء فروضه ( مرشد الرؤساء عده )

فكل رئيس امعن النظر في تدابير العناية الالهية رأى انه ليس هو نائب المسيح فقط بل انه هو ايضاً آله في يده تعالى يتصرف فيها كيفما شاء واراد وكلما اكثرت الروية في تدبير ما يقصد ان يقوله او يعمل مجده نفسه مخذولاً اذ تأتيه الحوادث بما لم يكن خطر له ببال ولذلك يعرض له كثيراً ان يتكلم او يعمل اقل مما يكون افكر به او استعد له او اكثر منه وهذه النقطة التي يجهلها الانسان في تدبيره هي عينها يتخذها الله لعمل بها ما يريد فاذا كان الله تعالى يسوس الافراد على هذه الصورة فانه باولى حجة يسوس كذلك الجماعات ويدبر امورها تدبيراً فلا غرو انه يدفع الى الحركة العضو الالهى الذي به تتحرك جميع اعضاء الجسم على حد ما قال الحكيم : قلب الانسان يفكر في طريقه والرب يهدي خطواته اه ( امثال ١٦ )

وعليه كلما كان عمل الرئيس خطيراً سامياً الهياً اختصه الله بنفسه والتم ذلك الرئيس ان يسلم نفسه للحكمة الالهية تسلياً وهو وان كان مخيراً بالنظر الى مرسومه فليس هو كذلك بالنظر الى تدبير امر نفسه لانه محكوم عليه في ذلك اكثر مما هو حاكم على غيره في ما يتعلق بهم قال الحكيم : ليس من حكمة ولا فطنة ولا مشورة ضد الرب ( امثال ٢١ )

ذكر العلامة فينيون وهو يكتب لاحدى الرئيسات شيئاً من نحن في صده قال : فليكن ذهنك متحداً دائماً بالله ودعيه تعالى يدبرك في كل شيء وتكن مناجاتك اياه قلبية بغير انقطاع واكشفي له بكل ثقة كل ما تعلمين واطلبي منه كل ما لا تعلمين او لا تقدرين عليه وانت في افتقار الى علمه وعمله فلا تنجين بدون هذا الاتحاد به تعالى من خطر اتباع آرائك وتصوراتك الذاتية وترك مشورات الله ومشيثاته وتلقين بذلك اتكالك على اعمالك الواهية فتخلو منها بركة الله لكنك تقدرين بالاتحاد به تعالى ان تعرفي ما هي ارادته في الانفس وما هي احتياجات الانفس اليه وما هي الوسائل المؤدية الى تلك المساعدة المطلوبة منه فيرفع بذلك الله روحك عنك ويحل روحه فيك لانه من الضروري ان يكون هو العامل في كل شيء واذا ما كان الله تعالى هو العامل فيك شملك عمله هذا من جميع الاطراف باللفظ والقوة وقدرك على ان تعلمي بالنشاط في العبادة

ما لا يمكنك منه فلاسفة الارض اجمعون اه

وقال موديست دي سانت امابل : ثلاثة تجعلنا ان ننجح في مقاصدنا :  
 ١ التواضع والحذر و ٢ استقامة النية و ٣ والاحتراز والقفظة والحال ان في  
 الصلاة اعترافاً صادقاً بتقصيرنا وشهادة ساطعة باستقامة نيأتنا ودلالة كافية على  
 التحفظ في جميع اعمالنا اه (الرأس الكامل ك ٢ ف ٢) فالنتيجة ان الله لا يمنع  
 عونهُ ولا يحبس بركته عن اعمال من واصل الصلاة جهده حتى يكون خاضعاً له  
 تعالى وسالكاً بموجب روحه الالهي

### العد ٣

ان روح الصلاة ضروري في الرئيس ليتخلص  
 من الصعوبات ويقوى على

### مساعدة مروضيه

لقد قرر الاباء الروحانيون ان الصلاة ام الفطنة وآية السلطة فمن التزم في كل  
 هنية من الزمان ان يقضي ويحكم كان عليه ان يلتجئ الى الله الذي باسمه  
 يقضي ويحكم التجاء متصلاً . قال القديس غريغوريوس : ان موسى كلم الله  
 كان يدخل الى الحباء ويخرج منه تكراراً وكان يذهب عند وقوع المشكلات  
 في المسائل الى قبة العهد مخزن الوصايا لكي يستشير الرب فتعلم الرعاة بهذا المثل  
 ان يعرفوا ويترووا اذا ما تصعبت عليهم الاعمال في الخارج وان يستشيروا الرب امام  
 قبة العهد مقر الوصايا ويتذكروا اذ ذاك كلام الكتاب الذي يناسب  
 مشكلاتهم ( الراعي ق ٢ ف ٤ ) . فلو أتى رجل مجهول الى البلاط الملكي  
 فوجد الابواب مفتوحة امامه فدخل من دون استئذان على الملك وقدم له عريضة  
 أما يطرده الملك من حضرته ويود طلبه ؟ فهذا ما يحصل للرئيس على ما قال  
 القديس بطرس داميانوس وهو ان الرئيس الذي لا يكون له لقلة صلاته دالة  
 على الله تعالى ولا يلتجئ اليه الا في حين الضيقات والحاجة القصوى لا يلاقي اذا  
 قصده تعالى وطلب غوثه الا الجفاء والحذل ولا يجد الى اجابة طلبه سبيلاً اه  
 وقال القديس غريغوريوس ان الامر ينقلب شراً مما كان لو اهان الطالب او



صاحب الوساطة الملك في بعض اعماله السيئة فانه حينئذ اذا ما امثل بين يديه يهيج مجرد حضوره غضبه وسخطه فلا يحمله على اجابة ملتسمه بل على الانتقام منه ( الراعي ق ١ ف ٢ )

وكتب العلامة فينيلون الى الرئيسة المقدم ذكرها قال : لا بأس ان تطالعي الكتب العلمية لكن فضلي الصلاة عليها فانك تجدين فيها المشورة والشجاعة والصبر والدعة والثبات ومداواة العقول وبها وحدها تتعلمين ان تسوسي مروءاتك بسكينة وسلام. لكن اذا بتت امرأ او عملت شيئاً من دون التجأ الى الصلاة تقلق افكارك وتصبح كأنها تقاومك وتبدي لك ما يلةيك في الريب والغوايات بخلاف ما لو عرفت كيف تلتجئين الى الصلاة فان مطهرك حينئذ يستحيل الى فردوس في هذه الدنيا وتعلمين من الخير في يوم واحد اكثر مما تعلمين في شهر منه وانت مزعوجة البال مضطربة الافكار اه

ونحن نضيف الى ذلك انه ينبغي لك ايها الرئيس ان تسكن ابدًا ما هاج فيك من البلبال بموافقتك روح الرب وانك اذا ما كنت في حاجة الى المشورة او تعاظمت عليك الاشغال في زمان الراحة او القلق تحتاج ان تبادر الى التسليم لله تعالى فهذا هو الافضل فان نظرة واحدة من معلمك الالهي تجديك وانت واثق به نفعاً اكثر مما يحصل لك من نهاية اجتهادك في التفتيش عن محارج تتخلص منها . ولا غرو ان الانسان باتكاله على الله ينجي نفسه من متاعب كثيرة فلا تضغطن على نفسك بشيء مما كان لان اهم شيء عليك انما هو ان تكون بسلام وتسلك امام الله بضمير مستقيم

قال الرسول : اننا نزرع ونسقي اما الذي ينمي فهو الله وحده ( اكور ٣ ) وقال المرتل : ان لم يبن الرب البيت فباطلاً تتعب البناؤون وان لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس ( مزمور ١٢٦ ) والحال كيف يمكن ان ينمي الله الزرع او يبني البيت او يحرس المدينة اذا كان الرئيس الملتزم بموجب وظيفته سقاية الزرع وبناء البيت وحراسة المدينة تحت مطلق سلطان الله ولمجد الله لا يبالي به تعالى ولا يكثر ثلثه ولا يريد ان يسكن حرارة العمل بالصلاة وحرارة الصلاة بالعمل لكي يكون كل منهما مفيداً للآخر من دون ان يلحق احدهما بالآخر

ادنى ضرر البتة ؟

قال القديس يوحنا كليماكو : ان صلاة الرئيس هي كخوذة تحمي رأس الراهب اه .

وجاء في قوانين القديس اغناطيوس : ان الرئيس يجب ان يكون رجل صلاة وان يحمل الديرو على اجنحة اشواقه المقدسة اه . ( ق ٤ ف ١٠ )  
وأوصى القديس برزدوس بودوان رئيس دير رياتي قال : غدير رهبانك بكلام الرب وبالمثل الصالح . غديرهم باثمار صلاتك اه . ( رسالة ٢٠١ ) واخبر القديس هيلاريون رئيس اساقفة أرل قال : ان الصلاة كانت لمعلمه القديس هونوراتوس ملجاء وكثراً فانه كان يستعين بها عند حدوث كل صعوبة في سياسة رهبانيه من قلة طاقتهم له ثم زاد على ذلك قائلاً : ان في صلاة الرجل القديس نوراً به يهتدي الضالون وقوة بها تخضع العصاة وتلين قلوب المتصلبين اه .

وقال القديس ليكوري : ان الرعاة يفتقرون الى ضعفين من القوت الروحي كما تحتاج الموضع الى ضعفين من القوت المادي لتقيت نفسها وتقيت ولدها معاً فكلمة واحدة خارجة من قلب مضطرب بالمحبة الالهية تفيد اكثر من الف موعظة صادرة عن قلب بارد جامد والحال ان لهيب المحبة لا يشعله في فؤادنا الا الصلاة وكذلك يتعلم الانسان في الصلاة في وقت قصير اكثر مما يتعلمه من مطالعة الكتب عشر سنين اه .

ومن طالع الكتاب الرعائي تأليف القديس غريغوريوس علم ان هذا القديس كان يرغب في ان يسلك كل راعٍ سلوكاً حسناً حتى يتاح له ان يسقي قلوب اخوته العطشى من زلال العالم والصلاح وان يكون في صلاته الى الله ذا دالة يستمبح بها كل ما يطلبه . ففي مثل هذا الرئيس قال النبي : انك لا تكاد تنهي كلامك لي حتى اجيبك هأنذا اه . ( ق ١ ف ١٠ )

وقال هذا القديس عينه : على الراعي ان يدنو من كل واحد من رعيته بلطف وشفقة وان يفاضل الجميع بروح الصلاة والتأمل حتى يرفع التأمل نفسه عن الارضيات ويذيقها لذة السماويات بينما تحمله الشفقة والرأفة على الاشتغال بمساعدة التريب على تحمل مصائبه لانه لا يدع جب الكمال يلهمه عن مساءلة

القريب ولا مساعدة القريب تبعده عن طلب الكمال بل يساوي بين الامرين مساواةً بها يساعد الواحد الآخر ( نفس التأليف ق ٢ ف ٤ )

والنتيجة ان الرئيس عليه الله يخاطب نفسه قائلاً : يجب عليّ كسائر الرهبان ان اتفرغ للصلاة لاني مثلهم مندوب للكمال وعليّ ان اكبح الشهوات الرديئة واقوم بفروضي الرهبانية مثلهم ولي فوق ذلك اسباب مخصوصة لي تدعوني الى الكمال وهي :

- اني مضطر لقداسة اسمي من قداسة سائر الرهبان لان الشيطان يهيمه ان يحاربني اكثر مما يهيمه ان يجاربههم وان فروضي اهم وادق من فروضهم  
- واني افتقر الى ان اخص بالصلاة وقتاً زائداً بقدر زيادة اعماله وثقلها لاني لا اقدر ان اغرف ما يطلب الله مني بدون الصلاة او ما هو الافضل لي او كيف انجو من الفخاخ التي ينصبها لي العدو او كيف اجمع في اخلاقي بين اللين والعزم وبين الاخلاص والاحتراز وبين التساهل والضبط . ثم اين اجد خارجاً عن الصلاة التغرية والسكينة والصبر والشجاعة ؟ او من اي ينبوع غير ينبوع الصلاة استقي لنفسي ؟ واني استمطر على الجماعة المسلمة لعنايتي النعم والانوار والبركات السماوية ؟

هذا واذا اراد الرئيس ان يثبت فيه روح الصلاة فيلزم ثلاثة امور ١ حفظ نظام مخصوص و ٢ فحص الضمير و ٣ امانة الذات

فسلوكه بموجب نظام مخصوص به يجب ان يكون موافقاً للقوانين موافقة تشف عن حكمة حتى لا يضطر معه ان يغير منها شيئاً جوهرياً بل فليضع كل شيء في محله كالفروض العمومية والخصوصية وما يختص بالله وبالجماعة وبنفسه ويعين على هذا المنوال وقتاً للصلاة ووقتاً للعمل ثم يعين ما يلزم عمله في كل يوم وفي كل اسبوع وفي كل شهر وليحذر بعد ان يرى ان ترتيبه هذا موافق روح القانون والفطنة ان يعدل عنه لغير داع ضروري او باعث تقضيه المحبة

وفحص الضمير بتدقيق يجعل الرئيس ان يعتبر نفسه كانه متولي الرياسة ابتداءً من ذلك الوقت الذي فيه يفحص ضميره فلا تملك فيه عاداتها ويطالب نفسه باعماله اليومية بل باستعداده للتدبير وبرغبته فيه ويرى عند هذا الفحص ما



نقص احترام مروثوسيه له من الحشمة فيه ومن قيمته الحقيقة عنده وما حصل من  
تبديله روح القانون العام بروحه الخاص تبديلاً حصل دفعةً بعد أخرى وهو غير  
مكثرت له . ولا ريب في ان الرئيس بمواظبته على فحص الضمير يضحى في كل يوم  
افضل واجدر بالرياسة منه في امسه ولا يؤثر فيه مجدها وان كان قائماً بها  
واما الامامة فقال فيها مودست دي سانت امابل : انها هي والصلاة توافقا  
الاتنفك احدهما عن الاخرى اي انه لا تدخل احدهما قلب الانسان او تخرج  
منه الا برفقة قرينتها وهذا على حد ما بينه (تريتم) اذ قال ان مريم لا تقدر ان  
تعيش بدون اختها مرتا ولا هذه بدون تلك فيلزم عن ذلك قبولها او طردها معاً  
لانه لو كانت الواحدة مريضة لا تكون الاخرى متعافية ولما كان روح الصلاة في  
الرئيس اوجب منه في المروثوس كانت امامة الذات في الاول اوجب منها في الثاني  
اهـ ٠ الرأس الكامل ك ٢ ف ٤ )

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

في ان فضيلة التواضع ضرورية في الرئيس

### المد ١

في ان الرئيس المتواضع لا يرى نفسه اهلاً للوظيفة

ولا ينسب الى نفسه شيئاً من الخير

الذي يحصل في مدة رياسته

هو يعلم ان الساطان المتعلق بوظيفته لا يختص به ولا هو صادر عنه وان  
نسبته اليه عرض لا خاصته لان مصدر السلطة الحقيقي هو الله تعالى وحده رب  
السموات والارض ويرى بهذا انه هو نفسه قائم بالله وان جميع اعماله تناط به وان  
متزلته عند الله واحدة بالنظر الى ذاته وحقيقة طبعه وان كان له على جماعته سلطان  
لا يليق الا به ما دام رئيساً

وهو لا يعتبر نفسه رئيس جماعته إلا بطريق الوكالة ويعلم ان سلطته عارية في يده وان يعمل بسلطان الله الى اليوم الذي يدعوه فيه اليه فكانه في ذلك سفير دعاه ملكه الى ان يقوم مقامه في مجلس من مجالسه . أفيليق به حيثنذر ان يعتبر نفسه ملكاً بمجرد قيامه مقام سيده جلسة واحدة؟ فالرئيس اذن يجب ان يعرف نفسه من وجهين من وجه ما هو عليه حقيقة ومن وجه صفته رئيساً وان هذه الصفة مضافة اليه اضافة خارجية فيحافظ من جهة على مقام الرئاسة والاعتبار الواجب لها من المروثوسين ومن الاخرى على الاحتشام والاداب المطلوبة من المروثوس امام رئيس الروساء اعني به الله جلت احكامه عالماً بانه يفني فروض الطاعة له تعالى باصداره الاوامر في مروثوسيه بل هو لا يأمر الاحبأ باتمام امر السلطان متيقناً انه هو ومروثوسوه من طينة واحدة وان فيه ما فيهم من الضعف البشري وان الرئاسة لا تريد ما يفاضل به غيره وانها ليست مقرونة بالفضيلة والحكمة اقتراناً لازماً غير منفصل وليست علاجاً لكل ذنب وهفوة بل تريد الرئيس من ذلك وتسبب سقوطه علانية وهي ترفعه فوق مروثوسيه بالمكانة والشرف غير انها تغادره اقل منهم فضلاً وفضيلةً فاذا استدل الرئيس من تعيينه لمقام الرئاسة انه اهل لها وظن انه يفوق بالفضيلة جميع الذين يفوقهم بالسلطان وهو يتيس جدارته بمزلاته وقداسته برفعه غافلاً عن ان الرتبة تتطلب الجدارة ولا تكتسب الجدارة بها وان الرفة تتطلب القداسة ولا تحصل القداسة بها فليعلم انه في غرور عظيم وضلال مبين

ومن الضروري ان يتصور انه لم يصل الى شرف المنصب عن استيهال بل انه رُفع اليه عقاباً عن خطاياه وذلك لوقاية نفسه من عجه ولاخمد ناره في قلبه وعليه ايضاً ان يقابل بين سعة واجباته وسعة ضعفه وتقصيره بالقيام بها ويوقن ان الرئاسة والقداسة هما اختان لا ينبغي ان تفارق احدهما الاخرى وانهما اجتمعتا فيه كما تجتمعان عادة في الروساء الافاضل فيحسن به والحالة هذه ان يتوق الى اليوم الذي فيه ينحط عن مقام الرئاسة لكي يعود الى راحة الضمير التي كان متمتعاً بها قبل حمله اعباء الرئاسة

قال التديس برونزوس : ان كثيراً من الروساء عندما يمتطون متن المناصب

يندبون سوء حظهم ويعترفون بتقصيرهم وعجزهم بدلاً من ان يتوكل في قلوبهم روح العجب غير انه لا تمضي مدة من الزمان حتى تراهم يعجبون بانفسهم ويعتقدون انهم من الخائقين بالمناصب اعتقاداً يتجرون معه على التطاول الى مقامات اعلى من مقاماتهم ورياسات اهم واثقل من رياستهم ( من كتاب فروض الاساقفة وآدابهم ف ٧ ) وما ذلك على ما قال القديس غريغوريوس ( الراعي ق ٢ ف ٦ ) الا لان الناس يتسابقون الى خدمتهم والقيام باوامرهم بسرعة ونشاط وهم لا يسمعون الا المدح والثناء على اعمالهم ولو كانت توجب المذمة او اللوم ويندر ان يروا انساناً يقدح فيهم فهذا من شأنه ان يفسد قلوبهم ويحملهم على العظمة والافتخار فلا يعرضون انفسهم كما هي بل يتصورونها كما يصورها لهم اهل التسليق والخداع اه

وقال العلامة نفسه في المحل المتقدم ذكره : اذا كان الانسان ماثلاً من طبعه الى العجب والافتخار وهو في مقام مساوٍ مقام اقرانه فماذا يكون من حاله عندما يرى نفسه رئيساً عليهم ومدبراً لشؤونهم ؟ واذا كان الانسان يصيبه الدوار وهو في اسفل الوادي في مأمن من الارياح فما ترى يحل به اذا ما قام على رأس الجبل معرضاً لاشد العواصف ؟ اه .

وقال مودست دي سانت امابل : من البديهي ان قائد الجيش ينسب لنفسه انتصار عسكره والوزير نجاح المملكة والرئيس ينسب كذلك لنفسه الخير الذي يجري مدة رياسته اذ يقول غالباً : انا الذي اقام هذه البناية وانا الذي انهى تلك الدعوى الكبيرة وانا الذي دبر تلك المسائل . وربى للدير الاصحاب والمحامين عن حقوقه اه . ولا يرى انه بهذا الادعاء يحذو حذو ملك بابل الذي كان يقول : انا الذي بهارتي وغناني بنيت تلك المدينة العظيمة بجمالها واحكامها وتحصينها اه .

وكتب البابا القديس غريغوريوس الى يوثافاسيوس اسقف ريجيو قال : فرحت فرحاً عظيماً عندما بلغت سماعي اعمال الرحمة التي تعملها غير انه قد ساءني جداً ما اسمعه غالباً عنك وهو انك تدعي وتنسب كل هذه الاعمال لنفسك اذ لا تبرح تخبر وتذيع انك انت الذي ساعد هذا الفقير وانقذ ذاك



اليتيم من مصيبة المت به وانت الذي أقام تلك التماثيل وأصلح ذلك الخلل ورد الرهبانية الى نظامها الاول ألا ترى انك بمثل ذلك تعتدي على مجد الله وجلاله لان جميع الامور ترجع بمسيرها الى مجد الله وحده ؟

كان القديسون ينسبون كل شيء الى الله والى استحقاق اخوتهم ومنهم القديس اغناطيوس فانه كان يُعزى كل شيء الى عناية الله ودعاء اخوته ولذلك ما كان يرى ضميره مثقلاً من الخطاء بالمجد الفارغ . الامما لا يعتد به وقالت الطوباوية كوليننا يوماً وقد شعرت بمديح الناس لاعمالها : لا اعلم اني عملت شيئاً حسناً واذا كان حدث على يدي بعض الخير فما يكون ذلك الا بعون الله ودعاء اخواني اهـ .

وقال ماكسيميلانوس امير بافيره عقب غلبة حازها في الحرب : انا الذي حارب واما الغلبة فاعطانيها الرب بدعاء الانفس القديسة اهـ .

## العدد ٢

في ان الرئيس المتواضع لا يعجب بالكرامة الموجهة اليه

ان الرئيس حقيق بان يكرم ويحترم لانه يمثل الله على الارض بعمله وساطانه . فكلما تحقق ان الكرامة المقدمة للرئاسة واجبة وضرورية بالنظر الى ان الرئاسة من الله وان غايتها الخير العام وضح كذلك انها تخص بالمقام لا بالذات هذا ولما كانت الكرامة للروثاء من لوازم الرئاسة كان الحكم فيها نفس الحكم فيهم فانها لا تريد لهم لا مجداً داخلياً ولا كمالاً ذاتياً ولا تؤثر في فضائلهم ولا هي علامة تدل عليها وهي ليست صالحة لان تصلح الشوائب في الرئيس ولا تعوض فيه عن نقص في كالاته وعلى ذلك فالرئيس الذي يعزى الى نفسه الكرامة المقدمة لمقام الرئاسة ويظن انه اهل لها جدير بها يكون لا محالة في شطط عظيم .

ومن الثابت ان الوظيفة شيء والموظف شيء آخر فالوظيفة مقدسة إلهية واما الموظف فلا يُلَو من النقص والذل فعلى الرئيس اذن ألا يتصور ان الله سبحانه قد وكل اليه الرئاسة التي أمر باحترامها ليجعلها سبباً يؤدي به الى العجب والكبرياء بل ليدعوه بها الى الخوف من ان يهتك حرمتها والى ان يساوي بين شرفها والاجلال الواجب لها وقداسته سيرته فان هذه الكرامات المقدمة له

وهذا التعلق الديني المخصوص به الذي هو أقوى من التعلق البنوي ليس إلا تحضيضاً قوياً ودافعاً شديداً ينهض به إلى الصلاح غير أنه إذا رأى نفسه متقاعساً عما يجعله أهلاً لهذه الكرامة فكيف يمكنه أن يرضى بها ؟ وإذا كان ضميره يبيته سرّاً ويبين له أنه غير جدير بشيء منها وإنما لم تقدم إلا لمقام الرياسة أفلا يتخذها حينئذٍ تبريحاً متصوفاً ومجاهراً به ؟ أفلا يخجل عندما يرى من يفوقه فضلاً وقداً من رهبانه ينحني امامه ويحمله كل الاجلال ؟ ألا يوقن أنه هو الذي يجب عليه اكرامهم واجلالهم اذا ما نظر في الامر من وجه الجدارة لا من وجه المقام ؟

قال القديس برونسبر : ان الرؤساء المدعوين من الله الى سياسة الانفس لا يعجبون بالكرامات الدنيوية ولو أحدثت بهم من كل جهة لان افكارهم مشغولة بقضاء الخدم المطلوبة منهم ولا يكثرثون لرفعة مقامهم بل لخطارة مهامهم . ولا يبهجهم بهاء المنصب بل ترعجهم الاعباء اللازمة له . اهـ ( من الحياة النظرية ك ٢ )

وقال القديس باسيليوس : ان الانسان المشتغل بتضيد جراح عدد غفير لا يجد سبيلاً الى الترفع بل الى الخضوع والخشوع . اهـ . والحال ان هذه هي صناعة الرئيس

وقال القديس غريغوريوس : اعلم يا اخي انك اذا ما ترفعت في الباطن على اخوتك تسقط في وهدة الذل والدناءة لانك اذا شابته في الكبرياء الشيطان الذي عمد الى وضع كرسيه في اعلا سما السماوات تشابهه كذلك في السقوط وتضرب مثله بصاعة غضب الله فتخسر ملك الخيرات الحقيقية بمجرد رغبتك في الخيرات الحالية . اهـ ( الراعي ق ٢ ف ٥ )

وقال العلامة نفسه في محل اخر : ان شاوول أنتخب بالتواضع ورُذل بالكبرياء وقد اوضح الرب ذلك بتوبيخه ايّاه اذ قال : انا وليتك على قبائل اسرائيل لما كنت صغيراً في عين نفسك . اهـ فينتج من هذا انه لما كان صغيراً في عين نفسه كان كبيراً في عين الرب ولما صار كبيراً في عين نفسه صار صغيراً في عين الله فالحاصل ان الرئيس الذي يغار غيرة حقيقية على مجد الله ويجب ان يكرمه

تعالى برفعة مقامه هو حقيق بان يؤدي ما يفرض له تعالى من الكرامة والخضوع والاحترام كما يؤديه مروثوسوه له سبحانه من دون ان يستثنى منها شيئاً .  
وقال أيضاً القديس غريغوريوس : لو بعث رجل ذو شأن عبده بهدايا الى عروسه فلم يقدم العبد الهدايا باسم سيده بل باسم نفسه ليكسب رضا تلك العروس أفلا يحسب ذلك من العبد خيانة وفجوراً ؟ اه .  
أو هل للرئيس ان يثق بالمظاهرات الخارجية ؟ أو لا يعلم ان الحيل في أمور الدين والدنيا كثيرة فكم من اشباه لا حقيقة فيها وما اكثر ما يبالغ المداهن والمضطرب في المدائح ويتستر ببرقع الحشمة والدعة والتلطف !  
العدد ٣

في ان الرئيس المتواضع يعمد الى ادنى الاعمال بطيبة خاطر  
قال موديست دي سانت امايل ( الرأس الكامل ك ١ ف ١٦ ) : انه لضلال مبين ان يتصور الرئيس انه في اتخاذ الخدمات الدينية يضرب بصيته او بسلطانه فالامر بالعكس اذ يجعل فضيلته امتن واشهر ولا خفاء ان صيته وسلطانه يبينان على اس فضيلته هذه لا على غيرها .  
لانه ١ ليس من مقام في الدرجات الكنسية ينجل صاحبه مهما كان شريفاً من حمل صليب المسيح فبالصليب كل مجدنا فالرئيس كلما ارتفع مقامه وجب عليه ان يتواضع ويتشبه بالسيد المسيح ويوافقته في سلوكه قال ابن سيراخ ( ٢ : ٣ ) : يا بني ازدد تواضعاً ما ازددت عظمة فتتال حظوة لدى الرب اه .  
وقال السيد المسيح ( متى ٢٠ ) قد علمتم ان اراكنة الامم يسودونهم وعظماؤهم يتسلطون عليهم واما انتم فلا يكون فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون فيكم كبيراً فليكن خادماً ومن اراد ان يكون فيكم اولاً فليكن لكم عبداً كما ان ابن البشر لم يأت ليخدم بل ليعبد ويبدل نفسه عن كثيرين اه .  
و ٢ لم يرفع الرئيس على الجميع الا ليكون قدوة للجميع والحال كيف يمكنه ان يكون قدوة لاصحاب المهام الشاقة والحسيسة وهو يترفع عنها ويأبى ان يشارك الاخوة في شيء منها ؟ قال ابن سيراخ : اذا جطوك رئيساً فلا تتكبر بل كن كواحد منهم ( ٣٢ ) وقال في هذا القديس برزدوس ( في مهمة



الاسقف ف ٩) : كيف تكون كواحد منهم وانت بين المتدلين متعظم وبين المتواضعين مترفع وبين الوديعين قاس ؟

وابان القديس غريغوريوس ان من واجبات الرئيس الصالح ان يساوي نفسه باخوته وان لم يكن مساوياً اياهم بالمقام وان يبذل قصارى الجهد في افادتهم لا التسلط عليهم وان يوجه نظره الى مطالب مهمته لا الى شرف مقامه ثم قال ( الراعي ق ٢ ف ٦ ) : يعتني لاجل ذلك الرئيس بامرين ضروريين جداً الاول تصرفه بمقتضى سلطانه لا بمقتضى مطامعه والثاني عمله ما يجب عليه لا ما يرغب فيه اه وقال القديس برزدوس في هذا المعنى في تفسيره رسالة القديس بولس الى الرومانيين : كُن متشبهاً بالرسول وشرف خدمتك قلت خدمتك لا سلطانك لان شرف خدمتك هو المطلوب منك اولاً لا شرف شخصك ومن يطلب منفعة نفسه يشرف نفسه لا مهمته واذا اردت ان تشرف مهمتك فلا تظن انك تصل الى ذلك بتريديك باثواب جميلة او باحاطة الحشم بك او بانشاء بنايات عظيمة بل تصل اليه بخلوص آدابك وباجتهادك في تحسين الامور الروحية والزيادة في الاعمال الصالحة اه .

و ٣ من ظن انه يضر بصيت نفسه لو بالغ في اعمال البر والغيرة على مجد الله فظنه يكون باطلاً مخالفاً الدين والعقل . ليت شعري ما تصور عاقل ان في التواضع والتقشف والفقر وعمل الرحمة وممارسة الفضائل ما يشين صاحبه او ينقص من قدره بل لعمرى ان الشرف الحقيقي الثابت كما قال القديس يوحنا الذهبي الفم لا يُكتسب الا بالفضيلة فمثل هذا الشرف لا يزينه طلاء ولا يعيه خباء ولا اثر فيه للحيلة والمكر ولا يحصل بالتسليق ولا يشتري بالمال ولا يقدر احد ان يخاصم صاحبه في شيء من الاشياء على الاطلاق اه .

أفلا ترى ان ابن الله عز وجل غسل اوجله تلاميذه وان بولس الرسول يسعى وراء معاشه بعمل يديه وان القديس فرنسيس بلولوس كُن يغسل اثواب الاخوة ويخدمهم في المائدة ويكنس الكنيسة وينظف درجات المذبح وان القديس اغناطيوس مضى لا ينتخب رئيساً عاماً الى المطبخ يقضي فيه احقر الخدم وادناها وانه من مبادئ القديسة كلارا الا تأمر احداً من الراهبات بمباشرة عمل حقير قبل

ان تباشره هي بذاتها ؟ فاي رئيس يتصور ان السمعة والسلطان يوجدان في ما لم يجدهما فيه السيد المسيح ؟ واي رئيس يعتقد انه يدرك الغاية التي ادركها المسيح والتديسون وهو ناهج طريقاً تخالف طريقهم كل المخالفة ؟

فلا يكتسب الرئيس ثمة مروثوسيه واعتبارهم بالكبر والعنوة او باتخاذ ما يميزه عنهم ولا بالتعظيم الذي يريغه لنفسه طلباً للشرف بل يكتسب ذلك بالحكمة والقداسة . فالرياسة ليست سيادة حرة ولا مقاماً للبخ والترفه والترفع ولا معهداً لترويض البدن الذي يطلبه محبو الذات الكسالى بل هي وقف النفس للخدمة ومحل للتفاني في جانب الخير العام المحض وتكملة حياة السيد المسيح التي يُعرف بها التواضع والتشف والامانة . هذا وان الوثنيين انفسهم اعتبروا الملك نفس اعتبارنا للرياسة ودليله ما قال اجيزيلاس : اذا كان يريد الملك ان يسود على رعاياه فلا يطلب ذلك بطريق الرخاء والتعظيم بل بطريق القناعة والشجاعة اه وقال بليوس ان المجد الوحيد المثبت شرعاً والذي اشتبهه للملك انما هو ما يكتسبه بالفضيلة والاستحقاق لا ما يحصل من الصور والتأثيل لان هذه تسحق وتتلشى واما ذاك فيبقى الى الدهر ثابتاً في اذهان الناس اه وقال سينكا : أيزداد الحصان قيمة اذا ما لجمته بلجام من ذهب ؟ أو هل تصير ملكاً اذا ما توشحت برداء ملكي مرصع بالحجارة الكريمة ؟ اه وقيل ان الاسكندر لما شاهد في دار داريوس ريشاً فاخرة هتف قائلاً : ما تفيد هذه الزخارف في سلطان الملك ؟

#### العدد ٤

في ان الرئيس المتواضع لا يجدر به ان يُتقي فضائله وجدارته بالسياسة ولا ان يسمح بسقوط سلطانه

ان القديس توما مثل عما اذا كانت المحافظة على حسن السمعة والصيت الصالح تعد مجداً باطلاً فاجاب انه قد يكون ذلك فيما لو كان المقصود من تلك المحافظة مدح الناس ولكن اذا كان المقصود بها الحرص على الخير العام ووقايته من وصمة تلحقه كانت بلا محالة فعل محبة عظيم يوجب لصاحبه المدح والثناء

(٢٠٢ س ١٣٢ ف ١ ج ٣)

وكتب القديس بطرس داميانوس الى احد تلامذته الذي كان مرشحاً للاسقفية فقال : اجتهد في ان تكون سيرتك سيرة متدين تقي وان تكون سمعتك بلا عيب لان المنفعة من سيرتك تكون عائدة اليك واما المنفعة من حسن سمعتك فهي عائدة اليك والي معاً بل الى الرعية جمعاء اه وتشبه عروس النشيد نفسها بالزنبقة لان في الزنبقة خاصتين طبيعيتين وهما الجمال وطيب الرائحة وهكذا الفضيلة فان لها هاتين الخاصتين على ما قال القديس برناردوس فاذا ما فقدت احدهما ينقص كمالها لان استفادتها من خاصة واحدة قليلة جداً هذا وان جمال الفضيلة مركزه الضمير واما رائحتها الطيبة فهي حسن السمعة . اه (عظة ٧ على سفر النشيد) فكم من القديسين العظام مثل البابا لاون الثاني والقديس كارلوس بوروميه ودوم بارتيلميه وكثير غيرهم ناضلوا كل المناضلة عن حسن صيتهم لكن ذلك لم يكن لخيرهم الخاص على ما قرروه مرات بل لاجل خير رعاياهم العام لا غيره

قال تاسيت ان تيير كان من اعتقاده ان مصالح العامة متنوعة وان الجوهري في مصالح الملوك هو حسن السمعة اه ويلحق باعتقاده هذا مبدأ آخر وهو ان المارك بعد اكتسابهم حسن السمعة يجب ان يحافظوا عليها لاجل خير رعاياهم لان كل ما يملكه الروساء انما يملكونه لخير مروضيهم . هـ

هذا ولما كانت المعارف من اسباب حسن السمعة ترتب على المتواضع الا ينقيها قال اليسوعي الشهير غراسيانوس : ان ما كان محجوباً عن النظر يعتبر كأنه لم يكن فقس على ذلك معارفك فانها اذا كانت خفية عن الناس تعتبر كذلك فالعلم والمقدرة على بيان العلم علماً والاشياء لا تعرف بما هي عليه حقيقة الا نادراً غير انها تعرف تبعاً لما هي عليه بالظاهر ولولا الظاهر لما كان في نفس الحقيقة المجردة من فائدة ابداً فكم من اشياء عظيمة لا يدري بها احد وبالعكس كم من اشياء حقيرة لها قيمة واعتبار ولذلك اني افضل اوقية من المعارف بيئة على قناطر منها خفية اه

ولما كانت فضيلة التواضع غير متوقعة على اخفاء المناقب الحسنة فلا تتوقف



كذلك على المسامحة بسقوط السلطان فمن الضروري اذن ان يجمع الرئيس بين التواضع والمحافظة على السلطان لان السلطان من دون تواضع عتو وخيلاء والتواضع بلا سلطان في الرئيس ومن وقشل . قال القديس غريغوريوس فليحذر الراعي من سقوط سلطانه بحجة التواضع وليخف من انه بزيادة احتقاره نفسه لا يعود قادراً على ايقاف مروثوسيه عند حدود واجباتهم فعليه اذن ان يحترم سلطانه في الخارج محافظة على مصلحة مروثوسيه وان يحتز كذلك من ان تتسلط عليه اهواء العظمة والترفع اه ( الراعي ق ٢ ف ٥ ) وقال القديس اغوستينوس في قوانينه كن ايها الرئيس متواضعاً تواضعاً لا يُنقص من السلطان الواجب لسياسة مروثوسيك اي فليز فيك المروثوسون من السلطان ما يهيهم ومن التواضع ما يقتدون به لان الرئيس الذي يتخطى بتواضعه حدود القطنة يقع من يده سيف السلطان الذي بدونه لا يقدر ان يخضع مروثوسيه لئلا طاعة القوانين فالطريق المثلى التي يجب اتباعها انما هي المتوسطة بين الافراط والتفريط في التواضع فكلما الطريقين يؤدي الى الفشل ولا يليق برجل الله تعالى

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

#### في ان السلوك بموجب القانون ضروري في الرئيس

في الاسباب التي توجب ان يكون السلوك بموجب القانون ضرورياً في الرئيس وفي ما يتطلب من الرئيس سلوكه بموجب القانون

#### المقالة الاولى

في الاسباب التي توجب ان يكون السلوك بموجب القانون ضرورياً في الرئيس

#### السبب ١

هو علو درجة بين مروثوسيه ووجوده على مرأى من جميعهم

قال الاب الجسري المكرم مما يجب على رؤساء الجماعات المسيحية اكتساب

جميع الفضائل ولا سيما الفضائل الموجودة في مروتوسيم . الا ترى ان رب الطبيعة عندما خلق جسم الانسان جمع في الرأس حواسه الخمس وهي عقد جماله ومديرة اعماله وانه لم يترك لسائر الاعضاء الأحاسيس ان رب النعمة اراد ايضاً ان يجمع في جسم السيد المسيح السري الذي هو الكنيسة وجماعاتها ان تكون مجتمعة في الرئيس كل الفضائل اللازمة لجمال الجسم السري والضرورية لسياسة شؤونه وتديرها وكما ان الرب يسوع جمع في نفسه بما انه رأس الكنيسة كل النعم والفضائل والمواهب الموزعة على قبائل الارض وطغيات السماء جمعاً سامياً مطلقاً كذلك روساء الجماعات البشرية فانهم يفوقون جميع مروتوسيم بكل الفضائل السامية . وقد جاء في تمثال الملك نبوكد نصر ان رأسه كان من ذهب وسائر اوصاله من معادن اقل ثمناً من الذهب ( جلد ٢ م ٣ ق ١ )

فلا يحق للرئيس ان يدعي الجدارة بمقام الرئاسة ما دام يرى في نفسه نقصاً في القداسة عن مروتوسيه ولا بالكرامات التي تقدم له لان النظام الطبيعي يقضي بان يكون علو المقام مساوياً درجة الاستحقاق وقد اثبت سالتيانوس ان المقام بغير فضيلة كلقب شرف بغير انسان يلقب به او كحلي ثمين مطروحة بين الاقدار ( ك ٢ في البخلآء ) وقال القديس برناردوس : ان من كان مقامه سامياً وعقله خسيساً كما مسخاً نحيساً لا انساناً انيساً ومثله من كان الاول في الرتبة والاخر في الفضيلة وما هولاء الروساء الا كالقروود المرسومة على الجدران باشكال وهيئات مضحكة اه ( من اعتباراته ك ٢ ) ولا غرو ان هذا العلامة الرزين لم يغال بوصف هولاء الروساء الا لبيان لنا شدة نفوره واشمئزازه من حالتهم السيئة ومن الطبيعي في الانسان ان يحسن الجاوس في حضرة آخر من بني جلدته الا اذا كان فاقداً لللب خالفاً عذار الحياء والحال ان الرئيس المرفوع الى مقام سام هو في مراءى من الجميع ابداً وترتفع نقائصه وفضائله بارتفاعه ويرقب الجميع سيرته بالاجمال والتفصيل ولا قلبت اسراره الغامضة ان تنكشف من نوافذ كثيرة . وقال القديس غريغوريوس : ان منزلة الراعي من رعيته كمنزلة الوجه من البدن فالوجه هو الذي يبدو اولاً وينظر اليه نظراً مخصوصاً وهو الذي فيه السمات التي تميز اصحابها بعضهم عن بعض . واعلم ان اهل الكرامة لا يتكون شيئاً في

الظلام او تحت مكيال على ما قال بليوس . واشبع الكلام كاسيودوروس في هذا المعنى فقال : ان بين نقائص الملوك ونقائص التبعة فرقاً بيّناً وهو ان نقائص التبعة ليست بذات بال ولا اهمية لها ولا تلبث ان تمضي نسياً منسياً واما نقائص الملوك فمشتهرة ومعروفة ابداً لاشدّ ضروب التنديد والملامة ومن المسلم به ان من كان في الجماعة وجهاً ومقداً لا يتأتى له ان يكبر كبرة حتى تكون في مشهده من الجميع فاعلموا اذن يا روساء الجماعات ان اعمالكم موضوع احاديث الشعب وكأن الشعب لا عين له الا ليرقبها ولا لسان له الا ليعلمها اه (ك ٦ رسالة ٢٣)

ومن اين للرئيس ان ينجو من تنقيب مروثوسيه وتنديدهم وهم مشغولون دائماً بمراقبته ؟ ويا حبذا لو رضوا بمراقبة الظاهر فانهم يبذلون كل الجهد في ان يروا حركات اعماق القلوب ولا عجب اذا بقي الخير الذي يعمله مستوراً لان مروثوسيه قلما يحسنون الظن فيه فلا يصدقون فيه شيئاً حسناً وان كان ظاهراً أما الشر الذي ينعله فيكشفونه وان خفياً ويتعقبونه على الاثر وان بعيداً ويصدقونه باضعف الدلائل . ومن اشدّ من افراد الجماعات دهاء في كشف ما يكتبه المتلبسون . فقد ينجح المراءون في الدنيا وأما في الرهبانيات فانهم يتبرقعون بلا فائدة لان الرهبان الذين درسوا الفضيلة درساً مستمراً ومارسوها ممارسة متصلة يعرفون كيف يميزون بين الفث والسمين ولا يحكمون على الظاهر فالرهبان في امر التمييز بين الفضائل الصادقة والكاذبة كالصيافة الذين مهروا في معرفة النود حتى اصبحوا يفرقون جيدها من زائفها بمجرد اسمها او النظر اليها اه (بوفيس مكتوب ٢)

وقال في اجل نفسه : لا بد من ان يكتشف بعضهم يوماً ما على بعض مخالبات في سلوك الرئيس وعلى مواضع نفوره او كبرياته وكثير من النقائص التي لا يألو جهداً في اخفائها لانه لا يقدر ان يتظاهر ابداً في كل اعماله واقواله بخلاف ما هو عليه في الـ لا بد له في اثناء المكابرة من السقوط وقد يمكنه ان يمتطي عن نفسه بوجه من الوجوه بعض نقائصه او بعض عاداته السيئة ولكنه لا يستطيع ان يخفيها او يمتطي شيئاً منها عن مروثوسيه لشدة سهرهم



وتيقظهم لاجل معرفة ما يريد هو ستره وكتمانه وما ربحه في هذه التجارة اي  
كتان اعماله ومقاصده التي تخالف الصواب مدة وجيزة الا خداع نفسه وخسارة  
اعتباره وخفض شأنه عند مروثوسيه الذين ظن انه يخدعهم وهو لم يخدع الا  
نفسه

## ٢ . السبب

هو ان الجمهور يقتني طريقة الرئيس سواء كانت صالحة ام طالحة

لا يتخذ الفرد مثال الفرد طريقة يتبعها دائماً ولو كان له فيها تنشيط وتقوية على  
العمل امّا مثال الرئيس فتبوع واجب كأنه الطريقة المثلى . قال القديس  
غريغوريوس : لا اظن ان تأثير الصبغ بالثوب او رائحة الشراب بالاناء اشد من  
تأثير مثل الرئيس في مروثوسيه ولذلك علل مختلفة منها الميل الغريزي في  
المروثوس الى الاقتداء باعمال رئيسه وهذا الامر حمل تلسيت على ان يقول ان  
هذا الاندفاع الغريزي الى الاقتداء بالرئيس لا قوى مما في الشرائع والقوانين من  
التهديد والانذار . ومنها حذر فيهم طبيعي من ان يعملوا ما لم يعمل الرئيس .  
قال يوسيفوس الموزخ : لا يتأتى للعامة ان يصادقوا على حسن سلوك الملك ان لم  
يوافقوه فيه اه . ومنها اعتقادهم ان في اعمال الرئيس مثال القداسة وانها القانون  
الحى بل هي الفضيلة المتمثلة بالذات والاداب الجارية بالفعل وان من اخص  
واجباتهم ان يقتدوا بها في جميع ما يعملون . فاستنتج القديس برونزوس من هذا  
ان المروثوسين يتقدمون في الفضيلة بتقدم رؤسائهم ويتأخرون عنها بتأخرهم  
ويثبتون بثباتهم لا اكثر ولا اقل . وهم اشبه بدواليب العجلة السرية التي شاهدها  
النبي حزقيال وهي تتبع حركة الحيوانات كيفما جرت . فالرئيس اذن لا يقدر ان  
يتقدم في الفضيلة او يتأخر عنها وحده بل يقدم ويؤخر معه عدداً وفيراً من  
مروثوسيه كالشمس اذا اشرقت انارت جميع الاشياء وان توارت خلّفت الظلمة  
فيها جميعاً بل هو كتاب حي كثيرون من المروثوسين لا يحسنون القراءة الا فيه .  
وقد قال الملك ثيودوريكوس : يمكن ان تخالف الطبيعة شرائعها ولا يمكن  
ان يخالف التبعة سلوك متبوعهم اه

لقد ادرك بالانوكس فرقاً بين الايمان والمحبة فذكره في كتاب سيرة القديسة ترازيا قال : ان الايمان يدخل في قلوبنا من الاذان واما المحبة فتدخلها من الاعين اه لانه لا بد من الوعظ والتعليم لاجل الاقتناع بقواعد الدين النظرية واما اثبات المبادي الادبية فيكفي لها المثال لا غيره فالرئيس اذن يجب ان يكون عاملاً بقوانينه عملاً مدققاً حتى اذا نُقِدَ كتاب القانون يجده المروثوسون مسطراً في سيرته واننا نرى روح القدس قد سطر الانجيل الطاهر في قلوب الرسل قبل ان يسطره هولاء بالمداد على الورق . وقال في هذا المعنى القديس بوناونتورا : اما كان قليل من الناس يتأثرون بتعاليم السيد المسيح ويفهمونها عندما تفرغ في قالب الكلام بخلاف ما لو شاهدوا الناس يعملون بها وجب ان تنتقشها على صفحات قلبك حرفاً فحرفاً وان تبينها في اعمالك بل يجب ان تصير معها شيئاً واحداً فيكون لها بعد ذلك تأثير غريب في الاعين وتبجن في القلوب بسهولة اه (الستة الاجنحة ف ٦) . واعبري ان الرهبان لا يفتخرون الى الارشاد الى الفضيلة كافتقارهم الى المثال في ذلك لان ثقتهم بالاعمال اقوى منها بالبرهان وان الكمال الرهباني علمي اكثر منه علمي وان طريق التعلم كذلك طويلة فيها تشرح هذه المبادي القليلة شرحاً مملاً في مدات متقطعة اما طريق المثال فهي قصيرة مؤثرة لانها متصلة ولانها تعرف عن كل شي في وقت واحد وهي لا ترضى بالارشاد الى الحقيقة بل تقود اليها بالعمل . وقال سينك الفيلسوف : ان شئت ان تنتخب اك معلماً فاختر من ترضيك سجاياه لا اقواله ومن يمكنه ان يبجن الحقائق في قلبك لا في عقلك اه

هذا واذا تأملت في العدد الاكبر من الناس تجدهم منقادين بالاقتداء لا بالتعليم فلا يسمعون الا قليلاً غير انهم بسكوتهم يأخذون عن غيرهم ويقتفون بهم بطيئة خاطر لان بلادتهم وارتباكهم في مصالح عيالهم يحولان بينهم وبين التعلم او يسيان لهم النسيان سريعاً اما مثال الفضيلة الذي يشاهدونه بالفعل فلا يلبث ان يتبجن في اغاظ العقول ويبقى راسخاً في الاذهان وان كانت ضعيفة خامدة والراهب في هذا الوجه كالعامي يؤثر ان يرى على ان يسمع كأن النفس في الاعين اكثر منها في الاذان .

فالامثال الصالحة اذن هي هي وحدها التي تشق طرق الفضيلة والصلاح  
والكمال فينهجها طلابها . واذا انتقطع الروساء عن الوعظ فهي تتكلم فيهم  
بافصح عبارة واجلى بيان

### السبب ٣

هو ان رذائل الرئيس ترمي بالرهبانية الى الخراب والدمار

لان الرذيلة بذاتها هي مرض معدٍ ونحن معرضون ابدًا لقبول سمها القتال  
من كل الجهات نعم اني لو رأيت في رئيسي مئة فضيلة ورأيت فيه رذيلة واحدة  
اراني اميل الى ان آخذ عنه هذه الرذيلة الواحدة اكثر مني الى ان آخذ شيئاً من  
فضائله الكثيرة فاني في ذلك كالهوام التي يقال فيها انها لا تمتص من الاجسام التي  
تتعلق عليها الا المواد السامة التي توجد فيها والسر في ذلك هو ان طبيعتنا مذ  
سقطت من حال النعمة امست اميالها الى الشر اشد منها كثيراً الى الخير وإلى  
هذا اشار احد القدماء اذ قال : اننا لا نتعلم شيئاً باكثر سهولة مثل الشر ولا  
ننسى شيئاً باكثر صعوبة مثله اه لانه لما كان لا شيء يثقل على كاهلنا مثل نير  
التهديب والنظام كانت اعيننا تفتش لبداء ترى احداً يريد ان يخلع نيره لنخلع  
نحن نيرنا ايضاً

والعدوى اذا كان مصدرها الرئيس تمتد امتداداً سريعاً والله اعلم اين تنتهي .  
قال شيشرون ان الملوك لا يرتكبون الشر وحدهم بل يحملون غيرهم على فعله  
والمصيبة ليست بفسادهم بل بفسادهم المملكة . اه

( الشرائع ) وكان بليزوس يقول : انه اذا ترعزت رومة فذلك تشاؤم  
سوء ينذر بخراب سائر الممالك . اه . وكان صولون الاثيني يشبه مثل الملوك  
بظل الاجرام فان الجرم اذا مال نحو القبلة فلا يميل الظل نحو الشمال بل يتبعه  
كيفما اتجه . اه وقال سالفيانوس : ان بين الرأس والاعضاء تعلقاً شديداً لا  
يمكن معه ان تكون الاعضاء صحيحة والرأس مريضاً فزلة الرأس تجر في  
الغالب وراءها زلات عديدة وتمتد من سنة الى سنة ومن ديو الى ديو والسبب  
في ذلك هو ان الرئيس لا يخطو خطوة غير مستقيمة حتى يراقبها الكثيرون



ويتأملونها من كل وجه فتضحى بعد ذلك سبب عثار اما تزكية الرئيس نفسه بسائر فضائله فلا تجدي نفعا . قال القديس غريغوريوس : ان قليلاً من الافستين او بعض قطرات من المرارة يجعل الشراب العذب مرّاً وان الف رجل أصحّاء لا يقدرّون ان يهبوا المصاب بداء الطاعون شيئاً من عافيتهم بيد ان هذا يقدر ان يشرك في مرضه العضال بلداً كبيراً فان السدّ المنيع لا يكاد يخشى من سقوطه ولو فاض الماء وطفى عليه . هذا اذا كان مرصوص البناء غير انه اذا سقط منه حجر واحد وان صغيراً كان ذلك مبداء وعلة كافية لدكه واندثاره

ونضيف الى ذلك كلام مودست دي سانت امابل قال : ان زلات الرؤساء لا يحوها كراً الايام بل هي اشبه بالازلي لان الامر اذا صار بمنزلة شريعة يتعذر بعد ذلك الغاؤه أو لا يُلغى الا لاسباب موجبة ينذر توفرها ولا سيما اذا كان ذلك الامر شراً لانه يتأصل سريعاً في طبيعتنا الفاسدة تأصلاً عميقاً وقد تقدم ان اعمال الرئيس تضحى في عين جماعته كشرعية راسخة فاذا تراخى الرؤساء في حفظ قوانينهم واهملوها حدث في الرهبانية شوائب يصعب اصلاحها بعد او يتعذر لان المروّوسين يتشبثون بها ويعدّونها عادات شرعية ويعتقدون انه ليس لاحد منهم حق بالغائها وملاساتها فان ياربعم اقام مذبحاً للاوثان والذين خلفوه تبعوه في ضلاله وان كانوا اتقياء فان الكتاب يذكر عن كل منهم انه لم يهدم المرتفعات . اهـ ولا يعارض ذلك ان اولاد قورح لم يقتفوا مثال ابيهم عندما قام على الرب لان الكتاب يعتبر ذلك كأعجوبة ويذكره بهذه الصفة ذكراً مخصوصاً

#### السبب ٤

هو انه ان لم يكن الرئيس مثلاً صالحاً كان اصلاحه لمروّوسيه توبيخاً له

قال القديس غريغوريوس : لما كان الرئيس مطالباً بتنظيف قلوب مروّوسيه اضطرّ الى ان ينظف قلبه اولاً لانه لا يجب ان تكون اليدان ملطختين عندما نأخذ بهما شيئاً ونسخاً لتنظفه والا لعاد ذلك الشيء . أوسخ ممّا كان قلبه . اهـ ( الراعي ق ٢ ف ٢ ) وأوصى لاجل هذا السبب القديس بولس تلميذه تيموثاوس ان يكون نقيّاً طاهرّاً من كل عيب ومزداناً بكل الفضائل لانه بدون هذا لا

يقدر ان يوبخ المذنبين .

ومن المحقق ان المروثوسين لا يرون انهم استوجبوا التوبيخ ما دام لهم في سيرة رئيسهم دافع الى التهاون في واجباتهم لان رئيسهم لا يقدر ان يعدّهم مذنبين في ما هو يسامح به نفسه وكأني به يسمعهم يقولون له باطناً : ايها الطبيب اشف نفسك . كيف تلومنا في ما تفعله انت كل يوم ؟ سر امامنا ونحن نتتفي اثارك والّا تشجب نفسك با تديننا عليه وتصبح بيننا رجلاً تكذب أعماله اقواله وتهدم بيد ما تبنيه بالآخرى . أو هل نحن مأمورون بحفظ القانون اكثر منك ؟ اما نذرت انت عين ما نذرنا نحن ؟ وان وجد بينك وبيننا فرق من الفروق أيكون غير انك مأمور بحفظ القانون اكثر منا وأما نحن فليس لنا ان ندينك وانما رب السماوات هو الذي سيدينك وحده

وعلى الرئيس ان يكون متزهاً لا عن الزلاّت التي يريد اصلاحها في مروثوسيه فقط بل عن كل زلة مطلقاً لانه لما كانت الطبيعة البشرية تُذلّ بالتوبيخ أشدّ اذلال كان المروثوس يبذل قصارى جهده في ان يردّ الى رئيسه الخجل الذي يسببه له بتوبيخه اياه . ثم ان القديس غريغوريوس زاد على ذلك معنى آخر فقال : ان الرؤساء ذوي العثار والردائل لا بدّ لهم من السقوط في الافراط والتفريط فانهم اما يُغضون مطلقاً عن اكبر الذنوب إذ توجب ذنوبهم ذلك عليهم واما انهم يواخذون بالذنوب بصرامة شديدة رجاء ان يرفعوا من عقول مروثوسيهم وهم انهم هم يسقطون بزلاّت كهذه اه (رأس ٢١)

وقال في هذا المعنى القديس برناردوس : ما اكثر ما تعجبت من ان قوانينا تأمر الرؤساء بالتوبيخ على الزلاّت بايجاب شديد ومع ذلك ارى زلاّت كثيرة ليس من يوبخ عليها ولا ارى سبباً لذلك سوى ان الرئيس يُخجل من ان يوبخ مروثوسيه على نقائص تعرّد هو ان يرتكبها اه .

وقال بوفيس : ان الرئيس اذا ما شعر بتبكيته ضميّره على نفس الزلاّت التي يريد اصلاحها في مروثوسيه يضحي جباناً ولا يجسر ان يقدم على العمل عند مسيس الحاجة وان فعل شيئاً مما يجب عليه فعليه لا يفعله الا بتراخ زائد وكأنه يفعله رغم انفه . وهو بذلك لا يشخص السلطة الا تشخيصاً ضعيفاً وكلامه يكون

ككلام خائف وعبارته مبهمه غير انه يظهر كأنه يتكلم كلاماً مبرماً مستحسنأ لكنه بعيد عن الاقتناع والافحام اذ يشعر بان كل ما يقوله مردود عليه ومكذب بسوء تصرفه واذا ما انتهت اخيراً ايام رياسته المنقضية بالتراخي والاهمال يجمع عنه ثوب الصلاح الذي ما كان متردياً به الاً تكلفاً وتصنعاً لانه عندما يرى نفسه غير مضطراً للتلبس والتظاهر بما ليس فيه مما كان قبلاً يرتاح الى اخلاقه الطبيعية ويرجع الى عاداته السيئة ويعلن بذلك للجميع ان شكل الفضيلة الذي كان يتظاهر به لم يكن منه الا تلاعباً وسخرية . اه (تحرير ٢)

### السبب ٥

هو انه ان لم يعظ الرئيس بمثله فمواظبه عبث

ان المثل هو عضد الاصلاح كما انه عضد الوعظ وهو يجعل المواظ مفهومة والمواظ اذا حجة موثقة فالسيد المسيح ابتداء اولاً بالعمل واخذ بعده يعلم والذين رآهم يقولون ولا يفعلون دعاهم مراتين اه (تحرير ٢ ايضاً)

وقال ايضاً انه لا مرينا في النظام الطبيعي ان نفصل المثل الصالح عن الوعظ لانها خلة لا يكونا معاً ويقال ذلك ايضاً في من يريد ان يحافظ على سلطانه ويأبى ان يخضع لما يقتضيه سلطانه او يريد ان يكون مطاعاً من مروضيه ولا يجتهد في ان يكون لهم قدوة او يطلب ان يكون سلطانه مطلقاً وسيرته لا تخلو من الشوائب والمواخذات . فلعمري ان الروساء لم يتولوا الرياسة مجاناً بل تولوها بعهد وذمة يواخذون بها لانهم لم يرتقوا الى المناصب العالية الا لكي يعلنوا شرف الصلاح فاذا حق للرئيس ان يطالب مروضيه بحفظ القوانين فلهم ان يطالبوه بمثله الصالح ويجوزون لانفسهم حق انتقاد اعماله انتقاداً عنيفاً ويظهر لي من ذلك ان لا فرق بين الرئيس والمروض سوى هذا وهو ان المروضين ما لهم سوى رئيس واحد يراقب اعمالهم اما الرئيس فعدد رقبائه بعدد مروضيه لانه عليه ان يؤدي لجميعهم ولكل واحد منهم حساباً عما يأتيه من الاعمال

فتمتلى الكمال يكون في اجتماع السلطان والمثل في ذات واحدة لان المثل يحجب بغير عنف بل يتوقف وقر الطاعة . ويبين للمروضين ان لاشيء مما يؤثرون



به غير مستطاع لانك مهما بالغت في حث مرووسيك وتحضيضهم على الصلاح وهم لا يرون منك مثلاً صالحاً لا يكون لعلك هذا نتيجة ويذهب جهلك فيه باطلاً وربما تقدر من دون المثل الصالح ان تحث مرووسيك او تضطرهم الى العمل في ما تأمرهم به ولكن لا تستطيع ابداً ان تحملهم على الطاعة القلبية ولا على الاذعان الفعلي . أو هل للملح ان يُلح اذا ما فقد خاصته او للسراج ان ينير في الظلمة ؟ لا لعمرى . ومن لا يرى ان هذه الحالة هي حالة الرئيس الذي لا يقرن مواعظه بالمثل الصالح ؟

ان ترك القوانين يكون اما من توهم ان حفظها متعذر واما من اعتبارها غير خطيرة لانه لا مطالبة بما يفوق المستطاع ولا بما هو قليل الاهمية والحال ان الرئيس بمثله الصالح اي بحفظه قوانينه امام مرووسيه يبين لهم امكان ذلك وجيل قدر تلك المسالك بعكس ما لو تجاوزها فانه حينئذ يظهر لهم ان حفظها يفوق المقدرة او انه ليس هناك امر هام يتتضيه الساوك في منهج الكمال الرهباني لانه معتبر عند الجميع انه اقدر الرهبان على حفظها وعلى تقديرها قدرها فعلى ذلك اذا حفظ المرووسون القوانين وعرفوا قدرها حق معرفة وهم يرون ان الرئيس لا يراعيها يكون ذلك معجزة من المعجزات ولعمرى اذا خيف الا يستفيد الكثيرون من التعليم المقرون بالمثل الصالح فماذا ينفع الكلام الغير المقرون به ؟

## المقالة الثانية

في ما يوجب حفظ القانون على الرئيس

### الواجب ١

ان يمكث في محل اقامته

ان موديست دي سانت امابل يقدم حججاً دامغة تؤيد حفظ هذه الفريضة

(الرأس الكامل ك ١ ف ١٨)

ان الرئيس مأمور بما يؤمر به الاسقف من ان يقيم في مركزه وذلك من قبل الحقوق الالهية والطبيعية فان الضمير والقوانين المكتسبة يبينان ان الراعي لا يقدر ان يوعى رعيته ان لم يكن مقيماً في وسطها . فلا تتغيبن اذن ايها الراعي عن مركزك وان دعت الضرورة الى ذلك فليكن غيابك لمدة قصيرة لان اقامتك الدائمة في الدير تقيم النظام والترتيب فيه وتقي جمهورك من هفوات كثيرة

ذكر القديس برناردوس في مقالته في الاساقفة والكهنة قال : انهم رعاة من فروضهم ان يغذوا رعيتهم بلبان تعاليمهم وامثالهم غير انهم لا يستطيعون الى ذلك سبيلاً ان لم يقيموا بالقرب منها ولعمري ان هذه الحجة تصدق على الرئيس بحروفها ١٠ هـ

وقال القديس افرام في مقالته في خوف الله : في نوم الراعي فرح الذئب اه فاذا كان نوم الراعي وهو في الحظيرة يعد ذنباً وينذر بالويلات فماذا ترى يكون منه لو نام او غفل وهو بعيد عنها؟ ومن رأي القديس غريغوريوس ان سبب التراخي في القوانين هو غياب الرئيس غياباً متكرراً مرّات عديدة فاعلم ايها الرئيس انك بتوانيك تحمد نار النشاط في الدير فهذا سبب كاف لامتناعك عن الخروج ان لم يكن هناك داع صوابي اه ( ١ ك في القوانين )

فلا غرو ان حضور الرئيس بين مروثوسيه ومهابته فيهم يمنعان الاغلب منهم عن السقوط في اكثر الشوائب ( تريم ف ٢ قوانين )

ان النبي ارميا يمدح الرعاة الذين يقول فيهم : انهم يأتون بقطعانهم الى صهيون ويضربون اخبتهم عليها من حولها ويوعون كل واحد في مكانه اه ( ف ٦ عد ٣ ) فمن المسلم به ان الذئب راصد في الكمين لا ينتظر الا فرصة غياب الراعي عن الرعية لكي يفتك بها هذا وان الخراف معرضة لاضرار شتى فاذا تركت لذاتها تبددت حالاً وبادت . اه

وكتب القديس بطرس داميانوس قال : لا تخرج من ديرك ايها الرئيس الا نادراً واذا خرجت فليكن خروجك الى حيث غرست كلمة الله لكي تواصل سقايتها وتربيتها ولا تكن بكثرة خروجك كضيف لا يراك الرهبان الا نادراً

كانك من ابناء السبيل بل كن ضيفاً مواظباً ثقيلاً بحضورك الدائم في الدير اه  
( اعماله ١٣ ف ١٥ )

ولعبري انه لامر مستغرب كما قال القديس برزدينوس ان يحاول الاساقفة  
المقيمون بعيداً عن مراكزهم ان يقيموا قتيلاً المعصية بواسطة نوابهم لاننا رأينا  
ان اليشاع لم يقدر ان يقيم الميت بواسطة خادمه حجري وان السيد المسيح نفسه  
لم يرد ان يقيم احد الاموات الا وهو حاضر اه .

كان ان احد الكرادلة اسقف رعية فاعتذر يوماً الى القديس كارلوس  
بودوماوس عن تغيبه عن ابرشيته لصغرها وكفاية النائب لسياستها اما القديس  
فاجابه هب انه ليس في ابرشيتك الا نفس واحدة فهذا سبب كاف لاقامتك فيها  
ابداً لانه لو هلكت تلك النفس بذنبك لهاكت كذلك نفسك . والح يوماً على  
هذا القديس اصدقاءه ان يخرج من ميلان مدينة اسقفية لاشتداد وطأة الطاعون  
فيها فاجاب قائلاً : ما الافضل في مثل هذا الظروف أمبارحة الابرشية ام الإقامة  
فيها ؟ ولما اجابه احد الافاضل ان الإقامة فيها هي الافضل قال : فعلياً اذن ان  
الازم ابرشيتي لان درجة الاسقف هي درجة الكمال اه

وعند القديس ايلاريون ان وصية السيد المسيح : اسهروا وصلوا اه مخصوصة  
بالروساء فان ثلاثة امور تضطربنا للسهر المتواصل وهي ١ كثرة الاعداء الذين  
يهاجموننا و٢ نفاسة الكنز الذي نحافظ عليه و٣ سرعة عطب الاناء المحفوظ فيه  
والحال ١ ان الاعداء الذين يحاربون الرئيس هم اوفر عدداً من غيرهم لان اعداء  
مروثوسيه هم اعداء له و٢ ان الكنوز التي يلتزم المحافظة عليها هي اكثر من التي  
يحافظ عليها غيره لان عددها يساوي عدد مروثوسيه و٣ انه يعلم ان هذه  
الكنوز محفوظة في آنية سريعة العطب جداً اه ( ف ٢٦ تفسيره بشارة متى ) ولا  
مشاحة ان وجوب مثل هذا السهر يوجب على صاحبه الإقامة في مركزه ولا يسوغ  
له مبارحته بحجة من الحجيج ولو كانت خيراً للانفس

ان القديس برزديوس لما علم ان ارنولد عزم على التغيب عن ديريه لاجل الوعظ  
رجاء خلاص الانفس كتب اليه فقال : الا تشعر بالسعة السيئة التي سببتها  
لنفسك وهي انك لا تقدر ان تقيم ابداً في محل واحد فان مثلك يشكك سائر



الروساء فاني انبهك تنبيهاً خاصاً الى انك تظلم مروثوسيك عندما تغادرهم فريسة الذئاب واذا كنت بعيداً عنهم فمن يقاوم العدو ؟ او من يعزي المحزونين ويقوم المعوجين ويقوي الضعفاء ويقيم الساقطين ؟ واذا تركت مروثوسيك في فاقة الى مساعدتك وانت مدين بها لهم فاني لك ان تتصور ان اعمالك التي تأتياها من قبل الغيرة على الانفس وانت بعيد عن مقامك مقبولة لديه تعالى ؟ اه ( رسالة ٤ )

واجاب هذا القديس نفسه واحداً من رهبانه تشكى من طول غيابه عنهم قال : تقول لي ان غيابي مما يسوءكم ولا تطيقون عايه صبراً . فهذا يدل على ان ابتعادي عنكم يشق عليّ جداً ويزعجني كثيراً لانه معلوم ان اذية الفرد الذي يفارق جماعته اشد من اذية الجماعة التي تفارق واحداً منها فوجودي ضروري بينكم ولهذا اراني لا اقدر ان استريح قبل اليوم الذي فيه اعود اليكم وانظر في ما لكم وعليكم كما يفعل الراعي في رعيته . اه ( رسالة ١٣٤ )

وتعجب احد ملوك الرومانيين من بعض الالباء والامهات الذين كانوا يلاطفون فراخ الطيور وصغار القروذ ويسرون بها عوضاً عن ان يلاطفوا اولادهم ويسروا بهم ونتعجب نحن باولي حجة من اولائك الروساء الذين لا يروقهم وجودهم بين مروثوسيم بل يغادرونهم ويعتنون بغيرهم

وكاني بك تقول اني لا اعمل هذا الا رغبة مني في اكتساب الانفس لله أفلا تعلم ان الله تقديست اسماءه بحبيبتك بانه لا يطالبك بانفس لم يسلمها اليك ؟ فوجه اذن جميع عنايتك الى ما هو مطلوب منك وكن شجاعاً وامنع نفسك عن كل درس او مهمة يمكنها ان تستغرق اوقاتك وتمنعك عن خدمة جماعتك لان العلوم التي يسألك الله عنها انما هي سياسة مروثوسيك وان الخدمة التي انت مأمور بالقيام بها هي تدبير شؤونهم في الدير فانك تستعرب وتستعجن ما يقع من احد مروثوسيك من ضياع الوقت حين يتدخل في ما لا يعنيه من الامور أفلا ترى انك انت تضع اكثر اوقاتك الشينة بعملك ما يجب عمله على مروثوسيك الامر الذي ليست بمأموريه ولا تقدر ان تصرف له الا وقت الفراغ من اعمالك العديدة ؟ الحظيرة ؟

واما الاسباب التي من اجلها يسوغ للرئيس ان يتغيب مرات كثيرة تعيياً

طويلاً فهي ثلاثة اولها حكم الطبيب بتبديل الهواء ضرورة وحدث اضطهاد يلجىء الى الفرار و٢ المصالح العمومية الخطيرة مثل مصلحة الرهبانية باجمعها او مصلحة احد الاقاليم او مصلحة تختص بخير الكنيسة والامة و٣ بعض احوال مستثناة تظراً على الجمهور ويمكن معها ان يسوس رهبانه في غيابه كما يسوسهم في حضوره بينهم

ويحظر على الرئيس في بعض الرهبانيات ان يعظ في ديره في الايام السابقة عيد الميلاد وفي الصوم الكبير والفصحية ان لم يكن سبق فأستأذن الرئيس العام بذلك لان حضوره في ديره في مثل هذه الايام اضر منه في غيرها

## الواجب ٢

ان يتقدم مروتوسيه في جميع الاعمال

وقال موديست دي سانت امابل : اذا صح ان يفتخر الرئيس برياسته وجب عليه ايفاء الرياسة حقها لان الرأس في الجسم بمنزلة تنمة وكيف يكون تنمة الجسم وهو لا يوجد حيث توجد الاعضاء ؟ اه (الرأس الكامل)

ويعتبر القديس برناردوس الرئيس عين السيد المسيح لسبيين اولها ان السيد له المجد يحبه كما يحب حدقة عينه والثاني ان الرئيس هو العين التي ينظر بها السيد المسيح الى عبادته ولكن ما الفائدة ان لم تراقب العين جميع حركات الجسد ؟ وكيف تراقب حركات الجسد ان لم تكن في اعلا الرأس حيث وضعها الخالق ؟ وقال ايضاً : روح الحياة الرهبانية لا تتوقف حقيقة على السكن بين الجمهور في دير واحد ولا على المشاركة بالاسم والثوب لان هذه من متعلقات الجسد لا الروح لكنه يتوقف على العيشة العمومية والاشتراك في الاعمال الروحية والزمنية لان الاشتراك وحده يظهر به الاتحاد في المقاصد والרגائب

ولاحظ القديس غريغوريوس ان مسح داود ملكاً بالدهن وهو بين اخوته من جملة ما جرى في حفلة قيامه ملكاً وذلك دليل على ان الاسقف لا يتقلد وظيفته لخير نفسه بل لخير اخوته

و٢ ان الرئيس مأمور بمساواة نفسه بجمهوره في العيشة المشتركة العمومية

وان تسمى بشرف منصبه فيكون هو وجمهوره كالدائرة التي تبعد اشعتها عن المركز بعداً واحداً متساوياً

و ٣ انه عليه ان يتحاشى ابداء كل حركة لا تصلح لبنيان القريب وافادته لانه قائم في بهرة الحلقة على مرأى من الجميع اه ( ك ٦ على سفر الملوك )

قال القديس امبروسوس : لا يعفى الملك من حفظ الشرائع واذا سمح لنفسه بتجاوزها يكون كانه سمح به للجميع بقوة مثله

وجاء في الحق القانوني ( في الاحكام ك ١ عنوان ٢ ) الزم ما سنته لغيرك اه والمراد بذلك ان الجميع متساوون بازاء الشريعة وانه لا شيء يشين الرئيس مثل ايجابه على غيره حفظ شريعة لا يوجبها على نفسه

ومما يروى ان افلاطون قال : ان سعادة المملكة تقوم باستقامة الشريعة وتوجهها الى الخير العام واذعان الملك لها وهو المقام للمحافظة عليها اذعاناً كاملاً ولما كانت الرهبانية لا تقوم الا بمحفظ رسومها وقوانينها التي هي اساسها وعمدها فمن لا يرى ان الرئيس مأمور اكثر من غيره بالخضوع لها وبمحفظها بدقة وضبط ؟ ان ضرورة عيشة الرئيس عيشة مشتركة واهميتها لمن الامور التي تحقّقها مؤسسو الرهبانيات والمصلحون فيها حتى انهم يمنعون بالاجماع عن الرياسة من تعوّقه الشيخوخة او بعض الامراض عن حفظ قانونه ومساواة الجمهور في جميع الاعمال العمومية فالقديس برناردوس لم يتأخر عن ان يجرب نفسه وهو مريض مرضاً شديداً الى مشاركة الاخوة في الرياضات العمومية وكان من عادته ان يقول في ذلك : ان انفصال الرأس عن الاعضاء لا يكون بلا خطر . اه

وكان الطوباوي غوريق احد تلامذة هذا القديس يهتف قائلاً : ويلي ان مرضي يتهمني عن ان اتقدم رهباني في جميع اعمالهم ويحرمني ما اشعر من اللذة في ذلك والقيام بما توجه عليّ وظيفتي . ولما امسيت عاجزاً عن سياسة الجماهير ومساواتهم في رياضاتهم فلم يبق لي سوى انقيادي للجميع بالخضوع والطاعة اه ورب معترض يقول : قد يكون الابتعاد داعياً للاحترام لانه من عادة الناس ان يعتبروا كثيراً من كان متحجباً عن الابصار فالجواب : ان هذا لا ينطبق على الرئيس بل الرأس مخارق لكي يكون متحداً مع الجثمان ولا مجدة ولا سعادة



ولا حياة الا بهذا الاتحاد الدائم لانه اذا عجز عن تدبير حركات جسمانه وانعاشها فانتته غايته واصبح كانه لم يكن ولهذا هتف ذكرى ( ف ١١ ) موجناً الرئيس الذي يتغيب عن مركزه فقال : ليها الراعي الذي يترك قطيعه ما انت الا صنماً ولعمري ان الصنم هو ما يدعي لنفسه اكراماً لا يليق الا بالاله الحقيقي وهكذا المبتعد عن مروتوسيه فانه كالتمثال له عين ولا يبصر وآذان ولا يسمع وارجل ولا يمشي . اه

ورب آخر يقول : يقدر الرأس ان يقيم له وكيلاً جديراً حاذقاً . فالجواب ان هذا خطأ ايضاً لان الاختبار يرينا ان الوكيل لا يكون له ما للاصيل من النفوذ والاهابة

قال لويس غريناد : يطابق هذا المعنى ما جاء في المثل : ان الجواد لا يريجه شي ويجدد قواه مثل نظرة من صاحبه ولا حراثة تقيد التربة مثل وطأة مالكها فيها اه وهذا عينه يقال في مفعول نظر الرئيس واقتاده مروتوسيه لان شروراً كثيرة لا يردعها الا نظره وفوائده كبيرة لا يأتي بها الا حضوره هذا ومن المسلم به ان الراعي لا يقام لكي يدبر رعيته بواسطة غيره بل لكي يرعاها ويسوسها هو بنفسه اه

ورب ثالث يقول : ان كثرة الاشغال تعوق الرئيس عن ملازمة مروتوسيه في جميع اعمالهم اه فالجواب : انه قد يكون لهذا الكلام محل له شبه الحقيقة لو لم يكن عمل الرئيس الاعظم والاهم والاعز على قلبه والمرجح على ما يسواه عنده هو ان يتقدم مروتوسيه في كل اعمالهم لانه مأمور بان يرأسهم ويسوسهم ويسهر عليهم ويحضهم على الصلاح وينهض همهم بما يرون فيه من المثل الصالح . ألا ترى كيف تغادر قواد العساكر كل عمل لكي يتجردوا للعمل الوحيد المطاوب منهم الا وهو ان يشجعوا جنودهم ويدفعوهم الى الانتصار وهم ابداء في مقدمتهم وقد اخبر شيشرون قال : ان يوليوس قيصر لم يقل قط لجنوده اذهبوا الى هناك بل كان يقول لهم تعالوا الى هنا وان ابيالك لما كان يربط حزاماً ضرورية لمعدات المعسكر قال لجنوده : لقد نظرتم كيف عملت فاعملوا مثلي اه

وهكذا كان يقول جدعون لجنوده : فليقتد بي كل منكم وليفعل ما

يراني فاعله اه وامري ان هذه هي الاوامر الشريفة التي يمكن لافاضل القواد ان يصدروها لجيوشهم وان يفتخروا بها وكان الرسول نفسه يقول لاهل قورنثيه : فاسألکم ان تقتدوا بي كما انا اقتدي بالمسيح اه ( ١ قو ٤ ) وهكذا قال السيد له المجد لتلاميذه : انني قد اعطيتكم قدوة حتى انکم كما صنعت انا بکم تصنعون انتم ايضاً . اه ( لو ٣ : ١٥ ) فهذه هي بالحقيقة الوصية المقرونة بالصواب والشديدة التأثير التي يمكن الراعي الصالح ان يوحي بها الرعية ليحملها بها على ترك الرذائل وممارسة الفضائل

### الواجب ٣

انه ليس له ان يسمح لنفسه بما لا يريد ان يسمح به لغيره

من البين ان اخطاراً كبيراً تكتنف الرؤساء من هذه الجهة لانهم يلتزمون ما يلتزمه الرهبان من مقاومة الهوى ويزيدونهم بمقاومة السلطة التي يتمازجون بها عنهم فان كل انسان يفتقر الى من يساعده على ضبط اهوائه اما الرئيس الذي يري الجميع خاضعين له فيقتضي له ان يضبط اهواء نفسه بنفسه من دون مساعد خارج عنه وليعلم ان روح السلطة يميل به الى ان يسمح لنفسه بما لا يسمح به لغيره قال القديس غريغوريوس ( الراعي ق ٢ ف ٦ ) : لا يحسن احد استعمال السلطة مثل من يعرف كيف يقمعها ويقاوم مطامعها اه

وذكر بوسيت الشهير تنمة هذا المعنى فقال : لا يحافظ احد على السلطة حق المحافظة ويثبت اركانها الا من كان لا يدع احداً يتجاوزها ولا يدعها تتجاوز الحدود المرسومة لها فانه يعضدها من الخارج ويكبح هجماتها من الداخل اذ يتغلب على نفسه ويعمل بذاته ما لا يتجرأ احد ان يطالبه به اه ( من احدى عظاته ) لانه يوجب على من كان في المنزلة الاولى وكان له السلطان المطلق ان يكشف مجده بظل التواضع وان لا يسمح لنفسه باكثر مما يسمح بها لغيره . قال القديس امبروسيو : لا شيء يعرض الرجل الصالح للخطر مثل مقدرته على ما يريد وحصوله على ما يشتهي اه ( مديح داود ٠ ك ٢٠ ف ٢٠ ) وامري ان هذه هي الحقيقة الضرورية التي ينبغي لكل رئيس ان يدرسها ويحسن التأمل فيها

ولكن ما اصعب هذا الامتحان وما اشد هذه الحرب ! فلا غرو انه يشق على الانسان ان يمنع نفسه مما يرى الجميع يقدمونه له ويظهرون كأنهم يستميلونه اليه لانه يضاد اهواءه ورغائبه في حين لا يجد له ضدًا سوى نفسه وهذا هو الذي يضطره كثيرًا الى ان يخاطب ربه قائلاً : اللهم انت تحكم على من يحكمون على عبادك فليهب هولاء سلطانك لانه ما من احد يهابونه على الارض سواك . وليتجهوا بخضوعهم لهذا السلطان المطلق اذا لم يكن عليهم سلطان سواه قال ماركوس انطونيوس يتأسف على الافراط في السلطة عندما رأى في بعض الملوك ساطاناً اعمى وفي البعض سلطاناً اخرس ان ذوي السلطة العمياء هم اولئك الذين يظنون انه يحل لهم ان يعملوا كل ما لا يخافون من المواقظة به وذوو السلطان الاخرس هم من لا يتجروثون على ان يؤيدوا ما يعاونه ولا ان يأمروا بما لا يعملون . وقال اني وان كنت غير مكلف بالشرعية فلا اسلك الا بموجب احكامها اه وعلى هذا قال ساودرا : ان ما يمنع الملك عن تجاوز الشريعة ليس قوة فيها بل قوة العقل التي تُبنى الشريعة عليها ولما كان هذا البرهان طبعياً وعاماً في كل الناس فلا يليق بالملك الا ان يخضع للشرعية عند الاقتضاء وان كان في خضوعه لها لا يرى جدوى غير تسهيل حفظها على الرعية ولا ريب انه لاجل هذا السبب عينه أمر الله حزقيال ان يأكل الكتاب وذلك لكي يرى الشعب ان الملك ذاق الشريعة قبل الجميع واستعذبها فينقاد بمثله ويحفظها بكل تدقيق وضبط اه (التأليف نفسه ف ٢١)

هذا وان القديس فرنسيس سالس كان يقسم الروساء اربعة اقسام فالقسم الاول هم اهل المساحة الذين يتساهلون ببعض الاشياء لنفسهم ولغيرهم وهولاء انما هم الكسالى الذين يدعون الماء يجري في مجاريه اي انهم يتركون كلاً من مروتهم وشأنه . والقسم الثاني هم القساة الصارمون على انفسهم وعلى غيرهم فمولاء يفرطون في طلبهم الكمال فتجبط اعمالهم وتكون بلا نتيجة فينبغي اذن على الرقيق اللطيف ان ينتدي فيعامل نفسه باللطف والرقه لانه من لم يكن رقيقاً لنفسه وشفيقاً عليها فلن يرق وعلى من يشفق بعدها ؟ ليس اذن للرئيس وان كان قدوة الرهبان ان يطالب بكل ما يعمل هو نفسه لانه لما كانت المناسبة بين



الاعمال والمقام لازمة لزم ان تفوق اعمال الرئيس اعمال مروثوسيه هذا ومن الواجب ان يطالب الرئيس بما ترسمه القوانين لا بما زاد عنها فقياسه في مطالبة مروثوسيه هو ما يتدرون عليه هم لا ما يعملوه هو . والقسم الثالث هم التساة على انفسهم المتساهلون مع غيرهم من المروثوسين وهؤلاء هم المغفور لهم امام الله لانهم يعاملون غيرهم بالرفق واللين والقسم الرابع هم الذين يتساهلون في امور انفسهم ويقسون على غيرهم فانهم كالناقوس الذي يدعو الناس الى الصلاة وهو لا يقيسها او كالبلوق الذي يدعو الى الحرب وهو لا يدخل مضمارها او كالعمود المركوز على مفرق الطرق فهو يدل على سوء السيل لكنه لا يتحرك من موضعه فيطابق هؤلاء ما جاء في الحق القانوني من الكلام في الراعي وهو : ان احسنت السلوك واحسنت الوعظ علمت الناس كيف يسلكون وان انت احسنت الوعظ واسأت السلوك علمت كيف يدينك الله ويشجبك لا غير اه

قال الرب لشعبه : اقم عليك ملكاً من يختار الرب الهك من بين اخوتك . لكن لا يستكثر من الخيل . . . ولا من النساء ولا من الذهب والفضة ومتى جلس على عرش ملكه فليكتب له نسخة من هذه التوراة ولتكن عنده يقراء فيها كل ايام حياته لكي يتعلم كيف يتقي الرب الهه ويحفظ كلام هذه الشريعة كله وهذه الرسوم ويعمل بها اه ( تثنية الاشتراع ) والحال ان هذه الشريعة لا تحتوي كما قال بوسويت الامور الدينية فقط بل المدنية ايضاً والملك كان خاضعاً لها كسائر الناس بل كان احرص منهم على حفظها تبعاً لاستقامة ارادته اه ( السياسة المقدسة ٠ ك ٠٤ قضية ٠٤ )

فمضى اذن الزمان الذي فيه كان الروساء يتظاهرون بهيئات ملوكية ويتشعرون باثواب ذهبية ولا يُشاركون في تناول الطعام جمهور مروثوسيههم ويزورون املاكهم الواسعة وهم مصحوبون بالخدم والحشم ولا يدخلون اديرتهم الا نادراً ولا يمكثون فيها الا ساعات قليلة ولا يكلمون رهبانهم الا بما قل ظانين انهم يمثل هذه الاعمال الشاذة المعوجة يكتسبون الاعتبار ويكون لهم اهابة عند مروثوسيههم وقد فاتهم ان الناس منطورون على روح التضاد فانهم يقدمون الاكرام والاجلال لمن يابأها وينكرونها على كل من يتطلسها

فالقديس برناردوس بذل عناية عظيمة في استئصال هذه الشوائب والقديس فرنسيس الاسيزي افرغ كذلك كنانة جهده حتى يمنعها عن ان تتأصل في رهبانه فانه رأى يوماً رئيس رهبانيته العام المسمى ايلياً لابساً ثوباً من قماش انفس جنساً واعلى ثمناً من اثواب سائر الرهبان وقلنسوة اطول من قلانسهم واكماماً اوسع من اكمامهم وهو في ذلك يتمشى الحياء مشياً غير مألوف عند الرهبان وغير لائق بهم قال : اعطني هذا الثوب فخلا ايليا بنفسه قليلاً ثم اتاه به فاخذه حينئذ القديس ولبسه فوق ثوبه بتأنق ورفع قلنسوته عن رأسه واخذ يتمايل مترنحاً بين الاخوة المجتمعين قائلاً : وقاكم الله ايها الاخوان ! اه ثم خلع الثوب وطرحه بعيداً بنفور وتكره وقال للرئيس العام : ما هذا الثوب وهذه المشية الا للكذبة من ابنا رهبانيتنا اه ثم سكن جاشه وعادت اليه رزاقته والترم حدود الادب ومشى مشية التواضع وقال : هذه هي المشية وهذا هو الثوب وهذه هي الحشمة التي تليق بابناء رهبانية الاخوة الصغار الحقيقين اه

#### الواجب ٤

هو ان على الرئيس ان يكون قدوة كاملة في الصلاح الرهباني

ليس لاطباء الجسد ولوا اصحاء ان يولوا المرضى الذين يمرضونهم صحة من صحتهم بخلاف الامور الروحية فان صحة الرئيس فيها اي قداسته تثقل بسهولة منه الى مروثوسيه وان لها مفعولاً كبيراً في كل ما يقوله لهم او يعمل به بينهم فلا ينخدعن اذن الرئيس ويظن انه يكفيه لكي يكون رئيساً صالحاً الا يكون شريراً او لكي يكون قدوة لمروثوسيه الا يكون ذا مثل سيء لان من لا يهدم لا يعد بانياً ومن لا يذبح الخراف لا يعتبر انه راعيها وانه لو لم يكن اهمال الخير الواجب عمله ذنباً حقيقياً لما لعن السيد له المجد تلك التينة الخثوها من الثمر وهي لم تكن حينئذ حاملة اثاراً سيئة ولما حكم بهلاك العبد الذي اخفى فضة سيده وهو لم يسرفها . وعليه اذا كان لا يبني الاخوة بمثله فهو يشككهم لا محالة وان الله تعالى سيطاله بما يلزم عن القداسة من الافعال الصالحة والتقوية السامية التي كان من واجباته غرسها في قلوب مروثوسيه وذلك لا يكون الا اذا كان

الرئيس ممتازاً بقداسته سامياً بها والأفكيف يتأتى له أن يغرس الفضائل في قلوب غيره ؟ أيمكنه أن يتظاهر بالقداسة ؟ معاذ الله ! فلو كان كذلك لما وفي الغاية المقصودة من رياسته لأن المدين لا يقدر أن يفهم ما عليه من الديون بنقود زائفة والألزام في اهانة صاحب المال فينبغي أن يكون الرئيس ممتازاً بالقداسة ضرورة حتى يصلح أن يكون مثلاً حقيقياً للبنیان وأن يكون أيضاً على ما يطالبه الرسول من الاسقف أي متزهاً عن كل شائبة حتى لا ترى فيه عين مروثوسيه ولا عين الله ولا عين نفسه ما يوجب الإصلاح في أعماله ومن الثابت أنه لا يكفي أن نكون اتقياء امام الناس بل يجب أن نكون كذلك امام الله تعالى كما قال الانجيل المقدس عن ذكريا واليسابات من انها كانتا بارين امام الله هذا ومن البين أن زلة واحدة تشين الصيت وأن افعلاً عديدة صالحة لا تعيد إلى صاحبه تمام شرفه الأول لأن الجرح إذا ما اندمل سريعاً يبتى في موضعه اثر معروف للدلالة عليه . ومن واجبات الرئيس أن يكون حاصلاً فوق ما ذكرنا على فضائل سامية وأن لا يتأخر دقيقة واحدة عن التقدم في طريق الكمال وأن يعتبر الكمال اعتباراً لا مزيد عليه والألزام جهداً إلى أن يبلغه فعلاً وليتقن أن ما هو فرض كفاية على غيره هو عليه فرض وجوب وأن ما يطالب به غيره من باب المشورة يطالب به هو من باب الوصية وليكن غمه على ما لم ينل من الكمال بعد أكثر من فرحه بما نال منه فليقابل نشاطه بالنشاط الذي يطلبه منه القانون ولا يزنه بميزان غيره من المروثوسين . قال القديس غريغوريوس : على الرئيس بالنظر إلى مقامه السامي أن يعلم مروثوسيه طريق الكمال وأن يريهم منهج الإصلاح في نفس سالوكه بينهم اه ( الراعي ٠ ق ٢ ف ٠٣ ) لأنه من المبادئ الفلسفية المقررة أن كل عامل يعمل على شاكلته وأن المعاول لا يختلف جنساً عن علة كذلك المروثوس فانه لا يتوصل إلى أن يكون قديساً ما لم يرق القداسة مرسومة في شخص رئيسه فيتعلمها فيه . قال القديس غريغوريوس : أن المروثوس يذنب بالمخالفة فقط اما الرئيس فيذنب بترك الاعمال الصالحة . هذا يدان بسقوطه وذاك بتوقفه عن الصعود . هذا يقال فيه فقير إذا لم يكن حاصلاً على شيء من الاشياء ويقال لذلك فقيراً إذا لم يحصل على كل شيء وهكذا لا يقدر الرئيس



ان يرفع مروثوسه الى الدرجة الوسطى من سلم الصلاح اذا لم يكن امامه في اعلاها لان الرئيس يمثله اقوى منه بسلطانه اه . وقال ان من اراد ان يعبر بسفينته من عدوة الى اخرى يتعلّى مبتعداً عن النقطة التي يطلب ان يقف عندها حتى لا يجرّهُ السيل الى اسفل فتخب آماله . وهكذا الرئيس فانه مضطر ان يتقدم رهبانه في حفظ القانون بكل دقة اشفاقاً من ان يبلغ بهم الخلل الى ان تجرّهم سيول المجاري الطبيعية السريعة بل للنهمرة فيغادرون القوانين والرسوم وراء ظهورهم . لانه ان لم يبالغ في حفظ ما كان عرضياً منها اهمل الرهبان ما كان جوهياً بدعوى انهم ليس عليهم حفظ ما لم يسبقهم الرئيس الى حفظه . وقال التديس فرنسيس سالس : اعتاد الاطباء ان يجرّعوا مريض الطفل المريض بعض الدواء فتسري قوّته الى الحليب ومنه الى الرضيع فيشفى وهكذا المثل الصالح في الرئيس فانه يسري الى مروثوسيه فتشفى علاّتهم الادبية . ولا غرو ان حياة الرئيس المصبوغة بصبغ القداسة تؤثر في مروثوسيه كما اثرت عصي يعقوب المكشوفة في ضأن خاله لابان لما عرضها عليها عند ورودها الماء . واقول في الختام ان الكلام والمثل هما رفيقا الرئيس فايها افضل عندك يا ترى ؟ اما انا فاني افضل درهماً من المثل الصالح على قناطير من الكلام الفصيح . اه

وان قلت : باي مقدار يفوق الرئيس مروثوسيه بالقداسة ؟ قلت ما قال آباء الكنيسة واتيها الاعلام اذ تكلموا في الرعاية : بمقدار ما يفوق الراعي غنم رعيته او بمقدار ما يفوق الرأس سائر الاعضاء في البدن او بمقدار ما يفوق الخاتم قلبه الذي هو من شمع مذاب او بمقدار ما يفوق بلاط الملك حانوتات فيه الملك ليلة من ليالي اسفاره او بمقدار ما كان شاوول ممتازاً بقامته بين جميع رجال اسرائيل او بمقدار ما تفوق الشمس بنورها سائر الكواكب التي تستنير بها اه هذا واذا صحّ ما قاله التديس يوحنا الذهبي فه وهو ان من يعترف بالسيد المسيح بالقم ولا يعجده بالفعل لا يكون اعترافه هذا اعترافاً بل اهانة كبرى أفلا يصح كذلك القول ان من يمثل السيد المسيح بسلطانه السامي ويأبى ان يمثله بصلاحة او من يقبل من لدنه تعالى السلطان الذي هو من صفاته الجوهرية ويرفض القداسة التي هي افضل من السلطان يلحق بالله تعالى اهانة كبرى ؟

بل يقتري على ذات الله بمحاولته فصل ما لا ينفصل فيه تقَدَّست سبحات جماله  
ووجدانيته الازلية؟ ولعمري أيستطيع السفير ان يقوم بحق سفارته ان لم يشر  
باقواله واعماله الى افكار دولته وارادات سلطانه المقدسة؟ قال القديس  
بونا ونتورا ان نواب السيد المسيح ولا سيما الرؤساء منهم يجب ان ياثاوه بثلاثة  
امور بالذلة وذلك ان يستعذبوا ما يستعذبه وبذلك يطلبون من مروضيهم ما يطلبه  
المسيح نفسه لو كان في ظهرايتهم وبالقدوة لتحصيل ما يقتضي تحصيله وبالقداسة  
ليكونوا قدوة صلاح لدن غيرهم وقداسة السيرة هذه هي الموضع الاهم الذي  
ينبغي للرئيس ان يتشبه فيه بعلمه الالهي ان كان يريد حقيقة ان يجد مرسله  
ويكون دستور الكمال لكل من يراه وان يقال فيه ما قاله القديس امبروسيوس  
في السيد المسيح المتألم : اقتدى به كثيرون ولكن لم يكن له نظير وشابهه  
كثيرون ولكن لم يساوه احد . اهـ

## الفصل الرابع

في المحبة الواجبة في الرئيس

العدد ١

في ضرورتها فيه

ان السيد المسيح اقام في الارض قضاة انصاراً للعدل وملوكاً انصاراً للقوة  
ووعاظاً انصاراً لكلمته اما المحبة التي هي أسمى الفضائل فأقام لها الرؤساء  
انصاراً ولذلك لم يطلب من القديس بطرس الا المحبة لانه لم يسأله عما اذا كان  
متواضعاً او صبوراً او كريماً او عالماً بل سأله وكرر عليه السؤال ثلاث دفعات  
عما اذا كان يحبه ولما كان الرؤساء هم انصار المحبة وكان لا شيء يظهر المحبة  
فيهم الا عنايتهم باخوتهم اراد السيد المسيح ان يرى في بطرس محبته للرعاية  
تحاكي محبته تعالى للخلاص فالمحبة اذن في الرئيس هي شيء جوهري بل هي  
كنفس للرياسة لانه لو اجتمعت في الرئيس كل المناقب الحميدة بدونها لما كانت

تلك المناقب الاشياء عرضياً او جسماً عارياً من النفس : اه (مودست دي سانت امابل . الرأس الكامل . ك ١ ف ١)

فكان للمحبة السيادة على سائر الفضائل اللازمة لحسن الرياسة فهي التي تسلك الطريق المؤدية اليها وهي التي تدفع الرئيس الى السير فيها وهي التي تكسبه الحياة والقوة لذلك . ومن المبادي المقررة عند الفلاسفة ان العلة الغائية هي علة العلل او العلة الاولى او العلة المحركة وكلما كان العامل عارفاً هذه الغاية وراغباً فيها اجتهد في عمله ونجح فيه والحال ما العلة الغائية في الرئاسة الا المحبة فكلما كان الرئيس محباً لجماعته تحمل لاجلهم المشاق وباشر الاعمال العظيمة لان المحبة على رأي اريستوت هي حب الخير وزاد على هذا افلاطون فقال ان الذي يحب محبة حقيقية لا حياة له في نفسه بل حياته في محبوبه وقال القديس اغوستينوس ان المحبة هي ثقل دافع فالذي دفع اسكندر وقصر الى بذل حياته في الاتعاب والمشقات هو الطمع في مجد الدنيا لانه غايتها الاخيرة والثقل الدافع اليها والذي حمل السيد المسيح على ان يموت عنا هو محبته لمجد الله وغيرته على خلاص نفوسنا ولا غرو ان ذلك غايته والثقل الدافع اليه فيظهر اذن ان الاحسان الذي يصنعه الرئيس لروثوسيه انما هو برهان على محبته لهم وقياس لها فان كانت المحبة عظيمة كان الاحسان عظيماً وان صغيرة كان صغيراً . ألا ترى كيف يصعد الماء الى عل ولا يتجاوز سطح ينبوعه ارتقاءً هكذا الاحسان فانه لا يفوق مقدار المحبة .

فالمحبة اذن هي وحدها التي تجعل الرئيس قادراً على تحمل اثقال الجمهور لان تعب الرئيس ونصبه لاجل غيره لا يكون الا بالمحبة . فان الرقعة التي كانت اسماء اسباط اسرائيل الاثني عشر مكتوبة عليها كانت معلقة على منكبي عظيم الكهنة وعلى صدره اشارة الى ان المحبة التي مركزها الصدر تخفف الاثقال الموضوعة على المناكب وانها لا تكون بغير صبر وان الصبر لا يكون حيث لا محبة والمحبة هي التي تكن الرئيس من اكتساب قلوب روثوسيه وثقتهم به فمن اراد ان يكون محبوباً عليه ان يحب لانه ما ثواب المحبة الا المحبة وهي لا تحل بارض حتى تفيض فيها الاحسان والاعمال الصالحة التي لا يعملها الا الابطال اولو



الصلاح فالراهب الذي يشعر بان رئيسه لا يامله الا بروح الرب بالتجرد عن كل غرض وهو يقبل منه برضا وطيبة خاطر كل ما يلقاه منه حتى التوبيخ والعقاب والاسباب التي توجب على الرئيس محبة مروثوسيه عديدة منها ١ : كون الرهبان هم ابناء الله الاعزاء والثمرة الثمينة التي ربجها السيد المسيح بانتصاره العجيب ومخدع الروح القدس المبجل ولعمري ان المحبوبين جداً من الله الذين تتلأأ فيهم الفضائل المحبوبة لهم جديرون بان يحبوا حباً فائقاً و ٢ : تركهم كل شيء لاجل الله فيحق لهم ان يتعوضوا برئيسهم عن الاب والام والاخوة والاخوات وان يروا منه كل رقة وبشاشة وملاطفة كما يجري بين اهل وذوي القربات في العيشة العالمية و ٣ : تعرضهم غالباً للاهانة والاحتقار والاضطهاد من قبل اهل الدنيا فمن لهم بان يعرضهم عن هذه الاتعاب بالتسلي والمعاودة سوى رئيسهم ؟ و ٤ : تضحية انفسهم في الصلاة والدرس ومباشرة افعال المحبة والغيرة وتقديمها محرقة للسيد المسيح وكنيسته أفلا يكفي ذلك لان يحبهم من يحب الله ويأخذ دلي نفسه عهداً بتعظيم مجد الله ونشره بين بني البشر ؟ و ٥ : اعتبارهم هم ملين وتعباء اذا لم يحصلوا على محبة رئيسهم لان اهل الدنيا يغادرون وطنهم ومراكزهم عند حدوث المصائب ويفتشوا عن مكان يرتاحون فيه اما الرهبان فقيّدوا انفسهم بنذر الطاعة والتموا سكنى الدير فصاروا مجبرين ان يصرفوا سنين عديدة بل الحياة كلها في مركز واحد وعيشة واحدة

فهذه الابارات وما شاكلها هي التي حمات الاب اكوافيفا رئيس الرهبان اليسوعيين العام على ان يكتب الى رؤساء رهبانيته ما نصه : يجب ان تكون سياستكم رهبانكم ذات رفق وحكمة حتى تستطيعوا بها ان تعبدوا الله بمحبة خالصة وقلب مطمئن ونفس راضية فانهم هم ابناء الله وهذا كاف لكي تفهموا باية عين تراعونهم وباية محبة تحبونهم وباية عناية تشملونهم فاعتنوا بهم اخذوا بذلوا لهم محبتكم وعاملوهم كالاولادكم وكونوا لهم ابا واماً ومرضعاً وطبيباً وبالاجمال كونوا كلاً لكل وابذلوا قصارى الجهد في ان تروهم ان هذه هي حاساتكم نحوهم وانها لاتنفك على هذا الخاوض طول الحياة فتتادونهم بذلك حيثما شتم وكيفما شتم لانكم تكونون قد اسرتم قلوبهم فان القديس

برزدوس قال : اعلّموا ايها الروساء انكم لستم ارباب مروّسيكم بل انتم لهم آباء وامهات فعليكم ان تجعلوهم يحبونكم لا ان يخافونكم وما بالكم تثقلون على مناكب انتم ملتزمون ان تضعوا مناكبكم موضعها؟ او ما يضطرّ الولد ان يفرّ من حصن لسعته فيه الحية وهو يترجى ان يلاقى فيه مهرباً وملجأ؟ اما سمعتم قول الرسول : يا اولادي الذين اتخض بهم ثنية؟ (غلا. ف. ٤. ص ١٦) وقوله ايضاً : قد كنا ذوي رفيق بينكم مثل ام تحتضن بنياً؟ (ت. ٢: ٧) فمن اللازم الضروري اذن ان يظهر الروساء انفسهم اروّسيهم ذوي رفيق وحام ومحبّة ابوية حتى يستطيع الرهبان بسهولة ودألة ان يكشفوا لهم اسرار قلوبهم وقال القديس فرنسيس كسفاريوس في احد مكاتيبه : اذا رغب الرئيس في ان يكون مهيئاً اكثر من ان يكون محبوباً واحب ان يظهر قسوة الارباب وسلطانهم لا بشاشة الوالدين وحنانهم يرى حينئذ قليلين يرومون الدخول في الرهبانية بل يرى كايّرين يرغبون في الخروج منها . اهـ

## العدد ٢

### في صفة هذه المحبة

ان الرئيس هو اب وهو كذلك رأس كما يدل عليه لقبه (الاب الرئيس) فكل يعرف كيف يجب الاب بنيه لاسيما من حيث انه رأس لان الرأس يهتم بالجسم اكثر من اهتمام الاب باولاده فان الاولاد ينفصلون وقتاً من الاوقات عن ابيهم اما الجسم فلا ينفصل عن الهامة دقيقة واحدة وقد يكون للاب رغائب ومصالح تخالف رغائب ابنه ومصالحه اما الرأس فلا رغبة له ولا مصلحة تخالف مصلحة الاعضاء ورغبتها فعلى الرئيس اذن بصفة كونه اباً ورأساً ان يحب رهبانه محبة باطنة راسخة فائضة فعالة ذات انس وحنان ثابتة لا تغيرها الحدّثان ويجب بالاختصاص ان تكون هذه المحبة خالصة عمومية ونحن الان نكتفي بايضاح هاتين الصفتين الاخيرتين بموجب شرح الاب بونفيس فنقول

أ. ينبغي ان تكون محبة الرئيس خالصة قلبية لانها ان لم يكن مصدرها القلب ومركزها فيه تكن كاذبة لانها اذ ذاك لا تتصف الا ببعض الصفات

الخارجية والالفاظ المنمقة التمليلية وبيعض حركات أدبية وبوجه انيس وبيعض التمني الفارغ فتكون بهذا معتسفة معوجة مزعجة قائمة بالتظاهر لا خير فيها ولا نتيجة منها ومن كانت هذه المحبة الكاذبة محبته لا تراه بشوشاً لطيفاً الا في بعض الاوقات عندما يكون له غرض من الاغراض او عندما تقتضي ذاك المصلحة او السياسة لان الرئيس اذا كان لا يهمة الا نفسه كان اجنبياً عن افراح جماعته واحزانهم وعرياً عن عواطف المحبة والرافة التي يتكلم فيها الكتاب فلا تراه قادراً على مؤاساة الضعيف ولا يفرح مع الفرحين ولا ينظر في امر المحتاجين ولا يحتمل ضعف الضعفاء بل يصبح احط من ان يرتفع الى عواطف الحب والحنو والغيرة التي هي من خصائص الابوة بل يتخلق باخلاق مأمور قاس بليد واذا رأى ان مروثوسيه لا يحبونه فيتغزى ظناً منه انهم يهابونه ولا يقدمون على مقاومته ويطرح اللطف جانباً ويسوق رهبانه بعضاً من حديد اي بالقوة الغالبة تبعاً لما يسنح له من الاهواء وما يترض له من المصالح الخصوصية فعندما يرى الروثوسون روساءهم يعاملونهم بثل هذه المعاملة كانهم يريدون بذلك ترويضهم كالبهائم لا تهذيبهم بروح الله يأخذون في التشكي والتذمر ويهس بعضهم في اذن بعض قائلاً حتى متى نكون العوبة وسخرية انهم يظهرون لنا شيئاً ويبطنون آخر فطالما وعدونا بالمحبة والعناية الابوية ولم نزل نراهم يعاملوننا معاملة صبيان المدارس اي يرونا طرفي التخويف والتمليق الكاذب الى غير ذلك فلا تلبث الثقة ان تضعف حتى تزل من قلوبهم بعد مدة قصيرة ونار الدعوة الرهبانية ان تحمد فيهم فتفقد الجماعة فرح النفس وروح الالفة وان كانوا يجدون فيها سبب راحتهم وبنيانهم بالرب

٢ ينبغي ان تكون محبة الرئيس عومية شاملة فليت شعري اذا كانت الطيور تقوت كل اولادها والدجاج تظل باجنحتها كل فراخها وسائر الحيوانات ترضع صغارها من دون استثناء ولا تميز أفيمكن ان يخص الرئيس بعنايته بعضاً من اولاده الروحانيين اولتهم اياه العناية الربانية ويميزه عن البعض الاخر وصنة الابوة فيه والامومة تسمو مثلها في سائر الحيوان ؟ ان النخاع ليس بحاسة من الحواس لكنه يوزع الحياة بين جميع الحواس والرجل ليست الرأس والرأس



يعتني بها اية عناية ومركز اقلب في وسط البدن يوزع حرارة الحياة على الاعضاء  
اجمع والشمس تضيئ من المشرق الى المغرب على الاخيار والاشرار والصليب الذي  
مات عليه ابن الله كان متجهاً الى كل الجهات وهكذا قلب الرئيس فانه خير عام  
لا ينحصر بواحد من مروثوسيه فقط وليس لواحد منهم حق فيه اكثر من الآخر  
فيجب ان تمتد محبته من دون استثناء ولا انقطاع بين اولئك الذين تقلد سياستهم  
والترم ان يرشدهم ويقوتهم روحياً ومادياً امتداداً متزهاً عن النظر الى اختلاف  
الطبقات بينهم من حيث المقام والشرف والوطن والجدارة . وليحذر ان يحب  
احداً لمجرد حسن صفاته وان يبغض احداً لاجل نقائصه بل فليكن سهلاً بشوشاً  
متواكلاً بالمحبة نحو القاضين والمتوانين والجديرين بذلك والمتقاعسين . لانه على  
ما قال مودست دي سانت امابل : انه لا يسوغ للمروثوس ان يتخلص من  
طاعة رئيسه ما دام رئيساً وان لم يكن كاملاً او قديساً كذلك لا يسوغ للرئيس  
ان يفتر في محبة مروثوسه ما دام طائعاً له وان يكن مستوجب اللوم والتشريع  
ومن ذا الذي يرى ان النعجة اذا ضأت او مرضت لا تبقى نعجة راعياً جديرة  
بعنايته ومن يعلم كم من الزمان يدوم هذا الضلال او هذا المرض وزناً يكون  
المرض قارب الشفاء والضلال لا يلبث ان يهدى حتى يزول فيفطم القلب فرحاً  
وسروراً اه ( الرئيس الكامل . ك ٠ ١ ف ٠ ٢ )

فاذا كانت محبة الرئيس خالصة شاملة كما تقدم كانت بينه وبين مروثوسيه  
كالعروة الوثقى لا انفصام لها فهو لاء يحلونه في قلوبهم لاتهم يشعرون كأنهم في  
قلبه واذا ما تأكدوا محبته واعتباره اياهم قابله بامثال ذلك بل باضعافه وهذه  
المحبة هي علاقة مباركة ولحمة مقدسة تربط كضمة واحدة اشخاصاً متعددين  
تباينت اخلاقهم وتعارضت اميالهم لان المحبة وحدها قوة بها تجمع بين الازداد  
ومن المبادئ المقررة بالطبع انه اذا وافق شيان ثالثاً توافقاً بينهما هذا واخر  
القديس غريغوريوس التريزي قال : كنت اذهب الى القسطنطينية لاعظ وكنت  
ارى الشعب متهاقاً لسباع كرامة الله مندهشاً مندهلاً كأنه سلسلة من حديد انتشرت  
حلقاتها فوجه الى بعضها حجر مغناطيس فيجذبه اليه وجذب هذا غيره من تلك  
الحلقات وهكذا لم يبرح يتجاذب بعضها بعضاً الى ان تجمعت السلسلة وانتظمت

سلكاً كاملاً وعادت مرتبطة كما كانت غير انه لا رابط لها سوى قوة غير منظورة  
فالمحبة لا تشب في سيرها ولا تطفر غير انه لا مانع يؤخرها عن التقدم ولا  
يقعدها نكران الجميل ولا تكل من المقاومة والمضادة لكنها تثبت في عملها  
بل تتقدم ابدًا وتغلب الشر بالخير وكلما ازدادت امامها المصاعب ازدادت هي  
قوة وحمية فهي كالوالدة التي لا تكثرت لما تتحمله من السهر والتعب المتواصل  
والتعليقات المتكررة في سبيل شفاء ابنها من مرض اصابه ما دامت تراه غير  
حاصل على الشفاء التام . وهكذا الرئيس يضاعف قواه واجتهاده ويخلق وسائط  
جديدة توصله الى غايته ويأبى ان يذوق راحة او تغذية قبل ان يرى رهبانه  
يذوقون سعادة دعوتهم ويتقدمون في الفضائل الرهبانية السامية

## [ الكتاب الثالث ]

### في الفطنة

ضرورتها - السياسة الدينية والسياسة العالمية - شروط

لازمة جوهرية للفطنة الدينية

### الفصل الاول

في ان الفطنة ضرورية لحسن السياسة

عدد ١

. تحديد الفطنة

ان الفطنة كما يحدها القديس باسيليوس هي التمييز بدقة بين ما يجب  
عمله وما لا يجب .

والقديس برناردوس يقول ان الفطنة هي معرفة الخير والشر فانها تعلمنا كيف

نسير ونرتشد الى الوسائط التي يجب استعمالها للوصول الى الغاية ويسمى رئيسة سائر الفضائل لانها تدبرها بامرها ولا تدعها تتجاوز الحد الاوسط لئلا تفسد بزيادة او نقصان وقال كما ان الله جلت حكمته اعطى الحيوانات عيونا ترشدها في طريقها كذلك منح الروساء الفطنة لكي يقتادوا بها رهبانهم في ظلام هذا العالم وخطاره

وحدّ الطوباوي لاوتردوس الموريسي الفطنة قال انها الفضيلة التي تعلم الانسان ان يعمل كل شيء بما يوافقه من النوع والزمان والمكان وصفاتها الجوهرية سعة النظر او التبصر بتدقيق والتأني بالحكم وثمارها الثمينة هي طلب المشورة والحكم باستقامة

وقد زاد القديس توما على هذه التحديدات فقال ان الفطنة تقتضي اللطف وخفض الجانب ليتمكن صاحبها من ان يستفيد من مشورات القريب وتقتضي الحداقة لكي يسهل عليها تسميم مقاصدها والاستقامة في الحكم لئلا تتيه في الضلالة وتجمع في الغواية وسرعة النظر في الامور لئلا تفعل شيئاً قبل التعق في البحث عنه وتقتضي ايضاً الباقية لكي تسهل الصعب وتبتعد عن الاخطار التي تصادها

وعليه فالفطنة هي فيضان من النور الالهي الذي ينيرنا في اعمالنا ومقاصدنا ويساعدنا في تمييز الحق من الباطل والخير من الشر ويعد لنا الوسائط ويمهد لنا الطريق المبلغة الى الغاية بالامان والسلام ويرينا المستقبل في الماضي فيطلعنا من نتائج هذا على كثير من غوامض ذلك . هذا ومركز الفطنة العقل وبه تسوس وتدبر جميع الفضائل التي يجمعها مركز الارادة واما اقسامها الجوهرية فهي ثلاثة ذكر الماضي ومعرفة الحاضر والنظر في المستقبل كأنه حاضر

ان احد القدماء مثل الفطنة بصورة يد مرصعة بالعيون فيها خمسة اصابع وهي ١ الذاكرة ومن خواصها حفظ ثمار القراءات وكل فائدة تستخلصها من مطالعة سير المتقدمين والحقايق التي تدركها بالاختبار الجاري لها في اعمالها الخصوصية

٢ الذهن الذي يزن بكل دقة سير من تعامله وافكاره وحركاته وطباعه



واهلته ويعمق في ادراك حقيقة الاعمال غير مكتفٍ بالنظر الى ظاهرها ويعرف كيف يتخذ المشورة من العقلاء الامناء والخالى الغرض . ولا يأنف من ان ينعطف بكل دعة بعد البحث المدقق الى استماع النصيحة الآتلة الى استقامة السيرة وشرف النفس والطبائنة

٣ سعة النظر وبها يتقرب الانسان الفرص المناسبة ويكشف النقاب عن الاخطار ويفضح الخداع ويمرّص على نفسه . ولا يتعرض للعمل الا في الفرصة المناسبة وعند تأكيد النجاح

٤ البصيرة ومن شأن صاحبها ان يجول باحثاً مدققاً فيتخذ من بعض مقدمات نتائج مفيدة ويولد بعض الحيل والوسائط الكافلة لنجاح مساعيه

٥ الشروع وصاحبه يجري بالفعل ما يكون عزم على عمله ويشرع فيه بكل حذاقة ونشاط فانه طوراً يتقدم وتارة يتأخرو ويتحجم مرة المخاطر واخرى يتخلص منها على موجب موافقة الظروف لكنه قائم ابداً على قدم الثبات يتقدم نحو الغاية ولو حال بينه وبينها اشد الموانع

## المد ٢

في ان الفطنة تعد من مزايا رؤساء الجماعات

قال الملك داود فالان ايها الملوك تعقلوا واتعظوا يا قضاة الارض . قال العلامة بوسويت تفصيلاً لهذه الاية : على الناس اجمع ان يتعقلوا واما الملك الذي تستريح على عاتقه المملكة كلها وتجد فيه وحده المعرك الاول لكل اعمالها فكلما قل اضطرابه لان يؤدي حساباً لغيره ويوشد منه وجب عليه ان يتعقل ويحتكم لان ما لا يعمل به الانسان عن تعقل يعمل به اما عن ميل الى الشهوة البهيمية واما عن فظاظة او شراسة وهذا يكون مجلبة لكل ما فيه تشويش النظام والتقلب والجور والظلم ولعمري ان كان لا يقدر احد ان يروض حصاناً ولا ان يرعى قطيعاً من دون حكمة وتعقل فكيف يمكنه بدون هذه الموهبة ان يدبر ويسوس الخراف الناطقة اه ( السياسة المقدسة ك ه )

وقال اريستوط بما ان مهمة الملوك هي ان يأمرؤا العباد ويقوّموا سبلهم ينبغي

ان تكون الحكمة مستقرة فيهم كما تستقر في عرشها الذي عنه تصدر اوامرها  
ومنه ترسل انوارها اه . وقال في موضع آخر : ان المعد منذ صغره ليأمر وينهي  
اذا هو من فاق اقرانه بالحداقة والذوق السليم  
وقال يوحنا آقلا مستدأ على قول المسيح لتلاميذه : انتم ملح الارض . ان  
الفطنة هي اعظم فضيلة تزين السلطة وتعزدها

ويسمي القديس توما الفطنة الفضيلة المختصة بالملوك اذ يقول ان السلطان  
يملك ويكون حكيماً ويقضي على الارض بالعدل والانصاف (ف ٢٣) والحكيم  
ينصح الملك الشاب قائلاً ان الفطنة تقيد اكثر مما تقيد القوة ولها وحدها ان تقيد  
من الانحطاط الذي يتهدد الملوك عادة وهي التي تخفف اتعاب الملك وترضي  
الملوك وهي للسلطان ارث وعليه ان يفضلها على كل فضيلة سواها

والقى احدهم يوماً سوّاً الأبحرة ألفونس الكبير ملك الارغون قال هل  
يمكن ملكاً مثل مولاي ان يضحي فقيراً ؟ فأجاب الملك نعم يمكن ذلك لو  
كانت الحكمة تبتاع بالدراهم . اه واعلن بذلك ان مثل سليمان يشتريها بكل  
ما عنده ثم قال ان الحكمة وحدها تزي الملك الامور على ما هي عليه وتدله  
على ما تؤول اليه فيما بعد ولا تدعه يفعل شيئاً بمجلة دون تبصر .

فالحكمة والمشورة تنجح كل مساعي الانسان قال الحكيم : بالحكمة يبني  
البيت وبالفطنة يثبت وبالعلم تمتلي . الاخادير من كل مال نفيس شهى . الرجل  
الحكيم ذو عزة والانسان العالم مويد القوة لانك بالدربة تصلي حربك وبكثرة  
المشيرين الخلاص اه ( امثال )

فالغلبة والانتصار هما عمل الرأس اكثر مما هما عمل الايدي والامال بالظفر  
معقودة على دربة القواد اكثر مما هي معقودة على قوة الجند وبسالتهم .

قالت الحكمة : بي الملوك يملكون والعظماء يشترعون ما هو العدل ( امثال )  
وللفطنة السيادة جتى لها الامر والنهي ولو كانت في نفس المولودين خدمة وعبيداً  
لان العبد العاقل يسود على الابن ذي الفضائح ويقاسم الاخوة الميراث ( امثال ١٧ )  
فكأنه وصي لهم او شريك ميراثهم . تبصر في منهج قدميك فتثبت جميع  
طرقك ( ٢٦ : ٤ ) من ينظر الى الايام لا تعثر رجليه فضرورة الحكمة تكون

بمقدار ضرورة العزم والحزم وعليه يجب ان تلازمك الحكمة ملازمة غير منفكة  
واما الحزم والعزم فهما ثمره الفهم والتعقل ومن شأن الحكيم ان يسير من دون  
تقلب او تقاعد فان الرجل الحكيم هو ثابت كالشمس واما الجاهل فيتغير كالقمر  
( سيراخ ٢٧ )

قال احد الملوك الحكماء : لي المشورة والاستقامة لي الفطنة والقوة .  
( امثال ) وهذه اذا تأملناها جيداً نجدها غير منفكة الواحدة منهما عن الاخرى  
فالرجل العاقل يعرف كيف يخاف حيث يكون محل للخوف ويرتشد بالمشورات  
الصالحة حيث مسيس الحاجة اليها .

فان الدولة المكيئة الاركان تستند الى الشرائع واما فهم الشرائع والمسير  
بموجبها فلا يُعطى الا من الحكمة فان الرب لما اقام يشوع قائداً على شعبه أمره  
ان يدرس شريعة موسى التي كانت شريعة مملكته وذلك لكي يفهم كل ما  
يعلم . ( يشوع ١ ) وأوصى داود بمثل هذه التعاليم ابنه سليمان عند ساعة موته  
قال : احفظ وصايا الرب لتفلح في كل ما تعمل وحيثما توجهت ( ملوك ٣ : ٢ )  
وقال بوسويت في تفسيره هذه الآية : لا تدع احداً يدبرك كيفما شاء بل انت  
أدر نفسك بفطنة ومعرفة وليكن العقل مرشداً لكل خطواتك وتفهم كل ما  
تعمل ولماذا تعمل ؟

فاذا حصل رؤساء الشعب على الحكمة لا يعوزهم شيء لانها تأتيهم هم  
ومروثوسهم بجميع الخيرات فهي والحق يقال مرساة الممالك وابرة الملوك  
المغناطيسية .

### عدد ٣

في ان الرئيس لا يقدر ان يتسم مهمات وظيفته بدون الفطنة

الفطنة هي الفضيلة الجوهرية للرئيس ولا يمكنه ان يعتاض عنها بما سواها  
فقد يمكن ان يكون الانسان قديساً بدون هذه الفضيلة ولكن لا يقدر بدونها  
ان يكون من رجال السياسة لانه وان عمل بعض الاعمال الصالحة لا يجني كبير  
فائدة اذ لا يعملها باوقاتها وسائر ظروفها ولعمري اذا كان اقتضى كما شهد كثير



من الالباء القديسين ان يدبر الملائكة ذوو الحكمة السماوية اجرام الفلك التي لا عمل لها سوى تغيير الفصول في السنة وان يزيد الله بضلائل مهارة في الصناعة وان يلاؤه من روحه حكمة وفهماً ومعرفة ( خروج ٣١ ) لكي يحكم عمل قبة العهد وتركيبها واذا كان سليمان لا ادعي لبناء الهيكل تضرع إلى الله ان يهبه عون يده الالهية التي صورت العالم وخلقته فأني فهم وأي حكمة لا تلزم لمن فوض اليه ان يصعد الانفس الشريفة الى أسنى الغايات وأشرفها فان الرؤساء بدون الفطنة يعرضون هذه الانفس للاخطار التي تحاكي بعظمتها عظم الدرجة التي أوتوها من الله لصلاحها وخلاصها .

فقد علم علماء الكنيسة ما يؤيده الاختبار كل يوم وهو ان الافضل ان تسلم الرياسات في الرهبانية الى رجل قليل القداسة كثير الفطنة من ان تلقى مقاليدها بين يدي رجل كثير القداسة قليل الفطنة وان نخب في الانتخابات ان نفضل هذا على ذاك وهذا من مبادي القديس اغناطيوس القريد بهذه المعارف قال اني اقرّ معترفاً ان الاقل حكمة بمقتضى روح العالم قد يحسن السياسة بعض الاحيان في الروحانيات لانه ياتمس فينال من الله أنواراً لا يمكن الفطنة البشرية ان تمنحها ومع ذلك إذا تكلمنا بوجه العموم فنقول ان القداسة لا تكفي لسياسة القريب لان الرئيس لا يصلح للرياسة ما لم يكن ذا فضيلة كبرى وذوق سليم أيضاً والاجدر به لاجل تتيم وظيفته ان يكون ذا فطنة صادقة خارقة العادة ولو لم تكن قداسته الاعتيادية من ان يكون ذا قداسة سامية وقليل الفطنة فكمال السياسة في الرياسة يكون في اجتماع قداسة كبرى مع فطنة خارقة لكن بما ان الكمال يتعسر وجوده في مثل هذا الامر كما في سواء يجب بدون أدنى ريب ان نفضل للرياسة من تسامي بالفطنة والحكمة على من تسامي بالقداسة والتقى لان هذه شخصية واما تلك فعمومية عائدة على الرهبانية بالخير والجدوى ومما هو حقيق بالاعتبار ان فطنة الرئيس ضرورية له ولجماعته لانه لا كان لا يسوغ لهؤلاء ان يسيروا بارادة نفوسهم في طريق القضيلة الخطر بل عليهم ان يسلموا نفوسهم لرؤسائهم بطاعة عمياء وجب ضرورة على الرئيس ان يكون فطناً حكيماً في قيادة نفسه وقيادة مروضيه ايضاً ولقد سبقنا فقلنا في كلامنا عن

صعوبة الرياسة (ف ١ ك ١) ان الرئيس قد يضطر احياناً كثيرة لان يراعي طباعاً غير مروضة ومصالح متباينة وان يحذر الاميال الشديدة والفورات البديهة وان يستيقظ وينتبه لامور كثيرة . فهل يكون كفوءاً لكل هذه العناية اذا لم يكن ذا فطنة قوية ؟ فمن الرهبان من تتيسر قياتهم بالكلام ومنهم من لا ينقادون الا بالمثل ومنهم من يعسر تقدمهم ولو خطوة واحدة الا بوخزهم بالمهاز ومنهم من يحتاجون الى حكمة ولجام لمنعهم عن التسرع والتعجل ثم ان المديح اذا كان ينجع في الواحد يثبت فيه عواطف الشهامة والبسالة فانه يضر بالآخر ويغلاؤه عجباً وخيلاً لان الناس متفاوتون في طرق الاصلاح فمنهم من ينفعه التشجيع والتشيط ومنهم من ينفعه التوبيخ والتوبيخ فهذا يوافقه ان تنصحه سراً وذاك جهاراً والتوبيخ القاسي الرتي يكون مفيداً لهذا ومضراً بذاك ورباً امر كان ينبغي ان تصنع البارع والان لا يسوغ لك عمله لان الاهواء والمقاصد قد تغيرت وقد تجد بين جماعتك من يوافقهم ان ترقب افعالهم وتبكتهم على ما اختلف فيها ولو طافياً امّا غيرهم فلا يوافقهم ذلك بل تضطر لان تعضي عن كثير من اعمالهم والا استولى عليهم النفور والياس وعليه وبما ان كل فرد من الجماعة يخلق خاص فيترتب ضرورة على الرئيس ان يكون ذا ذوق لطيف وحذاقة كبرى ليرى ما يوافق خلق كل واحد منهم وهواه .

ولعمري اذا كان يصعب على الانسان ان يعلم حق العلم بحاسات قلبه الباطنة وان يحسن تدبيرها فكم يكون صعباً عليه ان يكشف عن شواعر غيره الباطنة وان يدبرها فانما الفطنة هي التي تسكن احتدام الغيرة والتي ترسم للسهر واليقظ حدوداً وتضع لكل شيء حداً اوسط تقيم الحكمة فيه فان لم يراع الرئيس هذا الحد فالقضايا تسمى رذائل والفطنة هي التي تبين الشواذ التي يلزم غالباً ادخالها في القواعد العامة وهي التي تميز في الشريعة بين الروح الذي يحى والحرف الذي يقتل وتقدر ما هو لله وما هو للناس بمقداره واذا امكن وفقت بينهما محافظة على ما لله وما للعباد وهي التي تجمع بين الامور المتباينة كالحلم والغضب واللين والقساوة وبساطة القلب والتسكر والسرعة والابطاء وهي التي تزيل المناقضة التي تصور امرين واجبين ومتضادين معاً وتقابل بين الموافق وغير الموافق وبين ما

تخشى غوائله وما ترجو نوائله فتتعد العزم عن العمل وتعدل عما كانت قصده  
واذا شرعت بعمل عملت على اكتساب العقول وامالت اليها الاهواء والاغراض  
وابعدت عن عملها كل مانع وسهلت الطرق لباشرة الامور التي كانت تظور  
كأنها مستحيلة وقصارى الكلام ان القطنة تدخل في كل الامور السياسية فتحسن  
ترتيبها وتجزم جزءاً باتاً في أمورها أما إذا غابت أنوارها عن الرئيس وهو سد  
اذنيه عن سماع مشوراتها فإنه يعرض نفسه للاضاليل المختلفة وعثراته ربما توازي  
خطواته .

### عدد ٤

في انه يجب على الرئيس ان يطلب القطنة من الله  
وان لا يعل من طلبها

ان الله وحده حكيم وفيه ينبوع الحكمة وله وحده ان يعطيها . كل حكمة  
فهي من الرب ولا ترل معه الى الابد (سيراخ ١) وعلى هذا قال يعقوب الرسول  
ان كان احد تنقصه حكمة فليسال الله الذي يوتي الجميع بسخاء خالص بغير  
امتنان (١) وقد قالت الحكمة اني احب الذين يحبوني والذين يطلبوني من  
الصباح يمجدونني ووجودها سهل على الذين يلتمسونها فهي تسبق فتجلى للذين  
يبتغونها ومن ابكر في طلبها لا يتعب لانه يجدها جالسة عند ابوابه  
(حكمة ٦)

وقد التمسها سليمان قائلاً يا إله آباي يارب الرحمة يا صانع الجميع بكلمتك  
وفاطر الانسان بحكمتك لكي يسود على الخلايق التي كونتها ويسوس العالم  
بالقداسة والبر ويجري الحكم باستقامة النفس هب الحكمة الجالسة الى عرشك  
ولا ترزلي بين بنيك فاني انا عبدك وابن امتك انا انسان ضعيف قليل البقاء ناقص  
الفهم في القضاء والشرائع فان كان يظهر احد من البشر كاملاً وهو خال من  
الحكمة التي منك وفيك لا يحسب شيئاً انك قد اخذتني لشعبك ملكاً ولبنيك  
وبناتك قاضياً وامرتني ان ابني هيكلاً في جبل قدسك ومذبحاً في مدينة سكناك  
ان معك الحكمة العليمة باعمالك والتي كانت حاضرة اذ صنعت العالم وهي عالمة



بما يحلو في عينيك ومتفهمة استقامة وصاياك فارسلها من السماوات المقدسة وابعثها من عرش مجدك حتى اذا حضرت تجدد معي فاعلم ما يرضيك فانها تدرك وتفهم كل شيء فتكون لي في افعالي مرشداً فطناً وبغزها تحفظني وتغدو اعمال نفسي مقبولة واحكم في شعبك بالعدل واكون اهلاً لعرش ابي فاي انسان يعلم مشورة الله او يفطن لما يريد الرب ؟

ان افكار البشر ذات احجام وبصائرنا غير راسخة اذ الجسد الفاسد يشغل النفس والسكن الارضي يحقّض العقل الكثير الهموم ونحن بالجسد نتشغل ما على الارض وبالكد ندرك ما بين ايدينا فمن في السماوات اطلع على فكرك ومن علم مشورتك لو لم تأتِ الحكمة وتبعث روحك القدوس من الاعالي فقامت سبيل الذي على الارض وعلم الناس مرضاتك (حكمة ٩)

فان كل ما في هذه الصلاة هو جدير بالاعتبار فقد تقرر مما تسطر ان لا فطنة ولا اختبار ولا عمل البتة يجعل الرئيس قادراً ان يحسن سياسته في مروضيه ان لم يكن هو نفسه مديراً من الحكمة الالهية والبرهان على ذلك ان كل شيء انما هو عمل هذه الحكمة الالهية وهي وحدها عالمة بما قد فطرت عليه خلقتها وهي التي فطرت الانسان على نوع خاص وعينت له غايته اذ منحته كل ما هو عليه الان فهي اذن وحدها عالمة بالانسان وبالنوع الذي به يسير الى مركزه بارشادات وكلاء الله .

فصله سليمان هذه قد استجيبت لانه قد جاء في كتاب الملوك الثالث ( ف ٤ : ٥٩ ) واتى الله سليمان حكمةً وفهماً ذكياً جداً وسعة صدرٍ كالرمل على شاطئ البحر اعني انه منحه حكمةً واسعة وقوة نافذة بها كان يرى بلحظة واحدة كل ما يفيد العباد ويؤول لخير المملكة وكل ما كان مخفياً في مطاوي القلوب واخيراً كل ما كان حرياً بكل قصد وعمل فليس لنا جميعاً ان نحصل على هذه الحكمة المفاضة على الطبيعة وان التأسها والادعاء بإمكان الحصول عليها من الحماقة والجهل ويبين ان العناية جلت احكامها تبخل بهذه الهبة لانها وان اغنت كثيرين بالعقل الثاقب والذاكرة القوية الا انها لم تمنح الفطنة الكاملة الا القليلين ومع هذا فيمكننا ان نستمد العون الكافي لحسن استعمال مواهب الفهم

والتمييز التي اولتها الطبيعة لعموم البشر وان على نوع متفاوت واستعمال ما يطلب عادة ممن اعتنق الحالة الرهبانية لان لنا جميعاً وان على نوع غير متساوٍ كل ما هو ضروري للانسان ليكون من ذوي الفطنة والحكمة لتدبير امورنا بشرط الا نسيء استعمال الانوار التي لنا من الطبيعة ولا يقتضي ذلك حذاقة فائقة ولا معارف واسعة فقد رأينا كثيرين قد احسنوا سياسة السلطة ولم يكونوا مع ذلك ممتازين بالذكاء والمعارف وبالحقيقة ان الفطنة المطلوبة والكافية لسياسة الجماعات تتوقف عادة على معرفة الاشياء العمومية وعلى الحكم بها مستقبلاً وعلى شيء من الخبرة بفن التنقيب والتحقيق والريب في الامور وطلب المشورة في ما جل منها واعجبهم ( بوفيس )

فانتم يا من دعتمهم العناية الى سياسة اخوتهم التمسوا لنفوسكم الحكمة قبل كل شيء التمسوها دائماً ثم التمسوها بدون انقطاع والا فانكم تسيهون في مهامه الشدة والريب فتساكون طريق القساوة الصعبة والحزون الوعرة فتخمدون عزم الفضيلة واما طريق التراخي والمساهلة فيلاشي النظام الرهباني فيصدق بكم كلام النبي ارميا اذ قال ان الرعاية قد بلدوا ولم يلتمسوا الرب فلذلك لم يفهموا وجميع رعيتهم تشتتت . ( ف ١٠ ع ٢١ )

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

في السياسة الدينية والسياسة العالمية

اولاً

قد خطر في بال احد اعضاء المجمع العام للاباء اليسوعيين في معرض كلامه في وصف السياسة الدينية ان يسمي البشاشة المأمور بها الروساء لمرؤوسيهـم سياسة فاعترضه موت الرئيس العام حينئذ وقال ان السياسة على نوعين الواحدة شيطانية مملوءة رياء وتصنعاً وخبثاً تلتجى الى طرق معوجة لكي تبلغ غايتها

وانما هي في حقيقة امرها مدالسة ومكر وتلبس واما الاخرى فسموية الهية لها غاية محمودة ومبداء مقدس لا تتخذ الا الوسائط الجاترة فالاولى مصدرها محبة الذات والغش والثانية محبة خالصة وغيره على خير القريب فمقاصد تلك اذن هلاك القريب وابادته ومقاصد هذه اصلاحه وخلاصه

. واخلص ما يقال في السياسة الدينية انها امتزاج حسن بين حكمة الحية وسذاجة الحمامة فان صاحبها لا يثق بسهولة باي كان ولا باية كلمة كانت وهو مع ذلك لا يخامر ريب في احد . وهو رزين كتوم يعرف بغير مداجاة كيف يكتشف افكار الناس وشواعرهم وكيف يستر افكاره عنهم ويكشفها لهم لئلا يحزن الانفس الضعيفة او يعرض الاخوة العاتين للعصيان او ينشي الاسرار او يهتك حرمة القدسيات او يطرح الجواهر امام الخنازير وهو لا يعامل احداً بالحبث والاحتيال لانه يخشى ان يعامله غيره بمثل هذه المعاملة ويرقب ظروف المكان والزمان والحوادث والاشخاص لكي ينتهز الفرص التي تناسبه لان النظر في امر السياسة شي والعمل شي آخر فقد يتفق احياناً ان يضطر الرئيس لان يجري الامور على ما يستطيع لا على ما يريد وان يقول مع الرسول ان كل شي مباح لي ولكن ليس كل شي ينفعني ناهم دروسه هو اكتشاف اميال القلوب واعظم دهائة هو استغلال الارادة وطياها بلين ورفق بدون كسرهما او تغنيهما وهو في المهام الخطيرة لا يكتفي بالفضيل بل ينبغي الحاذق البشوش ولا يمنح الخدمات الا تدريجاً وبعد الامتحان الكافي واذا وجد جماعة مكتئبة او مكسورة الخاطر اكتسبها باكتسابه زعيمها اما المجرمون فيحملهم على ان ينصح احدهم الآخر ويستميل كلاً بامياله من دون تعسف ويقدم للاطفال في الحياة الروحية لبناً وللأقوياء في الفضيلة طعاماً وهو لا يخشى ان يغش المريض اذ يقدم له ادوية تحت اشكال الاطعمة ويشفي جراحه ولا يجعل له سبيلاً الى ان يشعر بما يعمل فيه من جراحة او غيرها وان لم يجد واسطة لكبح اميال الطبيعة غير هذه فيظهر على الم بالم ويرضي بعض العواطف ببعضها حتى يتمكن من صرف صاحبها عن البعض الآخر منه وهذا اخضاع الطبيعة بالطبيعة نفسها بل تطعيم الطبيعة بطاعم النعمة ويقتيدي بالعناية الالهية في كثير من من الامور فان الله يحقي



عنا احكامه ويوجب تدابير، ووسائله واما جودته فتسبق وتقضي حاجاته فوق ما نتمنى ونتأمل لتحقيق مشيئته ويميل في كل اعماله الى اللطف والرحمة اكثر من ميله الى الصرامة والعدل وهذا اي صاحب السياسة الدينية لا يحكم عن مجرد التوهم ولا يأنف من العادات السيئة والاخبار الكاذبة ولا يفعل عن ميل او شهوة او خلل بل يطلب المشورة عن رضى ويزيد على حكم الاكثرين على رأي نفسه ويبذل الجهد في ان يبتدي بالحكام الذين ساسوا ولا يزالون يسوسون رعاياهم بالفطنة والانصاف وينظر الى الحوادث الماضية لترشده الى تدبير الحاضر والمستقبل ويبتدي بعد التمعن الطويل عمله بسرعة ونشاط ويستدرك كل ما يمكن استدراكه وبعد ما يُعدّ ويمكن ما يمكن ويوجه العناية الى كل ما يساعد على الفوز بالنجاح كالعقل والحذاقة والقضائل والنفوذ والحوادث والظروف المختلفة واننا في الفصل الثالث نسهب الكلام في الشروط الجوهرية للفطنة الدينية ونبين بايضاح اوسع ما تتوقف عليه السياسة الدينية التي انما اسما والمحرك لاعمالها هو الفطنة

## ثانياً

### في وصف السياسة العالمية

ان السياسة العالمية الحاضرة المعروجة هي ان يتظاهر الانسان بخلاف ما هو عليه من اعتباره الامور وشعوره بها ويفعل ذلك ابتغاء الحصول على رغائبه ومآربه الحسية فيتكلم فيه بما ليس في قلبه ويقول اشياء ويفعل آخر ولا يراعي امر الجزاء والعقاب ولا الاستقامة ولا الانصاف بل يمتحي تحت طي المحبة اثر البغضاء وامرها وهكذا اهل هذه السياسة فانهم يستميلون افكار الكثيرين بتمائم دنية وملاطفات متصنعة ويفرغون المقدرة بالتلفيق في المواعيد قصد اكتساب ثقة اولئك الذين يحاولون خداعهم لكي ينالوا منهم ما يبتغون ويظهرون الثقة لمن ليس لهم ثقة بهم ليكشفوا اسرارهم وهم لا يكشفون عن محيا افكارهم الا بكلام ملتبس ذي وجهين قصد ان يحفظوا لانفسهم حق لوم وسوء المعاملة في كل الاحوال

فهذه السياسة لا تلطب الاً مصالحها الخصوصية التي تفضلها في كل الاحوال على المصالح العمومية وتستحل في سبيل نجاح مقاصدها وتحقيق مطامعها كل الوسائل كيفما اتفقت كالخداع والنفاق والتظاهر والكذب والتنكر بالصالح والغيرة بل هي تستخف باقدس القدسيات واجلها كيف لا ومبداها الاول هو انه لا يليق بالانسان ان يجعل نفسه عبداً للفضيلة بل له ان يتبرقع بلباسها اذا ما حكمت بذلك ظروف اللياقة وله ان يضحى عنها عندما تقتضي الضرورة وبالاجمال ان حذق صاحب هذه السياسة قائم بان يوجه قلوبها كيفما اتجهت الارياح او مال نسيم الخط وان ينساب الى الشر من دون ان يظهر انه خرج من حيز الخير او الصلاح وان يوارى الظلم تحت ستر العدل والاستقامة متعللاً بان جل مقاصده النظر في الخير العام واذا سنحت له فرصة فانه ينتقم لنفسه ممن الحقوا به شيئاً من الاذى او يلاشي ويبدد شمل من يخشى ضررهم او الذين يتجرأون على ان ينطقوا امامه بالحقيقة او اذا خطر له ان يقيم اجواقاً من المداهنين الانذال المستعدين لارضائه وتأيد جوره او ان يعطي المهام لمن لا يعملون بها الاً على رغباتهم او او يبيعها ايضاً لمن يبتاعونها بالثمن الاعلى ويغادر الشعب هدفاً للمعرات والمضرات فهو مستعد لجميع ذلك بطيبة خاطر فانك ترى قلبه ولسانه معدين ابداً لمديح من يريد رفعتهم وتسويد عرض من يريد اذلالهم ولو كان هولاء من افاضل قومه واولئك من انذالهم واذا صدقنا زعمه رأينا ان الاشرار افضل من اهل الفضيلة واحكم منهم في استعمال السلطان كأن الحبث هو الفطنة او كأن للاستقامة وجوداً حيث لا وجود للفضيلة ومن مباني اصحاب هذه السياسة الخرقاء ان يورعوا الانقسام لكي يجعلوا لتدخلهم باباً ويتحكموا على الفيتئين باشد سلطان وانهم كما قال توتليانوس عن الشيطان يولدون الشر ثم يتأخرون قليلاً عن اضرار نيرانه تظاهر انهم يبتغون ملاشاته ومن مبانيهم الفاسدة انهم يصورون لمروسيهم بعض التهويلات والتمويهات كأنها مخاوف حقيقية لا مناص منها ويرون الناس احلامهم كأنها حقائق راهنة ويتسون ويشدون تحت ظل هذه الصبج الفارغة كأنهم في مقام به يدافعون عن حقوقهم ومقاصدهم مدافعة ضرورية صادقة ولا يهيمهم خراب ولا دمار ولا حلف كاذب ولا بلاشاة الممالك برمتها

رأنا همهم الحصول على السلطة والعظمة ثم ان هذه السياسة وان تكن من خصائص الدول فانه لا يمتنع دخولها بصورة من الصور في الجماعات الرهبانية بزي مقبول

فعلى الرؤساء الروحيين اذن ان يقتصروا منها ويخشوا دخولها في اديارهم لانه لما كانت تدابيرها جمعاء مؤسسه على فطنة الطبيعة المفسودة والطبيعة تميل الى التدخل في جميع امورنا حتى افضل اعمالنا ترتب على الرؤساء ان يسهروا على انفسهم كل السهر والآن سقطوا لا محالة وعملوا بعض الاحيان اعمالهم على مقتضى مبادي هذه السياسة الذميمة

ولنكتف الان بتبيان بعض الطرق الخفية والحيل التي تستخدمها هذه السياسة الغريبة لكي تنساب وتدخل في السياسة الروحية

### ثالثاً

#### في بعض علامات للسياسة العالمية في التدابير الرهبانية

ان الرئيس يتصور انه قادر على اتيان كل اعمال رياسته الروحية والزمنية من دون ادنى افتقار الى رأي اهل مشورته فكأن رأسه محزن الانوار او كأن كل راهب سواء عار من الذوق السليم او مفطور على مضادة تصورات الرئيس ومبادئه

فرب رئيس لا يجمع اهل مشورته في الاوقات المعينة لها او لا يلقي في الجلسة الا المسائل التي لا اهمية لها او يعتني في وقت الاجتماع بشغل افكاره اهل المشورة عن المذاكرة في المواضيع الهامة تضييعاً للوقت لانه يحكم بنفسه في الامور الخطيرة ويترك لاهل مشورته البحث في ما لا طائل تحته

ومتى وصل الرئيس الى الرياسة التي طالما جد وكد في طلبها يجمع اليه حالاً اصحابه ويبدل في الدير اهل المشورة ويسلم الخدمات الهامة الى رهبان يختصون به غير الاولين ويكون من هولاء هيئة جديدة فيبعد عن الرئيس المنحط وسائر الرهبان الذين كانوا يميلون اليه ويعين قهارمة ديره كالوكيل والنائب من الرهبان



الذين لا عزم لهم ولا بصيرة لئلا يثشوا رأياً او حكماً مخالفاً لتصوراته او يضعوا حدّاً لسلطانه المطلق واما ذوو البأس والفضيلة من الرهبان الذين يقدرون اذا مست الحاجة ان ينبهوه او يرشدوه فيرفضهم من بين اهل مشورته ويعزلهم عن كل خدمة هامة ويبعدهم عن ديره اذا امكن او انه يسعى في اذلالهم او ابعادهم الواحد عن الآخر لئلا يبقى لكلامهم وقع واعتبار او يتفقوا على ما فيه خير الجماعة ويضبط رسائلهم الى الرؤساء الكبار او يبلغ هولاء عنهم ما لا يبقى بعده لكلامهم وقع واهمية فلا يسمعون لهم بثقة واعتبار ويجتهد في ان يمنع مروثوسيه عن كشف نقائصه وتبايغها للرؤساء الكبار ويضاعف لذلك اشغالهم كما فعل فرعون بالعبيرانيين او يعين لهم مهام خارجة بعيدة محلاتها عن الدير اما الذين يمكنهم ان يقاوموا استبداده او تكون سيرتهم القانونية كتوبيخ له على سيرته فانه يذلهم في كل فرصة ويمتهنهم ويستصغر كل ما يأتون به من الاقوال والافعال بل قلما يسمح لهم بالتكلم وانما يقيمهم في خدمات حقيرة تحقيراً لكاملتهم وارهاباً لامثالهم لئلا يجسروا ويرفعوا روثوسهم ويتاوموه في امر ما ومن علامات هذه السياسة ان الرئيس يجتهد في ان يشي رهبانه عن مطالعة قوانينهم وعاداتهم وعن التقدم في الفضيلة بل يتسامح ويتساهل في امورهم فيفترون في الروح الرهباني ويفعل ذلك لئلا يتيقظوا فيشرعوا في المحاماة عن القوانين ويشجبوا اعمال الرياسة مبلغين ان الرئيس مخالف بها روح القانون ونصه او لئلا يكون ارتقاؤهم في الفضيلة سبباً لتشنيع رذائله ومنها ان الرئيس يسعى في تأييد رياسته باستمالته رضى الحكام وذوي المقامات السامية لكي يظهروا بعزله عن وظيفته غيظهم وغضبهم على الرهبان او انه يشغل وظيفته بمبالغ دين آملاً ان لا يقدر احد له على ايقاظها او انه يياشر في بناء او عمل رسالة لا يستطيع غيره انجازها . واذا وجد ان احد رهبانه عين لمهمة او مقام او شغل مركزاً واخذ يتقدم فيه مكتسباً اعتبار الناس فانه لا يلبث ان يبدله بآخر ولو تحقق ان الراهب جاد وكاد في عمله واكتساب القلوب لله وانه لا يعمل الا لخدمة الخير العام وقد يتعلل الرئيس في عمله هذا بان علو مقام الروثوس واعتباره يحقّض اعتبار السلطة والحال ان نيته خفض اعتبار الروثوسين وتبديد

شمل كل من يمكنه ان يشاركه في شيء من الاعتبار والمهابة ومن البين ان الراهب الذي يكون قد بلغ هذا المقام هو حقيق بان يثبت في منصبه لانه اضحى قديراً على ما يجب عليه ويمكن بكل عدل وصواب ان يوثق على تقصيره وتقريطه لو قصر او فرط في شيء.

وانه يعد لنفسه بعض الاعمال الكبيرة الخطيرة اعلاء شأنه واظهار انه هو وجه قوام الرهبانية والجماعة وحكماً كثيراً ما يدافع عن حقوق الرهبانية مدافعات بطيئة تعظيماً لنفسه كأن لا احد يقدر على ذلك سواه.

وهكذا لو وقع جدال بين الاخوة في مسائل علمية او سياسية فانه لا يفصمه بصوت السلطة بل يجتهد في اضرار نيرانه حتى يلهي افكار الاخوة ويشغلها عن التنديد بسيرته وسياسته واذا وقع خصام بين اثنين من الاخوة فانه يشعل نار البغضاء بينهما بدلاً من اطفائها . وهو لا يعاقب مذنباً ولا يبرر باراً لكنه اما يبين ان الاثنين مجرمان حتى يسود عرضهما معاً او يصوب رأي كليهما سراً لكي يستميله اليه من دون ان يكثر لالقاء الصلح والمجبة بينهما .

واذا قصد ان يتخلص من احد الرهبان او يشنع صيته فانه بدلاً من تنبيهه وابعاده عما يوقعه في ما قبح من قول او فعل ينصب له شبكاً ويصطاده بمجائل الحيلة والمكر فيلقي مثلاً الخلاف بينه وبين الاخوة بافشائه بعض الاسرار المستودعة عنده وبتعريضه اياه لبعض الاخطار فيسقط . او يسلمه مصلحة لا يقدر على التيام بها فيغزله عنها او يأمره بما لا يستطيع او يوثقه توبيخاً مراراً فيجعله بذلك على الجهارة والقحة اذ نوع ترفقه من الرئيس الاكبر فهو بان يبلغه كل فعل يسيئه وكل كلمة قدح قيلت فيه جاباً لا اكتساب رضاه بل هو مع كونه يرغب كل الرغبة في تغييره فمع ذلك لا يكف عن تقديم الهدايا له والخدم الدالة على التعلق به .

ومبدأه السياسي هو ان المساواة على الرهبان افضل من الفرق بينهم وانه ينبغي له ان يعمل همه المحافظة على حفظ القوانين بتدقيق والا يعبأ براحة الاخوة وباعطائهم بعض الجوازات الواجبة لراحتهم وانه اذا ما اشتغلت الالة لا باس اذا

صرت من قلة الزيت او تلاشت او طارت في الجو غباراً  
وعلى هذا المبدأ يضرب بعض الاحيان الاخوة ضرباً اليماً من دون داع بل يقصد  
بذلك القاء الخوف والرعدة في قلوب الآخرين او انه يقتص من البعض على غفلة  
منهم وبدون انتباه ولا استعداد ولا يدع لهم سبيلاً الى المدافعة عن انفسهم وتراه  
في كل فرصة لا يعبأ بثلم المحبة او العدل للمحافظة على تأييد سلطانه مدعياً انه  
بذلك يحافظ على الخير العام وهكذا يستبد ويتقم من جماعته ويؤمن انه بذلك  
يسوقهم الى الكمال مع انه لا قصد ولا غاية له سوى الاستبداد وحب الكبرياء  
والتعجرف والتخلص من ملاطفة الاخوة ومن اقتيادهم باللين والمحبة - ومثل  
هذا الرئيس كثيراً ما يتعلل بعطل فارغة بقوله ان مروثوسيه لا صدر رجاً لهم ولا  
ذكاء فيهم وانهم منكرو الجميل فلا يمكنه استمالتهم بالحسنى فيعتمد على الا  
يكثر لهم ولا يلاطفهم بكلمة حلوة . ولا يظهر لهم ادنى اعتبار ولا ثقة  
ويتخذ له من العوام اصدقاء واصحاب مشورة فيغلق باب قلبه في وجه الرهبان  
ويفتح له للاجانب ميناً بذلك لجماعته انهم اذا انكروا عليه اعتباره فله من دونهم  
من يحبه ويعتبره وهو لا يعطي شيئاً ولا يسلم شيئاً من المهام والخدمات الا بعد  
المطل والتسويق فكأنه يريد بذلك تعظيم الهبة والوظيفة والمن في ما يعطي  
وهكذا هو يخدع البسطين من مروثوسيه ببعض العطايا الخسيسة او المواعيد  
الكاذبة فطوراً يعود ناكثاً ما وعد به وتارة يتظاهر بصفاء النية وبالحب المزه  
عن الاغراض الخصوصية مع انه في الباطن على خلاف ذلك وانما هو متردد بثوب  
السياسة لا يحب الا ذاته ودأبه النفاق والخداع ويفتخر بذلك كانه من ضروب  
السياسة ويتظاهر بالكرم وهو بخيل يعد كثيراً وينفي قليلاً وان اعطى شيئاً  
فيسترجعه عند الفرصة وهو شديد اللوم على البغلاء والقاترين واذا ادى للجمهور  
او لاحد الاخوة خدمة ما فانه يتباهى بها ويبالغ بتيان كل ظروفها اخفاء لدناءة  
نفسه وسوء تصرفه ثم انه يكتفي بخارج التقوى ويتظاهر بها طلباً للاعتبار ساتراً  
فساد باطنه ببرقع استقامة ظاهرة وكثيراً ما ينطق بمبادئ الكمال وهو عنه  
مجزل بعيد ومن دسائس هذه السياسة العالمية ان الرئيس يرى انه ليس بإمكانه  
ارضاء الجميع وانه لا بد له من ان يكون ملوماً اما من القاترين في العبادة او



من الحارثين وانه لو سلم من طعن الحكماء ذوي الذوق في الانتقاد لا يسلم من قدح الجهلاء المتمردين في عرضه فيأخذ حينئذ يدور مع كل ريح وينضم الى الفئة الاقوى مستعيناً بها على الاضعف فيلقي وراء ظهره العناية بالصالح ويعتق الكسل والغفلة عن حفظ القوانين ويسلك سبيل العادات السيئة ويفضل غيظ الرهبان الافاضل وحزنهم وتنكيس راية الكمال على مقاومة الشر وفقدان كرامته ولو عند الاكثرين

رابعاً .

في ان مباديء السياسة العالمية تضاد مباديء الانجيل المقدس  
وان الظالم الذي يتبعها هو غير الحاكم العادل

من مباديء السياسة العالمية انه لا عمل محرم بشرط ان يكمله النجاح الزمني وان الغاية والنجاح يبرران الوسطة واما الانجيل فيقول لا تعمل الشر ولو صدر عنه خير ( روما ٣ ) والسياسة العالمية تعلم ذوبها ان كل شيء هو لهم وانهم لا واجب عليهم لاحد بشيء واما الانجيل فيعلم ان لا يطلب احد منفعة نفسه بل منفعة الجماعة ( فيلبوس ٣ ) والسياسة لا تحجل من ان تعلم ذوبها ان اعتصموا بالكذب والرياء والنفس واما الانجيل فيعلم ان اطرحوا عنكم كل خبث ومكر ورياء وحسد واغتياب وكونوا كاطفال ولدوا حديثاً ( بطرس ٢ ) والسياسة تسن لتباعها هذه الشريعة ان اهينوا القريب واسحقوه وانهبوا امواله لان الافضل لكم ان تكونوا مهينين ومخوفين لا ان تكونوا محبوبين واما الانجيل فتعليمه ان ارعوا رعية الله التي استودعتموها لا اضطراراً بل اختياراً ولا طمعاً بمكسب خسيس بل حباً للارتياح ولا كمن يتسلط على مبرآت الله بل كمن يكون مثلاً للرعية ( ب ١ : ٥ ) . والسياسة تقول ان الفضيلة تكون في بعض الاحيان مضرة ومن يتمسك بعري الاستقامة يسقط سريعاً واما الانجيل فيقول ان العدل يثبت العرش ( امثال ٦ ) ويرفع شأن القبيلة ( ١٤ : ) . والسياسة تقول كن لنفسك صاحب المشورة ولا تثق بصداقة احد واما الانجيل فيقول يا بني لا تعمل شيئاً من غير مشورة فلا تندم على عملك ( امثال ٣٢ ) سر ولا تكن

حكيماً في عيني نفسك ( امثال ٣٠ ) السياسة تناديك ان هتج الخصومة والشقاق واقطع رباط الاتحاد بين الاخوة فتستولي عليهم واما القديس بولس الرسول فيأمرنا ان سالموا جميع الناس ان امكن ( روما ١٢ ) وكونوا على رأي واحد وابقوا على السلام وإله المحبة والسلام يكون معكم ( ٢ كور ١٣ ) والسياسة مكتوب على رايتها لا تحاول اكتساب قلوب اعدائك بالاحسان بل اكبتهم وروضهم بالقوة القاهرة واما المسيح فترى على رايته هذه الكلمات ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه فانك ان فعلت هكذا تجمع جمر نار على هامته ولا يغلبكم الشر بل اغلبوا الشر بالخير ( روما ١٢ )

فبعد هذا يظهر لك بسهولة الفرق بين الحاكم الظالم المستقل برأيه على موجب مباديء السياسة العالمية وبين الحاكم الصالح الذي يمقت هذه السياسة ويسير على موجب شريعة الانجيل .

قال العلامة دوغه في معرض كلامه في هذا الفرق ان صاحب السلطان المطلق اذا كان عادلاً غير ملتوية مبادئه لا يحكم الا بموجب الشرائع التي يجعلها أساً لارادته ويعتقد ان كل ما منعه هو بالحقيقة ممنوع عن الشعب وعن نفسه أيضاً واما الظالم المستبد فلا يعرف شريعة ولا حقاً سوى ارادته الذاتية وأمياله المعوجة والحاكم الصالح يجتهد ان يحوي في ذاته كل ما في المملكة من الحكمة والفطنة ولا يفكر فكراً ويعمل عملاً الا كما تفكر وتعمل المملكة نفسها لو كانت ذات فكر حتى لو كانت هي جسماً لكان هو نفسها ولسانها ويدها واما الظالم فينظر إلى المملكة كأنها غريبة عنه قائمة بذاتها او كان له مصالح ولها مصالح اخر بل ربما الواحدة عاكست الاخرى كل المعاكسة والحاكم الصالح لا يعتبر ارتقاءه الى كرسي السلطان الاً تقرباً من الاعمال الشريفة المبرورة او من المقام الذي يقدر فيه ان يساعد المحتاجين فيعتقد انه تقلد السلطان لا لخير بل لخير الرعية واما الحاكم الظالم فيرى ان السلطة من خاصات طبيعته وله أنزلت لا لغيره وقد ولدت معه لمجرد سروره وسعادته لا غير فان عمل خيراً مع الرعية كان عمله عن تكرم اخلاق واجراه على مساهوى فقط . واما الحاكم العادل فيعلم بامرين الاول انه لا يوافق الشعب ان يولييه حرية تامة والثاني انه لا يجب

ان يستعبده عبودية مطلقة وان لا يثقل على الرعية فينكها بظلم او جور بل يوليها من الحرية ما لا يضر بمصلحتها وما كان لازماً لتمام راحتها وهكذا هو يحل في المحل الاول لكي لا يجلس فيه المتناقضون ويحافظ على نظام الرعية حتى يحل عنها قيود العبودية . وأماً الحاكم الظالم المستقل فإنه يرى ان له على الرعية بعض الحقوق وهو لا يُبقي لها شيئاً الا ويطلبه منها والا كانت الرعية مقيدة بالامثال لاوامره قام يطالبها بحريتها جمعاً وهو لا يعرف له في رعاياه اولاداً لان احشائه ليست احشائه اب بل يعتبرهم كعبيد ارقاءً لانه لا يرى الا سلطانته المطلق ويخيل له مما يشينه ان يظهر بعض الشفقة على الرعية او ان يخفف عنهم اثقال نير العبودية فالاول هو الحقيق بان يملك وهو لا يعمل شيئاً الا بموجب الصواب ولا يرتضي ابداً ان يجعل مجرد ارادته سنةً لاعماله وان حدث له ان يتبع في بعض اعماله ميله الخاص فإنه يرى ذلك نقصاً عظيماً ينزل صاحبه منزلة الحيوان واما الثاني الذي لم يرق الى العرش الملكي الا لتعاسة البلاد فيرى في السؤال عنه احتقاراً لذاته الملكية وخفضاً لشأنه في جوابه بغير قوله ( أريد لاني أريد ) ولو نبهه احد على شيء . بزيد الاحترام فإنه يغضبه ولو بسطت لديه الادلة القاطعة فلا تريد الا اصراراً على عناده واذا كلمته في شأن خير الرعية العام فلا يسمع وعنده ان كل ما كان مستطاعاً كان حلالاً فالمستحيل وحده هو حد مطامعه وعنده ايضاً ان عظمته وسلطانه يتوقعان على ألا يتبع الا هواه وقصارى الكلام ان الملك الصالح هو الراعي المستعد لان يفدي خرافه بنفسه والظالم هو كالاجير الذي لا يهتم سوى اغتنام لبن رعيته وصوفها ريثما تسنح له فرصة فيذبحها ويغتذي بلحمانها .

#### خامساً

في انه يجب ان يكره الرئيس السياسة العالمية  
وان هذه مضرّة بالسياسة الروحية

كتب القديس توما الكبانتوريري الى البابا اسكندر الثالث قال : لا يليق  
بالسياسة الكنسية ان تدور على محور الرياء والتصنع بل ينبغي ان يكون



محورها الحق والعدل لا غير ولعمري ان الرهبان يتقطعون عن العالم لكي لا يتدربوا بروح العالم بل بروح المسيح ومبادئه فهم اذن سماويون ومن العدل والصواب ان يسلك السماوي بموجب الشرائع السماوية لا الارضية . ومن البين ان السيد المسيح لم يقلد الرؤساء ساطانه ليسوسوا رعاياهم بموجب روح العالم بل بموجب روحه المقدس ثم انه لمن الصواب ان يطلب الرؤساء الطاعة من مروثوسهم والخضوع كما يطيعون ويخضعون لله عز وجل وانهم هم يدبرونهم ويعتنون بهم بمقتضى روح الله أي بالاستقامة والبساطة فان اسقف « بالي » قال يوماً للقديس فرنسيس سالس اظن انك لو بقيت في العالم لنجحت في السياسة نجاحاً عجبياً اما القديس فأجابه ان مجرد لفظة فطنة أو مهارة في الاعمال او السياسة تخيفني لاني لراي قليل البصيرة بل لا بصيرة لي اصلاً فاعرني سمعك واحفظ ما أقوله لك فانه سرّ وهو اني لا اعرف الكذب ولا المخاتلة ولا الخداع وهذه هي عمد السياسة ومركز قوتها وانا اعرف كيف استسير مع القديسين القدماء بالصدق والبساطة لان ما في قلبي هو على لساني ولا اعرف كيف اتكلم بقلب وقلب واني ابغض الخيانة والمواربة كالموت لاني اعلم ان الله يمقت الرجل الخداع .

وقال في كلام آخر لا اعرف ماذا عملت بي هذه المسكينة فضيلة الفطنة فانه يصعب على ان اجينها واذا اجتهدت فلا يكون حيي لها الا من باب الضرورة بالنظر الى انها ملح الحياة وسراجها واما جمال البساطة فيدهشني وعندي ان حماسة واحدة افضل من مئة حية وانا اعرف انه مفيد ان تخرج فطنة الحية بسذاجة الحماسة والانجيل نفسه يأمرنا بذلك الا انه يخيّل لي ان هذا الامتراج يحاكي امتراج الترياق بقليل من سم الحية اما اكثر سائر اجزائه فمن الادوية الناجعة . ومن البين ان الترياق ان دخله من السم بمقدار ما يدخله من سائر الادوية لا يبقى ترياقاً شافياً بل ينتقل سمّاً قاتلاً فالحية تقتل الحماسة ولا يعكس فكم من قاتل ان الفطنة ضرورية ولا سيما في عصر كعصرنا الحاضر حذر ان يؤخذ الانسان بجبائل المكر والخديعة فانا لا اذم هذا المبدأ غير اني اقول ان من المبادئ الانجيلية ايضاً ما قال الرسول فلنحتمل من اجل الله الحزني والعري عالمين ان لنا جزاء اعظم محفوظاً في السماء وخلاصة القول ينبغي ان يحب المسيحي الحقيقي ان يكون

كسندان لا كطريقة وان يُنهب لا ان يُنهب وان يحتمل مضض الشدائد لا ان يحتملها احداً وان يكون شهيداً لا ظالماً

وكتب القديس بولس الى اهل كورنتوس قال ( ٢ كور ١ ) ان فخرنا هو شهادة ضميرنا باننا عاملناكم بسلامة القلب والاخلاص لله واننا لم نعاملكم بحكمة الجسد بل بنعمة الله سعيًا في العالم ولا سيما عندكم . وهذه الشهادة انما هي جزاء البركة السماوية وطاعة المروءسين الخالصة القلبية

واذا كانت المخاتلة مبغوضة في المروءسين فكم تكون مبغوضة في الرأس الذي هو محامي سلامة النية والاستقامة فالراهب ما دام يعامل باستقامة وخلوص يعمل كل اعماله بطيبة نفس وقرح قلب

واما اذا ظهر له شيء من الخبث في معاملة رئيسه له فانه يتخاثر هو ايضاً ويتصنع ولا يعمل شيئاً الاً كرهاً بل يفرغ جهده في ان يتخلص من نير الطاعة لمثل هذا الرئيس

فالمخاتلة في الرئيس رذيلة لا تغفر فاذا عرفت فيه هذه الرذيلة وظهر امرها لا يُبد من يثق به ولو استشهد على استقامته اقدس من في السماء فمن اذن يثق بالخبث او يكشفه بطويته . ان الرياء والمكر قلما لا يعرقلان امر من يستخدمهما « لان من سار بالاستقامة يخلص والمعرج ذو الطريقتين يسقط في احدهما » ( امثال ٢٨ )

ولعمري انه لا شيء اسرع ظهوراً من الحيل الماكرة قال الحكيم ( ١٠ ) من سار بالاستقامة فهو يسير بالطمأنينة واما المعوجة طريقته والخداع فيجب ان يعتقد انه يكون اول المخدوعين وطريق المناقين تضلهم والمنافق لا يربح شيئاً ( ١٣ ) وقال الحكيم ايضاً من يحفر حفرة يسقط فيها ومن ينقض جداراً تلدغه حية جامعة ( ١٠ )

وقد فسر غريغوريوس كلمات اشعيا النبي ( ٢٤ ) ان القنفذ جعل هناك مسكنه قال الراعي ( ق ٣ ف ١٢ ) ان القنفذ اشارة الى المرائين ذوي اللسانين لان الصياد عندما يشاهد القنفذ يرى اولاً رأسها ورجليها ثم سائر جسمها اما اذا ما اتى ليصطادها فانها تلتف على نفسها وتختفي رأسها ورجليها بل تختفي من امامه اختفاء

كاملاً وهكذا الرئيس فانه اذا أخذ في جائل مكره ودسائسه فانه يحاول التملص اذا امكنه والا فيصمى باسمهم بغضاء الاعين التي شاهدته وهو يفعل الخديعة وقد اردف القديس غريغوريوس قوله ان المصيبة في هولاء العاملين بالخديعة انهم لا يرون في سلوكهم هذا الموج الاحكام ودقة نظر في ضروب السياسة . وقال القديس فرنسيس سالس ان الرجل المرائي لا يعرف الثبات في طريق واحدة بل يدور مع كل ريح فهو لا يثق باحد ولا يثق احد به وما اشبهه باسمايل الذي كانت يده على الجميع ويد الجميع عليه فهو كمنسى ذي حدين يقطع كيفما اتجه ومتى سمعته يتكلم عن السلام فتيقن ان في قلبه بعض الكيد يدور في خلده وعليه فلا يمكن ان اعتبر او اتمنى دقة فكر ما لم تكن مقرونة بسلامة النية والاستقامة

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

في الشروط الجوهرية للفتنة الرهبانية

وهي ١ عدم الثقة بالذات و ٢ معرفة البشر و ٣ الافادة من الحنكة والاختبار و ٤ طلب المشورة و ٥ حسن السياسة في المهمات و ٦ كتم السر و ٧ الحصول على نصوح مخلص

### الباب الاول

في الشرط الاول من الشروط الجوهرية للفتنة الرهبانية  
وهو عدم الثقة بالذات

أولاً

في انه ينبغي قبل كل شي ان يعرف الرئيس ذاته

قال الشهيد يوسف في مرض كلامه في المحبة الاخوية . ان اهم المعارف



في الحياة البشرية هي ان يعرف الانسان ذاته واصاب القديس اغوستينوس اذ قال ان الاجدر بالانسان ان يعمق في معرفة زلاته اكثر من ان يعمق في اسرار الممالك وغوامض الطبيعة وهذه المعرفة جميلة جداً لا من حيث انها ضرورية كل الضرورة فقط بل من حيث انها نادرة كل الندور ايضاً اه فهذا المبدأ اعرف ذاتك الذي كان يعتبره الوثنيون كمختصر حكمتهم يمكننا ان نعتبره نحن ايضاً كأس الحكمة المسيحية ولعمري انه من اكبر واجبات الرئيس في درسه من يجب عليه درس اخلاقهم ان يعرف ذاته ويعلمنا العلامة غراسيانوس كيفية معرفة الذات بقوله ان للوجه مرآة واما القلب فلا مرآة له سوى التأمل العميق والدقيق في الذات فعلى الانسان ان يعرف اولاً جهة قوته وجهة ضعفه والمراد بجهة قوته درجة حذقه واهليته وكيفية طبعه واميااله وعزمه في بعض الفضائل والقصد في هذه المعرفة انما هو ان يعرف كيف يستثمر ما عنده من الفضائل ويكمل ما يكون ناقصاً فيه ويذب الخلال الطبيعة والصفات المكتسبة ليكون له منها اكبر نتيجة فالعمل الواحد لا يوافق كل احدٍ فالاولى اذن بكل انسان ان يعرف ما يوافقه اكثر من غيره

وقال العلامة غراسيانوس في هذا الصدد ان كثيراً من الناس لو عرفوا جهة قوتهم وعملوا بها لكانوا اضحوا من مشاهير العالم ولكن لما غفلوا ان يوجهوا جهدهم وعزمهم لما هم اهل له بارحوا الدنيا ولم يبقوا لهم ذكرٌ فيها او كانوا فيها من خاملي الذكر

فاذا عرف الانسان ذاته ووفق بين مقاصده وقوته وبين الوسائط والغاية نظراً لطبعه واميااله يسير في طريق واحدة على قدم الثبات وهكذا لا يشرع بعمل عبثاً ولا يعرض ابداً صيته للاخطار لانه لا يعمل الا ما يرى انه قادرٌ على عمله وقد يمكن الاً ينجح لكنه لا يكون بذلك مخطئاً

٢ ويراد بجهة ضعفه الرذيلة المتسلطة عليه او سوء خلقه او الاشتمال والنفور من تتميم بعض القروض فيا للعجب كيف يحارب الرذيلة ويتنصر عليها من لا يعرف مبادئها ولا قوتها ولا مفاعيلها فيه او كيف يروض طباعه من لا يعرف ما هو الترويض او هل يقاوم اميالا في نفسه من لا يفكر قط في

اعوجاجها او هل يقاوم وثبات الاعداء او المحبة العمياء من لا يشعر في ذاته بشيء من هذا ؟

وللعقل ايضاً شوائب خصوصية وكلما كان العقل كبيراً كانت شوائبه ظاهرة والانسان الذي تظنه اكثر كمالاً لا يُلَو من الشوائب وهي مكروهة في عين من يشاهدها في غيره بمقدار ما هي محبوبة في عين المبتلين بها ولذلك كثيرون من يجتهدون في التخلص من هذه الشوائب اما المتخلصون منها فقليلون لانهم يشتغلون بشائبة واحدة ويتعاضون عما سواها

وقال موريس دي سانت امابل في كتابه الرئيس الكامل (ك ١ ف ٢٧) على الرئيس ان يجتهد بكل قواه في استئصال الرذيلة المتسكنة من قلبه قبل ان تظهر في الخارج لان مروثوسيه لا يلبثون ان يكتشفوا عليها فلا يعودون بعد يتصورون محرراً آخر لاعماله سواها ولهذا لو رأوا فيه ميلاً الى الكبرياء لا يتصورون في اعماله الا الظلم والاستبداد واذا شعروا بانه عديم الثقة يتصورونه في كل اعماله مراقباً لهم ومنتقداً كل خطواتهم اه وهذا ليس بكاف بل يجب على الرئيس ان يبذل قصارى الجهد في ان يوقظ فيه الفطنة المضادة للرذيلة المتسكنة منه ليرى الجميع فيه تلك الفضيلة التي كان يظن انه خال منها وبعيد عنها ان السيد المسيح نفسه لما رأى ان اليهود يشكونه بانه يريد ان يلاشي شريعة موسى اخذ يعتبرها ويوصي الجميع بحفظها ولم يكتف بعمل العجائب الباهرة وقضاء حياته الالهية لاثبات قداسته بل اراد ان يركي نفسه امام الجميع ولا سيما اعدائه اذ قال لهم من منكم يحكم علي بخطية ؟

ومن مصالح الرئيس الا يزدري قدح الاخوة في عرضه بل ان يتعظ به حاسباً اياه اما لجأماً يردعه عن غوايته واما مهازاً يدفعه الى تسميم فروضه حباً لمتابعة الخير بالخير واما عدم الاكتراث لما يقوله الناس فهو خلاف الازدراء بالتنديد الصحيح مكابرة في الشر وكما ان الانقياد الى الحيا البشري هو رذيلة ودناءة مذمومة فالانتباه الى التنديد والاقلاع عن الشر هو فضيلة وشهادة عظيمة

## ثانياً

في انه يجب على الرئيس ان يحرص من شر الاميال

المنحرفة والخلق السوء والافراط في

محبة الذات

ان الاميال المنحرفة هي قائدة عمياء وان كان لها عين فانها لا تنظر بها الا ما يشبع شهواتها او ان نظرت ما يشين او يضر بالجماعة فقلما تعاب به فلاء تل وحده ان يحكم ويقطع وعلى الشهوات ان تخضع طائعة والأفتلاشي النظام الطبيعي والصواب لان العقل البشري هو كشيء صادر عن العقل الالهي او كضياء منبثق من النور السماوي نور وجه الله واما الاميال الشهوانية فما هي خارجة الا عن قلب فاسد او ظلام منسدل بعيد عن الحقيقة وقد احسن من قابلها بالزجاج الملون لانه يري الاشياء بلونه الخاص بدون ادنى صعوبة فان عند الجميع ما عندها وتري قلبها كميزان او مثال لسائر القلوب وسيرتها ومسعاها في عين نفسها كمقياس محكم تقاس عليه سيرة سائر الاخوة

ولنسمع ما يعلمه العلامة الشهير فنالون في كتابه تيلياك الذي وضعه لتلميذه ولي العهد حيث قال : كن على حذر من فظاظة طبعك فهاهي الا عدو يتبعك حيثما تذهب حتى المات فلا يلبث ان يقوى حتى يتدخل في مشوراتك ويخذلك ان سمعت له

فان القلوب اذا قست وغلظت تعدم صاحبها اغتنام احسن القرص واهمها وتولد اميالا وكراهية صبيانية تضر باكبر المصالح فانها تحكم وتقطع باهم المسائل لاجل ادنى علة

ومن خواصها انها تعمي العقل وتجعل صاحبها منقلباً مع كل ريح واهي الرأي والغريزة محتقراً وغير محتمل

والملك اذا ما تساطت عليه شراسة الطباع جماعته لا يقدر ان يتأني ولا ان



يفاوض احداً ولا ان يصدر الاوامر المدققة ويرى ان الامور بتمامها خاضعة لاهوائه ولا يحسب لشي حساباً وتراه يعتسف في كل شي ارضاء لرغباته فانه يقطع الغصن لتناول ثمره قبل نضجه ويحطم الباب اذا لم يفتح للحال ويروم الحصاد في وقت الزرع

وكل ما يعمل به بعجلة وبغير اوانه يكون شر عمل ولا يثبت اكثر من هبوب اهوائه الخبيثة

وكما ان الرجل الراكب العجلة السريعة التي لا يقدر لضعفه ان يوقفها عند مسيس الحاجة يخشى في كل دقيقة ان تريد خيوله الجامحة عدواً اذا لا طاقة له على كبجها بقوة اللجام فتطرحه في شر منقلب فهكذا الملك الذي يجره سوء طباعه في حماة الفواحش فانه اذا صادف في طريقه ادنى حاجر تشتعل حالاً نيران غضبه وتتصاعد غيوم دخانها فتجب بصيرته فيمسي لا يستهدي سواء السبيل المؤدي الى مصالح تبعته وقال المعلم غراسيانوس (رجل البلاط مبدا ٢٩) انه لمن اكبر علامات الذكاء والتعقل في الانسان ان يهذب طباعه الشرسة لانه والحق يقال داء في العقل يجب ان يتعالج كأمراض الجسد

ومن لم يعتن بتهديب اخلاقه وتثقيفها لزمه ان يخشى شرها حتى في نفس سياسته الروحية لان من كانت السويداء مستولية على طباعه كان قاسياً فظاً في كل اعماله ومن كان ذا مزاج لين هين كان اللطف والشهامة يزدادان في كل اعماله .

فشرس الخلق يدع القطنة جانباً ويطلب المشورة من اهوائه الجامحة واما من كان بارد الدم اي ذا مزاج بلغمي فتكاد تنقطع الحركة والهمة فيه ولو مست الحاجة الى العمل اشد مسيس

فكل اذن يعمل على شاكلته وهواء طبعه وما اعرف صاحب الاقتداء باحوال القلب البشري اذ قال : ان الطبيعة تنسب كل شيء اليها وهي تحارب وتخاصم لاجل مصالحها وتهتم في كل الامور مجتهدة في ان تكتسبها لنفسها من غيرها (٣ ف ٥٤)

ولكن المصيبة تكون اعظم فيما لو ان هذه الاهواء الطبيعية المضادة روح

المسيح على خط مستقيم والتي لا تطاق ولا تحمل في نفس الحاكم المدني ظهرت وسلكت في نفس السياسة الرهبانية لانه اذا كان شر الخطية قائماً بهذا الانعكاس كما علم القديس اغوستينوس فان الخطي يتخذ الوسائط بدل الغاية والغاية بدل الوسائط واضعاً الله جل شأنه موضع الخليقة والخليقة موضع الله

افما يكون الرئيس سائراً هذه السيرة نفسها اذ يحتمل الخير العام ويوجه كل عنايته الى الخير الخاص بذاته وبما يختص به قال القديس برزدوس ايها الراعي اعتبر انك استودعت قمياً من الكنيسة وهورعيتك

فانت اذن مأمور بالسهر عليها فهي عروس اعطاكها المسيح جميلة نفيسة فيجب عليك انت ان تعتني بقوتها وزيتها عناية غير منقطعة والراعي الالهي قد جعلها لك وجعلها محفوفة في حظيرته فعليك ان ترعاها وتحميها من العدو . ( غلا . ٧٦ )

وقال ايضاً من البين ان مراعاة هذه الواجبات تفترض السهر والمنافسة والجرد عن الزمنيات .

واما اذا اتخذت هذه الانفس المسلمة لعنايتك كفريسة لك واعدت لخيرك الخاص اتعاب مروثوسيك وشرفهم وحياتهم بل ذواتهم ايضاً فانك بذلك تضحي دم المسيح نفسه لاجل هذا الخير الخاص وبشئ العمل عمك . فان الصانع اذا شاء ان يحصل على سيكة فضة يكتني بان يطرح في قلبه بعض قطع من الفضة ويرفعها بعد برهة عن النار فيجدها على ما يرغب ويشتهي

واما انت ايها الرئيس فستى تشا ان تسبك لنفسك انفس مروثوسيك فانك تطرح في قالب شهواتك دم المسيح وصلبيه والمسامير التي ثقب بها جسمه الطاهر والحربة والاهانات كالجلد والتفل ولطم الكف هذه التي احتملها ثم الموت الذي قاساه لكي يبتاع هذه الانفس فيا له من كفر عظيم

فهذا ما يفعله غطارس الروساء لعدم فطنتهم وسوء سيرتهم وانقيادهم الى اهوائهم الباطلة وطباعهم القاسية القظة وحب الذات فيهم الغير المرتب وهم لا يعلمون ان اخص واجباتهم الانقياد الى الصواب والحكمة والكفر

### ثالثاً

في ان الرئيس عليه ان يتجنب في اعماله العناد

### والعجلة

اورد القديس غريغوريوس في كتابه الرعوي كلاماً في الذين لا يهونون في اعمالهم الا السرعة والعجلة والذين قلما يتبصرون فيها قبل انجازها فقال انهم يفسدون الاعمال الصالحة بعملهم اياها قبل اوانها وانهم كثيراً ما يسقطون في الشر اذ لا يميزون الخير وانهم من حيث لا يعلمون ما يعملون ولا كيف يعملون وكيف لا يعملون لا يرون نقص ما يعملونه الا بعد العمل فان سليمان الحكيم يوشد مثل هولاء بقوله « فلتسبق أخطاكم خطواتكم » والحال ان أخطائنا لا تسبق اعمالنا الا حينما نتأمل ملياً في ما نعمل قبل شروعهنا به ومن شرع بعمل من دون نظر الى عاقبته كان كمن يسير وعيناه مغمضتان فانه يخطو ولا ينظر امامه فهذا يسقط بلا محالة لانه يسير في الظلام وليس نور التأمل والتروي امام عينه

وقال اريستوطاليس : ان العجلة والغضب هما للعقل والرشد اكبر الاعداء وشرها والعقل الرفيع السامي يعرف خاصة بطول الاناة والانتصار على الغضب لانه بذلك يتسامى على ضعف الطبيعة العادي وافخر سلطان يتمناه الانسان انا هو السلطان على ذاته وشهواته ومن يرغب في الملك على رقاب الناس فعليه ان يملك اولاً على نفسه وان عجز عن امساك نفسه عن الغضب كان كمن لا يعرف كيف يكتف سرّاً غير ان هذا وذاك فاقدان الحزم والعزم على حذر سوا

فالانسان لا ينجح باعماله بدون التأني والتروي ولا يتوصل ابداً الى الكمال قال القديس فرنسيس سالس قولاً حرياً بالاعتبار وهو كبدأ ادبي : ان شئت ان يكون عملك حسناً فاعمله بتأنٍ وقال الاب يوهور : ان الاعمال التي تتم بالتعجل لا تكون متناهية بالكمال فان الطبيعة لا تكون الذهب ولا العبارة الكريمة



الا بمرور الايام والاجيال . وهكذا كل الاشياء التي تبلغ كما لها بقليل من الزمن فانها تفقد هذا الكمال باقل برهة كالاثار التي تنضج قبل اوانها فانها لا تثبات لها والعكس بالعكس .

ثم ان اريوس الرسام الشهير لما سمع احد المصورين يقول مفتخراً اني اسرع بالرسم سرعة عجيبة قال له لا حاجة الى البرهان على صدق ما تدعيه فان مجرد النظر الى رسومك يعلن ذلك

وقال غراسيانوس اننا لا نبحث عادة عن كمية الزمان الذي فيه تم العمل بل عن كيفية العمل اي عن كماله او نقصه لان الاعتبار لكمال العمل ولا تثبات الا للعمل الكامل اما مدة العمل طويلة كانت او قصيرة فتندرج في الايام بخلاف جودته فهي ثابتة لا تزول ( رجل البلاط مبدا ٥٥ )

فالعمل الذي يكاف كثيراً يساوي كثيراً وما ينجز بسرعة يتلاشى بسرعة والعامل يتأني متروياً ويسرع بالعمل ولا ريب ان التأني وتأجيل العمل من يوم الى يوم يولد اسراراً ومقاصد كبيرة واما السرعة والحفة فتولدان اسقاطاً لا يمكنها تتحمل الحياة الا دقائق قليلة

وقال فيلبوس ملك اسبانيا قولاً جديراً بالاعتبار وهو اني انا والزمان نساوي اثنين آخرين

ولنسمع ما احكى العلامة غراسيانوس في العناد من الكلام الجوهرى الموجز فانه قال : كل المجانين هم معاندون وكل المعاندين هم مجانين وكلما كانوا في تيه وضلال اشتد عنادهم ويفتخرون بانهم لا يرجعون عن كلمتهم ويعبدون ذلك كمالاً غير انه من حيث ان عقولهم عمي لا يرون شيئاً افضل مما استحسنوه يوماً فتعودوا العمل بموجبه وباتوا بعدئذ لا يفتكرون الا كما يعملون

ومن الروساء ايضاً من رؤوسهم من حديد يصعب عليهم جداً ان يخضعوا للحق والصواب وينقادون بهذه الصلابة الى عناد لاد وآله وهذا ناهيك عن اهوائهم النفسانية فانها اذا اتحدت مع عنادهم تألف من ذلك افطع العجب والحماقة . مع انه اذا ساغ للانسان شيء من التمسك برأيه والاصرار عليه فهذا يكون من اعمال الارادة لا من اعمال العقل لان من سلم بالحكم وكان تسليمه

صواباً اولاه ذلك فخراً وشرفاً وكل يرى ان مثل هذا التسليم هو عن كمال  
وليس عن نقصٍ واما من عاند وحامى عن سداد رأيه بالقوة الجبرية فيقتد باعتباره  
عند ذي ذوقٍ سليم لانه لم يأمِ عن الحقيقة بل يظهر للجميع خشونة تصرفه  
(رجل البلاط مبدا ١٨٣)

واقطع من هذا ما قاله العلامة نفسه في كتابه الموما اليه وهو ان البعض من  
الروساء يوجبون على انفسهم اتمام اضاليهم لانهم اذا ما سقطوا يرون من  
الضروري لشرفهم ان يكملوا سقوطهم ولسانهم يصوب ما يتشكى منه الضمير  
مع انه لا الوعد المتفاوت حدود الفطنة ولا التصد المخالف الصواب يوجبان على  
صاحبها شيئاً فان احد ملوك السبارت لما سئل يوماً ان يحافظ على ما وعد به قال  
ان كان وعدي مخالفاً للصواب فلا اكون وعدت به وكارلوس الخامس مرق صكاً  
غير شرعي كان سجله ثم عرف بعد ذلك انه غير موافق العدل وقال اولى ان  
امرق ختمي من ان امرق ضميري

فاحذر اذن من تسقط عند اصلاحك نفسك وارجع القهقري اذا وجدت  
نفسك تائهاً عن الطريق واهدم البناء الذي شرعت به اذا وجدت الاساس مزعزاً  
فاذا اصر الرئيس على بعض مقاصد، الرديئة محافظة على شرفه يكون قد فضل  
المجد الباطل على الخير العام فيتظاهر بانه يحافظ على الثبات وانما هو يحافظ على  
العناد فهو اذن يسقط في زلات عديدة لاجتهاده في اخفاء زلة واحدة واما من  
يصلح زلته ويرجع عنها فيتعلم كيف يتحرز من السقوط فيما بعد ونفس سقوطه  
يكون مفيداً له

ومع ذلك نقول ان الفطنة تقضي احياناً اخفاء اصلاح الزلة عن المروءسين  
الذين كما يرون في الزلة نقصاً يرون كذلك في اصلاحها خفةً اما عن جهل واما  
عن سوء ارادة وقد يتفق احياناً ان يكون عدم رجوع الرئيس عما بدا له اوفق  
وهذا اذا كانت الوسائط الموصلة الى العمل الصالح صالحة وكان وقت الرجوع  
قد فات وان العمل الذي شرع به غير مضر بالخير العام ضرراً عظيماً

قال غراسيانوس (مبدا ١٦٩) ليكن تحركك من عدم الزل اشد من حرصك  
على كثرة الاعمال الحسنة وقد فسر هذا المبدأ الملو حكمة تفسيراً لا يخلو من

بعض الغلو قال : اذا اشرقت الشمس فلا يخرج احد ليشاهدها واما اذا انكسفت فكل يرفع اليها لحاظه وهكذا عامة الناس فانهم لا يحصون الاعمال الحسنة بل السيئة ومهما وفرت الاعمال الحسنة لا تقعو واحدة من السيئة . وكن على يقين ان عين الحساد ترقب في كل فرصة اعمالك المختلفة وقلما تريد ان تنظر نظرة واحدة اعمالك الحسنة

### رابعاً

في انه يجب على الرئيس ان لا يكون كثير الثقة باهليته  
واوهامه ولا سريع الحكم والتصديق

انها لمصيبة كبرى ان يعتبر الرئيس نفسه حكيماً لان الحكمة كما قال كسيدوروس هي سامية شريفة متسعة حتى انه من يتصور انه يحصل عليها بدون مساعدة غيره ويتمكن منها بعد فعله هذا من باب الجسارة ويؤيد ذلك القديس برنردوس اذ يقول من يتوهم انه يكتسب الفطنة ويملكها كان فقير العقل . وقال ايضاً : من ادعى انه لا ينقصه شيء كان فاقداً كل شيء فمن الضروري اذن ان يساعدنا الآخرون حتى نحصل على الدرة الثمينة ونحفظها وقال الحكيم لا تتكلن على فطنتك ( امثال )

وقال العلامة كاسيدوروس ان الشيوخ الذين يخيل ان الطبيعة جعلتهم حائزين الفطنة يضطرون لان يطلبوها ويلتمسوها ومن ثمة ينتج القديس توما ان السهولة ولين الطباع ليسا من ضروريات الشبان فقط بل الشيوخ ايضاً فانهم يفتقرون اليها لانهم وان حكمتهم الايام والتجارب فهم مع ذلك معرضون للزلل والخطاء . ( ٢ : ٢ سور ٤٩ ف ٢٣ )

وكيف لنا ان نعدد اسباب الضلال والخداع التي يمكن ان تطرأ على عقولنا وبصائرنا فمن هذه الاسباب محبة الذات والاهواء ونقص ما يبلغنا من الاخبار وعذوبة التمليق وبغض الحقيقة ووهن في الارادة ونقص في تمييز كنه الامور بتمامها وظواهر الامور الكاذبة ومبادي السياسة الفاسدة الى غير ذلك قال بليوس الشهيد انه يجب علينا ان نتيقن امرين الاول ان غيرنا هو اكثر



استنارة منا واقرب الى الصواب والثاني انه يجب علينا ان نكون دائماً مستعدين  
للاكتساب من انوارهم وسبب ذلك يبينه لنا القديس اغوستينوس حيث يقول  
(ك ١٦ عد ١٤ ضد فستوس) : ان الاعتداد بالذات لا بد من ان ينشئ في  
القلب احد هذين الشئين اعني اما عى عقل كامل لا يعود الانسان معه يبصر شيئاً  
واما انه يجعل في نظره خوفاً فلا يعود يرى الشيء الا خلافاً لما هو عليه فيمسي  
القلب في هاتين الحالتين يتبل من الامور ما يجب رفضه ويرفض ما يجب قبوله  
قال غراسيانوس لا شيء اضعب على الانسان من نجاته من اعتقاده بزيد  
فطته واهليته لان كلاً يرى ذاته اهلاً لاعظم المهات فياليت للعقل مرآة كما  
للوجه ولكن خداع العقل سهل لانه مرآة نفسه ومن كان لنفسه قاضياً وجد  
مخرجاً ومعدرة لكل ذنوبه وسقط بجائله اهوائه . (ك ٩)

واما معرفة الانسان عجزه فتكسبه الحذر والتواضع وبالحذر يقي نفسه من  
شر الاخطار وبالتواضع يملك قلوب مروثوسيه

واذا بحثنا عن تلك الانوار التي يدعيها البعض من الروساء لانفسهم ويفتخرون  
بها نجدها محض توهمات لا اساس لها او اراء لها بعض الاحتمال بازائها غيرها اكثر  
احتمالاً او احكاماً يبنونها ضد القريب قبل ان يعرفوه تمام المعرفة او عبارة عن  
نوع من الاعتبار او الاحتقار موهوم على غير سند او عن روايات لا اهمية لها أصلاً  
لو لم تتداولها الالسن لان روايتها انفسهم يجهلون حقيقتها او مبادرة الى المساواة  
بين الاجازة والمساهلة اذ لا يلوح الفرق بينها او تتزيل الفروض متزلة النواقل  
وما يأمر به القانون ونلتزمه متزلة ما لا نلتزم او حكم بامور كثيرة بدون تأكيد  
اركانه فان هذه الانوار ضعيفة حقيرة وأوهى من ان يركن اليها فكيف يسوغ  
التشبث بها .

ومن المعاطب التي يجب على الرئيس ان يحذر السقوط فيها سرعة التصديق  
عن غير برهان .

فيتفق للرئيس انه يسرع في تصديق غيره او في تصديق نفسه فالاول يكون  
في عدم مجته عن الحقيقة وفي انه لا يريد ان يزعم نفسه لطلب البرهان والثاني  
في عدم استقصائه الحقائق والتعاضى عنه وتصوره ان جواهر الاشياء مكشوفة

عنده فمصدر هذين الخللين واحد وقلما يوجد احدهما من دون الآخر لان الانسان يسمع لغيره كما يتكلم هو في نفسه فمن كان لا يثق من نفسه او كان سريع التصديق كان كذلك في مخاطبته غيره وكما يخدع هو نفسه يخدعه الناس ايضاً  
فعلى العاقل ان يسن لنفسه سنناً وشرائع لا يتخطاها في احكامه ومقاصده منها انه لا يكون ميالاً الى احد الطرفين من دون فحص مدقق وان يفرق بين الحقيقة وما يلابسها وان يضع الظن والشك في مواضعه وألاً يستخرج من المقدمات الا النتيجة الصادقة وان يتدبر العلل الايجابية والسلبية فيقف عند الادلة الراهنة التي لا تحتل فهذه هي الطريق التي لا يسلكها الا القليلون لان خفة العقل يزعجها التآني في الاحكام والتنقيب في اسبابها والارادة يهملها طبعاً اصدار الحكم لا الخوض في ميدان البحث والجدل الذي ليس من خصائصها هذا وان كثيراً من العلل الخفية والتصورات الخرافية تحمل الانسان على سرعة الحكم من دون التفات الى مسوغاته

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

في الشرط الثاني الجوهرى للفطنة الربانية

وهو معرفة الناس

اولاً

من أهم أعمال الرئيس التعمق في معرفة الناس .  
لا يقوم الرئيس حق القيام بمهمته إذا عمل بذاته اعمالاً يمكنه ان يعملها بواسطة مروضيه بل هو يضرب بمصلحته ونجى جمهوره ولا سيما اذا كان غفيراً ولا يمنع هذا الضرر كون الاعمال التي يباشرها بذاته مقدسة مثل تعليم الصغار او تصديده لخدمة المرضى او استماع الاعترافات او الخروج الى الوعظ او التعليم في الخارج لانه بذلك وان عمل خيراً اعظم يحرم جمهوره من خير اوجب من ذلك .  
فعمل الرئيس الجوهرى الضرورى بل الوحيد الذي لا يمكنه ان يعمل به بواسطة

آخر هو ان يعمل كل شي . لا بذاته بل بواسطة غيره ممن يفوض اليهم الامور معيناً لكل واحد منهم الخدمة التي لا يعوقه شي عن حسن القيام بها . وينتخب لمعاونته من هم اهل لذلك فيقاسمهم سلطانه ويعرف مع ذلك عند مسيس الحاجة كيف يشدد عزائمهم ويقوم اعوجاجهم وأهم من هذا كله ان يساعد كلاً من افراد جمهوره على بلوغ الكمال بأسهل طريق توافق طبعه وتأثير النعمة فيه فيبعد هذا عن الرذيلة المتسلطة عليه ويدفع ذاك إلى الفضيلة والكمال الرهباني تبعاً لامباله المقدسة بقيادة النفوس إلى خيرها الاكبر وانتخاب معاونين للقيام بمصالح الدير والجماعة يستلزم ضرورة معرفة قوة النعمة ومقاصدها في كل من الاخوة ومعرفة طباعه وأمياله وحذقه كما يلزمه لتسم واجباته الزمنية او الروحية ولا يمكن الرئيس بدون هذه المعرفة ان يحسن السيرة في رعيته وألاً يوقعها في غوائل حمة ولو عن غير معرفة أو قصد فهذه المعرفة إذن واجبة لكل رئيس والرئيس ينبغي له ان يوقف كل ايام حياته على درسها وانعام النظر فيها وهيئات مع ذلك ان ينبغ بها ويبلغ كمالها .

فسيبيون الافريقي قابل الجماعة المنظمة التي كل من اعضائها يحسن عمل وظيفته مهما كانت بآلة طرب متقنة الترتيب فانها إذا ما مسها أحد المهرة بالموسيقى يبدو منها أصوات مختلفة مؤلفة الانغام بنوع يدهش السامع . والانسان اذا اراد ان يرعى قطيع غنم لا يهتم برعايته ان لم يعرف حق معرفة ضرورياته واحواله الخاصة وان لم ينتبه باجتهاد الى ما هو مفيد ومضر برعيته افراداً واجمالاً أو لم يقف على العلوم والاكتشافات الحديثة المفيدة اللازمة لوقايتها من الامراض أو لشفائها منها فكهم يجب على الرئيس المستولي على سياسة الاجساد والانفس في رهبان افاضل انقطعوا الى عبادة الله ان يبذل كل جهده في ان يعرف كلاً منهم حق المعرفة وذلك بدرس امياله لانه كما يكون الوجه الناظر في الماء ازاء خياله كذلك قلب الانسان يكون ازاء الانسان ( امثال ٢٢ )

والرئيس الفطن يرغب في ان يعرف كل ما من شأنه ان يحرك الناس ويحصلهم على التمسك بواجباتهم وما من شأنه ان يتوقعوه او يخشوه او ينفروا منه ويجتهد كل الاجتهاد بان يكتشف على الوسائط التي تولف بين العقول المختلفة وتجعل رأياً



وفكرها واحد والتي تكسبه ثقة القلوب وتزعج التوهّمات الفارغة فتكون في يده فيحركها عند مسيس الحاجة كيفما شاء وبما ان القوى المحركة كثيرة في الناس فلا تظهر ولا تعرف الا بالامتحان فعلى الرئيس ان يعرف مروءتيه لا كما هم عليه في الحال بل بالخصوص كما يكونون في الاستقبال فالانسان ما دام في مقام وضع يرى شهواته خادمة ويظن بها انها قد اطلقت وما ذلك الا بابتعاده عن سبب التجربة اما اذا دنا من التجربة فانه يتغير اي تغير ويتعجب رؤسائه لانهم يشاهدون منه انساناً جديداً .

ولا شك ان تعميق نظر الرئيس في معرفة رهبانه لا يكون لخداعهم بل لئلا يخدع منهم قال ابن سيراخ ( ف ٩ ) احذر الذين حولك واطلب المشورة من الحكماء . وقال الحكيم : ( امثال ف ٢٧ : ٢٣ ) اجتهد في معرفة وجوه غمك واجعل قلبك على قطعانك . فما معنى ذلك سوى انه يجب عليك ألا تدع في القرب منك وتحت سلطانك الا من كنت تثق بهم كل الثقة والحال لا سبيل الى معرفة من هم اهل للثقة سوى تعميق النظر في درس البشر .

فتعميق نظر الرئيس في معرفة رهبانه يكون آثلاً الى خيرهم وحسن تدبيرهم ولا شك بان بلاغة التعبير وقوة البرهان تقصران عن ايضاح هذه الحقيقة وهي ان نجاح الرهبان في الفضيلة وفي مهماتهم الزمنية ايضاً بل سعادتهم في هذه الحياة ودرجة مجدهم في الاخرى متعلقة بمعرفة الرئيس طباعهم وتقويمها وتهذيبها بفطنة

فالرئيس الذي يعتاد درس طباع الناس وينبغ في معرفتها يظهر كأنه موحى له من العلي لانه لا يعثر ولا يضل في طلب الغاية وقد اشار الحكيم في سفر الامثال ( ف ١٦ ) الى هذا حيث قال : ان النبوة في شفتي الملك وفي احكامه لا يضل

فالرئيس ان لم يكن رشيداً لا يعرف كيف يميز بين البشر فلا يرفع احداً او يضعه الا صدفة او اطاعة لامبال منرفة فتباً لقوم يقودهم من يعمه في الضلال وانما عليهم تأسف الحكيم اذ قال في الجامعة ( ١١ : ٩ ) التفت فرأيت تحت الشمس ان ليس الجري للخفيف ولا القتال للاقوياء . . . ولا الخطوة للعلماء لان الآونة

والاحداث تفاجئهم كافة » وقال ايضاً (ف. ١٠ : ٥) شر رأيت تحت الشمس كأنه السهر الصادر من قبل ذي السلطان . الحماقة اقيمت في مراتب عالية وذو النجابة قائمون في مكان منحط . . . . .

عد ٢

### في كيف يكون التوصل الى معرفة الناس

انه من الصعب في اول الامر تعميق النظر في امر معرفة الناس الذين يجهلون انفسهم وهم اول المبرورين بهذه المعرفة فيحسبون لهم ما ليس لهم ويرون انهم قادرون على ما هو فوق طاقتهم ويتخذون لهم بعض تصورات بمثابة استعدادات طبيعية او فضائل غريزية ويلبثون في ضلالها ولا يعلمون ومع ذلك فمن اراد الوصول الى هذه المعرفة الثمينة النادرة يقدر عليه اذا جد سالكاً سيلاً اميناً قوياً بشرط الا يكون هو نفسه خامد الهمة او قليل البصيرة والفتنة او ممن لا يحسنون الظن في الناس

واننا لا نذكر شيئاً من النتائج العامة البعيدة التي تستخرج من التواريخ المقدسة والعالية والتي منها يرى ما هم البشر وما هي الطريقة في تدبيرهم وما يؤمل وما ينشى منهم واننا لا نذكر شيئاً ايضاً عن اقوال الحكيم التي ترفع عن القلب البشري كل ستار وتسئ شرائع تصلح في كل الشؤون لتدبير الانسان نفسه وكل من ينوط به ويكتفي بالقول ان لمعرفة البشر طريقين الاولى كلامهم فان مفاوضة الرئيس مع مروثوس تكون اعظم خيراً وفائدة من اشتغاله بالعلوم وباعمال الرسالة وان كانت خطيرة جداً لانه يعلم بهذه المفاوضة ما في مروثوس من الحق والطيش والميل الى الاباطيل وطلب التملقات والمباذي الكاذبة وهكذا يسبر عمق بواطنهم من دون ان يدروا انه راغب في ذلك او مقتش عنه وللرؤساء قوة غريبة على مروثوسهم عندما يقتربون منهم والمروثوسون يستولي عليهم هبة او احترام شديد جداً عند مثلهم امام الرؤساء لان مجرد النظر الى الرئيس يحرك في مروثوس كل الاهواء الساكنة او كأنه يفتح جروح القلب واذ ذاك يقدر الرئيس الحكيم ان يطلع على ما عند مروثوسه من القوة والضعف ويضحى

بذلك ماهراً في الصناعة العجيبة التي هي مقاومة الرذائل بالاميال الصالحة واستخدام قوى الطبيعة لمساعدة النعمة .

قال غراسيانوس « في تأليفه المعنون رجل البلاط في المبدأ الـ ٢٦ » انه متى عثر الرئيس على الجهة الضعيفة في مروثوسه اقتاده حيثما شاء ومن حيث ان كل ارادة لها ميل متسلط فيها وان هذه الاميال تختلف باختلاف العقول ثبت ان كل الناس هم كالوثنيين من وجه ان هذا يعيد الكرامة وذاك الارباح والاكثرون يتعبدون لملاذهم فالخدق في فن السياسة انما هو ان يكتشف الرئيس هذا الميل المتغلب على ارادة مروثوسيه فيصبح كانه ملك مفتاح القلوب فيفتحها متى شاء وبما ان اكثر البشر ميالون الى الانحراف عن سواء السبيل فاقتيادهم وراء اميالهم الضعيفة اسهل منه وراء الاميال العالية الشريفة »

وقد اكد هذا المصنف نفسه ان من لا ينخدع في معرفة البشر ويعرف كيف يميز بين العقول والطباع انما هو فيلسوف عظيم يسمو علماً على جميع من تساموا في معرفة اسرار الطبيعة . وكما ان المعادن تعرف من صورتها كذلك البشر يعرفون من احاديثهم فلنسمعها اذن بكل ما نحن عليه من الخدق والنباهة والاحتراز من الخداع

اما الوسيلة لاستئصال الخداع فهي ان نسبق فننظر الجرثومة الناجم عنها الخداع فنقطعه قبل ان يشرع في النمو فلا تخفى عليك بعد ذلك حالة الجاهل ولو اختبأ في مخادع السكوت ولا حيل المخايل ولو اتشح بحلة التقى ولا خيانة المنافق ولو البس احاديثه اثواب الصدق لان التفاوض في الاحاديث يكشف للحكيم عن كل شيء من هذه الخفيات فاجتهد اذن في ان تحمل مروثوسك على مخاطبتك فانك حينئذ تكتشف من معاني بعض كلامه اخفى اسراره من دون ان تبين عما عندك منها

وكما ان لكل انسان رذيلة تسود فيه على باقي الرذائل هكذا يكون فيه ايضاً فضيلة تسمو على سائر فضائله وكثيراً ما يتقوى الفضيل فضيلته عن احتشام والرذيل رذيلته عن خبث ومخادعة والرئيس مضطر لان يعرف كل ذلك ومن ثم يترتب على كل رئيس ان يتفاوض مع مروثوسيه في احاديث مودة لكي



يسر بذلك غور بواطنهم لان اللسان ينطق بما في القلب وعليه ايضاً ان يراقب ليقف على العلاقات التي للواحد مع الآخر فيعرف هذا من ذلك . وقد يتفق ان يعرف الباطن من ظاهر سمات الوجه

ولعمري ان من نقب ودقق في معرفة الناس قلما ينخدع في ذلك لان الطبيعة رسمت على الظاهر صورة الباطن فان ابن سيراخ قال : ان المرء يعرف من منظره « (ف ١٩) وجاء في الامثال الف ١٧ : ٢٤ » في وجه الفطن تضيء الحكمة وعينا الجاهل في اقاصي الارض » هذا ومع ذلك لا ينبغي ان نشق باول نظرة ننظرها لان الظاهر كثيراً ما يغش ويخدع والروح الذي قال : ان المرء يعرف من منظره هو نفسه قال في الف ١١ » لا تمدح الرجل لجماله ولا تدم الانسان لمنظره . النحل صغير في الطيور وجناه رأس كل حلاوة »

والطريق الامين لمعرفة الناس هو ان نراقب كل شيء . ولا نشق الا بالاعمال لان الرب قال في متى ٧ من ثمارهم تعرفونهم وقد نبهنا الى ذلك ابن سيراخ فقال في الفصل ١٩ » رب زال بلسانه وليست زلته في قلبه ومن الذي لم يخطئ بلسانه » فكأنه يقول لا تحفل في بعض الكلام وهفوة اللسان بل وجه اعتبارك واحكامك الى تتابع الاحاديث والاعمال وهي تبينك عن حقيقة الباطن

والطريق الثانية لمعرفة الناس هو الرأي العام فلا يمكن ان يعيش الرهبان معاً زماناً طويلاً من دون ان يتعارفوا حتى التعارف فلهذا تحتم على الرئيس ان ينقب عن رهبانه في تسأله بعضهم عن بعض ولاسيا الذين ابتدأوا او تعلموا معاً وله ان يسأل احياناً القديما في المناصب والمهام عن هم اكثر اهلية في وظائفهم هذا اذا تأكد خلوصهم وحسن نيتهم

وليعلم الرئيس انه اقل علماً في احوال رهبانه منهم بعضهم في احوال بعض فالراهب الذي يتبرقع بثوب الكمال امام رئيسه ويلتجئ الى جميع الحيل حتى لا يطلع الرئيس على اسراره لا يعاباً باخوته ولا يخشى ان يكشفهم باعماله وافكاره وذلك من دون مخاتلة ومحادة وقد قال ايزوكرات لتيكوكليس ان استمع واصغ الى ما يقوله الناس بعضهم عن بعض فتعرف بذلك القائل والمقول فيه .

ومن المفيد كذلك ان نتفاوض في الحديث مع الشيوخ الفضلاء الذين قد تعمقوا ومهروا في معرفة الناس باختبارهم الخاص لان معرفة الناس هذه كمعرفة الشعراء الذين لا يتعمق احد في معرفتهم الا بقدر ما يستنى له ان يعاشر منهم الذين نبغوا بهذا الفن فان غراسيانوس قال : ان الانسان يقضي حياته بالاستعلام عن الحمايق لان ما نشاهده عياناً هو قليل وانما نحني يتصديق ما نسمعه فالسمع اذن هو للحقيقة باب ثانٍ وان يكن للكذب باب اول لان الحقيقة بالنظر الى المعتاد تكون بالعيان واما بالسمع فنادرة وقلما تبلغ آذاننا نقية خالصة ولا سيما اذا ما اتت عن بعد لانها في طريقها تصادف اميالا ومشارب تأخذ عنها بعض الالوان فتسمي مقبولة او مردودة فحذار اذن من سرعة تصديقك من يطنب في القدح او المدح لان السامع اذ ذاك يفتر الى نباهة وذكاء غير اعتيادي ليرى ما فكر المادح والمدح وما الغاية التي تحملها على ذلك وهو عيذب هذا لا غير بين النقود الزائفة والرائجة

وكما ينخدع غالباً من يحكم على الباطن بالظاهر وعلى النية بالعمل هكذا ينخدع غالباً ايضاً من وضع على اساس الراي العام بناء حكم اكيد لا يتزعزع لان ما يكني موثقة لبعض الشك والريب لا يكني لبناء حكم رسمي مقرر فقد تقرر اذن ان الكلام والراي العام هما موضوعا عناية الرئيس لمعرفة مروثوسيه وتمييز الصالح عن الطالح منهم ليتمكن من حسن السلوك في تدبيرهم وكلما جد واعتنى بهذا الدرس تقدم بعلم احوال مروثوسيه الراهنة الوطيدة

---

## الفصل الثالث

في الشرط الثالث الجوهرى للفطنة الرهبانية  
وهو الاستفادة من اختبار الايام السالفة

عد ١

في انه ينبغي للرئيس ان يستفيد من اختباره الخاص واختبار  
غيره ايضاً

قال الشهير بوسويت في تأليفه المعنون بالسياسة المقدسة : على من اراد ان  
يحكم على المستقبل حكماً مستقيماً ان يسأل الماضي واذا شئت ان تعرف ما  
ينفع او يضر في الايام الآتية فانظر الى ما ضر ونفع في الماضية فما لئلا سوى  
الزمان الماضي معلماً ماهراً يكفل لنا النجاح في المستقبل وجاء في الجامعة الـ ١٥  
ان ما سيكون قد كان وما سيعمل قد عمل ولا شيء جديد تحت الشمس وما  
من احد يمكنه ان يقول ان هذا لم يشاهد قط لانه قد ظهر في الاعصار التي امامنا  
« وورد في سفر الحكمة الـ ٨ : من عرف الماضي انبأ عن المستقبل » فلا نسمع  
الحجج الباطلة التي لا سند لها الى الاختبار فان الاشخاص تتغير واما الهيئة والاداب  
والعادات فتبقى كما كانت من قبل

فعلى الرئيس اذن ان يتذكر الاقدمين الافاضل الذين نبغوا في فن السياسة  
وان ينعم النظر في كيفية سياستهم ومبادئهم وطرائقهم ومهارتهم وان يقول في  
نفسه كلما حدث له حادث مهم كيف ترى كان يعمل في مثل هذا الحادث  
اولئك الافاضل ؟ . اي الوسائط كانوا يتخذونها واي الاخطار كانوا يتجنبونها  
وباي حذاقة كانوا يديرون افكار اللرووسين ؟ لاننا نرى ان الرهبنة لا تكتفي  
بان تقدم للرئيس بعض المساعدات والوسائط الخصوصية او بعض الاوامر والنواهي  
الشخصية بل تقدم له امثالاً يقتدي بها كامثال مؤسسي الرهبانيات وخلفائهم



الفضلاء الذين تقدموا في مناصبهم وقدسوا اخوتهم بشدة سهرهم على حفظ القوانين وتدقيقهم في القيام بواجباتهم فانهم قد مثلوا بذواتهم روح الرهبانية الخاص وكيفية سياستها وكانهم قد شرحوه وبنوه بسيرتهم الفاضلة واعلوا شأنه ببناء فضائلهم فالحكمة اذن والفطنة تدعونا الى الاقتداء بامثالهم والارتواء من مناهل فضائلهم ومما يؤيد ذلك ما قاله القديس غريغوريوس التريزي في تحديده التاريخ : انه روح جماعة من الناس قد اجتمعوا بشخص واحد وانضموا لغاية واحدة وقد قال ساوردرا في هذا المعنى قولاً يوافق ما نحن في صدده وهو : انما التاريخ كخريطة بحرية وصف فيها غرق هذا وتوفيق ذاك ورسم فيها مركز الشواطئ ومحال الاخطار وتلال الرمل في السواحل والطرق الامينة التي يمكن للملاح ان يسلكها

ويحسن جداً بالرئيس ان يتذكر ما كان يحكم به على روسائه ويرغب فيه اليهم لما كان مروثوساً مخاطباً نفسه قائلاً كيف كنت احب ان يسوسني روسائي وعلى اي شي كنت احمدهم وبم كنت اذمهم واقدم فيهم ؟ فلما كان احدهم يأمرني بشي بصوت مغضب ولو قليلاً او بوجه عبوس اما كنت اتذمر واتشكى ؟ فان لم يكن ذلك في الظاهر لم يكن على الاقل في الباطن ؟ ثم ما كنت الوم فيه روسائي اما يلومني مروثوسي فيه الان اذا ما فعلته هو نفسه ؟ ومن المبادي العامة التي قلما يعتريها شذوذ ان من لا يأمر وينهي الا ما يرضاه هو نفسه انما يأمر وينهي مستقيماً قال المؤرخ تلسيت انه لما اراد الامبراطور كالباً ان يشرك بيزون في مملكته محضه هذه النصيحة قائلاً تذكر ما كنت تتشكر منه وما كنت تلوم فيه قبل ان صرت حاكماً واتصف بما كنت تتمنى المحكام من الصفات الجيدة وانبذ عنك النقائص التي كنت تتمتها فيهم فتكون بذلك رجلاً حكيماً وحاكماً صالحاً اه

ولما انتخب مبعوثو الملكة الرومانية تلسيت وابي ان يملك خطب فيهم حيثذ الرجل النذب مينتيوس فالكونيوس حاضاً اياهم على اجبار تلسيت بقبول الملك قال : ان رجلاً كهذا فطناً حكيماً محنكاً لا يدع لنا باباً للخوف من سرعته باصدار احكامه من غير تبصر او من الاغتصاب جوراً لانه لا ينبغي الا

خير الرعية ولا يبيدي عملاً إلا بعد التروي فيه ملياً ولا يفكر فكراً او يحكم حكماً إلا تبعاً لما تفكر او تحكم به الملكة نفسها لو كان زمام الملك في يدها لانه يعلم من قبل ولن ينسى ابداً ما كان يتمناه للملك فيكون بلا مرآة على ما كنا نرغب ونشتهي ان يكون الملك عليه ارضاء لنفسه وابتغاء خير مملكته

ومما يؤدي الى بلوغ الكمال او ما يقرب منه هو ان يعرف الانسان كيف يستفيد من سقطاته السالقة لانه اذا كان النظر في سقطات الغير مفيداً لنا فالنظر في نفس سقطاتنا يفيدنا باولى حجة فاننا لا نستطيع ان نراقب سقطات الغير الا عن بعد واما سقطاتنا فتقدر ان نعلمها ونشعر بها ظاهراً وباطناً وهكذا البحار الذي يرى عن بعد مركباً لاخر يفرق فانه لا بد من ان تأخذه شفقة على تجاريه ويستفيد من هذا الحادث بعض الاستفادة في ما ينبغي ان يتداركه لتخليص سفينته في مثل ذلك الخطر واما اذا غرقت سفينته نفسها وكان ذلك عن تهاون منه وتغافل فرط منه في مصلحته فاي اسف يلحقه من ذلك واي الاستفادة لا يستفيدها لاستدراك المستقبل ؟ فليكن لنا الماضي منارة للمستقبل ولنعلم اننا نستفيد من سقطاتنا اكثر مما نستفيد من فوزنا ونجاحنا وذلك لنقص في طبيعتنا لان ثمة الفوز والنجاح تعمي ابصارنا والعكس بالعكس

والتواريخ تثبت لنا ان احكم الممالك لم تترق الى معارج الكمال الا بعد سقوطها . ومن لا يرى انه تعلم القطنة والحكمة في نفس سقوطه الماضي لا يدعى حكماً فطناً ولا يقدر ان يكون من اهل السياسة الحكماء . ولنختم كلامنا ببعض آيات لابن سيراخ حيث يقول (٢٤ : ١٠) الذي لم يختبر يعلم قليلاً اما الذي جال فهو كثير الحيلة . الذي لم يمتحن ماذا يعلم اما الذي ضل فهو كثير الدهاء . اني رأيت في مطايفي اموراً كثيرة واكثر اقوالى مما اختبرت وقد طالما خاطرت بنفسى في هذا الطلب حتى الى الموت ثم نجوت اه

في ان اقتداء الرئيس بغيره لا ينبغي ان يكون بدون

### فطنة وتميز

يمكننا بلا شك ان نستفيد كثيراً مما اختبره سلفاؤنا غير اننا لو اقتدينا بآثارهم على غير روية ولا تمييز يكون ذلك لنا سبب عثار ووبال فليس لنا اذن في مثال الاقدمين قاعدة مطردة بل لنا فيها فوائد كثيرة نتخذها لا كسرعة او دستور بل كدلالة او اشارة الى العمل وذلك لاسباب الاول هو ان الحوادث تتغير مع تغير الظروف ورب امر غير صالح امس يكون اليوم صالحاً وما كل نجاح ينسب الى الفطنة ولا كل فشل الى الجهل والذهول فان اموراً كثيرة تحدث بغير آوانها وعلى غير مجرى الامور فالذي كنت عزمت عليه امس لا يحسن فعله اليوم وهلم جراً

والثاني هو ان الاحتياط الذي اتخذه ذلك الرئيس مثلاً او السبيل الذي سلكه لم نسلكه نحن لانه لا يسوغ لنا اتخاذه ولا السلوك فيه او ان له ما ليس لكل واحد منا من القوى الطبيعية التي جعلته ان يذل كل صعب وفوق ذلك ليست كل الحوادث لتطابق عللها المعروفة فان الله تعالى يخضع لنفسه العلل الثانوية وينير جوبها كما يشاء خلافاً للظاهر لتضع بذلك الحكمة البشرية وتهدم حصون مقاصدها المتينة

الثالث ان السمعة والسن والذكاء والخدم المشهورة والمناصب التي يكون قام فيها احد الرؤساء حق قيام كل ذلك من شأنه ان يولي النفس ما ليس لغيرها من التقدم والنجاح والاعتبار عند الجميع

الرابع ان احكم الناس وافضلهم لا يخلو من بعض الشوائب التي يجب الحذر من اتباعها ولا ينبغي ان نتصور ان كل ما عمله الاقدمون هو من باب السداد والفطنة لان القديس برناردوس نفسه اضطره الامر لان يهذب نفسه ويصلح سلوكه في ما يقتضيه الصواب

الخامس ما اكثر الذين يبحثون بكدر ويفتشون في امثال سلفاتهم الاقدمين



عمّا به يعززون اهواءهم المنحرفة ويسترونها بستر لطيف فالقاسي يبحث في اعمال  
الاقدمين عن افعال ذات صرامة واما المتراخي فيفتش عن افعال التواني والفتور .  
وهكذا نجد البعض يفرطون في حب الاقتداء بسلفاءهم حتى انهم يقتدون  
بشوائبهم ايضاً

والسادس انه لا ينجح انسان اذا تخلق بغير اخلاقه الطبيعية او الذي لم  
يوفق بين اخلاقه والوسائط التي يستعملها واخيراً ان لم يقيم على ما هو منطور عليه  
في جميع اعماله وحركاته فان الله جلّت حكمته اولى كل واحد منّا قوة خصوصية  
بها يزن الامور ويشعر بها ويرضاها وهكذا قوى الطبيعة فانها يكمل بعضها  
بعضاً فلا نكرها اذن ولا نتسمها والاّ اضعناها واتلفنا انفسنا . فعليه يجب ان  
يجتهد في الاقتداء بتأثر سلفائنا وندرس الوسائط التي استعملوها للنجاح وما  
كانوا عليه من سمات الهيبة والكمال في الهرم ومن القداسة المشهورة والبركة  
الخصوصية جزاء غيرتهم المتفاوتة حدود الفطنة وما كان لهم من الانوار السماوية  
التي كانت تهديهم الى سواء السبيل ويجب ان ندرس ايضاً ما كان لمرؤوسهم  
من اللطف والفطنة والفضيلة ولا تغفل عن اختيار الاشخاص والزمان وجميع  
الظروف الموافقة

فاجتهد اذن في الحصول على الحكمة واعلم ان الاختبار هو اول ما يوليک  
اياها بشرط ان تعتبر بحكمة كل ما يجري امام عينيك وكل ما تقراه بل كل  
ما ترل فيه لان الزلات طريق الصواب ومن عرف كيف يستفيد من زلته هو  
العلم العلامة والنجيب الفهامة . ومن المستحسن احياناً ان نكتب في درج  
مخصوص بعض المستعجات التي نخشى ضياعها او زوالها ان لم يثبتها القلم لان  
الذاكرة وان كانت مستودع الماضيات فهي سريعة التضييع وهكذا تتولد  
الحكمة وتتوسع الافكار اي بمقابلة الماضي بالحاضر قال الحكيم ( جامعة ١٠ :  
١٠ ) اذا كل الحديد ولم يشحذ حده ترايد التعب والحكمة انفع للنجاح هذا  
اذا قمت للعمل منذ صباك والاّ شخت وانت على ما انت عليه منذ الصغر كما  
شهد ابن سيراخ اذ قال ( ٢٠ : ٥ ) ان لم تذخر في شبابك فكيف تجد في  
شيخوختك ما اجمل القضاء للشيب وحسن المشورة للشيخ . ما اجمل الحكمة

للشيخ والراي والمشورة لارباب المجد . كثرة الخبرة اكليل الشيخ ومخافة  
الرب فخرهم

## الفصل الرابع

في الشرط الرابع الجوهرى لاكتساب الفطنة الرهبانية  
وهو معرفة طلب المشورة

في ان طلب المشورة مفيد جداً للرئيس ٢ في انه من اهم واجبات  
الرئيس العام ومجمع المدبرين ان يحسنوا انتخاب اهل المشورة  
في كل دير ٣ في الطريقة التي يجب سلوكها في طلب  
المشورة والعمل بالرأي الاحسن وترك ما سواه

عد ١

في ان طلب المشورة مفيد جداً للرئيس  
الدليل الاول ما جاء في الكتاب المقدس في هذا الصدد

اذا دخلت الحكمة قلبك ولذت نفسك العلم ( المشورة ) يحافظ عليك  
التدبير وترعاك الفطنة ( امثال ٢ : ١٠ ) وبمعك ذلك من عمل اعماله بدون  
مشورة فانه يشبه جيشاً هجم يريد قتال جيش آخر من دون ان يقيم له حراساً  
يرقبون سير العدو

فلا غرو ان الرئيس يطلب المشورة وبايلائه المشيرين الحرية التامة يتوصل الى  
معرفة الحقيقة ويقتني الحكمة : انا الحكمة أساكن الدها ( المشورة او اصاله  
الراي ) وادرك علم التدابير . ( امثال ٨ : ١٢ ) وبعدم المؤامرة تنتقض المقاصد  
وبكثرة المشيرين تقوم ( ١٥ : ٢٢ ) علم الحكيم يفيض كالعباب ومشورته  
كينبوع الحياة ( سيراخ ٢١ : ١٦ ) وبعدم الدربة يسقط الشعب والخلاص بكثرة  
المشيرين ( امثال ٢١ : ١٤ ) ولا تظن ان عينيك تريان كل ما يجب ان تراه فانما

طريق السفينة مستقيم في عينيه لانه يظن ذاته دائماً مصيباً برأيه واما الحكيم فيسمع المشورة امثال (١٢: ١٥) فالرئيس المتكبر الذي لا يسمع المشورة ولا يخضع لأرائه الخاص يسمى مردولاً من جميع جيرانه لانه مكتوب : العثر بدبة تأكل ولا العثر بجاهل في سفنه (١٢: ١٧) وكتب ايضاً (١٢: ٢٦) ارأيت الانسان الحكيم في عيني نفسه ان الرجاء في الجاهل اكثر منه . فلو كان مثل هذا الرئيس مروئساً لامكن اصلاحه من رئيسه ومن حيث هو رئيس لا يخضع لكلام الغير بل يستهين كل من يكلمه في هذا الصدد وكبرياؤه وحقائقه تظلم عقله وتزيل منه الفطنة فيصح فيه قول الحكيم (امثال ١٨) ان الجاهل لا يسمع لاحاديث الفطنة ان لم تكلمه على هواه

فالله جلت حكمته يوزع هبات روحه على مشيري الرئيس ومدبريه فاذا اراد الرئيس ان تكون هذه الهبات له وحده عليه ان يطلبها من مشيريه ومدبريه لانه ليس لكل واحد منهم الا شعاع منها فقط ويثبت ذلك ما جاء في سفر العدد (١٦: ١١) وهو قول الرب لموسى اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ اسرائيل الذين تعلم انهم شيوخ الشعب وعرفاوتهم وخذهم الى خباء المحضر فيقتلوا معك فانزل انا واتكلم معك هناك واخذ من الروح الذي عليك وأحله عليهم فيحملون معك اثقال الشعب ولا تحمل انت وحدك . . . . . فنزل الرب من الغمام وخاطبه واخذ منه الروح الذي كان عليه وأحله على السبعين رجلاً فلما استقر عليهم الروح تنبأوا الا انهم لم يستروا

عد ٢

### الدليل الثاني من شهادات الالباء القديسين

قال القديس قبريانوس من لم يكن تلميذاً صالحاً لا يكون فيما بعد معلماً صالحاً (مكتوب ٧٤ الى يومباوس) لان من اراد ان يكون كلامه مسموعاً عليه ان يسمع هو نفسه كلام الغير وكيف يتخذ المروءسون شواعر الرئيس وافكاره كآيات وهم يرونه عند مسيس الحاجة لا يعيل بسمعه الى كلامهم ولا يعتبره جي . البتة ؟



وقال القديس مبارك حاضاً رهبانه على استماع المشورة ان الله جلت تدابير  
يكشف في اكثر الاحيان لاجهل سكان الدير غوامض كانت خفية على اوفرهم  
علماً ونوراً ولذلك لا تخجلن ايها الرئيس وان تسامى مقامك وعظمت فطنتك  
ان تلتبس من مروثوسيك عون مشوراتهم وتدابيرهم وان كانوا من احقر  
الاخوة ( قانون ف ٢ )

والقديس باسيليوس يريد من الرؤساء ان يجتمعوا في بعض الاوقات ويتجادثوا  
في امر رياستهم ويكشف بعضهم بعضاً بما علمهم اياه الاختبار الخاص ( قانون رأس  
١٤ ) ولعمري اي شيء اوفر فائدة من هذه الاجتماعات العامة التي فيها تجري  
المذاكرة في امر السياسة والمهارة به وحل مشاكلك وفي اميال الجمهور وشوائبهم  
ولاسيا في شوائب الرؤساء وما يجب عمله للملاقاتها ؟ .

ان لويس الغرينادي عندما رقي دوم برتلموس الى درجة رئيس اساقفة اليراع  
محضة ثلاث نصائح الاولى قوله ان قصدت ان تعاقب احداً فوارِ قصدك هذا  
زماناً قبل اجرائه والثانية كن فطناً غير لجوج في اعمالك والثالثة لا تكن كثير  
التشبث برايك الخاص بل ابحث باجتهاد عن رأي غيرك ولا تردد .

والقديس غريغوريوس البابا يؤكد ان الله يمتحن مختاريه على الارض بثلاثة  
انواع وهي عقوبة صارمة ووصايا شديدة وسلب انوار وهذا الامتحان الاخير يلجى  
كثيرين من اهل العلم ان يستشيروا الجهلاء الاميين فيرشدونهم

وقال ايضاً في المحل نفسه ( ادبيات ك ٢٩ ف ٥ ) يتفق غالباً ان الرؤساء  
لا يرون اراء مستقيمة في اعمال سياستهم كما يرى مروثوسوهم لان غيوم  
الكبرياء تظلم عقولهم وما العمل اذ ذاك الا ان نلتجى الى من يرون ما لا نراه  
اي الى المروثوسين

وقال ايضاً ( ف ٤ ) ان الرئيس الذي يأبى قبول النصيحة لا اخاله اقل ذنباً ولا  
اقل ضرراً بالجماعة من المروثوس الذي يأبى قبول السلطان

والقديس برزدوس كتب الى البابا اوجانيوس ( اعتبار ك ٤ ف ٤ ) انه لمن العيب  
ان ترجعوا قداستكم عن امر بعد ان صدرتم فيه ارادتكم لانه لا يليق ان تهدموا  
ما قد بنيتم ولا يكتفي ان تتأملوا او تتأنوا ملياً في ما انتم مقبلون عليه حتي تقوا

نفسكم من السقوط فيه بل عليكم أيضاً ان تقوضوه الى بعض اصحابكم وهولاء يبحثون وينقبون عنه على قدر استطاعتهم ولا تغفلوا عن ان تتأملوا بلياً في عملكم لئلا تضطروا الى الرجوع عنه بعد ان تكونوا اجرىتموه

الدليل الثالث من شهادات ارباب السياسة

ان قاعدة السياسة العظمى التي لا يشوبها تغيير والتي دعاها افلاطون قاعدة مقدسة هي ان تسأل الحكماء وتعتبر رأيهم في المسائل السياسية ومن المقرر عند اهل السياسة ان الانسان ولو كان احكم اهل عصره يمسي في بعض الاحيان غيباً واعى القلب اذا ما انفرد برأيه وقال سينكا ان حال ارباب السلطان كحال الينابيع التي يستقي منها كل احد فيتمكر احياناً ماؤها (مكتوب ٣٦) فلا غرو ان المتسلط تضطرب افكاره وتظلم انوار عقله لزيادة ازدحام الجمهور عليه وجلبتهم

وكان ارسطاليس يقول للاسكندر الكبير ان عيني الملك واذنيه هما اصحاب مشورته

وان رومة القديمة وسائر الممالك المنتظمة ما كانت تقطع في مسألة سياسية خطيرة الا بعد الالتئام الذي كان يعقده افاضل المملكة والاطلاع على رأي الاكثرين وفارونوس يذكر مبداء كان كالمثل السائر في عصره وهو ان الرومانيين يفوزون بالانتصار وهم جلوس يعني انهم كانوا يحوزون الغلبة في مذاكراتهم في المجالس قبل شن الغارات . وقد لاحظ مونتكيوس ان ما ساعد الرومانيين مساعدة خصوصية على انتصارهم على اكثر ممالك العالم هو تركهم العادة القديمة من عاداتهم وتمسكهم بما ظهر لهم انه افضل منها وهذا مما يؤيد مبداء تلسيت وهو ان قوة المملكة قائمة بجودة الرأي وحكمة اصحاب المشورة اكثر مما هي منحصرة بالقوات العسكرية

وقد اخبر ديونسيوس ان الامبراطور اغوستوس كان يلقي بين ايدي مجلس الشيوخ كل المسائل السياسية المهمة لان ثقته بهذا المجلس كانت قوية وكان يطلب فوق ذلك منهم كل سنة ان ينتخبوا له عشرين شيخاً فاضلاً ليكونوا من اصحاب مشورته الخصوصية

ومما يجدر بالذكر ما اراده فالبريوس مكسيموس (ك٧) من انه لا شيء يعيب الحاكم مثل قوله ( لم افكر في ذلك جيداً ) لان الناس لا يلومون عادة من طلب المشورة بل من سقط وذل والعقلاء لا يلومون من سقط اذا كان سقوطه بعد طلب المشورة واخذ التدابير الواجبة وذلك لانهم لا يحكمون بحسن السياسة لمن نجح من السقوط لظروف لا تتعلق بارادة الناس بل لمن احسن تدبير الامور واستدرك عواقبها

وكان من عادة مركوس انطونيوس انه بعد ما يكون استشار اهل مشورته في امرها ووجد رأيهم مخالفاً لرأيه يقول لهم اني احل هذا المشكل على ما تترأون انتم فالصواب ان اعمل برأي الاكثرين واترك رأي الواحد ويخبر لامباردوس ان الامبراطور اسكندر سافاروس ما كان يضع شريعة ولا يصدر امراً ما لم يجمع اولاً موثقاً مؤلفاً من عشرين رجلاً اجلاء ماهرين بالشرعية وخمسين آخرين من الافاضل الحاذقين وكان يضرب لهم اجلاً للتبصر في ما كان يلقيه عليهم من الامور

وهكذا كل ملوك رومة العظام مثل قاسباسيانوس وطيطوس وتراجان ونظرائهم فقد كانوا يرون من اللازم الضروري ان تلقى على مجلس الشيوخ كل مسألة خطيرة وهم ما كانوا ينتصبون في هذا المجلس انتصاب الملوك بل انتصاب روساء لا غير . فرفعوا بذلك شأن الملكة وشأنهم واما ملوك رومة الطغاة الظالمون مثل كاليقولا ونيرون وكومودوس ومكسيموس وهاليغال فراموا ملاشاة هذا المجلس ولاشوا بملاشاته الملكة وابدوا شأنهم واسمهم

#### الدليل الرابع من الاختبار

كل من وقف على اسرار سياسة الاديرة الرهبانية علم انه كلما كفر الرئيس برأيه ومعارفه الخصوصية تأيد عادة سلطانه في السلام واتحاد القلوب والخضوع الاختياري

ولا غرو ان الرئيس يبيع رجلاً كبيراً اذا طلب المشورة لانه اما ان يكون فظناً ومصيباً برأيه وحيثئذ يؤيد اصحاب المشورة رأيه واما قليل الفطنة وغير



سديد الرأي وحينئذ ينجح اذا ما ساس رعيته براى مشيريه وحكمتهم احسن مما لو ساسهم برأيه الغير المصيب وبقلة درايته

قال القديس بوناونتورا ان الفطنة والحكمة توجبان على الرئيس ان يقبل المشورة من مروثوسيه وان يطلبها ايضاً برقة جانب لانه اولاً من المؤكد انه يكون ابعد عن الزلل والخذاع اذا اختلف رأيه مع راي المشيرين مما لو انفرد به وثانياً ان لم ينجح بعد اخذه رأي اهل المشورة يكون قد نجا من لومهم وقدحهم وثالثاً يستحق لاجل تواضع ضميره ان يوثق من السماء انواراً خاصة ( ستة اجنحة ف ٦ ) وقال ايضاً في المحل نفسه قولاً جديراً بالاعتبار « ان ما يحمل الرئيس عادة على طلب المشورة انما هو احد ثلاثة اسباب اما تأكيد شي يرتب فيه واما طلب زيادة اهمية رأيه واما سد ابواب التذمر . ففي الاول يطلب مشورة اصحاب الخبرة وفي الثاني ذوي الاهابة والاعتبار وفي الثالث كل من يسهم او يسهم الامر . »

وحتماً ان الرئيس في كل من هذه الالوجه الثلاثة لا يعثر في ما يعامل به رهبانه لانه لا يمكن بعد اخذه رأيهم الا ان يشنوا عليه وعلى حسن سياسته سواء نجح في ما عمل او لم ينجح

وكل يعلم علم الاختبار انه لا شي يمكن الرئيس من استئثار قلوبنا وربطها بعقال مودته مثل طلبه مشورتنا ورأينا حين لا يحتاج بالحصر الى ذلك وبالعكس اننا لا نرى شيئاً يزعجنا ويجعلنا ان نمت اعمال الرئيس مثل استبداده برأيه واحتقاره آراءنا فكانه بذلك يعطى انه عالم كل العلم بما يفتقر اليه وانه قادر على القيام باعبائها وان الرهبان لا دأب لهم الا الخراب والتقلب

ولولا ذلك لما رأينا المروثوسين من اصحاب المناصب ومن غيرهم انهم يرون رئيسهم مشتبكاً احياناً كثيرة باحاييل شتى ولا يعدون له يد المساعدة . وانما ذلك يكون لاستخفافه بهم ومجانبة طلب مشورتهم فيعرضون عنه ويتركونه يخبط خبط عشواء وهكذا اذا زل مثل هذا الرئيس او وقع في مصيبة فانه لا يجد بين مروثوسيه من يرثي حاله او يعزيه او يشده بل يصادف من يهزأون به ويوغبون في امتنانه وتزول القرية به لانه لما كان لا يعاب بهم وقت عزه ومجده

لا يرون هم ان يعاؤا به وقت ذله وخزیه

### الدليل الخامس من العقل

انه لضرب من الحماقة ان يتصور الانسان نفسه غير مفتقر الى شي من النصح والارشاد واما القطن الحكيم فيقبل النصيحة من اي كان لانه ليس احد الا وفيه شي من الصلاح وان سرجاً كثيرة تضيء اكثر من سراج واحد ولا سيما اذ هو مقرر ان لكل امر ولو صغر جهات مختلفة لا تدرك الا بقوة العقل فيتفق كثيراً ان ما يراه هذا بمذاقته او بطريق الصدقة لا يراه ذاك على الاطلاق ولذلك يغطي طلب المشورة عيب جهله وقلة اختباره بانتقياده الى رأي ذوي المعرفة والخبرة لان من كان له مشيرون كثيرون كان له عقول كثيرة واعين كثيرة وآذان وايدي كثيرة فيدرك وينظر ويسمع ويعمل بهذه كلها معاً واما من يستبد برأيه فانه يحقر ذاته ولا يرى شيئاً الا نصف روية ( غراسيانوس رجل البلاط مبدا ١٥٦ )

قال احد الشعراء : ارفع بديحك صاحب العلم الواسع حتى الغيوم ولا تنس بديحك وثنائك من يجني الحقيقة من ازهار غيره . وقد افصح بليوس الشهير بقوله : ان اصدق علامة تدل على الفطنة الممتازة هي تفضيل الانسان فطنة غيره على فطنة نفسه واكبر دليل على حذقه وتعاظه هو رغبته في اكتساب المعارف ( مكتوب ٢٣ )

قال غراسيانوس ( رجل البلاط مبدا ١٤٧ ) مها تسامى الانسان وتناهى في الكمال فانه يفتقر الى المشورة لانه يضطر على كل الاوجه لان يدع مدخلا للصدقة والنصيحة ولا أغلق بوجهه باب كل مساعدة لان الجماعة الذين لا يجسر احد ان يدنو منهم دأوهم عضال واذا سقطوا في هاوية الهلاك فلا يوجد من يحذرهم شر العاقبة : وهذا القول يذكرني بكلام القديس بوناونتورا الذي قال : من البديهي انه ليس من احد ذاكوته تشتمل على كل المعارف فالرئيس الذي يعتقد ان كل تصوراته مستقيمة فلا يرى شيئاً مستقيماً سواها يفتح بلا شك للعدو الجهني سيلاً الى ان يرميه بالف خديعة وتهلكة : ( ستة اجنحة ف ١٠ )

ولا ريب بأنه متى استولت الكبرياء والجنون على الانسان فالدلائل الصادقة على تهوره والعبير المتجلية بتحييره انما هي محاذرتة النصيح والمشورة . فهل رأيت قط مجنوناً يطلب مشورةً هكذا الرئيس فانه اذا ما اخرجته كبرياؤه عن طور التعقل فانه لا يعود يستطيع ان يحتمل النصيحة من احدٍ ولا ادنى ملاحظة تتعلق به وكلما ازداد جهلاً ظن انه حكيم وخيل له انه ناظر الى العالم برمته وعالم بما فيه بمجرد نظره الى نفسه

واذا ابدى له مشيروه رأياً اجابهم على الفور اني اعرف جيداً ما يجب علي ولا افتقر لرأي احدٍ فاي اضطراب لا يلقي في قلوب الاخوة مثل هذا الجواب المشع حماقةً وجنوناً

قال ماشياقل : « ان من ظن ان الناس يعدونه ضعيف الرأي او خامد القرية اذا ما طلب مشورة العقلاء لني غرور عظيم لانه من المبادي المقررة عند الجميع ان طلب المشورة من خصائص الفطنة وان الاراء السديدة تكون لمن يطلب المشورة اكثر مما تكون لمن يبدي الاراء . »

وقال غراسيانوس : ان طلب المشورة ليس فيه ما يدل على صغر همة او ضعف رأي بل فيه عكس ذلك اي ما يدل على الحذق واللباقة ومن الجوهري ان يعرف الانسان كيف يسمع لانه بدون السمع لا يستطيع ان يعرف شيئاً

### الدليل السادس من بعض تمذجات

كلما كان الانسان فطناً ليلاً مملوءاً من روح الله يرتاب بصحة افكاره لان الفطنة ترشد صاحبها وتعلمه ان لا يثق بانواره الخاصة . وسليمان مثال الحكمة لما طلب من الله ان يوتييه الحكمة للقيام بسياسة شعبه قال هكذا : « هب يارب عبدك قلباً ليلاً ليحكم بين شعبك » فان الحكمة الحقيقية تنشأ عن اللطف ودماثة الاخلاق ومن عجز عن طلب المشورة عجز عن الحكم بين الشعوب وذو القلب اللين لا يكون متشبهاً بافكاره ويسهل له ادراك افكار غيره لان القلب اللين كما قال بوسويت له آذان صاغية وسليمان لما طلب الحكمة التمس قلباً ليلاً فكانه يعتقد ان الحكمة لا تفارق اللين ودماثة الاخلاق فها حدان اضافيان



يستلزم احدهما الآخر وما أجمل هذا الكلام البارز من فم احكم الناس . وما احكم سليمان الذي اوضح ان حكمته ما كانت لتكفيه . وما اجدره بان يقول عن نفسه : اني كنت ولدًا حاذقًا وأعطيت نفساً صالحةً . ( حكمة ١٨ ) أي نفساً مائلة الى الخير وقابلة المشورة فارتقي بهذه الوسطة حالاً الى اعلى ذرى الحكمة .

ثم ان موسى كلم الله وان كان قد تعلم من فم الله نفسه قبل نصيحة ياترو حمية وداود كان يسمع لثاتان والقديس بولس ما كان يبيدي الأالين والسهولة لقبول ما كان ينتصح به فلماً كافه يعقوب الرسول ممارسة التوبة التي كان اهل الناصرة يارسونها خضع لذلك خضوعاً تاماً وهكذا فعل لما اشار عليه اهل الشام ان يتدلى من اعلى السور ويفرّ هارباً فسمع لهم وعندما اراد في افسوس ان يلقي بنفسه في وسط اهل المشورة امسكه عن ذلك المؤمنون ففعل ومن المعلوم انه سلم نفسه لحنانياً بلطف ووداعة عظيمين حين قصد الرجوع الى الله .

والقديس اغوستينوس الشيخ الجليل لم يستصغر نفسه اذ طلب المشورة من اكسيلوس الاسقف الشاب لما قال له في رسالته ال ٢٥٠ اني لا احتقر شوبيتك ولا حدثتك في الاسقية بل انا مستعد كل الاستعداد لاستماع رأي من صار في درجة الاسقية وان كنت شيخاً طاعناً في السن .

ويمكن القول ان الرب يسوع طلب المشورة من تلاميذه اذ سأل قائلاً : من اين نبتاع خبزاً لياكل هؤلاء . ( يوحنا ٦ )

فأي رئيس يتأمل في مثل هذه الامثال ولا يكبح جماح النفس ويحقق من غلوائها ويقبل بل يطلب المشورة رافضاً الاستبداد برأيه كل الرفض . نعم ان من يشاور الناس لا ينجو من الزال لكنه يقلل عدد سقطاته ويحقق جرمها بل يتعلم كيف يخرج من الشر خيراً .

فلاجل هذه الاسباب ونظائرها اجمع مؤسسو الرهبانيات في قوانينهم على ان يتعين مشيرون لكل رئيس وحتموا على الرؤساء بالاخذ برأي مشيريه في كل القضايا الخطيرة وقد اعتادت جمعية الاساقفة والقانونيين المقدسة خاصة في هذه الايام الاخيرة ان تريد في قوانين الرهبانيات التي تريد ان تثبتها هذه الفقرة ان لم

تجدها فيها وهي « ان الرئيسة العامة لا يجب ان تكون مستقلة ولا ان يكون سلطانها مطلقاً وانه ليس لها ان تبدي خارجاً عن المجمع العام شيئاً من الامور الخطيرة الاً برضى اهل مشورتها والامور الخطيرة هي مثل قبول المبتدئات وقبول نذرهن واجراء العقود كالبيع والرهن ( وهذان الامران لا يجب ان يجري شيء منها الاً برضى اسقف الرعية بموجب نص الشريعة الكنسية ) وتأسيس الديورة وتوزيع الوظائف وتفسير القوانين وتخفيض الراتب المعين وضعه على الراهبة عند دخولها وملاشاة بعض الاديرة او تعيين مديرات او معلمات للمبتدئات وأمر آخر كهذه وهذه الجماعة المقدسة ترسم عادةً الشيء نفسه على جماعات الرهبان ايضاً ( انالكتا ك ٣٨ )

## عد ٢

في الصفات التي يجب ان يتحققها الرؤساء الكبار ومجمع المديرين  
في المشيرين عند انتخابهم اياهم

١ سلامة النية وحسن الطوية والتجرد عن الاغراض . ان الرباط المتين في السياسة الروحية هو خوف الله قال ابن سيراخ ( ١٧: ٦ ) من يتقي الرب يحصل على حذاقة صالحة لان صديقه يكون نظيره فعلى المشيرين اذن قبل كل شيء ان يكونوا من اهل الصلاح والا تأخرت اشغال الرئيس سواء كان الرئيس فطناً او غيباً لانه وان كان فطناً فلا يقدر ان يدرك بذاته كل اوجه اشغاله . واما اذا كان غيباً فلا غرو ان مشيريه ان لم يكونوا من اهل الصلاح يقودونه الى شر المهالك .

قال لموسى يتروحوه : خذ لك من الشعب اناساً اقوياء اتقياء مستقيمين يكرهون الطمع وول منهم عليهم . ( فر ٢٨ )

ويواش لما ملك في اورشليم لم يكن له من العمر سوى سبع سنين لكن لما كان يوياداع الكاهن الشيخ صاحب الفضيلة والبأس الشديد مرشداً له شهد له الكتاب المقدس ( ٤ ملوك ١٢: ٢٠ ) انه عمل ما هو قويم في عيني الرب كل الايام التي كان فيها يوياداع الكاهن يرشده . واما آخاب الجاهل فسلك سلوكاً يضاد سلوك يواش لانه لما دعا الانبياء الى مشورته نفى من بينهم ميخا بل لم يكن

يشاء ان ينظر وجه هذا النبي لانه كان يتنبأ له بما لا يرضاه وفوق ذلك ان المشيرين الصالحين يرفعون شأن الرئيس الذي يكون قد انتخبهم لمشورته ويعززون سلطانه لان مجد آرائهم السديدة ينسب اليه واما اذا لم يكونوا من اهل الاستقامة فيورثونه الحزبي والهوان في سقطاته المتكررة .

وقد اعتقد المتقدمون صحة هذا المبدأ وهو « خير الملكة ان يكون ملكها شريراً واهل مشورته صالحين من ان يكون الملك صالحاً واهل مشورته اشراراً » قال لامبرد في تلريخ اسكندر ساويروس : ان للمملكة رجاء النجاح اذا كان ملكها شريراً ووزراؤه صالحين اكثر مما لو كان الوزراء اشراراً والملك صالحاً لان شر الواحد يصلحه الكثيرون واما شر الكثيرون فلا يتدر الواحد على اصلاحه . وهذا واضح لا يفتقر الى دليل لانه لا يصعب على المشيرين الكثيرين ان يصلحوا خلل رئيسهم خاصة اذا كان مطواعاً واما الرئيس الواحد فكيف يقدر ان يسلك مستقيماً ومشوره الكثيرون يحجبون عنه نور الحقيقة ولا يدعونه ان ينظر سوى ظلام الظلم والطغيان .

وقال احد القدماء الافاضل : يجب على الانسان في المشورة ان يفتح قلبه تماماً لصديقه لكن يجب عليه قبل كل شيء ان يبحث بحثاً قوياً عن الصاحب الصادق وليحذر كل الحذر من ان يتخذ اللئيم صديقاً لان اخطار مثل هذه الصيغة اكثر ضرراً من اخطار الصخور في طريق السفن وهي خفية عن نظر الملاحين

قال ابن سيراخ (٨ : ) لا تشاور الحق لانهم لا يحبون الا ما هو على ذوقهم : فالاحق يشير بالحماقة والشرير بالشر

نعم ان شر الخداع كما قال غراسيانوس هو الخداعنا عند تمييز الاصحاب لانه لا مشابهة بين معرفة الاشغال واختيار خيار الرجال

فحقاً انه يجب علينا ان نلتجىء اليه تعالى ونطلب النور السماوي لاجل معرفة الصاحب الامين . « لان الصاحب الامين هو دواء يولي الحياة ويبقي من المات » ( لابن سيراخ ٦ )

وصلاحية صاحب المشورة في الرهبانية قائمة بتجرده عن محبة الذات والإغراض الخصوصية



فاختبر اذن نيات من تختاره لنفسك صديقاً ولا ترض بما يقوله هو عن نفسه  
واشار ابن سيراخ الى هذا اذ قال لا تستشر المنافق في التقوى ولا الظالم في العدل  
ولا المرأة في ضررتها ولا الجبان في الحرب ولا التاجر في النجارة ولا المبتاع في البيع  
ولا الحاسد في شكر المعروف ولا الجافي في الرقة ولا الكسلان في شيء من  
الشغل ولا الاخير المساكن في انجاز العمل ولا البطال في كثرة الاعمال ولا تلتفت  
الى هؤلاء شيء من المشورة لكن ايلف الرجل التي ممن علمته كيف يحفظ  
الوصايا ومن نفسه كنفسك فانه اذا سقطت يتوجع لك واعقد المشورة مع القلب  
فانه ليس لك مشير انصح منه لان نفس الرجل القديس تجر بالحق اكثر من سبعة  
رقباء يرقبون من محل عال وتضرع في كل هذه الى العلي يهدك بالحق الى  
الطريق المستقيم

وقد اخبر العلامة بوسويت في تاريخه العام ان لاهل العجم مبداء هو انهم  
يعتبرون مشيري الملك كاعين له واذان ولذلك كانوا ينهون الملك الى انه لم يعط  
هؤلاء الوزراء لكي يريهم بل لكي يستخدمهم كما يستخدم الجسم حواسه  
للنظر والسمع . . . وهكذا كانوا ينهون الوزراء الى انهم قد اقيموا لا  
لكي يعملوا لاجل خيرهم الخاص بل لكي يخدموا الملك الذي هو رأسهم  
وسائر المملكة التي هي جسمهم :

والقديس بوناونتورا يريد من الرئيس ان يُبعد عنه فريقتين من المشيرين  
المدلسين الضعفاء الجبناء الذين يصوبون له كل ما يعن له فيستحسنه والنامين الذين  
يقدمون له في عرض الجميع فيحملونه احياناً على النفور والبغضاء والانتقام من  
احسن رجال رعيته وخدمته

واما المشير الصالح المستقيم فهو الخالي الاغراض الذي يبذل الجهد في ترقية  
الرأي بالبراهين القوية الدامغة الا انه يبقى مستعداً لاستماع رأي غيره مفضلاً اياه  
على رايه الخاص ويتبعه اذا ما دعا الصواب ويعد العناد والتشبث برأي نفسه جنوناً  
ودناءة وخيانة في مصلحة مخدمه فجده في وجدان الحقيقة واتباعها . وخيره في  
خير الجماعة وارتقاها

٢ تقايل المشيرين وتقدمهم في السن وتحكمهم بالخبرة

ان كثرة المشيرين تقيد الزيادة في الايضاح وان واحداً لا يكفي لانه لا يرى كل شيء غير ان الزيادة في عددهم تقتضي الزيادة في الاراء وهذا مما يوقع الرئيس في حيرة ولبال فلا يعود يعرف كيف يميز صحيح الامور من فاسدها ويجعله كعبد لانه يضطر لان يرضي كثيرين فان من تطلب رأيه وهو ليس بمروءة وسك تضطر لمراعاة خاطره ويصبح رأيه نوعاً من الامر فالخاصل ان الأفضل في الاراء سديدها لا عديدها

واما اذا كان الرئيس واهن الغزوة فكثرة الاراء تضره كما تضر كثرة المطر الزرع او كثرة الاطباء العليل

قال ابن سيراخ (٢٢: ٨) لا تكشف ما في قلبك لكل انسان وقال ايضاً (٦: ٦) ليكن المسالمون لك كثيرين واصحاب شرك واحداً من الف «والسر في ذلك كتمان السر ولما كان هذا الكتمان بين القليلين اسهل منه بين الكثيرين كان الافضل للرئيس ان يكون مشيروه قليلي العدد وليس من الصواب ان يسد الرئيس اذنيه عن الذين لم يعينهم القانون مشيرين وان يكن للمشيرين لا لغيرهم الحق ان يبدوا آراءهم لانه يتفق احياناً كثيرة ان يرى اولئك ما لا يراه هؤلاء فان لم يعرهم الرئيس اذنأ صاغية لا يتسنى له الوقوف على الحقيقة

ولنذكر لزيادة الايضاح كلام القديس بوناونتورا السابق ذكره قال « متى اراد الرئيس ان يزيل من فكره كل شك وارتباب عليه ان يستشير في كل امر الماهرين به والمجدين فيه . ولا ينبغي ان يستوقفه الحجل من استشارة الاخوة العاملين في الامور الزمنية فان الله جلت جودته يبارك مثل هذا السلوك وان الفطنة قائمة بان الرئيس يتبس من العقول الصغيرة بعض الاشعة ويجعل له منها نوراً عظيماً يرشده في ظلمات الامور وقد اشار ايزوكرات على ديمونيكوس شوراً يستحق الاعتبار قال : اذا اردت ان تستشير احداً فأسأل اولاً كيف يدبر اهل بيته لان من لم يكن ذا رأي صائب في تدبير بيته كيف يكون له الرأي الصائب في تدبير بيت غيره » (١)

---

(١) ( حاشية من م ) يتبع من ذلك ان الرأي يكون سديداً اذا كان

واما اذا اراد الرئيس تأييد رايه وتثبيت مبادئه فليستشر ذوي الالهية في الرهبة وخاصة من لهم حق المشورة ولو كانوا معدودين من قلبي الخلق والخبرة وان يستشيرهم لا في الامور الخطيرة فقط بل في كل امر يقتضي عمله الخروج عن الخطة الاعتيادية فيسد باب التذمر ويجبر هولاء المشيرين على المحافظة والمحاطة عنه عند مسيس الحاجة ويجب لاجل هذه الاسباب ان يستشير الرئيس المنصوب في الامور المهمة اخصاء الرئيس المعزول المعبرين فيجبر بهذه الملاحظة والمآسة الخواطر المكسورة « وانها لحذاقة كبرى ان يتخذ الرئيس من نفس اخصامه اصحاباً ويدعم بنايات مقاصده بآلات كانت اعدت لتقويض اركانها فالملاحظة والثقة تتطع من المشاحنة والمحاكة طرقاتي »

واما اذا اراد الرئيس ان يسد فم كل مخاصم فعليه ان يستشير كل من يهمهم الامر ويحدث بذلك احد ثلاثة امور اما ان تظهر الآراء متفقة وعندئذ لا يبقى سبيل للتشكي واما تنقسم الى فيئتين كبيرة وصغيرة وهنا لا مندوحة للقدح في الرئيس اذا مال الى الفئنة الكبرى واما تنقسم فيئتين متساويتين وهنا لا يحق لاحد ان يطلب من الرئيس ان يميل الى فئة وعلى الرئيس الاقليمي الذي لم يعين بذاته مشيرين ان يحسم الخلاف ويترك الراي في هذا التعيين لحاظ الجمهور اذا كانت العادة جارية على هذا المنوال ولا يعين هو من يراهم اكثر سهولة او او انتقاداً الى رأيه ؟

ولما كان من المقرر ان الاختبار هو كوالدة او مربية للفطنة كان الشيوخ اغزر حداية واوفر فطنة من الشبان وقد شهد بذلك الروح القدس اذ قال «سيراخ ٣٥ : ٦» (قف في جماعة الشيوخ ومن كان حكياً فلازمه) وقال ايضاً « ١١ : ٨ » لا تهمل كلام الشيوخ فانهم تعلموا من اباثهم ومنهم تتعلم الحكمة وان ترد الجواب في وقت الحاجة ) وقال ايضاً « ايوب ١٢ : ١٢ » ( انما الحكمة عند الاشيب والفطنة في طول الايام )

---

صاحبه خيراً ومتزهاً عن الاغراض ولا فرق بين ان يكون راهباً سادجاً او غير راهب ايضاً

وقد كتب القديس ريمي الى كاوثيس ملك فرنسا قال اظهر اللطف والبشاشة للشبان واما الشيخ فشاورهم في تدبير مهاتك  
وقد ارسطوس الفيلسوف انه يجب ان تعتبر اقوال الشيخ كقضايا منطقية لا  
يفتقر اثباتها الى دليل لان الايام الطويلة قد اورثتهم العطل الناجمة عنها الماعولات  
ولما كانت الطبيعة نفسها قد اماتت في الشيخ شهراتهم فاصبح نور عقولهم يضيء  
ولا يحرق كالشمس في فصل الشتاء

واما باكونوس الشهير فكان من رايه ان يجمع في متدى المشيرين بين الشبان  
والشيخ لاعتقاده ان الاولين تسوقهم العجلة الى بلوغ النجاية من دون نظر الى  
مسافة الطريق الشاقة والاضطراب اللاحقة والآخرين يبالغون في خوفهم المخاطر وفي  
استدراك العواقب حتى يتعمدهم ذلك عن بلوغ مآربهم فيكون خلاف راي  
القريتين سليم العاقبة وقريب المنال معاً ولذلك اراد ان يجمع في كل موتمر بين  
الرجال الشجعان والنجباء وذوي الطباع القاسية والسهلة وبين مستدركي الامور  
بكل تدقيق ومن لا يستدركها

وبعد ان يتعين في الدير مجمع المشيرين يترتب على الرئيس ان يقف عند رايهم  
ولا ينبغي له ان يفتش عن مشيرين اخفاء غيرهم والا فليس له ان يتوقع بركة  
الرب ولا رضى الجماعة

### العد ٣

#### في كيفية أخذ المشورة

يجب على طالب المشورة ان يكون مخلص النية وان لا يكون له غرض  
الا الوقوف على الرأي الاوفق لقيام المصلحة

فينبغي على طالب المشورة ان يجمع اهل مشورته قبل ان يكون عزم على  
اجراء الامر المزمع والا أي اذا لم يستشر هيئة الشورى الا بعد قطعه في الامر  
قطعاً نهائياً غير قاصد بذلك شيئاً سوى تثبيت عزمه والتخلص من لوم الاخوة  
وهزئهم به عند سقوطه يكون فعله هذا كبرياء محضاً وسخرية بمشيره لانه غير  
مستعد لان يقف عند قولهم ايأ كان



ولعمري ان من كان مزاجه هكذا لطيفاً حتى يستصغر شأن غيره ولا يكثر لرأيه ولا يستشير الأرياء وغشاً قصد اخفاء نيّاته يكون بلا شك متصوراً ان في طلب المشورة انحطاطاً لسلطانهِ او ان فكره معصوم عن الخطأ فلا يفتقر لرأي احد . ولكن ما اجهل من تصور مثل هذا . فاي انحطاط لسلطان من يتعزز بدعائم اراء العقلاء وذوي التدبير . وأي فكر بشري لا يقبل الاصلاح ولا يحتاج الى تسديد وتأيد .

وما من دليل افصح بياناً على جهل الانسان من تشبّهه بافكاره ورد النصيحة والارشاد . فالتاجر الذي يستخف بتجارته ولا يتصور ان فيها صعوبة ولا يسأل احداً عن الاسعار والاحوال يُعد بلا شك جاهلاً ويكون خاسراً وأما الرئيس فبأولى حجة يكون جاهلاً خاسراً اذا لم ير في وظيفته مشكلاً ولا في سياسة الانفس صعوبة او لم يسأل او يقبل مشورة احد . والاختبار يرينا ان العقلاء الاذكياء هم الذين يقبلون المشورة ويطلبونها . وأما الذين يرفضونها فهم قليلو البصيرة ناقصو العقل .

ويجب ايضاً على طالب المشورة ألا يركن الى رأي نفسه ولا يسكن اليه قبل استماع الرأي الراغب فيه الواجب عليه استماعه وألاً يكون مستعداً لقبول شيء من فرائده لان العقل اذا اشغله رأيك لا يسمع معه رأياً آخر والذي يكتفي برأي نفسه لا يرى رأي غيره سديداً أو مستقيماً أو أميناً أو مستحق الثقة فمن لا يطرح عنه تمسكه برأيه كان كمن ينظر بزجاج ملون فلا يرى الا ما يريه اياه فكره والخلاصة لا ينتج مما تقدم فقررتاه ان الرئيس يضطر لان يبين في طلب المشورة انه قاصر الفكر اعمى البصر مظهرأ فرط افتقاره الى راي المشيرين لان ذلك مما يخفض من شأنه وسلطانهِ ويوجه الى المشيرين ما هو مخصوص به من اعتبار الجمهور وثقتهم الكاملة

ثانياً يجب على الرئيس ان يطلق اشيره الحرية التامة لكي يوضحوا له افكارهم بكل امن  
لانه لما كان المشيرون مأمورين امرأ اجازماً بتقتضى مهمتهم ان يوضحوا افكارهم

كما هو وكما يعرفون بلا محاباة ولا مراعاة ترتب ضرورةً على الرئيس ان يطلق لهم الحرية للقيام بالقروض

فمن واجبات الرئيس اذن اولاً الا يظهر ميله لاحدى الجهات والا يتكلم اول الجماعة لئلا يستميل البعض اليه عن خوف او جبانة او مدهانة او لئلا يخالف رايه البعض الآخر حباً للمنازعة والمضاغنة لا محاباة عن الصواب . ولهذا السبب لما اقيمت الدعوى على مرسلوس الروماني لانه رفع رأس تمثال اغوستوس ووضع مكانه رأس تيارديوس سأل يزون احد اعضاء المجلس تيارديوس قال أتريد جلالتيكم ان تبدي رأيها اولاً ام اخيراً فانكم ان ابديتم رأيكم اولاً حاتم الجماعة على اتباعه كيف ما كان وان اخيراً اخشى من اني اكون على غير قصد ارتأيت رأياً خلاف رأيكم

لا يطلب الرئيس كثرة الاراء الداعمة رأيه بل يطلب الوقوف على الراي السديد الواجب اتباعه .

ومن المقرر ان الرؤساء المتصفين بالحدق والبشاشة هم الذين يطلبون المشورة واما الجهلاء والعتاة فيأبون طلب المشورة او اذا طلبوها فلا يطلبونها بشروطها اللازمة

وثانياً ان يوضح المسألة المطروحة للبحث بظروفها في كل جهاتها لكي يستطيع المشيرون ان يبدوا رأيهم عن معرفة تامة وان لا يتجرى اثبات احدى الجهتين موثقاً بالبراهين المثبتة وداحضاً او راداً البراهين النافية لانه بذلك يسمى رئيس حزب لا رئيس جماعة متوخياً مآرب خصوصية لاخير المصلحة العمومية ثالثاً ان يظهر انه لا شوق له الا الى الوقوف على الراي الانسب والاصح وانه قابل بكل طيبة خاطر ان يبدي كل رأيه بملء الحرية ولو كان مضاداً رايه الخاص او داحضاً له كل الدحض

ولا غرو ان تعلق الرئيس الشديد برأيه وميله الى تأييده هو عن ضعف في العقل بل عن كبرياء خبيثة مذمومة لانه يخدع نفسه اولاً بظنه انه ذو مدارك عالية وافكار دقيقة بل يحيط علماً بجميع المسائل من كل الجهات والظروف والفروع وانه لا يمكن غلظه فيها او انحرافه عن سواء السبيل في الحكم فيها

ومن كان هذا تصوره في نفسه ينبذ عنه لا محالة كل رأي جاء مخالفاً لآيئه ولا يتعطف ويبحث في ما لو كان خطأً او مصيباً ويفهم المشيرين ببعض الحركات او بلسان الحال انهم غير مصيبين ويشير عليهم الا يعاؤوا بارائهم . بل من الواجب عليهم ان يسلموا ويحنوا الرأس له راضخين لكل كلمة ينطق بها واذا اتفق ورأى مثل هذا الرئيس خطاءه فكبرياؤه تمنعه عن الاعتراف به والعدول عنه وتحمله على تميم ما بداء فيه ولو رآه خلاف الصواب .

رابعاً على الرئيس ان يطلب من مشيريه ان يبينوا له آراءهم خطأً في الامور الخطيرة وان يهملهم مدة كافية يوضحون له فيها الاسباب المؤيدة رأيهم . وهكذا يقتضي العمل عند الحاجة الى كتم السر وحينئذ يتقدم الرئيس الى كل واحد من المشيرين ويلزمه كتم السر حتى على نظرائه وان لا يقول انه سئل عن امر ما ويبين ما اجاب عنه . والرئيس بعد ان يقف على الآراء المطلوبة فاذا كان كتم السر لم يزل ضرورياً فلا يفشي ما جزم به بل ينجزه حالاً بالفعل .

وان مما يوافق موضوعنا هذا نصيح ايزوكرات لديمونيكوس حيث قال اذا حدث لك بعض الامور المهمة التي تستلزم المشورة ولا يوافق اشهارها لاحد فسل عنها كأنها امر غريب لا يهملك فتطلع على رأي مشيريك ولا تفش لهم سرهم ولنا ايضاً ان نقول ان الاوفق عموماً الا يبيدي الرئيس رأييه لا اولاً ولا آخراً لكي يبقى مطلق الحرية حتى عند العمل .

### ثالثاً

يجب تقدير كل رأي بما يستحقه

فان الفطنة تقضي ان يبحث الرئيس في الآراء ويعرف ما هو الاقوى منها وما هو الضعيف ليتبع الاول وينبذ الثاني لانه لا يتفق ان يكون المشيرون متساوين بالاهلية والصلاحية قال الروح القدس : لا تصدقوا كل روح ( يوحنا ١ : ٤ ) ولنحذر من الحكم على هوى النفس كالحوف من شي او الطمع بأخولان الاغراض الخصوصية كثيراً ما تكون هي المتكلمة او العاملة فينا ونحن لا نشعر بها ولينعم الرئيس النظر ليعلم ما اذا كان المشير متروياً في الامر شاملاً اطرافه وما

إذا كانت الفطنة غريزية فيه ورأيه مصيباً حتى يكون نصحه جديراً بالاعتبار وها  
إذا كان له في المسألة الواقعة المأم أو مآرب خصوصية تجعله أن يفضل وجهاً على وجه  
فيها . أو كان محمولاً تسوقه الاميال أو جباناً لا يرى الحقيقة أو لا يقول بها أو  
جسوراً جاهلاً يوقعك في المخاطر والمهالك لأنه قد يوجد بين المشيرين من هم  
كذلك ولا سيما من هم براء من سوء العاقبة أو كان رجلاً خبيثاً لا يقصد إلا ما  
فيه رضاك ومرغوبك ولو كان داعياً إلى سقوطك وهلاكك فيفضل الاشهى  
لديك على الاوفق للمصلحة

فسم هذا التمليق يفسد قلبنا عادةً ويعمي بصيرتنا فلا نشعر بشر القضاخ  
المنصوبة لنا بل كثيراً ما نسقط فيها ولا ندري ولهذا ترتب علينا أن ندع هذا  
التأثير يزول من قلوبنا رويداً رويداً وبعد نعتبر بتأني وبدون ادنى ميل منحرف  
ونصدق جيداً في كل من الآراء المقدمة ونؤثر افضلها سواء أداً والاً إذا ملنا إلى  
أحد الآراء عن غير صواب أو عن بغض أو حبٍ وشعر المشيرون بأننا ملنا إلى  
أحدهم يخبئون ولا يجسرون على نقض رأينا كيفما كان أو انهم يشرعون في  
المضادة عن مرامٍ وكيد في كل فرصة سواء كان لذلك سبب أو لم يكن ثم بما  
أن من يتوهمه الرئيس صديقاً صادقاً هو انسان وله اهواء يجتهد أن يبين له اموراً  
شتى بخلاف ما هي آييه فالله يعلم عندئذٍ كم يصعب على الرئيس السلوك مستقيماً  
والامتناع عن الميل والاحتراز خوفاً من السقوط

ولا ينبغي أن الاغراض التي تحمل المشيرين على بث آرائهم بغير استقامة هي  
كثيرة منها في الواحد خمود قريحة فانه يبدي رأيه بدون تبصر وفي الثاني جبانة  
أو خوف فيميل إلى جهة الاكثرية أو جهة الرئيس ويميل إليها من دون أن يشهد  
فكرته ويبعث عن العلة الاوفق لذلك بذاتها ومنها في الآخر ايفار صدر أو روح  
تحزب فيرتأي ما يوافق ذوقه لا ما يوافق المصلحة فيرتب على الرئيس أن يبعث  
في هذه الآراء كلها ويتأمل فيها بدقة مع اسبابها وظروفها لكي يميز الآراء التي  
انشاءها روح الاستقامة والحق من الآراء الناجمة عن الاغراض والاميال المنحرفة



رابعاً

على الرئيس ان يبت كل مسألة خطيرة

ينبغي ان يوفق الرئيس بين مشيريه المختلفي الاراء اذا امكن ذلك ثم عليه بعد التأمل والتروي في اختيار افضل الاراء ان يجزم بقطع كل خلاف واما المروؤوس الذي يترتب عليه ابداء رأيه عندما يُسأل عنه فعليه خاصة ان يخضع لما يحكم به الرئيس

فقد تشكى يوماً الكردينال مانتر الى الكردينال باثيا ان قداسد البابا لا يتبع لهم رأياً فاجاب الكردينال باثيا : وقال الاتعلم ان الكرادلة من اصحاب شورى الاب الاقدس لا روساؤه واراؤهم لها قوة الترجيح لا قوة الامر والفصل فليس لنا ان نتشكى اذا رأينا ان قداسته اتبع رأياً مخالفاً لراينا :

وقال القديس مبارك في كتاب قوانينه : للاخ ان يبدي رأيه بكل تواضع وبدون ممانعة ولا مجادلة بل فليخضع لارادة الرئيس طائعاً في كل ما يأمره به والقديس غريغوريوس حثّ الروساء علي اطلاق الحرية التامة لمروؤوسهم في ابداء آرائهم وحذر المروؤوسين من ان يتخذوا هذه الحرية سبيلاً للمكابرة والفتنة . ( الراعي ق ٢ ف ٧ )

والحكيم من سمع المشورة لا من تبعها من دون انعام النظر فيها ومن عادة الرجل الحكيم ان يسمع المشورة ويقبلها ببشاشة كصاحب ودود وان يبحث فيها بتدقيق كقاضٍ خبير وان يعمل بموجبها بتزاهة عن العبودية كالسادة الاحرار وقال ساويدرا في هذا الصدد قولاً جليلاً الاعتبار بعيد المرمى وهو : ان من يرى الحقيقة بواسطة آراء مشيريه كن ينظر بواسطة نظارة فانه يضعها امام عينه ويستخدمها كألة ويحدق بنفس عينيه الى الموضوع الذي يشخصه . وهكذا طالب المشورة فانه غب تعيينه غايته ومقاصده يطلب المشورة والنصح ثم ينظر فاذا كانت الوسائط التي يبينها المشيرون تبلغه الى الغاية المطلوبة سمع لهم الا انه لا يسلمهم قيادة امره واذا عمل في هذه الصورة بموجب رأي البعض منهم فانه لا يكون بالحقيقة عمل الا بموجب رأيه هو نفسه

ولا غرو انه ضرب من الاترة والكبرياء الا يسأل الرئيس احداً عن شيء  
في جميع اعماله وكذلك ان هو الا انحطاط في شأن السلطان الا يعمل شيئاً الا  
يجوب مشورة اصحابه لان زيادة تمسكه برأي نفسه وزيادة لين طبعه وسهولة  
اخلاقه يقلبانه مع كل ريح وهما عيان يضادان النقطة التي هي عدو الافراط  
والتعريض . والعيب الثاني اقل خطراً من الاول بيد انه يخفض من شأن  
السلطان وقدره فاي اعتبار لاوامر الرئيس اذا لوحظ انها غير صادرة عنه بل انه  
قد تلقنها من اصحابه ويا ليتهم ليسوا باصحاب مآرب ومطامع وهذا نقص في  
بعض العقول يتولد فيها اما عن الثقل واما عن المساهلة او عن ضعف طبيعي في  
النفس فتأبى كل منازعة جدلية وتصدق كل ما يقال لها وكل برهان لديها سديد  
قاطع فلا ترد لاحد رأياً ولا تبحث عن حل مشكل وصاحبها اذا مال الى رأيك  
لا يلبث ان يرضيك حتى يميل الى رأي من يخاطبه بعدك ان لم تلاحه بالبراهين  
المقنعة وتمنع سواك عن مخاطبته لانه ميال طبعاً الى استماع الكلام الاخير

كتب العلامة غراسيانوس فصلاً موضوعه « لا يذهبن الانسان وراء الكلام  
الاخير » قال فيه : من الناس من يتأثرون مما يقع آخرآ في سماعهم كأن ذهنهم  
وارادتهم من شمع فما طُبع فيها اخيراً يمحوا ما كان قد طُبع فيها قبلاً وكل يقدر  
ان يلبسهم زيه فهم صبيان ما داموا في قيد الحياة (رجل البلاط مبدا ٢٤٨)  
فمن سلم قيده لاخر كان كمن لا يبصر كالاعمى الذي يتبع خطوات قائده  
فما احكم وما اعجب تعاليم الروح القدس حيث قال « تحت ثلاثة ترتج  
الارض . . . تحت عبد اذا ملك » . ( امثال ٣ : ٢١ ) وقال في محل آخر  
« ابن سيراخ ٦ ) : افترق عن اعدائك واحترز من اصحابك . فقد ينخدعون  
فيخدعونك واذا عرفوا كيف يتصرفون عليك من الجهة الضعيفة فيك فلا تعود  
انت المليك بل هم يصيدون الملوك وانت العبد

فتعلم كيف تقضي وتنهي ما في حد امكانك والا فلا تكون انت الحاكم  
بل من يلقنك الاحكام هو الحاكم واذا علمت جيداً ما كنت جاهلاً واكتسبت  
من الانوار ما كنت مقتراً اليه فاصدر اوامرك كرئيس وان خالفت بذلك رأي  
الجميع فلا بأس عليك وكن على ثقة ان العناية الالهية تأخذ بيدك لانه « اذا كان

قلب الملك بيد الرب « كما قال صاحب الامثال فذهنه يكون كذلك واعلم  
انك انت الرئيس وعليك يدور محور الرياسة بمهماتهما واذا لم تحكم انت بنفسك بل  
حكمت غيرك بدلاً منك فلا يجب لك المساعدة السماوية المعدة لصاحب الرياسة  
ووحده

وهل ينتج من ذلك انك مضطر ان تعمل برأي نفسك او تفضل رأيك على  
رأي جميع مشيريك كلاً بل اذا ظهر لك ان رأيهم الذي اجمعوا عليه هو مخالف  
رأيك وان الغيرة والاستقامة هما المحركان لهم فاخضع رأيك لرأيهم ولا تقانع ان  
لم يملكك على الممانعة نور سماوي  
هذا ولكل من الرهبانيات رسوم تبين اين وكيف للرئيس ان يضاد رأي  
المشيرين او يخضع له  
ثم ان قبلت المشورة او لم تقبلها فبادر الى شكر المشيرين والا فلا يبقى لك  
من ناصح او مشير ما حييت

#### خامساً

على الرئيس ألا يعجل في حكمه

انك غالباً لا تجد الحقيقة الا بعد البحث عنها والتنقيب اياماً لان مركزها  
في نقطة واحدة غير متجزئة وهي شبيهة بنقاط كثيرة تحاكيها وتلتبس بها فاذا  
وجدناها وجب ان نقبض عليها ولا ندعها نُقلت فيما بعد واذا كنا كما قال  
الحكيم (حكمة ٩ : ١٦) « بالجهد نتمثل ما على الارض وبالكد ندرك ما  
بين ايدينا » فأنى لنا ان ندرك اموراً مرتبكة لا يمكننا الوصول اليها ولا  
ادراكها الا بشديد التنقيب والتدقيق ؟

ومن الاشياء التي تعرض على المشورة ما يخيل في مبتدا الامر عظيماً ثم يظهر  
بعد انه حدير لا طائل تحته ومنها ما يجري امره بخلاف فانك تظنه اولاً صغيراً  
ثم بعد يظهر انه من الامور الجليلة ورباً امر ظهر سهلاً وكان صعباً وعراً وامر  
كان في بدايته مضرراً وامسى في نهايته مفيداً واقول اخيراً ان اموراً كثيرة يكون  
لها عاقبة لم تنتظر من قبل

قال الحكمي (امثال ١٤) : ان المرء قليل الصبر لا يعمل شيئاً بوقته وانما يبيدي الحماقة . وقال ( ١٩ ) النفس من دون علم غير صالحة ومن يعجل بالقدم يزل . سفه الانسان يفسد طريقه وقلبه يحترق على الرب

وقد بين القديس توما رذيلة الاثرة في ثلاثة امور مرجعها العجلة قال ( ٢٠٢ س ١٣٠ ف ٢ ) اولاً استصغار الامور العظيمة ثانياً استعظام وسائل النجاح ثالثاً افتخار الانسان بما يقب ليست فيه . وقد احسن لو زاد هذا الامر الرابع وهو بت الحكم والقطع في الامر لاول بادرة . فتعساً للرئيس الذي يسرع في احكامه واعماله اظهاراً لحدة فكره وشدة عزمه . لانه لا يتأخر عن ان يتقهقر لظهور موانع لم تكن في الحسبان .

وان الرئيس كلما سهل لديه اجراء او امره وجب عليه التأني في اصدارها لان صعوبة العمل على المروءوس تفتح له ابواباً للتدبر والدهاء اما الرئيس الذي لا يتكلف للعمل الا القول فالعجلة تضر باعماله اي ضرر

تأن اذن في اجراءاتك ولا تخط خطوة الا عن تعقل وامهل نفسك ريثما تتأمل وتفكر وتتصور وانتظر ولا تمل بل عد فانظر الى ما وراءك وزنه ثانية وان مست الحاجة ناستشر ثانية ذوي الذوق السليم . لا تأنف مما تُقدح به بل اتخذ لك منه ما يساعدك على تقويم سائر مقاصدك واعلم ان ما تقصده على غير روية فهو بمنزلة ثمر لم ينضج بعد وكل عمل تحملك عليه الحدة لا العقل فهو وان حسنت بدايته فنهايته قلما تكون حسنة

قال المعلم غراسيانوس : ان التأني يصلح في كل الاعمال لان الافكار الجديدة تنشأ عنه والمقاصد تثبت به وتتأيد . ومن الضروري ان نبحث في الامور من كلا وجهيها وننظر في ما لها وما عليها على شرط ان نكون مستعدين لقبولها او لرفضها من غير فرق والعرض لا يطراً على ذوي التبصر كما ان الزلق ليس من شأن المتأني المراقب خطواته . (رجل البلاط مبدا ٥٥ و ١٥٥)

واعلم ان الوسادة قد توحى لك في ليلك ما لا تراه في نهارك فخير لك ان تنام في المسألة المشككة مفتكراً في حلها من ان يوقظك الاسف بعد حلها على غير ما يرام



سادساً

في ان التأمل في المسائل لا ينبغي ان يكون

لحد غير محدود

رب مسألة غير معقدة يسهل حلها بقليل من الروية ورب عقل ثاقب لا يفتقر في فض المشاكل وان تصعبت الا الى مدة من الزمان يسيرة وما عدا ذلك فما من فضيلة الا ولها حد تنتهي عنده والا لما كانت الفضيلة فضيلة

قال المعلم دي بروليا : ان في الانتظار حكمة اذا كان هناك ما يوجب الانتظار او كان للانتظار اجل مسمى . واما اذا كان الانتظار على غير مقتضى او لم يكن الا عن خمول وخمود فبئس ذاك الانتظار وما عاقبته الا البوار ولعمري ان اطالة الفكر في المسائل والتحسب والتدقيق والتنقيب عنها بغير نهاية ومن دون نتيجة لحسارة كبرى بل تضنك القلوب وتعرقل العقل وتتلف ساعات ثمينة كان الاجدر ان تشغل بالعمل من ان تضاع في التبصر الطويل ومن ذا الذي لا يرى انه اذا عرض للعقل فتاه يصبح القلب مضطرباً ومضطرباً ويضل الفكر عن سواء السبيل ويتعرقل في كل تصوراته

قال القديس توما ان الحكم والقطع في قضايا العلوم النظرية لاسهل منه في علوم الادب لان لتلك دستوراً ثابتاً تستند اليه مع شيء من اليقين اما هذه فدستورها وقوانينها الحوادث الادبية الكثيرة التقلب فلا يمكن فيها الحكم غالباً الا على الارجحية فكيف اذن نطلب علم اليقين في مسائل قلما لا يتأمرها شيء من الشك والارتياب

فالقطة اذن تقتضي ان نقدم احياناً كثيرة على العمل ولو كنا على شيء من الريب ذلك اجزى من ان نلتزم البطالة الى زمن لا يعرف حده فبعد البحث والتروي الكافي يجب ان نميل ونعتمد الى الجهة الارجح وما زاد على قوتنا نكل به الى عناية الله . لان كل مقتضيات القطة على ما أبنا مرجعها هو ان نعرف كيف نحكم في الامور حكماً نهائياً

ولا نكون اذن احد اولئك الذين تقلق افكارهم وتتعرقل بمزيد ارتياحهم لاستماع الاقاويل والاستخبار عن كل حادثة والتأمل في سفاسف الامور فيمتنعوا عن كل عمل الى ان يروا من اصحاب الشورى حكماً باتاً ورأياً لا يشوبه خطر الريب فيضطرون على هذه الحال الى انتظار ليس له نهاية وحقاً ان من كانوا كذلك يقال عنهم انهم رجال فكر وتأمل لا رجال عزم وعمل واي خير من التأمل بدون العمل ؟

قال الحكيم امثال ( ١٤ : ٢٣ ) : في كل تعب (عمل) يكون الخصب وما في كلام الشفتين الا الجذب » وقال ايضاً ( سيراخ ٤ : ٣٤ ) « لا تكن سريعاً في لسانك ولا كسل متوانياً في اعمالك » مثل بعض الناس الذين يحبون التكلم ونجد في افواههم بعض الاقاويل الصالحة الناتجة عن المبادي المستقيمة ولهم افكار ومعقولات مقدسة لكن اعمالهم لا توافق افكارهم . قال الحكيم ( جا ١٧ : ٧ ) لا تكن صديقاً بافراط ولا تكن حكيماً فوق ما ينبغي لئلا تكون في وحشة ( لئلا تعد بليداً ) فالصديق والحكيم المفرط انما هو الذي يتصور في جميع اعماله مشاكل وعراقيل لا تحل لما هو عليه من ضعف القلب والعقل قال الحكيم ( ١١ : ٤ ) « من يرصد الريح لا يزرع ومن يرقب السحب لا يحصد » .

وبالنتيجة ان جميع الاشياء تتطلب المهلة والسرعة فتلك للتأهب وهذه للعمل فالامبراطور كارلوس الخامس كان يقول ان التأني هو كروح للمشورة والسرعة روح للعمل . واما حكمة الملك فقائمة بامتراجهما معاً

### سابعاً

في المناقب التي تساعد الانسان على تمييز ما هو اوفق

يمكن جمع هذه المناقب في ست ؟

١ - العقل الصائب وهو الذي يصوب نظره الى الغاية تَوَّافِيز في كل عمل الجوهري من العرضي فيعرض عن هذا وينعم التظار في ذاك ويعري المسألة مما يجعلها غامضة وينظر فيما اذا كانت العلل سديدة والوسائط المقدمة كافية للوصول

الى الغاية ثم يفحص فحصاً مدققاً في سبب تباین الاراء في المسألة الواحدة لعله يكون صادراً عن اختلاف الغايات الواجب نبذه

اما هذا العقل الصائب فان هو الأ هبة من الله فلا العلم ولا غيره من الوسائط البشرية يقوم مقامه وانما يبقى علينا ان نعني بتتقيف ما فينا من العقل وتهذيبه وترقيته في معارج الكمال وتوسيعه ما امكن

٢ العقل الراسخ الذي يردُّ الاراء الباطلة والوسائط الضعيفة والادوية التي لا تفيد الا تغطية الجرح الخارج ولا يعتبر المبادي الكاذبة التي لا تليق بشرف الرئيس ولا تصلح لخير الجماعة

واذا كان المشيرون ليسوا من ذوي العقول السامية او اقتضى الحال حكماً معجل الاجراء يتعرض الرئيس للسقوط في احوالة التمزيه والتمليق والمواعيد الكاذبة اما اذا كان راسخ العقل فيقوى على جميع ذلك ولا يرضى به لانه يشوب اسمه وشرفه ولا يبلغه شيئاً مما فيه حسن الحال واصلاحها

واذا كان المشيرون ليسوا من ذوي العقول السامية او اقتضى الحال حكماً معجل الاجراء يتعرض الرئيس للسقوط في احوالة التمزيه والتمليق والمواعيد الكاذبة اما اذا كان راسخ العقل فيقوى على جميع ذلك ولا يرضى به لانه يشوب اسمه وشرفه ولا يبلغه شيئاً مما فيه حسن الحال واصلاحها

٣ العقل الواسع الذي يرى صاحبه بلحظة واحدة كل ما يرغب في معرفته فيضعها بعضاً بازاء بعض ويقابلها ويؤنّها ويؤنّها ويؤنّها ويسمينها لان من كان عقله واسعاً تتوسع مداركه . وعكس ذلك العقول الضيقة التي لا تسع الا فكراً واحداً غالب الاحيان فمتى تلاه فكر آخر تعجز عن حله قبل حل الاول فلا تستطيع ان تجمع بين فكرين معاً ولما كان لكل فكر تأثير مخصوص كان ذو العقل الضيق لا يتأثر الاً من الفكر الحاضر واذا طرأ عليه فكر ثان كان له عنده تأثير على حدثه وينسى معه ما كان من امر الاول فيبقى على هذه الحال لا يسكن له اضطراب ولا يهدأ له بال

٤ العقل الذي لا ترعزه البراهين التي تقدمت فان صاحبه لا يعجب من خطر سبق فاستدركه ويتعود ان يسلم لمن هو الاخر في طبقات المتكلمين ولا

ان يميل مع كل ريح ولا ان يضيع وقت العمل بالتأمل والتأني  
فهذه الحلة الضرورية للرئيس الذي يجب ان يكون في احكامه ثابتاً غير  
متقلب هي صادرة عن الحلال المقدم ذكرها اعني الاستقامة والثبات ولا تعد  
بدون ذلك فضيلة بل رذيلة ونقصاً عائباً وتسمى يبوسة وعناداً

٥ العقل الجازم الذي لا ينتقاد للقوات الاجنبية ولا يتقلب لتغير الاراء  
الخارجية بل يرقب صاحبه اهمية العلل المقدمة اليه ويمتنع قوتها ويحتال لنفسه  
خارجاً عند اختلاف الاراء فلا يكون ذلك عن ضعف في رأيه بل عن احتراز  
من الزلل . لان حذاقته تبين له كل ما يريد ان يعرف واذا صدق من ابان له  
سواء السبيل ينظر ويدقق ثم يعتمد ولا يتزعزع

فالرئيس الذي لا يكون متصفاً بهذه الصفة لا يكون رئيساً او حاكماً بل  
مروثوساً ومحكوماً واسوأ من ذلك ان ينتقاد كثيراً لقائده سيء النية كراهب  
ذي دهاء يرضيه فيستميله الى حيث تكون له مصلحة

٦ العاقل الاديب اللطيف الخالي من الكبرياء التي تعميهِ والعناد الذي  
يقسِيهِ والبغضاء الاصلية التي تبعده عن كل مؤانسة فهو مستعد لان يسمع من  
الجميع وان يستفيد من كل ما يسمع ويوقن انه يستفيد ويعتبر النصيح والمشورة  
الصالحة اكثر من كل خدمة تقدم له

وهذا الادب وهذا اللطف لا ينبغيان الفطنة التي بها يمتحن الانسان قوة  
النصائح والاسباب التي حملت الناصحين عليها اما بدون الفطنة وهي قطب الرئيس  
فما الفائدة من كل المشورات والنصائح قال ابن سيراخ (١٠: ٢٢) « من كلم  
الاحق فقد كلم متناعساً فاذا انتهى قال ماذا »



## الفصل الخامس

في الشرط الخامس الجوهرى للفطنة الرهبانية وهو  
القيام بالاعمال حسناً

### أ طلب الخير العام

فمن اخص الواجبات في كل اعمالنا ان نسعى وراء مجد الله الاعظم وخير  
القريب الاكبر وذلك لسببين الاول هو انه لما كان الانسان لا يقدر ان يقوم  
بكل الاعمال ترتب عليه ان يختار احسنها والثاني ان الخير في مبدا القديس  
اغناطيوس كلما كان عاماً كان سماوياً والهيئاً . فالاليت بك ان تفضل الاعمال التي  
توافق روح رهبانيتك على التي لا توافقتها والمأمور بها او المنتدب انت اليها على ما  
سواها فلا تتدخلن في الاعمال التي لا تكلفها وخاصة اذا ما رأيت الافكار  
مستعدة لمذمتك والقدح بك ولم يكن لذلك من وجوب او ضرورة ولا تتدخل  
في اعمال من شأنها ان تعرض فضيلتك للخطر قال القديس اغناطيوس : اني  
افضل درهماً من الخير في عمل بأمن على قناطير منه لا تؤتى الا مع خطر الهلاك  
فان الاكيد المقرر يفضل على المشكوك فيه وما هو اقرب الى النجاح على ما  
هو بعيد عنه والمفيد على غير المفيد والثابت على ما لا ثبات له وما لا تسمح  
الضرورة بتأجيله على ما يؤجل وما يمكن انجازه بفرصة قصيرة على ما لا ينجز الا  
بستين عديدة ومشاق شديدة وما يمكنك اقامه على ما تتركه غير متمم  
ويفضل ما لا يخطر ببال غيرك على ما ترى الكثيرين مقبلين عليه ويستطيعون  
عمله فالقديسون كان لهم شعور عجيب وذوق سليم في اختيارهم الاعمال المهمة  
وكان فيهم محبة غير متناهية بها يدعون الناس الى وليمة الاب السماوي ولاسيا  
من كانوا مطروحين في الطرقات وفي زوايا النسيان والفاقة والمذلة فبمثل هذه  
الاعمال والشركات المقامة لها يسدى اعظم مجد لله تعالى فان لم يكن ذلك من

جاء عظمة الخير الناجم عنها في الحال او في الاستقبال فيكون على الاقل من اجل بنيان القريب والبركات التي تستطرها على الجماعة القائمة فيها ويفضل الروحي على الزماني (١) والاهم على المهم سواء كان بالنظر الى الاشخاص او الاشياء وتقدم الامور الكنسية المحضة على المدنية او على مجملها ويفضل بين الناس من هم كبحور للخير او آلة دافعة اليه ومن يمتازون بعلومهم او في مناصبهم او بمعاملاتهم الخارجة فيكون لهم على اهل وطنهم وبني جنسهم سطوة وسلطان يميلون بهم كيفما شاءوا الى الخير او الى الشر وهكذا يفضل اولئك الذين هم من اهل الاستقامة او الفساد الذين يصلحون او يفسدون من جاورهم او ما كان في حوزتهم وكذلك يفضل من نجاهم ميالين بنعمة خاصة او فطرة طبيعية الى الحالة الكهنوتية او الرهبانية ويمكنهم بعد ان يكونوا آنية محترمة لحمل البشارة وبث الفضيلة ومثلهم اضدادهم الجامحون الى الشر الاقوياء على ثمره بسرعة . ويفضل اخيراً في خدمتنا الروحية كل من نجد فيه استعدادات قوية للخير او للشر والسر في ذلك هو ان يريد الخير العام نفسه يطلب مثل هذا التفضيل والتخصيص لان عملاً واحداً في مثل هذه الظروف يساوي اعمالاً كثيرة جارية في قصد جلب المنافع او درء المفاسد

---

(١) فليتنبه بعض الرُوساء الروحيين الذين يبذلون جل عنايتهم في الزمنيات فيغرمون بها وينشرون بهرجتها فيسهون عن خدمتهم الروحية التي اليها انتدبتهم العناية الالهية بنوع خاص فانك قلما تسمعهم يتذكرون او يتعادثون الا في الزمنيات كالارزاق والمواشي والخيول وخاصة في تشييد البنايات العظيمة التي ليس كالكثرتها غاية الا دفن الاموال فيها وكان الاولى ان تصرف تلك الاموال في وجه الخير العام كتهذيب شبان الاكليروس خصوصاً لانه لا ينبغي على احد ما هو عليه شرقنا في الحال من الفاقة الى ذلك اذ الحصاد كثير والقلة قليلون . (مم)

٢ من الواجب ان نرضى بالممكن المستطاع في كل الاحوال

حتى في اعمالنا الروحية

نعم انه يخلق بنا ان نطلب بآمالنا واشواقنا ما هو حسن وان نوسع نطاق افكارنا ولا نرضى الا بكثير الاعمال وافضلها ومتى شعرنا بان النعمة اخذت تعمل فينا يحسن حينئذ ان نفتتح لها ابواب قلوبنا ونساعدوها على سعيها وتقدمها وينبغي ان نستأصل جرثومة الرذيلة بعد قطع اغصانها وان نجدد غرس جنة الفضيلة بعد اقتلاع ذاك الاصل الذميم حتى اذا بلغت النفس القداسة المعتادة نجتهد في بلوغها الى الكمال

ومن المبادي الراهنة اننا متى قصرنا عن نيل بغيتنا يجب ان نجتهد في الحصول على ما نتدر عليه فاذا رفض مثلاً من ترشده قبول المشورات فاطلب منه قبول الوصايا ومن ابى عمل الرحمة فاطلب اليه ان يبتعد عن الظلم ومن ابى الاقلاع عن كل الرذائل فارتض منه بالاقلاع عن بعضها ولا سيما التي تكون ادعى الى العثار من غيرها وهكذا من ابى ان يرفض الشر كل الرفض او لم يرد تقليله طالبه بالصلاة وبالعبادة للبتول مريم ومن لم يصل فطالبه بالصدقة وان لم يتصدق وصعب رجوعه الى الصلاح فانفصل عنه مدة انفصال محب مظهرًا شوقاً وافرًا الى مقابله غير مرة ودع الله والزمان ان يعملانا نرى الناس كثيرًا ما يملون من الرفض كما يملون من التلبية والسباح

ثم وان كان يجدر بنا عادةً ان نظهر الشهامة والا نرجع عن شيء من اعمالنا فقد يعرض لنا ان نضطر للرجوع وان توجه عنايتنا بالخير الى اشخاص آخرين واشياء اخرى

قال شيشرون انه لمن المسلم به ان الحكمة تقتضي احياناً التسليم لاحكام الزمان اه وقال ايضاً : ان الملك يضطر لطاعة الزمان كما تضطر الرعية لطاعة الملك اه

وقد ينحسر غالباً من يطلب الغنى كثيراً

كان القديس فرنسيس سالس من عاداته ان يقول : من اراد ان يتقدم دائماً

ولا يرجع الى الوراء عليه الا يطلب كثيراً مما يرغب فيه ولا ان يلح في طلبه  
والأ يطلب اشياء عديدة في اجل واحد  
وكان القديس اغناطيوس يعد نفسه سعيداً حينما يتيسر له ان يقلل عدد  
خطايا العاهرات بتعيينه لمن معزلاً يبعدهن ولو قليلاً عن الخطاء والقديس فرنسيس  
كسفاريوس لما كان غير قادر على هدي احد التجار الخطاة اكتبني بان يطلب منه  
شيئاً من الاحسان الى الفقراء الذين كان يعتني بهم  
ولا تثقلن على نفسك من الاعمال ولو صالحة وموافقة لروح دعوتك ولا  
تتمسكن في وقت واحد بكثير منها وهي محتانة الجنس لان الاشغال الزائدة  
تسرق من الاوقات المعينة لاعمال التقوى وتتلف القوى والصحة ولا تفيد وان  
الراهب ان لم يحفظ وقتاً للدرس والمطالعة يضعى غير قادر على القيام بكثير من  
واجباته . وكيف ترى الانسان لا يضطر لان يوفر قواه الطبيعية والعقلية  
ليصرفها في خدمة الجلال الالهى او كيف لا يجب عليه المحافظة على حرارة المحبة  
في قلبه وهو يعتني باضرامها في قلوب الآخرين . قال ابن سيراج ( ١٤ : ٥ ) من  
اساء الى نفسه فالى من يحسن ؟ اه ومن انطفا سراج به بعد نقد زيتيه وجفت  
مشكاته فمن اين له ان يضي سراج غيره

### ٣ النظر في عاقبة الامر قبل حلوله

فقد شوهدت في كتابة مصرية قديمة كلتا الفطنة والبصيرة على رسم توتة  
شامية على اغصانها طير الكركي وفي ذلك رمز الى ان التوتة الشامية اوفر حكمة  
من سائر الاشجار لانها لا تزهى الا بعد ان يزهر الشجر كله وقاية لنفسها من  
الزهرير والجليد وهكذا طير الكركي فانه يوصف بالحكمة لانه يجني عشه عن  
نظر المعتال والرئيس لا توجب عليه الفطنة ان ينظر الى ما يحدث عند وقوعه بل  
ان يستدرك عواقب الاشياء التي لم تقع بعد واما المروثوس فان لم ينظر الا في  
الحاضر فمعدور . ثم ان الرئيس لا يكفيه ان ينظر ويرقب ما هو ضمن دائرته  
او تحت تدبيره بل لا بد له من ان يمد بصره الى مواقع بعيدة شاسعة ويستشير  
المستقبل اكثر من الحاضر وان يهمل مصلحة نفسه ويعتني بمصلحة الجماعة ولا



يبالي اذا لم يستطع هو نفسه ان يتمتع بشمرة اتعابه في اصلاح الاملاك وتشيد  
البنيات لانه يأتي بعده من يتمتع بها واذا ما شرع في عمل مهم فلينظر اولاً في  
ما اذا كان له من القوة والمدة ما يكفل اتمامه والا فلينظر ما اذا كان يرضى به  
خلفاؤه وانه لا يورثهم به عراقيل واتعاباً هم والرهبانة في غنى عنها . ولعمري  
ان المهم في اكثر الاعمال هو النظر في عاقبتها لا فيها نفسها ومن لا يدرك هذا  
كان كمن لا ادراك له الا ترى ان مداركة الصحة قبل المرض اولى وانفع من  
الادوية والعقاقير بعد الاصابة به . قال ابن سيراخ ( ١٨ : ) تعلم قبل ان  
تتكلم وخذ الدواء قبل حلول الداء اه قال الحكيم ( امثال ٢٢ : ٣ ) ذو الدهاء  
رأى الشر فتواري والاغرار جازوا فنالهم السوء اه

واننا لا نريد بنظر العاقبة عملاً صعباً مزعجاً بل نظراً يقظاً وساكناً يري  
صاحبه في نهاده ما يتعلق بغده ومما يتعلق بالغد يستدل على ما يحدث في المستقبل  
فلا يتهامل بشيء من الصغائر ولا يُعلق على كل الاعمال اهمية واحدة

اما بعد فان عدم النجاح يعزى الى القدر واما عدم الاستدراك فيعتبر نقصاً  
وزلة . وقد كتب لويس الرابع عشر بيده في احدى مذكراته كلاماً يعتبر كبداية  
عام قال لا ينبغي ان نعرض للصدفة شيئاً يمكن الفطنة ان تستدرك عاقبته اه  
وانما لاجتنا في طلب المكاسب هي التي تسبب لنا الخسارة غالباً والامال الكاذبة  
تخدع اقوالنا واعمالنا فلنحذرن منها لانها تقود الى الشر

وللقديس اغناطيوس مبداء ليس اقل سداداً وحكمة من هذا وهو في قوله :  
لا يجدر بنا عمل من الاعمال العمومية المعرضة لنظر المنتقدين الا بعد التحقق في  
امر عاقبته وايجاد الوسائط الموصلة الى الغاية والافضل بعد ذلك هو الا ينجز مثل  
هذا العمل الا خفية عن نظر العموم

فلا خلاف في انه يندر وجود ملك او قديس اعظم فطنة من هذا القديس  
لانه كان يبعد النظر جداً في امر معرفته عقول اصحاب مشورته وكنه الاعمال  
التي تكون لديه ونتائجها المفيدة والمضرة وفي صلاحية الزمان للعمل والوسائط  
الموصلة الى الغاية وفي الموانع وكيفية ازالتها . . . . . واما الاعمال الهامة فكان بعد  
تأمله فيها ملياً يعرضها على اول جماعة من اصحاب مشورته فينتقون فيها ويدققون

النظر في كنهها وموافقتها . وبعد نهاية هذا الامتحان كان يعرضها ايضاً على جماعة ثانية للنظر في وقت العمل الذي يجب اجراؤها فيه . وكان يفعل هذا لكي يتأكد انه غير منقاد الى جهة لغرض خاص او ميل منحرف . وكان يعتبر هذه الاعمال كأنها لغيره ولكنها مقدمة له لينظر فيها كمنتقد لا غير . وهكذا الرسائل التي كان يكتبها بيده او بواسطة كاتبه في هذه الاعمال فانه كان يراجعها ثلاث مرات او اربعاً مصلحاً ما فيها من الخلل واما كان متصفاً بفطنة غريبة وعزيمة تقدره على اكبر الاعمال وبصيرة تراه اعظم الامور قبل حلولها بزمان مديد كان يرتأي احياناً ويعمل ما يستغربه غيره ويخطئه فيه بالبداية واما عندما كانت تظهر نتيجة عمله ورأيه المصيب فكان الجميع يتعجبون من حكمته الباهرة وحذاقته الظاهرة

#### رابعاً عدم التأني في امر الفطنة

فلا تقتدين بالذين يتصورون ان الفطنة قائمة بامتيازهم عن الجماعة وانفرادهم في جميع اعمالهم وحركاتهم ولا غرو ان هؤلاء مبدعو المبادي الجديدة وهم لا يريدون ابداً ان يسيروا في الطريق السلوكية بل دأبهم ان يخترعوا طرقاً جديدة ولو غير امينة فانهم لفرط تعنتهم وتنمقهم وابتعادهم عن كل ما هو عادي بين الناس يخرجون عن السراط المستقيم ويخالقون ذوي الذوق السليم وينقطعون عن اعتبار الجميع

. ومن بحث عن الحكمة في طريق بعيد كان لا يعرف طرقها فهي فينا وطريقها حكم اكثر الناس بموجب العقل الصائب لان الفطنة لا تتغير كعادات الناس او كالازياء . فهي واحدة في كل زمان ومكان . وانه لمن الممكن ان تتحسن الصناعات وتتقدم العلوم بواسطة الاكتشافات الجديدة واجهاد القريحة . القيادة والبصيرة النفاذة واما من حاول زيادة الحكمة بالتسميق ونظر العقل فقد اضعفها ولا محالة بل اقلعها ( بوقيس مکتوب ١١ )

ومن اراد ان يظهر حكماً في كل شي . كان بالحقيقة جاهلاً في كل شي . ومن اعظم العلوم ان يعرف الانسان كيف يظهر جاهلاً آمياً عند الاقتضاء . ولا شي .

اصعب واضر من ان يعرف العاقل كيف يتظاهر احياناً بأنه اقل حكمة مما هو عليه لان الجميع يتعصبون ضد من يرون انه اكثر حكمة منهم اما عن حسد واما للمحاماة عن جهلهم واما لتعودهم الشك في ما لا يدركون

قال القديس اغناطيوس : لا ينبغي ان تؤخر عمل خير حاضراً آمليين بعض الامل اننا نعمل في المستقبل اعظم منه . لانه من حيل الشيطان الخبيثة ان يجعلنا نتصور تصورات كبيرة وان نأتي اعمالاً عجيبة ولا يقصد بذلك الا ارجاعنا عن الاعمال العمومية التي كان في وسعنا ان ننجزها في موقت قريب اهـ

قال غراسيانوس ( رجل البلاط ) لا تستنبطن لنفسك شاغلاً من لا شيء فمن الناس من يتعرقل امرهم في اوهى الامور واوهنها ومنهم من لا يعرقل امرهم امر وان عظم . والفطنة وان لم يتصور الجميع انها كالسداجة وسلامة النية فهي كذلك من حيث انها لا تحيد عن طريقها يئنة ولا يسرة حتى تسمع ما يقال عنها او ترى ما يعمل بها وما يظن فيها فالأحرى بنا الا نبحث عن المطامير ولا سيما اذا كانت غير مرضية

لانه من الحماقة ان يفتش الانسان عما يغيظه ويغضبه ولا غرو ان من لا يرضى ابداً في ذاته يُعد ذا خساسة ودناءة كما ان من يعجب بنفسه ويكتفي بها يُعد مجنوناً . فعلى الانسان العاقل ان يسمو على اعماله والأل يغلب لها وان كبرت وتعاضمت

واذا كان الرئيس قد جزم بامر بعد التأني والتدقيق فلا ينبغي ان يعود الى الشك والارتياب والتقلب . واما اذا ظهر له انه مخدوع وان له فرصة للرجوع عن الخداعه فالواجب ان يرجع عنه . فان الناس بالطبع مفطورون على شيء من الذوق السليم يحملهم على التمسك بالاستقامة فالفه صنع البشر مستقيمين اما هم فتطلبوا مباحث كثيرة (جا ٧ : ٣٠) نعم ان طبيعتنا خسرت شيئاً كثيراً من هذه الاستقامة الا انها مع ذلك لم تزل حاصلة على ما يكفيها مؤونة الاستناد اليها في احكامها ولا تبقى متقلبة مع رياح الشك والارتياب

ان العلامة غراسيانوس اسهب في تبيان هذا المبدأ وهو ان شواعر القلب جديرة بان يصغى اليها ولا سيما اذا كان القلب رقيقاً ومن الناس من لهم قلوب

تنبههم الى كل شيء وتوقفهم عند نزول كل مصيبة ليعدوا لها الادوية  
فلنصنع الى هذا الصوت الذي من عادته ان ينبهنا في كل ما يهملنا هماً خاصاً  
فهو كوحى خصوصي يتعلق بكل ما يوافق مصالحنا ( رجل البلاط ١٧٨ ) وقال  
ايضاً ( مبدأ ٨٢ ) ان الرجل الحكيم يدرك كنه الحكمة بالمبدأ المقول فيه :  
لا تعمل شيئاً بافراط فالبرتقانة اذا ما ضغطت عليها ضغطاً عنيفاً استحالت طعمها  
اللاذني الى مرارة وهكذا العقل فانه اذا بولغ في الضغط عليه بالتأنيق والتعليق  
يكل ولا يبعد عن التلاشي كما ان الحليب اذا ما اخرج من الثدي بعنف وشدة  
ينخرج ممزوجاً بالدم

#### خامساً اغتنام الفرصة والزمان الموافق

فلكل امر آوان ولكل غرض تحت السماء وقت • للولادة وقت وللموت  
وقت • للغرس وقت وللقلع المغروس وقت • • • ان الله انشأ كل شيء حسناً  
في وقته ( جا ٣ : ١ ) اذ لكل غرض زمان ثم قضاء لان شر البشر عظيم عليهم  
ولا يدرون ما سيكون • ومن يخبرهم بما سيأتي • ( جامعه ٨ : ٩ )  
ان من لم ينعم النظر في معرفة تواريخ الاجيال الماضية لا يستطيع ان يدرك  
اهمية اغتنام الزمان الموافق ولا خسارته • فليس لاحد ان يعمل كل ما يريد اذ  
توجد قوة سامية تمتد سلطانها ويسمو على كل قوة وان الزمان يمر مر السحاب فمن  
لا ينتهزه ينخر كل شيء • واذ كان كل شيء يقلق بالزمان كان علم الزمان والاوقات  
هو علم السياسة الحقيقي وعمل الحكيم الاهم فقد كتب ان قلب الحكيم يعرف  
الزمان والقضاء ( جا ٨ : ٥ ) وكتب ايضاً : يا بني احرص على الزمان وتحفظ من  
الشر ( سر ٤ : ٣ )

ومن احكم المبادي التي كان يلقيها ايزوكرات على نيكوكليس بقصد  
تهذيبه وتحنيكه في فن الملك كان قوله ان الاهم في جميع الاعمال هو انتهاز  
الفرص المناسبة للنجاح وبما ان هذه الغاية يصعب ادراكها فالاجدر بنا ان نتوقف  
قبل الوصول اليها من ان نجاوزها وتغوتنا بلا فائدة لان الحكمة الحقيقية تتخذها  
مركزاً في وجه الغاية لا من ورائها



وقال القديس غناطيوس ان الاولى بنا ان نتبع جري العناية لا ان نقاومها ونعصى امرها لانه علينا ان نخضع لاحكام الايام وليس على الايام ان تخضع للاحكامنا وارادتنا » لعبري ان من يعرف كيف يحسن سيره مع الناس ويجعله ملائماً للامسكنة والازمنة وسائر الظروف كان عارفاً بكل شيء . فان الزمان يكشف الاسرار ويظهر ما كان بالحدس والتخمين الى حين الوجود وهو يبين الموافق ويمكن المقاصد الصالحة والخلاصة ان الزمان هو افضل مشير وعليه فمن شاء الا تصدم رجله بحجر مصيبة والا يعثر في طريقه عليه ان يراقب الفرص الموافقة والزمان المقبول فالتجاح منوط غالباً بدقيقة من الزمان واعظم مبادي الفطنة منحصرة في هذه الكلمات الثلاث : اعرف وانتخب واعمل عاجلاً . لانه في جميع الاعمال لا بد مما يعدها للعمل وما يحمل على مباشرتها ، وما يجعلها تنجح فعلى ذي الفطنة اذن ان ينعم النظر في علم الوسائط الموصلة الى العمل بدون ابطاء وتقلب

ومن الاعمال ما يطلب السرعة ومنها ما يطلب القوة والبسالة وجميعها مفتقرة الى فضيلة الصبر والتجلد . وبالعوم يجب التأني في جميع الاعمال اذا لم يكن ثمة فوات فرصة او مضرة لان ثمرة المقاصد بالتأني وبه تتحقق الامال بالعقل وفي هذا المعنى كان يقول اغوستينوس « اسرع بالتأني » فالسرعة تكون عند تأكيد النجاح وخاصة عندما تكون المهلة سيئاً لصعوبات جديدة . فتذكر القديس اغناطيوس في هذا المعنى اذ قال : لا تؤخر الى المساء ما تقدر عليه في الصباح ولا الى الغد ما يمكنك عمله اليوم هذا اذا شئت ان تتقي كل صعوبة تلحق بك في عملك وكل فشل فيه وان لا تنساه كل النسيان او ان لا تتأني عليك عراقيل تثيرها قوة الجحيم او تقلبات الزمان والافكار

سادساً لا يجدر بالرئيس ان يظهر في الابتداء كل ما له من النيات والمقاصد

فانه لدهاء عظيم في فن السياسة ان يعرف الرئيس كيف يجانب اظهار ما هو عليه من اول وهلة وكيف يخفي نياته ومقاصده ولا يبين شيئاً منها الا عند الاقتضاء

ولا يتقدم في هذا البيان إلا خطوة فخطوة بتأن ونظام. وكيف يعتي بتمكين سلطانه قبل تحديده ولا يخطو خطوة ثانية قبل تمكين الاولى وليعلم ان مقابلة السلطان السابق بالحاضر والرئيس السابق بالحالي لا تخلو من غوائل مكروهة وانما يكون ذلك غالباً عندما يلاحظ المروثوسون ان السلطان الحاضر من بعض ما كان في السابق فمن الضروري ان يعرف الرئيس ما يمكن ان يرضي به الجمهور او يستاء منه وما اباحه سالفه له وما حرمه عليه . وان يعتي بعد ان يجني مقاصده في سياسته واميااله الطبيعية بان يظهر للجميع ان منهج السلطان باق على ما كان عليه والأفان الاشياء الهامة ولا سيما الامور المتعلقة باصلاح العادات القديمة وتغييرها اذا ما ظهرت بغتة على غير انتظار ولا تأهب تظهر كأنها من الامور الغير المطاوعة فيكون لها وقع سيئ فينفر منها الكثيرون ويعدون ما كان منها مستجباً وفضيحة كمكروه مردول.

فحذار اذن ان تظهر كأنك منتقد يندد بكل ما يلقاه ويرغب في ان يغير هيئة كل شي بل ادين الجميع انك مملو لطفاً وبشاشة في كل آن ولا سيما في مبداء اجرائتك في الرئاسة وكن اذ ذاك غيوراً ذا فطنة وتأن خالياً من الفظاظه والتزق واعلم انك كلما طلبت ما ترغب فيه بحدة وتسلط انتهت الخواطر لمقاومتك ولا تطلب في مبداء الامر الا ما يستطيع ويريد كل واحد ان يعطيكه وليكن طلبك ما قل وهان في امر الرذائل التي تروم ملاقاتها . واذا وجد المروثوسون متأهبين لتك بعض النقائص فليبتدئوا في تلك التي هم بها اقل تعلقاً منهم بغيرها وذلك يُعد انتصاراً على الذات ولو ضعيفاً ويولي صاحبه شجاعة ونعماً تزيد قوته

ولا تكثر زيارتك فتكن ذا اهمية واعتبار . ولا ترغب في ان يقابلك جميع الناس وتكلم باحتشام ورزانة ولا ترتج الى كثرة الكلام بل اجتهد ان تكون فيه دقيقاً معتبراً انه لا يخرج من فيك حتى يلقي امام خصومك فيعيوه ويذيعوه والذي يسبب لك الاحترام والاعتبار هو الاتبح بافكارك ولا تكشف شيئاً من اسرارك الا بمقدار ما تأمر به الفطنة ولا تعجل بتوكيد ما لم يكن عندك ثبثاً لئلا تضطر فيما بعد لان ترجع عن قولك او يعزى اليك الطيش او

الكذب واذا جاورت اناساً من اهل الغلظة واخلق السيء فالاليق بك الا تبعدهم  
عنك الا بالانس والمجاملة اما اذا دعت الضرورة والمصلحة العمومية الى اظهار  
مالك من المعارف والاعتبار فلا ينبغي ان تختبيء حيثنذر لكن احتس كل  
الاحتباس من ان تجعل سبيلاً الى ظن الناس بانك تتطلب المجد والفخر او كسب  
المال وكن عارفاً جميل المحسنين لكن لا تكن ملأقاً

تكلم دائماً عما يختص بالله بهيبة واحترام واحذر ان تكون في حديثك  
ثقيلاً مملاً فقد نصح اللبيب غراسيانوس اهل المحاورات الزمنية نصيحة تليق باهل  
المفاوضات الروحية في بعض الاوقات والظروف قال : دع من تحدثهم وعلى  
شفاههم قطرات من عذوبة حديثك فالخير هو خير مضاعف اذا قل وندر . انه  
لضرب من الدقة والتأنق الا يشرب المرء الا متى اشتد ظمأه والا يرتوي ارتواء  
كاملاً وعليه فلنبق لنا شيئاً جديداً نظهر به في اليوم المقبل ليكون لكل يوم  
انفوذج ورونق جديد ومن لا يرى الناس حد ما عنده من الخلق وسعة الفكر  
اكتسب لنفسه اسماً كبيراً وثقة شديدة ولقد اصاب بيتاكوس اذا قال : النصف  
اكثر من الكل اه يعني انه اذا كان النصف الواحد ظاهراً والاخر مستتراً فالنصف  
في هذه الحال افضل من الكل الظاهر . فمن الموافق ان يعرفك الجميع لكن  
لا يوافق ان يعرفوا غاية ما عندك وبهذه الدقة والصناعة يظهر قليلك كثيراً  
وكثيرك متجاوز الحد

سابعاً اتخاذ الطرق اللازمة لاكتساب قلوب المروثوسين

فانك اذا قصدت ان تستميل عواطف غيرك اليك واعتبارهم لك فزهرهم  
وشاورهم واكشف لهم عن سرهم ولو عما لا اهمية له واثن عليهم فان ايزوكرات  
كتب الى ديمونيوكوس قال اذا رغبت في اكتساب محبة احد فاثن عليه مادحاً  
امام من يبلغونه كلامك لان المديح يدعو الى المحبة والمذمة الى البغضاء  
احذر من ان تأتي باحاديث يكرهها اولو السلطان الذين يقدر ان ينفعوك  
او يضرؤا بك كثيراً ولا تقدح في ما يقولون او يفعلون ولو كان مما يجب القدح  
فيه واذا اذنبوا اليك لا تظهر انك متأثر من ذلك ولا شاعر به بل اسدل عليه

ستار التعامي وبتين ما لهم عليك من الخير لانه لا بد من ان يبلغهم ذلك غنك  
لا تدخل نفسك في اصلاح احد الكبار اذا كان عاتياً سريع التأثر الا متى  
سنت لك فرصة سعيدة وساعة رضى لانك ان عثرت في اول خطوة يصعب  
عليك التقدم بعدها ويتعذر عليه الرجوع واجتهد في معرفة باطنه قبل ان تبدي له  
شيئاً ولا يفتك شيء من امياله وطباعه وتصوراته السابقة واللاحقة

واذا ما دخلت بلداً فاجتهد اولاً ان تعرف طباع اهلها وذلك عندما تتحد  
مع عقلائها وتلاحظ اموراً خاصة

وانه لمن الواجب ان يتخلق الانسان باخلاق اهل وطنه وبني جنسه ولو  
جانب حماقتهم . فعودن اذن نفسك ما استطعت على عادات اهل المحل ولهجتهم  
وشعورهم ولا بأس باهمال بعض الخير او تأجيله للوصول الى ذلك فانك بموافقتك  
اذواق الناس تكتسب قلوبهم وتستميلهم اليك لانهم يثقون عادةً بمن وافق  
افكارهم وصوب اعمالهم وهذا ما دعاه القديس اغناطيوس . وجوب الدخول  
في باب غيرك لاجل اخراجه من بابك اه

واذا عرفت ان في المحل الذي انت فيه انقساماً فكن على حياد ولا تنس  
انك رجل الله لا رجل حزب بدد الافكار التي لا اساس لها واصلح الطباع بملح  
الظئنة والتأني وبتين ان ما يراه اهل العالم صعباً غير محتمل هو سهل هين لين  
وايكن برهانك مسنداً الى المصالح الزمنية اولاً ثم الى الخير الروحي الدائم .  
اقتد بالملك الحارس الذي يقوي النفس اولاً ثم ينيرها فيملاها ثقة وطمانينة  
ولا يبالغ في ازعاجها بل يحلي مرارة زجرها بعذوبة التعزية والتجاسر ان اقول  
لك اقتد بالشیطان الرجيم وما يستخدمه خراه الله لهلاك الانفس وافعل مثله انت  
لخلاصها اي استخدم العقل والغنى والاميال والطباع فتكتسب العطاء بين  
القوم بالاحترام والخضوع لهم ومن يناوئونك تكتسبهم بالمحبة وبمشاركتهم في ما  
يلم بهم من المصائب واما مروؤوسوك فانك تخضعهم بخدمتك لهم وقضاء  
حاجاتهم فحدث من كان طماعاً عن ربح المجد الذي يزول ومن كان بخيلاً عن  
الكنوز السماوية وصاحب الشهوة عن ملاذ الوطن الحقيقي التي لا توصف

« وانه قلما توجد عقول لا ابواب لها مفتوحة لدخول الحقيقة فيها واما اذا لم



تجد الحقيقة لها مدخلًا فيها فسببه اننا نقرع ابواباً مغلقة او اننا لا نبحث مفتشين عن الباب فاننا لا نمن النظر في ما اوقف البعض عن الوصول الى الحقيقة فكاننا بذلك نزيد ادخال الحقائق في عقول الناس من غير ان نفتح لها الابواب بالبراهين المقنعة ونزيد ان يدعن الجميع لافكارنا والآن ندعن نحن لافكار احدٍ عندما تقتضي الضرورة ذلك (نيكولاوس)

واذا دعت الضرورة الى معاشرة اهل الهزل والسخرية من اسافل القوم ورعاع الناس من لا سبيل الى دخول الحقيقة في اذهانهم فلا تُضع وقتك في اصلاحهم ولا تطرح جواهرك امام الخنازير بل دعهم وامض والآن زدتهم ذنباً وقحة «

وذو المناصب العالية يعتبرك ويحل مثواك ما ظن انك جاهل عيوبه فتجاهل اذن وادخر معرفتك للوقت المناسب

واما الذين عرفوا بقله الدين واشتهروا باعمالهم المضادة للاداب وعدم اكترائهم للقيام بالفروض الدينية فاذا وعظتهم وعظاً مدققاً ومنظماً على اصول الفلسفة حسبوك من اهل الغلظة وقليل الذوق وامسى عملك تشكيكاً واهانة للمسيحيين الحقيقيين فلا تبتاعن اذن بهذا الثمن صدقة الاغنياء ولا حماية الوجها.

ثامناً ينبغي النظر في تأييد اعمالنا وتثبيتها الى زمن طويل

لما كان اكبر نهض في اعمال البشر التقلب وسرعة الجبوط كان الناظر في تمكين اعماله وتثبيتها الى مدة طويلة احكم ممن استنبطها ومن يعتني بثورها وامتدادها فاعد لك من الوقت والعناية ما يكفي لنجاح اعمالك طول مدتها وترسيخها على قدم ثابت يكفل سلامتها لتنتقل منك الى خلفائك سالمة قوية . فالذين لا يريدون ان يستفيدوا من الزمان ولا يعتدون به تفوتهم غالباً الفرص المواقفة

فاحرى بنا ان لا نأتي عملاً من ان نعمله كيفما اتفق بعجلة زائدة . او نضعه على اسس مترعزة لانه اذا سقط يكاد لا يقوم ولا يقام له عوض لا تنفرد عن العظماء في قومك واصحاب النفوذ بل استشر من كان قادراً

ان يدك برأيه واجله لك معاوناً في اعمالك او محامياً عنها وينبغي لك في المقدمة ان تستخبرهم عن طباع اهل وطنهم وعن شوائبهم وعن الخير الواجب عمله فيهم وطلب رأيهم في الكيفية التي بها تريل العوايق المانعة وتستخدم الوسائط النافعة ولا غرو انه كلما كثر عدد الرجال الكبار والعائلات الشريفة في الاعتناء بك وباعمالك ازدادت نجاحاً وتمكناً

الأني لم اعن بما قلته اننا ملتزمون ان نشق دائماً بالناس ثقة كاملة ونصدق كل ما يقولونه ويعدون به . فقد اصاب صاودرا بما قال من : ان المقاصد التي لا سند لها سوى المبادي المتعلقة بارادة آخر لا تكون ثابتة وانما كثيراً ما نخدع نفوسنا اذ نعتقد ان الناس لا يصنعون شيئاً مضاداً لمبادي الدين والعدل وحقوق القرابة والشرف والصدقة ولا نتصور ان بعضهم يعملون غالباً اعمالهم على ما تقتضيه مصلحتهم وواجباتهم بل على ما يطلبه ذوقهم الخاص او ميلهم الباطني . فالاختبار نفسه يعلمنا ان لا تزن دائماً اعمال غيرنا بميزان العقل والانصاف بل يجب ان نتحذر ما هم عليه من الخبث والمخادعة ( ف ٣٧ )

وهذه القاعدة تنطبق انطباقاً تاماً على اولئك الرهبان الافاضل الذين تحملهم تقواهم واستقامتهم على ان يحكموا في اهل الدنيا حكمهم في نفوسهم واما ما يتعلق بتأسيس الديورة فيحسن بنا ان نتبع المبدأ الذي علمنا اياه القديس فرنسيس دي سال بقوله « عليك بالقليل الحسن » فان هذا القديس في الاثنتي عشرة سنة التي عاشها بعد تأسيس دير الزيارة لم يرض الا ان يبني اثني عشر ديوراً فقط ما يكفي لبناء ثلاثين ديوراً وكان يكرر كلامه السابق الذكر العجيب « عليك بالقليل الحسن » لانه كان يخشى ان يتولى ادارة تلك الديورة روساء غير محنكين في السياسة والفضيلة وكان قدس الله روحه يعتقد ان خير الاديار الروحي والزماني يتعلق بالروساء وكان يقول في راهباته انهن لم يولدن بعد في عالم الفضيلة فكيف نقلدهن الرياسة فلندعهن يتمكن اولاً في دعوتهن ولتأن في عملنا هذا لان القليل من الخير الذي نعمله يكون كثيراً اذا كان يرضى به معلمنا الصالح . وافضل للراهبات ان ينمين بروح الفضيلة من ان يكثرن الاديار وهل يصرن اكل لو كثرت ديورتهن ؟ واني ارى رهبانيات كثيرة تقهرت

متراخية في حفظ قوانينها وعلّة ذلك كثرة الاديار ورب قائل يقول ان مجد الله هو الذي يحرك الكثيرين على انشاء الاديار المتعددة فاقول هل ترى محبة الذات لا يكون لها دخل في ذلك ؟

واما امر البناء فلتتخذ لهُ قاعدة ذاك المثال الذ قدمتُه وعملت به الام ريشيه مؤسسة دير التقدمة وهو ان تتصور اولاً تصوراً عمومياً البناية وكل ما يتعلق بها وبعد تكل الى معتمدك وموآزريك ان يبينوا خطأ ما يرونه في ما يلائم المحل والصحة والزهة وبعد هذا ينبغي ان يبدي المجمع العام ملاحظاته في هذا الشأن واما انت فاعمل جهدك في ان تلي رغبة كل واحد وبه. ذلك ينبغي لك ان تطلب من المهندس رسم البناء وتشرع به ومن لا يرى ان الاحتياط على الوجه المذكور يقي البناء شر كل عاقبة ويمكن اساسه على صخرة الاتفاق ورضي الجمهور

٩ لا تتعجب من الحوادث ولا تقشّل ابداً

فاذا طرقتك الحزن وقامت عليك جحافل الشدائد فارفع رأسك ولا تقشّل واكن نظرك اليها للمنفعة لا اليأس لان الشجاعة الحقيقية هي التي لا تبالي بالاعطار المحذقة بها ولا الموانع التي تعرض لها فانها يتبدد من امامها ما يتبدد وتقتحم ما لا مناص منه وهي تحتقره فان الشجاعة عند الاعطار ليست باقل ضرورة منها عند وقوع الشدائد . ومن لم يكن ذا بال ساكن ولم يفقه حقيقة مركزه ويعلم الذرائع التي تمكنه من المحافظة عليه لا يقدر ان يحتمل شدة المصائب الواردة عليه ولا ان يصلح سريعاً ما يكون قد حل به ولا ان يتصور او يطلب مساعدات جديدة ولا ان يتبع بثبات واستمرار ما يكون قد عقد النية على طلبه وهذا القشل يضر به اكثر من الزلل والضلال

فالقشل انما يكون عن صغر نفس او قلة ايمان وهو يُعندم الرئيس العزم والبأس اللذين بدونهما لا قوام لمهمة الرئاسة وكأنه يجبسه داخل سور لن يقدر ان يخرج منه ابداً فتراه فشلاً لحبوط مساعيه ولا ينجح لقشله ولولا ذلك لما وجد عمل يغلب قوة العقل ويقوى على القرص والزمان اما الاعمال التي باتت مستصعبة

مستحيلة فانما هي تلك التي سبق القشل فصورها للمخيلة والعقل كذلك او ان لم يلبّ التائبون دعوتك بكل سرعة لا تتعجب منهم مندهلاً بل صلّ لاجلهم واجتهد بذاتك او بواسطة غيرك ان تمحو من افكارهم هذه الاوهام القارغة واياك والتكلم فيهم في غيابهم الا بما يسر به خاطرهم

وقال القديس اغناطيوس اذا قاومك الاعداء في ما انت قائم به من الاعمال الخيرية فانما ذلك دلالة واضحة على ان عملك من الله وحيثا كثرت المقاومات كثرت الثمار وليس من سير تسيره سفينتك افضل من جريها على عكس الرياح وما من احد يقدر ان يعمل عملاً يليق بمجد الله ولا يغيظ العالم او لا ترغي قوات الجحيم وتريد له فمن اراد ان يعمل لله كثيراً فلا يهتم بان يعد فطناً حكيماً في اعين الناس فان الرسل لو شاوروا في امورهم اهل الفطنة من الناس لما اقدموا على هداية العالم بأسره ومن يخاف الناس خوفاً شديداً فلا يعمل لله عملاً كبيراً فاذا كان العمل غير ردي بذاته وتجاوزته خوف الاساءة الى بعض الناس او اتقاء محذور بشري فتكون قد تجاوزت شيئاً كبيراً من تأديته لمجد الله فيما انت قادر عليه . ومن الواجب ان نعمل ما كان سهلاً كأنه غير سهل وما كان صعباً كأنه غير صعب وذلك لكي لا نتقاعد من زيادة الطمأنينة او نفشل من اليأس فلنثق بالله كأن كل شيء منه وليس منا شيء البتة ولنعمل مع هذا كأن علينا كل العمل وليس عليه تعالى شيء منه ولما كانت نتيجة العمل تنسب الى الصعوبة لا الى السهولة وجب ان نعتبر ما نصنعه ولو قليلاً في جنب ذوي الفطرة الجموحة المنكرة للجميل اكثر مما نصنعه في جنب ذوي الاخلاق السليمة اللينة ولو كثيراً

وسوف نسهب الشرح في هذه المبادي في مقالتنا في الصبر الواردة في آخر هذا الكتاب



## الفصل السادس

في الشرط السادس الجوهرى للفطنة البشرية وهو

كتمان السر

### الجزء الاول

في اهمية هذا الكتمان

أ ان كتمان السر هو احد الاسس الضرورية التي تُبنى عليها سياسة العقلاء .

ولا غرو ان الكذب محرم غير ان افشاء الحقائق جمعا لا يجوز ايضا لان هذا الافشاء يضر بمصلحتك ومصلحة غيرك . فالنتيجة ان حفظ الحقائق يتطلب شيئا كثيرا من العناية والدراية لانه قد قيل ان افشاء الحقائق هو قصد في القلب ومن يجت له بسرّك كنت له عبد رقد ومن لم يكن اهلا لكم سره كان غير اهل للسياسة لانه بهذا يحرم نفسه من ثقة الناس به ولا يستفيد شيئا من مزاياه وعليه فايك ان تبوح بسرّك لاحد واياك ثم اياك وان تقشي اسرار غيرك وجاء في سفر طوبيا (١٢) واما سر الملك فخير ان يكتّم اه وسبب كتم السر في المشورات هو الاقتداء بحكمة الله العليقة الغير المدركة قال الحكيم لا يعرف احد علو السماوات ولا عمق الارض ولا قلب الملوك اه امثال (٢٥) والقلب الذي لا يكتّم سره هو كالكتاب المفتوح يقرأه كل انسان على هواه « فالحكيم لسانه في قلبه » لانه يتكلم بدقة ورزانة واما « الجاهل فقلبه في لسانه » لانه يبوح بكل ما يفتكر به من غير تمييز . وحيث لا يوجد سر لا توجد قوة لان « من لا يقدر ان يضبط لسانه فهو مدينة بلا اسوار » (امثال ٢٥) فمثل هذه المدينة يسهل الايقاع بها ودكها من كل جهة واذا كان الافراط في الكلام ضربا من

الجنون فمعرفة الصمت شعار الحكمة وبسمة الالوهية والقدرة وحيثما ترى عمقاً  
فهناك اسرار لا تكشف لان المكان لا يقدر ان يخفي بسهولة كل ما يلقي فيه  
ما لم يكن عميقاً فسيحاً » والمجنون نفسه لو عرف ان يصمت لاعتبر عاقلاً « اه  
امثال ( ١٧. ) والعقل يكثر التساؤل ويقلل الخطاب قال ابن سيراخ ان سئلت  
مرتين فجاوب بالاجاز معبراً عن الكثير بالقليل وكن كمن يعلم ويصمت ( ٣٢ :  
١١ ) فانك على هذه الصورة تكشف اسرار غيرك ولا تكشف لهم سر كفرغبة  
المراء في ان يظهر عارفاً تمنعه عن الوصول الى معارف حجة مفيدة فلننقس اذن كلامنا  
بالمقياس « فالجاهل يفشي كل ما في صدره والحكيم يصونه الى ما بعد » امثال  
( ٢٩ : ١١ ) فالاول يشبه اناء فارغاً يعطي صوتاً قوياً واما الثاني فيشبه اناء  
ملاًناً لا يعطي الا صوتاً خفيفاً ثقيلًا

ان فنالون الاسقف الشهير كان يقول للملك تلميذه : فليكن قلبك كبد  
عميقة لا يستطيع احد ان يستقي منها سر ك وكن محباً للحقيقة ولا تتكلم بما  
يسها واحرص على ان لا تتكلم بها الا في وقت الضرورة وتكن الحكمة على  
شفئك كمختم تغلقها عن كل كلمة بغير آوانها

والقديس فرنسيس كسفاريوس كان يعتبر هذا المبدأ وهو ان لا يخبر احداً  
شيئاً لا يريد ان يخبره به لو اصبح يوماً عدواً له  
وقد نطق ميتلوس بكلمة لم تزل مسطرة في بطون التواريخ قال اني لو  
لاحظت ان جبتي عارفة شيئاً من سري لطرحتها عني وألقيتها في النار وكان  
الاسكندر يعاقب من يفشي السر عقوبة اشد من عقوبة من يأتي امرأ منكراً  
واهل العجم كانوا يسجدون للسر كانه آلهة ترأس مشورات الملوك

## عدد ٢

ان حفظ السر هو في الغالب فرض من فروض الذمة

يعتبر كتمان السر ١ فرضاً الهياً كسر الاعتراف فان المعرفين ملتزمون حفظ  
السر حفظاً بليغاً مقدساً ٢ فرضاً طبيعياً لما لا يمكن افشاؤه من دون الحاق

ضرر بالقريب بنفسه او مجسده او بخير له او بصيته . . . و<sup>٣</sup> فرضاً عهدياً او اتفاقياً بدون كلام كما يكون عادة بين الرؤساء والمروثوسين وبين الاصحاب بعضهم مع بعض والقديس توما يبرهن خلافاً لبعض اللاهوتيين على ان هذه الصورة « اني استودعك هذا الامر تحت سر الاعتراف » تلزم كسر الاعتراف نفسه وان لم يكن افشاؤها كافياً سر مقدس ولكن افشاء السر يكون من طبعه اثماً فيقتضي حينئذ شئان اهمية موضوع السر وخلو السبب الكافي لاشهاره اما الاسباب الكافية لاشهار السر على موجب تعليم اللاهوتيين فهي هذه <sup>١</sup> وجوب شريعة حفظها اوجب من حفظ ذاك السر و<sup>٢</sup> ضرر كبير يلحق بالعموم او بالافراد و<sup>٣</sup> ضرر صاحب السر روحياً كان او مادياً و<sup>٤</sup> الضرر العظيم الملتحق بكاتم السر وه<sup>٥</sup> رضى اعضاء جمعية لاجل خير الجمعية نفسها

هذا ويوجد نوعان من السر لا مسوغ لكشفهما مطلقاً وهما سر الاعتراف وسر كشف الافكار فسبب الاول ان ادنى افشاء فيه كيفما كان يضر باستعمال السر المقدس وسبب الثاني هو ان هذا يترب من الاول وانه واجب ولازم لحفظ الجماعات الرهبانية ونحوها

فالرئيس لا يحق له عادة ان يطلب من مروثوسه ان يكشف له السر الطبيعي لان الحقوق الطبيعية تتقدم على الحقوق الشرعية وقد يمكنه ذلك بعض الاحيان لاجل الاسباب المار ذكرها وقد قلنا فيها انها كافية وهذا انما يجوز لاجل خير نقصد تحصيله او شر نرغب في اجتنابه كعقوبة المذنب او تبرة البار ولتكن في هذا الجهة المستحبة تساوي على الاقل الجهة المكروهة اي المستوجبة العقاب ان لم ترجح عليها ولتكن الغاية مستقيمة تقوية ولا يقال في هذا الباب الا الحقيقة المسندة الى شهادات قوية لا تلبس بالمبالغات او التأولات الكاذبة غير المرضية ولا تكشف هذه الاسرار الا لذوي الورع والرزانة

الجزء الثاني

في موضوع السر من جهة الرئيس

عدد ١

مكاشفات المروثوسين وزلاتهم

١ اياك وما يمس الاسرار المستودعة اليك في كشف الافكار سواء كان ما يمسها بعيد الاحتمال او قريبه او كان على وجه الاستقامة او بواسطة غيره والا فتحت سبيلاً لانهدام القانون والسلطة والثقة بالرؤساء وحملت مروثوسيك على ان يبادلوك مثل اعمالك محاماة عن انفسهم

٢ احتفظ جيداً على مكاتيبك وسائر اوراقك التي استودعتها بعض افكارك وضعها في صندوق مقفل لتلا يتعرض بعض الاخوة الغير الرزنا لقراءتها فلا تخلو من اثم عليهم ويتعرض كذلك أولئك المدونة اسمائهم في اوراقك ومكاتيبك لخطر فقدان اسرارهم وضياح صيتهم

٣ لا تبلغ رؤساءك الكبار ولا الاساقفة ولا المديرين ولا المرشدين زلات مروثوسيك الا لداعٍ موجب فان القديسة شنتال اذ تتكلم في هذا الباب وتشير الى الحوادث الواجب فيها اعلام الاسقف بزلات الاخوات تقدم هذه النصيحة قائلة « للرئيسة ان تعلم الاسقف ببعض زلات الاخوات الا ان هذا الامر كبير الاهمية ويدعو الى اعتبار خصوصي لان افشاء زلات الاخوات للخارج بدون داع موجب وتأن زائد انما يكون جهالة فظيعة وعاراً كبيراً . فيا بنياتي العزيزات لا تلتجئن الى الخارج ولا تشكين الى المرشد او الى الاب الروحي بعض الاخوات لاجل هفوات لا تستوجب في الغالب أدنى التفات فلا يكون من ذلك نتيجة الاّ خمول صيت الرهبانية وصيت رؤسائها ونحن من أشد واجباتنا المحافظة على شرف الرهبانية وعلى ذكرها العاطر بين الناس لانها عيال مختصة بالله جل شأنه فاحرصن إذن على ذلك وانتبهن الى انه فرض عليكن ثقل يقضي عليكن ثلمه بالتعويض عنه .



٤ ولا ينبغي ان تنبه في حضرة الجماعة الى اتقاء هفوات بلغتك سرّاً ولو لم تشهر اسماء المذنبين بل اكتفِ غالباً بالنصيحة السريّة والا وجب ان تستميع في ذلك من كاشفك عن سرّه .

٥ لا تؤنب المكاشفين ولا تنصحهم وانت خارج قلّيتك ولا يكن في كلامك تلميح الى شيء من ذلك .

٦ اذا دعت الضرورة الى مشورة احد الرهبان في ما يجب اتخاذه لاصلاح راهب في بعض هفوات لم تبلغك بطريق الاعتراف ولا المكاشفة فأختر لذلك راهباً رزيناً رصيناً فطناً حكيماً . فالقديس اغناطيوس إذ كاشف ذات يوم مثل هذا الامر اثنين من رهبانه فطن إلى انه كان يمكنه ان يستغني باحدهما عن الآخر فحسب ذلك ذنباً عليه وطلب معلم اعترافه فاعترف به .

وينبغي في الاغلب ان نبقى اسم صاحب الزّلة عندما نطلب المشورة في اصلاحها تحت طي الكتان .

٧ ولا تعلم احداً بما حكمت به على بعض رهبانك إذا علمت انه يهان بذلك ولا تجعل لاحد سبيلاً الى الوقوف على ما قاله لك راهب من رهبانك في اخيه سواء قال لك ذلك في معرض جوابه عن سؤال القيتّه عليه أو كاشفك به من نفسه .

## عدد ٢

### فيما يتعلق بشخص ثالث

١ لا تغتم الفرصة فتكتشف زلات احد بمكاشفة آخر لك عمّاً في نفسه والا فيكون عملك هذا ضرباً من الحيلة والدسيسة ويحمل المكاشف على الظن بان اخوته يعاملونه بما يعاملهم هو به فعليه يجب ان توجه كل عنايتك الى الاخ الحاضر امامك وان تتجاوز كل من كان غائباً الا في بعض حوادث وهي فائدة الوقوع

والاولى بك ان تتحاشى اكرامه على ان يذكر لك في مكاشفته اسم شريكه في الزّلة واذا أتى بذكره بدون سؤال فينبغي ان تتظاهر بانك لم تسمعه او لم

تنبه اليه ولا الى اسم شريكه وقد يُستثنى من ذلك بعض الظروف الهامة .  
فانك على هذه الصورة تكتسب نفس الشريكين السري والمسمى ثم ان عادة  
الكنيسة في شدة تحريم السؤال في سر الاعتراف عن اسم الشريك تبين لك  
شيئاً مما يجب السكوت عن تسميته في كشف الافكار ايضاً وان كان هذا  
الكشف يحصل خارج منبر التوبة .

٣ واحذر من كثرة التساؤل والتنقيب عما لا يتعلق بالمكاشف نفسه ثلاً  
تضطره الى ان يبيع لك باسرار لم يستودعها الا تحت طي كتمان السر ولا تطمع  
بعلو مركزك او بسطوتك ولا في بساطة قلب البعض من رهبانك فتنتب فيهم  
عما لا يعنيتك والا فانهم اذا تذكروا فيما بعد صفاء نيتهم بمكاشفتهم اياك عما في  
نفوسهم من الامور الغير الضرورية ورأوا انه وشى بهم اليك من كانوا وشوا به  
هم انفسهم يندمون على صنيعهم ويقصدون ألا يعاملوك في المستقبل الا بالمكاتمة  
والحيلة . ولهذا وجب عند قبولك المكاشفة ان تتخذ لك دستوراً قاعدة معلمي  
الاعتراف اعني ألا تسأل إلا عما كان ضرورياً او جزيلاً الفائدة .

٤ نعم انه يجب على الرئيس ألا يسيء الظن في مروؤسه وألا يكون  
سريع الظن والشك والتصديق ورب حوادث هامة كان باب الظنون فيها رجباً  
مفتوحاً حتى لا يبقى سبيل الى البحث والتنقيب فينبغي حينئذ ان يتفاوض الرئيس  
وبعض المروؤسين الممتازين بالورع والتعقل في سلوك من كان محلاً للمظنة والريبة  
وفي ما ابدى من الحوادث المشككة ومن الضروري الواجب ان يطالب منهم  
كم سر هذه الحوادث كتماناً شديداً .

٥ واذا اعلمك احد بزلة مروؤسك فعليك ألا تبوح باسمه ابداً ولا  
تشير اليه بكلمة تدل عليه . واحذر خاصة من ان تطلب اليه ان يتأبل صاحب  
الزلة ويسأله عنها امامك الا اذا ما دعت الى ذلك ضرورة كبرى لان ذلك من  
الاعمال التي تخالف مبادي الفطنة التي لا يجهلها الأميون ولا جرم انها تلقي بين  
الاخوة الشقاق والشحناء فلا ينبغي لك في مثل هذه الظروف ان تغض الطرف  
وترقب الفرص المناسبة فتصطاد الطريدة في وكرها .

### في السياسة الداخلية والرسائل

١ اطور كشعاً عن المسائل التي جرى الحديث فيها بين الآباء اصحاب المشورة وان لم يستصوبوا ان يطلبوا منك كتمان السر كما تطلبه انت منهم وطلبك هذا حق وصواب

٢ اذا كان بودك وعزمك ان ترقى احد الاخوة الى وظيفة ما فايك حينئذ وان تدع احداً يعلم من ذلك شيئاً قبل اتمامه والآن جلبت على نفسك الحسد والتنديد ولا سيما اذا أُلجئت الى تغيير عزمك فأَي حزنٍ واتزعاج لا تسببه لذلك المرشح ولكن ان شئت ان تطلع على ملاحظات الاخوة فيه تطارحهم الكلام في ذلك ولو بالتلميح فيبدو لك ما تطلب .

٣ واذا كان في عزمك القيام بعمل جديد فاعلم ان لكل جديد مقاومة اذ العقول المتتوية والفاسدة تكره الاعمال الجديدة وتخترع لمقاومتها اسباباً شتى فعليه متى اظهر الانسان قصده من هذا القبيل جرّ على نفسه التنديد وان حبط كان حظه. اتعس فخير لانا اذن ان نقتدي بالعناية الربانية التي لا تزال تعلق افكار العباد بجهال الرجاء

٤ لا يسوغ لك ان تقرأ او تقرّري رسالة ارسلها مروّوس الى رئيسه الاكبر او الرئيس الاكبر الى المروّوس لان من اقدم على اعتراض هذا السبيل اشبه الذمّية والخطّفة وهو لا يدري

٥ اما حق الرئيس بان يفتح رسائل رهبانه العادية فامرٌ مُسلم به ويطلبه الخير العام ولكن فليكتفِ الرئيس بان يفتح الرسائل الاهلية نصف فتحة ليرى امضاء الكاتب او اسم المکتوب اليه ليس غير وهذا الامر يكون اشدّ ضرورةً اذا كان الراهب الكاتب او المکتوب اليه من ذوي الفضل والوقار كما نبه الى ذلك لانيسيوس واوصى الروساء بان يسرعوا بارسال الرسائل الصادرة وبتوزيع الواردة على اصحابها

٦ واما الرسائل التي يرى فيها مسائل ذمّية فعليه الا يتدخل فيها الا عند

الضرورة لانه لولا الثقة بفطنة الرئيس ومجانبته لاندخل لما كان احد يجسر ان يكتب الى راهب شيئاً عن امر ذمي قصد ان يستشير فيه فليس للرئيس في مثل هذه الاحوال الا ان يطلع على امضاءات تلك المكاتيب او على اول سطر منها اما اذا رآها تتكاثر على غير داعٍ موجب فله ان ينبه راهبه الى ذلك واذا كان هناك سبب للشك في استقامتها فله ان يتلو بعضها ويحفظ السر حفظاً شديداً  
٧ اياك وان تفاوض الاخوة في مضمون رسائلهم وقت الترتب حذراً من ان يتوهموا فيك انك غير كتمان للسر

### العدد الثالث

في موضوع السر من جانب المروثوسين

غد ١

في الامور التي توجب المهمة او المصلحة كتمانها

١ ان الرهبان معلمي الاعتراف لا يجهلون انهم يقتربون اثماً مميتاً بادنى اهمال يصدر عنهم في كتمان سر الاعتراف

فالقديس اغناطيوس حرم بصراحة العبارة على مرشده يعقوب اغنيا . ان يفوه ببنت شفة عن اعماله وفضائله اما الشيخ الفاضل فلما رأى انه لا يتمالك كتمان فضائل القديس العظيمة كان يقول مراراً كثيرة ان اغناطيوس رجل قديس وانه قديس عظيم ولما عرف اغناطيوس بذلك اغتاض وأبى ان يعترف له بعد ذلك وأمره بعمل كفارة وبتنبيه من مرشده عند اتمامها حتى يكون احرص على كتمان السر منه فيما بعد والا يبادر الى مدح الاخوة المعترفين له

٢ فعلى الرؤساء المتزلين عن مناصبهم ان ينبذوا من بالهم كل الاسرار التي استودعهم اياها مروثوسهم وكل ما اكتشفوه من الزلات والنقائص وما كانوا اقروه في افكارهم عن البعض والا يأتوا ابداً بذكر مقاصد الرؤساء الكبار ورغباتهم في بعض الاعمال الهامة والا يفوهوا بكلمة تجرح المحبة الاخوية او تضاد النظرة الرهبانية ويجب الاحتراس من هذه الامور خاصة في خلال محادثتهم



مع الاصحاب فانها تؤدي كثيراً الى كشف سائر المستورات ورفع كل حجاب .

٣ ان ناصح الرئيس ليس له ان يذكر شيئاً من نصائحه ولا من اجوبة الرئيس ما لم يظهر له انه بذلك يبرر الرئيس ويسكن خواطر المرووسين ولا ينبغي ايضاً للناصح ان يأتي بذكر شيء مما كان يكشفه به الرهبان من احتياجاتهم وهمومهم

٤ فلينتبه المشيرون الى ما أشرنا اليه وليعلموا ان قبول الاسرار سهل ومستحب واما كتابتها فيصعب على الاكثرين

٥ ومن جملة واجبات البواب الاً يخبر احداً عما دخل من الرسائل وخرج منها على يده ولا عن عنواناتها لانه قد يصدر عن هذه الاخبار تأويلات وارجيف كثيرة بين الاخوة وقد يرى الرئيس بعض الاحيان الامساك عن تسليم بعض الرسائل الى اصحابها والافق حينئذ الاً يعرف بها اصحابها وهكذا حكم الرسائل الصادرة الى الرؤساء الكبار والواردة منهم فلا يحسن بعض الاحيان ان يعرف بها احد الاً اصحابها فقط

وقد سبقنا فنصحنا الرؤساء في لزوم حفظ رسائلهم واوراقهم السرية تحت قفل باحتراس واجتهاد والان نقول للمرووسين ان من فتح كتاباً معنوئاً باسم الرئيس يتركب اثماً مميئاً باجماع اللاهوتيين ومثله من قرأ الرسائل الملقاة في النار لتحترق او المزقة لتلا لا تقرأ وهذا فيما لو ظن القاريء ان في ذلك اسراراً هامة او شخصية وكما انه لا خلاف في السرقة ان كانت مع كسر الابواب او بدونه هكذا لا خلاف في كشف الاسرار ان كان بغض الرسائل ام بدونه

### ثانياً

في الامور التي لايتأتى كشفها بدون ثلم حقوق المودة او المحبة الاخوية

١ قال القديس اغوستينوس مخبراً عن والدته القديسة مونيكا انها كانت تستودع كثيراً من الاسرار والشكايات يكشفها لها اناس متخاضعون ولم يكن ليخرج من فيها كلمة تمس بحقوق الاسرار والمحبة فهذا نموذج يجب ان يقتدي به

كل من اتخذ له اصحاباً فكان مشتكى ضيغهم ومستودع اسرارهم  
 ٢ وتقدم في العدد الاول من هذا الفصل انه لا يسوغ للرئيس ان يسأل او  
 يبحث لغير داعٍ موجب عن الاسرار الطبيعية وعليه فالراهب الذي يبوح لاقبل  
 من هذا الداعي بسر طبيعي لرئيسه يأثم بقدر اهمية السر ومن الدواعي الموجبة  
 لكشف السر احياناً شرف الرهبانية والعناية بحفظها وخير صاحب السر الروحي  
 ودعوته الرهبانية

٣ يجب على كل راهب الا يبوح بسر الدير للخارج ولو ظهر له ان ذلك  
 خفيف فالقديس اغناطيوس آمر احد الادباء الفضلاء بان يجلد ذاته مدة تلاوة  
 مزامير ثلاثة لانه كان اخبر احد الخارجين بان احد الاخوة عرته الحمى بشدة  
 وانه يغشى عليه فن اراد اذن ان يكتب لنفسه اصحاباً خارجين فلا يكتبهم  
 بامتهان اسرار الدير

٤ وهذه القطة في المحافظة على كتمان السر لا يجب ان تكون غير مستثناة  
 في سر الاعتراف نفسه فقد تقدم ان القديسة شانتال قدمت نصيحة للروساء في  
 هذا الشأن واعقتها باخرى للمرووسين قالت على المرووس اذ يتكلم بما في  
 ضميره الا يأتي بذكر غيره ابداً ما لم يحمله على ذلك مجد الله وخير القريب  
 والراهبة اذا كانت الشحاء حاجتها فهمت ان توقع باحدى اخواتها فلا يجب ان  
 تفوه ببنت شفة قبل خمود نارها والا اغاظت الله والقريب لا محالة وقد جاء عن  
 احدى الراهبات انها بينما كانت مرة مغتاضة من رئيستها هي وجميع جمهور الدير  
 طلبت من مرشدها ان يعرفها فشكت في الاعتراف من الرئيسة ومن اكثر  
 الاخوات وبعد هدوها وسكون جاشها اعترفت لمرشد آخر فطن بانها احكت  
 في اعترافها السابق ما يشين رئيستها وسمعة الدير فاجب عليها مرشدها هذا اصلاح  
 هذا الضرر بالصيت وتكذيب نفسها عند ذاك المرشد ففعلت هكذا فلتحترصن  
 اذن الراهبات بالا يتكلمن في الاعتراف الا عن انفسهن

٥ والرهبان الذين يتفاوضون بسهولة ولغير داعٍ في احاديث تتعلق بزلات  
 اخوتهم ونقائصهم فان لم يخطنوا ضد العدل فانهم يخطنون ضد المحبة والقطة  
 ولعمري أمن الصواب ان يفقد بعض الفضلاء ذوي الصيت الشهير والاعتبار

العظيم ما يكونون عليه من هذا الوجه في دقيقة واحدة نعم ان عين الناظرين لم تكشف عيوبهم ولكن اذان السامعين بل السن العاذين والحاسدين قد كشفت الستار عن محيا الاسرار .

نعم ان ما قررناه في هذا الصدد عن وجوب المحافظة على السر هو مختص بالمرؤوسين غير ان للروساء فيه قسماً كبيراً واخصه السهر على مرؤوسهم للقيام بهذا الفرض

### العدد الرابع

في كيفية كتمان السر الشرعية العادلة

١

قابل البائحين بالاسرار بالصمت والرزانة

قلما ندم الانسان على ما سكت عنه ولكنه يندم غالباً على ما فرط منه من كثرة الكلام فهذا مبدأ قل من يجهل وقل من يتبعه فان السكوت مخدع الفطنة ومن حقوقه الا يدخله اي كان . قال الحكيم « من يفظ فاه ولسانه يحفظ من المضائق نفسه » ( امثال ٢١ : ٢٣ ) فرب كلمة فارطة عن سهو وغفلة انتضت ندامة طول الحياة فاذا اضطرت لايضاح فكرك لبعض الناس فاياك والتفريط في الكلام لان الاخطار فيه كثيرة وقريبة ومن كشف عن جميع اسرار قلبه فرط بهبة ثمينة اولته اياها الطبيعة خفية عن ابصار الناظرين ودفع الى اعدائه الالداء اسلحة قاتلة . قال ساويدرا : ( ف : ٥٥ ) ان الشفاه هي نوافذ القلب فاذا فتحتها بان كل ما فيه وقال لابرويار « ان في اباحة السر ذنباً على صاحبه الاول لانه هو الذي افشاه في المبتدا » فهذا المبتدا وان لم يكن صحيحاً على اطلاقه غير انه لا يبعد في الغالب عن الصواب فقد يوافق ان يظهر ما في انفسنا اظهاراً حقيقياً لمن نتأكد خلوصهم لنا وامانتهم على الاسرار اما من لم يكونوا كذلك وهم سهرانون يقظون على ان ينتقدوا سيرتنا واعمالنا فليس لنا ان نعاملهم الا كما يعاملوننا اي معاملة قواد العساكر المتخاربة الذين يفرغون كثانة الجهد في الروية والاجتهاد والدهاء وبعد اذا ما وقعنا بجبايلهم فليس لنا

ان نأوم غير انفسنا لاتنا عرفنا الخطر فالقينا بانفسنا فيه والحال ان اهل الدراية والدربة والحنكة هم الذين لا يشتون بسهولة باي كان واما نحن فنكون بعد علمنا بخيانة الخائنين وخديعتهم كشفنا لهم اسرارنا والتمينا عليهم اتكالتنا فاذا شئت اخفاء امر لا تأت بذكره في حديثك لا صراحة ولا تقديرأ ولا تبني عليه احكاماً لان في مثل هذه الاحكام دليلاً على باطنك وافكارك قال لابرويبار « واذا كان حديثك مع اهل الدهاء الذين يرومون ان يسمعوا كثيراً ولا يتكلمون الا قليلاً فتكلم اقل منهم واذا الجئت الى كثرة الكلام فلا تضمنه من المعاني الا قليلاً » ان في الصمت لعلماً كبيراً واما العلم الاكبر فهو ان لا نتكلم كثيراً عند الضرورة مع من ليسوا من اهل الرصانة او مع النساء خاصة ولا نضمن كلامنا الا معاني قليلة بسيطة

وان سئلت عما لا يمكنك الجواب عنه فحذار ان تقوه بما لا يجب كشفه وحذار ايضاً من الكذب فان فيه عارك وسقوط اسمك وفوق ذلك اهانة لله تعالى لان كلمة واحدة تكفي للخفض من شأن الرئيس وثلم صيته كيف لا وقد تقرر ان في المقامات السامية خاصة لا يكون الاعتصام بالحقيقة الا رفع الشان وتعزيز القوة واما الكذب فيدكها دكاً . وما احسن ما جاء في هذا الباب عن فرنسيس الاول ملك فرنسا قال « اذا فقدت الامانة فيجب ان توجد في قلب الملك » وقال ايضاً ايزوكرات لانكولاوس « ان كلمة الملك البسيطة هي احق بالصدق من بين العبداه . واما اذا ضاق بك المقام وضايقتك الحضور بالسؤال ورأيت انك متردد بين ان تكذب او تبوح بالسرفاجعل لك مخرجاً اذ ذاك في الاتجيب لا بنعم ولا بلا فينتبه جليستك ويكف عن السؤال او لا يقدر ان يؤول جوابك هذا بما لا ينبغي وان لم ينتبه لطريقتك هذه وبقي على سؤاله فاطهر التعجب من سؤالاته والقر عليه غيرها وان لم تنجح بهذه الوسطة ايضاً فلا تجبه على شيء من سؤاله بل بين له بصريح العبارة ان سؤاله لم يصادف قبولاً ولكن لا تجافه بل لاطفه بقدر ما يجب لمقامه . والحذر من كثرة السؤال التي لا يقصد بها سوى الاكتشاف على خفايا القلب والحذر ايضاً من الاجوبة الملتبسة فان السائل ياخذ منها احياناً كل ما يرغب فيه ويتمناه



### قاوم الحثاء بالاستقامة لا بالغيظ

ان احسن واسطة بها تنجو من حبائل الحثاء الذين يعتقدون انك خبيث مثلهم هي ان تنطق دائماً بالصدق وتسلمك سلوكاً مستقيماً وان ترقب كل اعمالهم فرداً فرداً فاذا رأوا استقامتك يندهشون ويغيرون افكارهم فيك بل يقلعون عن مقاصدهم الخبيثة ولعمري ان الفخاخ تنصب للشعالب الماكرة لا لطير الخطاف المعروف ببساطة القلب

فان الرجل الماكر الذي يبغض رهبانيتك او يرغب في اسقاءك عن منصبك لا تظنه يعمل دائماً بما يتظاهر بعمله فكثيراً ما تراه يسعى وراء غاية او غرض وما سعيه الا خدعة للناظرين فانه يرمي بعض اسهم افكاره في الهواء فتطايرو افكاره اليها ونشتغل بها فيعمل حينئذ ما لا تظنه يعمل ابداً فيجب اذن عليك ان ترقب ما يخفيه عنك اكثر مما يديه لك وما يفعله فعلاً اكثر مما ينطق به قولاً ولا غرو ان الماكر يكون عادةً ماهراً درباً يعرف متى يبغض طرفه ويخفي مقاصده لانه يعتقد ان الطائر الذي يجري في طيرانه مستقيماً يسهل قنصه بخلاف الذي يتقلب وينحرف ومن المحقق ان الماكر اذا اراد ان يضر بك فلا تنقصه الفرصة لانه يجدها بسهولة او يوجد لها لان المكر ينفذ في اصغر الشقوق كما ينفذ النور

وما يؤيد ما نحن فيه ويزيدنا تدبراً له حيل الكتبة والفريسيين على ربنا يسوع وما اوردوا عليه من السؤالات التي تدل على مكرهم واجوبته جل جلاله التي تسطع فيها الحكمة الالهية والتي بها كان يخذلهم ويبين اسرار مكرهم بدون ان يمس وجه الحقيقة بشائبة ولعمري ان ما عومل به المعلم يعامل به تلاميذه

ولما كان خصومنا يرقبون سيرتنا كما نحن نرقب سيرتهم ترقب علينا ان نجتهد في ان يغدنا الجميع ذوي بصيرة وحنق في اعمالنا لا ذوي مكر وغش ولا بأس اذا عدنا الناس مخدوعين ولم نكن مخدوعين ومن الظاهر ان من لم يكن

حاذقاً لا يقدر ان يسوس الرعية وليس الامر كذلك في من لم يكن مكرراً خداعاً فالخداعة اذا ما اقامت في حدود الفطنة كانت من المناقب الحسنة واما اذا تجاوزت هذه الحدود فبلغت الى حد المكر والخداع فتسمي من الرذائل التي لا تحتمل . فان المكر عمة زائفة والمكر هو الزيف الذي يبلبل نظام الالفة البشرية ويبيد اعظم الوسائط المفيدة لنجاحها وهي الثقة بالاستقامة لانه لا يعد احد دقة نظره في اعماله الا رداءة ولا فطنته الا رياء ولا حرصه في تدابيريه الا خداعاً ونفاقاً فالخداعة ليس من شأنها ان تكون سماً قاتلاً بل دواء يصون من خداع الماكرين . والاستقامة لا يجب ان تكون سذاجة ولا الخداعة مكرراً ولعمري من لا يأنف من الاعوجاج ولا ينفر منه ومن لا يجب الاستقامة ولا يميل اليها ومن لا يرى ان شهرة الانسان بالاستقامة تعلي شأنه وتكسبه ثقة الجميع به واما اذا عرفه الناس بالمكر والخداع فهذا يتخض كثيراً من قدره عندهم ولا يكسبه الا خسران الثقة لفقدان الامانة

ومن المعلوم انه لا سبيل لنا الى الفطنة والامساك عن الكلام وعن افشاء السر الا بكبح الاهواء لان الاهواء هي المنافذ التي يدخل منها العدو للاستيلاء على النفس . فالدسائس التي يستعملها اهل الدهاء لاستطلاع الاسرار الحفية هي متنوعة فالغضب يقاومونه في كل فرصة ويظهرون له المكابرة والعدوان فيستشيط غيظاً ويغيب احياناً عن الهدى فينطق بكل ما عنده ويبوح باسراره فهم على هذه الصورة يأخذون الانسان باضعف امياله فيملقون من يجب التمليق ويغضبون من يميل الى الغضب ويطنبون في مدح المتكبر ويبارونه على افكاره حتى انهم يفضلون رأيه على رأيهم ويظهرون انهم حيارى لا يهتدون الى الصواب بدونه فيظهر لهم افكاره ويبين الطرق التي يستعد للسير فيها . ولهذا الغاية ترى من الناس من يتظاهر بما ليس فيه فيكتسب رضاك بمدحه او ذمه ما يريد ان يكتشفه من اسرارك وترى هذا يضايك بطلباته الساقطة عليك كالطر الهاطل حتى لا سبيل الى التخلص منها وآخر يتجاهل ولا يصغي لبعض كلمات تقولها متضمنة اسراراً فيحملك بذلك على المزيد من الايضاح وقصارى الكلام ان لذوي الدهاء وسائط وحيلة للاكتشاف على خفيات القلوب كما ان لعلماء طبقات

الارض ادلةً ووسائل يتوصلون بها الى معرفة التربة وما يطلبونه منها  
وعليه فاحرص اشد الاحتراص ان تتأثر من شي مطلقاً وان تبدي السرور  
او الكآبة بل اكبح كل هذه الشواغر فان بعض الناس يسكتون عما لا يريدون  
افشاءً ولا يظهرون بالفعل ما يرغبون في اخفائه ولكنك ترى على وجوههم  
جلياً ما هو مكنون في صدورهم فكذلك تسمع صوتهم ولو لم يحركوا شفاههم  
او تشاهد عياناً ما يظنون مخفياً في طيات قلوبهم كما يشاهد ما تحويه الآنية  
الشفافة

قال فينيون لتلميذه تيلياك لا تكن عابس الوجه مقطب الجبين مثل الذين  
يتظاهرون بانهم خزنة الاسرار العميقة ولا يظهر عليك ابداً انك مؤمن على  
بعض الاسرار بل الزم حالة طبيعية كرجل قلبه بين شفتيه . تكلم بحرية  
واستقامة في ما ينبغي ويعنيك الكلام فيه ولكن اذا بلغت الى ما لا ينبغي  
او لا يعنيك فاصمت بدون تصنع ولا ارتباك ولا تكن من اولئك الذين  
يتظاهرون بانهم حملة اسرار خطيرة وهم لم يستودعوا منها شيئاً او انهم يعلمون  
اموراً معلومة عند الجميع ولا يعرفون عند مسيس الحاجة كيف يكتُمون سرّاً  
ولو كان عظيماً اه (تياياك)

### ﴿ الفصل السابع ﴾

في الشرط السابع للفطنة الرهبانية وهو الحصول على منبه  
خاص الى النقائص

١

ان النصيح يفيد الرئيس بنصيحته أكثر مما يفيد سائر

الاصدقاء

لعربي ان اهم شيء يجب على الرئيس معرفته انما هو قدر نفسه وكيفية  
سياسته وما فيها مما يستحق المدح او الذم وما تقوله الجماعة فيه وما يجب ان يقوله

هو عن ذاته فالداء اذا ما عرف شني نصفه والجراح اذا خفيت يتعذر اندمالها ولا غرو ان هذا ما حمل ابن سيراخ على ان يقول « من يأخذ افكاري بالسياط وقلبي بتأديب الحكمة بحيث لا يشفق على جهالاتي ولا تهمل خطايائي لكي لا تتكاثر جهالاتي وتتوفر خطايائي فاسقط تجاه اضدادي ويشمت عدوي بي ( ٢٣ : ٢ ) وقال الحكيم : « الذي يحب التأديب يحب العلم والذي يبنض التوبيخ بليد . امثال ( ١٣ : ١ ) وقال ايضاً ( ٢٥ : ١٢ ) : الموبخ الحكيم للاذن الراحية قرص من ذهب وحلي من فضة ولا شك انه ضرب من الحماقة ان يظن الانسان نفسه بلا نقص ولا يقبل التوبيخ . قال الحكيم « فاذا مشى الجاهل في الطريق يقول لكل واحد انه احمق » جامعة ( ١٠ : ٣ ) وقال ابن سيراخ ( ٨٠ ) : لا تخاطب الجاهل فانه لا يحب ان يسمع الا ما يلذ له

فمن الدهاء العجيب ان محبة الذات لا تدعك تكفر بذاتك بل تجعلك متشبهاً بكل اعمالك ومسروراً بها وتريك ان الجميع مسرورون بك كما انت مسرور بذاتك وقال العلامة الشهيد بوسويت : ان جميع الناس عالمون بجهالاتنا ونحن وحدنا نجهلها وانما يمنعنا عن معرفتها شيئان الاول نظرنا اياها عن قريب والناظرة متى صادمت المنظور عن قرب تخرج به فلا تميزه جلياً وهكذا نحن فاننا متعلقون بذاتنا تعلقاً لا نقدر معه ان نبصرها ابصاراً واضحاً بلاء النظر والثاني وهو الخلل الفاحش في نظام اعمالنا اننا لا نريد ان نعرف ذاتنا ولا ننظر اليها الا من الجهة الحسنی واننا نود ان نرى ظلتنا او صورتنا وهي على شيء من الكمال اكثر من ان نرى ذاتنا ونحن على شيء من العيب والنقص

فهلم اذن ايها الصديق الحقيقي ( وهل من صديق حقيقي على وجه البسيطة ) هلم وارني نقائصي التي لا اراها اربي اياها ولا تحف عني عيوب عقلي فاني اصلح بمساعدتك ما يمكن اصلاحه اما ما لا اقدر على اصلاحه فيكون سبباً لكبح كبريائي فتعال اذن ايها الصديق الحقيقي تعال ولا تدعني اهل شيئاً مما استطيع ولا اطلب امراً لا اقدر عليه حتى يكون قسطاس حياتي العقل والحكمة وقياس اقدامي على العمل مقدار قوتي لا غير اه ( عظة في محبة الاخوة )

والقدیس برناردوس يقول بلسان البابا اوجانيوس « يا سعادتي ويا لطمأنينتي



لو كنت ارى حولي جنوداً امناء قائمين على حراستي ومحافظين على حياتي فبمثل هولاء اثق واليهم اسلم افكاري ولهم ابوح بجميع اسراري وافتح خزائن قلبي كما افتحها لنفسي فانهم ان شردت عن الصواب اندروني وارجعوني اليه وان غضبت اطفأوا نار غضبي وان تناعت او تقاعست ايتظوني واخذوا بيدي واجعل لهم دالة عليّ يمتدرون معها ان يتقصوا من كبريائي عند الفرص المناسبة ولا ينقصوا من وتاري واحترامي شيئاً ويهدون خطواتي اذا ما تجاوزت حدود الفطنة ويمكن عزمهم ورسوخهم على الاستقامة اراداتي المتقلبة فتقوي شجاعتي القلقة ويحملني ايمانهم وقداستهم على عمل كل ما هو مقدس وشريف ومحبوب وعفيف ( من اعتباراته ك٤ ف ٥ )

ومن المبادي المسلم بها عند جميع ارباب السياسة انه ليس من حكومة تثبت ان لم يكن لها شرائع لاصلاح المذنبين او وسائط للانتقاد وامر اصلاح العيوب في المملكة ينبغي ان يتولاه من يكون لهم شيء من السلطان لكي يستطيعوا مقاومة الملك او بالحري تأييد اركان مملكته . فداود الملك كان يعتبر توبيخ البار له كنعمة خصوصية ويرفض الطيوب التي كان يريد الخاطي اي المداهن ان يسكبها على رأسه (مز ١١١)

وقال الانديس امبروسيوس : اني احب الملك توادوسيوس لانه كان يطرح عنه التملقات ويسمع برضى وسرور التنديدات والتوبيخات ( في موت توادوسيوس ) وكان ايزوكرات يردد على مسامع نيكوكليس هذا الكلام قائلاً : لا تعتبر ان اصدقاءك الامناء هم الذين يصوتون كل اقوالك ويمدحون جميع افعالك بل هم الذين يذمون عيوبك » وكان لويس الحادي عشر يتشكى في بعض الاحيان قائلاً : ان كنوز مملكتي لثينة لكن اثمها هو الصدق وهو مفقود » وسئل يوماً احد الخاذهين بفرن السياسة ما هو المبدأ العام لحسن السياسة فاجاب : دع صديقك ينبهك الى عيوبك بحرية واستقامة وحكي ان ترايانوس سلم رئيس خفره سيفاً وقال له خذ هذا السيف فاذا رأيتني سالكاً بالاستقامة وبأ يؤول الى خير الشعب تقلده لحراستي والمحافظة على رأسي واما اذا رأيتني سالكاً بخلاف ذلك فاستله لقطعه . واما اسكندر الكبير فطرد من بلاطه

واحداً من الفلاسفة لانه لم يبكته على شيء . وقال له اني بلا شك لست معصوماً من الخطأ من حيث اني انسان وانت من حيث انك فيلسوف لا يفوتك ان تراقب خطاياي ومع هذا لم تبككتني على شيء . منها فدلني ذلك على نقص في محبتك لي فمالي ولك اذن اخرج عني

فيا ترى من هو هذا المنتقد او هذا الحارس الصديق الامين والنصيح المخلص للرئيس ؟ ان هو الا المنبه الذي يجب كما قال بسويت ان يكون عنده اعز من عينه نفسها لانه يريه غالباً ما لم تره اياه عيناه واذا اوجب الامر وجرح بلسانه الرئيس فعلى الرئيس ان يؤكّن قول الحكيم : امثال ( ١٧ : ٦ » جروح المحب مأمونة وقبل المبغض خائنة »

فجميع الرهبانيات السالكة على النظام المتقن المقرر تعين للرئيس نصيحاً رسمياً . قال القديس بونا ونتورا كل من اراد من الرؤساء ان يسلك في رعيته سلوك امين حكيم ينبغي له ان يحجب سلطانه بازاء سلطان سري يقيمه ليسهر عليه ويبكته على جميع نقائصه وهذه القاعدة بل القريضة لا تستثني احداً حتى الخبر الاعظم نفسه » ( ستة الاجنحة ف ٢ )

وقالت القديسة شانتال ليس من العدل والصواب ان تحرم الرئيسية التنبيه والاصلاح كما يأمر القانون لانها انسان غير معصوم من الدلال والسقوط كاحدى اخواتها ( الاجوبة )

فناشدتك الله من تراه يصدق ان ذلك الذي يلتزم ان يفيض مشوراته ونصائحه على الجميع يحرم نفسه من انسان ينصحه ويصلح عيوبه وهو المثال والقاعدة التي يجري عليها غيره ورب عيب واحد منه كان ذا نتائج عظيمة الضرر . او هل يليق ان يتناقل الكثيرون مذمة الرئيس في بعض نقائص ربما هي غير صحيحة وهو نفسه لا يدري بشيء منها . فكيف يداوي مرضه ولا علم له به او كيف يصلح سيرته وهو لا يدري ان فيها عيباً ؟

فكثير من القديسين ولاسيما القديس برناردوس والقديس فرنسيس الاسيزي والقديس كارلوس بورومي والقديسة تريزيا اتخدوا لهم نصحاء سرين ليرشدوهم الى الصواب ويرقبوا اعمالهم ويأمرؤهم باصلاح ما اختل منها عند

## ثانياً

ان من يلق الرئيس هو من ألدّ الاعداء واكبر الخونة انما التمليق تجارة كذب  
ركتاها انتفاع البائع وكبرياء المشتري

## اولاً

في الخير الذي يطلبه المداهن لنفسه

لا يداهن احد بدون غرض من الاغراض لان من يقصد الخداع لا يقصده  
لاجل ذاته بل يقصده ليرضي المخدوع وما هذا الارضاء الا لاجل منفعة يرغبها  
لنفسه والا كانت المداهنة تشبه كثيراً بالخلاص القلبي والاحترام الحقيقي كانت  
تخدع الكثيرين حتى ذوي الفطنة والخبرة وبعد فان اشد مباينة بين انسان وانسان  
انما تكون بين الصديق والمداهن فالصديق يطلب خير رئيسه والمداهن خير نفسه  
ذاك يحب رئيسه محبة حقيقية فعالة مفرغاً ما في جهده باظهار الاعتبار المعيق له  
وهذا لا يجب الا لنفسه ويضحى كل خير لرئيسه ولسائر الجماعة حباً لخير نفسه  
ومصلحته الخصوصية . والصديق يترى . على ان يبين عيوب الرئيس في حضرته  
ولكنه يفعل ذلك في السر بكل تهيب واحترام غير انه لا ينقطع عن مدحه في  
غيابه بل يثني عليه وعلى اعماله . اما الملاق فيداهن الرئيس في الحضرة ويندد به في  
الغيبة ويزدري به ويقرعه ذاماً جميع صفاته ومحامده ويفتخر ايضاً بانه مستول  
عليه قابض على ناصية اهوائه يقوده كيفما شاء . نعم ان الصديق الامين قد  
يرى احياناً ان يذكر شيئاً من مناقبه وفضائله السامية تشديداً وانهاضاً لهمة غير  
انه لا يذكر الا ما كان حقاً وحقيقاً بالذكر اما الملاق فلا يفتأ يطنب بمديح  
صاحبه ذاكرة اعمالاً لا تذكر او عازياً اليه ما ليس له او مورداً في تقريظه ما  
يوجب المذمة والطعن واقول اخيراً ان ما من احد يحب رجلاً لا يعتبره ولا يمكن  
المداهن ان يعتبر من يراه راضياً بالمداهنة عاملاً بها لعلمه بان المداهنة هي ان  
تتسب الى الرجل ما ليس فيه من القضايل وتعذره على ما فيه من المساوي .

## ثانياً

### في كبرياء المدوح

ان الانسان لا يجب الحقيقة التي تحقّض من قدره ولا يستهجن كتابها عنه ويود الا تبلغ مسامعه ويتمنى ان تبقى عيوبه مجهولة ويسره ان يشهد له الجميع بانهم لا يرون فيه عيباً ويشتهي ايضاً ان تزداع مناقبه لدى الجميع وتثلج نفسه اذا علم ان جميع الناس منتبهون اليها فيه ويكون ذلك على قلبه برداً وسلاماً لانه يريد ان يكون كاملاً بشرط ان لا يزعجه الكمال بشيء ويندهش اندهاشاً لذيذاً اذا ما اكّد له احد انه قد بلغ الكمال فانه عندئذ يصبح ميّالاً في الباطن الى طلب المديح ولا يحذر عواقبه ويؤيد جانب مادحيه ولا يعود يقدر ان يلوم شيئاً من اعمالهم مهما كانت فاحشة

ولما كان المداهن يعلم ان الانسان مائل بالطبع الى محبة الذات بافراط والى مدح اعماله حتى عيوبه نفسها التي تلتبس بالفضائل كما اذا كان الرئيس جسوراً قليل الفكرة والتبصر فانه حينئذ يريه انه همام غيور واذا كان مبذراً الاموال الموقوفة يصور له انه كريم شريف الاخلاق واذا كان خفيف العقل هازلاً يؤكد له انه سهل العريكة لين الجانب دمث الاخلاق وهكذا فانه يجتهد ان يقرّظ الرئيس بما يشاكل الفضيلة لان كثيراً من السيوب يلتبس بالفضائل بما انه افراط او تفريط فيها فيرتدي بردائها

وقد قال بسويت في عظمه في المحبة الاخوية : ان المداهن يمسن المداخلة في اميالنا وخفايا قلوبنا الحبيثة ويبارينا في محبة الذات بلباقة واطافة الى حد لا نقدر فيه ان نقاوم شيئاً مما يقوله لنا

فالرئيس ان لم يكن ذا قلب مستقيم ولو عرف التمليق وخداعه لا يعرف كيف ينجو من مكر دسائسه فيرى انه مخدوع الا ان ذلك لا يسيخطه ولا يكدره ويود ان يصدق ما يقوله المداهن اكثر مما يتوله له عقله واختباره الذاتي وتراه يسدل ذيل المذرة على كل كذب أخترع لاجلاله واكرامه هذا ان لم يكن بالكذب فاحشاً وكان ظاهراً سخرية به واضحة فالمديح في وقته وظروفه وان



كان تمليقاً وخداعاً يلج الى باطن النفس ويستمر فيها مدةً طويلةً وانه يعود ويتردد على الفكر مرات وان خيل لك ان شمله قد تبدد ويتشكل بالوان جديدة مهمة ومن ستط بجباله يعتاد الالتذاذ به حتى ان صوت الحق وتنبيه المحبة يسيان لديه مكروهين لا يعدهما الا تنديداً ناجماً عن البغض والحسد فلا يسره ان يسمع شيئاً من الصديق الامين بل يسد عنه اذن الثقة ولا يستشير به شيء مهم وان ابدى هذا الصديق رأياً صادراً عن فرط حبه وغيته فيرفضه باشمزاز وفضاظة بخلاف ما اذا تكلم الملاق فانه يصغى اليه بثقة ومحبة ويفتح له خزائن قلبه ويبي بين يديه طوع العنان راضياً مسروراً بكل ما يبدية له من الآراء الحبيثة

وقد سأل احد المؤرخين نفسه ماذا ياترى يحمل الملوك اشراراً ارياء ؟ ثم اجاب فقال انما ذلك ١ الحرية التي يتخذونها لانفسهم لكي يصنعوا كل ما يريدون و٢ الوسائط التي تتوفر بين ايديهم وتساعدهم على ارضاء كل اميالهم و٣ جهالهم الماهم العدومية و٤ اصدقاءهم الاردياء (قوبيسكوس في حياة اوريليوس قيصر)

ولعمري ان كل رئيس تراه محاطاً بالمخادعين فلا يسمونه الا اصوات التقرير والتركبة ولا يرونه سوى محامده ومآثره وهو يجهل كل الجمل حالة جماعته بل حالة نفسه ايضاً لانه وان كان الاكثرون يشكون من ثقل نيره ويتذمرون من قساوته فهو مع ذلك نشوان من حيا المديح والتقرير ويخيل له ان سياسته هي فخر السياسات وقاعدتها وسعادة مروضيه الكاملة واذا نبه احد الى شيء من هفواته ينسب تنبيهه الى خبث نيته وبغضه وهذا ما يدمر الاديار والروساء غافلون عنه

ولنعر الان اذنأ صاغيةً لاقوال آباء الكنيسة التديسين . قال القديس اغسطينوس ( في كلامه على الزمور ٦٩ : ٥ ) « ان لسان المخاتل لشر من يد القاتل » وقال القديس بروسبر « ان لسان المماذق يكبلنا بقيود الخطايا ويتزع كل فكر صالح منا حتى فكر الندامة وكل رجاء بالخلاص » ( رسالة ٨٩ : وقال القديس غريغوريوس البابا « ان هذا اللسان الماكر لا يكتني ببعض الكلام

او بتبيان بعض الظروف بل يتبع فريسته ويلتف عليها كالافعى القاتلة وينفث فيها من سم مكروه وخداعه حتى تقع في حباله فاقدة كل قوة وميل نحو الاستقامة والعدل (ارشاد ٢ على حزقيال) وقال ايضاً صاحب الاقتداء: واذا مدح الانسان غيره كان كما كرم يمدح ما كرم مثله او متعجرف يمدح متعجرفاً او اعمى يمدح اعمى او مريض يمدح مريضاً لان المذائح الباطلة هي عار على قابلها نفسه فالرئيس النبيه الحكيم متى لحظ ان البعض يرومون اكتشاف اسراره او استمالة قلبه بالمداينة والمخاتلة أفهمهم انه عدو الدمثل هذه الدسائس ولاصحابها فيسد فم المصانع المخاتل ويريه انه عارف بسوء نيته وانه عار عليه ان يسمع لما كرم او يلتذ بالمكر والخديعة

فالسيد المسيح طالما سمع اليهود ينهون به ويقصدون فيه وكان مع ذلك صامتاً واكتمه لما سمعهم مرة يخادعون به بالتعليق استشاط غيظاً عليهم وقال لهم: ايها المراؤون لما اذا تجربوني (متى ٢٢ : ١٨)

### ثالثاً

في ان التنبيه يجب ان يجري بادب واحترام

نعم اننا نضطر في بعض الظروف لان نظهر في تنبيهاتنا الغرم والثبات فالسيد له المجد لم يكتف بقوله نبيه اخاك بل قال «وبخ اخاك» اعني عامله بالحرية التي توليك اياها الصداقة ولا تسلم ولا تنقد له بكل ما يبتغيه بل كلّم صديتك كصديقٍ محض واثبت في ما قصده لخيره

ولعمري اننا اذا تركنا اخانا يستط في حفرة في شدة الظلام وفي ايدينا مصابيح مضيئة نقدر ان ننيره بها كنا له اعداء الداء لا اخواناً اصدقاء لان الرجل الظالم كما قال الحكيم (امثال ١٦) : يضل صاحبه ويقوده في طريق غير صالحة وقال ايضاً (٢٩) : من كلم صاحباً بكلام عذب ملاق يكون قد نصب لرجليه فخاً (بسريت في العظة المار ذكرها)

وقد سأل الملك انتياتير يوماً الربان فوسيون ان يعمل عملاً لا يجيزه الضمير المستقيم فاجاب فوسيون : ايها الملك اني لمستعد ان اخدمك بكل ما اقدر عليه

لكني لا اقدر ان اكون لك صديقاً ومخاتلاً معاً  
وقد اردف بسويت في نفس عظمته المقدم ذكرها كلامه الاول بقوله « احذرنَّ  
مع ذلك ان تخرج عن حدود القطنة في محافظتك على العزم والثبات . اني لما قت  
اوائك الذين ينتخرون بالنصائح التي يبدونها لصاحبهم والتي لا يطلبون خيره بها بل  
رفعة شرفهم لان ارادتهم لا تظهر متجهة الى المصلحة التي يطلبها صديقهم بل الى  
المفاخرة والاستيلاء عليه والآن فكيف يوجئونه ظاهراً ويفتخرون امام الملاء  
بذلك قال السيد المسيح : وبخ اخاك وفمك الى فيه ولا ترحم رذيلته ولكن  
ارحم ضعفه وخجله وارره بفطنتك وحكمتك ان كلامك له كلام صديق  
حميم »

فمن اقدم على نصيح صاحبه يازمه الا ينطيه في كل اعماله والآن يظهر له  
انه يفوقه ذكاءً وفضيلاءً لان هذا مما لا يحتمل لما فيه من قلة الاعتبار ومن  
الازدراء بشأن المنصوح فان الناصح اذا جعل نفسه حاكماً واخذ يبحث ويندد  
بلا رحمة ولا يصوب عملاً من الاعمال اظهر انه قاصد الاهانة لا الاصلاح  
فيترب عليه ان يتم وظيفة روح النطنة والمحبة منتهزاً الفرصة الموافقة ومبدياً  
خطابه وعلى وجهه علامات البشاشة والدعة نابذاً عنه كل كلمة غليظة مثناً على  
اعمال كثيرة ليتأتى له ان يبدي اللوم على بعضها وليحذر في حديثه من المبالغة  
وعدم الرضى عن المخاطب بالاطلاق والازدراء به وبكل صفاته

قال المعلم غراسيانوس : يجب ان نخرج الحقيقة بكثير من العسل لكي  
نرفع عنها مرارتها الطبيعية ثم نرشها بالعنبر لكي نخفف رائحتها الكريهة ثم  
فلنقدمها للظمأى في كأس ذهبية لا بكأس من زجاج او بلور لتلا يرى متناولها  
لونها قبل ان يشربها

وما مثل الحقيقة الا مثل ابنة ياكى حياؤها جمالها فلا تمشي الا مستترّة  
فعلى الولاة ان يكشفوا عن محياها بلطف وشجاعة واذا احب الملوك ان يمدحهم  
غيرهم بالاسعاف فلا يحبون ان يتقدمهم احد بالحكمة واصابة الرأي فعلى من  
عهد اليه بامتحانهم ان يتظاهر بانه يذكرهم بشيء نسوه وهذا النسب من ان  
يعلمهم شيئاً لا يعرفونه ( رجل البلاط مبدا ٧ و ٢١٠ )

واننا نرى ان الله تعالى نفسه ينبه الاولك بشيء من اللطف والرفق لانه لما كان قادراً مثلاً ان يبين لفرعون ونابوكدنصر بواسطة وزرائها تلك الحقائق الهائلة بيّنها لهما بالاحلام والرموز تاطفاً بجلالتهما الملوكية وتخفيفاً لشدة كآبتهما لو بادرا الى اهانتها الوزراء والرعايا

والقديسة شانتال رتبت في اجوبتها على بعض مسائل في رسوم رهبانيتها هذه التواعد ان تتعين منبهة في الدير قالت : على الرئيسة ان تختار لها معينة من الاخوات الصالحات وتعلم ان هذه المهمة خطيرة جداً تقتضي شيئاً من الحكمة واللطف والبشاشة لكي تمكن الاخوات ان يدنون منها بسهولة ومن اخص واجبات هذه المعينة ( او الناصحة ) ان تسكن الهياج وتؤيد جانب الوفاق والاتفاق والاحسن ان كل راهبة تقول بذاتها للرئيسة كل ما تراه فيها يوجب اللوم وهنا اتذكر ما قاله الطوباوي ابونا ( مؤسس الرهبنة ) ان افضل جميع الراهبات هي التي تثق بالرئيسة وتكاشفها بكل ما عندها وانه لم يرسل هن ناصحة الا رفقا بالضعيفات منهن اللواتي لا يتجرأن ان يكشفن افكارهن للرئيسة نفسها فالناصحة اذا كانت ذات ضمير سليم نقي تجتهد اولاً في ان تبث في قلوب كل الراهبات روح الثقة الكاملة بالرئيسة كأنها الام الحنون واما من شق عليها الالتجاء الى الرئيسة فلها ان تلتجئ الى الناصحة هذا واذا سقطت الرئيسة بزلات كبيرة وخيمة يجب حينئذ على الناصحة ان تلتجئ اولاً الى الصلاة ثم تنبه الرئيسة بكل لطف ودعة الى ما فعلت واما اذا اصرّت هذه على غيها فيجب حينئذ ان تعود الناصحة اليها وتنطرح على قدميها طالبة منها اصلاح ذلالتها . ولتريها ان الاخوات كلهن يرغبن في اصلاحها رغبة شديدة واذا لم تصطلح يضطرون لان يشكونها الى الرئيس وقد نبهت قبلاً وأنبه الان ايضاً انه لا ينبغي ابداً ان نتكلم في الخارج عن نقائص الرئيسة أي لا نشكوها الى الرئيس الا بعد اليأس من اصلاحها بواسطة النصائح الداخلية .

ولعمري لا شيء يوافق مبادي القطنة والمجبة اكثر من هذا وهو ان لا يرفع المروثوسون شكواهم على رئيسهم المكاني الى الرئيس الاعلى الا عند الضرورة القصوى وان لا يرفع الرئيس المكاني دعواه ايضاً على مروثوسيه الى رئيسهم



الاعلى الا بهذا الشرط .

وننصح اخيراً المنبه بقولنا له : تذكر انك ناصح لا آمر واعلم ان للرئيس بعد سماع نصائحك وتنبيهاتك ان يعمل بما يراه الا صوب هل ترى انت نفسك ان الرئيس مضطرب لان يسمع لك دائماً وسريعاً وانت تقيم نفسك رئيساً له لا منبهاً؟ او تجهل انت ان الرئيس يضطرب احياناً لان يخفي عنك اسباباً سرية تميل به الى هذا العمل لا الى ذلك ؟ .

فبان مما قررناه ولخصناه ان النصيح يفرض من الرهبان المخلصين للرئيس وهو لا يرتضي بوجه من الوجوه ان يخدعه باخفاء الحقيقة عنه وانه يجب ان يكون حكيماً اذ عليه ان يعرف ما الذي يجب تبليغه الرئيس وانه لا يسوغ له كشف اسم المبلغ عنه وان يحترم رئيسه احتراماً عميقاً ويبالغ في ملاطفته واعتباره وان يكون عزوماً شجاعاً اذ ينبغي له بعض الاحيان ان يعارض الرئيس بشجاعة لكي لا يزل الرئيس وان يصلح ما اخل به وان يكون أيضاً مجرداً عن الاغراض الخصوصية لكي يقدر ان يبدي النصائح المفيدة للعموم ولو رآها مضرّة بمصلحته الخصوصية او كانت تلحق به اهانة ما أو تمنع رضى الرؤساء عنه .

#### رابعاً

في ان الرئيس عليه ان يقبل النصيحة برضى وشكر

ان الاب بالتازار القارس اليسوعي نصح الرؤساء بهذا الكلام قال : تقبلوا ايها الرؤساء كل نصيحة من أينما وردت بطيبة خاطر بل اظهروا حينئذ سروركم بالكلام وطلاقة الوجه فتسكنوا بهذا اضطراب الخواطر وتقوا انفسكم من عيوب شتى تتعرضون للسقوط فيها لولا ذلك وليكن عدد الناصحين لكم كعدد مروتوسيكم ( كتاب حياته ف ٢٣ ) وقال القديس غريغوريوس ان الرؤساء الصالحين يرون في كلام مروتوسيم لهم بجرية شهادة لهم باخلاصهم وتعلقهم بهم من غير ان يكون لهم مآرب خصوصية وقال ايضاً ان من علق قلبه باميال الشر وأبى ان يسمع لمروتوسيه الناصحين له اثبت على نفسه من سلوكه هذا عينه لانه يفضل اتباع امياله على الحقيقة ويريد انتهاك حقوقها وألاً يسأله احد عن شيء .

( الكتاب الرعوي ٢ ف ٧ )

وقال ايزوكرات لديونييكوس ان رفض نصيحة المخلص لاعظم شراً من رفض هدية المحب .

فعند ما ينصحك أحد الاباء او الاخوة او ينهيك على شيء فاذا رأيت نفسك بريئاً منه فلك ان تبين له ذلك والأ فلا تعتذر بل اعترف بذنبك وعد باصلاحه ولا سيما إذا كان الناصح لك من الشيوخ الفضلاء وهكذا اذا بادرك أحد بنصيحة فاستدركت ما يقال فوق ما يطلبه منك فانك تنجو من تنديدات شتى وتربح ثقة مرووسيك بك واعتبارهم لك وتريد على فضائلك المعروفة فضيقتي التواضع والاذعان لانه ما من احد يجهل هذا المبدأ وهو ان من احسن الطاعة أحسن السياسة وانك لتعلم مرووسيك ان يذعنوا ويخضعوا لنصائحك اذا ما رأوك انت خاضعاً ومتسماً رغباتهم اليك باصلاحك ما شاهدوه في سلوكك مما يستوجب اللوم واذا اردت ان تقف على تمام الحقيقة فلا تكتف بما يقوله لك النصيح بل اضف اليه ما يستره ضعفه لانه لا يقول لك كل ما ينبغي ان يقول بل يكتف من الحقيقة نصفها ويلبسها ثوباً جديداً يروق لناظريك ملاطفة لاخلالك لئلا تشمت منه وتلبذ عنك نصائحهم . قال غراسيانوس : ان للملوك ان يتشبهوا بالعرافين بالنظر الى دقة افكارهم حتى يبلغوا اقصى الحقائق . وان هنريكوس الرابع ملك فرنسا كان يترددى باثواب عادية ويمخالط الناس حتى يسمع باذنه ما يقال فيه . وقد كتب القديس برناردوس الى البابا اوجانيوس : اني لوائق بان قداستك لا تصكتني بنصائح هذا الجبان الضعيف بل انها تضيف اليها فوق ما عرضته لديها وهذه الاضافة ممن تتوقعها ؟ امن قداستكم التي هي في منصب سام ام من حقارتي وانا على بعد شاسع عن مقامكم الرفيع الشأن وكيف يجب ان يُنبه الحكيم . اليس كما جاء في الامثال (١) ان « أفد الحكيم فيزداد حكمة »

اما اذا تأخر النصيح ولم يأتك بشي من ارشاداته فاذهب انت اليه وابن له عظم الواجب عليه باتمام وظيفته والحق عليه في الرجاء ان يمحضك نصائحهم واعلم انه ان تأخر عن نصحك لا يكون سبب ذلك انه ليس عنده ما يقال لك فقط بل انه يخاف ان يدنوه منك لفرط ما يكون فيك من محبة الذات وعدم تفضيلك عليها

شيئاً فان صاموئيل لم يتجرا. ان يظهر روثاه لعالي قبل ان استأذنه بذلك  
فالرئيس العاقل اذن يجب الحقيقة ويجد في طلبها والبحث عنها لانه يجب  
التقدم في اصلاح ذاته وكأله اما بحثه عن الحقيقة فلا يكون عن ازدراء او خبث  
نية كما فعل هيرودوس بل عن اخلاص وحب للفضيلة وغيره على خير جماعته فتراه  
يقبل النصيحة على حد ما يشتهي منه مروثوسه مع هذا الفرق وهو انه لا يرضى  
حفظاً لتمامه وساططانه وخوفاً من عثار الضعفاء ان تكون النصيحة له علانية كما  
يقتضي احياناً ان ينصح المروثوسون

ولعمري ما من احد يعمل شراً ويحسبه خيراً سوى المتكبرين والحقى وما من احد  
سواهم يأبى اصلاح شوائبه ويخشى ان ينظر الحقيقة بل يعمل بما في استطاعته  
وساططانه حتى يدافع عن سياسته وهكذا فانه اذ يحامي نفسه من سيئة واحدة  
يتركب ميثات وينهج لنفسه طرقات خداعة حتى لا يرجع عن سلوكه الردي ولو  
خطوة واحدة فاذا كنا من عداد هولاء صح فينا قول باسكال ( الافكار مقالة  
١ ف ١ ) : ما من احد يجترئ ان يقدم لنا خدمة يراها لا ترضينا وعليه يعاملنا  
الناس كما نحب ويروننا بعض الحقيقة ويبدون لنا المظاهرة والخداع

اما اولو الخداعة والفضيلة فيرون بسهولة شططهم ويسرعون الى اصلاحه  
قياماً بواجب الحقيقة . فهل من امرأة تغتاظ من مرآة ترى بها ما في وجهها من  
القذر او هل من مريض يمتنع على طبيب شرح له مرضه ووصف له دواء شافياً؟  
فهكذا ذو الحذق والنطنة فانه لا يغتاظ ممن يريه عيوبه بل يسدي له الشكر  
الواسع . قال ابن سيراخ ( ف ١٠ ) « الرجل الفطن العالم لا يتذمر من التوبيخ »  
وقال الحكيم ( امثال ١٥ : ٣٢ ) « من يرفض التأديب يحترق نفسه ومن يستمع  
التوبيخ يملك قلبه » وقال ايضاً ( ١٢ : ) « الساخر لا يجب ان يوبخ والى الحكماء لا  
يذهب » ويمكننا ان نقول عن النصيح ما قاله غراسيانوس عن طلب المشورة : ان  
قبول المشورة لا يدل على صغر المقام والحمول كلاً بل من اقام حوله رجال الصدق  
والاستقامة عد من ذوي الحذق والحصافة

والقدس بطرس لم يأنف مع انه رئيس الرسل من توبيخ بولس الرسول  
ولا من مقاومته لجاه مشافهة وتنبهه الى انه عمل اعمالاً توجب الملامة ( غلاطية ٢ )

## [ الكتاب الرابع ]

في الموافقة بين الرفق والحزم

### القسم الاول

في ان الرفق والحزم هما ركنا السياسة الرهبانية

#### ﴿ الفصل الاول ﴾

اي سياسة هي الحسنى بين السياسات الرهبانية  
الجواب على هذا السؤال الذي تكرر مرّات هو على ما يظهر لي : ان احسن  
سياسة دينية على سطح البسيطة هي التي تشبه اكمل الشبه سياسة الله للعالم او سياسة  
السيد المسيح لجماعته السليحين او سياسة يوسف للعائلة المقدسة او سياسة البعض  
من الملائكة للبعض من البشر او سياسة الحبر الاعظم للكنيسة المقدسة . او اخيراً  
سياسة مؤسسي الرهبنات لجماعاتهم . . . او ان السياسة الحسنى هي التي قالت عنها  
الحكمة انها تبلغ اقصى غاياتها مرتبة سائر امورها باللطف والبشاشة او هي  
سياسة الرئيس الذي يحتوي طباع الاب والام معاً : طباع الاب الذي يظهر  
رصيناً حتى في تلميقاته وملاطقاته وطباع الام كالحنان والرافة حتى ولو اجئت الى  
تأديب اولادها او هي سياسة ذاك الرئيس الذي يمسك بيده ميزان الانصاف فلا  
يدعئ ميل الى الشدة ولا الى التساهل المفرط : او هي التي لا تنبت اشواكها الا  
بين الورد وعسلها لا يخلو جانبيه من ابر النعل وغضبها كما قال ارميا غضب حمامة  
او هي التي تخرج الصوت الغليظ بالرفيع الحاد لكي تؤلف منها نغمة شجية  
مبهجة : او هي كما عرفها القديس اغناطيوس بانها عزومة فعالة بلطف ولطيفة هنيئة  
ببأس وثبات او هي كما حبها القديس فرنسيس الاسيزي تلك التي نرى مدبرها



مهيأً ومحبوباً معاً فلا يضر افراط حلمه بالنظام ولا يدفع مزيد قساوته الانفس الى الهلاك او هي كما قال القديس غريغوريوس تلك التي صورتها لنا قبة العهد القديم التي كان فيها بجانب لוחي الوصايا قضيب هارون وانا المن وبذلك نرى الكتاب يامر الراعي ان يمسك بيده الواحدة قضيب التأديب وبالاخرى برنية من اللطف والوداعة . او هي التي يصورها لنا مثل السامري الذي حمل الى الفندق ذاك المشخن جراحاً من اللصوص والمسلقي في الطريق كميتها وصب على جراحه خمرًا وزيتاً فالخمر صبها لتضميد الجروح والزيت لتسكين الالم وهكذا من تكلف شفاء الانفس فعليه ان يصب عليها خمر التأديب وزيت الملاطفة فهو بقوة الخمر القابضة ينظف القروح من العفن والتثانة وبقوة الزيت الملين يسكن شدة ألمها » . . ( الكتاب الرعائي ق ٢ ف ٥ ) فموضوع هذا الكتاب الرابع هو البيان عن ضرورة ائتلاف الرفق والقساوة وكيفية ائتلافهما

### الفصل الثاني

في ان اللطف والبشاشة جوهران في كل سياسة ولاسيما السياسة الرهبانية قال العلامة القهامة بوسويت في تأليفه السياسة المقدسة ( كتاب ٣ قضية ١٢ ) « ان اللطافة هي من جبة السياسة ولا ينبغي ان يقسو الملك على شعبه ما لم تضطره لذلك ذنوبهم والا فالاجدر به ان يكون لطيفاً بشوشاً وسهلاً سميحاً بحيث لا يقال عنه انه متسلط بل انه أب : واللطيف اللين يعرف كيف يسمع وكيف يرد الجواب « كن لطيفاً في استماعك الكلام » لكي تعيه وترد الجواب بحكمة وصواب » ( سيراخ ٣٢ ) ومن شأن دماثة الاخلاق ايضاً ان تسهل الاعمال وتوفقها وتولي اصحابها مجداً عظيماً . قال ابن سيراخ ( ٣٢ ) : يا بني اعمل اعمالك بلطف ولين فترقي مجدك اعلى من سائر الناس » وموسى لما فاق بني البشر دعةً استحق اكثر من الجميع ان يملك بامر الله الذي هو اللطيف ذاتاً فقدمه لايمانه ودعته » واختاره من بين البشر ليكون قائداً لشعبه ( سيراخ ٤٥ )

ان المحبة والاحترام يأتلفان اما المحبة والخوف العبدى فلا . فما تخافه تبغضه والمبغض لا يدوم طويلاً لان البغض لا يستحسن شيئاً بل يأول كل شيء الى الشر

وعليه فلما يُسمي الرئيس مكروهاً من جماعته تسمي كل أعماله مذمومة لديهم والمذمة تفتح باباً رحباً للمشاحنة والتشكي فينتهي الأمر إما بحط الرئيس أو بازعاجه الدائم : سئل يوماً ( اجيزيلاس ) أي ملك تطول مدة جلوسه على عرشه الملكي أكثر من غيره فاجاب . . . انما هو الذي يسوس رعيته كما يسوس الاب بنيه وكزيتوفون كان من عادته ان يقول : . . اني لا اجد مطلقاً فرقاً بين الملك الصالح والاب الفاضل » وقال سوفكلوس : ان الخوف يرجع الى مصدره فالظالم يخاف يوماً من كل اولئك الذين جعلهم ان يخافوه » وقد اخبر القديس سيدوانس عن تيودوريكس : « انه لم يكن يخشى شيئاً مثل علمه ان رعاياه تخافه » خلافاً لما نطق به ذلك المسخ كاليقولا قائلاً فلتبغضني الرعية بشرط ان تخافني واذا كان اللطف والسهولة من خصائص الملك فهما بالاحرى لازمان ضروريان للرئيس . وعليه فينبغي للرئيس الا يأتي عملاً ولا يفوه بكلمة الا ويكون اللطف متقدماً كل اقواله واعماله واذا خرج صدفة عن هذه الحدود لفرط غيظه فايرجع اليها عاجلاً كالسمك الذي اذا ما قذفته الامواج الى الشاطي . فيسرع حالاً الى الماء وطنه فيحض الروساء اذا ان يُمَقِّقُوا فعلاً وعِد السيد المسيح بانه « يعطي مائة ضعف لاولئك الذين تركوا كل شيء وتبعوه ويحضرهم ايضاً ان يعتنوا بموانستهم وملاطفتهم الابوية حتى لا يفتكر احد بان ما تصفه كتب العلماء عن خيرات الحياة الرهبانية وفوائدها هو ضرب من المبالغة التقوية وخداع للاحداث الاتقياء وعليهم ايضاً ان يتصاغروا للصغراء ويحملوا ثقل الضعفاء وان يوشدوا الضالين ويقيموا الساقطين ويضمدوا كلوم المجروحين ويمسحوا دموع الباكين ويعرفوا ان يكونوا اخيراً لكل فمن لم يكن على جانب عظيم من اللطف والصدقة كيف يمكنه ان يقوم بهذه الاعباء المختلفة

. واذا اردنا ان نفهم جيداً وندرك حقيقة السياسة الرهبانية فلنمنع التأمل في كل من هذه الكلمات للانبا « بالتازر الفارس » وهي ان من كان رئيساً لا ينبغي ان يتصور انه متسلط وتحت امره عبيد يقلبهم كيف شاء بل انه مدبر ملوك او خادم لابناء الله لانه وان يكن له سلطان ان يحكم على بعض الناس غير ان هولاء هم احرار وقد اعتقوا نير العبودية طوعاً وحباً لله لا غير فلا آسأ ايها

الرئيس عن ان الانفس الخاضعة لسلطانك هي عرائس السيد المسيح وهياكل  
روحه القدوس واعلم ان رئاستك هذه لا تجعلك اشرف من مروثوسيك كما ان  
الملاح لاستلامه دقة السفينة لا يضحى اشرف من المسافرين معه لانه متى بلغ  
المينا قد يجد بينهم ملوكاً وامراء . نعم لا مراء انك الاول بين مروثوسيك في  
السلطان لكن مع ذلك يمكن الا تكون الاول في الفضل والفضيلة فخف اذا  
من انك اذا مشيت الاول بينهم في هذه الحياة لا يمكنك في الآخرة ان تسير  
الاً وراهم بعيداً عنهم جداً «

### الفصل الثالث

— في ان الحزم والثبات ليسا باقل ضرورة للسياسة الرهبانية بما هما —

#### لسياسة اخرى

لما تعين يشوع خلفاً لموسى الذي كان قريباً من الموت قال الله له : « تشدد  
وتشجع فانك انت تدخل شعبي الارض التي وعدته بها وانا اكون معك » (تثنية  
٣١) وبعد ان مات موسى وصار هو قائداً للشعب قال له الله ايضاً : « ان موسى  
عبدى قد مات والان قم واعبر هذا الاردن تشدد وتشجع » وقال له ايضاً :  
« تشدد وتشجع جداً لتحتفظ بجميع الشريعة التي امرك بها موسى عبدى » وايضاً :  
« هائئذا قد امرتك فتشدد وتشجع لا تهرب ولا تفشل لاني انا معك حيثما  
توجهت » (يشوع ١) فكانه يقول له اذا خفت فالشعب كله يهلع لانه اذا تحرك  
الرأس خوفاً فالجسم يرتعد فرقاً وينحل لشدة رعبه فتقو اذن وتشجع لانك انت  
اساس راحة الشعب . فهكذا على ما قال يوسويت يثبت الله كراسي قهارمته  
فانه يمكن سلطانهم ويأمرهم بحسن استعماله بالحزم والعزم والوسيلة لتتمكن  
سلطانهم هي ان تريحهم بحجة قاطعة ان ملء السلطان مستقر وراسخ فيهم وفيهم  
ايضاً يقوم امره وشأنه وان ثباته انما يكون في الذب والمحافظة على الشريعة التي  
ينبغي لهم حفظها لئلا يخالفها احد بدون موافقة ولا حرج  
والمروثوسون انفسهم يطلبون من رؤسائهم الثبات والحزم في كل اعمالهم

وذلك لراحتهم وأمتهم لانه اذا فشل الرئيس وتقاعد عن العمل بوقته فلا يبقى امل البتة ان يعمل المروثوسون شيئاً بدقة ونشاط واذا ما رأى الرأس ان الاعضاء قد ارتخت وترعزت فكيف لا تأخذه الرهبة واليأس فعليه اذا ان يتقدمهم بالحزم والشجاعة وهم يتبعون خطواته بكل طاعة وانقياد .

فان الله الرحيم يدعوهم الكتاب إلهاً عادلاً ومرهوباً ولما تنقض صواعقه يلقي الهيبة والرعب في قلوب الجميع فيرفعون اليه قلوبهم بالصلاة والتضرع . والسيد المسيح محب الخطاة انذر القريسيين بالويل واخذ الشياطين بيديه اللتين لم تعتادا الأبركة اللاعنين وشفاء المستقومين وطرد بها مدني الهيكل ومما هو حري بالاعتبار ان الله جلّت حكمته لم يقلد السيف الناري ملاكاً من السارافيم ارواح المحبة والرافة ليحرس الفردوس الارضي بل قلده احد الكاروبين ملائكة العلم والمعرفة لان لهم خاصة القدرة بان يؤلفوا بين العدل والرحمة . وقد قاوم بلعام ملاكه مواجهة وداود أباد ملاكه من شعبه سبعين ألفاً في الطاعون ورعاة الكنيسة لا يزالون اقتداء بالرسول بولس يتهددون القساة الغير الخاضعين ويضربونهم عند الضرورة بسيف الحرم البتار ومؤسسو الرهبانات قد اعتادوا ان يضيفوا الى القوانين الاساسية بعض الفرائض الجزائية لردع الرهبان عن بعض زلات خصوصية .

قالت القديسة تريزيا: يجب على الرئيس ان يحذر جداً من ان يولي مروثوسيه دالة زائدة وان يحذر ذلك خاصة اذا كانوا نساء . لان المروثوسين اذا لاحظوا ان الرئيس يستصعب اصلاحهم او نصحهم خوفاً من حزنهم واتزعاجهم ياخذون هم يقسون ويغلظون شيئاً فشيئاً حتى يصعب فيابعد انقيادهم واذعانهم لاوامره . والقديس فرنسيس سالس يشير علينا باستعمال شيء من التسوية في السياسة اذ يقول : ان المبرد الحشن يصقل الحديد ويكسبه لمعاناً افضل مما يكسبه اياه المبرد الرفيع ولذلك فانه قد يستعمل لصقل الجرخ نوع من الاشواك . والشفرة كلما طرّقها الحداد ازدادت حدة وحسناً . وهكذا السماء التي تنمي الزرع بالامطار والندى فانها تحفظه وتحرسه بالثلج والجليد . وايضاً الافسنتين فانه يسكن الم القلب



وللمراهم الملينة ان تفتح القروح وتبرد حرارة آلامها واما الملح فله ان يمنع  
النسار منها ويشدها ويضمدها وهكذا الفارس اذا كبا جواده فانه يسنده قليلاً  
باللجام واما اذا تقاعد عن العدو فينخره شديداً بالمتخاس ولو سال دمه

#### الفصل الرابع

في انه من الواجب ان يأتلف اللطف والحزم في السياسة الروحية وان  
يفعلا معاً كل ما يفعلانه

هذا ما اجتهد في اثباته القديس غريغوريوس في كتابه الرعوي (ك ٢ مز ٥)  
وفي ارشاداته الادبية (ك ٢٠ ف ٥) حيث قال : « ان القسوة والشفقة اذا  
انفصلت احدهما عن اختها تسميان قاصرتين ناقصتين فعلى الراعي ان يتجنب  
الافراط في احدهما وان يكون موعباً عدلاً وقساوةً عندما يعزّي ويشدد احد  
الساقطين ومفعماً شفقة ورأفة عندما يوبه او يعاقبه . الا ترى ان الجرح العميق  
او الكسر في احد الاعضاء يسوء حاله ان لم تضمه حالاً واذا شددت عليه  
اللفائف فوق ما ينبغي زدته الماً والتهاباً . هكذا من يضمد جراح الخطاة او  
كسور الشريعة فعليه ان يسعى بشواعر اللطف والغيرة واذا انزل بعض العقوبة  
في من ثام الشريعة فليبق محبباً له مشفقاً عليه . فامزج اللين بالشدّة واصلح منها  
شراباً لا يسوء المذنب لشدّة مرارته ولا يميل به الى الحرية والخلاعة لافراط  
عذوبته . كن شقيقاً ولكن من غير مساهلة زائدة في الماعدة كن صارماً لكن  
من غير افراط . كن ذا غيرة لكن اعتدل في عقوباتك كن شقيقاً لكن لا تسهل  
للزيلة الجرأة والقحة . وقصارى الكلام اقول لك ايها الرئيس الذي اخذ على  
عهدته سياسة مزوسيه ونجاحوم في الفضيلة اعتدل في استعمالك العدل والرأفة  
تكن محبوباً من الاخوة ومهيئاً . » وقد كتب القديس برناردوس في هذا المعنى الى  
هوغوس رئيس اساقفة بوان : « فقال اذا كانت محبتك ذات غيرة فلا بأس . اما  
قساوتك عند الاقتضاء فلتكن ذات انصاف واعتدال . فلا تكف عن العناية  
بمحافظة النظام والتأديب ولكن كف عنها احياناً او ارفع منها ما خشن وغلظ ابتغاء  
خير اعظم كن غيوراً على العدل لكن فلتكن نار غيورتك حارة مشتعلة لا آكلة

مهلكة . لانه ليس كل ما يرضي مجاز ولا كل ما هو جاز بنافع » (رسالة ٢٥)  
وعليه ينبغي للرئيس ان يبذل الجهد الجاهد بالأ يكون مفرطاً في الشدة  
ولا في الرأفة لان كمال السلطان متوقف على اجتماعها معاً . فهاتان السجيتان  
تتعاضان كاختين فما تبدى به الاولى تكمله الاخرى بل تصلح هذه ما عكست  
تلك وبامتزاجها هكذا معاً لا يتركان في الحزم قساوة ولا في الرأفة رخاوة اما  
اذا ترك الرئيس الاولى منها وتمسك بالآخرى فيسي صفر اليدين من الاثنتين  
لانه اذا غار مثلاً على المحافظة الكاملة على القوانين وبذل اقصى عنايته بهذا  
وحده فتسي بعد قليل هذه الغيرة فيه صرامة مفرطة لا هو عليه من ضعف  
الطبيعة والطبيعة من الفساد . وهكذا فانه لو بذل كل جهده في الرأفة وحدها رحمة  
بضعف الساقطين لانكف بعد قليل عن السهر على حفظ النظام والاداب . فرأفته  
هذه تسي رخاوة مضرّة . فمثل الرئيس في هذا المركز الخرج مثل اللاعب على  
الحبل فان مال يمينه او يسرة يهلك ولا خلاص له الا في استقامة الموازنة بين  
الطرفين .

### الفصل الخامس

اذا اقتضى الامر ان يميل الرئيس الى احدى الجهتين فايختر جهة  
الرأفة والرقّة

قال الاب روبرتوس ان افضل نعمة للروساء واعظمها هي ممارستهم الرحمة  
والشفقة . لانهم كما قال القديس كاجبتانوس ناثبون مناب الله الذي يسر بالرحمة  
ويحبها اكثر مما يجب سائر كمالاته . وقد قال يعقوب الرسول : ان الرحمة تفتخر  
على الدينونة (ف ٢) وقال القديس امبروسوس منسراً قول داود النبي « ان الله  
رحيم عادل ورحيم » (مز ١١) الا ترى ان الله يدعى رحيماً وعادلاً اما الرحمة  
فذكورة مرتين والعدل مرة واحدة وذكرها في وسط ذكر الرحمة المضاعف ذلك  
اشارة الى ان الرحمة في اعمال الله لا في طبعه تفوق العدل ضعفين وانما العدل موضوع  
في وسط الرحمة لانه محاط منها يمينه ويسرة ولا يقدر ان يصل الى العتوبة بدون  
ان يجوزها وتهدها بها حمية غضبه

والقديس بولونتورا بحث الروساء على تفضيل هذه السجية على غيرها ويبين لهم منافعتها بقوله ( ستة اجنحة ف ٤ ) : باللفظ يملك الروساء قلوب مروثوسيهم فينقادون لاوامرهم بكل رضا ولا يأنفون من ان يتصدوهم في ضيقاتهم الروحية والزمنية وان يقتدوا باكثر صفاتهم ثم يستشهد قول حزقيال في (ف ٣٤) : اذ يتشكى الله من روساء شعبه بقوله : « وانتم يارعاة غنمي فلانكم سستم الرعية بالقسوة والتشامخ فتشتت غنمي وتاهت » ويستشهد ايضاً قول ابن سيراخ : « يا بني لا تكن في بيتك كاسد يطغي ويبغي على عبيد وخدامه » ( ف ٤ ) وقد ختم القديس العلامة كلامه بقوله : « ان السلاطة من ذات طبعها كافية لان تلقي في قلوب المروثوسين الخوف والمهابة فاذا اضفت اليها القساوة المفرطة جعلتها ذعراً للشعب ووقراً لا يطاق » . والاب بينه اليسوعي قدّم في ما نحن في صددده برهاناً في كتابه المعنون « اي سياسة هي الحسنى اذات اللين والسهولة ام ذات القسوة والصرامة » اذ قال تحت لواء السياسة الصارمة الصالحون يشكون والاشرار يتخاشنون ويتصلبون وتكون زمرة من الاعداء السريين ويفشل العصاة ويأسون من الرجوع الى التوبة فاي رئيس رغب في ان يكون مخوفاً يمسى بمقوتاً ويحمل جميع مروثوسيه على عزله وخلع نير عبوديته ويضحى ايضاً لديهم محترماً لان حب التسلط والتأمر يشير الى ضعف الجيلة وصغر العقل . فالصارمون من ذوي السلطان مكروهون والراغبون في القساوة انفسهم يحبون لذواتهم روساء متساهلين شققاء . واما تحت لواء السياسة الرقيقة السهلة فالصالحون تاخذهم الغيرة على شجب الطالحين علانية وهولاء يضطرون لمعرفة ذنوبهم بل ينهض العدل الالهي للمحاربة عن رقة الروساء ورافتهم التي استخدمها الاشرار لزيادة شرهم والعصاة لاهمهم بشقة مثل هولاء الروساء وحنوهم يملون اليهم راجعين عن غيهم .  
اخيراً ان دماثة الاخلاق ولينها يجعلان الرئيس محبوباً من الجميع . ومن البين ان مقدرة المحبة في عمل الخير عظيمة . فتنتيجة هذا المؤلف ظاهرة وهي هي قضيتنا عينها تاتينا ببراهينه لاثباتها .

## الفصل السادس

في ان موسى كلم الله هو نموذج اللطف والحزم

قد صور لنا هذا النموذج احسن تصوير القديس غريغوريوس في كتابه حسن الاداب (ك ٢٠ ف ٥) قال : « ان في خطاب ايوب هذا » لما كنت جالساً كملك و جنودي تحيط بي وكنت اعزي المكرولين « تنبيهاً للروساء وتعليماً لهم كيف يوثقون في سياستهم بين الحزم والرقوة والشدة والشفقة . فقد عبر عن الحزم والصرامة بقوله « كنت جالساً كملك و جنودي تحيط بي » وعن الرقة والشفقة في قوله « كنت اعزي المكرولين » واننا نرى مثالاً عجبياً لهذا التعليم في قلب موسى العظيم . الذي كان يجب شعبه برقة وحنان صادق و يقسو في تأديبهم عند مسيس الحاجة لانه لما اقرف شعب اسرائيل امام الله ذنباً ظهر كأنه اكبر من ان يغفر قال الرب لموسى وهو على الجبل « هلم انزل فان شعبك قد فسد » (خروج ٣٢) فكأنه يقول له ان شعباً كهذا اثماً لا اعرف انه شعبي ثم اردف قوله بقوله « دعني يضطرم غضبي عليهم فافنيهم واجعلك انت أمة عظيمة » اما موسى فقاوم ربه دفعات قال : « ان غفرت خطيتهم اجبت تضرعي والآن فامح اسمي من كتابك الذي كتبته فباي رقة احب موسى شعبه حتى انه رضي ان يحيي اسمه من سفر الحياة جاً لخلاصهم

وبعد هذا باي قسوة وصرامة قد ادب موسى شعبه فانه ما عثم بعد طلب العفو من الله عن شعبه ان صرخ باللاويين قائلاً : ليتقلد كل واحد سيفه واذهبوا وارجعوا من باب الى باب في المدينة وليقتل كل واحد اخاه وصاحبه وقريبه . فصنع بتولاوي كما أمر موسى فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة الاف رجل وهكذا هذا الرجل العجيب بعد ان اقتدى حياة اخوته بحياته اصدر هذا الامر المهول فاباد منهم عدداً غفيراً وبينما كان قلبه مضطرباً بنار جهم اشهر في الخارج غضبه فادبهم اي تأديب لانه بعد ان لظهر فرط حبه لهم بتقديعه حياته فدى عنهم اباد جمّاً غفيراً من عداد اولئك الذين كانوا بشفاعته نالوا العفو والمسامحة



فاليكم ايها الروساء هذا المثال العيب فانكم ترونه ترة شفيحاً حليماً  
ومحامياً غيوراً وطوراً قاضياً عدلاً لا تاخذه رافة بالمذنبين ولا شفقة عليهم فانه  
امام الله قائم يشفع بشعبه بصلاة حارة وامام الشعب يذب عن اوامر الله بغيرة  
احد من نار آكلة فمن جهة كان قلبه مضطرباً بنار الحجة يتاوم الله بابتهالات  
قوية ومن الاخرى كان محتدماً غيظاً وغيرة يكفر بدمائهم عن ذنوبهم ويبتاع  
بموت البعض خلاص البعض الآخر

وانما سمع الرب دعاء موسى عبده وعفا عن شعبه لانه رأى بسابق علمه ما  
كان مزماً ان يتزله هذا الغيور من التأديبات المرة غيرة على مجده تعالى وعدله  
وعليه فقد احسن موسى سياسته وجمع فيها بين العدل والرحمة

### الفصل السابع

في واسطتين ضروريتين للتأليف بين الحزم والرقه

قد اعطانا هاتين الواسطتين مودست دي سينت امابل في مؤلفه المذكور  
مراراً (ك ١ ف ٦)

الاولى هي ان نسير ضد ميلنا الطبيعي لانه لا بد من ان يسري هذا الميل  
في كل من اعمالنا وان لم ندر فنلتوي معه اخيراً الى احدى الجهتين وعليه فاذا  
شئنا حفظ الموازنة والاستقامة في مساعيها كلها فيجب ضرورة ان نوجه ارادتنا  
الى عكس ما يميل اليه طبعنا فان مال هذا الى القسوة والصرامة فلنوجه الارادة  
الى اللين والشفقة وان مال الى هذه فلتنهض بها الى الحزم والبشاشة . . .  
ومن المقرر ان احسن شيء يتصده الرئيس في سياسته هو ان يجمع بين هاتين  
التخصلتين الحزم والرفق لكن لما كان سهلاً وخطراً جداً ان تميل به اهوآوه  
الطبيعية الى احد الجانبين بنوع مفرط ترتب عليه ان يقاوم الطبيعة بسلاح العقل  
والفطنة .

ولا سبيل للخوف من ان اميال الطبيعة تغلب او تضعف فوق ما ينبغي لانها  
هي الظافرة ابداً

والثانية هي ان يضع الرئيس امام عينيه الخير العام من دون نظار الى الصرامة

او اللطافة بذاتها . لانه اكانت غاية السلطان خير الرعية لا غير وجب على الرئيس الا ينظر الى الصرامة او اللطافة لاجل ذاتها بل باخصوص لاجل موافقتها خير مروثوسيه

فيا للأسف من سياسة بعض الرؤساء الذين يوجهون كل مقاصدهم ورغباتهم لا الى ما فيه خير الرهينة العام بل الى ما فيه اذاعة اسمهم وشرفهم حتى يقال فيهم انهم سهال الطباع ومحبو الجاهير او انهم من المدققين المحافظين على الرسوم الرهبانية بل من مصلحي الرهينة فالاولون خوفاً من خسارة اسمهم يتساهلون في كل ما يسمعون ويرون من مخالفة الرسوم والآخرين ايضاً طلاب اسم المصلحين يخططون بافراطهم في الصرامة لانهم لا يحسنون احتال شيء البتة فيالقون في اهانة الاخوة وتعنيفهم . وعلى هذا قال باسكال في كتابه الدعوى (رواشق الافكار) اني لا اغبط رجلاً حوى احدى الفضائل ولو بتامها ان لم يحو مثلها وبالكمال نفسه الفضيلة المقابلة لها وبدون ذلك لا يصعد الى الكمال بل يسقط منه لان الكمال لا يقوم بنوع ما على رجل واحدة . فالرؤساء الذين يرون انهم ماثلون طبعاً الى القسوة والصرامة تدعوهم الحال ان يميلوا الى اللين والسهولة والمائلون الى هذه فليتحولوا الى تلك وبذلك يكون للسلطان الصارم اللطف والرقه والسلطان المتساهل الحزم والدقة . والنضيلة على هذا النحو تحافظ على القوانين بفطنة ونباهة وتولي ضعف الطبيعة ما يستوجبه وتحمل المروثوسين على الكمال بدون ازعاج مفرط واذا رفقت بضعفهم فلا تساعد توثيتهم وكسلهم

بقي علينا ان نبين ما هي علامات القساوة في السياسة وما هي علامات المساهلة لان في مثل هذه الامور مدخلاً رجباً للخداع والقرور فذوو القسوة يظنون انهم متساهلون وأولو المساهلة يرون انهم من التاسين المتشددين ومن كان ميالاً طبعاً نحو الشدة رأها خلة حميدة وهبة سامية واذا رأى اوامره متممة والقوانين محفوظة فلا يرى وراء ذلك وجوباً للين وعكس ذلك من كان ميالاً الرفق والمساهلة فلا يكره في سياسته الا ان يزعم افكار احد الاخوة او ان يكدر صفاء خاطره واذا شاهد الاخوة في راحة وسرور تيقن انه بلغ واياهم قمة الكمال الرهباني وان الله جلّت عدالته لا يطالبه باكثر من هذا .

فلنضع اذاً الحدود التي اذا تجاوزها الحزم يضحى قساوة مفرطة واذا تجاوزتها الرقة أمست افراطاً فاحشاً في المساهلة والتراخي .

## القسم الثاني

في علامات السياسة القاسية

### العلامة الاولى

= الامر باشياء صعبة للغاية =

وذلك يكون عادةً في خمسة أمور وهي :

- ١ ما لا يطاق من طبعه
  - ٢ ما يحتمل بالطبع إلا أنه يفوق قوى الأمور الادبية او الطبيعية
  - ٣ اذا كان الامر يشين قلماً يتفقان معاً
  - ٤ اذا ما كان الامر بمهنتين يستلزم قيام الواحدة اهمال الثانية
  - ٥ ما اذا لم يعط الرئيس الوقت الكافي ولا الوسائط الواجبة للنجاح ألا ترى في هذه ايماء الى بخل بعض الرؤساء الذين لا يقدمون على مثل هذه الاوامر المخالفة لنظام الفطنة إلا حباً ببعض الارباح الزمنية التي يفضاؤونها على راحة الراهب وصحته وربما على دعوته ايضاً .
- فالرئيس حالما يلاحظ ان راهبه مشغلٌ بخدمةٍ ما زمنية تسلب راحة ضميره او لا تسمح له بالقيام بواجباته الروحية . فتقبل ان يوضح له راهبه ذلك شفاهاً يجب عليه هو ان يرفع عنه مثل هذه الاثقال ولو كان فيها بعض الفائدة للقريب وان يعطيه فرصة الاختلاء او اقله لتسليم فروضه بتدقيق في الوقت والمكان الميسرين لذلك .

والراهب انما اعتنق نير الرهبة لاجل خير نفسه أولاً ثم لاجل خير القريب لانه لو اراد ان يكون واعظاً فقط او مدير مدرسة او خادم مرضى لامكنه ذلك وهو في العالم لكنه في انضمامه الى الجمعية الرهبانية رغب أولاً في قداسة

نفسه على اسهل طريقة وامكنها ثم انه يرغب في تضحية ذاته باعمال المحبة والغيرة . وذلك تحت ادارة امينة توليه اجر فضيلة الطاعة المقدسة . فلا يسوغ لذلّاحد ان يجرمه احد هــذين الحقين اللذين طلبها طلباً احتفالياً ويعدّ بها كذلك .

وهذه السيرة الصارمة تكون غالباً مضرّة بالرهبان العاتين والمتوانين ومزعجة للاخوة الخاضعين للشياطين لان الاولين حين يراهم الرئيس الجبان نافرين من العمل يتجاوزهم ويثقل غيرهم بأشدّ الاوامر وامرّها لانهم خاضعون وممثلون كل اوامره وانما ذلك تلمصاً من مشقة اخضاع العاصين غلاظ الرقاب .  
واما بعض الرهبان المتوانين فيصورون بذلك لانفسهم شيئاً من الانعام فيعفوا انفسهم من اكثر الاعمال الشاقّة الموجهة عليهم ويلتقونها على مناكب الاخوة لعله او لغيره .

قد ونجت يوماً ما القديسة تريزيا إحدى راهباتها فقالت : « انك يا اختي ما اتيت هذا الدير لخرابه واعلمي ان الراهبة التّمية والغيورة على شرف رهبنتها وقداسة سيرتها لا ترتضي ابداً ان تحمل اخواتها اعباء مهمة تقلدتها بل انها تفتش مجتهدّة عن اعمال أخرى لتعملها فوق اعمالها الخاصة .

### العلامة الثانية

الافراط بالثقل على الرهبان في رسوم وفرائض مختلفة

قد جاء في تأليفات افلاطون ان اغاثون ألقى على الملوك ثلاثة تعليمات قال :  
« تذكروا ايّها الملوك ١ انكم تحكمون على بشر ٢ و ٣ انكم تحكمون بموجب الشريعة ٤ و ٥ انكم لا تزالون ابداً على ممر الدقائق تبرزون الاحكام والاورام الملوّحكية .

فعلى الرؤساء ان ينعموا النظر في هذه التعليمات الثلاثة ١ انهم يحكمون على بشر فيهم الروح مستعدّ واما الجسد فضعيف ٢ انهم يحكمون بموجب القانون والفرائض ٣ انهم لا يحكمون الا بالفرصة المناسبة وعند مسيس الحاجة من وقت الى آخر .



وقال تاسيت : « ان لا نازلة على الملكة مثل كثرة الشرائع التي تثقل منكبيها وتلقيها في الوسوس والعراقل ( جورثاله السنوي ١ : ٣ ) ولعمري ان هذا الا دالة دامغة على قلة حذاقة الرئيس وادراكه مهام وظيفته أو على عدم ثبوته على ما يقصده او على امياله الصبيانية التي تسن شرائع كلما عن لها واخيراً ان هي الا بينة ناطقة على سوء سياسته على الاطلاق

فالرئيس حالاً يثقل على رهبانه او يضيق عليهم فوق ما تقتضيه رسرهم التي من ذات طبعها ليست برجة ولا واسعة وعندما يطلب منهم ما لا يجب عليهم الا من قبل المشورة كأنه من الفروض المأمور بها امرأ جازماً كأن له بمجرد ارادته ان يثقل ما هو من طبعه خفيف لان بذلك يُظن فيه بانه ميال إلى التباهي والظلم وبان الايام لم تحنكه بعد وبانه لا عزم له ولا حزم . وانه ضعيف عاجز عن القيام بمهمته

١ ( انه ميال إلى التباهي ) لانه يتظاهر للناس بانه حافظ ما يؤثر به وانه غير راض بالقوانين والرسوم العادية . فكأنها غير كافية لترقية رهبانه في معارج الكمال الروحي

٢ ( انه ظالم ) قال القديس برنودوس : « انه لظلم وجور ان يطلب من المدين اكثر مما اترم به نفسه » والحال ان الرهبان لم يوجبوا على انفسهم الا حفظ القوانين المرعية في رهبانيتهم ولم يخطر لهم ببال ان رؤساءهم يسنون لهم فرائض ورسوماً جديدة وهكذا لم يلزموا انفسهم بلوغ كل نوع من الكمال ولا بلوغ الكمال على اطلاقه بل بلوغ الكمال المفروض بقوانينهم ورسومهم

فيمكن الراهب والحالة هذه ان يقول لرئيسه : لك يا أباي ان تحضني على طريقة الكمال الفضلى ولكن ليس لك ان توجب علي طريقة من طرق الكمال لم تقرضها قوانيننا ورسومنا . لان دستور الزاماتنا انما هو نذورنا ورسوم رهبانيتنا وليس مجرد ارادتك وما تراه اكثر كمالاً » ( كتاب الفرائض والانعامات ف ٤ و ٥ )

٣ ( ان الايام لم تحنكه بعد ) قال الاب بوفيس : « ان من يتطلب كثيراً لا ينال شيئاً وكما ان الامر والنهي حدوداً لا يتجاوزانها فكذلك للطاعة

حدود لا تلتزم أكثر منها . ولا شك ان كلاً من الأمر والمطيع يعرف حدود واجباته فاذا تطاول الاول على ما له كان للثاني ان يقصر في ما عليه حفظاً للمساواة ولذلك نقول انه لو قصد الرئيس ان يتملك رقاباً ليس له عليها الا حق الرعاية كان متجاوزاً حدود سلطانه وعرض تقدمه وتقدم مروثوسيه في النظام والفضيلة يرجع القهقري لان مروثوسيه اما انهم يابون الانقياد لطاعته او انهم يقيمون عليه الحجة بسوء رعايته لهم . ( رسالة ١٣ )

واذا عزم بعض المروثوسين على حفظ الفرائض الزيدة لغير داع فيكون اما انهم يتجاوزون فرائض غير جوهرية واما انهم لا يحفظون تلك الزيدة الا قسراً وتظاهراً للناس لان النذر الثقيل لا يحمله احد بطيبة خاطر بل يرغب الجميع في خلع .

٤ ( انه لا عزم له ولا حزم ) قالت الام مريم دي جوزف الكرملية : « ان كثيرين من الرؤساء يظهرون التمسك والصرامة في أمور لا طائل تحتها ويضعجون بها افكار مروثوسيهم بيد اننا لا نجد فيهم عند الاقتضاء لا عزمًا ولا حزمًا للمحافظة على القوانين الجوهرية لانهم يأمررون ويتأمررون في أمور طفيفة كان الاجدر ان يسألوها بلطف ورقة وهم مع ذلك يلتسمون باللين والرجاء ما يجب ان يأمرروا به ببأس وسلطان . وما مثل هولاء الا مثل بعض المتخزاتين الذين يدعون البأس والشجاعة وقت الامن والسلام واما اذا لمعت سيوف الوغى فتهلع قلوبهم ويستقنون جزعين فشلين

فر اذا ببأس وسلطان بما كان جوهرياً مأموراً به من القوانين امراً جازماً واما ما كان مفيداً نافعاً لا غير فاكتف بان تبدي فيه رأيك وارادتك على طريقة النصيح والمشورة

٥ ( انه ضعيف عاجز ) قال الاب برتولي في كتابه حياة القديس اغناطيوس : لا غرو ان من الرؤساء من يظهرون الضعف والعجز حينما يتظاهرون بالقوة والبسالة وذلك عندما يصدرن اوامر عمومية تحظر على الجميع اموراً لم يحل بحفظها الا النذر القليل لان اصدار مثل هذه الاوامر لا يكلفهم الا الامر بكتابتها ونشرها بيد ان استئصال الشوائب من بعض المروثوسين كما تقتضيه

الحكمة والفطنة دونه خُط القِتَاد من المشاق والعذاب فيحاولون التخلص منه  
بإصدار تلك الاوامر العمومية . ومن ثم يكون تكثير الشرائع وتعميمها دواء  
شراً من الدواء . ومن شأنه ان يجعل الشرائع العامة محتملة ويجعل الاصلاح فيها  
صعباً او مستحيلاً ايضاً

### العلامة الثالثة

استعمال بعض عبارات 'حكيمية وحتمية' مثل قولهم « انا اريد  
انا آمر . انا احتم . . »

ان الرئيس الطاعن في السن الذي تكون حنكته الايام لا يكاد يستعمل  
من هذه العبارات بمدة عشر سنوات مقدار ما يستعمله الرئيس الحدث السن بشهر  
واحد . ولذلك يتعم على الرئيس الفطن قبل ان يبرز امراً بقوة الطاعة المقدسة  
ان يبتهل الى الله طويلاً ويبعث بحثاً مدققاً عما تفرضه القوانين والعادات بشأن  
ذلك . وعليه ايضاً ان ينظر الى طباع المأمور والى درجة فضيلته والى استعداداته  
الحاضرة . ولا يكون الشي المأمور به بهذه الصورة الاً من الامور الهامة  
الجديرة بالاعتبار

ومن الواجبات العمومية على الرئيس ان يسدل على جسم الساطان القشب  
ثوب اللطف والبشاشة وان لا يتظاهر الاً في الزمان والمكان المعدين له ولا  
يكون ذلك الاً في النادر وعند مسيس الحاجة وان يقتصر في استخدام السلطة  
على ما كان واجباً وكافياً لكمال رهبانه بحفظهم القوانين

ولنسمع ما يقوله بهذا المعنى الاب بينه : ان الملائكة توحى اليها بالافكار  
المقدسة بلطف ومحبة من دون عنف ولا قسر ومع كونهم مفعلين غيراً على ان  
يعصرفوا عن الشر ويميلوا بنا الى الخير فهم منع ذلك لا يعاملوننا الاً بالوحي  
الباطن وتنوير العقل باسراق نور الحقيقة والطلب والابتهال . واذا دنت منا هذه  
الارواح المقدسة دعت لنا بالسلام وابتعدت عنا الخوف والاضطراب . قال الملاك  
رافائيل لطوبيا الشاب « يا اخي طوبيا أريد ان تتقدم قليلاً في المسير لكي تصل

الى ابيك باكرًا» فلم يقل له اسرع عاجلاً او انا اريد ذلك او امرك به لان مثل هذه العبارات ليست من لهجة اهل السما

وقد جاء في التقليد عن القديس بطرس صاحب القاتيح انه كان يتضرع ويبتهل ويذرف الدموع السخينة في ما يريد من المسيحيين اكثر مما كان يبرز الاوامر القاطعة الجازمة . وقد حذا القديس غريغوريوس الحبر الاعظم حذو معلمه ولم يكن يستعمل في اوامره الا الفاظ التمني والابتهال مثل قوله : « اذا راق الطفكم ان . . . اسمعوا لي بان اقول لكم . . . ان فضيلتكم ومحبتكم لا تسمحان بمثل ذلك . . . اظن بان سيدنا له المجد يطلب منا ومنكم . . . »

والقديس مكاروريوس المدعو اله الرهبان لمزيد استيلائه على قلوبهم وافكارهم كانت هذه عبارات اوامره : « يا اخوتي اصنعوا ما ترونني انا صانعه . لا امركم بشي لا اصنعه انا اولاً . . . يا اخي ان كنت لا تقدر ان تصنع هذا فخله وامض الى قلايتك وانا اعمله عنك وانا عارف انك لو استطعت عمل ذلك لعملته بكل رضى فانا ملتزم هذا مثلك فاعمله عنك . واذا رأيت ان تعمل منه قسماً فاعمل ودع الباقي فانا اعمله عني وعنك . اخي قد اثمت بهذا ولا اقدر ان اوبخك لاني اثمٌ انا ايضاً فلذلك اقول لك تشجع وتب ورحمة الله تصفح عني وعنك وبمثل هذه العبارات وبارق منها كان القديس فرنسيس بورجيا يخاطب رهبانه . . . »

وقد عثرنا على خطاب لاحد اباء البرية القدماء قال فيه : « اذا خاطب الاخ اخاه بالفاظ رقيقة وعذبة كان خطابه من روح الله واخوه يسمع له واما ان اظهر ساطانه بكلام جاف فالله الذي يرى اعماق القلوب يسمح بان اخاه او مروتوسه لا يسمع له ولا ينقاد لاوامره العاتية الصادرة عن روح « خبيث . »

### العلامة الرابعة

كلام الرئيس لمروتوسيه بغلظة وعتو

ان اهم قوة في السياسة الرهبانية هي تلك الجاذبية الودية الصادرة عن



النعمة والعارية من كل تصنع ورياء التي تميل اليها القلوب وتنتقاد لها طائفة فرحة  
يقال ان الاسد ينتقاد بنحيط واما اذا شعر بانه مربوط بسلسلة حديدية  
فيقطعها في الحال ويندفع الى قائده فيفتسه هكذا الراهب الذي قدم ذاته لله  
ضحيةً ومحرقةً بكل طوع واختيار لا يجب ان يعامل بعسف وكره . اما لو  
حكم على الرئيس بان يعامل احداً هذه المعاملة فلا يكن ذلك الا نادراً جداً  
ومع بعض الرهبان العاتين المتمردين ليس الا ورب قائل يقول ان الالباء  
الاقدمين قد تساهلوا مرات بالجهلاء والقسوة تأديباً للمذنبين . فاقول ان مثل  
هؤلاء الالباء قد اضطروا احياناً لان يستعملوا القساوة مع بعض الاخوة المتوانين  
محافظةً على الرسوم والتأديبات ولتمكينها في اول نشأتها اما الان فلم يبق من  
ضرورة ذلك الا في النادر

قال ابن سيراخ (ف ٧) . « لا تُعنت عبداً يحد في عمله ولا اجيراً يبذل  
نفسه » وقال ايضاً « لا تستهزي باحد في مرارة نفسه فانه يوجد من يخفض  
ويرفع » وكان من مبادئ القديس فرنسيس سالس قوله لا تفعل شيئاً بعنف  
واعتساف بل اعمل كل شيء بحب ورفق . وكان من عاداته ايضاً ان يقول : « لا  
طاقة لي على احوال اولئك المستبدين الذين يطلبون الطاعة والخضوع من الجميع  
ايوا او ارادوا فيرغبون بذلك قهر كل ارادة بشرية وان يلووها بعصا السلطان  
فكانهم لا يرون ما بذلك من الاعتساف والجور المكروه من الله والبشر . فهم  
لا يريدون ان يكونوا محبوبين بقدر ما يطلبون ان يهابهم ويخافهم الجميع . ومع  
ذلك فخوفهم من الناس اشد من خوف الناس منهم . لانهم يخافون الجميع ولا  
يخافهم الا التذر القليل

والخطيرة المعدة لمحبة الله لا ينبغي ان يوجد فيها شيء من الغضب  
والاعتساف بل يحق للخراف التي تأوى اليها ان تكون براحةً وطمأنينة  
ولذلك نعتقد ان الرب يخاطب الرئيس العاتي بمثل هذه العبارات : يا هذا  
الملك استأسرت مرووسيك او ربحتهم بغلبة الوغى . او املك ابتعتهم بدرهمك ؟  
فهم ابناؤ احرار قد اتت بهم محبتي الى هذا الدير ليعدموني بحرية الضائر . فما  
بالك لا تنظر اليهم الا شذراً ولا تكلمهم الا بتأمر وغضب الملك تريد ابرامهم

ليرجعوا عن عزمهم ويندموا على تكريسهم ذواتهم لخدمتي . ولماذا لا تعاملهم  
بتلك البشاشة والدمائة التي فطرت عليها وبها تعامل الغرباء وذوي الحسب  
والنسب وبم عساك تجود على مروثوسيك ان كنت تبخل عليهم بالكلام  
اللين الرقيق ؟

### العلامة الخامسة

سد الرئيس اذنيه عن استماع التشكيات والاعتذارات

قال العلامة الشهير بوسويت : ان من الثبات والحزم ما قد يكون باطلاً  
ومضراً ولنا مثال ذلك في فرعون عندما عاند صوت الله متصلباً في رأيه فانه لم  
يظهر بذلك حزمًا ولا عزمًا بل عصياناً وقروداً على الحق الواضح وهذا ما جرَّ  
الوبال عليه وعلى مملكته . ومما لا يختلف فيه اثنان ان استبداد الملك وجوره  
هو نازلة طامية على المملكة باسرها كيف لا والمملك يضحي كعدو لا يعطف  
قلبه رجاء ولا تاخذه شفقة ولا يقعه عن اتمام غرضه واشباع شهواته شي من  
الموانع ولا يريد الا اخضاع الرقاب طوعاً او قسراً . فالذي قال « لا تتقلب مع  
كل ريح ولا تسر في كل طريق » (سيراخ ٥) قال قبل هذا « لا تستحي ان  
تعترف بخطاياك ولا تغالب مجرى النهر » وعلى هذا فكما ان الخفة والطيش  
يضران بالسياسة فكذلك صلابة الراي المفرطة تضر بها ايضاً

ان رجوعاً لما سمع مشورة الشبان الجبهة واطهر لشعبه القسوة وصلابة الراي  
خسر من رعيته عشرة اسباط فقد كان طلب اليه الشعب ان يخفف عنهم اخراج  
المفرط الذي ثقل به ابوه رقابهم فالشيوخ الذين كانوا عارفين بحالة الشعب  
وطباعهم اشاروا عليه بان يخفف عنهم بعض ما كان يؤعبهم وان يلاطفهم بعذب  
الكلام ورقيقه اما الشبان الذين استشارهم بعد الشيوخ فاستهانوا مشورة الشيوخ  
وعدوها جبانة واوعزوا اليه ان ارفض طلب الشعب وتهددهم باقسي الكلام  
واشد الوعيد قصد القاء الخوف والرعب في قلوب المتطلبين ولئلا يمتقر سلطانك  
ويداس من الشعب . فكان عليه اذاً ان يدقق في الامر ويتفهم استعدادات

الشعب وقتئذٍ وان يسلم بما لا مناص منه . فالاشجار ان لم تلتزم امام الرياح العاصفة تكسر كسرًا : ( السياسة المقدسة ك )

وعليه فاذا اتاك مروؤوسك متعللاً معتذراً فلا تتخذ اعتذاراته كتعنيف لك او عدم خضوع بل استمع له بلذة وتسامح معه ما استطعت . لانك اذا انفت منه ولم تصغ لتشكياته وحكمت عليه بدون تورٍ وتدبرٍ واييت بعد ذلك الرجوع عن حكمك وازددت صلابةً وجفاءً بمقابلته ومحاطبته فانك بذلك تجلب لنفسك مزيد التعب وتفتح سيلاً لتشويشاتٍ شتى عمومية فأمت اذا نفسك بمثل هذه الظروف وقل يا ما اقل صبرنا ويا ما ابعدنا عن سلفائنا في امر الفضيلة

واما اذا لم ينثن الرئيس عن المكابرة والمعاسفة فالطبيعة تأنف الخضوع وتتذرع بكل الوسائل لكي تنجو من ربة الطاعة وتتوصل الى العصيان والخلاعة

قالت الام مريم دي يوسف : « انها لقساوة بربرية ان لا يلاقي المروؤوس عند رفعه تشكياته الى رئيسه الا الصياح والنفور لقد اذنب آدم وعرف الله ذنبه ومع ذلك استمع تعالى له فلماذا لا تقتدي ايها الرئيس بلطف ربك ذي الجلال . ثم الا ترى انك برفقك بمروؤوسك واستماعك له بطول اناة تضمد جراحه وتعزي قلبه وتصلح مزاج طباعه فتجعله ان يسمع ويتروى ما تقوله له او تأمره به فيرضخ للحق والطاعة واما ان لم تسمع له فيبقى مدمراً على غيه ومعتقداً ان الحق والصواب بجانبه »

ومن مبادي الظلمة العاتين ان ذا السلطان لا يرجع باوامره ولا يقف سلطانه عند مانعٍ من الموانع فكان الخضوع للصواب او للضرورة امرٌ عائب او حثير نعم انه لا يجدر بالرئيس ان يكشف عادةً لمروؤوسيه كل ما عنده من المقاصد والغايات لانه بذلك يضيع عليهم استحقاق الطاعة العمياء . ومع ذلك قد توجد في بعض الظروف اعمالٌ لها ظاهر الشر ومن شأنها ان تلتقي في عقول البعض سجباً وشكاً فالهبة حينئذٍ والتواضع يوجبان على الرئيس ان يبين ما له فيها من المقاصد الصالحة كما صنع القديس بطرس لا ندديه المؤمنين في زيارته كرنياوس قايد الماية وتعميده له وهو وثني

## العلامة السادسة

هي ان الرئيس يرفض كل ما يطلب منه او انه لا يهب شيئاً  
الأ بكره واشمزاز

هذا الامر لا يضر بالمحبة الرهبانية فقط بل بروح التمدن ايضاً  
انه لما كان الانسان من فطرته ميالاً الى عزّة النفس ومحبة المجد وكان يشق  
عليه ان يسأل حاجته ترتب على الرئيس ان يسبق فيعرف احتياجات رهبانه  
ورغباتهم قبل ان يطلبوها ويعطيهم كل ما امكن بحب وهشاشة . واما ما  
يضطر لرفضه فيرفضه بلين ورقة .

ولا خلاف في انه قد توجب الحال احياناً ان يظهر الرئيس لمروسيه شيئاً  
من النعيط والتسلط ليحمّله بذلك على فضيلة الكفر بالذات والاماتة  
انه لامر سهل على الرئيس ان يناصر ويظهر بطشه على مروسيه باصداره  
لهم اوامر جازمة وتحريمات قاطعة مطلقة الا ان ذلك لا يدل الا على خفة عقله  
وقلة فضيلته

فكثيراً ما يحاول بعض الرؤساء ان يتفخروا تحت طي الغيرة والحمية فمظاهرة  
طبائعهم التي لم يحسنوا تهذيبها وخساسة صفاتهم التي لم تكن لتوليهم اعتبار  
مروسيهم واجلالهم غير ان مساعيهم هذه تذهب عبثاً لانه كما ان الرئيس  
الفاضل الذي يغار على التهذيب الرهباني لا يُعدّ فظاً عنفاً فكذلك الرئيس العاقي  
ذو الطباع القاسية لا يُعتبر من ذوي الغيرة والحزم .

اما من كان متصفاً بالحكمة ودماثة الاخلاق فانه قبل ان يرفض طلب احد  
مروسيه يتأمل طويلاً ولا يسمع لاهواء الطبيعة الامارة بل انه يلاطف الطالب  
ويبين له بكل رقة ما يمنع اجابة طلبه حتى انه في غالب الاحيان يحمّله على ترك  
طلبه من تلقاء ذاته . وهكذا بعد اطالة الفكر والعزم على رفض ما يطلب منه  
يظهر انه شديد الميل الى الاجابة وان رفضه لم يكن الا رغم ارادته ورغبته .  
اما اذا رأى بإمكانه اجابة الطلب فيظهر ايضاً انه مسرور بالاجابة بل انه يرغب



في ان يعطى اكثر مما يطلب منه بنوع ان الطالب يرى كأنه نال ضعف مطلوبه ولنسمع ما جاء به بهذا المعنى غراسيانوس في كتابه (رجل البلاط مبدا ٧٠) اذ قال : غير ممكن للوالي ان يمنح كل ما يُطلب منه ومن ثم فمعرفة رد الطلب ليست بأقل اهمية من معرفة اجابته والحاكم يفتقر الى هذه المعرفة كل الافتقار . فيجب ان يعرف كيف وبأي نوع يعطي او لا يعطي فمن الناس من اذا لم يُعطى يرضى الطالب برقة لسانه اكثر من الذي يعطي . فكم من اجابة للطالب تكون من زيادة التعنيف والتمين اشد مرارة من رد الطلب برقة ولطف . وكم من الرؤساء الذين لا يعرفون ان يصدر روا اجوبتهم الا بلفظة ( لا ) فمثل هؤلاء وان اتفق لهم في آخر الامر ان يجيبوا سوأل الطالب الا انه لا يظهر لهم بذلك جميل . فاذا رددت الطالب خائباً فلا تسقه كأس الحنية جوعة واحدة بل جوعات فتسهل الواحدة طريق الاخرى واياك وان تحيب كل طلب لشلايأس جميع مروثوسيك بل أرهم انك مستعد للاجابة ما أستطعت فتحلى لديهم مرارة كأس الحنية عندما لا يكون مناص منها .

فلا تكن اذاً من عداد المستعدين دائماً لرفض كل طلب ولا من الذين يُسرئون بتعنيف الطالب قبل اجابة طلبه . قال ابن سيراخ ( ١٨ : ١٥ ) يابني لا تقرر الصنعة باللام ولا العطية بكلام التنقيص . أليس الندى يبرد الحر هكذا الكلام افضل من العطية . تعير الاحق مكروه وعطية الحاسد تكل العيون

### العلامة السابعة

ان يتبع الرئيس مروثوسيه في كل خطوة ولحظة ليرقب بذاته كل اعمالهم وافكارهم

من الرؤساء من يسعون بأقصى جهدهم وراء كل حركة من حركات مروثوسيهم ويكثرئون التساال عنهم في الداخل والخارج ويدعون معرفة الباطن من بعض ملاحظات خارجية ويُسرئون أي سرور اذا ما صادفوا بغتة احد الاخوة يقول قولاً او يعمل عملاً لا يحسن باعينهم ولعمري ان ذلك الا من خسة

افكارهم وضعف عقولهم لان العاقل الرزين لا يتناول مثل هذه المطاولات بل انه وان سهر بتدقيق على سيرة الاخوة فلا يرقب الا ما ترشد اليه الحكمة واما الباقي فيدعه لحراسة الله الذي يرى خفايا القلوب .

هذا وما عساه يكون من نتيجة هذا التنقيب والتدقيق سوى معرفة الظاهر لا غير لان الراهب متى رأى رئيسه يسيء الظن فيه ويراقبه هذه المراقبة الشديدة يخفي عليه كل ما يعمل ويفتكر به .

ولهذا كان يقول القديس اغناطيوس اجدر بالرئيس ان يُخدع احياناً من ان يظهر عدم الثقة برهبانه . ولانسيسوس يرغب من كل رئيس بالألا يدخل على احد رهبانه وقت الصلاة والتأمل لتلا يظن به انه داخل لاجل المراقبة اما اذا دعت الضرورة لمثل هذا الدخول فيجدر به ان يبين للحال سبب دخوله . قال العلامة والفهامة فينيلون في كتابه ( تالباك ) ما ملخصه : ان من افراط بحرصه كي لا يُخدع بشيء ولو طفيف يُخدع بأمور كثيرة خداعاً فظيماً .

وقد تكون نتيجة هذه المراقبة الدقيقة ان يؤخذ البار بمجريرة المذنب . قال الحكيم ( امثال ١٧ : ١٥ ) : مبرر الاتيم وموثم البار كلاهما رجس عند الرب وعليه فيجب على الرئيس ألا يتظاهر البتة بانه هذب رهبانه وثقف عاداتهم بل ليظهر للناس انه لم يجد فيهم الا الكمال ولا يرى انهم يفتقرون الى ان يضيق عليهم بشيء . لانهم يعملون واجباتهم من تلقاء ذواتهم . ان الملوك والولاة يغتصبون رعاياهم لتأدية الجزية اما الرهبان فقد اخذوا على ذاتهم ان يؤدوا لله جزية المحبة من دون ان يغتصبهم أحد وهو تعالى لا يقبل منهم هذه الجزية ان لم تكن مقدمة لجلاله عن رضى باطن وطيبة نفس . نعم ان الرهبان قيّدوا انفسهم بسلاسل النذور غير انهم يريدون ان تكون هذه السلاسل لينة وطويلة لكي يسيروا فيها بنشاط وسرعة من دون تكلف ولا اتعاج . وانا لثرى في سيرة آباء البرية انهم كانوا يدعون لرهبانهم مثل هذه الفرص الحرة للغيرة والمنافسة . قال لانسيسوس في كتابه ( شروط الرئيس الصالح ) : انه يجدر بالرئيس ان يتحاشى بكل جهده التظاهر لاحد مروءتية انه عارف بعيوبه او بنقصان فضله عن باقي الاخوة وانه من جراء ذلك لا يثق به كل الثقة لان ذلك يزعج المروءوس

ويضع افكاره ويلجئه الى التذمر وربما الى اعظم من ذلك اجارنا الله من وساوس ابليس .

## العلامة الثامنة

غيرة الرئيس المفرطة على الاحترام الواجب لمقامه

قد يتفق احياناً لبعض المروثوسين ان لا يقدموا لروؤسانهم كل الاحترام الواجب لمقامهم وذلك في بعض اجوبة فظة او اعتراضات قافهة او اعتذارات يشتم منها رائحة العصيان فعندئذ يجدر بالرئيس العاقل ألا يقلق مضطرباً بل يتظاهر كأنه لم يسمع او لم يدر بما كان من مروثوسه لان ذلك لا يضر بسلطانه اذ انه بفرصة مناسبة يقدر ان يعززه ويرفع شأنه .

اما اذا اخذ الرئيس ان يغار على سلطانه غيرةً مفرطة معتبراً كأهانة له كل كلمة او حركة تدل على شيء من الحرية او الدالة وطفق ينتقب عن كل ما يقال فيه من مروثوسيه وبالاخص لو بدأ ان يظهر الغيظ والكراهية لكل من يتول فيه كلمة ولو كان من محبيه وأعز اصدقائه وانما ذلك لتصوره انهم نقصوا اعتباره واجلاله فلا شك انه يضحى عرضةً للهزاء والامتهان قال القديس برناردوس عن مثل هؤلاء : « يا ما اشد عزمهم وغيرتهم على شرفهم وسلطانهم ويا ما اقل همهم بقداسة سيرتهم وكمالهم الرهباني »

ولعمري ما هذه الغيرة المفرطة الا دليل قاطع على الكبرياء وصغر النفس لان من تجند بمثل هذه العبارة لشرفه ابان ان اساس شرفه ضعيف وان أدنى ريح تقوضه لانه مبني على رمل محبة الذات . فالاسد والقيط لا يلتفتان الى الورداء لينظرا كلباً ينبع عليهما اما الذبابة فتلسع حالاً من لمسها

وبعد فمن الضرورة ان يصادف الرئيس مثل هذه المقاومات وان لم يغض عنها فيزداد قلقاً واضطراباً لانه لا يقدر ان يضبط ألسنة الجماعة . فقبل ان يكون رئيساً لم يكن لاحد ان يأتي بذكره خيراً او شراً اما الان وقد تولى ذمام السلطان ومهمز التوبيخ فلم يبق لمروثوسيه شاغل يشغلهم عن مراقبة كل اقواله

وحركاته والتنديد بها شيئاً فشيئاً هذا ولما كانت اعمال الرئيس خاضعة لبحث  
العموم كانت آذانه معرضة كذلك لسمع اقاويل شتى تتوارد عليه من كل جهة  
ولاسيما اذا كان سريع التصديق او قليل الثقة او كمن تأخذ منهم الدغدغة  
مأخذها حتى لا يعرف ان يميز صحيح الاقاويل من فاسدها فيقع في حيص بيص  
وترداد كربتته ومرارة نفسه في بعض الاوقات الى حد اليأس واشتعال نار  
الغضب

فما العمل اذا اهل ان نمنع مثل هذا التنديد او ان نتقم من قائله او ناقله كلاً  
بل الاجدر بنا ان لا نكثر له ولا نعيه اذناً صاغية لاننا لو انعمنا النظر في  
هذه الاقاويل لوجدنا ان بعضها ناجم عن حسد او طيش وبعضها عن بلادة وغباوة  
والفريقان احق بالشفقة والرحمة منهما بالبغض والانتقام . اما ذور الخبث والرداءة  
الذين يتاجرون بهذه الاقاويل ويستحقون البغض فهم قليلون . قال ساويرس في  
كتابه المقدم ذكره (ف ١٤) : « ان العجب والافتخار بالمدائح دليلان على صغر  
العقل . والاهانة من الامور الطفيفة الخسيسة اشارة الى ضيق الصدر . واخذ الثار  
عن كل شيء هو عمل الظالمين ولا غرو بان هذه المبادئ الاساسية هي التي حملت  
عظماء الملوك مثل تاو ادوسوس واركاديوس وانوريوس على ان يوغزوا الى وزيرهم  
دوفينوس بزيد الاحاح الا يعاقب احداً عن تدمره منهم معتقدين ان المتذمر ان  
كان من ذوي الحقة والطيش فلا يلتفت اليه . وان كان من ذوي الحماقة فالاجدر  
احتماله وان من ذوي الخبث واللوم فبالمسامحة له فضل كبير . لا شك ان الملك  
جدير بان يقف على كل الحقايق الا انه لا يليق بجلاله ان يفحص عن الامور  
الطفيفة الدنية . فالرومانيون لم يكونوا يسألون في شرائعهم عن الكلام بل عن  
الاعمال ولعمري الحق ان الكلام ولاسيما متى كان عن غير انتباه لا تأثير له مثل  
الاعمال المقصودة .

وعليه فذور الضمائر السليمة لا تراهم يعتدون بما يقال فيهم اما الاشرار  
فيوقعون بمن تدمر من شرهم شر العقوبات وانكاسها ولذلك يقال ان عدم  
الالتفات الى المتذمرين توبيخ لهم واسكات اما عقابهم فبرهان على صدق  
مقالتهم



## العلامة التاسعة

وهي اظهار الميل الى فريق دون آخر

وذلك ١ في الاكرام وهو ان الرئيس يفضل في الاكرام لغير داع صوابي بعض ذويه على غيرهم وذلك مثل اصحابه او اهل بيته او اقاربه او المزمع ان يخلفه في الرئاسة او ذوي السياسية او اصحاب القلوب السليمة والطباع اللينة ومن كانت احاديثهم عذبة ولاسيا الذين يعتنون بمداواة خاطره وسائر مصالحه الخصوصية .

٢ في التوبيخ والتوبيخ وهو ان يتعمد الرئيس احياناً التساوة محاذرة ان ينسب اليه الجبن والتواني الا ان صرامة توبيخه لا تكون الا لاولئك الاخوة المساكين المهملين من كل احد . وحياناً ينهي عن بعض الامور نهياً مطلقاً ويحرم تحريات عمومية يقلق بها الضائر السليمة وما ذلك الا ليتحاشى تنبيه البعض بنوع خاص او تبكيت كل باسمه

انه لمن المحقق الثابت ان لا شيء يولي الرئيس مجداً وتمكيناً في اعماله مثل العدالة والتزاهة لقد كتب في المزامير (٩٨) : « ان شرف الملك يطلب العدل » وماذا تراه يجعل الملك شيباً بالله سوى العدالة والاستقامة فقد تهدد الرب من عرج عنه هذا السبيل باشد العتوبات وامرها وقال : « اصغروا ايها المتسلطون على الجاهير فان سلطانكم من العلي وهو بين يديكم وديعة فليس لكم ان تفرطوا به كانه لكم ومنكم » (حكمة ٦)

وهب ان الرئيس بتعصبه لبعض مروضيه في ما يغير القسط والانصاف قد استمالهم الى غرضه فاصبحوا له مخلصين وعلى مصاحته غيورين ولكن هل ترى اخلاص هؤلاء وغيرتهم يوازي كراهية الآخرين له وانخفاض شأنه عندهم ومن شأن هذا التعصب ان يولد الغيظ والتذمر والحسد وعدم الثقة والبغضاء وان ادعيت ان تعصبك لا يغير الانصاف لانك انما تقصد به اعطاء كل حقه اجبتك انه لو قدرنا صدق ما تدعي وصفاً نيتك الا ان التعصب الظاهر وتفضيل

الاخ على اخيه على مرأى ومشهد من الجميع من شأنه ان يثير تلك الحاسات  
المقدم ذكرها لانه قلما يوجد بين الاخوة من يعد نفسه اقل استحقاقاً من اخيه .  
فكل من يرى لنفسه حظاً مما تقدمه لـ اخيه من الاكرام والتجلة وما دام لا ينال من  
ذلك مثل اخيه يظن انه مظلوم ومهان . لان الراهب لا يكتفي بان يساوي  
اخوته في الثوب فقط وله حق بان يساويهم شرفاً واکراماً

واذا كان بين الاخوة راهب لا يطيع من الرؤساء الا من ارتبط معه بعلاقات  
ودية خصوصية الا يقول له رئيسه ان طاعتك هذه ليست بطاعة رهبانية لان  
الراهب يجب الا يرى في شخص رئيسه الا الله ذاته وبذلك كل رئيس يضحى  
لديه محبوباً مطاعاً ولكن أليس لمثل هذا الراهب اذ ذاك ان يجيب رئيسه المتعصب  
بقوله وانت ايضاً حقيق بالاً تلاحظ في مرووسيك الا شخصاً واحداً لان الراس  
مدين للاعضاء كلهم معاً وليس له ان يكرم الواحد ويهين الاخر ولا ان يحب  
هذا ويكره ذاك . « ( مودست دي سانت امابل في الرئيس الكامل ك ( ٢ ف )  
ورب قائل يقول هل الصداقة محرمة على الرئيس وحده الا يسوغ له ان يحب  
كلاً بنسبة فضله واستحقاقه ؟

اجيب لا شك انه يوجد بين الجماعة من يفوق اقرانه بالفضل والفضيلة ويستحق  
بذلك اجزل محبة واسمى اعتبار . ويخلق بالرئيس ايضاً ان يعطي كل ذي كرامة  
كرامته الا انه لا يسوغ له ان يلحق بالمحبة العمومية ضرراً ولا ان يشعل في  
قلوب البعض نار الحسد والبغية بل يجدر به ان يستر شعائر حبه الخصوصية والا  
يظهر للرهبان جميعهم الا عواطف ابوية عمومية وبدون ذلك يقال فيه انه يحسبي  
في سياسته وينحرف عن خطة الاستقامة

## القسم الثالث

في العلامات التي بها يعرف الرئيس انه متفاض وكثير التسامح

في سياسته الرهبانية

### العلامة الاولى

هي ان لا يهتم الرئيس الا بالمسائل الهامة في الغاية

يحتاج الرئيس المتساهل بقوله ان حفظ الفرائض بالاجمال كاف لحفظ النظام الرهباني وقداسة الرهبان وعليه فلا بأس اذا اخل نفر من الاخوة في بعض الفرائض لان هذا لا يضر في النظام ولا في الروح الرهباني ولا سيما اذا كان لا يحدث شك من هذا الخلل . والخال ان بعض الخلل الذي لا يكون الا من بعض الاخوة لا يحدث شكاً . ومما يؤيد هذا نص الفرائض فأننا لا نرى فيه شيئاً يدل على تثقيل الضمائر ومزيد الاهمية لمثل هذا الخلل

ولكن وآسفاه ما فائدة هذه الفرائض اذا كان الرئيس المذبح بسلاح سلطان الله ليحافظ عليها باجمعها لا يحافظ الا على البعض منها ويتسامح بما بقي . فما هذا التمييز واتى لنا ان نعرف اي الفرائض عينها لنا التانون لنحفظها بتدقيق وليها يسوغ اهمالها . ومن تراه قلد الرئيس سلطاناً لهذا التمييز

ان الحياة الرهبانية هي جسم يتألف من حفظ فرائض عديدة مختلفة وهي له كالأعضاء فلا يقوم الا بها . وهل لعقل لبيب ان يتصور انه يكفي الاعتناء في بعض أعضاء جسمه التي يخالها او فر ضرورة او لزوماً للحياة او للقوة ام للجمال وان يهمل الباقي منها ؟ فلا شك اذا بان مؤسس الرهبانية لم يستخف بفريضة من الفرائض التي رسمها لرهبانيته مهما بان لك خفيفة لانه لم يفرض فريضة لغير داعٍ موجب وبدون سهر وصلاة ودموع غزيرة . واذا توسمت في عباراته الرقة واللفظ فانما ذلك لكي يملك على حفظها بمجرد مبدأ المحبة الذي يجب ان

يكون للراهب مبداء عام ومفتي عن الفرائض نفسها  
ولعمري لو اعددت جنودك للحرب وأتيت عليهم خطبة حماسية ثم امرتهم  
بالنزاع وبعد هذا اذنت لمن شاء منهم ان يخرق صفوف المعسكر ويفر هارباً الا  
انك اوصيته الا يبيدي هذا في حومة الوغى بل في بعض المناوشات . أترك بهذا  
تسير بعسكرك الى الظفر ؟ لا بل الى الهزيمة والعار . وهكذا لو وضعنا فرائض  
عجيبة واذعناها بمجالي الالهة والاحتفال ونذر الرهبان على ذواتهم حفظها وبعد  
هذا نظر الرئيس رهبانه يخلقون وعدهم ويتجاوزون فرائضهم ولم ينههم عن ذلك  
مدعياً ان لا شر عظيم ولا شك جسيم في تجاوز بعض الفرائض فهل ينهج للرهبان  
مناهج القداسة والكمال ؟ كلاً بل يفتح لهم ابواب الهلاك ويقوض اساسات  
الرهبانية وهو على ما قاله مودست دي سانت اما بل ( الرئيس الكامل ك اف ه )  
: « لا يهتم بان يسير على ارادة الله بل انه يسعى وراء امياله ولا يطلب ما هو  
عدل بل ما هو مرض له لان الله جل شأنه يريد حفظ الفرائض باجمعها . ولا  
تقل ان بعض الفرائض قليل الاهمية ولا يوئى الله الا مجدداً يسيراً لان الفرائض  
بجملتها هامة وهي كسلسلة لا تنزك منها عقدة حتى تتفكك كلها عقدة عقدة  
بالتتابع

ان خرق الفرائض الرهبانية ولو بان في بادىء الامر خفيفاً وطيفاً الا انه مع  
تقادي الزمان يكون داعياً لدمار الرهبانية التام . فالبنائات العظيمة لا تقوى  
على هدمها عادة السيول الجارفة ولا العواصف القوية ما لم يحدث فيها بعض الخرب  
ولا تصلح عند مسيس الحاجة . وهكذا من جداول ضعيفة تتكون الانهر  
العظيمة والنار مها استعر اجيجها لا تكون في بدء امرها سوى شرارة صغيرة  
« وكذلك الحجارة ولو صلدة تبنيها المياه بجريها المتواصل » (ايوب ١٤)

### العلامة الثانية

هي ان يكون الرئيس سريع التصديق في قبول اعتذارات مروتوسيه

وتصويب ما يدعونه لتبرئة انفسهم

تقدم لنا ان من الرزائل ما يشبه الفضيلة ويتريا بزيها . فصغر النفس مثلاً



يشبه خفض الجانب والمراعاة وهو عنها بعيد جداً وكما انك اذا لم تراع مروءتيك قط او لم تراعهم الا نادراً جداً وهم لم يتعودوا احتمال مضض الشدة توغر صدورهم حقاً وغيظاً فلذلك اذا كثرت من مراعاتهم والتساهل معهم تدفع بهم الى الفتور والكسل اذ هم يميلون طبعاً الى خلع نير السلطة والاستقلال بالرأي والعمل . فكم من الرؤساء يتوهمون فضيلة الدعة والمراعاة في انهم لا يرفضون على مروءتهم شيئاً ويسلمون باعتذاراتهم ويصدقون كل تشكياتهم ومدعياتهم ؟

ان المثل يقول : « من لم يعرف ان يرفض لا يعرف ان يملك » وقد صرح سيدنا يسوع المسيح بما هو بمعناه ان الاب الذي لا يرفض طلب ابنه عندما يدعو الى ذلك داع لا يكون اباً صالحاً اذ قال : « اي انسان منكم سأله ابنه خبزاً فيعطيه حجراً او اذا سأله سكة فيعطيه حية . ( متى ٧ : ٩ ) فعلى ذي السلطان اذا كان حكيماً ان ينظر في ما اذا كان المطلوب منه خبزاً او حجراً سكة او حية ليعرف بذلك هل عليه ان يجيب الطلب او يرفضه لان الطالب لا يرغب الا في ما فيه خيره

فاحذر اذن اولئك الرهبان المداهنين الذين لا يتغنون بتسليقاتهم ومداهناتهم الا قضاء حاجاتهم وشفاء غليلهم . واحذر ايضاً الرهبان الذين يدعون الضعف والقصور وهم منشغلون ابداً في الاحتجاج على السلطة ومقاومتها وكأنهم يستأجرون من يساعدهم على هذه المكابرة والعصيان . ويستحلون لانفسهم المهابة والاعتبار بازياءهم العاتية ولهجتهم الغليظة العالية . فمثل هؤلاء الرهبان اذا ما استأنسوا بمساهلتك وضعف قلبك توصلوا شيئاً فشيئاً الى ان يسنوا لنفوسهم سنناً ورسوماً تباين كل سنة وقانون

ولنسمع ما يقوله بهذا الصدد العلامة القهامة بوسويت وهو : ان التسلط بالارهاب لازم في سياسة البشر لما هم عليه من الكبرياء وصعوبة الانقياد . فن الواجب الضروري ان يهاب الشعب ملكه لانه لو كان الملك يخاف شعبه لا يبغي له حيلة في سياسته . ان هارون الذي سلمه اخوه موسى قيادة الشعب الاسرائيلي صار من جوار خوفه وتساهله المفرط علة لان يعبد ذلك الشعب العجل الذهبي

ولما انحدرو موسى من الجبل قال لهارون : « ماذا صنع بك هؤلاء الشعب حتى جلبت عليهم خطيئة عظيمة » (خروج ٣٢) فانه نسب الى هارون خطيئة الشعب لانه لم يردعهم عنها وهو المتسلط عليهم . فاعتبروا هذا الكلام : « ماذا صنع بك هؤلاء الشعب حتى جلبت عليهم خطيئة عظيمة » ان فيه حجة ناطقة في بغض الرئيس لروثوسيه ان لم يردعهم عن الشر وقت الاقتضاء . فاجاب هارون : « لا يضطرم غضب سيدي انت عارف بالشعب انهم اشرار فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير امامنا فان ذلك الرجل موسى الذي افرجنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه » فما هذا الاعتذار وهل للملك ان يهاب شعبه او ان يخاف ان يغيظهم فان الله جلت عدالته لم يقبله بل حتى على هارون واراد ان يسحقه سحقاً لو لم يسأله موسى العفو عنه . فعلى الملك اذا ان يرفض طلب الشعب متى كان مغايراً للعدل والانصاف لان خوف الملك المقرط يفضي به اخيراً الى ذنب ضعف القلب . قال ابن سيراخ (٢٠ : ٢٤) : « من الناس من يهلك نفسه من الحياء وانما يهلكها لاجل شخص الجاهل . » لانه طاوعه بجهله » والسياسة المقدسة لك قضية ٦

### العلامة الثالثة

هي عدم المعاقبة على بعض الذنوب والنقائص

قال ابن سيراخ (٧ : ٦) « لا تبغ ان تصير قاضياً لعلك لا تستطيع ان تستأصل الظلم فربما هبت وجه المقتدر فتضع في طريق استقامتك حجر عثار . » ان سياسة الخوف والحيانة تشير على صاحبها بالاغضاء عما يراه من التشويش في النظام . والحكمة تشير ايضاً بذلك ولكن عندما ترى ان ليس في العقاب خير بل تصلب في الشر ومن ثم تجد يونأ عظيماً بين الحكمة والحيانة التي تغفو عن المذنب وتري مع ذلك ان في عفوها تضحية الخير العام . فالذنب عن حفظ الرسوم والفرائض مرة مجزوم وجزم يفني عن تكرار التنبيه والاصلاح . لانه كما ان الرخاوة في هادي الامر تورط في المأثر كذلك الصرامة تصلح الطباع وتنجي من العيوب

ولنأت على بيان ذلك ببعض الاسهاب فنقول  
اولاً ان الرئيس المتساهل لا يواخذ مروؤسيه بزلاتهم الا نادراً جداً محتجباً  
بانه من الواجب ان نعذر ضعف الطبيعة وان نذكر اننا مجبولون من الطين  
والصلصال

ثانياً يتعود عدم المبالاة بزلات البعض اليومية مستصغراً اياها كأن تكرارها  
المتواتر يخفف جرمها او يسوغ ارتكابها او يخفف من شرها  
ثالثاً لا يعرف ان عيز الزلات المستوجبة للعقاب مما سواها كتلك التي تلقي  
الشكوك وتزع الخصومات وتفتح ابواباً للعادات الرديئة

وابعاً لا يقتص جهاراً من الذنوب الظاهرة جاهلاً او متجاهلاً ان في العقوبة  
عن الزلة الظاهرة صيانةً وحياةً للفرائض وتأييداً لسلطان الرئيس ونضجاً نافعاً  
لسائر الجماعة

خامساً اذا وثب احد المذنبين فانه يعود الى مسامحته حالاً بلهجة الرقة  
والمذلة كأنه يطلب المسامحة منه لانه افراط الصرامة بحقه . وبهذا يفقد التوبيخ  
مفعوله ويضعف قحة المذنب

سادساً وعند نظره من يمتشقون الفرائض والرسوم يكتفي بان يثن ويمتعض  
في داخله كمن اقيم لحراسة المعسكر فاذا يشاهد العدو مقبلاً يظن انه يقوم بواجب  
الحراسة اذ يقول بنفسه : اني لمستاء جداً من قدوم العدو علينا لكني لا انفخ  
بالبوق حذراً من كذا وكذا : او ان ذلك الرئيس يشبه رباً من ركب يكتفي  
بانه اكتشف وجود الصخرة المزمنة ان تصدم سفينته فتعطمها ولكنه لا  
يتكلف اذ ذاك ان يدير الدفة بيده ليأمن الخطر وتنجو السفينة من الغرق

سابعاً نراه يتغاضى عن معرفة كثرة الزلات واذا ذاك يُعد تغاضيه اذناً  
مضمرأ بمخالفة الفرائض فيظن المروؤسون بانه راضٍ عن كل ذنب يتمكن من  
استدراكه ولم يفعل

ثامناً يعدُّ من من باب الدينونة الباطلة بعض الظنون المؤيدة باقوى البواهي  
كأن الرئيس لا يحق له بل لا يجب عليه ان يستند على تلك الظنون والملاحظات  
جاً بنجير الجماعة كما سنبت ذلك في باب الاصلاح الاخوي

تسماً لا يعتد بالشكايات التي تبلغه عن المذنبين ولا يبالي بما يتأتى عن ذلك من الضرر اذ يهمل الاقتصاد من زلات ثابتة ومؤكدّة لم يكن ليصل الى معرفتها بغير تلك الطريقة ويغلق بوجه الاخوة ذوي الثقة والضمير باب النصيح والملاحظات ويبالغ بمس شخصياتهم غير واثق بصدقهم وتزاهتهم وفطنتهم . وقد قال حزقيال ( ١٨ : ١٣ ) : « ويل يقول السيد الرب للآي يخطئ وسائد مرفق يد ويضعن مخدات لكل قامة لاصطياد النفوس » يقول القديس غريغوريوس ان مرفق يد الخطاي يستند على الوسادة ورأسه على المخدة لما لا توجهه على سوء صنعه بل تريد بملاطفته وتعليقه فتجعله بهذا يرقد رقاد الراحة والهناء لا تعلقه صرامة الرسوم والفرائض الرهبانية ( الراعي ق ٢ ف ٢ ) فتتبعه اغفال العتاب الوخيمة هي ان تنزع من قلب الراهب الخوف والحياء .

### العلامة الرابعة

التوبيخ الذي لا يكون الاً حفظاً للظواهر

قال هوغو دي سان فكتور : « ان الرؤساء المجتفين بمحقوق الوظيفة ثلاثة انواع فمنهم من يصنع الشر ويريد من مروضيه ان يقتدوا بشره . ومنهم من يفعل الشر ويريد من مروضيه ان يفعلوا الخير . ومنهم من يصنع الخير ويسمح لمروضيه ان يصنعوا الشر . ( حظيرة الانفس ) فلولاء هم العاملون بالخير ولا ينهون عن الشر وقد يوثبون على الزلات غير انهم لا يتخذون الوسائط الفعالة للتوبيخ ولا يقصدون القصد الاكيد ان يجرّوا المذنب الى الاعتراف بذنبه والاقلاع عنه فهم يزعمون انهم يقومون بالواجب عليهم امام الله وامام الناس لانهم يبدون بعض التوبيخات الضرورية فيخالون انه يكفيهم ان يقولوا لمروضيهم ما قاله عالي لاولاده « ان ما بلغني عنكم ليس بحسن اوههم بمشورتهم الزارغة ونصائحهم العقيمة يعدون لانفسهم ولجماهيرهم ما ناله عالي واولاده من التعاسة وسوء المنقلب

قال الحكيم « من وفر عصاه فهو يفيض ابنه » اذا اهل الطبيب مريضاً



ملتزماً معالجته او لم يستعمل للقروح القتالة الاً بعض المليينات كأنه يعالج خدشاً خفيفاً يُعدُّ بلا شك قاتلاً والرئيس الذي لا يحامي عن رسوم رهبانيته بموجب القسم الذي أقسمه او يخجل من توبيخ المذنبين اكثر مما هم يخجلون بارتكابهم المنكرات فهو بلا شك حاث بقسمه مخاف بوعده . فان دقيقة واحدة تحزن بها مرووسيك في توبيخك اياهم تكفيك مؤونة اتعاب وكروب جسيمة في مستقبل الايام . وتكون مطاعاً دون ان تتذرع بالقوة والعنف . ان التوبيخ يكون كالملك الذي صار يعقوب فانه لم يجرحه الاً ليجعله اشد بأساً واصفي سريرة

والقديس بولس يريد من تلميذه تيموتاوس ان يحث المذنبين ويحرصهم بالحاح على ان يرجعوا عن غيهم وان يكف عن الرجا والتوبيخ والتهديد بشأن اصلاحهم ولو بان للناس انه ثقيل لانه ملتزم القيام بحق مهمته لان الطبيعة لا تقمع من تلقاء نفسها فيجب ان نكرها نعم ان الرسوم والفرائض هي حاجز منيع وهي تدلنا على الطريق لكن ما النفع منها ان لم يعزها الرئيس ويؤيدها بسلطانه

قال اشعيا النبي : « ويل لي فلا تني سكت هوذا قد تدنست شفتاي . »  
فيا للعجب كيف ان شفتي النبي قد تدنستا وهو لم يفه بكلمة ؟ اجل ما ذلك الاً لان السكوت بغير اوانه يدنس الشفاه كما يدنسها سوء الكلام . وكل من سلمه الله عصا الرعاية ولم يضرب بها كان سكوته سبباً لهلاك المذنبين ولهلاك نفسه ايضاً مهما حسنت سيرته وعظمت تقواه : ولا يفيده الحل من خطايا الشخصيات ان بقي مغلاً بخطايا اجنبية اه ( قديس بروسبر )

قال ابن سيراخ ( ٧ : ٨ ) : « لا تضاعف عقدة الخطية فانك من الاولى لا تكون مزكى . » ولا غرو انه قد عني بذلك ان لا تريد على خطاياك الشخصية خطايا الجماعة . لانه اذا كان من الصواب ان نخشى عقاب خطايانا الذاتية فكيف لا يجمد الدم في عروقنا خوفاً من ذكر العتاب من تلك الخطايا الاجنبية الكثيرة والمجهولة منا

## العلامة الخامسة

### التسامح على طريق الحياة البشري

انه لمن اشأم طرق الرياسة التسميح مع محبي الحرية والاستبداد سواء كان مع الافراد او مع الجماعة بكاملها لانه اذا حمل الرؤوسون الرئيس على التسامح معهم مرة فلا يعتمون ان يدفعوه اليه ثانية وكما انه ما من شاكر على النعمة المغتصبة هكذا يعود ذلك التسامح على الرئيس بالازدراء والسخرية وعلى الرهبانية بالحراب والوبال . ان القديس فرنسيس سالس كان يقول : ان المساحات لا تدخل الاديار الا بطرية التساهل غير انها لا تضع الرجل الاولى في الدير حتى تقوى على السكن فيه ولا تخرج منه الا بالعنف والقوة (رسالته ١٤)

اما ما يحمل الروساء على هذا التسامح فهو :

اولاً حب الرئيس ذاته اذ يقصد بتسامحه ان يظهر بمظاهر العظمة والانفة وكأنه يترفع عن دقائق الامور وسفاسفها غير ملتفت الى ما لا يُعتد به  
ثانياً الربح الدني الحسيس فيفضي الرئيس عن الاقتصاص من المجرم لانه عامل نشيط او لانه يكسب الدير مجداً وفخراً بمعاملاته مع عليّة القوم او لانه توصل بمكره وحيله الي ان يُمسك على نفسه مبالغ وافرة يتصرف بها على ما يهوى ويريد

ثالثاً الجبن والتراخي فقد يفضي الرئيس عن معاقبة الزلات مخافة ان يكلف نفسه البحث والتنقيب عنها . او كون ذلك يستلزم السهر واستقصاء الامور او ان يُقدم على بعض الاعمال الخطيرة التي يعجز عنها كل جبان ضعيف القلب . فمثل هذا الرئيس يفضل ان يسير في رخاء ودلال مصوراً لنفسه ان الاشياء تسير على محورها بكل نظام وترتيب

رابعاً السياسية العالمية فهي التي تبعث بالرئيس الى التسامح والاعضاء عن ذنوب ذوي الاصوات ارادة ان يكتسب اصواتهم في الاقتراع المقبل . او ان يسبق فيسترضي خواطر من يراهم قريبين من الترقية الى الوظائف . يضيق على البعض بحفظ القوانين حتى الصغيرة وينضي عن البعض الاخر غير مبال بخرقهم

الرسوم والقوانين الجوهرية . يتظاهر بالغيرة على حفظ الرسوم وهو كلف بمراعاة البعض حتى انه يجيز لهم ما كان من الواجب ان يحظره على الجميع .  
فالدافع له الى ذلك اذا هو خوف مجحف بالسلطان مصدره الحب المفرط للسمعة والرياح والراحة والرئاسة وهو خوف قتال تشيده الانانية الدنية وتحمله على تضحية مصالح الجمهور الخلاصية . خوفٌ يجلب الخجل والعار وينقص من شأن الرئيس فيكون محتقراً لدى الصالحين والطالحين . خوفٌ يجعل الرئيس شيئاً بالاجير الذي يرى الذئب مقبلاً فيسكت . او يجعل الرئيس شيئاً باناسٍ لشرار يشترون الاصدقاء بمال الظلم

الا بحقك قل لي ايها الرئيس كيف تبتغي السلام وانت صابر على تأصل العادات السيئة فيسي مروءوسوك وهم بعيدون عن السعي في طريق الكمال يهيمنون في بحر الملاذ والشهوات . غضوبين يستقلون نير السلطان واي المصاعب لا تسبها بذلك لمن يخلقك بالرئاسة او كيف تبتغي الراحة وانت في معبعة التزال فهل تقلدت سيف العدل لتبقيه في غمده مخفياً عن كل ناظر ؟ او لعلك اُقت قانداً ومرشداً لتترك من ترأسهم يضلون سواء السبيل وينجبطون في ليالي الشقاء والتعاسة ؟ . انت نائب الله فكيف لك ان ترضى بامتهان سلطانك وسلطان الله معاً

وبعدُ أتبتغي السلام على كل حال ؟ ولا سلام لك الا سلام كاذب خداع يدوم دوام الظل . لو كيف يحل السلام في دير لا نظام فيه ولا نشاط ولا محبة ولا وئام دير تكثر فيه الزلات والنقائص ولا يعتم ان يعصي جمهوره كعصاة من الناس قد اتخذوا الثوب الرهباني المقدس سترًا ينجبثون تحته كل شوائب اهل العالم

### العلامة السادسة

هي ان لا يعزز الرئيس سلطانه من وقت الى آخر ببعض اعمال خطيرة

في غالب الاحيان تدعو الرئيس ظروف هامة الى ان يظهر رئيساً على من يتناسونه ولا يعباؤون به وان يلقي خوفاً خلاصياً في قلوب المستبدين العاصين وان

يزيل الوهم ممن يتوهمون الضعف في السلطان واليك بعض تلك الظروف التي  
يسطها الاب بوفيس في رسالته العاشرة اذ قال : « انك ان اصدت امرأ صوابياً  
ووجدت من يقاومك ويماحكك فيه فدع الشفقة جانباً وكن عزوماً وعاقب  
بكل صرامة بلا خوف او مراعاة لاحد . واذا ارتأيت رأياً مطابقاً للعدل  
والصواب بعد انعام النظر ملياً واستشارة اصحاب الرأي والسداد وصادفت مقاومة  
لرأيك من بعض الرهبان الاغبياء والقادرين المتقادين بالميل والهوى ولا يحبون الخير  
العام فاقطع بمحكك ولا تضح الحق الصريح على مذبذب الخوف الكاذب  
خشية ان تُعدَّ عنيداً متشبثاً برأيك

واذا عمدت الى انعاش روح القانون والنظام باصلاح كثير من العادات السيئة .  
فيزينون لك انك تحاول المحال . وانك تعرض لسلطانك على غير طائل وبدون  
امل بالنجاح : وانك تهيج الافكار بلا جدوى فلا تعجب اذ ذاك من قلق  
الحواطر بل ثبت عزمك وثق ان من اسكت البحر قادر ان يعيد اليك  
السكون والهدوء

واذا ألح عليك البعض بطلب اشياء لا يسلم بها الضير وتأبأها الرسوم  
الرهبانية مثلاً كالافساح او الاذن في الذهاب الى الخارج والجولان فلا تنقد لمثل  
هذه الطلبات ولا تسلم بها بل فليكن خجل القشل برفضك اياها جزاء متطلبها  
وقد تحدث بين مروثوسيك خصومات مشككة فيشكو اليك كل امرء  
مدعياً بان الحق بيده فاقض بينهم بلا محاباة ولا تغرض . واحكم على المذنب  
بذنبه واقتص منه على قدر جرمته ومره بالتكفير عن الله

وقد يتأتى لك مرات ان ترى البعض ينتهكون بكل وقاحة حرمة السلطان  
فلا تنسك عند ذلك محبة الصليب والتواضع الكاذب ما يتطلبه منك الواجب  
نحو نفسك بل نحو الله عز وجل فمحص نيتك ودقق في تصرفاتك وخض وسط  
الزوبعة ولاش روح التعزب الذي ينشئه احد الروساء المخطئين او سواء كائنات  
من كان غير مبالٍ بوعده او وعيد وسخط او تهديد . فمثل هذه الوقاحة يجب  
ان تسرع الى كبحها بكل جد ونشاط

اما في غير ذلك من الظروف فيضطرك الامر لان تأتى باعمال بأسر وشدة



كإصلاح بعض الزلات جهاراً أو ان تخطّ عن الرئاسة من له المكانة والثقة في قلوب الجمهور أو ان تلزم الرهبان الصغار الانعطاف والرفق بمن هم أكبر منهم سنّاً أو ان توفّر آف بين راهبين فرقت بينهما المنافسة والتغاير . ومتى تأكّدت عدالة خطتك وصوابيتها فسير الى الامام ولا تحف . وربما رماك بعضهم بسوء النية وهم لا يفقهون سير خطتك وأبت دواعي الفطنة والمحبة ان تكشف لهم النقاب عن طرق سيرك في اعمالك فكن آمناً واصبر على دينونتهم الباطلة وحسبك ان الله عارف بخلوص نياتك واكتف بهذا الى ان تأتى الايام والظروف فتقضي بدارتك وعدالتك .

وعلى هذا نقول انه بدون الحزم والجزم في مثل هذه الحوادث الخطيرة التي تديرها العناية الالهية تكون السلطة ضعيفة او تظهر بظهر الضعف وهذا التظاهر في حوادث كهذه لا يقتل شراً عن الضعف نفسه

## العلامة السابعة

### الانقياد لامر الغير

على الرئيس ان يعتصم بالحزم عندما تدعوه الحال الى التحفظ من بعض مروءوسيه الذين يحاولون التسلط على افكاره . وهذا التسلط على افكار الرئيس يتأتى اما بما يتصوره في نفسه من عدم الاهلية فيلجأ الى من لا مزية لهم ولا فضل الا الادعاء الكاذب او من تركه سلطانه العوبة بيد بعض الرهبان المخادعين الذين بحجة تعلقهم به وغيبتهم على مصلحته يشغلون عاتقه بمشوراتهم ويتخذون ما يرونه فيه من الضعف والفشل وسيلة للتسلط على افكاره والميل به كيفما شاؤوا فيأمررون وينهون ويوزعون الوظائف ويكرمون هذا ويشحون على ذاك وقصارى القول انهم يحتلّون السلطة ويتزلون الرئيس منزلة منفذ لاوامرهم او آلة يستخدمونها بل يقيمونه صنماً مجوفاً فارغاً تحنى لديه الروؤوس على انه ليس هو المتكلم بل رجل اخر له عينان ولا ينظر وله اذنان ولا يسمع وله لسان ولا ينطق وله يد ولا يعمل وقد يحدث ان رئيساً خروماً يخلف في الرئاسة من يكون

جباناً غير محنك في الامور فيجب اذ ذاك ان يتحفظ كلٌّ منها شديد التحفظ لئلا يضر الواحد بالآخر فالرئيس المنحط لا يضمن بابداء افكاره وملاحظاته خلفه بل يعاونه بتدبير شئون الجمهور بنوع لا يضر باكرامه وهيئته اما الرئيس الجديد فعليه ان يعادل بين الجرأة العمياء التي تقتحم المصاعب على غير هداية وبين الجبن والخوف بنوع انه لا يجسر ان يخطو خطوة دون ان تسنده يد الغير وتسير امامه بسراج يضيء له

والشر يكون اعظم فيما اذا حاول احد الاخوة العاملين مشاركة الرئيس بسلطانه لقاء بعض ما يؤديه اليه من الخدم الخاصة فيجلس عندئذ الجهل على منصة الحكم ومن حوله الحسد والادعاء وبيده قضيب القضاء ويلتف اولاً الليلاب ( حشيشة العشاق ) حول اصول الشجر وينمو تدرجاً ويطول حتى يمتد ويعلو على الاغصان الباسقة . فعلم ايها الرئيس هذا الاخ المتقرب اليك ان يتوخى القاعدة الموضوعة في كتاب الاقتداء بالمسيح وهي : « ارغب في ان تكون مجهولاً ونسياً منسياً » ولا تجعل له سيلاً الى ان يكون بمنزلة جريدة حية تأنيك عند المساء باخبار النهار ولا تطلب او تقبل تلك الملاحظات الزائدة والمراعاة الحسنة والمدارة اللطيفة التي من شأنها ان تجعل من يقبلها قيد ارادة من يقدمها على انه لا سلام ولا طمأنينة عند ما يحل روح التملق والعجب في احد الرهبان ويسود على افكار الرئيس اذ كل رئيس ضعيف هو ظالم لانه اذا كان قد اتى من جهة زمام امره بيد الغير وانتقاد له تمام الانتقاد فيسئله من جهة اخرى استعباده المقيد به عن ارجاع اوامر كان قد اصدرها فجأةً بلا تروء اذ يؤذ مهالكه الامر ان يتحاشى ازعاج خاطر من استسلم له

فكيف يسير الروؤسون في مثل هذه الظروف ياترى ؟ انهم من جهة لا يريدون الخضوع الا لمن نذروا له الطاعة ومن جهة اخرى يرون انساناً آخر يأسهم ويأمر فيهم فيتزعون الى العصيان والتمرد الظاهر وان اطاعوا فبالتدمر وعلى كره منهم

فمن الواجب اذا ان يكون السلطان كله بيد الرئيس لا مطمع لاحد فيه كعزز منيع لا يقوى عليه شيء . لتحصن وتصلح فيه الراحة العمومية

قال العلامة فينلون : « ما أشد تعاسة المتراس على الجماهير فانه كثيراً ما يعجز عن ان يرى الحقيقة بذاته لان من حوله اناس يتقنون حاجزاً بينه وبين الحقي فيخفي كل منهم مطامعه تحت ظاهر القيرة . يتظاهرون بحبة الملك وهم لا يحبون الا عطاياه وهباته وتظهر قاة محبتهم له من انهم لا يخشون ان يخادعوه بالتمليق والمداهنة بل لا هم لهم الا ان يستفيدوا مما يرون فيه من ضعف القلب والعزيمة فيبدأون بملاطفته اولاً مقدمين له بنحور المدح والثناء ليفوزوا باعتباره ويملكوا قلبه غير انهم لا يكادون يرون ان له ثقة بهم ويرقون بعض المراتب ( المناصب ) حتى يذهبوا به كل مذهب ويضعون على منكبيه نير العبودية . فيث من ثقله ويود خلعه فلا يستطيع الى ذلك سبيلاً بل يظل يث تحت عبثاً يحاول اخفاء امره فهو لا يزال اسيراً وعبداً مملوكاً ( تيليماك )

### العلامة الثامنة

هي التسويف عند اقتضاء العمل

يلحق بالشائبة التي كان كلامنا فيها شائبة اخرى هي التسويف والمماطلة في وقت العمل وهذا لا شك ضرب من الضعف والتواني فانك ترى الرئيس يكثر من المقاصد الصالحة لكن مقاصده لا تخرج الى حيز العمل ينوي النيات الحسنة ولكنها تبقى في حيز الفكر ولا تخطو الى الفعل اصلاً يسره حسن الامل في ما ينوي صنعه من الخير غير انه لا ينفك عن تسويف وضعه بالعمل الى الغد فتتوالى الايام وتتعاقب الشهور دون ان يعمل شيئاً فيترك مشلاً الطريقة والوسيلة التي كان تأكد منفعتها وتأثيرها ويعدل عن عظة كان قد عزم ان يبسط فيها اشياء كثيرة وملاحظات عديدة محرّضاً على اتباعها بالعمل او يؤجل مواجهات خصوصية كان وعد بها احد الرهبان الذي طالما انتظرها بدون جدوى اما خطر هذه الشائبة الخاصة ببعض الرؤساء الممتازين فيتفاقم ويتجسم بقدر ما يُغضى عنها ولا ينتهون لها لان التقاعس عن الاعمال قلباً يشوش الضمير اذا كان مصحوباً بالعزم على متابعة اصلاح ما فرط من التهاون وحسن الرجاء المتولد عن ذلك

القصـد يطـيب النفس ويغـزيها اذ لا همّ لمن يـبني دين يومه في غده لكن لسوء  
الحظ يثـلـو ذاك الغد غـدً مثله فتـوالـي الايام الى حد انه لا يعرف متى يكون  
اشراق لليوم المعهود

ولم التسويف ان كان الشيء ضرورياً مفيداً وكانت الظروف تساعدك على  
انجازه في الحال ؟ لانه ان كان لا بد لك اليوم من القوة والعزم على العمل فاقتارك  
الى ذلك يزيد في الغد ويتضاعف لان الضعف الذي تستسلم اليه مرة يزداد ضرورة  
باستسلامك اليه مرات

قال غراسيان « ان التردد في العمل هو اقبح مما اسأت فعله بالفعل » وقال  
متريدات : « الفرصة تولد العمل » وتلست يقول « ان الجرأة والاقدام في بعض  
الاعمال التي لا تتحمل التأجيل افضل من كل مشورة »

فمن يريد ارادة الجبن والرخاوة يريد بلا ارادة . يريد ابداً ولا يريد شيئاً  
اصلاً لان رغبته سقيمة باردة لا ينجح في مشروع ولا تكون صفقته الاخاسرة  
قال الحكميم « ان الكسلان المتواني هو اخو المبذر » ( امثال ١٨ ) والكسلان  
يخاف دائماً وكل شيء يترأى له غير ممكن فهو يقول في نفسه « اسد في الطريق  
رابض وسوف اكون فريسته في وسط الطريق » ( ٢٢ ) . وايضاً الكسلان يدور  
على فراشه كما يدور الباب على محوره » ( ٢٦ ) فيكون من ذلك كثير من الحركة  
وقليل من العمل . ويقول الحكميم ايضاً في الامثال : ان الكسلان يخني يده تحت ابطه  
وعناء كبير لديه ان يبلغ بها الى خمسة » ( ٢٦ ) ويقول ايضاً « يد الشيطان تملك  
واليد الكسلانة تؤدي الجزية » ( ١٢ ) وايضاً « ان الكسلان تقتله شهواته لانه  
يريد ان يعمل ولا يعمل طول النهار الا التحني والرغبة » ( ١٨ ) ( يوسويت السياسة  
المقدسة ٤ ف ٢ )

### العلامة التاسعة

هي ان يكون الرئيس عديم الثبات متقلباً في مقاصده

ومن الناس من يتقلبون كل يوم فيتغير مع اليوم حكمهم وارادتهم وسلوكهم



ولا ينفكون عن مخالفة خطتهم وظن الناس فيهم لان من طبعهم التقلب «  
غراسيان صاحب البلاط مبدأ (٧١) انه يجب ان نأسف على جماعة يكون رئيسها  
على تلك الشاكلة لا يثبت على حال اصالة

يقصد المقاصد ولا يعم ان يرجع عنها يثبت تارة ويتني اخرى ما كان اثبت  
يستصوب في الغد ما قد حكم بخطائه في الامس ويعطي اليوم ما رفضه امس  
يعود الى مقاصده الاولى ثم يعدو عنها ليرجع اليها المرة الثانية

فمثل هؤلاء الناس الذين لا يقر لهم قرار ولا يقفون عند حد يسرون ورائدهم  
المخيلة وناموسهم الميل والهوى ولا طريقة لهم الا تأثير القلمك على مفاصلهم  
وعضلاتهم . فهم يعملون بألوف العادة دون قصد وروية لا يقيمون يومين بالتتابع  
على حالة واحدة ولا تراهم ثابتين ولا راسخين الا على التقلب وعدم الثبات

قال بوفيس عن امثال هؤلاء : « ان اميالهم ورغائبهم تتغير بتغير تصوراتهم  
فهم كدولاب يدور ميل تارة الى الرفق واخرى الى الجفاء حيناً الى الملاطفة وطوراً  
الى الخشونة . فان دخلت عليهم يوم سعد نلت ما تمنيت وان امتهم يوم بؤس  
رجعت صفر اليدين وكما انه لا يتحتم عليك شكرهم على حسنة اتوها هكذا  
تضطر لان تصفح عما اساءوا به اليك اذ ليس لهم والحق يقال خير ولا شر لان  
كل اعمالهم مصدرها الطبع والازاج الحيواني ( رسالته ١٢ )

وبما انك لا تكاد تقف على حال لهم من البؤس او الرضى فتظبل ترهب  
الدنو منهم . وان دنوت وخاطبتهم فتخرج دوان ان تجني من محادثتهم ثمرة  
روحية ولزيادة كلامهم في حديثهم وعدم فطنتهم يشوشون الضمائر السليمة ويجزونون  
القلوب المطمئنة . ويصرعون الجبناء ويسخطون المكتئين

ان مثل هؤلاء الروساء باهمالهم التسلط على ذواتهم قد عدوا مزية  
الحكم على الآخرين لانه كما قال القديس بوناونتورا : « ما من احد يشق بمن عرفه  
متقلباً في حكمه ورأيه » والى هؤلاء وجه الحكيم كلامه اذ قال : « لا تتقلب  
مع كل ريح ولا تسر في كل طريق » اهـ

اجل ان الرئيس وان تغير في تصرفه بحكم الظروف والاميال عليه مع ذلك  
ان يتجرى خطة واحدة لتسام حرمة النظام الديوري او بالاحرى صيانة لصيته

وسمعه لانه كما ان التقلبات المتصلة من جهة والسير على طرفي نقبض في كل دقيقة  
يقتضيان شأن الرئيس ويسمانه بسمة الحق والطياشة . فبالعكس ان اقوى دافع  
على الحكم بفطنته هو ان تراه سائراً بقدم راسخة عاملاً على مبادي . ثابتة .  
متبعاً خطة واحدة بحيث يقف الغير على حقيقة امره فيدون منه بلا خوف ولا  
ارتياب . وحينئذ يجري المروثوسون بسهولة بمقتضى افكاره ونياته بعد ان يتبينوا  
رضاه بالامر او رفضه اياه » (بوفيس )

غير ان فضيلة الثبات والحزم هذه لا تستلزم العناد لانه لما كانت مدارك  
الانسان قاصرة متقلبة كان لا بد ان يرجع عن غرضه ومقاصده اذا طرأ عليه  
حادث موجب او تغيرت الاحوال تغيراً هاماً او دعت الضرورة او المنفعة الجزيلة  
الى ذلك

وقال القديس بوناونتورا : « كما انه ضرب من الجنون ان تترك الاحسن  
لتختار القبيح هكذا من البلادة والحماقة الاصرار على امر الى حد ان ترفض خيراً  
اين واعظم » (سنة اجنحة )

اما اذا كنت قطعت برايك بحضرة المشيرين فعليك ان تبين لهم سبب عدوك  
عن الامر دفعا لكل غضاظة وملامة لعدم الثبات

وقد اردف القديس بوناونتوريا قائلاً : « ان القديس بولس نفسه كان  
يهمه جداً ألا يُحسب متقلباً عديم الثبات . لانه اذ لم يتمكن من النيام  
بوعده بالمرور في قرنتية اعتذر عن ذلك متنبأ انه لم يكن بوسعها ان يقوم  
بالوعد . »

## القسم الرابع

في البشاشة التي هي دقيقة ملازمة للوداعة

### ﴿ الفصل الاول ﴾

- في انه يجب على الرئيس ان يبذل كل جهده في اكتساب -

قلوب مروؤسيه

احبّ وكن محبوباً : كلستان فيهما مختصر كل معرفة حسن الادارة والسياسة لان في المروؤس المطيع كما في الرئيس الأمر مصدر العواطف ومحور الادارة هو القلب وهو في الانسان كالحصن في المدينة فان لم يؤخذ الحصن اولاً لا تؤخذ المدينة وقلب المروؤس في يد رئيسه كالدفعة بيد النوتي فاذا لم يكن الربان ممسكاً الدفة بيده فلا يلبث حتى تبتلعه اللجج والحال ان القلب لا يكتسب الا بالمحبة فلا يجب ما لم يشعر بانه محبوب . لانه « كما قال القديس اغوستينوس لا شيء يُشير المحبة في القلوب ويزيدها كتيقن المحب انه محبوب او الامل بان يلاقى بدل الحب حباً

قال صاحب مشورات الحكمة : « ان السر السامي في ادارة ارباب العيال وسياسة الملوك ورعاية روساء الكنيسة هو ان يكون عظيم القوم محبوباً . والسياسة التي يغطها الناس انما هي سياسة المحبة . فلا تنهجن غير طريقة لحسن سياستك فان الله وهو الحكمة بالذات لا يعرف طريقاً افضل في ملك ابديته . »

وما احسن ما فاه به فينيون اذ قال للملك تلميذه : « احب شعب رعيتك كالولادك وذق لذة محبتهم لك وبهذا تأسرهم في طاعتك وتربطهم برباط اقوى جداً من رباط المخافة فيطيعون اوامرك بل يتقادون عن حب ورغبة لكل ما

تأمرهم به . فالسلطة وحدها من دون الحب لا تأتي بما هو حسن . وخضوع  
المروسين دون محبة لن يمكني ابداً الحسن السياسة « (تيلياك )  
وقال شيشرون في خطبته عن الثرويض : « اني لا اعرف واسطة يمكن  
الملك ان يستعملوها لاجل حسن سياستهم افضل من ان يتجهبوا الى رعاياهم ولا  
اعرف واسطة اردأ من ان يجعلوهم يخافونهم . فما الخوف الا سور متقوض وما  
الحب الا حصن له ثلاثة اسرار من نحاس . » وقال بلوتاركوس « ان اعظم منحة  
يمنحها الاله لمن هو مرشح للملك هي محبة رعيته له » . وقال يوحنا روفو :  
« ان الملك بتورده الى رعاياه يجعلهم له بنين صالحين وبتخويفه اياهم يصيرهم من  
شر العبيد . »

فعلى الرؤساء في الرهبانيات بالخصوص ان يكتسبوا قلوب مروسيهم بالبشاشة  
القلبية التي هي دليل المحبة الخالصة وبهذا يستحقون كل ثناء ومدح يليق باباء  
الكنيسة

والقديس برناردوس بعد ان اوصى الاساقفة مذكراً اياهم بكلام القديس  
بطرس الرسول ان لا يعاملوا الكهنة بقسوة وجفاء قال : « هذه هي سياسة  
الرسل لانه محرم عليهم ان يتسلطوا بعظمة ومأمورون ان يخدموا مروسيهم  
بلطف وبشاشة . » انا بينكم كخادم « اوقعوا بطشكم ورعبكم بالذئاب  
الخاطفة فلذلك يسوغ لكم بل يجب عليكم لانكم اقمتم لطرده الذئاب عن  
الخراف ولرعاية الخراف بالرفق والحسنى » (من اعتباراته ١ : ٢ ف ٦)

وقال القديس غريغوريوس في كتابه الراعي ق ٢ ف ٥ و ٦ : « يجدر بالاسقف  
ان يحكم على الرذيلة لا على اخوته . فتوح لما خرج من السفينة أمر بان يجعل  
رعيته الحيوانات تخافه لا البشر نظراً فاذا فقد رجل شرف الانسانية بسبب  
ذنوبه وحط نفسه بمثالة الحيوانات الغير الناطقة فحينئذ يمكن الاسقف ان يره  
من الهول والجزع ما يستحقه . وعدا ذلك يجب على الاسقف ان يتورد الى رعيته  
لا لمجرد تمتع بمحبتها بل لاجل اتيادها الى الله واستماعها كلمته بالتذاذ لان الواعظ  
وان كان فصيحاً لا تسمع كلمته بلدة ان لم يكن محبوباً . »

ولذلك رسم احد مجامع قرطاجنة على الاسقف ان يكون متصفاً بالفضائل



المطلوبة وعلى الخصوص بالبشاشة والمشاشة . والقديس اغناطيوس لم يكن ليكتفي بان يهذب المرشحين للرئاسة بالعلم والفطنة فقط بل بروح الرزانة واللفظ اذ به يتسلط الرئيس على افكار مروثوسيه

هذا والقديس توما اللاهوتي (٢: ٢٠٢ س ١١٤ ف ٢) لم يكتفِ بان يضع البشاشة في صف ثمار المحبة او واجبات الرؤساء بل نظمها في سلك فضائل العدل التي يجب على كل انسان حي ان يعامل بها امثاله

## الفصل الثاني

- في ان الرئيس حقيق بان يكون مع مروثوسيه سهل المقابلة -

### والمفاوضة

لقد شط عن محجة الصواب من ظن ان الرئيس يضطر صيانة لمقامه وسلطانه لان محتجب عن العيان والأي يقابل او يحادث الأ القليلين  
اجل ان مثل هذا الاعتزال يجعل الرئيس مهيباً محترماً غير انه لا يجعله محبوباً لان مدخل المحبة الى القلب هو العين والاذن فلا يمكن ان تحب من لا تراه او لا تسمعه . قال لاكتنس في هؤلاء الرؤساء : « ان مثلهم مثل الحيوانات الضارية التي من مجرد منظرها الهائل لا يجسر احد ان يدنو منها ولذلك لا يُرجى منهم فائدة لان كل خيرهم ينحصر في بعض اشخاص قليلين وعلى هذا يستوجبون الخروج والاعتزال عن الجماعة »

وقال دوغيه في كتابه تهذيب الملوك : « ان من يتبعد عن النور يضحي وحشاً ضارياً ومن يتبعد عن الانس لا يكون انساناً وكيف يعرف الملك شعبه ان كان شعبه لا يرى الا صورته وتمثاله . وان لم يكن للملك اهتمام الا بتجلة شأنه فيضحي شأنه وجلاله عجرفةً وهذياناً وان كان لا يفكر الا بكونه ملكاً فيفقد كل ما للملك من العظمة والسلطان : على ان هذه الحقيقة تظهر جلياً بالمقابلة بين ملك محب ومحبوب يذهل بدعته من يؤانس ويحادثه وبين ملك آخر معجب بذاته لا ينظر خطوة الا بحساب وكل كلامه تأثر واغتصاب

وجهه ابدًا عابس مقطب وافكاره كالأحاجي غامضة وظهوره بين الناس نادر وبالنتيجة لا يُلقى في القلوب حبًا واحترامًا بل هلعًا ونفورًا .

تمحل العظمة انما هو دائل ساطع على صغر النفس . على ان العظمة هي مناط الثريا ممن جعلها شغله الشاغل وانتفخ منها حتى انه لو كان جديرًا بها لما التفت اليها بهذا الانعطاف . واذا خفض الملك جانبه لشعبه فالشعب يرفعه بالتجسلة ومعرفة الجميل وبذلك لا ينخفض شأنه بمقدار ما يرتفع في قلوب رعيته وافكارهم . فالمسألة اذاً تنحصر في ان يعرف الرئيس الى اي حد يجب ان ينخفض جناحيه لمروءسيه وكيف يجمع بين التنازل وحفظ الشأن وكيف يُرضي الناس ولا يحط بمقامه ويتودد الى الجميع فيزيدهم اعتبارًا واحترامًا له . «

قد جاء في التاريخ ان بعض حشم الامبراطور اندريانوس راموا ان يلوموه على فرط بشاشته للرعية فعدّهم من ذاك الوقت اعداء الوطن لانهم ارادوا تجريده من اعظم الوسائل التي تحببه الى الشعب . واذا كان رودلف ملك النمسا مارًا يومًا في احد الشوارع لاحظ حراسه يبعدون من طريقه من كانوا وضيعة الحال وليسوا من اهل الثروة ويمنعونهم عن الدنو من جلالتهم لينظر في حاجاتهم . فازدجرهم قائلاً : اني لم اكن ملكًا لاخيتي في صندوق بل لاصنع الخير لكل من يحتاج اليه فكيف اعرف حاجات الناس ان لم يدنوا مني ويعرضوها عليّ . «

فما الرئيس اذاً مع مروءسيه الأراع مع رعيته او مدينة مبنية على جبل ليلتجى اليها كل صادر ووارد . او ينبوع فائض في الطريق ليستقي منه كل ظمآن او طبيب لداواة المرض او استاذ ليلقي العلوم على الطلبة فأني له ان ينفر من مروءسيه متباعدًا وهو مرشدهم وقائدهم الى راحتهم هنا وفي الآخرة فعليه ان يكشف الستار عن قلوبهم ويطلع على افكارهم واميالهم الباطنة ليرشدهم في المستقيمة منها ويردعهم عن المعوجة .

والقديس فرنسيس الاسيزي كتب في قانون رهبانيته ( ف ٤ ) الى الرؤساء ما نصه : « تقبلوا اخوتكم بكل حب وبشاشة واطهروا لهم اللين والرفق كي يمكنهم ان يتعاملوا معكم ويكلموكم بكل راحة وحرية كما يكلم السادة خدامهم لان الرئاسة انما هي خدمة الاخوة .

وقال القديس برونزوس : « انه لامرٌ مضحك ان نرى رئيساً يعتبر انه كملك على عرشه ليس لاحد ان يدنو منه او يخاطبه كأن ذلك خافض من شرفه ويوحناً لومونيه كان يقول ( كما جاء في قصته ) : « يا للعجب كيف لنا نحن الدودة الحفيرة نحن التراب والرماد ان ندنو من الرب الاله بكل دالة ونسأله دون وسيط كل ما نحتاج اليه ونطلب مع ذلك ألا يدنو منا أي كان من غم رعبتنا ظانين ان ذلك احتقارٌ لسلطاننا . اما اننا بذلك نترفع على الله جل شأنه ونلحق به شر الاهانات . كيف لا ونحن نوابه على الارض وعلينا ان نرى الجميع بمثلنا جودته تعالى ومحبته وانه لا يأخذ بالوجوه في عطاياه بل يساوي الكبير بالصغير والقوي بالضعيف . »

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

في انه يجب على الرئيس ان يحسن قبول مرووسيه في كل فرصة وزمان

ما من احد يكون بشوشاً ان لم يكن صبوراً

انك ولو كنت رازحاً تحت ثقل الاشغال واتك مرووسك بمنزلة ما لا نفع فيه فاصنع اليه كأن لا شاغل يشغلك عنه ابداً . احذر من ان تظهر لمن يقصد مقابلتك وجهاً كالحاً او ان تأخذ في الكتابة او القراءة مشيراً بذلك الى انك مُزعج منه ومتضجر . فكم من المآثر تحدث عن عدم اصغائنا الى من كانوا يريدون ان يثبتونا عنها قبل حدوثها فهذا الطبيعة التي قد وضعت مغالق للاعين وللسان تركت الأذان مفتوحة للسمع في كل حين . فعلى الرئيس اذا ان يفتح اذنه للجميع بل ان يسألهم ويشجعهم ويعزيهم ولا يجيب احداً بتلك الاجوبة العمومية التي لا يجهلها الصبيان فان فيها اهانة وازدراء للسائل الذي لم يسأل ابتغاء جواب كان يعرفه منذ نعومة اظفاره .

فالقديس فرنسيس سالس مثال اللطف والبشاشة لما كانت تترام عليه الزيارات كان يحمل نفسه على الصبر والتجلد قائلاً في ذاته : « ان الله جلّت حكمته وضعني الان في هذا العمل ولا يريد مني سواه فحسبي ذلك لاني ان عملته فلا

الترم عملاً آخر . فالدجاجة اذا ما ازدحمت عليها فراخها لا تقصمها عنها بل تبسط عليها اجنحة رافتها وتحتضنها بما استطاعت من الخنو والركة هكذا اراني فائض القلب سروراً عندما تردحم علي الجاهير وقد تعودت ان أسراً بمحادثتهم كسروري بالغة والانفراد .

وقد سأل سائل ذات يوم هذا القديس المعظم : كيف تيسر لك امتلاك هذه الرقة الملائكية مع الجميع ؟ اجاب : « اني اجتهد في ان انظر دائماً هذه الانفس مطبوعة على صدر المسيح وبذلك لا يمكنني الا ان احنو عليها ومن لا ينظر القريب على هذه الصورة لا يقدر ان يحبه . محبة خالصة ثابتة متساوية بين الجميع . »

والاب المكرم نيقولاوس دي يسوع ماريّاً بينما كان ذاهباً يوماً ليعظ في المدينة التتاه في الطريق احد رهبانه يسأله حاجة فتوقف وسمح له بنفس رضية وانشرح صدره كأن لا شاغل له وقتئذ دون هذا ابداً . وفي اثناء ذلك وافاه رسول يقول له ان اسرع فقد بلغ وقت الوعظ فأجابه : ان شغلي الخصوصي هو هذا واماً ان وعظت او لم اعظ فلا يطالبني الله بذلك لان الوعظ ليس من اعمال وظيفتي الخاصة ولكن ان تركت راهبي قلقاً مضطرباً فسوف يوبخني الله على ذلك توبيخاً مرّاً . ( سيرة حياته )

ان تلك الخير امثلة للرؤساء المولعين بالدرس او بأمر خارجة عن حقوق وظائفهم سواء كانت ذات غيرة على خلاص القريب ام ذات أنس وتخلق باخلاق اهل العالم التي كثيراً ما تجذبهم الى معاملات واحاديث حبية لا نتيجة لها سوى بعض الخير لبيوت العلمانيين وعيالهم لا غير فيصرفون بهم هذه اوقاتاً طويلة ولا يكادون يجودون بدقيقة من الزمان لمواجهة راهبهم او للنظر في امر اديرتهم فلا عذر يعذرهم في هذه كلها لان عملهم الجوهري الذي يطالبون به يوم الرب هو سياسة رهبانهم ومساعدتهم في ضيقاتهم وتعزيتهم في كربهم . فان مؤسسي الرهبانيات ولو كانوا ذوي اشغال عظيمة في الدرس والمهام الخارجة في ترتيب اديرتهم فع ذلك لم يُسمع عنهم انهم لم يجدوا وقتاً كافياً لمواجهة راهبهم او لم يكن قلبهم مملوءاً محبة وانعطافاً نحو مروثوسهم



« واذا سوفت اخالك في مطالبه فقد تلحق به ضرراً عظيماً لانه قد يكون مفتقراً الى نصائحك في هذه الساعة الحاضرة لا في وقت آخر . وربما لا يقدر ينتصر على ذاته ويعود اليك فيما بعد ليفتح لك قلبه . » (مودست دي سنت اما بل في الرئيس الكامل ك ١ ف ٢٩)

وقد تحدث لك اشغال تمنعك عن مواجهة الاخ بقدر ما يريد فحينئذٍ اعتذر له بمحبة ولطف وعين له ساعة قريبة بها تقدر ان تسمع له ملياً

### الفصل الرابع

في ان الرئيس ملتزم احياناً ان يتقدم راهبه بالحسنى ليستميله

اليه بعد نفوره منه وابتعاده عنه

وبهذا يُعرف الرئيس انه ذو شهامة وتواضع وامانة ومحبة . ان هذا العمل ابي سبق الرئيس مروثوسه بالرجوع اليه بعد النفور لصعب على الطبيعة . وقل من اتاه وعمل به بتدقيق مع انه في بعض الاحيان كلي الضرورة اذ بدونه قديتدهور الراهب في اشد المصائب . ان ما بنا من الالفة الطبيعية يمنعنا عن اتخاذ الوسائل لاستمالة الغير وملاطفتهم والتنازل معهم ويخيل لنا ان ذلك خافض من شأننا فنزغب في ان يتقرب الغير منا ونحن ننفر منهم . نود ونطلب ان تعطى لنا القلوب بلا ثمن ولا كلفة كأن قبولنا لها فخر وشرف لمهديها . يشق علينا النزول من علو منصبنا الذي رفعتنا اليه محبة الذات لا الاستحقاق والاستيغال . وجملة القول اننا نجعل او نتجاهل سعة وامتداد محبة يسوع المسيح مثالنا وقدوتنا . ( يوفيس رسالته ٣ )

فهل نحن ياترى سبقنا واتيئنا هذا المخلص الالهي ام هو الذي كان يسعى في طلبنا وحضنا على الرجوع اليه . هل سعدنا نحن الى السماء لنجذبه اليها ام هو انحدر باختياره الى عمق مسكنتنا ليرفعنا اليه . فلم نحن اذن نضن على اخينا بما جاد علينا ولا يزال يجود به رب السماوات والارض هذا وعند تنافر القلوب لا بد من ان يعود احد المتنافرين اولاً للمسالمة وعلى من يجب ان يخطو الخطوة

الاولى نحو من يريد ان يكتسبه ويملك قلبه أليس على من يُتدّر كونه اكرم خلقاً واكبر فضيلة ؟ وعليه وجب على الرئيس بكل عدل وصواب ان يجمع نفسه وينتصر عليها في مثل هذه الظروف ولو لم يكن مظنوناً به كذلك لا فضل على غيره وانتخب رئيساً ومديراً . فاخص ما يطلب منه من حقوق وظيفته ان يُشني كلام القلوب ببلسم حبه وخفض جانحه » ( يوفيس مكتوب ٣ )

اجل انه لا شيء اعظم واشد تأثيراً من البركة التي بارك بها القديس فرنسيس الاسيزي راهبه الاخ ايلياً النائب العام وقتئذٍ لرهبانيته فهذا الاخ كان قد اذنب الى القديس ذنباً فظيعة وكان القديس قد تنبأ عليه بانه يخرج من الرهبانية وكان يعلم بان هذا الراهب لا ينجو من الهلاك الاً بصلواته وزفراته الحارة . فكان على الاخ المرقوم بلا شك ان يسبق ويستغفر من معلمه عن صكبرياته المشككة لكن فرنسيس اراد ان يترك للاخ وللجميع مثل دعة ورقة فقد دعا رهبانه عند ساعة وفاته واراد ان يمنحهم بركته كما فعل يعقوب مع اولاده فتقدم اليه الاخ ايلياً اولاً مع راهب اخر فوضع القديس يديه على راسيهما وسأل قائلاً ( لانه وقتئذٍ كان فاقد البصر ) « على رأس من يدي اليمنى ؟ » فاجابوه على رأس الاخ ايلياً فقال « هذا ما احب فيا اخي ايلياً اني اباركك بركة ليس فوقها بركة لان الله بك وتحت سلطانك قد اكثر عدد بني واخوتي . فيك ولاجلك اباركهم جميعاً . فليباركك الرب الاله في السماء وعلى الارض وانا اباركك بكل قوتي وفوق قوتي لكن فليباركك الله بما لا اقدر عليه واني ارجوه ان يذكر اتعابك واعمالك وان يجازيك مجازاة الابرار فليباركك ايضاً ويستجب كل ما تسأله اياه وتبتغيه منه »

فهل يمكننا ان نتصور شيئاً اعذب او احب او احن من هذه البركة الابوية ويا ما اشد مطابقتها لمحنة السيد المسيح ومن تراء يسمع هذا الكلام ولا تجري الدموع من مقلتيه

## الفصل الخامس

- في انه يجب على الرئيس ان يكون عند مقابلته مروثوسيه -

### طلق الوجه

بما ان البشاشة هي ابنة المحبة او كما يقول القديس فرنسيس دي سال هي اختها وجب عليها ان تتسم بسماتها وتتعالى بجلاها الفاخرة وهي طلاقة الوجه والموانسة . واذا كان الرئيس يحب رهبانه كما يجب عليه كبنى الله وبنيه فهل يمكنه ان يلتقي احداً منهم الا بوجهه طلق باسم المحيا ؟

وقد كتب القديس فرنسيس كسفاريوس الى الاب بارسيه ما نصه : « اجتهد بان تقابل الجميع بوجهه بسام وقلب متهلل وفرحان ولا تكن ابداً عابساً كالحاً ولا كنيئاً حزيناً ولا غضوباً غير صبور فلا يلقاك احد الا وانت فرح متهلل ومحب موانس وان لم تظهر هذه اللطافة والايناس للجميع فتبعد عنك كل من يريد ان يقابلك ويكشفك اسرار قلبه . واذا ألجئت الى ان تعلن لاحد نقائصه فليكن ذلك بحجب ورفق فتستأسر ابه وجوارحه . وهكذا لا تحتقر احداً بتوبيخك اياه . (رسالته ٧٣) وقال ايضاً (رسالته ٦٧) : « ان اخويتنا هي اخوية حب اما التساوة والخوف العبدى فهما فيها مرفوضان »

وموسى الكليم عندما كان يرجع من مخاطبة الله كان يغطي وجهه بالبرقع لكيلا يرى بنو اسرائيل النور المنبعث منه فيخافوا ويبتعدوا عنه . والقديس برناردوس كان يعرف ان يجمع بين البشاشة والوقار حتى انه كان يحترم الجميع ولا يهاب احداً والقديس اغناطيوس كان كلما دخل عليه احد من الرهبان يسأله ان يغطي رأسه حالاً دلالة على المحبة والاخاء وان كان الداخل كاهناً فكان يقف اجلالاً له . ويؤكدون عن القديس روموالدوس ان كل من كان يجيئه كان يصبح في حالة افضل من ذي قبل . وذلك لان دعة القديس ومحبه كانتا تحييان الفضيلة الى الجميع . والقديس فرنسيس دي بول كان بلطفه يائى القلوب الصلبة ويستميلها الى ما يريده فكان قبل توبيخه احداً يعنى بملاطفته وقبل تحريكه

آلات الارادة يصب عليها من زيت المحبة والرقه  
هذا وبمقدار ما يكون مقامك عالياً بمقدار ذلك تكون بشاشتك ذات بهجة  
وسلطان

قال العلامة بوسويت : ( ان في منظر الملك عند شعبه لذة وبهجة ولا شيء  
اسهل لدى الملك من التودد الى الشعب ) لان في نور وجه الملك حياة ومرضاته  
كسحاب ولي المطر ( امثال ١٦ ) فالمطر الذي يأتي في آخر السنة وينعش الارض  
اليابسة من حر الصيف لا يحاكي بعدوبته الملك الذي يهد سطوة سلطانه ببشاشة  
وجهه التي تبهج كل ناظر ) السياسة المقدسة ( ك ٣ قضية ١٣ )

وبالعكس بمقدار ما يكون مقامك سامياً بمقدار ذلك عبوس وجهك يبعد  
عنك كل من يريد ان يترب منك . قال احد الفلاسفة لملك كان تلميذاً  
له : ( ان عبوسة وجهك انما هي نقص طفيف لكنه كاف لان يبعد عنك الكل )  
قال غراسيانوس : ( ان الوجه العبوس المكفهر خليق باولئك العظماء الذين  
غيرت العظمة فيهم البشرية والانس . فكأنهم يظنون ان اعتبارهم قائم في العتو  
والتعظم مع ان مصلحتهم تطلب فيهم البشر والدعة لكي يستأنس الناس بهم  
ولا ينفروا عنهم مبتعدين ( رجل البلاط مبدا ٧٤ )

وقال ساودرا : ( من العظماء من يخالون ان مجدهم لا يقوم بدون ان  
يتعروا من البشر والانس المغروس في طبيعتهم ويتظاهرون ولو بتصنع بالعظمة  
والجفاء في احاديثهم ومنظرهم وكل هيتهم . فامثل هؤلاء الا اولئك  
النقاشين الذين تكلم عنهم الشاعر كلوديانوس ) انهم يتصورون ان كمال صنعهم  
قائم في ان يصوروا في اصنامهم الكبيرة وجوهاً منفخة وشفاهاً كثيفة وحواجب  
طويلة واعيناً غضبي ( ك ٣٩ )

واما الملوك الذين يكون من طبيعتهم العظمة والجفاء فيمحضهم هذا المعلم  
الماهر في السياسة نصيحة في قوله : ان يُعَوِّدوا عيالهم وكبار حشمهم على  
اللطف والبشاشة كي يعوضوا بذلك عما ينقص في شخصهم ويقتبلوا بالترحاب كل  
من له شاغل في البلاط الملكي وكثيراً ما نرى الملك مجرباً بسبب عائلته  
وحاشيته التي تجتهد في ان يعذره الجميع وفي اخفاء نقائصه او تخفيفها اه وهذه



النصيحة تختص بوكلاء الرساء وخلفائهم كي يعوضوا بملاطفتهم وموانستهم ما ينقصه الرئيس فعلى الرساء اذا ان ينتخبوا وكلاء افاضل طبعوا على اللطف والموانسة

## الفصل السادس

في ان كلام الرئيس يجب ان يكون لئناً عذباً

لما كانت الطبيعة تبخل على بعض الانام بطلاقة الوجه وبشر الهيئة كان على هولاء ان يستعوضوا عن ذلك بلين الكلام وعذبه ليكشفوا عما في باطنهم من اللطف والمحبة . قال الحكيم : ( امثال ٢٥ ) « الكلام المنطوق به في اوانه تفاح من ذهب في سلال من فضة »

واذا كان هذا الكلام مقولاً عن الجميع فاحر به ان ينطبق على اولي المناصب العالية . ولنصغ الى العلامة بوسويت في هذا المعنى اذ قال : ان ايوب يوضح جلياً عذوبة كلام العطاء في اوانه اذ قال ( ف ٢٩ ) : يستمعون لي منتظرين وينصتون لمشورتي وعلى كلامي لا يزيدون واقوالي تقطر عليهم كالندى ينتظرونني كالغيث ويفتحون افواههم كأني ولي المطر . اتبسم لهم فلا يصدقون ولا يطرحون نور وجهي » فكأنه يقول ان كلامه . ( لما كان عظيم القوم ) كان مبرداً حراً الصيف اعني اضطراب الاحزان . والشعب كان يرى نفسه سعيداً لما كان يمر في وسطهم واذ كان يقع نور وجهه عليهم فكادوا لا يدعونه يسقط على الارض بل يختطفونه ببصارهم كشيء غالي الثمن . وعليه فكم يلتزم عظيم القوم ان ينظر الى عبيده نظر البشاشة والمحبة ويخاطبهم باقوال رقيقة تنعش قواهم وتريد امتنانهم منه . قال ابن سيراخ ( ف ٦ ) : « القم العذب يكثر الاصدقاء واللسان اللطيف يونس الاعداء ويخصب الخيرات . » السياسة المقدسة ( ١ : ٣ قضية ١٣ )

قد اخبر بليزوس عن الملك ترايانس ان محادثته كانت جزيلة العذوبة حتى ان محادثه ما كان يجب ان يبارحه الا لاجل الاعتبار واللياقة . وقال طيطوس

« لا ينبغي ان يخرج احد من امام الملك الاً وقلبه فرح متهلل »  
وبهذا كله لم نقل ولن نقول ابداً انه يسوغ للرئيس او يوافق شأنه ان  
يكون في كلامه مع مروثوسيه مداهنة او مواربة . ولا ان يشجن اذاتهم  
مدائح وتقاريظ كاذبة لانه بذلك يحملهم على العجب والكبرياء . ولا ان يكون  
مذاراً فيسوقهم الى شتات العقل وطيشانه . بل مع كونه محباً مخلصاً فليكن  
رزيناً مهيباً

اخبر لاكتنسيوس انه تعلم من القديس اغناطيوس ان الرئيس اذا خاطب  
راهبه منفرداً معه وحده يجب ان يعتبره كما يعتبر الاب بنيه المزوجين واما اذا  
خاطبه بجماعة الناس رهباناً كانوا ام خارجين فعليه ان يقدم له من الاعتبار ما  
يقدمه الاخ لاختيه الاصغر

والقديس برناردوس لما انتخب تلميذاً رينود رئيساً عاماً وضع له هذه القاعدة  
المختصرة : ( ان اظهر ذاتك اباً حنوناً لاولئك الرهبان خاصة الذين تراهم  
كثيبين مضطربين يتذمرون عليك وان لغير داع . فانك اذا عزيزتهم هكذا  
وحضضتهم على خيرهم تكون قد عملت عملك وقت بما عليك وشفيت كلام  
اخيك لانك لم تعمل ما عملت الاً لشفائه . واذا وجد بين الاخوة من هم اصحاء  
ويعينونك في عملك فاطهر لهم نفسك ليس ككأب فقط بل كمحب وصديق )  
( رسالته ٧٣ )

واما هذه فلا تكون بدون مبادلة الحاسات واظهار سرائر الافكار لانه  
كما قال القديس توما ( ٢ : ٢ س ١٤١ ف ٢ على ١ ) : « اي لذة تكون في جمعية  
لا يفتح فيها احدٌ قلبه لآخر ويطلعه على شيء مما عنده بحجة الرزانة والامساك  
عن كثرة الكلام »

## الفصل السابع

في ان الرئيس حقيق بان يتخض جناحيه لمروثوسيه وينعطف عليهم  
بفرح القلب

كثيراً ما نرى بعض الرؤساء يرغبون في ثقة رهبانهم بهم ولا ينالونها ياتحون

عليهم بها فينفرون منهم ويبتعدون وقد تظاهروا لذلك ببعض البشاشة الملبسة  
غير ان مثل هذه البشاشة لا تصادف الا قلوباً صخرية فاذا رمت حقاً ان يثق  
بك رهبانك فارهم فعلاً حنوك وتعطيك عليهم فهذا ما يقتسرهم على ان يفتحوا  
لك خزائن افكارهم المكنونة لان القلب لا يسمع الا خطاب القلب والرهبان  
بهذا اعرف من سواهم لزيادة شحذهم اذوات القلب وسماعهم خطابه ولا يُجندع  
منهم الا من يريد ان يُجندع غيره

ان الكتب المقدسة والعالمية ايضاً تدعو الملوك اباء الشعب . فارسطاطاليس  
الفيلسوف يعتقد ان الدولة التي يرأسها ملك واحدٌ مثلها مثل العائلة بين الاب  
وبنيه . وفياون اليهودي يدعو الملوك اباء عموميين لا ينقصون بشيء عن الاءاء  
بالطبيعة من الرأفة والمحبة . وهذه الرأفة الابوية التي لا اساس لها الا المحبة  
اخالصة ترقب كل فرصة لكي تحسن الى الابن وترضيه . وهي تشارك الابن  
في افراحه واحزانه وفي سعادته وبؤسه . وهي تتأثر ايضاً لا لمصاب الرهبان  
انفسهم فقط بل لمصاب اهلهم واصحابهم ايضاً ولكل ما يزعجهم ويكدر  
خاطرهم وتسرع الى اجابة طلبهم قبل ان يطلبوا وترىهم في كل فرصة ان لا  
سعادة لها الا سعادتهم ولا فرح الا فرحهم . فتراها قبل ان تأمر بشيء تقدم  
السبب الداعي له لكي تخفف مرارته واذا رأت ان قد انجز ما امرت به تقدم  
الثناء والمديح . واذا جادت بشيء تفعله بقلب فرحان يزيد اكرامها اكراماً . لانه  
كما ان من يحتمل لاجل الله لا يكفيه ان يحتمل بل يجب ان يحتمل بصبر وفرح  
هكذا من اراد ان يرضي الناس لا يكفيه ان يقدم لهم بعض الخدم بل يجب  
ان يظهر انه مسرور بتقديمها والقديسة ترازيا ما كانت تأنف من طي اثواب  
الاخوات ولا من ترتيب كتبين ولا من ان تحمل لهن الضوء الى قلايين

وما اجمل واعجب الخطاب الذي القاه اثنديس اغوستينوس على شعب رعيته  
نهار تذكار سيامته السنوي لما فيه من كرم الاخلاق والالطف والرقه والصبر المقدس  
اذ قال : « اذا كنت احياناً لمزيد ارتباك بالاشغال لم انتبه او لم اصغ الى كلام  
البعض منكم ولما رغبوا فيه اليّ او كنت لغير داع نظرت الى البعض شزراً  
او بغير عين الابوة او اذا كنت كلمت احداًكم بجفاء او كنت اجبت احداً بما زاد

حزنه واضطرابه او اذا كان اتاني احد الفقراء وانا لمزيد شغلي لم انتبه اليه او تقاعدت عن اجابته او اجبته بما احزنه او اذا سكنت ونجحت احدًا على زلة لم يكن قد ارتكبها فانا اعترف بذنبي بهذه النقائص وبغيرها التي لا اتذكرها واقول انه لو حدث لوالدة موجودة في غرفة ضيقة مع اولاد لها أن عثرت فداست برجلها احدهم فهل بطل ان تكون والدة تحن على بنيتها فسامحوني اذا كي تسامحوا . الا تغفرون لصديق لكم محب هفوات فرطت منه على غير انتباه وانتم ملتزمون ان تغفروا لاعدائكم ما الحقوا بكم من الاهانات عن خبث ورداءة . واخيرًا ارجو منكم ان تبتهاوا الى الله جل شأنه كي يساعدني بالقيام في اعباء نفوسكم » ( عظة ٣٨٣ )

ورب معتذر يقول اني على جانب كبير من الرقة والمحبة لروثوسي لكني ان لم اقابلهم الا بوجه عابس مكفهر فانما ذلك حبا بخيرهم لئلا تورطهم الدالة او المحاسنة في الاستخفاف وقلة المهابة

فيالة من اعتذار كاذب لا يصدقه عاقل . انما تلك هي نقائص تورطت فيها عن طباع سوداوية لم تعتن في الابتداء بتحذيرها حتى انه صار يخيل لك لقساوة طبعك ان الدعة والبشاشة نقص وضعف وان التواضع نقص في العزم والشدة . وان كل ملاطفة للمروثوسين هي رياء ومواربة

نعم ان الحياة الرهبانية هي كفر بالذات لكن ليس للرئيس ان يقدم لمروثوسيه الاسباب والمحن للصبر والاحتمال فان الايام تتكفل بهذه وانما الرئيس مداو لها ومعين عليها



## القسم الخامس

في ان الرزانة رفيقة ضرورية للحزم

### الفصل الاول

ان رزانة الرئيس تتأق اماً من ذكر جلال الله الذي يمثله بشخصه واما

من بعض مزاياء الخصوصية

اذا شاء الرئيس ان يكون معتبراً ومطاعاً وجبت عليه المحافظة على سلطانه وهذه المحافظة تتتضي الرزانة في هيئة شخصه وفي سائر حركاته . واذا نسي الرئيس مقامه ينسى ايضاً المروثوسون واجب خضوعهم له . ومن اراد ان يكون معتبراً فعليه ان يعتبر نفسه بالمحافظة على الكمال

وبالحقيقة ليس السلطان الا قوة سرية يأمر بالخضوع والاحترام وهذه القوة لا تأتي عادة عن تقدم في السن او جسامه في القامة او جهارة في الصوت ولا عن توبيخات الرئيس مروثوسه بل يجب ان تنسب الى الرزانة والوقار الموقوف اولاً على ان يذكر المروثوسون دائماً ان الرئيس هو ممثل للجلال الالهي وثنياً على ما للرئيس من الهية الطبيعية

على انه ما من احد يوجب عليه ان يذكر جلال الله جل شأنه مثل الرئيس الكنسي قانونياً كان او غير قانوني . كيف لا وهو الحامل في شخصه صورته تعالى الحية البادية والظاهرة . ألا يشعر الرئيس في باطنه بهذه البسالة والعزم والثقة اذ يأمر بما يشاء فلا يكاد يترك شفتيه الا ليعمل بما يأمر به وقد اولاه السلطان شيئاً من الخدق والنباهة فوق ما لغيره وهو يجعله شريكاً لله في ابرازه الاحكام العادلة ويمكّم بالانصاف للانام اجمع . فبالصواب نوجه اليه كلمات القديس غريغوريوس التريزي التي قالها خاطباً في القسطنطينية بحضرة الملك وهي قوله : « اعتبر ايها الملك برفيرك واحترم سلطانك الذي هو جزء ولو صغيراً من سلطان

الله وتفهم سر الله العظيم في شخصك فما في الدنيا فهو له وحده واما ما هو على الارض فيعاسمك اياه فانت صورة الله على الارض فكن اذا خاضعاً له . » (عظة ٢٧ ع ١٣ )

وكما ان الرزانة تنبع بغزارة من ذكر الله واستحضاره فكذا الطبيعة نفسها تولي البعض سلطاناً وتفوذاً في سائر اعمالهم وبذلك تسربلهم بجلل الرزانة والمهابة .

قال غراسيانوس ( رجل البلاط مبدا ٤٢ ) ما ملخصه : « اننا نرى البعض يولدون بنوع ما مع شيء من الرزانة والمهابة وما ذلك فيهم عن تصنع او تكلف ولا عن تجبر او تعسف بل عن سمو فكر وسعة صدر فلهم الدالة وسماع الكلمة حيثما حلوا . نرى الجميع يفتحون لهم اذناً صاغية واعية وقلباً رجباً مفتوحاً لاعتبارهم واحترامهم كاناس متراين . فينقاد الجميع لما يأمرون به انقياداً اعمى دون بحث ولا تدقيق فكأن السلطة خلقت لهم او كأنهم خلقوا لها فهم يأسرون اولاً القارب مجبهم واعتبارهم وبعدئذٍ مها قالوا او فعادوا ولو كان مما يتوله او يفعله الجميع يظهر ويعتبر كأنه منزل بقوة وحكمة سماوية . وبهذا يفوقون كل من فاقهم علماً وشرفاً وفضيلة »

## الفصل الثاني

ان رزانة الرئيس قائمة في ان لا يذهب بمجهوده مذاهب النسوة والجفاء ولا مذاهب الدالة المفرطة التي تحاكي

## الغنج والتدلل

قد كتب القديس برناردوس الى تلميذه البابا اوجانيوس راسماً له رسم الرزانة الحقيقية قال : « اعتصم بالرزانة ولتكن رزانتك بعيدة عن النسوة والغلظة وعن الدالة المفرطة التي تحفض من شأن سامي المقام . فان القسوة تقضي عنك المحتاجين وقاصدي غوثك . والدالة تقضي بك الى الطيشان وقلة النظام . اما الدالة ذات الرزانة فتولي الرعية الثقة بك ولا تدعهم يميلون الى هتك حرمة رسومهم وفروضهم

الا ترى ان من اعلن لرعيته القسوة والغلظة اضحى ممقوتاً ومن ابدى لهم الدالة المفرطة امسى مهاناً منهم ومحتتراً . فالرزانة التي اكلمك عنها هي قائمة في ادب الهيئة الخارجة وفي هدوء البشرة وصفاء الوجه وفي الحكمة والفطنة في الحديث وهي تبغي الادب واللياقة في كل اعمالها ولا تبدي عملاً الا بمقدار بغير تصنع ولا تعسف . وتبغي البشاشة من دون طيش والوفاء من دون حلف وتريد الاحتشام من دون كبر والدالة بدون دناءة .

وقد كالم ايزوكرات تلميذه نيكوكايس الملك الشاب بمثل كلام القديس برناردوس المتقدم ذكره قال : « اجتهد بان تجمع بين اللطف والورانة فالرزانة جديرة بالسلطان السامي واللطف زينة الهيئة الاجتماعية . وان الائتلاف بين هاتين السجيتين لغاية في الصعوبة لان من افراط في الرزانة اخذ عادة في الكبر ومن افراط في اللطف والوداعة سقط في صغر النفس والجبانة مع ان كمال الرزانة واللطف لا يتحملان شيئاً من الكبر والجبانة

وقد كتب اوسابيوس الاميري عن الطربايوي مكسيموس الاستقف ما نصه : « ان شهامة نفسه كانت ترمي اشعتها على جسده كله فكنت تحال التداسة مطبوعة على وجهه فان سار فخطوه مسترٍ ثابت وقدمه في الارض مكيئة راسخة وأحاطه تلتقي المهابة وتأسر اعداء القضية . واذا خافه الناس لاجل رزائنه اجبوه ايضاً لاجل لطفه وكنت تراه يسكن سطوة سلطانه بتواضعه وسكينته واذا ابدى بعض التهديد فكانت رقة قلبه تبدي البشر واللطف . . . وكان جامعاً لفضائل شتى . فحيّاه كان محياً القديس بولس وعقله عقل القديس بطرس وفي توبيخه الخطاة كان اشد ميلاً الى الرحمة منه الى العدل فكان الخطاة لا يطيقون الوقوف بحضرته ولا يودون الابتعاد عنه . »

وقد قال القديس غريغوريوس في كلام ايوب : « واذا نظرت اليهم - م ( الى عبيدي ) باشاً ضحوكاً فما كادوا يصدقون » ان حقيقة هذه الكلمات التاريخية مآلها ان هذا الرجل القديس كان يخافه ذووه ويهابونه حتى في نفس بشاشته لهم ومما جاء عنه ايضاً انه « كان اباً للفقراء ومعزياً للارامل » وباللهجب كيف جمع بين البشاشة والرزانة حتى انه كان موموقاً وموقراً معاً من الجميع . وهذا تعليم

لارؤساء ليجمعوا بين المشاشة والوقار بنوع ان لا يمتنهم احد لاجل طيشهم وخفتهم ولا يمتنهم لاجل قسوتهم وغلظتهم لاننا ان جاوزنا الحد بالمحافظة على العدل نضحى ظالمين غير عادين . وان افرطنا بالمزاح والافراح الباطلة رفعنا من قلوبهم المهابة والاحترام لنا لانهم من افراحنا المفرطة وان جائرة يسوتغون لانفسهم الافراح غير الجائرة وخرق حرمة الاداب

وعليه فاذا شاء الرئيس ان يبقى موقراً من مروثوسيه ولو هش لهم وآنسهم فيلترم الا ينح ولا يضحك الا ومخافة الله في قلبه لان مخافة الله تقضي من القلب الافراح المفرطة . قال ايوب : « اني خشيت الله دائماً كبحر مزبد فوق رأسي » فيخشيتة الدائمة من احكام الله كانت تجعل عبيده واماً ، لا يصدقون متى رأوه باشاً او ضاحكاً

### الفصل الثالث

في ان الكلام بدون تروٍ وتدبر يضر برزانة الرئيس ضرراً كبيراً

قال ابن سيراخ ( ٢٤ : ٩ ) : « يُثني على عمل الصانع لاجل ايديهم اما رئيس الشعب فانه حكيم لاجل كلامه » لان من الرئيس تتوقع العظام . قال ايوب البار ( ٢٩ ) : فكانوا يستمعون من فمي الاحكام العظيمة وينصتون لمشورتي وعلى كلامي لا يزيدون شيئاً .

ولا يكتفي الرئيس ان ينطق باحاديث الحكمة والصلاح بل عليه الا يفوه بشيء الا في وقته . قال ابن سيراخ ( ٢٢ : ٢٠ ) : يُرذل المثل من فم الاحمق لانه لا يقوله في وقته . وقال الحكيم ( ٢٣ : ١٦ ) « قلب الحكيم لفقّه فمه ويزيد شنتيه فائدة . اقوال النعمة شهد عسل عذوبة للنفس وشفاء للعظام . » وقال ايضاً ( جامعة ١٠ ) : « اقوال الحكيم تجعله شهياً واقوال الاحمق تلقيه في الهاوية » والكلام بغير اوانه لا يكون غير شهوي فقط بل يكون مضرّاً بصاحبه ايضاً . قال الحكيم ( امثال ١٢ : ٦ ) : « كلام المناقطين كمين للدم وفم المستيمين يتنذهم » وقال ايضاً ( ١٣ ) من ضبط فاه صان نفسه ومن فتح شفتيه فحظه للدمار .



فلا ينبغي التكلم إلا حيناً تدعو لذلك الحقيقة أو المحبة أو الخير العام  
وبغير ذلك فيكتفي الرئيس بالإشارة أو بوجيز العبارة فالصمت في وقته هو له  
أبلغ فصاحة . أما الغلو في الحديث والوعد النارغ والوعيد لغير داع ودون انجاز  
والتعريضات الكاذبة والنسيمة خاصة إنما هي كلها خافضة من شأن الرئيس  
ومضرة بسلطانه

هذا ولما كان الناس يحكمون على معرفة الرئيس وذكائه من حديثه وكان  
قلما يجدون فيه من الفضيلة وسمو المناقب كما ينتظرون فيلتزم أشد التزام ألا يفوه  
بشيء يشير إلى الخفة والطيش . لأنه لا فرق عند الناس بين الرئيس الطائش وبين  
العاري من الفضيلة

قال ساويدرا : « ان في كلام الملك ومنه اعتباره أو اهانتة لان الناس  
شديدو الميل إلى التقاط كل كلمة تخرج من فيه فيطبعونها في مخيلتهم ويتأملونها  
ملياً ويمرّفونها لجملة معانٍ ومقاصد ويتصورون فيها الاسرار والغوامض وعليه  
فينبغي ألا يفوه ببنت شفة إلا بعد ان يعم النظر في ظروف المكان والزمان  
والاشخاص لأنه اذا ما فاه بكلمة على غير انتباه فلن يقدر على اصلاحها بالندم  
والتأسف . وسنداً على هذه الحقيقة كان الملوك الرومانيون لا يدعون احداً  
يخاطبهم إلا خطأ ولا يجاوبونه إلا كذلك حذراً من زلل اللسان ولكي يكون  
لهم بذلك وقت للتروي والتدبير اهـ

قال غراسيانوس : « ان من لا يعتبر نفسه يفتح سبيلاً للجميع الى ان لا  
يعتبروه » اما بليوس فزاد على ذلك بقوله : « ان ذا المقام السامي لا يحتقره احد  
ما لم يحتقر هو نفسه بطلبه الخسائس الوخيمة . » ومن اعتبره العموم احمق فلا  
تعتبره الخاصة حكيماً . ورب رجل لاجل اتباعه اميال الحرية فقد في يوم واحد  
من اعتباره ما لم يربحه ب ستة اشهر في طلبه الرزانة والادب . ولا شيء يحقّض  
من شأن ذي السلطان مثل تظاهره بأنه ميّال للضعف الانساني لان تعلقه باميال  
الطبيعة البشرية لا يدعه معتبراً عند العامة انه شريك للاهون في سلطانه . لان  
مع الخفة لا سبيل الى السمعة الجيدة . وكما ان الرجل الرزين يُعتبر كأنه اكثر  
من رجل او يفوق جنس الرجال هكذا الرجل الطائش يعتبر كأنه اقل من رجل

او ليس من جنس الرجال . ولا شيء . يضاد السلطة مثل الخنة لانها تضاد الرزانة  
فليس من رجل فيه خفة يعتبره الناس فطناً او عاقلاً . ولا سيما اذا كان ميالاً  
للرذيلة لان الخنة كما قال جان روثو « ولو كانت في الاطفال لطفاً فهي للرجال  
البالغين خجلٌ وللشيوخ حماقة »

وكما ان الرجل الرزين يُشاهد على محياه القطنة والادب فهكذا ذو الخفة  
والطيش لا يكون نصيبه من الناس الاً الهوان وعدم الثقة كالرجل الكذوب

### الفصل الرابع

في ان رزانة الرئيس تتوقف كثيراً على كيفية جلوسه مع مرؤوسيه  
للتزده او للمحاورات

انه لصعب جداً على الرئيس ان يحافظ على الرزانة والبشاشة معاً بنوع ان  
يكتسب حب الاخوة ولا يخسر شيئاً من اعتبارهم له ويصعب ايضاً الاً يستط  
ابداً بمحاوراته معهم في بعض الخفة التي لا تليق بمقامه ولا بمقام راهب فاضل  
فالرئيس الذي يبتغي ان يحافظ على رزاقته ومن ثم على سلطانه ايضاً يفتح  
قلبه للاخوة لكنه لا يطلعهم على اسراره كلها واذا التى عليه الاخوة بعض  
السؤالات فيجيبهم بكل بشاشة ويسألهم كذلك الاً انه لا يقطع حديث احدهم  
ولا يتخذ لنفسه الحديث بأسره حذراً من ازعاجهم ولئلا يظهر لهم انه قلما يعتبر  
كلامهم . وبهذه المحاورات العمومية لا يكثر لما يلحظ من النقص في البعض  
ولا لما يقال له عنهم لانه لا يناسب اظهار السلطة الاً بوقتها وعلى انفراد وعند  
مسيس الحاجة

ومن الناس من يعيرون الرئيس اذا رأوه يخاطب الاخوة بحبر واخاء ومنهم  
يعيرونه اذا رأوا في حديثه او على وجهه شيئاً من علامات الرزانة والوقار .  
والحق يقال ان في الافراط والتلو اخطاراً ومعاطب ومن رام النجاة فعليه ان  
يتذكر دائماً انه رئيس وذو مقام سام ولا ينسى انه انسان مشارك لمرؤوسيه  
بالطبيعة واخ لهم

وقد رسم الاب سكريباني في كتابه المسمى رئيس الرهبان (ف ١٦ : ٠٠) رسماً ليسلك بموجبه الرئيس بالامن في مثل هذه الظروف قال : « كن في التتزه مع الاخوة كناظر لا كعامل . فانك وان كنت تفوقهم في امور شتى فيشق عليك ويضر بك ان يفوقوك علناً ولو في شيء طفيف للغاية . لان شرف السلطة يطلب الا تغلب في شيء البتة . وعليه اذا دارت المحاوره في امور علمية كفن التاريخ او الفصاحة او الشعر او الحساب او الفلسفة او اللاهوت او غير ذلك فاحذر ان تبدي رأيك مائلاً لاحدى الجهتين وان ابديته فلا يكن ذلك بحجة بل بلين ورقة . لان انتصارك على مروثوسيك لا يوليك فخراً بمقدار ما يوليك انكسارك منهم هواناً وربما كان ذلك سيئاً لقلّة اعتبار اوامرك ونواهيك

وعندما تكون في التتزه مع الاخوة فاجتهد ان تكون مع القليلين لتنجو من المشاجرات التي تنشأ بين الجماعات الكثيرة العدد . واننا نرى في العيال الشريفة ان الآباء العقلاء والافاضل يأبون بحضرة اولادهم كل دالة والاعاب صبيانية حذراً من ان يضعوا ذواتهم بمنزلة اولادهم فيخسروا ما لهم عندهم من الهيبة والاعتبار ومن المبادي الفاسدة قول البعض ان على الرئيس الا يدع احداً يراه وقول غيرهم ان عليه ان يكون ذا دالة مع الجميع : لان في المبداء الاول غلظة بربرية وفي الثاني خسة ودنائة اما الطريق الامينة التي يجدر السلوك بها فهي الوسطى لانها ناجية من كل محذور

هذا ومن تأمل ملياً ورام الاقتداء بحياة السيد المسيح اذ كان يفاوض تلاميذه بالاحاديث الالهية سهل لديه ان يلقي السلام بين رهبانه وان يكون لهم قدوة مقدسة دون تكلف ولا تصنع

## الفصل الخامس

في ان رزانه الرئيس تتوقف ايضاً على ثباته وعدم تقلبه في سياسته واخلاقه

ان الرئيس حال دخوله في مهمة الرئاسة يترتب عليه ان يعين النظر في غاية

الكمال المطلوبة لهبانه كي يدرجهم اليها على ممر الساعات والدقائق . ويترتب عليه ايضاً ان ينعم النظر في اخلاق نفسه وطباعها لكي لا يكلفها في امر سياسته فوق طاقتها او ضد اميالها

وبهذه الوسطة يمكنه ان ينجو من التقلب في سياسته . ومن البين ان كلاً من الناس لا يستطيع استعمال كل من الوسائط بل لكل منهم شي . منها . فان هذا مثلاً لحدة طبعه وفضاظة اخلاقه لا يستطيع امساك نفسه عن اظهار عدم رضاه وذم ما يراه ملوماً وقد يتجاوز بذلك الحد . وعوض الاصلاح الذي يبتغيه فانه غالباً يشعل نار الضغينة . فمثل هذا كان الاجدر به . ان يتظاهر بالانانة ولين الجانب وليس له ان يتصور ان ذلك ليس بوسعه لانه ولو تأججت نار الحركة والحدة فيمكنه مع ذلك ان يحافظ على مقامه ومهابته ويبقى له زمان لاظهار سلطانه ولا خوف من عدم طاعته بعد حين . ومن الرساء من بصدق مقالهم وعذوبة كلامهم يكتسبون قلوب سامعيهم واعتبارهم فحسب هولاء ان يقولوا كلمة او يظهروا ارادتهم فقط حتى تطاع او امرهم بكل رضى وسرعة . ومنهم بعكس ذلك فانهم وان اظهروا اللطف والبشاشة فلا يجلبهم مروءوسهم ولا يهابونهم ولذلك كان الاجدر بهم باظهار ما عندهم من الاستقامة وصفاء النية بدون تكلف ولا تصنع

فيا ما اصدق ما قيل انه لامر فظيع في السياسة ان بعض الرساء المفطورين على لين الاخلاق والحيانة يأخذون بالقوة والشدة في انجاز مقاصدهم وسائر اعمالهم وغيرهم من يكونون قد اشتهروا بالحماسة والجرأة يأخذون في مقاصدهم بالضعف والركاكة فالاثبات لمثل هذه المقاصد لانها ليست راسخة على قدم الطبيعة . الا ترى ان شجرة البلح ولو خفض رأسها للارض ففيا سر يرفعها حالاً الى العلاء

واقطع مما تقدم ان بعض الرساء الذين قد عرفوا واشتهروا بانهم متقلبون ولا ثبات لهم في سياستهم يجزمون احياناً على الفور في بعض القضايا ويصررون عليها اي اصرار حتى انهم لا يلوون عنها ولو معها تفاقمت وتعالَت تشكيات مروءوسهم غير العارية من الصواب

وان قال قائل : ان السياسة التي لا ثبات عهودها ولا رسوخ لقدمها في



وعدٍ او وعيد لا يكون لها نفوذ ولا مأخذ في قلوب المرووسين قلت لا انكر ذلك على اطلاقه غير ان معاسفة الروساء اخلاقهم وطباعهم لا كبر ضرر في مصالح سلطانهم وشرفهم لانهم بهذه المعاسفة يمسون اضحوة لكل ناظر منتقد وليتأكد كل رئيس ان علامات الكآبة والحزن على ملامحه لمن شأنها ان تربي البعض فيه الجبانة وضعف التلب وتبعد البعض الآخر عن الثقة فيه والاتجاه اليه عند حاجتهم . وليحذر من ثم ان يكشف ارووسيه ما عنده من ضعف الطبيعة ولا يظهر انه مكترث لا يختص بشخصه بل انه موجه كل عنايته وهمه الى مصالح الاخوة واذا حلت به بعض النكبات المخرنة فلا ينبغي لها ولا يتضعع بل فليظهر البأس والتجبد ليكون بذلك قدوة للناظرين الذين عندئذ يقررون له بعلو الشأن والسيادة . لانه لا كان المرووسون ميالين الى تخريج احزان الرئيس وكآبته مخارج مختلفة وجب الا يبدى على محياه الا هيئة واحدة هيئة الرضى والسكون واذا تفاقمت عليه المصائب وضاق بها ذرعاً فليتخذ له اخاً مخلصاً يكشفه اسرار قلبه فيستطيع بذلك كتمان كل ما يريد على الجميع . وليذكر خاصة انه رجل الجماعة وليس هو لنفسه ومن ثم يتحتم عليه ان يمسك نفسه عن كل حركة غيظ واضطراب امام الجمهور وامام نفسه ايضاً كلما اضطره لذلك اخير العام وعليه الا يلتفت الى ما يلقاه سراً من اغفال البعض عما له عليهم من حق المهابة والاحترام والأيهين احداً بتوبيخ مرء اليم بل يحمل الجميع على طاعته دون عنف وكره . واذا اضطره الامر للتوبيخ فليكن بما قل ولطف وبالاخص فليكن ذا صبر عجيب في كل ما تبغيه العناية الصمدانية

فهنيئاً لجماعة تتمتع برئاسة رجل ثابت الجنان لا يتقلب في اعماله مع كل ريح فيعرفون لقلبه باباً لا تغلقه عواصف الاميال المنحرفة وهو ممسك بيده ابدًا ذمام افئدتهم فلا يعرضون عنه لهاجر او قول قاتل

## القسم السادس

في ان فضيلة اللطف تقتضي ايضاً عناية ابوية باحتياج المروثوسين

### الفصل الاول

في ان هذ. العناية هي من خصوصيات المحبة الرسولية

ما من محب للفقر والامانة اكثر من السيد المسيح ومع ذلك فكانت عنايته بمجاعات تلاميذه عناية والدّة شفيقة . فقد قال لتلاميذه (لوقا ٢٢) : « لما ارسلتكم بلا كيس ولا زود ولا حذاء هل اعوزكم شي ؟ قالوا لا . » ويقول في ذلك القديس كيرلس ان السيد المسيح له المجد قد اتى عرس قانا لا ليأكل ويشرب بل ليعتني بضرورات اصدقائه . ولما اعطى تلاميذه ان يصطادوا ذاك الصيد العجيب فبينما كانوا مشغولين بعد في شباكهم اعد لهم بيديه الالهيتين المأدبة كأب رحنون ولما انتهى دعاهم ليأكلوا واراد ان يخدمهم بذاته على المائدة . ولما رأى انه لم يكن لهم فرصة للاكل لكثرة القا.مين والذاهبين قال لهم « هلموا وخدمكم الى موضع قفر واستريحوا قليلاً » (مز ٦) وقد اعلننا القديس اكليمنضس ما كان اخذه عن القديس بطرس : « ان السيد له المجد لما كان ينام خارجاً مع تلاميذه في الايام الباردة كان يقوم غلساً ويفتقدهم ويغطي ارجلهم المكشوفة ولم يأنف ان ياخذ بيده اللحاف الذي كان عليهم ويضعه حيثما يجب وضعه . . . . ولما رفع عينيه ذات يوم ورأى جمعاً كثيراً متبلاً قال لفيلبوس : من اين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء . . (يو ٦) وبعدئذ تحن وصنع تلك الاعجوبة .

ولما كان الرهبان افقر الفقراء لتعريضهم عن كل شيء واكثر شياً بالسيد المسيح لانهم اخذوا على ذواتهم الاقتداء به فلا غرو انه لما قال (متى ٢٥) « جعت فطعمتموني وعطشت فسقيتموني . . . الحق اقول لكم ان كل ما فعلتموه مع

اخوتي هؤلاء الصغار في فعلتموه»

ان القديس بولس الرسول وريث معلمه الالهي في المحبة كتب لتلميذه :  
تيموتاوس (١ تيمو : ٥) « لا يكن شرابك الماء فيما بعد بل خذ قليلاً من الخمر  
من اجل معدتك وامراضك المتواترة» يريد هذا الرسول الغيور ان تضاعف  
العناية بضرورات اولي التقى الذين يغارون على مجد الله . وخدمة الكنيسة جزاء  
اتعابهم الروحية . قال « وليحسب الكهنة الذين يحسنون التدبير اهلاً لكرامة  
مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم فان الكتاب يقول لاتكم  
الثور في دياسه وان العامل مستحق اجرته » (١ تيمو ٥) وكتب الى طيطس (ف ٣)  
« اجتهد ان يسبقك في السفر زيناس وابولس وان لا يعوزهما شيء » وبسائر  
رسائله تراه ينشر فضل اولئك المعتنين بخدمة الانجيل ببذلهم ما لهم وخدماتهم  
وكأنه اراد ان يرسم رسماً موبداً لخدمة الانجيل الحاضرين والمستقبلين اذ قال  
(١ كور ٩) « أليس لنا حق ان نأكل ونشرب . من يسعى الى الحرب والنفقة  
على نفسه او من يغرس كرماً ولا يأكل من ثمره او من يرعى قطعاً ولا يأكل  
من لبن غنمه ؟

نعم ان اقوى الشهادات التي قدمناها تلاحظ خاصة خدمة الانجيل اي  
المعلمين العاملين بالانذار في كلمة الحياة الا ان كل من قطع نفسه عن ملاذ العالم  
ووقفها لخدمة الله في عمل البركان ولو على غير الاستقامة خادماً للانجيل وروحياً  
مثلهم ان يُعنى بضروراته الزمنية

## الفصل الثاني

في ان هذه العناية بضرورات المروءسين الزمنية هي  
الكفيل لحفظ النظام الرهباني

ان هذه القضية ثابتة بحقتها الاختبار اليومي لان من طباع بعض الرهبان  
وربما كانوا الاكثرين الذين لا نرى شيئاً يحملهم على الثقة برئيسهم واعتباره والانتقاد  
لكلمته مثل عنايته بضرورياتهم الزمنية لاننا لما كنا ميالين طبعاً الى حب ذواتنا

ومصالحنا الخاصة فكنا نفضل خيراً إلخ على أعظم العجائب . فما الذي حمل ذلك الشعب الفقير على أن يتبع السيد المسيح إلى البرية ويرغب في أن يقيمه ملكاً عليهم سوى أنه قد أشبع جوعهم . وعليه فكل من عمل معاً خيراً لا يغفل أيدينا وأرجلنا فقط بسلاسل حبه بل قلبنا أيضاً بنوع أنه لا يشق علينا عمل فيما بعد حباً بمرضاته وإيفاء لمعرفه وجميله

وبالعكس إذا بخل الرئيس بهذه العناية فإنه لا يلتقي من مروّسياه إلا مخالفة أوامره والتدمير والتشكي داخلياً وخارجاً بل يمتثلون على ارتكاب ما هو منهي عنه وأخيراً يفسد روحهم ويتلاشى كل نظام وكل روح رهباني

قال لانسوس ( الراعي الصالح : « لا تثقن بأن الرهبان يقومون بواجباتهم بغيره ورضي إذا ما شاهدوا رئيسهم ييخل عليهم بضرورياتهم ولا يصدق ما يعرضونه له من حاجاتهم ومصائبهم بل يجيبهم بغلظة وجفاء كأن يقول لهم : إنما هذه منكم أوهام وتخيلات باطلة . أو أغراض نفسانية . أو كلف بالزمنيات التي لا يابق بالراهب أن يكون عبداً لها

وقالت القديسة تريزيا سانتال ( اجوبة على هذه القاعدة ) أن الفقر لفضية مقدسة ومحبوبة وأما إذا أفرط فيه فيكاد الأ يبقى فيه روح بل جسم فقط ويتخطاه الكثيرون وعلى الأقل النفس الضعيفة في القضية . وأما الإبطال في القضية الذين لا يبتغون إلا تتميم إرادة الله فيهم بالتدقيق فلن يعوزهم خبرهم اليومي ولا شيء من ضرورياتهم البالغة . »

ومما يؤيد ما قدمناه تعليم القديس غريغوريوس حيث قال ( الراعي ق ٢ ف ٦ ) « أن أكثر الرُوساء يسهرون على رعاياهم غير أنهم يقصرون سهرهم على الأمور الروحية وأما ضرورات الطبيعة فقلما يهتمون بها ومن ثم لا يرون لكلامهم وقفاً في سمع مروّسيتهم ولا احتراماً ولا غرواً فإن من توبخه على رذيلته ولا تعني بحاجاته الزمنية لا يعتبر نصحك ولا توبيخك من باب الإخلاص لأن المحتاج لا يعرف أن يتناول حقيقة إلا من يد المشفق عليه والمساعد له

وعليه فإن لم تسق من غيث المحبة والاسعاف زرع إرشادك وتعاليمك فقلما تراه مقبلاً . فعلى الراعي اليقظ إذاً أن يعتني بخير النفس والجسد معاً لأن لكل منهما



حاجات . والواعظ الذي لا يكسر إلا خبزاً واحداً او لا يعتني إلا بنوع واحد من انواع الامراض المختلفة لا وقع لكلامه ولا اعتبار  
فاذا من يعطي كثيراً له ان يطلب كثيراً لان الرئيس المعتني بحاجات مرووسيه  
عناية ابر حقيقي يقدر في كل ساعة ان يقول لهم : اذا كنت انا ابذل كل جهدي  
كما ترونني في ما يرضيكم وتحتاجون اليه فباي غيرة وخلص يجب عليكم ان  
تقوموا بعبي واجباتكم وتتقدموا نحو كمال دعوتكم فعليكم اذا ان تعبدوا  
ذواتكم نسياً منسياً والآن تفكروا الآن بخدمة رهبانيتكم خدمة نصوحة عن  
طيبة خاطر لانها امكم وتسهر عليكم سهر الوالدة وتحتضنكم في احشاء محبتها  
ولا تحشوا اضعاف قواكم في خدمة مجد الله فانا قائم لاسعافها وتسكين حرارتها  
الفرطاة

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

في ان هذه العناية بالزمنيات لا يجب ان تتوقف على اللازم والضروري

فقط بل عليها ان تبادر الى عمل المعروف قبل

طلبه وقبل الحاجة اليه

انه لما كانت الوسائط تقدر بمقدار طلب الغاية كان نظام المعيشة يختلف في  
الرهبانيات على موجب اختلاف النظام والرسوم في كل منها . الا ترى فرقاً عظيماً  
بين رهبانية أنشئت للنسك والتقشف ورهبانية اخرى لم تتأسس الا لاجل التعليم  
والانذار ومع ذلك فوإن كان من الضرورة الفرق بين عيشة هؤلاء وعيشة  
اولئك وكان الفرق منبذاً عند اهل النسك بنوع خاص فسعة العيش ونعمته  
واجبتان في كل رهبانية

وكما ان الراهب ملتزم ابداً ان يجب الامانة وشطف العيش فالرئيس يلتزم  
ان يسعى في العيشة المرضية لمرووسيه بشرط الا يخرج عن روح رهبانيته وعاداتها  
وهذا ما يتكفل بحفظ السلام والنظام الرهباني . وعليه فالرئيس ملتزم لا ان يقدم

الضروري لسد الجوع ودرء البرد ووقاية المرض فقط بل من واجباته ايضاً ان يعتني بما ياتي بحالة كل فرد من مروتوسيه ومقامه على ما تقتضيه عادة المكان والزمان

واذا طلب احد شيئاً خاصاً فعلى الرئيس حينئذ ان ينظر في امر هذا الطالب اعني من هو الطالب وما هي غاية طلبه وما هو الخير الذي يبتغيه منه وما عسى سائر الاخوة يفتكرون بتبليته هذا الطلب او يرفضه . وهل من ضرر يلحق بالرسوم والعادات واذا وجد ادنى مسوغ للإجابة فليجب ملتسماً بطيبة خاطر ولو كان بذلك بعض المغايرة للعادات القديمة . وقصارى القول انه لما كان الرئيس اباً وجب ان تتناول عنايته كل ما ينبغي لمروتوسيه سواء كان من امر الكسوة او السكنى او الخدمات او المهمات او السفر او الخ

ولا ينبغي انه قد يوجد بين الاخوة من يكون بالطبع جباناً هيأة بل رعشيشة ايضاً ( نهاية في الجبن والرعدة ) فمثل هذا يتحمل عسراً مهما حل به من المصائب ولا يفوه بكلمة خوف ان يظهر كثيفاً غليظ المعاشرة . ومنهم من يحمل حب الامانة والتعشف على ان يجني عن الجميع اشد الآمه واوجاعه . ومنهم من لا يدعهم حب الترفع والكبرياء ان يتضعوا ويبينوا للرئيس ما هم عليه من الناقة والحاجة بل هم اما يتحملون مصيبتهم لوقت واما يتخلصون منها بطرق سرية ولو غير جائزة وعليه فالرئيس اللبيب والمزدان بشعائر المحبة هو الذي يرى حاجات مروتوسيه قبل حدوثها ويقدمها لهم قبل ان يطلبوها لان عمل المعروف قبل مسيس الحاجة اليه هو معروف مضاعف ولا شك ان الشيوخ والضيوف والعاماون الاعمال الشاقة هم اجدر من الجميع بعناية الرئيس واشفاقه . فعلى الرئيس اذا ان يسهر كل السهر على ألا يقول احد من الرهبان كلمة او يعمل عملاً يمس حاسات الشيوخ ويحث الجميع على ان يرثوا لعجزهم ويعينوا ضعفهم والأياثفوا من طلباتهم وان لغير داع وعلى الرئيس خاصة ان يعفيهم من الاعمال التي لا يقوون عليها وان يقدمهم على الجميع بالاحترام والاحترام . واذا رآهم عاجزين عن كل عمل فليذكر ما كان لهم من الاعمال الحسنى والايدي البيضاء في خدمة الرهبانية والان فهم لنا نموزج في سيرتهم الفاضلة ودعائهم للرهبانية بصلواتهم الحارة المتواترة وعنهم اخذنا

## الروح الرهباني المقدس

وبين سائر الشيوخ فالروساء السالفون هم الأجدر بالتعجلة والاحترام وان تفوض اليهم المهام التي يستطيعون بعد اتيام بها لان لهم بذلك سلوى وتعزية واجبة لشيخوختهم ومما يسرهم جداً ويُدبر بالروساء الحاليين هو اعتبار رأيهم والرجوع في بعض الامور الهامة الى قولهم واختبارهم

٢ وعلى من يقري الضيوف ان يذكر قول السيد له المجد ( متى ١١ : ٢ )  
« من قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل الذي ارسلني » . وقول الاناء المصطنع في رسالته الى الرومانيين ( ١٣ ) : « لتستمر فيكم محبة الاخوة ولا تنسوا محبة الغرباء لان بها اناساً اضافوا ملائكة وهم لا يدرون اهـ

فنعم الخطاب وحذا المواعيد فمن يقري الضيوف ويعتني بحاجاتهم فانه لا يقري اصدقاء او اخوة فقط بل قديسين وملائكة بل يسوع المسيح نفسه لهذا ومخلصنا ومن نراه يُنشى الفقر اذا ما اضاف على مائدته وتحت سقف بيته رب الغنى واله كل خير . .

ومن كان له عادة في السفر والتغرب يعرف ما للبشاشة والترحيب في الضيافة من اللذة والاعتبار ولا غرو ان الرئيس يلتزم بان يضاعف عنايته بالفعلة العاملين بكرم الرب الباذلين ذواتهم في اعمال المحبة والغيرة الرسولية وان يسهر عليهم وينظر هل يعملون فوق قوتهم في اعمال الغيرة او اماتة ذواتهم وهلا يحتاجون بضعة ايام الى الراحة والتزهر

ان القديس اغناطيوس على ما يخبرنا عنه ( ريبادنيرو ) كان يهتم اهتماماً خاصاً في صحة تلاميذه العاملين في خير الانفس وكان من عادته ان يقول : « ان صحة واحد من هؤلاء العملة الغيورين هي علة خلاص انفس كثيرة وعليه فالعامل الانجيلي مدين بصحته لله ولل قريب » وكان يوصي الروساء بالان ينسوا الفقر في كرمهم ولا الكرم في فقرهم اعني ان ينبذوا الاسراف الذي من شأنه ان يحمل على البطر والخطاء والآن يخلوا في شيء من لوازم الراحة والفضيلة وكان يوصي الاخ المقلد مهمة الشراء بالان يتباع الا الاشياء النفيسة لا الخسيسة ولا المتناهية في النفاسة . وذات يوم اذ لُحظ رئيساً مخالفاً هذه القاعدة امره بان يشتري من السمك

اجوده وافخره لكل الجمهور وذلك ليس حباً بالتبذير او بنعمة العيش بل بالخصوص  
قماً لبخل الرئيس الذي كان اشترى الحسائس لاجل نجس الثمن  
وقد كتب الطوباوي (كاتيزيوس) نجبرنا عن نظام ديرهم في رومية قال :  
«انك تتعلم فيه القتر ممزوجاً بالكرم والجود . والطاعة بالحرية . والتواضع بالشرف  
واخيراً محبة يسوع مصلوباً . وكل مرة اتذكر هذه الفلسفة السامية وهذه  
النموذجات الملائكية اشعر باسف زائد لانني لم استطع ان امكث هناك مدة  
اطول لزيادة الشفقة بذلك

## الفصل الرابع

في ان من واجبات الرئيس ان يعتني بالمرضى من مروضيه عناية ابوية

قد رسم لانسيوس لهذه الغاية قاعدتين . الاولى هي ان يخاطب الرئيس ذاته  
هكذا : ولو كان الرئيس العام او احد المديرين مريضاً عندي فاي عناية كنت  
ابذلها في خدمته او لو كان ابي او امي او اخي او اختي . . . او لو كنت انا  
مريضاً فكيف كنت اعامل ذاتي فهكذا يجب ان اعامل اخي الراهب متى  
كان مريضاً

والثانية ان تلاحظ ما يعمله الابوان مع بنيهما في مرضهم واعمله انت في  
مروضيك ولا يُطلب منك ان تكون كافياً بمروضيك بعواطف تحاكي عواطف  
الوالدين بل يكفيك ان ترغب رغبة صادقة فعالة في خدمتهم وان تقدم لهم بطيبة  
نفس دون اشمزاز كل ما يحتاجون اليه وينتظرونه من محبتك الابوية وهذه الرغبة  
المخلصة لا تنتظرها من مفاعيل الطبيعة بل اطلبها من فوق من روح الايمان المقدس  
واعلم هذا وتعلم ان الوالدة لا تكثني بان تحسن الى ولدها بعواطف الرقة  
والشفقة بل تبذل كل جهدها في ان تساعدته فعلاً في كل ضيقاته وكلما رأته فقيراً  
ومحتاجاً وغير منعم عليه من الطبيعة بحسن الخلق او الخلقة كلما احنت عليه اضلاعها  
ورغبت بمساعدته اكثر من سائر اخوانه وتراها بالنظر الى الاصحاء والمنعم عليهم  
مسرورة مبتهجة واما بالنظر الى المضنكين بالمصائب فخرينة كئيبة بل تشتهي ان



تساعدهم وتتحمل بلاياهم

وقد جاء في سيرة القديس انسلمس انه : « كان للاصحاء من مروثوسيه اباً واماً للمرضى فاماً بل كان اباً واماً معاً للجميع ولهذا كان تلاميذه يرتاحون جداً الى مكاشفته بكل اسرارهم »

ولا مشاحة ان الرئيس يعزز سلطانه ويكتسب لنفسه اعتبار مروثوسيه ومودتهم اذا ما اعتنى واهتم في مرضاهم وذلك بنوع يفرق الوصف  
قال القديس بوناونتورا ما ملخصه : « ان المرضى هم مضروبون من ربنا فاذا زادهم الناس ضرباً كانت هذه الزيادة صراحاً نحو الرحمة الالهية تطلب النعمة للمضطهدين ومن ثم وجب على الرؤساء ان يلطفوا برأفتهم وعنايتهم بالمرضى من مرّ اوجاعهم ( ستة اجنحة ف ) وعليهم ان يعودوهم مراراً في النهار وان يغزوهم باعذب الاحاديث وخاصة بسواهم اياهم عن كل اوجاعهم وترثيهم لكل منها وتقدمهم لهم بعض المساعدات بذواتهم وان يرفعوا من افكارهم الاوهام التي تُثخيل لهم انهم يزعمون اخوتهم ويثقلون عليهم ويؤكّدوا لهم اهميتهم اعز الاخوة والاباء وان الجميع يعتبرونهم مصدر البركات في الدير وعلامات الرضى الالهي عنهم لافتقاده اياهم بالرحمة . ومما روي عن القديس فرنسيس ان عنايته بالمرضى كانت عجيبة ففي ذات يوم اذ كان الاخ سينفستراول كهنة رهبانيته مريضاً لشدة الضعف الذي استولى عليه من مزيد تقشفاته سأل القديس عنباً لياً كل واذا لم يكن عنباً في الدير اخذه القديس الى كرم احد اصدقائه واجلسه قرب دالية وباركها وقال له كل فلما اكل المريض عوفي حالاً من مرضه وفي احدى الليالي اذ لاحظ ان بعض الاخوة يقظان ولم يقدر ان ينام ازيد جوعه ذهب واتاه بنخب من الخارج ودعاه بلطف ابوي لياً كل ولكي يجرّضه بزيادة اكل معه فهذان الاخوان ما كانا يقدران ان يذكرنا هذا العمل الابوي دون ان تجري من مقلتيهما دموع المسرة .

والقديس اغناطيوس كان يأمر ان يعلموه حالاً قبل كل احد بمرض احد الاخوة وكان في كل ليلة يعود المرضى مرات وكان يسأل في النهار مرتين الاخ الشاري اذا كان ابتاع للمرضى كل ما امر به الطبيب ولما كان يرى احد المرضى

حزيناً او مضطرب الافكار كان يأتيه باحد الاخوة المبتدئين الحاذقين في فن الموسيقى ويأمره ان يوتل امامه ليطربة ويسليه عن احزانه واذ كان هذا القديس مرة مريضاً واضطرب ان يعتزل عن كل الاعمال فلم يرد ان يعتزل عن الاهتمام في المرضى بنفسه وقال لتهرمانه الاب يولانك : « اني احب الاخوة محبة شديدة حتى اني اريد ان اطلع على كل وخزة اصابتهم في ليلهم من الهوام الصغيرة وكان يعتقد ان امراضه الدائمة هي التي كانت تجعل قابله شفيقاً لهذا المقدار على المرضى ولذلك كان يشكر الله كثيراً

قد اعتبر لاسيوس هذا الامر اعتباراً شديداً حتى انه عين بالتفصيل كل الحوادث التي تدل على مجل الرئيس وخشونته في جنب المرضى قال ( شروط الرئيس الصالح ) هذه الحوادث هي : « اذا قدمت للمريض قلاية غير موافقة او اثواباً خشنة او فرشاة رثة لا تكاد تتقدم لصحيح الجسم او اذا تأخرت في طلب الطبيب او اظهرت انك لا تعود المرضى الاً بكرة وعنف او اذك تشمراً اذا وجدت مرضى كثيرين او اذا ابيت ان تقدم ما يأمر به الطبيب من العقاقير والاطعمة او انك لا تتقدمها بطيبة نفس وانشراح صدر او اذا بدلتها بما كان الجنس ثناً ولو كان اقل فاعلية او اذك اشرت الى الطبيب ألا يأمر للعليل الاً بما كان سهل الوجود وبجنس الثمن ولو اقل نفعا واذا اظهرت لهم عند زيارتك اياهم عدم البشاشة والشفقة ولم تمس احداً منهم بل لم تدن من احدهم خشية سري العدوى اليك وابديت لهم رغبتك في ان يباينوا محل المرضى باقرب وقت بسبب تعطيل مصالحهم فكانك تعتقد امراضهم اختيارية او وهمية او اذا تشكيت امام المرضى او غيرهم من كثرة النفقات عليهم او اذا تسامحت مع وكيل المرضى في اهماله خدمتهم او صدقت اقاويله بعدم مرضهم ولم تصدق قولهم وهم الشاعرون بالالم والالوجاع او اذا كنت لم توبخ الوكيل على عدم تقديمه لهم ما امر به الطبيب او ما هو ضروري لهم او لم تؤدبه علناً لاهماله المفرط المضر او اذا منعت الاقارب ان يقدموا لعليلهم شيئاً من الاطعمة او الخمر او الحلوى وكان لذلك بعض الحاجة والافادة وليس من ضرر للفقر الرهباني . او اذا طلب النساكه من مرضه ان يغير الهواء بداعي ضعفه ونحول جسمه او قلة نومه وشهوته للإكل او غير ذلك ولم تستجب طلبه .

ويرد ف لانسيس قوله هذا بقوله ان اصحاب المواشي لا يتأخرون عند الحاجة ان يغيروا الهواء لمواشيهم بنقلهم اياها من الجبل الى الساحل ومن الساحل الى الجبل ولا يعبأون بزيادة المصاريف فكيف تبخل اياها الرئيس بذلك على راهبك الذي هو ابن لله وكرّس حياته لخدمته الدائمة ؟ واذا كنت لا تُعدّ للناقهين اطعمة خاصة لذينة ومغذية بل تدعوهم حالاً الى مساواة الاخوة في المأكل والعمل او اذا كان احد الاخوة لشعوره ببدء علة او لقلّة شهوته للأكل طلب طعاماً غير معد للاخوة فاجبت الطالب بحفاء : « ان لم يأكل من هذا الطعام المعد للاخوة فليتدبر فليس مرضه غير تخيل وتأنق او لاجل التملص من الاشغال . »

فيقول لاتيسيس ان الوالدين لا يتعاملون هكذا مع اولادهم الاعزاء بل انهم لاجل ادنى علة يقلقون ويستدعون الطبيب للحال ويتذرعون بكل الوسائط وهكذا لو أُلزمت بالصوم او الانقطاع عن المأكّل الزفرية من كان لاجل سنه اضعف مزاجه او شدة اتعابه لا يستطيع الى ذلك سيلاً . او كنت لا تقدم طعاماً خاصاً لمن يستعمل وظيفة الوعظ يومياً لاسيما اذا كان شديد الغيرة والحمية فهذه العلامات والدلائل التي تشير على مجل اصحابها وخشونة طباعهم ولم يسمع بها في رهبانية مقدسة مثبته من بيعة الله تعلن ان الرئيس عديم المحبة او انه ذو نسب وضع لان ذوي الحسب الشريف انما نراهم عادة على جانب عظيم من الكرم ودمائة الاخلاق واللطف بالمروءوسين . والقديس بوناونتورا بعد نسبه الويل المنوه به في الزمور الستين الى الذين يضاعفون مصائب اخوتهم بسوء معاملتهم لهم يقول : « ان الرهبان الاصحاء ومتيني البنية لا يشعرون بسوء حال المرضى ولذلك قلما نراهم يرثون لحالهم واما فيما بعد لما تأخذهم النكبات والامراض فيعلمون ويتعلمون ما هو المرض وماذا يجب عليهم من المساعدة للمنكوبين والشفقة عليهم ( ستة اجنحة ف ) »

## الفصل الخامس

في ان هذه العناية بالقرب لا توجد عند من لا اتكال له على العناية  
الصدانية

وسبب ذلك هو ان الروساء الذين لا عناية لهم كافية بمجاهات مروثوسيهم  
لا يقيسون نفقاتهم على قدرة الله الضابطة الكل بل على قدرتهم ومن ثم يرون  
ان لا نجاح لهم ولا للدير الا بالتقتير مع انهم لو رفعوا افكارهم وقلوبهم الى فوق  
وقروا اتكالهم على الله وثقتهم بالعناية الربانية لنت فيهم حالاً شواعر الكرم  
والمحبة الابوية . ولنصغ الى ما برهنه القديس يوحنا فم الذهب في هذا الشأن  
حيث قال : « ان من اعطى الكثير لا يبخل بالقليل فكيف يمكن الله اذا ان  
يبخل علينا بقوت الجسد وهو الذي اعطانا نفساً غير مائة وكل يوم يغنيها بمنح جديدة  
وبعد ان وشح جسدنا ببشرة جميلة هل يمكنه ان يضنّ عليه باللباس القاني أما  
هو الاله الذي يكسو زهر الحقل اجل البهاء اه فان صحة هذا القياس وسداد  
برهانه لواضحان لكل انسان فكيف لا يتجلبان لكل راهب مستنير بنور نعمة  
الخلاص والذي نبذ وراء ظهره الوطن والاهل والمناصب والشرف والغنى وسائر  
ما في العالم الخداع ولحق بيسوع معلمه معلقاً عليه كل آماله ورجائه ويسوع يدعو  
خادماً مكرماً وشريفاً بل صديقاً مخلصاً واثماً حبيباً ؟ قال القديس اغناطيوس :  
« اما نحن معشر الرهبان فيجب الا نفتكر الا بمجد الله ولندع له العناية في ما  
نحتاج اليه وهو جل سخاؤه لا يسمح بان يعوزنا شي لانه هو المغني يقوت طير  
السماء ويكسوه فكيف يصعب عليه ان يقيت ويكسو اولئك العباد الذين  
يضعون جل اهتمامهم في ان يرجوا له تعالى محبة جميع الانام » واذ سأله يوماً الاب  
بوياديلاً من اين له ان يكني جماهير عديدة اجاب : « هل تريد ان تعلق كل  
اتكالك على محبة المؤمنين ولا تنتظر شيئاً من العناية الالهية ؟ . اما انا فاعتبر ان  
الله يقدم لنا بيده الابوية من خزائن حبه ما لا تجود علينا به ايدي البشر وان لم  
يمجد علينا البشر بشي . فهو يعطينا كل شي . وفي احد ازمنة الضيق اذ لم يدع



جمهوره يحتاج الى شيء قال له الاب لويس غوتالف : « ان في ذلك لاجوبة . »  
فاجاب القديس ليس في ذلك من عجب ابدأ بل لو حدث خلاف هذا اي لو اعوزنا  
شيء . لكان ذلك من العجب لانه ليس من الممكن ولا يُصدق ان الله جلت  
رحمته لا يسرع الى اغاثة نفس تلتجى اليه وتضع فيه كل رجائها . الا ترى كيف  
ان الحسنات تتوارد علينا بقدر عدد الاخوة واحتياجهم ولذلك لا يصعب عليّ  
قبول الف مبتدي . اكثر من قبول مئة لانه سيان عند الله ان يقوت الجمل الغفير  
او القليل . وقد حدث له اكثر من مرة ان يبيع اواني الدير وامتعته وان يستدين  
ايضاً بدون خوف ولا اضطراب . وكان يقول ان صحة احد اخوتي الرهبان  
لافضل عندي من غنى العالم وان الله لا يهمل الذين يتكلمون عليه ويستدينون  
على اسمه هذا وان القديسة ترازيا اذ سمعت ذات يوم احدى رؤسائها تتشكى من  
كثرة المرضى عندها قالت لها : « انك اني غرور ميين اظنك ان كثرة المرضى في  
الدير يفقرونه لان الله يفيض بركاته على الدير اذ يرى فيه عدداً غفيراً من المسقومين  
اما القديس فرنسيس الاسيزي فكان ما يعطيه من الزاد لرهبانه المسافرين  
في عمل الرسالة هو تذكره اياهم بآية الزبور القائلة : « اقر على الرب همك وهو  
يعولك اه ( ٥٤ ) في حاجتك . » وكان يقول لهم ايضاً : « سيروا ايها الاخوة  
سيروا بسلام الرب وبركته وعندما تطلبون الصدقة فليكن قلبكم منعماً ثقة  
وابتهاجاً اكثر ممن يعطي ويرجو ان درهمه يربح مئة ضعف لانكم اذ تلمسون  
شيئاً تقولون اعطونا حباً بالله والحال ان حب الله لا شيء . يضاھيه قيمة وثناً من  
خيرات الارض باسرها

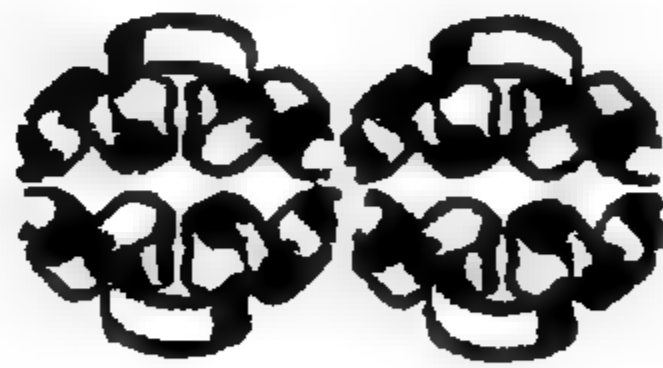
وهذا القديس نفسه لما كان يستطي حجاراً لترميم كنيسة القديس  
بطرس داميانوس في اسيزا كان يقول : « ان من يعطيني حجراً يجزي عنه  
خيراً واحداً ومن يعطيني حجرين فجزاؤه ضعفان واما من يعطيني ثلاثة فجزاؤه  
ثلاثة اضعاف ؟

وكان من جملة احاديثه لرهبانه هذا الخطاب وهو : « ان الله الذي يشرق  
شمسه على الاخيار والاشرار ويفيض خيراتة على الوثنيين والمراطقة ويكفيهم  
احتياجاتهم من الطعام والملبس وغير ذلك هل يستطيع ان يبخل عليكم

بضرورياتكم واحتياجاتكم ؟ كلاً لأنه اذا كان يعود من مجبونه بملكوت السماء فهلا يعطيهم ما يعود به عادةً على الذين لا يجبونه وعليه فمهما كثر عديدنا وكنّا بالحققة فقراء بمخيلين بقدر ذلك يفتح الله لنا خزائنه اعني بها قلوب المسيحيين وايدسهم الكريمة

فبمثل هذه الشعائر يجب على الرؤساء ان يتصفوا وان يشوها في قلوب عروثوسيم وعليهم ايضاً ان يذكروا الاخوة المتسولين بمبدأ القديس فرنسيس فيعزيهم ويخفف اتعابهم وهو انهم يعطون اكثر مما يأخذون لانهم يعطون محبة الله والملكوت السماوي قبل كسرة خبز او قطعة فضة وفوق هذا فان المعطي الكريم يكون له في نفس هذه الدنيا ضعف ما يعطيه بل مئة ضعف

واما لانسيوس فانه يصف للرؤساء ما من شأنه ان يفيض عليهم صدقات المؤمنين قال : « احذروا البخل في الكنيسة وقت احتفالات الاعياد وعلى باب الدير اذ تقاسمون الفقراء صدقاتكم وفي محل المرضى في ما من شأنه ان يعزيهم ويخفف اوجاعهم . وعلى المائدة اذ تقدمون لاصدقاء الله ما يجب لهم ويليق بشأنهم » : وتزيد على ما ذكرناه : « ان صلوا كثيراً لاجل المحسنين » . وبعد هذا فانه يتوعد الرؤساء القساة والبخلاء وعديي الاتكال على العناية الالهية بمصائب ونوازل شتى عظيمة



## الفصل السابع

في ان السهر على حفظ الرسوم هو من لوازم الحزم والثبات

### الباب الاول

في ان موضوع السهر على القوانين يتناول ثلاثة امور

مقالة اولى في القوانين

عد ١

في ان الرئيس هو امين القوانين والحارس لها والمملتزم ان لا يدع احداً

يتعدها بنوع من الانواع

اعلم ان السلطان الذي نظنه للرئيس انما هو للقوانين ولا له . وما الرئيس  
بمحصر القول الا محام عن القوانين ومساعد لحفظها وليس له عليها من سلطان مطلقاً  
وعلى هذا فالرئيس ككلى القدرة بموجب القوانين واماً خارجاً عن رسومها فلا  
قدرة له ابداً لانه يلتزم هو الخضوع لها اكثر من مروتوسيه . وقال القديس  
برناردوس : « ان الرئيس ليس مسلطاً على القوانين المسكّمة لنا من ابائنا القديسين  
بل على الاخوة المخالفين لها . كيف لا واول شيء ينذره على ذاته يوم دخوله  
الاحتفالي في الرهبانية انما هو نذره بحفظ قوانينها مدققاً . » ( من كتابه المعنون  
اوامر وانعامات ف ٤ )

وعليه فعالم يتقلد الرئيس امر الرياسة يأخذ على ذاته عبء حراسة القوانين  
والمحافظة عليها لتلا يتعدها احد الروتوسين او يمس شرفها المقدس وهذا يختص  
باولي الرياسة العالمية ايضاً لانهم لهذا اقبوا على روتوس الشعب  
قال ساودرا في كتابه المتقدم ذكره (ف ٢١) : « لا فرق بين الشريعة والملك

سوى ان هذا ناطق وتلك غير ناطقة ولولا ذلك لقامت الشريعة متسام الملك ولم يبق من افتقار اليه

والكتاب المقدس حيث يخبر عن تكايل يواش ملكاً على اسرائيل يقول :  
اخرجوا ابن الملك ووضعوا عليه التاج والشهادة وسلموه في يده كتاب الشريعة  
واقاموه ملكاً ٠٠٠» (اخبار ٢٠ ف ٢٣) انهم وضعوا الشهادة على رأسه ليثوا في  
قلبه روح الطاعة والخضوع للشريعة ولكي يتأكدوا ملأ السلطان لها . اما هو  
فليس له الا العمل بموجبها ووضعوا الشريعة في يده ليعينوا للعباد واجب خضوعهم  
له وان له قوة وسلطاناً ان يضطر الجميع الى الخضوع لاوامره الملكية

وانك ترى عادة في وجوه الرؤساء والملوك شيئاً من سمات الجلال الالهي  
الذي يوليهم الله اياه لانهم ممثلوه على الارض واذا ماتوا فسلطانهم لا يموت بل  
ينتقل الى خلفائهم ويلقى دائماً في قلوب الجميع الاحابة والاحترام فالانسان يموت  
اما وكيل الله فلا يموت لان صورة الله غير مائتة

فن الواجب اذن ان يكون الرئيس الاول اي المشتري فطناً حكماً حتى يوافق  
بين القوانين التي يسنها وبين ضعف طبيعتها واما الرؤساء الذين يخلفونه فيجب  
ان يكونوا حزماء غيورين على الذب عن القوانين المسنونة والمحافظة على حفظها  
ليس الا . فمن اخص واجبات الرؤساء اذن المحافظة على القوانين كلها اجمع بدون  
ملل ولا انقطاع

أ في شأن القوانين كلها اجمع : لعمرى ان منزلة القوانين في الرهبانية هي  
منزلة الاساس في بناية عظيمة او بمثابة العظم والاعصاب في الجسم البشري ومن  
ثم فوان وجد بين القوانين بعضها اهم من بعض الا ان المحافظة على كلها واجبة  
وضرورية لانه ما من فريضة في هذه القوانين الا وكانت ثمرة تأملات دقيقة شاقة  
على المشتري بل كأنها موحاة من الروح القدس . هذا ولا يمكن الا يكون اهمالها  
سبباً لاهمال فريضة اخرى ويسبب اخيراً مع طول المدة ضرراً عظيماً للرهبانية  
كلها الا ترى انه ان قطع حجر ولو صغيراً من واجهة البناء فانه يندش منظرها  
مهما كان جميلاً . وكذا الجسم البشري فانه لو انكسرف فيه عظم او تشنجت  
احدى اعضائه لكان ذلك داعياً لتشويش نظامه ويفقده الراحة الطبيعية ولو كان



على منتهى العافية والقوة . . ومن البين ان المركب ومهما كان عظيماً مكيناً فان لم يكن فيه مضخة تسحب شيئاً فشيئاً المياه التي تدخله فيغرق ويذهب فريسة الامواج

٢ دائماً قد اعتاد بعض الروساء ان يسهروا مزيد السهر على حفظ القوانين في بدائة زمان رئاستهم واما فيما بعد فيهملون ذلك متراخين . فلا غرو لان المجد الباطل وطلبهم مدحة الناس قد حملهم على ذلك اولاً الا انه عندما انخفضت اصوات تمذاحهم مع تمادي الزمان سقطت هممتهم وعنايتهم . وعلى هذا صغر النفس ونمود الهمة جعلاهم ان ينتثروا عما شرعوا فيه من المحافظة على القوانين حالاً رأوا ان امانيتهم بعيدة النال ورغباتهم الباطلة لا تدرك . ولعمري ان ما يحملهم على مزيد الهمة في بادى الامر وسرعة القنوط في خاتمتهما هو الا الطيش وخفة العقل ولذلك يجب على الرئيس ان يطالع القوانين المختصة به وبسائر اصحاب الوظائف لكي يعلم ما يمكنه ان يسمح به للاخوة . وبالاجمال يجب عليه التيقظ وان ينبه كل من يتعدى القوانين اما سرّاً وعلى انفراد واما جهراً وعلى مسمع الجمهور كما تقتضيه الفطنة وخير الانفس . وعليه ايضاً ان ينبه الروساء الكبار على ما يلاحظه فيهم من الشوائب التي وان لم تكن من الكبار فتضر بروح الرهبانية وبالغاية المقصودة من مؤسستها . فيا ما اجل رهبانية تسير دائماً على قدم واحدة ويدفعها روح واحد وانى يكون ذلك ان لم يسهر الروساء على حفظ القوانين سهرًا مدققاً متواصلاً ويعتروا بذلك عناية غير منقطعة

## عد ٢

في انه لا سلطان للرئيس مطلقاً على ان يمس شيئاً من القوانين الاساسية

في الرهبانية ولا ان يغير عادة من عاداتها المألوفة

اعلم ان اهمال القوانين وتغيير الفرائض الاساسية في الرهبانية يلحقان بها ابلغ ضرر لانه اذا اهملت القوانين واطلق العنان للشهوات لا يبقى ما يورث الى

الفضيلة واذا حدث تغيير في القرائن الاساسية فقدت السلطة والمهابة ونشأ  
الاهمال والخلل ولم يبق للراهب رادع عن ركوب المنكر ولا من يرشده الى  
سواء السبيل . ولعمري ان القرائن في الرهبانية هي بمثابة الشرائع في المملكة  
وقد قال كليون : « اني افضل مملكة تأسست على شرائع ثابتة وان غير متناهية  
في الجودة والسداد على مملكة شرائعها غاية في الصلاحية والحكمة الا انها غير  
ثابتة . » وقال العلامة بوسويت : ( السياسة المقدسة ١ : ١ قضية ٨ ) : « ان الشرائع  
لا تكون بالحقيقة شرائع ان لم تكن ثابتة غير متغيرة لانها اذا خضعت للتغيير  
فقدت اعتبارها . » وتلك قبائل الامم هوت وسقطت من عزها وشرفها لان  
الارض كما قال النبي اشعيا (٢٤) : « قد تدنس تحت سكانها لانهم قد تعدوا  
الشرائع ونقضوا الحق ونكثوا عهد الابد فمادت الارض كما يميد السكران  
وتدللت كارجوحة النائم

ولعمري ان حالة المريض المضنك الذي لا يقدر ان يهدأ على حال ولا ان  
يوتاح دقيقة واحدة لهي صورة حال موته لا ثبات لشرائعهم ولا دوام او لا شريعة  
لهم لان الشريعة التي تتغير من يوم الى اخر ليست بشريعة اه . وقد قال ساودرا  
قولاً يستحق الاعتبار وهو : « ان كثرة الشرائع دليل على فساد المملكة وهي  
تضربها كالقواحش الموبقة وذلك لمزيد احتقارها من العباد وكثرة تأويلات  
المفسرين الذين لا يقر لهم عليها رأي » ولقد قال اريستو الفيلسوف : « للحوادث  
العظيمة الهامة يكتفي عدد قليل من الشرائع واما الحوادث العادية فيجدر بان يترك  
الحكم فيها لمحكمة القضاة المألوفين اه

وقد قال القديس برناردوس : « ان القرائن مستودعة لفطنة الرئيس وحكمته  
وليست متروكة لمجرد ارادته واميا له يغيرها كيف يشاء اه وبالحقيقة لو ابتدأنا  
بهذا التغيير لما انتهينا الا بملاشة القوانين والرهبانية معاً لان الانوار السماوية التي  
كانت لمؤسسي الرهبانيات لا تعطى لكل من الروساء فيرى هولاء مثلاً في القد  
غير موافق ما رأوه اليوم موافقاً فيزدادون في التحويل والتبديل . على ان القوانين  
عادة مرتبطة بعضها مع بعض ارتباطاً شديداً حتى ان تغيير بعضها يفضي الى تغييرها  
باجمعها وهذا ما يلاشي الرهبانية ملاشاة كلية . وبما لا يختلف فيه اثنان ان التغيير

والتبديل في الفرائض الرسمية من اشد النوائب على الرهبانية  
قال القديس بوناونتورا ( ستة اجنحة ف٦ ) : « اننا نرى بعض الروساء حال  
ما يقبضون على ازمة الرياسة يبدأون بان يدعوا بالذكاء والنباهة ويفضلوا ذواتهم  
على كل من ترأس على ذلك الدير قبل رياستهم ومن ثم يأخذون بتغيير كل ما  
شرع به سلفاؤهم لانهم لا يرون فيه شيئا يوافق الصواب ولا خير الدير وترى  
نفرا اخر عندما يتركون وظائفهم يأخذون بالقدح والتنديد سلفا على من  
يخلفونهم في الرياسة اي قبل ان يروا منهم خيرا او شرا ولا يعلمون ان سهام  
قدحهم ترجع اليهم اه

ولعمري هل لنا اسأم والام من رئيس يشرع حال دخوله دير رياسته يندد  
بشيوخ افاضل قد انجزوا حياتهم الطويلة بسياسة الاديرة والجاهير ويقلق ويبلبل  
ضماثر مروثوسيه حتى انه لا يدع الراحة لشيء حتى تلك التي لا حراك ولا حس  
لها فيريد ان يغير لكل مكانه وعرائده وسيرته فيرى الجمهور بحركة واضطراب  
حتى كأنهم جميعا داخلون الرهبانية حديثا

ويا ليت شعري ما الربح من مثل هذا التبلبل سوى تشويش النظام وسلب  
الراحة بل تدمير كل عماراه ( بوفيس ١٢ )

واذا نقبنا عن سبب ذلك نجده عند البعض خفة وطيشة لانهم اذا سنوا  
اليوم شريعة لداع بدا لهم في الغد ايضا يبدو لهم داع اخر فيضعون شريعة اخرى  
وهكذا في سبة واحدة يسنون شرائع عديدة وبما انهم لا ينظرون الى عاقبة هذه  
الشرائع قبل سننها فانهم يكثرونها كثيرا وياليتها تجتمع مع بعضها وتؤلف  
دستورا واحدا ولذلك لا تلبث ان تسقط في حيز النسيان وبسقوطها تهدم  
الشرائع القديمة المؤسسة عليها الرهبانية لان من تعود على احتقار القديمة يحتقر  
الحديثة باكثر سهولة

وهذا السبب نجده عند الآخرين ضعفا وجبانة لانهم لما لم يقدرُوا على ردع  
المعتدين على الفرائض الاساسية خيل لهم ان سن فرائض حديثة وتمشيها لاسهل  
طريقة وانجح واسطة فيا للغباوة لانهم يسنون شرائع ولا يهتمون بحفظها وتمشيها  
ويظنون انهم بتشقييل ضماثر مروثوسيهم يريحون ضماثرهم ولا يدرون انهم يلحقون

وجب الاهتمام بكل من الامرين فمع ذلك يوجد فرق عظيم بين العناية مثلاً في لسعة ذبابة في الاصبع وبين قدغ بليغ في الرأس

فعلى الرئيس اذن ان يحافظ على روح القانون اكثر من محافظته على حرفه وقد يحدث احياناً ان الرئيس يخطئ ضد القانون بزيادة محافظته على حرفه فمثلاً لو اني من جرأ محافظتي على حرف القانون ثلثت المحبة العمومية او غير فضيلة رئيسية او خالفت روح القانون او غاية المشرع اما اكون بذلك قد اخطأت ؟ هل يسوغ ان اسلم السيف لصاحبه الغضبان الذي يطلبه ليقتل به عدوه وذلك بعبء انه له . أو هل اخطأ داود لما اكل من خبز التقدمة واعطى منه من كان معه متضوراً جوعاً بداعي ان ذلك الخبز كان مقدساً للرب ؟

ان الاب جوفروا صاحب تأبين القديس برناردوس يدح هذا القديس بكونه وجه اكبر عنايته لتخفيف نير السيد المسيح ممارساً بذاته ما علمناه في رسالته (٢٢٩) : « من انه لا ينبغي ان نخشى التسامح في بعض الفرائض لان اعظم فريضة هي المحبة . »

وقال البابا اوجانيوس الثالث : « ان السيد المسيح ترك لنا في وصيته الاخيرة السلام والحق وعلى ظني ليس من احد يقتدي ويتشبه به مثل ذاك الذي يحب السلام وخاصة اذا كان مقلداً سيف السلطة ولم يستخدمه الاً لالقاء السلام بين جماعة مروثوسيه . » (رسالته ١٤)

والقديس العظيم اغوستينوس لما رأى ان اساقفة الدوناتيين وكهنتهم ابوا الرجوع الى حضن الكنيسة خوفاً من فقد مناصبهم اشار ان يصفح عنهم وتترك لهم مناصبهم ولو كان ذلك مخالفاً لنص قوانين المجامع وقال بذلك : « انه يجدر بنا ان نلتصق هولاء الاساقفة والكهنة بشجرة الكنيسة ولو جرحنا قليلاً قوانينها كما تجرح اغصان الشجرة وقت تلقيحها لانه وان كانت القوانين المقدسة جديدة بالاعتبار الا ان المحبة التي تقدر ان تحني كثرة الخطايا تقدر ايضاً ان تحني الخلل الذي يلتحق بالقوانين البيعية . واذ كانت وحدة الاتفاق والسلام هي خير الفضائل وجب الا نطلب من هولاء الاساقفة والكهنة الا ان يسعوا من الان في طلب الاتفاق والسلام سعيهم الى الان في رفضها اه



على مناكب الناس احمالاً ثقيلة وهم لا يرون ان يركوها باحد اصابعهم فبنس  
التخلص وبنس السياسة . هل الجماعة التي لا تحفظ رسومها القديمة القانونية او  
السياسية تحفظ رسوماً جديدة . والفرائض التي لا يوصل حفظها ما الغاية من  
سنها او اذاعتها . اعلم ان الشريعة تقتضي امرين لازمين وهما اذاعتها والعناية  
بمحافظةها واما انت فلا عناية لك الا باذاعتها وهذا غير كاف بل مضر غاية الضرر  
( بوفيس مكتوب ١٠ )

واكبر ضرر ينجم عن هذا التغيير والتجديد هو اولاً التذمر « لان الجدة  
والحدثة في مثل هذه الفرائض تجعلها غير محتملة بصبر ومن ثم فانها لا تريد  
الرهبان قداسة بل تدمرها » ( ق برزدوس ) واذا احتمل ذلك بعض الرهبان  
الحدثاء فالأقدمون الذين تعودوا الفرائض القديمة ولهم علائق المودة مع الروساء  
السالفين لا يقدرّون ان يحتملوا هذه الفرائض الجديدة الا بالتذمر والتشكي  
من محدثها ايّاً كان

وثانياً انه يتوّض اساسات السلطة لان الرئيس عندما يبدأ يأمر وينهي بلا  
دستور يعتمد عليه عيسى باعين مروثوسيه مخاصماً مشاجراً لا سلطان له ولا مهابة  
واذا اطاعة احد فلا تكون طاعته الا ظاهرة وقتية لانه ينتظر تغيير كل هذه  
الاورام الحديثة النشأة عند تغيير هذا الرئيس . ولعمري ان الرئيس الذي يكون  
قد فتح هذا الباب وجدد من الفرائض وبطل اما انه بمثابة هذا يدفع خليفته الى  
ان يحذو حذوه ويزيد عليه ايضاً بالتغيير والتبديل ؟

عد ٣

في انه يجب على الرئيس ان يفهم جيداً روح الفرائض وجوهرها

وذلك لكي يعرف كيف يفسرها او يتسامح ببعضها

عند من الحاجة

من الفرائض ما يختص بجوهر الرهبانية ومنها ما يختص بشأنها وشرفها  
الخارجي . فالاولى تمس النذور مساً قريباً واما هذه فعن بعد بعيد فانه وان

وعليه فجباً بالسلام والمحبة يضطر الرئيس أحياناً لأن يضحّي خرق القوانين وشيئاً من التأديبات وحقوقه الخاصة أيضاً ويعتاض عن هذه الخسارة الصغيرة بانتلاف القلوب وخيرات أخرى كثيرة لأن الصواب يضطرنا كما قال أحد آباء الكنيسة : لأن يبتاع المحبة والسلام بأعلى ثمن وأعز شيء . اهـ

وليس لقائل أن يقول : أن في ذلك تضعيفاً للسلطان لأنه يوجد فرق عظيم بين الاغضاء على شيء من القرائض ابتغاء خير أكبر وبين اغفالها تماماً . ففي الاغفال تضعيف للسلطة أما في الاغضاء فعلم وعفو ومحبة فلا ينبغي أن الحلم يعزز السلطان ويؤيده لأنه أن عفا الرئيس مؤقتاً فيرى أن له القدرة على التأديب في وقت آخر أكثر مناسبة هذا ولو فرضنا أن القانون محفوظ بكل تدقيق في بعض الأديرة فما الفائدة أن لم يكن هناك سائداً الحب والسلام أو هل نتصور السلطان والمهابة في رئيس لا يرى فيه مروت وسوء المحبة والصلاح

وأما ما يستلزمه هذا الأمر في الرئيس من دقة النظر والفطنة والحذاقة فليس عليه من نكير لأن ذلك يوجب عليه أن يفهم جيداً روح القانون وغرض المشرع ومقدار استعداد المروتوس لقبول الشريعة وظروف أخرى عديدة لا ينبغي ما فيها وفي نظائرها من الأشكال والصعوبة

#### عدد ٤

في أن الرئيس يفتقر إلى فطنة متناهية إذا ما دعت الضرورة إلى تجديد شيء في العادات أو القرائض الرهبانية

ما ذكرناه في آخر الفصل المتقدم من وجوب الفطنة بتفسير القانون والاعضاء عن خرقه أحياناً تراه أشد وجوباً إذا دعت الضرورة إلى تغيير شيء من القرائض أو العادات الرهبانية أو تفسيرها أو تجديدها وهذه الضرورة وإن كانت نادرة جداً فقد تحدث مع ذلك : مثلاً لو قدرنا أن الرهبانية من دون هذا التغيير أو التجديد لن تبلغ غايتها الجوهرية مطلقاً أو لا تبلغها إلا بصعوبة ومشاق زائدة أو لا تبلغ منها إلا شيئاً يسيراً . وإذا دعت الضرورة إلى شيء من التبديل أو التجديد فيقتضي ذلك مراعاة أربعة أشياء

اولاً الثاني : تفهم جيداً حالة الرهبانية والبحث بحثاً بليغاً عما يجب تغييره او تبديله وتأكد تأكداً تاماً ان مؤسس الرهبانية قد فاته ان يستدرك هذا الحادث . ولا تنخدع لظواهر الامور التي ربما تظهر لك في الغد على خلاف ما هي عليه اليوم . قال احد الاساقفة الافاضل : « الاوفق في الاعمال الهامة ان يبتدي الانسان بان ينظر ويسمع كل شي ويتأني في الكلام والعمل لان احتياجنا الى الاعين والاذان في امور كهذه اعظم جداً منه الى لايدي والالسنه اه  
ثانياً بعد عزمك على العمل تأمله ملياً من كل الوجوه وفي عامة ظروفه مثلاً في هل سهل او يصعب اجاؤه فعلاً وهل اكثر الجماعة وافضلهم يرغبون فيه وهل خيره يعادل شره . . . الخ

ثالثاً انبذ عنك الرغبة في التبديل والتغيير ولا سيما اذا كان بذلك بعض الضرر او مضادة لروح الرهبانية الاصلي وارين الجميع انك لا تسلم بشيء من ذلك الا لاجل ضرورة الزمان او المكان او الاشخاص وان مثلك بذلك مثل الكنيسة التي لا تغير شيئاً من تعاليمها الدينية والادبية ولكنها تضطر احياناً لان تجعل شرائعها توافق الازمنة والامكنة والشعوب المختلفة وغير ذلك من الظروف الخطيرة

رابعاً وبعد هذا كاه اطلب رأي اهل مشورتك لساناً وخطاً واذا كان الامر يفوق سلطانك مع مشورة اهل ديرك فاطلب مشورة افراد الرهبانية او اعيانها بموجب رسم القرائض والعادات . . . . . وبذلك لا يبقى محل للتشكي منك بل يكون لك عذر عند الله والعتلاء وذلك حسبك

هذا وبالاجمال اذا اظهر الرئيس احياناً عدم رضاه بالتغيير والتبديل ولو كان الرهبان يطلبون ذلك او يرغبون فيه فلا يستحق الا الثناء والمجد لان حقوق وظيفته ومعرفته الخاصة بطباع مروثوسيه وسائر الظروف توجب غالباً تأخير التبديل الى زمن أو تقتضي تركه وبالاخص اذا كان الخير المنتظر منه لا يعادل شره . وهذا قلما يراه المروثوسون كما يراه الرئيس الذي تكون التجارب والايام قد حنكته اكثر منهم

وبعد فانه ولو ظهر وتأكد للرئيس ان في التغيير المطلوب من المروثوسين خيراً

أكبر فيجدر به مع ذلك ان يؤجله الى زمان فيزداد الخير وضوحاً ويكثر عدد الطالبين له وتتبدد الموانع

اخيراً اذا ما تم الرأي وجزم الرئيس بالتبديل فيبقى عليه مراعاة أمرين : الاول ان لا ينجز العمل الا بالفرصة الموافقة . والثاني الا ينجزه الا شيئاً فشيئاً حتى اذا جد ما يوجب العدول عنه فيكون قبل اتمامه وذلك اسهل وأصلح . . فاطبيب لا يعد حكياً ماهراً ولا تسلم عاقبة اجراءاته ان لم يتجسس المرض ويتربس سيرة بدقة وامعان

### مقالة ثانية في الوظائف

#### عد ١

في ان الرئيس عند توزيعه الوظائف يجب ان ينعم النظر في ميل المروؤوس الخاص واهليته لتلك الوظيفة

انه يصعب على الراهب ان ينجح في وظيفة لا يكون له اليها ميل خاص لانه وان بالغ في العناية والتعب جاً بالنجاح بها فعنايته وتعبه يذهبان سدى وبالعكس اذا كان له ميل خصوصي الى تلك الخدمة فانه ينجح بها نجاحاً باهراً على غير عناء . هذا واننا نرى العناية الربانية نفسها تولي كلاً ميلاً خاصاً يسهل له الدعوة التي تكون دعتة اليها

وهذا ما لاحظته القديس اغناطيوس الذي كان يجتهد في ان يوفق لا بين الوظائف واهلية اصحابها فقط بل ايضاً بينها وبين اميالهم ورغائبهم موقناً ان الميل والرغبة في المهمة تسهلان على صاحبها حسن القيام بها ولعمري ان هذه المراعاة في توزيع المهام على موجب ميل الاخوة ورغبتهم هي من اقوى الوسائل التي توليهم راحة وسكينة وعلى ذلك فلا يسوغ العدول عن هذه الخطة الا لداعٍ صوابي كان الاخ وحده هو القادر او الموافق لتلك المصلحة التي لا يرغب فيها لان الذين يسعون وراء النعمة ويعملون بالمبادي القائقة الطبيعة هم قليلون جداً ومن البتة ان كل واحد في الجماعة لا يصلح لكل عمل بل البعض يصلحون للأعمال الرفيعة وغيرهم للوضعية ويجب ان تلاحظ في ذلك لا درجة العقل



والحداقة فقط بل الاختبار ايضاً . وكما انه لا يصلح لعلم الصبيان من به عيب طبيعي يحملهم على الهزء به ولا لتهديب المبتدئين في الرهبانية من كانت بعض الشوائب في عقله وآدابه كذلك لا يصلح للرئاسة على جماعة الشيخ شاب غر لم يمحكنه الاختبار

ونخص بالذكر المناصب السامية الخطيرة التي تستدعي نظراً دقيقاً وعناية كبرى في انتخاب اصحابها ولذلك يجب في مثل هذا الانتخاب الوقوف على رأي الجمهور لتلا يكون بذلك مظنة بالانحراف عن محجة العدل والاستقامة . ومما يجب الحذر منه هو ان يتولى احد الرهبان مهمة تضاد روح رهبانيته لانه بها يخرج عن روح دعوته الخاصة وربما ابتعد ايضاً عن النعمة واذا تسامحنا مع الواحد فكيف لنا ان نرفضه على الآخر

وقال غراسيانوس (رجل البلاط مبدا ١٩٨) : « ان قوماً من الرهبان لا يصلحون لبعض الخدمات ولاسيا الهامة الا اذا ابتعدوا عن اوطانهم وهذا يقال خاصة في الذين كان لهم في وطنهم سمعة غير حسنة وكثيراً ما يعتبر الناس الزجاج كاللاس لوجوده في غير منشأه

عد ٢

في انه يجب على الرئيس في توزيعه الوظائف ان ينظر الى فضائل مروؤسيه وطباعهم

اننا نورد ملخص هذا الفصل مع بعض تصرف

أ لا غرو ان النظر بالموافقة بين اهمية الخدمة وفضيلة صاحبها هو لازم او ضروري ايضاً لانه لو لاق مثلاً احد الالباء لاجل علومه ان يكون مرشداً للاخوة في احد الاديوة فلا تكفيه مع ذلك علومه لان يكون مرشداً خارج الدير للعامة من الرجال والنساء أو لان يكون مرشداً للراهبات بل يفتقر في ذلك الى فضيلة وفطنة خصوصيتين

ثانياً النظر في الاخلاق يختص بما اذا وجب لوظيفة واحدة اثنان كعمل الرسالة مثلاً فيجب على الرئيس حثثذ ان لا يكتني بالنظر في عاوم المرسلين

وفضيلتهم بل عليه ان يلاحظ موافقة طباعهم وعاداتهم ايضاً وبغير ذلك لا يتكامل عملهم بالنجاح بل لا يعتم ان يحدث بينهم خلاف وتنجم عنه شكوك ومن ثم تفقد الثمرة المنتظرة من تلك الرسالة •

عد ٣

في انه يجب على الرئيس ان يسهر بنوع خاص على الرهبان البطالين ان سينكا الفيلسوف يذكر في رسالته الى لوشيلوس ثلاثة انواع من البشر لا يكاد يُحتمل فسادهم بين الجماعة : فالنوع الاول هم المتهمكون باعمال الشر • والنوع الثاني هم العاملون بما لا يعنيههم • والنوع الثالث هم البطالون الذين لا عمل لهم وشر هذه الحالات الثلاث هي حال البطالين لان الاولين ينهمكون بشر واحد ولا يتحقق انهم مع بعض الوسائط أو لنعمة خصوصية يقلعون عنه • واصحاب النوع الثاني من البشر قد زاغوا عن سواء السبيل الا انهم بسهولة ينتبهون لسوء حالتهم ويرجعون عن اباطيلهم • واما البطالون فقد فسدت نياتهم أو تكاد وهم لا يشعرون»

وقال مونتيسكيو صاحب انتقاد نجاح الرومانيين وسقوطهم : « ان الرومانيين كانوا يخافون البطالة اكثر من الاعداء • لان هولاء يحملونهم على انهاض الهمة والبسالة واما تلك فالى التواني والرخاء » • • • وحسبنا بذلك شاهداً الاختبار • فالبطالة هي اقدر شيء على اخماد الذهن وافساد القلب • الا ترى ان الماء الراكد سريع الفساد والحديد الذي لا يعمل به يأكله الصدأ وهكذا الارض ان لم تحرث وتقلب فلا تنبت الا قرطياً وشركاً الخ • • • وعليه فالبطالة تلحق الاضرار والخلل بكل رهبانية سواء كانت غايتها النسك والصلاة والوعظ والتعليم أو اعمال المحبة • • •

والقديس برناردوس يامر في قوانينه ان يُنتخب شيخان فاضلان من الاخوة كي يفتقداهم في قلايهم ساعات العمل واذا وجدا احداً بطلاً فيعرضان للرئيس عنه وهو ينهه اولاً ليرتدع عن هذه الزلة القضيعة وان عاد اليها ثانياً فيوبخه اشد توبيخ (ف ٤٨)

وقد جاء عن القديس فرنسيس بوجيا مثال اللطف والمحبة انه لما عرف ان احد رهبانه لم يكن يحسن القيام بجمته لعلمه انه مزعم قريباً ان يتركها اشتعل غيظاً حتى انه لم يقدر ان يصف للاخ المتواني كل ما ألم بقلبه الابوي من الحزن والكآبة بل قال له : « لو قدر ان احد الولاة اطلعك سرّاً على انه سلم مدينته بشمن للعدو بحجة ان ايام حكمه كادت تنقرض اما كنت تقول له ان فرض الامانة والصيانة لا ينجم عن طول المدة وقصرها بل عن عظمة الشيء الموثق عليه ونفاضة ثمنه اه

وقال القديس ايزيدوروس دي ساويلا : انه يجب على خادم الله ان يكون قارئاً أو مصلياً أو مشغلاً بعمل اليد بلا ابطاء والآن تضعي نفسه فريسة لافكار الدنس لانه كما ان الاشتغال يطرد الشهوة اللحمية فالبطالة تدعو اليها وتفتح لها منافذ النفس . ( كتاب ٢ من المبادي ف ٢٥ )

وقال القديس يوحنا فم الذهب « لعمرى هل من شيء اقل خيراً او اكثر شناعة ورداءة او اسوأ حالاً من رجل بطال » ( موعظة ٣٥ على اعمال الرسل ) والقديس بولس في رسالته الثانية ف ٣ الى اهل تسالونيكية أما اذاع تعليمه كشرعية الهية بقوله : « ان كان احد لا يريد ان يشتغل فلا يحق له ان ياكل اه بل اوصى الكنيسة ان تتجنب البطالين كاجتنابها اصحاب الفتن والانشقاق اذ قال : « اذا كان احد لا يطيع ما نوصي به في رسالتنا ( من فريضة الشغل ) فلا حظوه ولا تخالطوه لكي ينجل ثم قال : « لا تتزله منزلة عدو بل عظه وارشدوه كاخ اه فعلى الرئيس اذاً ألا يرفق بالرهبان الذين رغبة في البطالة لا غير يتعللون بعلة فارغة ومع ذلك فعليه ان يلاحظ بكل جهده قوة كل راهب من رهبانه لكي لا يضع احمالاً ثنيلة على منكب ضعيفة أو يضع كل الثقل على منكب واحد ولو قوياً لان هذا الحلل هو سبب التذمر والحسد والبلبال بين الاخوة

في انه يجب على الرئيس ان يبالغ في سهره على الاخوة المعرضين  
من قبل وظايفهم لفقدان الفضيلة

من المبادي المسلّم بها عند اهل السياسة الدينية وجوب السهر والتحذر مع  
وجود الثقة لان عدم الثقة مطلقاً بلا داع ولا مسوغ من الخصال المذمومة ولا سيما  
اذا كانت متجهة نحو اشخاص مخصوصين لاجل البغضاء والاهواء النفسية واما  
التحذر بالعموم من ذون نظر الى الافراد ولو عن غير داع فهو من خصائص الفطنة  
الجديرة بكل رئيس فقد يمكن صاحب السياسة ان يحسن الظن بانسان ولا يثق  
به كل الثقة ألا ترى ان القلاع الموجودة في وسط المملكة لا يدعها اصحابها بلا  
حراس بل يجرسونها سواد الليل كما لو كانت على اطراف المملكة وما ذلك لغير  
طائل ولا عن عدم ثقة بالمقيمين على حراستها بل هو تحرز وتحذرية تضيء نظام  
السياسة

واذا رأيت راهبك على خسارة من معاشرته اهل العالم أو له تعلق زائد  
بوظيفته ولا يريد ابدالها باية مهمة كانت او رأيت يعتذر للتخلص من الرياضات  
العامة وقلما يكثر لحفظ القوانين والدعة الرهبانية ويطرف فوق حقوق منصبه  
ولا يرفق باخوته فاعزله عن منصبه ولو مدة قصيرة . هذا لان سقوطه من شرف  
الفضائل الرهبانية اهم من سقوطه من الخدم الزمنية التي يقدمها للرهبانية في  
وظيفته - فقد حرمت جمعية الاساقفة والقانونيين المقدسة معاشرة الراهبات للرجال  
ومعاشرة الرهبان للنساء كيف كانوا وكن وانما ذلك حذراً من تعريض اثن  
الفضائل للخطر . حتى انها لم تسمح للراهبات بتربية الصبيان ولو صغاراً ولا بان  
يخدم من مدارس الاكابر يكيين والمستشفيات المعدة للرجال (ك٦٦)

ومن ثم فلا ينبغي ان تدع احداً من رهبانك في وظيفة واحدة زماناً طويلاً  
لئلا يتهاون اخيراً بها ويتخبر او يظن انه لازم لها لزوماً ضرورياً فيقع في جبايل  
العدو . وما عدا ذلك فيجب ان تربي غيره وتدرجه على هذه الوظيفة . هذا ومع  
ذلك فاحذر كل الحذر من سوء الظن بتعلق الرهبان بمناصبهم ولا تتسرع في



تغييرهم منها لانك بذلك تفتح سبيلاً الى القلق والاضطراب وتعدم الرهبانية  
خيرات عديدة ويشتم من سياستك المتقلبة كل ناظر وسامع  
وعلى الرئيس ايضاً ان لا يتباهى بنجاح مروءتيه ولا ان يبين لهم مزيد  
فضلهم ثلاً يحملهم بذلك على الكبر والعجب بذواتهم بل فليشكر الله على  
حسن سيرتهم لان كثيرين من اهل الفضل سقطوا بفنح الحياء فبادوا  
ومن التجارب التي تعرض للاباء المقلدين مهام الوعظ والتعليم ان ينهمكوا  
كثيراً بهذه الاعمال ويهملوا التأملات الروحية كما يعرض للاخوة المشتغلين بخدمة  
الدير الداخلية فانهم ينشغفون بالتأملات والصلوات كثيراً ويتركون اعمال خدمهم  
فالاولون قد كتب لهم القديس فرنسيس الاسيزي مبادي كريمة وهي : « ان  
الواعظ لا يكون عالماً بليغاً الا اذا عمل بموجب معرفته وقوله وعليه فالفضل كل  
الفضل لمن يعرف ان يستفيد ويستفيد من الحقائق التي يعظ بها . واما من يعلم ولا  
يتعلم فهو ظلام لنفسه . والعبة كل العبة لمن يكتفي بمعرفته يسوع مصلوباً  
وليس لمن يهمل هذه ويجهد نفسه باكتساب ما سواها من المعارف اه . وكان قدس  
الله روحه عندما يودع احد المسافرين الى الرسالة يقول له : « اينما كنا وكيفما  
اتجهنا ينبغي ان نصحب معنا قلايتنا لنكون فيها باختلاء . فجسدنا هو القلاية  
ونفسنا هي السائح المختلي فيه للصلاة والتضرع . ولعمري ان النفس التي  
لا تعرف ان تختلي في قلاية جسدها لا تقدر ان تستفيد شيئاً من سكنى القلاية  
الحجرية اه

والقديس انطونيوس عندما رأى احد القواد يريد ان يطيل الحديث معه  
قال له : « كما ان السمك يموت لو مكث طويلاً خارج الماء هكذا الناسك كل  
ما اطال حديثه مع احد العامة يشعر بان حرارة عبادته اخذت بالفتور ولا يبعد ان  
نصل نحن الى هذا الحد اه

وقال في هذا المعنى القديس فرنسيس سالس : « ان الملح ان لم يُخرج مع  
اللحم تفسد الا انه مع ذلك لو رُدَّ الى الماء لذاب وتلاشى اه هكذا حال الراهب  
مع اهل العالم فانه يكون مفيداً لهم ان لم يكن وجوده بينهم الا نادراً وتبعاً  
للضرورة . ان الصلاة مع الاختلاء تولى قلوب الذين يحاربون حب الرب صلابة

الماس فيجاهدون فيه ويتصرون حتى ان من كان منهم محترقاً بلهب نار الشهوة فالصلاة تصب عليه ماء بارداً وتنتذه من مضرة تلك النار وعليه فالرئيس الذي يكون متأكداً رغبة مروثوسيه وحرارتهم في الصلاة ليس عليه ان يخشى مضرتهم

### مقالة ثالثة

في معاوئي الرئيس في مهام وظيفته

عد ١

في انه يجب على الرئيس في انتخابه معاوئيه الا يلتفت الى اميال المروثوسين ولا الى مكاييد بعضهم ضد اخوتهم

ان موسى قد اتخذ له معاوئين بيد ان السلطة التي وزعها بينهم بقيت منحصرة فيه لان مرجع الامور الخطيرة كان اليه وهو نفسه كان يقضي بها ويحكم وبهذا لم تتوزع السلطة حقيقة بل بقيت مجتمعة في رأس واحد . وهو المسؤول عن خير الرعية واليه ينسب كل خير او شر وقع من معاوئيه لانه هو الذي اصطفاهم وسلطهم بعد ما عرفهم واختبرهم وعليه فالرأس الذي لا يحسن انتخاب معاوئيه يكون مسؤولاً عن كل اعمالهم كما قال الحكيم : « من ارسل كلاماً على لسان جاهل فانما يتجرع الجور اه ( امثال ٢٦ ) فالى الرئيس اذا يوجع كل خير او شر يصنعه معاوئوه لانه هو الذي اساء في انتخابهم او مال بهم عن القيام بواجباتهم وكلا الامرين شر ووبال

قال المعلم ساودرا ( ك . م . ف ١٣ ) : « ان القمر اذا انخسف ضوءه فلا لوم عليه بل على الارض التي تلي عليه ظلها بتوسطها بينه وبين الشمس . ومع ذلك لا ينسب الانخساف الى الارض بل الى القمر لان نوره هو المخطوف وليس نور الارض . وهذا حال الحاكم او الرئيس اذا ما ساءت حال معاوئيه بل اذا رأينا الوالي نفسه رديئاً عذرناه على نوع ما وقلنا ان طبيعته فاسدة واما اذا رأينا الفساد

في معاونيه فنلومه كأنه فاقد البصيرة والشجاعة لانه اساء في انتخابهم لهذه المهام على غير جدارة .

حض كاسيودوروس احد معاويني البلاط على حسن القيام بمهمته قال : « ان شرف الملك متوقف على قيامك بواجب خدمتك لانه كما ان اعتبار الدار قائم في منظر واجهتها فكذلك اجلال الملك يكون فيما لو قام خدامه بخدمة حق القيام » وكتب القديس برزديوس الى البابا اوجانيوس ما نصه : « أيمكنك ان تقتخر بجودة صحتك لو كنت تشعر بألم في جنبك ؟ وانما اعوانك هم اجنابك فان كانوا صالحين فلك خير صلاحهم وان اشراراً فعليك مضرة شرهم . اهـ ( الاعتبارات ك ٤ ف ٤ ) لا يريد بذلك ان يقوم قداسته بخدمة الكنيسة وحده بل عليه ان يبذل كل العناية في انتخاب معاونيه لئلا يكون مسؤولاً امام الله عن خراب انفسهم وخراب الشعب معاً

وحسن هذا الانتخاب قائم بالآ مخدع الرئيس بظواهر بعض الملاقين الذين تكون بواطنهم موعبة حسداً وخبثاً بل ان يسر قلوبهم ويكتشف الى اميالهم الى الفضيلة الحقيقية والحذر كل الحذر من الذين يتظاهرون بالحب للرئيس ومصالحه وما يكون حبه الا للشهوة والرياسة

واذا حدث ان بعض الاخوة غادروا الاستقامة وعزموا على حط بعض الافاضل من مناصبهم مكرراً وحسبداً ليكونوا عوضهم فعلى الرئيس اذ ذاك ان يزجر المحتالين ويبعدهم عن الوظائف ما بقي له سلطان وسيطرة في الرهبانية وليعلم ان المتواضعين ولو قلت نباهتهم فهم اجدر من المعجبين بذواتهم ولو كانوا على ذكاء رافع لان اولئك يكونون سهلي الانقياد وقدوة لغيرهم واما هؤلاء فتحملهم المناصب العالية على العصاوة وخراب التريب

وعلى الرئيس ايضاً ان يفضل بالاكرام والمحبة والتقدم الى الوظائف اولئك الاخوة الذين حبهم للصدق والمصلحة العمومية يجعلهم ينتصرون للحق ولو بمقاومة الرئيس وضم بعض ما يستحسنه . هذا اذا لم يبد منهم ما يندش الاداب والاعتبار الواجب للسلطة . واما الملاقون الذين لا يهتمون الا برضاء المتسلط من دون ادنى ميل الى المصلحة والاستقامة فعليه ان يعيدهم عنه ويفهمهم خساسة

طباعهم الدنية . فمن الاخوة من يرفض كل مهمة وذلك عن جبانة وكسل  
ومنهم من يرفضون عن كبرياء وطعماً بالاحسن . فمثل هؤلاء يجب اذلالهم  
في ابعادهم مدة عن كل وظيفة واما الاولون فيجب ان يُشجعوا ويُساعدوا  
باللطف وحسن الالتفات

اخيراً نقول : كما ان الجمال والصحة في الجسم البشري يتوقفان على ترتيب  
الاعضاء ونظامها بعضها مع بعض هكذا الكمال في الرهبانية فانه قائم في نخبة  
اصحاب الوظائف وقيام كل منهم في حقوق مهمته

هذا ولما كان انخداع الرساء في هذه الانتخابات صادراً في الغالب عن اميالهم  
الخصوصية واميال مروثوسيهيم المتعرفة وجب عليهم بذل العناية والالتجاء اليه  
تعالى في الصلاة لكي يجعلهم يعرفون هذه الاميال معرفة كاملة ولا ينخدعون  
بوساوسها

## عد ٢

في انه يجب على الرئيس في انتخابه معاونيه ان لا يُركن الى امياله

### الخصوصية ولاسيا الطمع

من اعظم واجبات الرئيس الاكبر ان يحذر في انتخابه اصحاب الوظائف من  
ان يفضل اهل قرابته واصدقائه على كل من سواهم لانه بذلك يجعل رهبانيته  
في مدة قصيرة رهبانية اصدقاء واقارب . فالسيد المسيح لم يقيم رئيساً على كنيسة  
يوحنا الذي كان يحبه بنوع خاص بل اقام القديس بطرس الذي كان قد انكره ثلاث  
مرات متتابة

قال يوفيس (مكتوب ١٢ : « من الرساء من لا يصغون الا لاميال  
قلوبهم فحيثما مالت مالوا فمن اعتقدوه فاضلاً اضحى عندهم معصوماً من كل  
شائبة واضعوا لا يصدقون عنه شيئاً ومن اعتقدوه بخلاف ذلك فلم يبق له  
امل بالنجاح امام اعينهم مهما جاد بعمله واطنب الجميع بمديحه »  
ان العلامة فينالون في كتابه فحص الضمير يسأل الملك عن واجباته بعض



سوءالات يجدر بنا ان نسألها الكل من الروساء وهي : اما فاتك ان تدرس طباع البشر وتفهم كل ما هم عليه وذلك عن توان او تفرد في طباعك او عن ترتفع ابعد الناس عنك أو تغير علل احتر من ان تذكر بالنسبة الى اهمية معرفة الملك عبيده هل انصفت اولي الفضل من رعاياك في توزيعك عليهم المهام والمناصب التي تليق بشأنهم . اما ابعدت عنك وعن معاونيك اولئك الذين تعهدهم بمماتزين بالاستقامة وشدة البأس خوفاً من ان يكتشفوا نقائصك ويتاوموك بها او ينهوك عنها او يزعجوك بمجرد استقامة سيرتهم؟ أما فضلت لخدمتك اولئك المشهورين بالمآرب والواربة الذين يعضون الطرف عن شوائبك ولا يخطبونك الا بالمديح والمداهنة وعلى الاقل أما فضلت ضعاف العقل والطبع على سواهم لكي لا يبقى عندك ذو رأي ولا ذو حماسة . . . فانك ان لم تنصف انساناً في حق له تكون قد ظلمت انساناً واحداً لا اكثر واما اذا لم توزع المهام والمناصب على من هم اهل لها فتكون قد حرمت المملكة باسرها من خير كانت تنتظره من بنيتها المخلصين الذين اعطاها اياهم الله لمثل هذه الخدم . فهم وان لم يكونوا شخصياً مظلومين لعدم افتقارهم الى هذه المناصب الا ان المملكة مظلومة لانها مفتقرة الى مساعدتهم واعلم وفقك الله ان الانام المتسامين بالذكاء والاستقامة هم قليلون فوق ما يظن فيجب ان نبحث عنهم حتى في اقاصي العالم . ثم الا ترى ان مقامك يقضي عليك بان تفضل المتسامين بالفضل على من سواهم او كيف لا تحجل من ابعادهم عنك وخفضك شأنهم . قال مودست دي سنت امابل « انه لضلال مبين ان يتصور الرئيس ان شأنه ينخفض بتدريج ما يرتفع شأن معاونيه وانه من الضروري ان يفوقهم معرفة وذكاء بمقدار ما يفوقهم سلطاناً اه وعلى هذا يهتم في ابعادهم عنه ويخفف من شأنهم ليعلو شأنه » ان هذا لضلال مبين . لان قيادة الانام الممتازين بالذكاء والفضل لاشرف جداً من قيادة السذج الخامدي النيرة والفضيلة . فهل رأيت رأساً يتشكى من الارجل لصلابتها وقوتها او من الايدي لمهارتها ولباقتها ؟ ولعمري بل انه يفتخر بمثل هذه الاعضاء التي تساعد على القيام بمهامه احسن قيام :

قال احد العلماء : « ان اكبر مصيبة واشد نازلة على المملكة انما هي ملكها

الحسود لأنه لا يحتمل أبداً أن يوجد في مملكته رجل ذو فضل أو براعة  
فهل من ظلم يحكي ظلم شاول الملك أو هل من جنون مثل جنونه إذا حاول  
قتل الشاب داود بعد فوزه بتلك الغلبة العجيبة في حين كانت الأعداء قريبة أن  
تنقض على المملكة وتكها دكاً؟ هو الحسد قد حمله على ذلك لأنه أعمى بصره  
واخذ فكرته فما كان ليميز خيره من شره. وهكذا باطلاً يشهد للرئيس ضميره  
بفضل بعض رهبانه وبالحكم الجزيلة الفائدة التي يمكنهم أن يقدموها للرهبانية  
أم للدير وباطلاً نرى أن وجود مثل هؤلاء الحاذقين بخدمة يوليه مجدداً إذا ان مرجع  
كل الأمور إلى الرئيس وحده وهو مع ذلك يبذل الجهد في إبعادهم عنه أو في خفض  
مقامهم لأن لا يريد أن ينظر بأداء مجده مجدداً. فيا للباطل وبيا للحماسة ! ..

قال القديس غريغوريوس التريزي : « كما أن المغصتين المختلسين يبذلون  
الجهد في أن يبعدوا عنهم الوارثين الشرعيين خوفاً من أن يعودوا يوماً إلى ميراثهم  
هكذا الرئيس الحسود فهو يبذل أشد عنايته في خفض شأن أولي الفضل ومقامهم  
وتزع الفضيلة من رهبانه ولا يعلم أنه بذلك يُظهر جلياً أنه ليس الوارث الشرعي  
لمناصب الرهبانية وإنما هو محتلس وخاطف » (خطبة ٢١)

وقال أيوب البار : « أن الحسد لا يقتل إلا الأطفال اه (ف ه) يريد بالأطفال  
رجال الباطل الذين نجلت عليهم الطبيعة بتوقد الذهن والفطنة وقد أوضح هذا  
سينكا الفيلسوف إذ قال : « بقدر ما تكون صحة الجسم المنهك بالأمراض  
المختلفة ضعيفة بقدر ذلك يكون ضعيفاً فضل ذاك الإنسان الذي تكون سودت  
صيته السنة الحاسدين »

وعليه فيجب على الرئيس المتصف بالحكمة والذكاء أن يعتقد ويقول : أن  
الشرف الذي يخسره أخي لن أكتسبه أنا فلا مجدي متوقف على هفواته ولا هفواته  
تحتسب لي فضائل وإنما أنا كسائر الناس لا اعتبر إلا بمقدار ما لي وما أنا عليه من  
الفضل وليس بمقدار ما يخسره أخي أو بمقدار ما أسلبه منه

وتصاري الكلام أن الرئيس الذي يفضل من هم أقل أهلية على من هم  
أكثر أهلية واستحقاق يُظهر للناس قلة دربه وذكائه . هكذا إذا ما أبعد عن  
خدمته ذوي الأهلية والاستحقاق واختار لها من يعرفهم عارين من المناقب المطلوبة

فيشهد على ذاته انه خاضع لحكم امياله غير المستقيمة اكثر من خضوعه للصواب والعقل وبئس المصير مصيره

### الفصل الثالث

في انه يجب على الرئيس ان يتقن معاونيه ويعضد سلطانهم  
والمعاونون هم المذبرون والروساء

لا شك في ان الرئيس يلتم تثقيف معاونيه بنوع خاص لان العقل مركزه  
الرأس والرئيس الحاذق يعني بامر معاونيه في ان يكونوا حاذقين لانه يتقنهم على  
المبادي الرهبانية وعلى الاختبار الذي علمته اياه الايام وهذا ما عناه ابن سيراخ بقوله :  
« ان القاضي الحكيم يعلم شعبه وحكم الرجل العاقل يدوم الى الانقضاء » (اهف  
١٠٠) وقال ايضاً : « الرجل الحكيم يتقن شعبه واثار الحكمة ليست بمجداعة  
( ف ٣٢ ) فليعلمهم اذا حد امتداد سلطانهم وكيفية الاجرات وليكن طرفه  
سهراناً ناظراً اليهم دائماً وعالماً بكل اجزائهم بل وليناقشهم من وقت الى آخر  
الحساب عن كل ذلك مبقياً لنفسه بعض المداخلة الرسمية في ما يوكل ادارته الى  
درايتهم وذلك توطاً او من دون توسط البتة وذلك بقدر اهمية العمل وعدم سهارة  
مقلديه وبهذا يتعلم معاونون حد سلطانهم ويتوفر عليهم قسم كبير من الشوائب  
والتشكيات من المروثوسين ومن سائر معاونين المجاوزين . ومن المعلوم ان  
الرئيس مجبور على ان يعضد معاونيه لان سلطانهم انما هو جداول من ينبوعه وهو  
لا يتمكن من القيام بسلطانه المطلق الا بمساعدتهم . وعليه فاذا هو عضدهم او مد  
اليهم يد المساعدة او اجل اعتبارهم فانما يعضد ويساعد ويحل سلطانه الخاص »  
وهذه المساعدة والاجلال لا يتوقعان كما قال مودست دي امابل على اداء الشهادة  
الحسنة بفظنتهم وخبرتهم بل بالخصوص على ان لا ينقض الرئيس شيئاً من الاعمال  
التي اتموها فلا يهب ما رفضوه ولا يرفض ما وهبوه . لان مثل هذا التناقض لا  
بد له من ان يضر بالسلطان المعطى لهم وينخفض من شأنهم واعتبارهم باعين  
مروثوسيهم » ( الرئيس الكامل ك ١ ف ٢٢ )

فالاب يوحنا غواز الكبوشي كان يقول : « ان ثلاثة اشياء لازمة وضرورية  
لتمكين الرهبانية ونجاحها وهي : اولاً ان لا يسرع احد بحريه في ميدان السياسة

قبل ان يدفعه لذلك دافع اعني ان لا يتقدم احد الى الوظائف قبل ان يقدمه اليها اربابها . ثانياً ان لا يعلم احداً قبل ان يتعلم اعني ان لا يأخذ على ذاته ان يهذب الآخرين على الفضيلة قبل وان تختبر فضيلته . ثالثاً ان لا يهدم ما كان قد بُني اعني ان لا يقاوم الرئيس معاونيه بالسلطان الذي يكون قلد هم اياه . »

فلا تقدر باحكام معلم الاعتراف بمحضرة المعترفين عنده ولا تعيب تصرفات مرشد المبتدئين بمحضرة تلاميذه وهكذا لا ينبغي ان تهجو بتعليم المعلم بمحضرة الدارسين عليه والاّ الحقت بالسلطة ضرراً جسيماً : فقد نبّه القديس برناردوس الروساء : « بالآّ ينخدعوا بهذه الحجة وهي ادعاء بعضهم : اني انا ارفع سلطاناً من معاوني نلي اذا ان اعمل ما يبدو لي . لانه اذا كان سلطانك ايها الرئيس اعلى مقاماً ايسوغ لك ان تعمل ما لا يحل عمله او ما تكون نتائجه مضرة بحق سلطانك نفسه ؟ فهل أعطيت هذا السلطان السامي للخراب ام للبنيان أو أعطيته لسلب سلطان غيرك ؟ الا ترى ان معاونيك هم ذوو سلطان حقيقي ولو كان منوطاً بسلطانك وان مقاومتهم بما يختص بهم هي تقويض لسلطانك نفسه ؟ »

وهل تريد بذلك ان ليس للرئيس الاكبر ان يذبه ويبكت معاونيه على ما يؤلون به عن توانٍ او صرامة . كلاً بل هو من الواجب لكن لا يسوغ ذلك الاّ سرّاً وليس بمحضرة مروّوسيههم والاّ فيكون شر الاصلاح اكبر من خيره هذا واذا ألجأت الضرورة الى عزل احد معاونين عن وظيفته فليكن ذلك بزيد اللطف والدراية كي لا تُمس حاساته ولا ينخفض شيء من شأنه

نعم ان في الرهبانيات التي يرأسها رئيس واحد عام تسوغ القوانين للمروّوسين ان يرفعوا دعواهم الى الرئيس الاقليمي او الى الرئيس العام اذا ما ظلموا من روسائهم الخاصين الاّ ان هذه القوانين تحرض الرئيس العام وروساء الاقاليم على ان يعضدوا ويؤيدوا اجراءات الرئيس الخاص اذا لم تكن مغايرة للانصاف وان لا يصدقوا بسهولة كل ما يدعيه عليهم المشتكون . وليس للرئيس الاقليمي ان يسمي رئيساً جديداً الاّ بعلم الرئيس العام وهكذا ليس له ان ييدي في الدير عملاً مهما كان الاّ بعناية الرئيس وسلطانه الخاص وتأمّر القوانين ايضاً ان لا يرفع احد المروّوسين دعواً الى الرئيس الاكبر الاّ مع ذكر الاسباب والحجج التي



حملت الرئيس الخاص على معاملته بما لا يجوز وذلك سداً لآبواب الخيل والمخاتلات . .

ولعمري ان هذا الامر الاخير من القوانين لضروري وجوهري لانه لو اخذ المروثوسون بكل فرصة يلتمسون ما يرغبون فيه من الروساء الكبار وتساهل هولاء بمنحه من دون نظر الى ما حمل الروساء المألوفين على رفضه لتأتى عن ذلك دمار سلطان الفريقين اعني الروساء الكبار والصغار معاً

قال القديس بيزدوس ( في اعتباراته لك ٣ ف ٤ ) : « ان من يقطع من يده احد اصابعه ليعلقه برأسه طمعاً بشأن الاصبع كأن تعلقه بالرأس يوليه شرفاً او فر من تعلقه باليد ألا ترى انه لم يول الاصبع ولا الرأس شرفاً بل اولاهما هواناً وامتهاناً اه وهذا عينه محل الرئيس الاكبر والمروثوس اذا ما بدا هذا بان يسحب نفسه من تحت ولاية رئيسه الخاص بالانضمام تحت ولاية الرئيس العام وحده ومن ثم فان الحجج التي تحمل الروساء الخصوصيين على عضد سلطان معاونيهم هي نفسها تحمل الرئيس العام وروساء الاقاليم على عضد سلطان الروساء المألوفين لانهم من انصارهم على اتمام سلطانهم في اديرة الرهبانية جمعاء

## الفصل الرابع

في انه مثلاً يجب على الرئيس ان يتحاشى كثرة المداخلة بحقوق معاونيه يجب عليه ايضاً ان لا يتركهم وشأنهم في كل ما يهون ويغبون فيه

من المبادي المقررة عند ارباب السياسة انه بقدر ما يزداد عدد معاوني للسلطة اعني بهم اصحاب الوظائف بقدر ذلك يزداد مجبوا النظام والاستقامة لان كلاً منهم يعتبر نجاح الملكة كعمله الخاص وهذا السلطان المتعدد والخاضع بعضه لبعض يتساعد ويتعاقد ويضحي غير واسع الحدود بامتداده فلذلك يقدر الكثيرون على القيام به وان لم يكونوا ممتازين بالنباهة والحذاقة

ولنا على ذلك مثال كامل في درجات الكنيسة الا ترى ان كلاً من البواب حتى الخبر الاعظم له رتبة ومقام ونصيب من السلطان لا يتعداه بل وليس له ان

يحسد اخاه الاسمى مقاماً

ومن الموافق جداً ان يتسامح الرئيس مع بعض معاونيه المتأزنين بالخذق والغيرة والاستقامة وان يوليهم من الحرية بخدمة وظائفهم فوق ما يمنحهم القانون وبذلك يكون مثالا وموعظة للآخرين فيقتدون بهم ويأثرونهم بالغيرة والاستقامة فالقديس اغناطيوس كان يعتقد ان الله جلت عنايته كان يولييه نعمة خاصة لانتخاب معاونيه وانه تعالى كان يولي معاونين ايضا نعمة خاصة لكي يقوموا بخدماتهم حق التيام وان هذا هو ما كان يساعده على اتمام واجباته

واما عضد الرئيس معاونيه فلا يتوقف على عدم نقضه الاحكام الصادرة منهم على بعض المروؤسين المعوجي السيرة والغير الخاضعين للنظام الرهباني بل يقتضي ايضا ان لا يتداخل باعمالهم الخصوصية وان لا يسلب حقوق وظائفهم بشيء البتة . فما قولك في رئيس يحفظ عنده مفتاح صندوق المال أما انه بذلك يمتن قهرمانه ويتعدى حقوق وظيفته وكذلك من يتداخل تواتر ترتيبات الديور ونظامه أليس يحقر اقنومه ويسلب منه كل حقوق مهمته وهكذا قل عن الرئيس الذي عوضاً عن اشتغاله بدرس قوانينه وسياسته العمومية يقتطف من سائر الاعمال ما يلذ له ويواه اشرف لمقامه ولسمو حذقه واما ما لا يرضاه فينبذه عنه ويلقيه على مناكب معاونين فانه بذلك يشوش افكار الجميع ويقلقها ويجعل كل معاونيه باضطراب وتذمر اذ يتعدى حق هذا ويدبر ذاك في كل اعمال وظيفته فهو بذلك يعلن ان ليس احد يحسن عملاً ان لم يتداخل هو فيه بنفسه او ان رئاسته لا تتأيد ان لم يمتن ويحقر معاونيه كلهم

ولعمري ان الغلو في كلا الطرفين عيب وشين فلا ينبغي الرئيس ان يكون عديم الثقة باحد ولا ان يثق بالجميع ثقة كاملة . وكذلك لا ينبغي ان يتخذ لنفسه كل سلطان ولا ان يلقيه عنه على الاطلاق فلا يدرّب معاونيه في كل مهامهم ولا يتباعد عنهم بالكلية . الا ترى ان في عدم الثقة مجلبة للتذمر وهذا قد رذله الحكيم حيث قال : « لا تطلب الشر في منزل الصديق ولا تقلق راحته » ( ٢٤ ) وكذلك في زيادة الثقة وعدم السؤال مجلبة للكسل والتهاون وهذا قد رذله وحمه النبي القائل لكل رئيس : « يا ابن البشر اني جعلتك رقيباً لآل اسرائيل

( اخوتك ) فاسمع الكلمة من فمي وانذرهم عني فاذا لم تنذر المنافق بشرط طريقه ليحيا فذلك المنافق يموت في اثمه لكني من يدك اطلب دمه . ١٠ هـ ( حزقيال ٣ )  
فموسى ذلك الرجل العظيم المدرب في فن السياسة من الله نفسه كان يفقد معاونه مرات خوفاً من ان تركه اياهم على هوا انفسهم يحملهم على التسامخ والاستبداد وبذلك يفقد كل رجاء في اصلاحهم . وقد فقه ذلك مودست دي سنت امابل فقال : ( الرئيس الكامل ك ١ ف ١٧ ) : « ان تهاون الرئيس بالسهر على معاونه يجعلهم عادة يطغرون ويبلغون على المرووسين وان يتجاوزوا حدود سلطانهم ظلماً وجوراً ويا ليتهم بعد ذلك يعودون فيخضعون لنير الطاعة الواجبة للرسوم والروساء » .

وبعد فان من واجبات المعاوين ان يجتهدوا في القيام بمهامهم وان ينسبوا كل شيء للرئيس الذي اليه تغزى كل سياسة الدير فهو الرأس في تدبير كل شؤون ديرهم والاعضاء ومن ثم يجدر به احياناً ان يعمل بعض الاعمال التي يراها ضرورية من دون التجا الى مشورة المشيرين ولا الى توسط المعاوين ليرى الجميع انه في سياسة ديرهم ليس كعقرب الساعة الذي لا حراك له ان لم تحرك الدواليب سرّاً من داخل بل انما هو كالرقاص او المحرك الاول للدواليب اجمع وهذا السهر متحتم على الرئيس حتى ولو كان مريضاً لانه هو روح الجماعة وكما ان الجسم لا يفيد الدواء ان لم تكن فيه الروح فكذلك الجماعة بدون رئيس لا يفيد علاج بل هي ميتة فعليه اذا ان يحياها بحركة تدبيره وسهره في كل الاحوال اما لو حالت دون ذلك موانع ولم يقدر ان يطلع على كل شيء فليكتف بالنظر الى ما جل وكان جوهرياً ضرورياً وليسأل عن ذلك اهل الفضل والثقة وليظهر دائماً رضاه عما حسن وغيظه مما قبح . وليطلب من معاونه حساباً مدققاً عن اعمالهم اليومية وبهذا يحرض غيرتهم على القيام بواجب وظائفهم بدقة ونشاط قد قسم البابا القديس غريغوريوس العظيم الروساء ثلاثة اقسام الاول يشمل الذين يتغافلون عن اعمال معاوينهم كأنهم في ثبات ثقيل . الثاني يعني المتعاسين الذين يرون اعمال معاوينهم معيبة لكنهم لا يقدمون على اصلاحهم اما حياء منهم واما طمعاً برضاهم او بغير ذلك من الرغائب المذمومة . الثالث يفهم به المتيقظون

كل التيقظ فيمهدون غيره ذوي الحدة وفورانهم ويقوون ذوي الكسل والفشل  
الآنهم في بعض الاحيان يفرطون في اظهار الغيرة والنباهة حتى انه يظهر للعموم  
كأنهم يريدون استعباد اخوانهم (الراعي ق ٣ ف ٥) . فلننصح التسمين  
الاولين بالأيدعوا معاونيهم ومروثوسيهم يعملون على هواهم واما القسم الثالث  
فعليهم الايتادوا بالمداخلة في مهام معاونيهم بل ان يصنعوا لغيرتهم حداً  
ودستوراً اه

### الفصل الخامس

في انه يجب على الرئيس ان يعرف من هم الجديرون بين مروثوسيه  
بالوظائف وان يعني بتثقيفهم وتأهيبهم لذلك

انه ليجدر بالرئيس الحكيم اذا لاحظ في احد مروثوسيه الاستعدادات  
الكافية للرياسة ان يأخذ بتثقيفه لها فيدرجه بالخدمات الوضيعة اولاً الى ان  
يبلغ شيئاً فشيئاً الى السامية ويرقب كل خطواته وحركاته ليرى حد اهليته لذلك  
ويحسكه تحنيكاً بليغاً فتقوى مناقبه وتضعف معاييه . هذا ومن الثابت ان  
الانتخاب سواء كان من الرئيس الاكبر او من الجمهور كله لا يولي المنتخب معرفة  
فن الرياسة ولا الاهلية لها . فعليه وجب ان يتدرب المروثوس لذلك بعناء وسهر .  
كيف لا ومعظم سياسة الجماعة ونجاحم الادبي والمادي قائم باهلية الروساء  
ومهارتهم في فن الرياسة فالقديس اغناطيوس كان من عادته قبل ان يسلم منصباً  
هاماً لاحد المروثوسين ان يمتحنه بخدمات شتى اقل اهمية قصد تربيته وتحنيكه .  
وبذلك كان يدرجه من السهل الى الصعب ثم الى الاصعب والاهم مظهر شيئاً  
فشيئاً ثقته بمهارته وحسن اجتهاده وتيقظه . وكان بهذا كله يرقب كل اعماله  
وحركاته مادحاً ما يستحق المديح وذاماً ما يستوجب الذم وبهذا كان ينهض  
ويختبر اهليته وامياله الخصوصية ومتى تاكد فيه كل الصفات اللازمة  
للرياسة مثل تملكه امياله واستقامة سيرته من كل اعوجاج وكرم نفسه  
في القيام بخدمة الجلال الالهي وخدمة القريب عن حب خالص واستيلاء ملكة



الطاعة عليه وتهذيب طباعه فكان اذ ذاك يقلده اهم الوظائف واسماها  
ويثق به كل الثقة ( يرتولي في حياة القديس اغناطيوس بتصرف ) . وليعلم  
الرئيس انه قلما يجد كل هذه الصفات في احد مروضيه بنوع كامل من دون  
عيب البتة بل لا يتمكن من ان يزيل من احدهم كل شائبة لان الكمال منقبة  
سماوية لا ارضية

## الباب الثاني

في المعثر التي يصادفها الرئيس في طريق سهره على حفظ القوانين  
وهي ثلاث : ١ مداخلته في كل شيء بدون استثناء ٢ اهتمامه بالامور  
الزمنية ٣ فرط اهتمامه بذاته

### المفائة الاولى

في المعثرة الاولى وهي تدخل الرئيس بنفسه في كل شيء بدون استثناء

عدد ١

في انه لا يايق بالرئيس ان يدخل نفسه في كل امر بدون استثناء

انه في سياسة كل جماعة يوجد ثلاثة انواع من الاعمال : الاولى كالية الالهية  
ولا بد للرئيس من ان يوعاها بنفسه . والثانية اقل اهمية وهذه يديرها بواسطة  
نائبه والثالثة عادية وهذه يديرها بواسطة مروضيه الذين يطلب منهم عنها  
حساباً ويرى بذاته كيف تمت . وعليه فالاجدر بالرئيس ان ينظر الى اعمال سياسته  
مجملاً وألا يضيع افكاره بتفاصيل طفيفة لكي يتقدر ان ينظر كل اعماله معاً  
فيرى كيف يوجه معظم همته وعنايته . وهذا يتم على افضل منوال اذا ما احسن  
الرئيس انتخاب معاونيه وتدريب كل على قدر مكتبته ووظيفته ولذلك يترب  
عليه ان يوقب سلوكهم بخدمتهم فينهض همه المتوالي ويحمد فوراً المتباهي بحماسته  
ويرفع مقام هذا ويقتض ذلك او يغيره عن منصبه كما توجب استعداداته واهليته

وهكذا يكون الجميع كأنهم في قبضة يده .  
 ألا ترى ان ليس للرأس ان يعمل اعمال الارجل والايدي ولا للملاح ان  
 يعمل بيده كل الاعمال بل ان يعني بادارة مركبه العمومية . فالمهندس عمل والبنّاء  
 والفاعل عمل آخرواقول ايضاً ان لمدير العجلة عملاً وللخيول المقطورة بها عملاً آخر  
 فانتبه . وهكذا في كل جماعة فان رأسها الحقيقي ليس الذي يعمل بيده كل شيء .  
 بل الذي لا يعمل بيده شيئاً وبامرّه وتديره يعمل كل شيء . فيفتكر في ما يجب  
 وينظر الى المستقبل والماضي يقابل هذا العمل مع مخاك ويوفق بينهما وينظر أي  
 هو الاوفق لخير الجماعة . ويختلق اشياء جديدة مفيدة للدير والرهبانية ولهذا لا  
 يقدر ان يعمل بيده كل شيء . ولو فرض انه قادر على ذلك فخير الجماعة الذي  
 يستدعي مساعدة الكثيرين لا يسمح بذلك بل ولا يجدر به ان يرقب بذاته كل  
 خطوة من خطوات معاونيه ولو كان مع ذلك مضطراً لان يقف على اعمالهم  
 وتدابيرهم كلها بل عليه ان يعمل ما لا يقدر غيره على عمله . اخيراً ان حذقه  
 ومهارته بفن السياسة ليسا بان يعمل وحده بل بان يجعل الجميع يعملون وان لا  
 يدع عملاً مهملاً .

لقد اطنب كثير من الفلاسفة واخصهم اريسطو في اجلال الدولة الملكية  
 ( التي يرأسها رأس واحد ) الا انهم عابوها بهذا وهو ان مرجع كل اعمالها بدون  
 استثناء يكون عادة شخصاً واحداً . والفهماء شيشرون لا يتصور دولة اعظم  
 ولا اطول مدّة من التي يرأسها جماعة من اهل الفضل والاستقامة ( ك ٢ في الفروض )  
 فاذا فوضت الى كل من معاونيك خدمة ما جعلته اسير حبك واضطررته لان  
 يضاعف نشاطه وغيرته قياماً بواجب ثقتك به ورغبة في نشر فضله واهليته .  
 وبالعكس لو اخذ الرئيس يعتني بذاته في كل عمل من اعمال ديره بدون استثناء  
 فانه بلا شك يُظهر عدم ثقتّه بمرؤوسيه وامتهانه لهم اجمعين ويُبدي صغر الفكر  
 وضيق الصدر والرغبة بالعجب والنفخخة ويضيع بذلك الوقت ويتلف قوى  
 جسمه وعقله بلا نتيجة مفيدة بل نرى مصالح الدير متعطلة ولا نرى احداً من  
 الجماعة قرير العين مجبور الخاطر . ثم أليس من الحماقة ألا يرضى الانسان ان  
 يقتدي بسياسة الله تعالى نفسه اما كان قادراً تقدّست اسماؤه ان لا يستخدم

الملائكة والانبياء . ولا الرسل ولا المعلمين ولا الرعاة لخير كنيسة ؟ قال القديس  
توما ان الله جلّت قدرته اراد ان يظهر حكمة عنايته بتدريبه عدداً غفيراً من  
العبدة في كرمه

عد ٢

في رأي بطروحي موسى ورأي القديس اغناطيوس في مداخله الرئيس  
في كل امرٍ من امور معاونه

ولما كان الغد جلس موسى ليقضي للشعب فوقف الشعب امامه من الغداة الى  
العشي . فلما رأى حمو موسى جميع ما يصنع للشعب قال ما هذا الذي انت تصنعه  
للسعب وما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقفون امامك من الغداة الى  
العشي ؟ فقال موسى لحبيه ان الشعب ياتونني ليلتمسوا امر الله . اذا كان لهم  
دعوى ياتونني فاقضي لهم بين الرجل واخيه واعرفهم فرائض الله وشرائعه . فقال  
لموسى حموه ليس ما تصنعه بحسن فانك تكل أنت وهذا الشعب الذي معك ايضاً  
لان هذا الامر فوق طاقتك لا تستطيع ان تتولاه وحدك . والان اسمع مني ما  
اشير به عليك ويكون الله معك . كن انت للشعب من قبل الله ترفع دعاويهم  
اليه وتنبئهم بالفرائض والشرائع وتنهج لهم الطريق الذي يسلكونه والعمل  
الذي يعملونه . وانت فانظر من جميع الشعب انساناً اقوياء اتقياء لله مستقيمين  
يكرهون الطمع وول منهم عاينهم روساء فيئات بين الف ومائة وخمسين وعشرة  
فيكون انهم يقضون للشعب في كل وقت ويرفعون اليك كل امرٍ عظيم . وكل  
امرٍ صغير يحكمون فيه هم وخفف عن نفسك وهم يحملون معك فان انت صنعت  
هكذا وامرك الله امكنت القيام . وجميع هذا الشعب ينصرفون الى مواضعهم  
بسلام . فسمع موسى من حميه وصنع جميع ما قاله . فاختر موسى انساناً اقوياء  
من جميع اسرائيل فجعلهم روساء على الشعب روساء فئات بين الف ومئة وخمسين  
وعشرة . فكانوا يتضون للشعب في كل وقت وكل دعوى صعبة كانوا يرفعونها  
الى موسى وكل دعوى صغيرة كانوا يحكمون هم فيها « (خروج ١٨)

ولما ظهر الملاك للقديس باخوميوس فلكي يعلم فن الساسة اشار عليه ان

يوزع رهبانه فئات وان يعين لكل فئة رئيساً يوعى مصالحها ويسهر على الروساء ويطلب منهم الحساب عن الجميع لان الرئيس الاكبر كما قال له الملاك يلتزم ان يسهر على الروساء والمروثوسين

والتيديس اغناطيوس ما كان يريد ان يتدخل روساء المعاملة في جميع امور روساء الاديار والدارس ولا ان يُعني هولاء بكل عمل يختص بسياسة اديارهم ومدارسهم لان الرياسة ليس من شأنها ان تتزع كل اهلية من المروثوسين وتجمعها في رأي الرئيس وحده بل كان يشير ان تُعطى لكل مهمة يهتم بالقيام بها وذلك لاسباب شتى منها ١ ان من ليس بيده الا عمل واحد يُحسن القيام به احساناً تاماً و ٢ ان الله جلت حكمته يُعطي كل واحد نعمة خاصة بمهمته و ٣ ان المروثوس عندما يرى رئيسه معنياً بالمهمة التي فوضها اليه لا يعود فيعتقد انها متروكة على عهده فيتوانى بالقيام بها ٤ ان المروثوس يكون قد رأى في مصلحته وتعلم بالاختبار ما لم يره الرئيس ولم يتعلمه بالنظر وحده و ٥ ان صاحب المصلحة يضطر في ظروف كثيرة لان يضارع المصارع بالسرعة في عمله لان التأخير اذ ذاك ولو قليلاً يلحق بالمصلحة ضرراً كبيراً والمروثوس لا يقدر وقتئذ ان يقابل الرئيس ليستشير من دون تأجيل العمل ٦ اذا اخطأ المروثوس في العمل ولم ينجح فاحق به ان يكون هو نفسه ملوماً من ان يقع اللوم على الرئيس . وكان يقول ايضاً للرئيس ان يعرف كل شيء ويامر بكل شيء لكنه لا يليق به ان يعمل بذاته كل شيء . ولا ان يتنازل الى الخسائس الدنية من دون تمييز . فان الثقة بالمروثوسين وتقويض بعض المهام اليهم لما يزيدهم نشاطاً ونباهة وامانة ولا يُخشى الرئيس من ان يُخدعه احد معاونه بعدم امانته لانه خير له ان يُخدع في بعض الاحوال من ان يخون الجميع لانه من المحال ان يقوم هو وحده بكل مصالح ديره او رياسته العامة ولو قدرنا ان ذلك بامكانه أفلا يلزمه مع ذلك ان يشقف غيره ويربيه لخدمة الرهبانية في المستقبل أولاً يعلم ان حبريته لا تدوم الى الابد اه



## المقالة الثانية

في المعثرة الثانية وهي الانهماك بالزمنيات  
عد ١

في رأي القديس غريغوريوس في انه اذا اتخذ الرئيس لنفسه الغاية  
بالزمنيات يضر بمصلحة الرئاسة ويشينها

وهذا كلامه بحروفه : « ينسى البعض من الرؤساء انهم اقيموا من قبل العناية  
لخلاص اخوتهم فيوجهون معظم اجتهادهم الى خدمة الامور الزمنية ويتوقون  
اليها كل التوق ويهذون فيها لياهم ونهارهم واذا اتفق لهم ان يفرغوا احياناً من  
الاعمال الزمنية تراهم مضنكين من البطالة كأنهم لا عمل لهم البتة لان العمل  
بالزمنيات اضحى لديهم راحة والفراغ منها تعباً ونصباً . وانهماكهم هذا بالزمنيات  
يجعلهم يجهلون كل الجمل واجباتهم الروحية التي لا بد لهم من معرفتها وتعليمها .  
فالقديس بولس اوصى الرعاة بالعناية بالزمنيات فقال : « اذا عرضت لكم دعاوي  
لكي تفصاوها فعينوا لها اناساً من رعيتكم اقل انعكافاً على الروحيات واقل  
خبرة فيها من غيرهم وانتم تكونون لهم قضاة » فكأنه يقول بذلك انه لما كان  
من الضروري ان يوجد بينكم اناس غير قادرين على القيام بالروحيات فاشغلوهم  
بالزمنيات لئلا تلتها انتم بهذه عن تلك

وعليه يجب على الاسقف ان يعتني بالروحيات ويدع العناية بالزمنيات لبعض  
مروثوسيه لان عين المؤمنين ( المرموز بها عن الاسقف او عن الرئيس ) لا يابق  
بها ان تكون مظلمة بغبار الاعمال الزمنية . فالرؤساء في الجماعة هم كالرأس  
والمروثوسون كالأعضاء ولا غرو ان الرأس عليه ان ينظر طريق الارجل عن بعد  
ومن عل لانه لو لزم ان ينحني الجسم كله ويهتم بمعرفة الطريق لكل الانسان  
من المشي في اول مسيره وخاتمه رجلاه .

ولعمري اني للاسقف ان يتشكى من امتناع مروثوسيه عن اجلاله اذا كان  
ينهاهم عن الزمنيات وهو منهمك فيها . نعم ان المحبة تضطرننا احياناً لبذل بعض

العناية بذلك غير انه لا يسوغ لنا ابدًا ان نكون مغرمين بها لانه يجب علينا ان نخاف من انها تسقطنا من شرف درجتنا الروحية الى اسفل دركة من دركات الحياة الزمنية ١٠ ( الراعي ق ٢ ف ٦ )

وهذا العلامة نفسه في كتابه المعنون بالاداب سمى الانهاك بالزمنيات رياء ومخاتلة ( ك ٣٣ ) تستولي على البعض الذين يريدون ان يُروا الناس انهم راغبون في شأن الدين مع انهم ليسوا على شيء من الاعتبار للامور الروحية فيجتمعون في ان يكتسبوا لانفسهم حسن السمعة والشهرة في المهارة بالزمنيات وهم اذ كانوا لا يكثرثون لخسارة الحرارة الروحية ولا للبرارة نفسها اخذوا يتظاهرون بالخوف من احكام الله من جرّاء الخسارة في الاملاك والارزاق وما ذلك منهم الا رياء ومخاتلة بحدوث الله

وينصح هذا العلامة في كتابه المذكور ( ق ٣ ف ٢٧ ) أولئك الذين لهم في الزمنيات حظٌ وافر ان لا يلتهاوا بها وينسوا الذي اعطاها وان لا ينشغفوا بالارضيات بل فليكن انشغافهم بما هو معدٌ لهم في السماء الوطن الحقيقي وان لا يغيروا غاية هذه الخيرات الارضية من كونها واسطة معينة للحصول على السعادة الابدية الى صيرورتها مانعاً يمنع عنها وان لا يكتفوا بضوء القمر لارشادهم في ظلام الليل فيرغبوا عن نور الشمس الساطع المعدّ لانارة النهار .

واما الذين ليس لهم ما يكفيهم من الخيرات الزمنية فينضحهم ايضاً ان يسيروا سيرة من ينتظر الارث الابدی فالاب لا يهب ابنه قسماً من ماله وهو وريثه الوحيد بل يهب مثل ذلك للابنة التي لا حق لها في ارث الملك والله تعالى ما كان ليعتني بتهديب قلوبنا على الامساك عن هذه الخيرات الزائلة لو لم يكن قصده ان يجعلنا مرتاحين الى السعادة الخالدة . ومثل ذلك الطبيب الذي ما دام يروجو شفاء عليه يمنعه عن الاطعمة المضرة واما من ينش من شفائه فلا يمنعه عن شيء منها البته .

فهذه النصيحة الاخيرة من القديس غريغوريوس تعزي تلك الجمعيات الرهبانية التي لمزيد فقرها تحتاج غالباً الى اللازم والضروري اما النصيحة التي قبلها فتنبه افكار الجمعيات الغنية التي لا يعودها شيء الى ان لا تتعاق بالارضيات وتتغاضى

في ان القديس برناردوس يوضح هذا المعنى باسهاب في كتابه  
( البصيره )

قد كتب هذا القديس الى البابا اوجانيوس ما ملخصه : اذا كان الاسقف  
او الرئيس الروحي لا يفهم كلام المخلص الائل : « اطلبوا اولاً ملكوت الله  
وبره وهذا كله ( اي الخيرات الزمنية ) تردادونه » ولا يعمل به فلن ياترى قيل  
هذا الكلام وعلى من ألقى هذا التعليم الالهي ؟ فاذا كان فرعون ذاك الرجل  
الوثني وثق بيوسف الرجل اليهودي وسلمه اكبر خزائنه . والقى عنه كل اهتمام  
بها فكيف لا يثق رجل مسيحي بمسيحي آخر مثله وبالاكثر كيف يمكن ان  
واهباً لا يثق براهب مثله وهو يدعو اخاه

ورب معترض يقول : لو وجدنا قهرماناً حكيماً واميناً مثل يوسف لما تأخونا  
دقيقة عن ان نسلّمه ونفوض اليه كل الامور التي نهتم بها اما القديس برناردوس  
فيجيب بقوله : « ان معلمنا الالهي لم يتر له قهرماناً مثل يوسف بل اختار يهوذا  
الغاش مع علمه بمكره ونفاقه وانما فعل ذلك ليعلمنا ان نشق بغيرنا حتى بقليلي  
الامانة لكيلا نلتهى نحن عن الروحيات بالزمنيات بنوع من الانواع

وقال ايضاً : « انه لامر عجيب ان يجد الاساقفة عددًا غفيراً يستحقون ثقتهم  
بخدمة الانفس وايرادها موارد الخلاص ولا يجدون واحداً جديراً بثقتهم في  
ادارة الامور الزمنية . فيالهم من قهارة مدققين فانهم يوجهون معظم اجتهادهم  
الى اصغر الاشياء واحقرها ويتغاضون عما هو أهم واعظم واحق مما سواء بالعناية  
والسهر . فياللاسف اننا نتحمل الاضرار التي تلتم بالرب يسوع مها كثرت وعظمت  
وان لم بنا ضيرٌ ولو يسير لا نطبق احتماله

اننا نحسب نفقاتنا يوماً فيوماً ونسعى في الاقتصاد للتعويض عنها باحثين عن  
ذلك بحثاً دقيقاً . اما الخسائر العظيمة التي يعانينا قطع السيد المسيح فليس لنا  
بها اهتمام ولا علم . نرانا نخاضع الخادم على ثمن المأكّل وعلى عدد الارغفة التي

أُكَلِّت في النهار ولا نقول كلمة لردع الآثم والمعاصي كما تليق بالجلال الإلهي . ان  
الحمار اذا سقط في حفرة فيوجد من ينتشله اما النفس اذا سقطت في الخطيئة وفي  
دركات الهلاك فليس من يهتم بها ولا يكثر لها

والاسقف نفسه كم من مرة يجمع حاشيته حتى الخدام ايضاً ويسألهم فرداً  
فرداً عن سبب الخسارة التي تكون نزلت باملاكه وعن الوسائط الفعالة التي تمنع  
حدوثها فيما بعد ومع ذلك متى يجمع كهنة رعيته ويسألهم عن حالة الانفس المعهود  
بها لحراسته والمشتراة بشمن الدم الكريم ؟ لا عجب في ذلك لانه قلما يفكر  
بوثبات العدو المستمرة على خراف رعيته

فيا من يعلمون غيرهم ما بالكم لا تعلمون انفسكم الا ترون ان هم  
الامور الزمنية يضر بنفوسكم كالاضرار التي يجدها السيل الجراف اذا ما انهمل  
في حقل فما بالكم اذا لا تبادرون الى قطع هذه المجاري قبل ان تتلف حقل  
نفوسكم ؟ امأ قطعها فيكون بصرف الذهن عن الاهتمام بالامور الدنيوية صرفاً  
كاملاً واذا مست الحاجة الى شيء من ذلك فلا ننصرف اليه باكتراث ولحاجة بل  
بهديو واعتدال

والقديس فرنسيس سالس قد اختصر كلام القديس برناردوس المقدم ذكره  
بقوله : « ان الاساقفة الصالحين يارسون بذاتهم خدمة الانفس واما ادارة الزمنيات  
فيقيمون لها قهارمة مخصوصين وبعكسهم الاردياء من الاساقفة فانهم يهتمون  
بذاتهم بالامور الزمنية ويلقون على مناكب غيرهم العناية بالامور الروحية  
ان هذا الكلام الذي نقلناه عن القديس غريغوريوس والقديس برناردوس وان  
كان لا يوافق كل الموافقة روساء الاديار في بعض الرهبانيات التي توجب رسومها  
عليهم العناية بالروحيات والزمنيات معاً الا انه يوافق غيرهم من الروساء ويفيدهم  
هم ايضاً لكيلا يفضّلوا شيئاً من الزمنيات على الواجبات الروحية

عد ٣

في بعض قواعد يتعلم بها الرئيس ان لا يهتم بالامور الزمنية اهتماماً مفرطاً  
وان لا يهملها اهمالاً مفرطاً ايضاً  
القاعدة الاولى انه يجب على الرئيس ان لا يهتم في الزمنيات الا بعداهتمامه



في الروحيات أولاً . لأنه من حقوق مهمته ان يُعني أولاً في خلاص مروؤوسيه وفي نجاحهم بالفضيلة والتداسة

الثانية انه لا يسوغ له مع ذلك ان يتغاضى عن الاشياء الزمنية لانها وقف للرب من كرم المسيحيين لا يقوم بدونها خير الجماعة الروحي

الثالثة ان الرئيس ولو وجب عليه ان يحسن الثقة بمروؤوسيه ويسلم الى البعض منهم مصالح دير الزمنية فيلزمه مع ذلك ان يطلب ممن ولأهم الوظائف حساباً مدققاً ومفصلاً عن كل اعمالهم وعن كيفية نجاحها وكمية دخلها وصرفها لأنه بدون ذلك ينتج سيلاً لبعض معاونيه الى ادعاء العصمة والاستقلالية فيمسي هو خاضعاً لامرئهم وتديبرهم ويكونون هم المسلطين وهذا مما يضر بمحتوق السلطة كل الضرر وقد يعرض في بعض الظروف الصعبة ما يوجب سوء ال الرئيس رأيه في هذه الامور الزمنية وانى له ان يُبدي رأياً في امور لم يقف على حقيقتها بدقة وتفصيل

الرابعة ان يرجع الرئيس الامر في كثير من اعماله الزمنية ان لم اقل فيها كلها الى تدبير قهرمانه وان يظهر له عند سنوح الفرصة الثقة بامانته وحسن سياسته اذ يقلده بعض الخدم الشريفة لأنه بهذه يزيد غيرة واجتهاداً

خامساً ان هذه الثقة لا ينبغي ان تمنع الرئيس عن السهر الدائم على اعمال القهرمان وكيفية نجاحه بها بل عليه ان يطالبه بالحساب عنها شيئاً فشيئاً والاً يسمح له بانهاء شيء هام من دون علمه ورأيه

فينتج مما قلناه بهذا الخصوص انه لاضلال مبین ان نحكم باهلية احد للرياسة لمجرد مهارته بتدبير الزمانيات وهو لا يفقه جيداً واجباته الروحية لان الغاية الاولى بدخولنا الرهبانية انما هي خلاص انفسنا لا الرخاء والرفاهية في معيشتنا . وقال الرب لنا نحن الرهبان خاصة : « اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره والباقي تزدادونه » فمن البين اذا ان الرئيس الفاضل هو الماهر بعلم الفضيلة والتداسة وليس المحنك بالسياسة الزمنية وحدها لان غاية رياسته ليست توسيع الاملاك ولا حشد الاموال في خزائن دير ( اوفي جيبه لا سمح الله ) بل ملء نفوس مروؤوسيه نعماً وفضائل

وثانياً : ان الرسوم الرهبانية لا توجب على الرئيس الاعتزال عن المهام الزمنية

الا لاجل خير انفس رهبانه لان اعتزاله عن الزمنيات يجعله ان يقف كل زمانه لاتقان الفضيلة والتعمق في فن الحياة الروحية .

قال الاب القديس اشعيا ( خطبة ٧ ) ان اربعة اشياء تطفى عادة نار العبادة وهي الخروج من الدير بتواتر والاشغال الزمنية والتعلق بالارضيات والبخل وهذه الاربعة قلما لا توجد في من ينهمك في الزمنيات ولما كانت المهارة في الحياة الروحية من الواجبات التي لا يُعفى منها الرئيس فقد حكم القديس بوناونتورا انه اذا لم يوجد في الدير من يحسن ادارة الزمنيات غير الرئيس فالاولى تحمل بعض الخسارة فيها من ان تكون الخسارة في الروحيات بسبب انشغال الرئيس عنها وقد تقدم لنا مثل ذلك في كلام القديس برزدوس الى البابا اوجانيوس حيث اتى لاثباته بمثال السيد المسيح الذي لم ينفك عن تسليمه الصندوق الى يهوذا مع تأكده انه كان مزماً ان يسرقه ( ستة اجنحة ف ٧ )

ثالثاً : ان العناية في الامور الزمنية قد تكون واجبة ومتدسة وضرورية اما اذا بُلغ فيها او تفرغ لها الرئيس وحده فتضحي مضرة لانها تعوقه بل تمنعه عن الاهتمام الواجب بشأن الامور الروحية اما لو بقيت هذه العناية في حيز الترتيب والنظام ووكل بها الى عناية القهرمان المعين لذلك فتصبح حينئذ هي نفسها العناية بالامور الروحية والسهر الواجب عليها فهي تجعل الرئيس ان يطلب رأي مؤازريه في الاشياء الملتبسة التي يرتاب بامر نجاحها وهي توجب عليه كذلك ان يأخذ رضاهم الصريح في كل امر خطير وان لا يكون مستبدًا برأي نفسه على الاطلاق ثم ان هذه العناية نفسها هي التي حملت الكنيسة المقدسة الام الحنون على ان تأخذ تحت حمايتها الخاصة املاك الرهبانيات وتهددت بالحرم كل من يختلس منها شيئاً وذلك محافظة على معاش بنينا الرهبان وعلى احسان المؤمنين وبركاتهم فقد حرم اوربانوس الثامن على الرهبان ان يبيعوا او يشتروا شيئاً من الاملاك الثابتة بدون رضى الكرسي الرسولي اما في الاماكن التي لم يجز فيها هذا الشرع الكنسي إماً لانعام خاص من الكرسي المقدس لبعض الرهبنيات او من قبل عادة قديمة او اخيراً من جرأ بعد المسافة وشدة المشقة في الوصول الى رومة فبكل حكمة وصواب قد ترتب على الاسقف رئيس الجمعيات ( وهكذا القول عن

الرئيس العام في الرهبانية ) ان يأمر بما يلي وهو اولاً ان لا يتجاوز احدٌ من الرؤساء في نفقاته المبلغ الذي يكون قد حدّه لهم  
ثانياً : ان لا يقوم احدٌ منهم ببنائية عظيمة او باصلاح هام قبل ان يعدّ لذلك جمعية تتألف من مهندس ورجل آخر عارف بالاشغال واثنين من الاكايروس والجمعية تُبدي رأيها وتعرضه على الاسقف فيثبتها اذا رآه موافقاً وثالثاً : ان يقيم الرئيس وكيلاً حاذقاً يتولّى حساباته ويضبطها بكل دقة ليعرضها في كل سنة على الاسقف او على معتمده إذ بهذه الوسيلة لا غير تنجو الجمعيات من طعن الالسن التي قلما تنفك عن التنديد بها بحق او بغير حق .  
والتنديد يكون غالباً على عناد الرؤساء اذ لا يمثلون رأي احد وعلى عدم ثباتهم اذ انهم يهدمون في الغد ما بنوه بالامس . وعلى طيش البعض منهم الذين يشرعون في اعمال كبيرة لا نتيجة لها او انهم لا يحسنون عملها وعلى سداجة البعض الاخر لثقتهم ببعض المهندسين الذين لمطامع في النفس او لسوء نية يكلفون الدير نفقات باهظة لا طائل تحتها ويطوّحونه بدعاوي مهمة شأنها ان تغرقه في لحج الديون .

وكلامنا هذا في الجمعيات والاخويات الخاضعات شرعاً لاسقف الرعية . اما الاخويات التي لها رئيس عام واديارها ممتدة في ابرشيات مختلفة فالاسقف (وعندنا السيد البطريك ) وان لم يكن له ان يتدخل في سياستها الزمنية المختصة بالمجمع العام او بالرئيس العام ومشيريه تبعاً لرسوم تلك الاخوية المثبتة من الكرسي الرسولي فيمكنه مع ذلك عند مسيس الحاجة ان يتدخل ويوقف جري النفقات الباهظة اذ ان القوانين المقدسة توليه هذا السلطان وهو بالحقيقة نائب الكرسي الرسولي في ما يلاحظ قطع الشكوك ومنع خراب الاديار .

## المقالة الثالثة

### في المعثرة الثالثة

وهي محبة الذات المفرطة

عدد ١

يجب على الرئيس ان لا يعتبر ذاته بالحقيقة الا خادماً لروؤسيه

ان المروؤسين لا يسلمون انفسهم وحریتهم لرئيسهم الا لثقتهم انهم يجدون فيه سنداً وملجأ لهم ويرونه غيوراً عليهم ولولا هذا التعويض لما كانوا يقدمون على تضحية الذات العظيمة . ان الكتاب المقدس يمثل الرعاة احياناً كثيرة بالجنود وحرثة الارض والكرامين والحراس الذين يسعون وراء راحة الآخرين وصفاء عيشهم مع تضحية راحتهم الخاصة ويمثلهم ايضاً بالاساس الذي يحمل البنيان كله وهو نفسه غير محمول ويشبههم ايضاً بالنور الموضوع على منارة مرتفعة ليلقي نوره على كل الجهات . وبالسحب والانهر التي تفيض مياهها على الارضين القريبة والبعيدة

ومن ثم ينتج ان الروساء كرامة المواشي ليسوا لذواتهم بعد بل هم لروؤسيهم لانه يستحيل انفصالهم عنهم كما يستحيل انفصال الراس عن الجسد . فهم اذاً للكل كما ان الكل اسلموا اليهم انفسهم . وعليه فاهم واجباتهم واهم مهماتهم انما هو تكريسهم ذواتهم لخير الجماعة حتى انهم لو اكتفوا بمصالحهم الشخصية سواء كانت زوجية ام زمنية تخنضوا من شأنهم وانخطوا عن مقام الرياسة وشرفها

والى هذا اشار الرسول بقوله : « واذ كنت حراً من الجميع عبت نفسي للجميع » ( ١ قور ٩ ) فكأنه يقول وكل ما انا عليه وكل ما هو لي انما هو لخير الانفس وانا جدير بان اضحي ذاتي لهذا الخير اقتداءً بالسيد المخلص . فالجميع اذاً يهوداً كانوا ام امماً يونان ام بربر لهم علي هذا الحق ومن الان فصاعداً انا لهم



ولست بعد لذاتي

« لا نكير على اننا قبل سر الاقتدا كنا خاضعين للعبودية وكان يحق للمالكين علينا ان يستخدمونا ويستكدونا لمصالحهم الخاصة اما بعد الاقتداء فعدنا الى حال طبيعتنا الاول والحال ان من حقوق طبيعتنا بعد اصلاحها بالنعمة ان نتمتع بالحرية بنوع ان من يملك علينا لا يسوغ له ان يستعبدنا بحسب هواه بل عليه ان يُدير اعمالنا ويدبرنا في ما يلائم صوالحنا الخاصة لانه يعتقد ان ما اوتيته من السلطان انما هو لخيرنا العام وليس خيره الخاص ( مودست دي سانت امايل : الرئيس الكامل ك ١ ف ٣ )

والقديس برزدوس يكرر هذا الموضوع مراراً اذ يقول : ان الرئيس لم يصير رئيساً لاجل خيره الخاص بل لاجل خير الآخرين وانه حقيق بان يتتره عن مصالحه الخصوصية لكي يسعى وراء مصالح مروضيه وبهذا لا غير يقوم شرف الرياسة ولذا كم السبب لما اراد الرب ان يستودع بطرس خرافه كرر عليه قوله : « أتجني » فكانه يقول له ان كنت لا تجني اكثر من خيراتك واكثر من اهلك ومن ذاتك ايضاً فلا تُتقدم على رعاية خرافي التي ابتعتها بشن دمي اه ( اعتبارات ك ٢ ف ٣ ) والقديس اغوستينوس يفسر هذه الاية « ارع خرافي ارع نعاجي » بقوله ان الرب يريد ان نرعى خرافه لا خرافنا لاننا لو اعتبرناها كأنها لنا فنظهر اننا نجب ذواتنا اكثر مما نجبه تعالى وعلى هذا يخاطب هذا القديس رعيته بقوله لهم : « اننا بصفة كوننا مسيحيين نحن لذواتنا اما بصفة كوننا رعاة الكنيسة فنحن لكم لان كوننا مسيحيين هو لخيرنا واما كوننا اجاراً رعاة فهو لخيركم » ( عن الراعي )

وقال غيلوم الباريزي قولاً يُق له الاعتبار وهو انني لا اطيق ان اسمع العامة تسمي الروثوسين عبيداً او خاضعين ولا اعتبر ذاك الا غلطاً منهم لان الروساء هم بالحقبة عبيد وخاضعون وليس الروثوسون اه

وقد لحظنا من قول القديس فرنسيس سالس ان الروساء يستطيعون ان يمارسوا الطاعة ويغتنموا استحقاقها لانهم بسلطانهم يامرون بالطاعة لله وفوق ذلك قال هذا القديس المعظم ان درجة طاعة الروساء اسمى من طاعة الروثوسين

وقد اشار الى ذلك بطرس الرسول بقوله : « كونوا خاضعين لكل خليفة لاجل يسوع المسيح » اه فاننا في هذه الطاعة العمومية لكل الناس نجعل ذواتنا لكل وخادمين لكل كأنهم روساءونا وانما ذلك لكي نربح الكل ليسوع المسيح » وبالحقيقة ان هذا القديس عندما كان ياتيه احد سواء كان فقيراً او خادماً او ولداً صغيراً فكان يتبله ببشاشة وجه بل كان يجلس امامه جلوسه امام رئيسه يسمع له ويحييه بدون ان يظهر له شيئاً من الضجر او الاشمئزاز او العجرفة

وكل يعلم ان الحبر الاعظم يوقع اسمه للملوك ولجميع الناس بهذه الالفاظ « عبد عبيد الله » وما ذلك الا دلالة على اخلاصه في الخدمة واتضاعه الحقيقي

عد ٣

في ان الرئيس بقبوله الرياسة يجعل ذاته كفيلاً عن مروثوسيه

قال القديس غريغوريوس « ليعلمن الروساء انهم اذا صنعوا الشر يستوجبون الموت مرات بقدر ما سيوا بسيرتهم العثار للشعب ومن ثم وجب على الروساء ان يبالغوا في السهر على ذواتهم لانهم اذا عثروا لا يتعرضون لفقد الحياة فقط بل انهم يحملون مسؤولية هلاك اولئك الذين يعثرون بعثارهم . ولا شك في ان قول الحكيم : ( امثال ٤ ) « يا ابني ان كلفت صديقك وصفتك كفك مع اجنبي فقد اشتبكت باقوال فك وأخذت بكلامك » هو تنبيه شديد للروساء لاننا عندما قبلنا الرياسة اخذنا على ذواتنا مسؤولية خلاص مروثوسينا وكفلنا ذلك لاننا صفتنا كفنا مع الاجنبي وارتبطنا باقوال فمنا وأخذنا بكلامنا فتوجب علينا ان نعلم رعيتنا التعاليم الخلاصية بالفعل قبل القول اه ( الراعي ق ٣ ف ٥ ) وقال غيلوم الباريزي : « لو سألتني عما يعمله الرئيس بقبوله الرياسة لاجبتك جواباً صوابياً وهو انه لا يعمل عملاً آخر سوى تقديم ذاته كفيلاً عن مروثوسيه في كل اعمالهم اه

والقديس برناردوس كان يقول : ويل لي ماذا عساه يحل بي لو توانيت بحفظ الوديعة التي سلمنيها مخاصي يسوع المسيح تلك التي يعتبرها اكثر من دمه الكريم

فَوُكِنْتُ التَّقَطُّ شَيْئاً مِنْ هَذَا الدَّمِ الْكَرِيمِ وَقَدْ كَانَ نَازِلاً مِنْ عَلَى الصَّلِيبِ  
نَقْطَةً فَنَقْطَةٌ وَاخْذَتْهُ بَيْنَ يَدَيَّ فِي آنَاءِ سَرِيعِ الْعَطْبِ وَسُرَتْ فِي طَرِيقٍ مَنَحْدَرَةٍ  
وَزَلَّاقَةٍ فَمَا كَانَ أَشَدَّ ارْتِعَادِي خَوْفاً مِنْ أَرَاكِنِهِ ؟ فَوَا أَسْغَاهُ أَنْ قُلُوبَنَا لِاسْرِعْ عَطْباً  
مِنَ الرِّجَاجِ وَالْوُلُوجِ إِلَى دَاخِلِهَا أَصْعَبُ مِنَ الْوُلُوجِ فِي هَاوِيَةٍ عَمِيقَةٍ وَكَأَنِّي أَسْمَعُ  
مَنَادِيّاً يَنَادِينِي أَيُّهَا الْحَارِسُ مَاذَا تَنْظُرُ وَاللَّيْلُ مَدْلُومٌ ؟ أَجِيبْ بِنَا أَجَابَ بِهِ قَائِنٌ :  
« أَلَيْ عَالِي حَارِسٌ لِأَخِي أَهْ (عِظَةُ ٣ فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِلْمِيلَادِ) وَإِذَا رَأَيْتَ سَاعَةً غَيْرَ  
مُحْكَمَةِ الضَّبْطِ فَانْكَ لَا تَوَجَّهْ الْيَوْمَ عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّاعَاتِي صَانِعِهَا وَهَكَذَا لَوْ  
شَاهَدْتَ وَرَقَ شَجَرَةٍ يَصْفَرُ وَيَنْثَرُ قَبْلَ الْوَقْتِ فَانْكَ لَا تَنْسِبُ ذَلِكَ إِلَى الْأَغْصَانِ  
بَلْ إِلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ لِأَنَّ الْمَرَضَ فِيهِ وَلَيْسَ فِي الْأَغْصَانِ

وَكَذَلِكَ لَوْ عَثَرْتَ رَجُلَكَ بِحَجَرٍ فَانْكَ لَا تَلُومُ الرَّجُلَ بَلْ الْعَيْنَ لِأَنَّهَا لَمْ تُبْصِرْ .  
فَهَكَذَا الرَّئِيسُ بَيْنَ جَمَاعَتِهِ فَانْهُ وَحْدَهُ يَحْمِلُ مَسْئُولِيَةَ الْجَمِيعِ بِتَمَامِهَا لِأَنَّ أَعْضَاءَ  
الْجَمْعِيَّةِ لَا يُطْلَبُ مِنْهَا سِوَى الطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْإِتْقَادِ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَيُطْلَبُ مِنْهُ  
السَّهْرُ الدَّائِمُ بِلَا مَلَلٍ وَلَا زَلٍّ

قَالَ ابْنُ سِيرَاحَ ( ف ١٠ ) : « كَمَا يَكُونُ قَاضِي الشَّعْبِ يَكُونُ الْخَادِمُونَ  
لَهُ وَكَمَا يَكُونُ رَئِيسُ الْمَدِينَةِ يَكُونُ جَمِيعُ سَكَانِهَا »

فَإِذَا كَانَ الْمَلَّاحُ مَتَيْقِظاً وَيَرْقُبُ الرِّيحَ بِاجْتِهَادٍ يَصِلُ الْمِينَا آمناً وَأَمَّا إِذَا أَغْفَلَ  
السَّهْرَ وَالْقِيَّ مِنْ يَدِهِ الدَّفْعَةُ فَتَفْرُقُ سَفِينَتُهُ وَيَخْسِرُ كُلَّ مَا فِيهَا وَهَكَذَا سَائِقُ الْمَرْكَبَةِ  
فَطَالَمَا هُوَ قَابِضٌ بِيَدِهِ عَلَى الْعُنَانِ فَالْخَيْلُ تَطِيعُهُ وَالرَّكَّابُ بِأَمْرِهِ أَمَّا إِذَا أَرَخَى الْعُنَانَ  
أَوْ تَغَاضَى عَنْ أَهْدَاءِ الْخَيْلِ سِوَاءِ السَّبِيلِ فَالْخَطَرُ يَتَهَدَّدُ الْمَرْكَبَةُ . وَالرَّبُّ لِأَسْمِهِ  
السُّجُودَ لَمَّا وَجَدَ التَّلَامِذَةَ كُلَّهُمْ نِيَاماً لَمْ يَغْزُ النَّعَاسَ إِلَّا إِلَى بَطْرُسَ وَحْدَهُ إِذْ  
قَالَ لَهُ : « يَا سَمْعَانَ أَتَنَامُ »

وَعِنْدَمَا كَانَ الْإِنْبِيَاءُ بِالتَّأْذَارِ الْقَارِزِ يَتَأَمَّلُ يَوْماً فِي مِثْلِ الرَّاعِي الصَّالِحِ سَمِعَ  
صَوْتاً يَخَاطِبُهُ بَاطِناً وَيَقُولُ لَهُ إِنَّ الرَّاعِي الصَّالِحَ هُوَ الَّذِي يَصْلُحُ حَالُ رَعِيَّتِهِ .  
وَعَلَيْهِ فَعِنْدَمَا يُعْطِي الرَّبُّ الرِّعِيَّةَ رَاعِياً صَالِحاً فَانْهُ يَمْنَحُهَا أَكْبَرَ نِعْمَةٍ وَأَثْمَانِهَا  
وَالشَّعْبُ لَا يَزَالُ صَالِحاً طَالَمَا يَقِيدُهُ رَئِيسٌ صَالِحٌ . وَالرَّاعِي يَكُونُ مِثَالاً لِرَعِيَّتِهِ  
وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُجْعَلُ الرِّيَاسَةُ ثَقِيلَةً وَمَخِيفَةً فَالرِّعِيَّةُ كُلُّهَا تَرْقُبُ الرَّاعِيَّ وَتَبْذُلُ

غاية الجهد في ان تطبق اعمالها على اعماله اه ( كتاب حياته ) ولنذكر هنا ما قاله  
 الرب بلسان النبي حزقيال ( ٣٤ ) : . . . . ويل لراعاة اسرائيل الذين كانوا  
 يرعون انفسهم . اليس الرعاة من يرعون الغنم . انكم تأكلون اللبن وتلبسون  
 الصوف وتذبحون السمين والغنم لا ترعونها . الضعاف لم تقوتوها والمريضة لم  
 تدأووها والمكسورة لم تجبروها والشاردة لم تردوها والمفقودة لم تطلبوها وانما  
 تسلطتم عليها بقسوة وقهر . فاضحت مشنتة من غير راع وصارت مأكلًا لكل  
 وحش الصحراء . . . لذلك ايها الرعاة اسمعوا كلمة الرب : هاتنذا الى الرعاة  
 فاطلب غنمي من ايديهم »

فهل لنا ان نبين باجلى ايضاح كره الرب لحب الروساء ذواتهم او شديد  
 التزامهم بالتيقظ والسهر وكونهم هم المسئولون عن كل ما ينقد من رعيته اه  
 عد ٣

في ان الرئيس حقيق بان يقضي حاجات مروثوسيه قبل قضاء  
 حاجات نفسه

من المبادئ الافرنسية القديمة ان الحاكم ان لم يكن ذا شهامة واخلاص  
 بنوع يفرق المعتاد فلا يكون من ذوي الحشمة والادب وعلى هذا يمكننا باولى  
 حجة ان نقول ان الرئيس ان لم يكن ممتازاً بالتزهد عن الاغراض والاميال  
 الخصوصية وبالتفاني لحد الشهامة لا يُعتبر راهباً صالحاً لان هذه الخصال في الرئيس  
 ليست من الكمال الفائق المعتاد بل هي من الواجبات الضرورية التي بدونها  
 لا يُقال عنه انه رئيس صالح ولا راهب صالح . ولنا ان نقول عن الرياسة ما  
 قاله القديس غريغوريوس عن الاسقفية وهو : « ان الذي لا يشعر في طلبه  
 الاسقفية الا برغبة التسلط على الآخرين وارواء غليل كبريائه وان يكون في  
 سعة العيش ولذيذه فهذا لا يجب مهام الاسقفية بل لا يعرف ما هو شرف هذه  
 الدرجة ولا قداستها لانه لا يتوخى في طلبها الا الارباح والملاذ الزمنية وهو  
 الجدير بان يترفع عن كل ما هو دنيوي والافكيف يحصل على شرف هذه الدرجة  
 التي هي مقر التواضع العميق اذ انه لا يشتهيها الا للتباهي والعظمة اه ( الراعي



ومن البين انه لا يسهل على الانسان ان يسعى وراء خير الاخرين الا بتضحية  
خير نفسه وبكونه لا يرغب ولا يقصد في كل ما يعمله سوى مصلحة القريب .  
والحال من يمكنه غير الرئيس القديس ان يبلغ الى هذه الدرجة من محبة القريب  
وروح التفاني ؟ . اخيراً نكرر ان فضيلة الرساءة الخصوصية انما هي رغبتهم في  
خير القريب قبل خير انفسهم . وكل رئيس يرغب في مجده او في سعة عيشه  
لا يكون محباً إلا لذاته مع ان الله الذي رفعه الى وظيفة الرياسة يطلب منه ان  
يفضل مصلحة القريب على مصلحة نفسه وعلى مرغوباته الخصوصية

قال القديس امبروسيوس ( في كتابه عن القردوس ) : انا لا اعرف فضيلة  
ذات ثمار سعيدة مثل الاستقامة التي تجمعنا ان ننضل مرضاة القريب على مرضاة  
انفسنا وخير الجمعية على خيرنا الخاص اه وهو غس الذي من سان فيكتور  
يقول : « الويل لك اذا كنت رفعت على الناس ان لم تكن سلطتك لاجل  
الناس والويل ثم الويل لك اذا كنت تتصور كناقص العتل ان السلطة انما أعطيت  
لك لاجل افادتك لا غير اه فكأنه يقول بصريح العبارة انك لم تكن رئيساً  
لاجل ذاتك بل لاجل مروؤسيك وليس من المعتول ان يكون الكل لاجل  
واحد بل ينبغي ان يكون الواحد لاجل الكل اي لاجل راحتهم وسعادتهم .  
ولاجل ذلك اقول لك ايها الرئيس انك حقيق بان تضحي لخدمة جماعتك  
راحتك وحريةك وعنايتك ورغباتك وزمانك وحياتك ايضاً واعلم انك لا  
تكون اهلاً للرياسة الا بمقدار ما تفوق مروؤسيك حكمة وفضيلة وبان  
تضحي ذاتك لاجل خيرهم

وهذه الحقيقة قد عرفها الوثنيون انفسهم . قال احد الفلاسفة « ان الملك لا  
يكون الا الاخير في حظ التمتع بالملاد » وكاسيودوروس كان يبذل الجهد في ان  
تكون تترهاته نفسها مكرسة لاجل خدمة المملكة « وسينيكوس كتب الى  
احد اصدقائه الذي كان مرشحاً للملك قال : « انه ما عاد لك من الان فصاعداً  
ان تبغى ما يوافق صواحك وذوقك » وهذا الفيلسوف نفسه قال عن الملك قيصر :  
« انه مذ كرس نفسه لاجل خير المملكة ( يريد انه تبوأ الملك ) قد خُطف عن  
ذاته ولم يعد لها بل صار بكلية للذين ملك عليهم لانه كما ان الكواكب لا

تتحرك إلا لاجل خير العالم هكذا الملك لا عمل له إلا لاجل خير المملكة اه  
وقال انتيفونس لابنه : « يا بني ألا تعلم ان ملكنا ما هو إلا عبودية شريفة اه  
واحدي النساء اذ لم يُسمح لها بمقابلة الامبراطور ادريانوس قالت له بمجدة ودالة :  
« لا تجعل اذاً نفسك امبراطوراً اه

وقد لخصنا فيما تقدم ان الرئيس عليه حتى في نفس مرضه ان يكون لجماعته  
كروح تنعش فيهم الحياة والحركة بنوع ان محبته لهم تقوي ضعف بدنه وتحمله  
على ان يموت وهو قائم قاعد في خدمتهم

جاء عن القديسة مريم الجدلية التي من باتري انها تلتفت من ربنا اله المجد  
نصيحة وهي هذه : « عليك ان تبذلي الجهد المستطاع بحسباً اعطيك من القوة  
والنعمة في ان يكون لك من الاعين على عدد الانفس التي اسلمها لعنايتك  
وتدبيرك ومثلما يتوق الابل الى المياه هكذا ينبغي ان تتوق الى سعادة وخدمة  
اعضائك ( مروثوساتك ) ولا يكن لك اعتبار جسديك اكثر من اعتبارك التراب  
الذي تدوسينه برجليك وابذلي قصارى الجهد بان تكوني على نوع ما قوتاً للجوع  
وشراباً للعطاش وكساء للعراة وفرحاً للمحبوسين وتعزية للحراني . اه

وبالتأزار القارس كان من عادته ان يقول : « ان الرئيس حقيق بان ينسى ذاته  
لاجل مروثوسيه ويضعي لهم راحته بل عليه لاجل خدمتهم ان يهمل العناية  
بصحته ويحتسب ذاته الاخير بينهم ويعزم على السهر الدائم وان ينوح على المتوانين  
منهم وان يستعد ايضاً الى متابلتهم معروفه وتقانيه بنكران الجميل والدمدمة  
عليه والكره له ولساثر اعماله اه . ( كتاب حياته )

ولما اراد بعض الناس ان يُثنوا دوم برتولاوس عن زيارة احدى القرى الوعرة  
قال لهم : « أليس سكان هذه القرية الوعرة هم خرافي مثل سكان السهول فلا  
شيء يثني عن مساعدتهم . وبعد اما انا الكفيل بخلاصهم امام الله تعالى . اه  
والقديس برزدوس عندما اراد البعض ان يلطفوا خشونة تقشّناته قال لهم :  
« يا اخوتي لو عرفتم ما هي واجبات الراهب لقلتم انه خليف بان لا يأكل لقمة  
إلا مغمسة بالدموع . لانه لما كان عائشاً من اتعاب الشعب كان حقيقاً بان يكون  
كفارة عن الشعب وان يلتمس لهم النعم . واذا ذاك فاذا اقول عن حالي الحاضرة

ووظيفتي توجب عليّ ضعف اضعاف ما هو متوجب على الراهب البسيط لان  
الرئيس من حيث انه مسؤول عن الجميع وجب عليه ان يكفر عن خطايا الجميع  
ويستمد لهم النعم والبركات السماوية وعلى ذلك فلا ينبغي ان تحثوني على تخفيف  
تقشفاتي بل بالاحرى على تضعيفها والادمان عليها الى المات اه (رسالته ٣٨٦)

عد ٤

في انه على الرئيس ان يفضل ايضاً خير مروثوسيه

الروحي على خيره الروحي نفسه

قال القديس برنودوس لرهبانه (في عظته ٥١) : « اني منذ صرت رئيسكم  
اعتبرت نفسي ملتزماً ان افضل خدمتكم وخيركم على صلواتي ودروسي وتأليني  
وعلى كل ما هو شهويّ عندي للجسد او للنفس لان المحبة تضطريني الى ان اطلب  
ما هو لكم وليس ما هو لي اه

وعلى كل رئيس ان يقول ما قاله يوماً ما شاوول عندما لحظ ان جائحة سهاوية  
تسقط عليه ولم يكن يدري من كان السبب لذلك قال : « فان كنت انا او ابني  
يوناثان اجترحنا الذنب فابن نقيمتك فينا اما اذا كان واحد من الشعب فارحمه واغمره  
بفيض انعامك اه (١ ملوك ١٤)

ولعمري ليس من دليل او برهان اشد تأثيراً وبياناً على محبة الرئيس لمروثوسيه  
من ان يتمنى لنفسه من الضربات ما يكون قد استحقته المروثوسون بخطاياهم -  
فموسى كايم الله تضرّع اليه تعالى لكيلا يضرب الشعب وقال له : « امحُ اسمي  
من سفر الحياة » وبولس الرسول عندما رأى تعامي شعب اليهود عن امر خلاصهم  
اراد ان يكون مبعلاً عنهم

وهنا نسأل هل يسوغ لاحد ان يتمنى ولو عن غيره ما عيس الضمير او ان  
يكون مبعلاً من مشاهدة الله ؟

الجواب كلاً ولكن موسى الكليم وبولس الرسول ارادوا بهذا الخطاب للغزة  
الالهية ان يبينوا انه لو ساغ لاحد ان يتمنى خسارة السعادة لتبناها لانفسها حجة

بمساعدة الشعب على خلاصهم . او انها رغبا كما فسر القديس توما ( ٢٠٢ س ٢٧ ف ٨ ) ان يكونا محرومين مدة من السعادة لو كان بذلك خيرا ومساعدة للقريب

او كما شرح القديس يوحنا فم الذهب انها كانا عازمين على التخلي عن لذة محاطة بالله الباطنة لكي يتفرغا للعناية بخلاص الانفس لان كل لذة ولوروحية كانت لديها مرة عند نظرهما خطر الهلاك يتهدد الشعب وقال بذلك القديس برناردوس ان مثل هذين الرجلين العجيبين مثل امرأة فقيرة كادت تهلك جوعاً مع ولدها فاتفق ان رآها احد الاغنياء فدعاها الى وليمة فاخرة على شرط ان تكون مع ابنها ثمرة احشائها فابت قبول هذه الدعوة وقبول الحياة ايضاً واختارت ان تموت جوعاً مع ولدها اه ( عظته ١٢ )

قال القديس اغوستينوس « أتريد ان تعرف ما هو رأيي بخصوص واجباتنا في الصلاة نحن الرعاة فاقول قولاً باتاً باننا ملتزمون ان نجتلي للصلاة كأن ليس لنا شاغل آخر يشغلنا عنها . ونحن ملتزمون ايضاً ان نبذل كل العناية والجهد في خدمة القريب كأنه ليس لنا شاغل سواه . فلنكن اذاً مواظبين على الصلاة طالما تسمع انا الفرصة بالتفرغ عن اعمال خدمة القريب اما اذا دعتنا هذه الاعمال فلنبادرنا حالاً اليها ونترك الصلاة والاختلاء اه . وقال القديس برناردوس بهذا المعنى الى البابا اوجانيوس قولاً سعيداً وهو : « فاذا سألتني قداستك ما الافضل امام الله هل الصلاة ام العمل فاجيب انك لو اعتبرت ذاتك شخصاً خصوصياً لكانت الصلاة لك افضل اما اذا اعتبرت نفسك شخصاً عمومياً فالعمل افضل وعليه فلا ينبغي ان تتفرغ للعمل بنوع انك تنسى الصلاة ولا ان تكون مغرماً في الصلاة بنوع انك لا تذكر خرافك الذين بكل عدل وصواب يطلبون عنايتك بهم اه . اعتباراته ك ١ ف ٧

فينتج من ثم انه ليس فقط يسوع للرئيس ان يبارح الاعمال الروحية العائدة لخير نفسه بل يجب عليه ذلك ليتفرغ لخدمة مروضيه . ولعمري كيف يمكن الرئيس ان يتصور نفسه باراً وغير ملوم امام الله فيما لو توغل في البرية تمتعاً بلذة الاختلاء والتأملات الروحية على حين افتقار جماعته الى وجوده بينهم وعنايتهم بهم



وإلا فما الزوان الذي يزرعه العدو وديست القوانين وتأصلت العوائد السيئة . او  
ماذا عساه يجيب القاضي العادل اذا ما سأله عن القيام بواجباته ووضع له في احدى  
كفتي الميزان صلواته الطويلة التي لم يتلها الا بترك واجباته وفي الكفة الاخرى  
كل الشرور التي حدثت وكان يوسعها ان يمنعها وكل الخير الذي منعه وكان جديراً  
بان يجريه فعلاً ؟ اه

وبعد فان هذه التضحية التي يعملها الرئيس حيناً عن حرية وحيناً عن اضطرار  
من قبل واجبات مهمته هي شريفة وذات شهامة وتكسب من يقوم بها كل خير  
يظن انه فقد به بل هي تأتيه بخيرات اعظم

عد ٥

في ان الرئيس خليق بان يفحص فحصاً مدققاً عن قيامه

بالسهر الواجب على خير مروثوسيه

وذلك على هذا النمط

١ هل هو عارف بكل هذه الواجبات وهل هو معتن بان تكون دائماً نصب  
عينيه وهل يتفرغ من وقت الى آخر للتأمل فيها فانه لو عرف ثقل هذه الواجبات  
لتأملها ملياً ولو تأملها كما ينبغي لرغب في حفظها وفي ان يحفظها الجميع ايضاً .  
اماً لو خفي عليه بعض هذه الرسوم لعدم اطلاعه عليها او لانه نسيها فكيف له ان  
يطالب بممارستها ؟

٢ هل له غيرة بحسب روح الرب ؟ غيرة عمومية تشمل الجميع بدون استثناء .  
غيرة حارة تلتهمه بنوع ما ولا تدعه يذوق الراحة قبل ان يبلغ كل واحد من  
رهبانه الكمال المطلوب منه بحسب النعم المعطاة له . غيرة دقيقة لطيفة لا تدعه  
ان يحتدم غيظاً وغضباً عند مشاهدته بعض النقائص من مروثوسيه بل تحمله على  
الشفقة عليهم والرفق بهم . غيرة ذات تيقظ تبحث باجتهاد عن الوسائط الفعالة  
فتضعها بالعمل ولا تنفك إلا ان تبلغ الغاية المطلوبة . غيرة ذات فطنة ودهاء تجد  
سبيلاً للاتفاق مع الجميع ولاستخدام كل الظروف لنيل الغاية المقصودة . غيرة

ذات حكمة لا تفرض على الجميع الأعمال التجرد والكفر بالذات بل انها تبين لهم ضرورة الكمال ثم تكلف كلاً من الروثوسين بما تراه موافقاً لشربه وامياله واطباعه وقوته اهـ . ( مرشد الروساء ٦ ) ثم ينبغي له ان يفحص عما اذا كان يجهل بعض امراض مروثوسيه الروحية لانه لم يتقص البحث عنها في الوقت المناسب والنوع الموافق او انه لم يعطهم السدالة ليدنوا منه ويكشفوا له سرائر قلوبهم . او انه لم يعتن ب مداواة هذه الامراض او انه عاجلها بطريقة غير مألوفة او انه لم يستقص الاسباب او انه لم يبعد عنه التصورات التي استولت على افكاره باطلاً . او انه لم يبعد مروثوسيه عن اسباب السقوط . او انه لم ينبه ويصاح كل شي . بوقته . او انه اخيراً لم يطالب بكشف الافكار الا تظاهراً وتقليصاً من لوم اللاتين

٣ هل هو معتن بحفظ النظام الديري كما ينبغي وبحفظ القوانين وبنوع خاص بحفظ فريضة الصمت باوقاته والمحافظة على المحبة الاخوية . واما هو مذنب باغضائه عن محالي القوانين بنوع الاهمال او غص الطرف او التسامح لنفسه او لمن يلوذ به او تفسير بعض مواد القانون على ما يهوى . وعليه ايضاً ان يفحص عن ترتيب القلاي ونظافتها وترتيب ونظافة المحلات العمومية ولاسيا المكتبة والكنيسة

٤ وما يهم الفحص عنه بكل دقة هو قيام اهل الوظائف بحقوق ووظائفهم كالاقتنوم مثلاً فهو يقوم مقام الرئيس ويمثله بامور كثيرة . هل هو على مشرب واحد وقام الاتفاق مع الرئيس . ثم الاب المرشد هل له المعارف الكافية والغيرة والفطنة اللازمة والرقيب هل له ملء الحرية ليلتغ ملحوظاته لاصحابها باوقاتها . ووكيل الصرف هل هو معتقد ومقتنع بان الادارة التي يكون فيها روح السخاء والسماحة المقرون بالفطنة الرهبانية يوفقها الله بنوع خاص وينجح اعمالها

وهل انه باذل كل عناية واهتمام بتهديب الاخوة الذين لم يرتقوا الدرجات المقدسة ولاسيا الشبان منهم . والبواب هل هو ممتاز باستقامته وتدقيقه وأدبه واحتشامه ولطفه مع الجميع . وخادم المرضي هل له محبة الوالدة ورأفتها بنوع ما وهل انه يأتيهم ليس فقط بما يكون ضرورياً بل بما يكون موافقاً ومسوحاً به من روح القانون . والاخ الطاهي ( الطباخ ) هل يأخذ يومياً التعليمات اللازمة من

الاب الاقنوم لكيلا يدير الجمهور بحسب هواه واميا له الخصوصية ؟  
 ٥ معاطاته مع السلطة الكنسية والمدنية هلا يعيها شي من جهة المحبة ومن جهة التورط باسباب ياها روح القانون او هل انه يتبع بذلك مشورة الرب للقديسة المجدية دي ياتري اذ قال لها : « كوني مع اهل العالم ذات فطنة كالحية ومع اصفيا في بسطة كالحمامة . واخشي الدنو من الاولين كما تحشين الدنو من التنين . اما الآخرون فاقتربي منهم كما تقتربين من هيكل الروح القدس اه .  
 وهل انه في زيارته الناس وزيارات الناس له يكون دائماً مثلاً يقتدى به . وماذا يقول الناس عن ديريه وهل ان للمحسنين في ديريه ذكراً خاصاً وصلوة عمومية وكيف علاقاته الودية مع الرهبانيات الاخر غير المشتركة مع رهبانيته وما هي مساعيه لاجل الصلح والاتفاق مع الاخصام ايأ كانوا

٦ ممارسة العبادة في ديريه كيف هي جارية هل ان القراءة على المائدة هي ذات افادة علمية وروحية ؟

والمجمع الديري هل يُعقد بحسب رسم القانون بما يحق له من الاهمية والاهتمام والارشادات الروحية التي ينبغي ان تصدر مرتين في السبّة على الاقل هل هي ذات معانٍ قوية راسخة ومطابقة للاحتياج . والرياضات السنوية هل لمرشديها الصفات اللازمة من علم وفضيلة وهل للمتروطين فيها الاستعدادات الواجبة التي بدونها لا يكون لها نتيجة البتة

٧ والزمان هل هو مستعمل في ديريه حق الاستعمال الا يوجد عنده احد بطالاً او متلهياً اكثر اوقاته بامور لا طائل لها . فمثل هذا ليس انه لا يفيد ولا يستفيد فقط بل لا بد له من الحاق الضرر بكل من يعاشره . وبعداً أما ان الرئيس هو المطالب امام الله بهذه الخسارة الجسيمة والمسؤول بابطال البطالة من ديريه وهل له من عذر مقبول في خوفه وجبانه او ترفعه عن الاهتمام بمشاهدة ما يعمل كل فرد من رهبانه . فليتأمل ويعمل

في انه ينبغي للرئيس ان يفحص فحصاً مدققاً

عن افراط محبته ذاته

هل يعامل مروتوسيه كما كان يريد ان يُعامل هو قبل ان صار رئيساً  
قد جاء عن ترايانوس قيصر انه رسم على ذاته شريعة وهي : « اني معاملة  
وعيتي ما دمت ملكاً كما كنت اريد ان يعاملني الملوك لما كنت من التبعة وانا  
ابذل قصارى الجهد بان يكون في من البشاشة والمهشاشة ما كنت اشتبهه في  
الملوك وسائر الحكام اه

ان يوحنا اسقف سيراكوزا اراد يوماً ما ان ينقل احد كهنة ابرشيته من  
مكان كان منشرحاً فيه الى مكان آخر لا يوافق ذوقه ولا مشربه فدرى بذلك  
القديس غريغوريوس فكتب اليه يبكته على هذا العمل قال : « ارجو الا تسه  
اننا نحن الرعاة جديرون بان نكون مع خرافنا على حسابنا نتنى ان تكون  
رعائنا معنا لو كنا من الخراف . وعليه فلو كنت ياترى في مقام هذا  
الكاهن البائس لوجوده بعيداً عن اصحابه ومعارفه في بلد لا يوافقه هواؤها  
لكنت تحب بلا شك ان يواعيك راعيك ويعيدك الى محلك الاول فارغ الحق  
والصواب يارعاك الله واسمع ابتهاج هذا الحزين وأعدّه الى محله الاول لانه يوافق  
ذوقه ومشربه اه . (ك ٢ ع ٦ رسالة ٣٦) .

٢ وهل يعامل مروتوسيه كما يعامل نفسه في كل شيء . ولندكر بعض علامات  
تدل على محبة الذات ليرى الرئيس اذا كان فيه شيء منها ١ اذا اشترى اوحاك  
لنفسه ثوباً اقل خشونة من اثواب الاخوة . اذا اعتنى بفرش اوضته او تزيينها بنوع  
افضل من سائر الاخوة . اذا حفظ لنفسه من كل شيء احسنه . اذا اوصى الطبّاخ  
بان يطبخ اكثر الاحيان ما يوافق ذوقه من دون التفتات الى ما يوافق ذوق الجمهور  
اذا كان لا يسمح للرهبان بالزيارات اللازمة الاً مع شيء من العنف والامتنان  
وهو لنفسه سمح بكل نوع منها لازمة كانت او غير لازمة . اذا تسامح



لنفسه فيما يخالف النظام الديري ويشوشه مثل النوم والقيام بغير وقته والتأخر عن الحضور في بعض الاعمال العمومية مثل صلوات الفرض والمائدة والقراءة الروحية وما اشبه . اذا حفظ لنفسه بعض الاعمال التي يرى فيها اكثر سهولة واجزل شرف واخيراً اذا لم يهتم بما يعوز الاخوة وهو سخي وشديد العناية بكل ما يكون له فيه بعض الحاجة

٣ ألا يستصوب اليوم ما كان يراه في الامس خطأ؟ فياللاسف ان من الناس من يرون في حال رياستهم صواباً ما كانوا يرونه قبل رياستهم خطأ فكأن الاشياء التي كانت في الامس مغايرة للصواب من ذات طبعها اضحت اليوم صواباً وعدلاً أو كأن رياستهم غيرت طبع مثل هذه الامور حتى انه ما عاد لازماً الفحص ولا السؤال عن كونها عادلة او غير عادلة :

ان البابا يوليوس الثاني هتف عند ساعة موته وقال : « اليوم ارى ان محبة الذات قد اعمتني واضلعتني في امور شتى ولكن يا للتعاسة حال البشر ولا سيما الروساء الكبار لانهم لا يرون ما هو الموافق والمفيد عمله الا بعد فوات الفرصة فان علو مقامهم وشرفهم يثقلان الباهم ويزينان لهم ان كل ما يعملونه هو عدل وصواب وان لهم ايضاً ان يجوزوا لانفسهم ما لا يجوز ولا سيما بعد انجاز العمل . وهكذا قلما يمكنهم ان يعترفوا بذنبهم اهـ . اما النفس الكريئة الراسخة في كل احوالها وتدابيرها طائعة كانت او مطاعة فلا تصوب او تخطيء الا ما كانت تراه دائماً صواباً او خطأ لانها لا تسند حكمها على الاوهام السابقة ولا على هوى الطبيعة بل على الحقيقة والعدل وهذان الامران لا يعتريهما تغير ولا تبديل البتة

٤ أما انه يذم في الاخوة خصالاً يراها في ذاته تستحق الثناء والمديح ؟ لقد تقدم لنا ان الروساء هم اشد التزاماً بالخضوع للشرعية من سائر الرهبان لان ما عدا كونهم ملازمين ان يكونوا رهباناً صالحين يلزمهم ايضاً ان يكونوا روساء فاضلين وقدوة لمروثوسيهم . واذا كانوا غير خاضعين للرسوم والقوانين بالنظر الى القوة الضاغطة اعني من كون ليس عليهم من يجبرهم قسراً على حفظ القوانين . فهم مع ذلك خاضعون لها بالنظر الى القوة المرشدة اعني بها روح القانون ونية المشرع الاول . قال مودست دي سانت امايل : « انه لو استثنى الروساء انفسهم

وقت ابرازهم النذور من حفظ الرسوم الا طالما يكونون مروؤسين لجاز انهم لا يلتزمون الخضوع لها مدة رياستهم . اما هذا الاستثناء فلا يخطر على بال . وما عدا ذلك فهل للرياسة ان توليهم حقوقاً جديدة لا ولكنها توليهم السلطة على عقوبة المخالفين والسهر الخصوصي على ذواتهم لكي يكونوا محافظين على الشريعة وغيورين على حفظها قبل الجميع اهـ . ( الرئيس الكامل ك ف ١٤ ) فالقديس امبروسيوس لما اراد ان يلح على الملك واليانيوس بالخضوع لشريعة الكنيسة قال له : « اعلم ايها الملك العظيم ان سلطانك السامي على الشعب لا يعفيك من ان تكون ابناً للكنيسة كسائر الناس ولا من ان تكون نظيرهم خاضعاً لشرائعها » اهـ والقديس غريغوريوس زاد على ذلك فقال للملك : « ان شئت ان تكون اميناً فيما يجب عليك فاحرص في امساك نفسك عما تستطيع اليه سيلاً اهـ » ومن ثم ينتج ان الرياسة لا تولي الرئيس حقوقاً بان يتجاوز الشرائع بل انها بعكس الامر توجب عليه حفظها اكثر من كل احد . وهذا ما لا يفهمه بعض الروساء الذين يضغطون على مروؤسيهم ويتشددون بعقوبة من يتجاوز الشريعة وهم يتجاوزونها بكل طمأنينة وراحة بال ويؤنبون المخالفين على اقل الزلات واخفها ولا يرون ان يؤنبوا انفسهم او يلوموها على اعظم المخالفات واكثرها . وهكذا قل عن كل رئيس ينهي عن الشر ويأتي بمثله ويأمر بعمل الخير وهو لا يعمل منه شيئاً

## الفصل الثامن

في بعض امثلة الوداعة واللفظ

عد ١

داود النبي والقديس يوسف والقديس بولس

من لا يُدهش من وداعة داود النبي ولا سيما تلك التي اظهرها لشاول وابيشالوم . فان القديس يوحنا فم الذهب يؤكد لنا انه لما عاين الشعب باي كرم نفس وشهامة

عفا داود عن شاول ولم يُرد ان يؤذيه بشي . اخذوا يطيعونه ليس كطاعتهم انساناً بل كطاعتهم ملاكاً سماوياً . او من تراء يسمع رثاء داود موت ابنه ابيشالوم الولد العقوق ولا تتفطر اكباده حزناً فكان يناديه « يا بيشالوم ولدي . يا ولدي ابيشالوم » ومثل هذه الحاسات كانت تجعله ان يخاطب الله بقوله له : « اذكر يارب عبدك داود واذكر كل وداعته اه ولا شك ان الوداعة هي اعظم وساطة يقدمها الرئيس لله تعالى اذ يمكنه ان يقول له بدالة وحق : « اذكر يارب عبدك واذكر جميع دعتة اه واي مشهد عجيب لا تراه في يسوع ومريم ومار يوسف اذ كانوا عائشين سوياً عيشةً مشتركة في بيتهم الفقير بالناصره ؟ من تراه كان يأمر هل الرب يسوع ؟ كلاً لانه تقدرت اسماؤه لم يكن اتي الا ليطيع ويعلمنا الطاعة . هل البتول مريم ؟ كلاً لانها كانت ملتزمة الطاعة لله ولزوجها الطاهر . هل القديس يوسف ؟ العله ما كان يهاب التأمر على ربه وعلى والده الله نعم ولكن اذا ما ألجأت الضرورة فكان يخضع لارادة الله ويأمر . غير ان اوامره كما لحظ العلامة اوريجانوس كانت برقتها ولطفها تدل على الطاعة اكثر منها على التأمر فاذا كان كانت السلطة هل للثلاثة سوياً ؟ لا بل بالحري لم يكن احد منهم مسلطاً لان كلاً من يسوع ومريم كان يرغب في اتمام ارادة يوسف ويوسف كان يدير العائلة لا بروح السلطة والتأمر بل بروح الدعة والتوكل

واي مثال اعجب من المثال الذي تركه القديس بولس في الكنائس التي كان مقلداً خدمتها . مثال الثبات والوداعة . فقد قال للرومانيين : « اني طالما انا رسول الامم فلا ازال ابذل كل الجهد في ان تكون خدمة رسالتي مكرمة ومعتبرة عند الجميع اه وقال الى اهل تسالونيكي : « اني كنت بينكم كالطفل اه فهذا ما يقضي على الرئيس بان يكون وديعاً كالطفل مع اجتهاده في ان تكون خدمته مكرمة . وبعد فمن كان يتألم ولم يتألم الرسول معه ومن كان يسقط ولا يحترق هو لكي يقيمه فكان كلاً للكل وعبداً للكل لكي يربح الكل . ولما كان يأمر المسيحيين بشيء كان يقول لهم : « اني استخلفكم باحشاء محبة سيدي يسوع المسيح : اني اتضرع اليكم بحق وداعة السيد المسيح . اني ارجوكم بمزيد الاحاح انا اسير السيد المسيح . . . اذا كنتم تحبوني او اذا كنتم

خدمتكم بشي . كافوني لاجل مجد السيد المسيح اه  
واذا مست الحاجة الى التوبيخ لاجل الاصلاح فكان يُظهر حيناً الخوف  
وحيناً الرجاء . وقتاً كان يوفق بالذنب ويعذره ويمد له يد المساعدة لينشله من  
ورطته . وحيناً يلاطفه بمزيد الحنان ويظهر للمحسنين اليه معرفة الجميل  
ويتمدح الاعمال الحسنة التي يكون قد عملها المذنب من قبل . واذا اراد توبيخ  
اغز اولاده على فتورهم وتوانيتهم فكان يقول لهم : « اما كنتم تحبون ان تغفلوا  
عيونكم لكي ترضوني بذلك ونحن اما كنا مستعدين ان نبذل لكم مع  
الانجيل قلوبنا ونفسنا اه وحيناً آخر كان يتهددهم بالآيلجثوه ان يضربهم  
بالتأذيات الكنسية واذا ضرب فكان يسرع حالاً الى تضديد الجرح . وكان  
يبين لهم ان له نحوهم احشاء الاب واحشاء الام في المخاض او شعائر الموضع التي  
تحتضن بنينا وكان يدعوهم اولاده الاطفال ومجده وسروره واكليل فخره  
وهكذا كان يستعمل كل الصور والتشابه المكنة في اللفة لكي يبين لهم  
محبه الصادقة ورأفته الوالدية ومزيد اهتمامه في قضاء حاجاتهم وخدمة صواحوهم

عد ٢

في القديس مبارك والقديس برثدوس والقديس فرنسيس الاسيزي

اننا نرى القديس مبارك يخاطب رهبانه في محلات عديدة من قوانينه كما  
يخاطب الاب بنيه ويريد ان يقتادهم الى الكمال بطريق اللين والوداعة . فقد  
قال بكتاب قوانينه ما نصه : يا بني افتح اذن قلبك واقبل بفرح تعليم ابي  
محب . واعلم ان لا شيء في هذه المدرسة قاس او ثقيل وليجتهد الاب الرئيس  
بان يبين بافعاله حقيقة كونه اباً ويظهر لكل الاخوة محبة متساوية . فان الخراف  
التي استودعت لرعايته ليست صحيحة وقوية بل هي ضعيفة ومريضة . وللرئيس  
احياناً ان يوبخ ويتوعد الا انه يترتب عليه في بعض الظروف ان يتوسل  
ويتضرع مازجاً القسوة باللين والملاطفة وليحذر من كسر الاناء عندما يريد ان  
يرفع عنه الصدا . واذا ساغ له ان يكره الرذيلة فليس له ان يكره الاخوة



الذين يسقطون فيها او ينفر منهم . وعليه ان يقدم لكل ما يحتاج اليه في الصحة .  
اما المرضى فليعاملهم كما يعامل السيد المسيح نفسه لو كان مريضاً عنده مع كلما  
يلزم من الاكرام وطول الاناة - وهكذا مع الشيوخ والصغار فليكن بشوشاً  
وسموحاً بحسب مقتضيه القضية المقدسة - وللرئيس عند مسيس الحاجة ان يتعدى  
شريعة الصوم الرهباني لكي يؤاكل الضيوف الجديرين بالاكرام والاجلال -  
وليعلم انه لم يُقم رئيساً لكي يتحكم في الاخوة بل بالحري لكي يكون  
لهم خادماً اهـ

ان القديس برنودوس كان في بادئ الامر سبب ضرراً كبيراً بافراط قسوته  
فكان يقول للمبتدئين : « يا اخوتي اتركوا الجسد خارجاً وادخلوا بالروح لا غير  
لان هذا المكان معد لقبول الارواح لا الاجساد اهـ

وكان يقتص بلا شفقة على ادنى زلة . فدير كليرفو كان قد اضحى مطهراً  
لوجوده فيه اما بعد حين لما غيرت سياسته واخذ يعامل مروثوسيه باللين  
والرقة عوض اصداره تلك الاوامر التاطعة فصير هذا الدير فردوساً سماوياً  
وكنت تحاله في خطابه مع الاخوة يفيض عليهم عسلاً او مناً وكان يدعو رهبانه  
بجنان ابوي يا اولادي يا عيوني يا احشائي ويا قلبي وهذا الذي جعل كثيرين ان  
يقولوا انه لو امكن للطف ان يتجسد ويخطب او يؤلف لما كتب ولا تكلم  
باعذب مما تكلم به هذا القديس العظيم . وقد قال عن نفسه ان الاختبار علمه  
ان سياسة الجماعة ان لم تكن بروح اللين واللف لا تأتي بفائدة على الاطلاق .  
وهكذا قال عن رهبانه انهم كانوا يلبن اشارة رغباته بطاعة ذات سرعة وفرح .  
واحياناً كثيرة كانوا يبتدرون الاشارة وكانوا يفضلون احتمال كل مصيبة على ان  
يجزوا قلب هذا الاب الرؤوف . ومن ثم فان الرقة واللين هما لاكتساب قلوب  
المروثوسين اقوى ذريعة من التأمير واظهار السلطة وهذا لعمرى اعظم مبدء يمكن  
للرئيس ان يتعلمه ويسير بموجبه

وقد جاء عن القديس فرنسيس الاسيزي انه قلما كان يأمر رهبانه امراً ومع  
ذلك فكانوا يتسابقون لاتمام ارادته في كل شي . فكان من عادته ان يقول  
للمراقب : « اذا لحظت على احد الاخوة شيئاً يستوجب التوبيخ فلا توبخه بل

ارفق به وسامحه بشرط ان يعذك بانه ما عاد يرجع الى زلته فيما بعد لانه ان زل  
اخوك مرة فانت تزل مرات ولو لم يعضدك الله لكنت ارتكبت اعظم الفواحش  
فمن جهتي انا احب ان اكون اباً لا جلاًداً واذا كنت ملتزماً ان اكره الخطيئة  
فلا اكره الخطاي اھ

عد ٣

### في القديس اغناطيوس

يؤكد لنا كتبه حياة هذا القديس انه كان يحب رهبانه محبة خالصة ويرمقهم  
دائماً بنظرات ابوية ذات رافة وحنان حتى ان من كان يشاهده في هذه الحال كان  
يخاله كله محبة ورقة فكان قدس الله روحه يعتبر الجميع ولا يذكر اسم احد  
إلا بالثناء والمديح ومن ثم فما كان يتصور الشر في احد بسهولة ولا كان سريع  
التصديق لما يحكى على الاخوة

فانه لم يعامل احداً بالقسوة والصرامة . ولا كان يذكر اسم احد بسوء مطلقاً  
وكل من كان يفاوضه ويرى ما عنده من المحبة والركة والمهاشة كان يظن انه  
يحبه محبة خصوصية حتى لا يمكن ان يحب سواه بمثلها . ومن كان يريد ان  
يقابله او ينال عنده حظوة خصوصية فما كان يحتاج الى انتخاب بعض الايام او  
الساعات ولا ان يتخذ له مساعداً او شفيعاً لان رجل الله هذا كان في كل وقت  
وكل ساعة مستعداً لمقابلة اخوته الرهبان احسن مقابلة حتى ولو كان وقتئذ  
ضعيفاً او مريضاً او مضنكاً او فرحاً او في ساعة يسر او عسر النخ . وما كان  
يقطع حديث احد بل كان يسمعه حتى آخر كلمة من دون ضجر ولا تذمر وكان  
يقول : « ان حديث كل راهب يفيدني للبنيان وما يضرني الا الكلام الذي  
اتكلم به انا اھ

وكان اذا دعا احداً عنده او التقي باحد داخل الدير او خارجه فكان هو  
يبتدره بسلام وديع ويخاطبه بكلام رقيق حتى يخال للجميع انه اب حقيقي  
ويحي في قلبه كل واحد من اولاده الرهبان

ولما كان يسافر احد الرهبان سفرًا بعيداً كان يرافقه مسافة طويلة وكان بكل ارتياح يمضي الى قلالي الرهبان الضيوف ويذهب بهم الى المائدة حيث يضعهم بالقرب منه . وكان مرّات عديدة عندما يرى راهباً لا يأكل من احد اشكال الطبخ يذهب بذاته ويأتيه بشكل آخر يوافق ذوقه . ومن عادته كذلك انه كان يبطن في الاكل حتى لا ينتهي الا في اخر الاخوة واذا اتفق ان احد الرهبان تأخر في حضوره الى المائدة او ابطأ في اكله فكان القديس يتأني في الاكل بحيث لا ينتهي الا بعد من كان متأخراً لكيلا ينجبل هذا من تاخيره وحده عن سائر الاخوة . واذا سأله احد الرهبان شيئاً ولم يقدر ان يجيب سؤله فكان يرفض الطلب ولكن مع تقديم العذر والسبب الداعي لذلك . هذا لو سمحت الفطنة باظهار السبب واما اذا منح البائل سؤله فكان يبين له كذلك انه كان بوسعه ألا يمنحه اياه بنوع ان من كان ينال مرغوبه كان فرحاً مسروراً بزيادة ومن لم ينل لم يكن مستاء ولا يائساً .

ولما كان يريد ان يعهد الى احد الرهبان بمهمة ذات بال فكان يرشده الى ان يحتلي مع الله وينظر ملياً اولاً فيما اذا كان يستطيع ان يقوم بهذه الخدمة ثانياً فيما اذا كان له ميل نحو هذه اكثر من تلك ثالثاً فيما لو اباح له الرئيس بان يختار هو نفسه هذه المهمة فهل كان يختارها دون خلافها ؟ ولما كان عارفاً قوة كل واحد من رهبانه الروحية والجسدية فما كان يسلم لاحد مهنة تفوق قواه بل كان يجتهد بان يكون ثقل المهنة خفيفاً بالنسبة الى مقدرة صاحبها . وهذا القديس يوصي في كتاب قوانينه رؤساء رهبانيته بان يسيروا سيرته بنوع السهولة والوداعة وكان من عادته ان يقول : « كلما كانت السلطة سهلة وخفيفة الرطاة كان لها في المروثوسين أشد فاعلية وتأثيراً » . اهـ

ولعمري ان لم تكن السلطة ابوية فالطاعة لن تكون ابداً ابديّة ولا شك في ان محبة هذا القديس لمروثوسيه هي التي جعلت له في قلوبهم المحبة الفاتكة لان المحبة تلد المحبة وهذه المحبة المتبادلة لم تكن لتفتر او تكل من التنبيه او التوبيخ الذي كان يضطر اليه احياناً .

وحراً على توحيد الروح في كل الرهبة وتقوية علائق المحبة الاخوية كان

يأمر جميع الرؤساء والمروثوسين بان يكتبوا له من كل الجهات كتباً مسهبة وطويلة عن احوالهم ومراكرهم واشغالهم وتوفيقهم الخ وهو كان ينسخ هذه الكتابات او يتخذ خلاصتها ويرسلها الى رهبانه في كل الاصقاع ومن المتر ان هذه المراسلات كانت تسبب فرحاً جزيلاً للقديس كسفاريوس وهو في اقصى الهند .

## عدد ٤

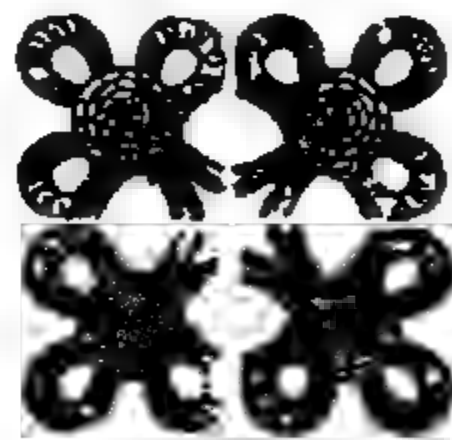
### في القديس فرنسيس دي سال

ان هذا القديس كان يردد آية وهي كافية لتبين لنا ما كانت منظوية عليه نفسه البارّة ألا وهي : « انه لا يكاد يوجد من يجب الخطاة البائسين الا الله تعالى وانا . اه

ولما كان الرؤساء يتذمرون من مروثوسيم ويهمون بتلك الرياسة كان قدس الله روحه يقول لهم : « أستم تسقطون انتم بركة ابدًا وان لم تسقطوا فيما مضى ألا تخافون من السقوط في المستقبل واذا سقطتم هل تحبون ان يُقتص منكم ام ترضون بزجكم في الحبوس او بطردكم من الرهبانية . فان الرهبانية ليست مؤلفة من اشخاص كاملين بل من أناس راغبين في الكمال واذا كان الباري قد منّ عليكم بطبيعة سليمة غير امارة باشر أتجهلون ضعف الطبع البشري وكم يصعب عاين ان يكون ذا فضيلة راسخة وحقيقية . ولما كان البعض يشكون من زيادة لطفه ووداعته فكان يقول لهم : « ان روح الوداعة هو بالحقيقة روح الله وروح الاحتيال هو روح المصاوب ولا يمكن ان نوبخ احداً ويكون من توبيخنا جدوى ان لم نُظهر له المحبة والدعة . ألا ترى كيف ان الحمام لو رشقته بالحجارة لا يتجمع حولك اما لو القيت له القمح لتجمع لا محالة . وما مثل الوداعة مع الانام الاً مثل السكر للاولاد فقلما ينجم عنه ضرر وان نجم فلا يكون الاً بسيطاً وسليماً العاقبة . ولعمري انه لامر شهني ان يهلك الانسان لاجل زيادة وداعته . كيف لا وهو سبحانه وتعالى يسمي ذاته إله الرحمة . والسيد



المسيح اراد ان يُدعى حملاً والروح القدس لم يظهر للناس الا بصورة حمامة . فمن يُثبني عن تعلم امثولة علمانيها الرب نفسه ولو كان لديه تعالى تعليم افضل لما كان قال : « تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب » واذا رمت ان اصنع رحمة فمن تراه يستحقها اكثر من الخطاة البائسين فان الله تعالى هو الذي يدفعهم ان يأتوا إليّ لكي اقيمهم من ورطة الخطيئة فهل لي ان اقاوم ارادته واذا كان تعالى اعطاهم دمه الكريم فهل يسوغ لي ان أضنّ عليهم بدموعي . ولذلك فاني أوتر ارتدادهم عن غيهم على الاقتصاص منهم وأفضل ارسالهم الى كرسي الاعتراف على ارسالهم الى السجن . ولا غرو اني ان بعثت بهم الى المطهر فخير من ان ابعث بهم الى الجحيم . وليس من الممتع ان هؤلاء الذناب يستحيلون الى خوف ويضحون اعظم مناً بالفضل والقداسة لانه ليس عند الله امرٌ عسير . اه ومن درر اقواله ايضاً : « ليس لرئيس ان يسوس رهبانه سياسة نافعة مفيدة الا اذا كان متصفاً بقلب ابر او أم او بالحري بقلب الاثنين معاً . لان بهذا لا غير يمكن ان يكون له كلامٌ عذب . ووجهٌ طلق باش . ومنظر رقيق . وحديث شهى وميل الى المساحة والمغفرة . ولا شك اننا لجديرون بان نساعد مروثوسينا بكل الوسائط التي لا تضر بخلاص نفوسنا ومن ثم فاني ارى ذاتي بنعمة الله كلي المقدرة على مساعدة القريب فاني اعمل كلما هو يوسعي ولا اطلب من الناس فوق ما يُمكنهم ضعفهم وان لم يؤدوني حقي في الحال فيؤدونيه بعد شهر او بعد سنة او شيئاً بعد شيء . »



## [ الكتاب الخامس ]

### في النصح الاخوي

في ان الرئيس ملتزم نصح مروثوسيه - في ان النصح ينبغي ان يكون  
مؤسساً على العدل - في ان النصح ينبغي ان يكون بموجب الفطنة  
والرزانة - في ان النصح ينبغي ان يكون صادراً عن  
المحبة - في ان الرهبانية تقتصر في بعض الاحيان الى  
الاصلاح وتجديد الروح الرهباني

### المقالة الاولى

في ان الرئيس ملتزم نصح مروثوسيه

عدد ١

ان هذا الواجب على الرؤساء اشد واكثر امتداداً منه على المروثوسين  
ان واجب النصح الاخوي على المروثوسين لا دافع له سوى المحبة العامة  
التي بها يلتزم اعضاء كل جسم مساعدة بعضهم بعضاً . اما واجب الرؤساء بذلك  
فمؤسس على المحبة الخاصة التي توجب على الراس لا مساعدة اعضائه فقط بل السهر  
عليها والعناية بكل ما يؤثر في مصلحتها . فالمروثوسون يلتزمون هذا النصح  
احياناً عندما يتأكدون زلل اخوتهم . اما الرئيس فعليه ان يتعقب مروثوسيه  
وينتقب عن زلاتهم عند اقل ارتياب ويلتزم ايضاً النصح الاخوي لمروثوسيه من  
قبل ان يسقطوا حذراً من السقوط . وعليه فالزام المروثوس لا يكون الاً عند

تأكدته الذنب اما التزام الرؤساء فعند الارتياح بوقوعه . ولنا بذلك مثل ان من ياتني بفقير فله ان يتصدق عليه او لا يتصدق اما المدين فعليه ان يؤدي الدائن دينه في حينه بل ان يذهب اليه بذاته وينقده دينه في بيته وهذا الفرق عينه نراه بين المروثوس والرئيس في امر النصيح والتوبيخ . وكذلك لو توهم المروثوس ان في نصحه بعض الضرر له او لآخيه فلا يوجب عليه الا اذا دعت الى النصيح ضرورة قصوى .

اما الرؤساء وان صادفوا في سبيل النصيح والتوبيخ ضرراً لهم جسيماً لا عذر لهم في تركه وذلك ليس في الضرورة القصوى فقط بل عند كل ضرورة . حتى ان العلامة صوتويوتني ان الرئيس ملتزم ان يردع مروثوسيه عن الزلات التي تعودوا ارتكابها ضد القوانين ولو افضى به ذلك الى خطر فقدان الحياة . ومن المقرر ايضاً ان المروثوس لا يجب عليه النصيح الاخوي الا عند تأكده نجاح مساعاه . اما الرئيس فلا يُعفى من فرض النصيح والتوبيخ ولو لم تبد له بارقة من الامل في قبولها والاستفادة منها كما سيأتي ذلك قريباً ان شاء الله . اخيراً ان المروثوسين لا يلتزمون النصيح الاخوي الا من قبيل المشورات الانجيلية التي لا تتناول الجميع والتزامهم ذلك مقصور على النصيح لا غير او على ايصال الشكوى الى الكنيسة . اما الرئيس فموجب عليه من قبل الاوامر الانجيلية ايجاباً شديداً لا ان يوبخ فقط بل ان يتوعد المذنبين ويعاقبهم ولا ينكف عن ذلك او يوعوا ويقاعوا عن سوء تصرفهم ويصلحوا ما قد هدموه في بنيان القريب واحتقار القوانين .

## عدد ٢

في ان الرئيس مأمور بالنصح امراً جازماً حتى انه يكون مسؤولاً عن كل ما يذنب به مروثوسوه من جرأ اهماله او تغاضيه

ان كل رئيس شرعي هو بمحصر القول رأس جماعته ووازمها وراعيها . فان الله والكنيسة قلداه العناية باخوته فصار عليه ان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وان ينبههم الى واجباتهم ويقوم خطواتهم ومن ثم تحتم عليه ان يكون كله اعيناً واذاناً وراء مروثوسيه فهو الراعي وموكل اليه ان يسهر على خرافه

لئلا ترد موارد الملكة وان يحميها من وثبات الذئاب ويقتادها الى المرعى الخصب الامين . فان لم يتوعد ويقرع بعضا سلطانه عند مسيس الحاجة امسى اجيراً يترك خرافه فريسة للذئاب مثل خداع منافق يقصر عما وضعته فيه الكنيسة من الثقة .

قد ارتأى القديس بوناونتورا ان الرئيس الذي يفرط بمهمته في امر التوبيخ يأثم ضد الله تعالى لانه تقلد سلطانه فاساء استعماله ويسى الى اخوته لانه يدعم يعيشون في الرسوم والقوانين ويجرم الى نفسه اذ يزيد على خطاياهم الخصوصية خطايا اجنبية ( في ستة الاجنحة ف ٣ ) وهو قدس الله روحه لا يرى فرقاً بين رهبانية نشيطة في حفظ قوانينها ورهبانية متوانية سوى ان الاولى يُعاقب فيها المذنبون وفي الثانية لا يعاقبون .

وماذا تراه يحدث لو تواني الرئيس في امر التوبيخ عن خوف او عن ميل خصوصي او عن ضعف او قلة فطنة . فيحدث لا شك احد ثلاثة أمور اما ان المجرمين يجهلون نقائصهم جهلاً كاملاً او انهم يستمرّون على ارتكابها حتى النهاية او انهم يزدادون توغلاً وتشبثاً فيها . وبكل هذه الاحوال تندك دعائم القانون وتتفشى الشكوك . ولما كان كل انسان موكولاً اليه منع الشرور على قدر وسعه لا على قدر مبلغ واجبه كان الرئيس مسؤولاً بلا مُشاحة عن كل عادة سيئة تسربت الى جماعته وعن كل ذنب اقترفته من جرّاء سكوته وتعاميه عن امر النصح والتوبيخ .

واذا شئت ان تعرف تمام المعرفة ما هو عدم الاقتصاص من المجرمين وما هي نتيجته فأسمع تعليم القديس برزدوس اذ يقول : « ان عدم الاقتصاص هو ابن الاهمال وأم الوقاحة ومرضع المخالفات . اه ( ك ٣ في التأملات ف ٥ ) والعلامة جرسون يرى في عدم الاقتصاص تعكير مجاري السلام ومنبع الانشقاق لانه اذا كان الصالحون لا يستطيعون ألا يظهروا للاشرار استياءهم واشمئزازهم من الشر فهو لاء كذلك لا يستطيعون ان يتحملوا هذا النوع من الاهانة ولو كان ضمناً غير صريح . فاذا طال الخال على هذا المنوال تزداد القلوب منافرة ومباعدة . وترتيم في تفسير قوانين القديس مبارك يؤكد ان عدم



الاصلاح بالنصح والتوبيخ والتأديب هو أس كل خراب في الجمعيات . ولا ينز  
الرئيس العام الثاني على الرهبانية اليسوعية يشبه هذه الرذيلة برذيلة الدنس فكأن  
هذه الرذيلة تفوق جميع الرذائل قوة على اهلاك الانفس العديدة . كذلك رذيلة  
عدم التأديب فانها تدمر من الرهبانيات وتهلك من الرؤساء والمروثوسين ما لا  
يقوى عليه سواها من الشوائب والمخالفات . فهي تدمر الرهبانيات تدميراً  
لأنها تربي في حضانها شر مضطهدية وتهلك المروثوسين لأنها تفتح لهم باباً رجباً  
لكل مخالفة وتهلك ايضاً كثيراً من الرؤساء لأنها تجعلهم مسؤولين عن كل  
ذنـب يقترفه الرهبان . ( تاريخ حياته ق ٢ ك ٨ )

والقديس غريغوريوس البابا يوثب الرئيس المتقاعد عن توبيخ مروثوسيه  
بقوله له : « يا لك من اجير جبان يركن الى الفرار عندما يرى الذنب متبلاً »  
وربما تقول لي انك بذلك تشتمني على غير استحقاق لاني واقف في مكاني ولم  
اهرب أما انا فاقول لك انك هربت لكونك لازمت السكوت حين وجوب  
التكلم فلم يكن حضورك في منصب الرئاسة الا بالجسم اما بالروح فقد كنت  
هارباً . اه ( عظته ١٤ )

وهذا العلامة كتب الى احد اساقفة كاتانا بمناسبة فتنة حدثت في ابرشيته  
قال : « اما انك عرفت بهذه الفتنة بعد حدوثها او انك لم تعرف فان كان الاول  
فانت مذنب لانك لم تداوها حتى الان وان كان الثاني فمذنب ايضاً لانك لم تسهر  
على رعيتهك سهر الراعي المتيقظ فاستفحل الشر الى هذا الحد . اه »

والشيطان نفسه خراه الله اعترف للقديس دومنيكوس بقوله : « ان المجمع  
الذي يتم فيه توبيخ الرهبان واصلاحهم هو مكان عذابي لان التواضع والتوبة  
الذين يصنعهما الرهبان في هذا المجمع يخسراني كل ما اكون قد رجته » ( حياة  
القديس دومنيكوس ) . فلا يليق اذاً برهبانية ان يرأسها حارس لا يميز  
الاعداء عن الاصحاب ولا تهز يده الا سهاماً من خشب ذات لين ونعمه لانها  
تفتقر الى حارس ينادي بالسلام وقت السلام وبالعراك وقت العراك حتى اذا ما  
رشق سهاماً مسقية بزيت الرفق والمحبة لا تكون مع ذلك الاً من معدن الحديد  
او الفولاذ وقد كان لشعب اسرائيل في احد الاوقات حراساً خدعون قد انبأوا

بالسلام وقت الحرب بل في وقت خراب اورشليم الا انهم هم انفسهم اضحوا  
فريسة الردم والهلاك .

عدد ٣

في ان فريضة النصح او التوبيخ لا تنافي المحبة بل تقترضها وتصدر عنها

ان التوبيخ لا يضر بمحبة الرئيس لمروثوسيه ولا برفقه بهم وملاطفته اياهم  
لانه أي التوبيخ يعتبر كمزية جوهريّة في صفات الرئيس على انه قضي عليه بالآ  
يستعملها الا حياً بخير مروثوسيه وبعد افراغه كل الجهد باستعمال سائر الوسائط .  
ان الحماة وان تنزّه قلبها عن كل حقد وضغينة تدافع مع ذلك عن فراخها بمنقاداتها  
وجناحيها . فتغضب ولا تحقد وهكذا الرئيس يجدر به ان يغضب احياناً لاجل  
المحافظة على الرسوم ومن ثم فانه يدافع لا كالغراب بمقدّر وألم بل بلطف ورفق  
كالحماة . هذا وان المحبة لا بد لها من شيء من العزم والشدّة لان الرئيس من  
كونه بمنزلة أم وأب لمروثوسيه دعت الحال ان يسلك بهم بين رقة الوالدة  
ورأفتها وعزم الاب وصرامته .

ألا ترى كيف ان القديس بطرس ضرب حنائياً وسافيرا بالموت وان القديسين  
برنودوس واغناطيوس وسائر مؤسسي الرهبانيات عاقبوا احياناً كثيرة بعقوبات  
صارمة نفرأ من مروثوسيه لم يأتوا الا زلات خفيفة ؟ ان القديس بطرس  
داميانوس حرم على احد رهبانه شرب الخمر مدّة اربعين يوماً لانه تفوّه بكلمة  
بطالة . والقديسة تريزيا عاقبت إحدى راهباتها بالحبس لانها أخذت خطاً بدون  
اجازة . والقديس كسفاريوس كتب الى الاب غاسيار ما يأتي : « ان اعظم ضرر  
يلحقه الرئيس بمروثوسيه ولاسيما بالترفعين بافكارهم انما هو عدم توبيخهم وعدم  
تأديبهم حتى بالطرد من الرهبانية متى استحقوه . » لانه لو عفا الطبيب عن المريض  
ولم يستعمل له القطع والكي عند مسيس الحاجة اتّحسب ذلك رفقا منه بالمريض  
ورأفة به ؟ او لو صادفنا رجلاً ضعيفاً منهكاً بحمل ثقيل وأضفنا الى حمله حملاً  
آخر أيقال اننا رحمناه وخففنا حمله ؟ أفلا يجب ان يشدّد الرئيس على من لا يخاف  
الله ولا يخشى الناس ؟ ومن لا ينتبه الى صواعق السماء وتهديداتها ألا يقتضي ان

نستلفته اليها بعقوبات ارضية .

قال القديس اغوستينوس : « لا تحسبن ان السيد المسيح في رشقه الفريسيين بالحرم مرآت كان ينبغي ايقاعهم في اليأس او القضاء بهلاكهم كلاً بل انه تعالى رام بذلك نجاتهم من العقاب الآتي . لانه تقدست اسماؤه كان يرى ان لا بد لهم من احتمال توبيخه في الحال او احتمال العذاب الدائم في العالم الآتي » ( تفسير المزمور ٩٣ عد ٧ )

ومن هذا المبدأ علم الآباء القديسون ان اوضح برهان لمرضاة الله على عبده انما هو قول النبي عاموص ف ٣ : « لاني قد اخذتكم من بين جميع شعوب الارض قد افتقدتكم في معاصيكم » . وبمكس ذلك ان اعظم عذاب يعده الله لشعبه انما هو في مضمون قول النبي حزقيال ١ ف ٦ : « ان غيرتي قد ارتفعت عنكم فمن الان لن اغضب عليكم » . وفي قول اشعيا ( ف ٢٦ عد ١٠ ) : « ما دام المنافق يُشَفِّقُ عليه لا يتعلم البر » . وهذا ما كان يجعل القديس برنردس يقول : « يارب اني لا ابتغي هذه الشفقة لانها شر انتقام وما لي بها لاهي تحول دون اصلاحي وتوبتي فاني اطلب ان تغضب علي يا ابا المراحم لا بالغضب الذي يخرجني عن طريق الاستقامة بل بالغضب الذي يرجعني اليها . فانما غضبك هو الذي ين علينا بهذا الرجوع اما اخفاؤه تحت طي السكوت فيحرمانا اياه لا محالة » ( عظته ٤٠ )

ورب معترض يقول : ان الراهب الذي سلم ذاته لله عن اختيار وارتياح لا ينبغي ان نسوقه للفضيلة بعضاً من حديد . ولكن ما مثل النذور لله تعالى الاً مثل الدين للدائن فهل يقال انه لا يحق للدائن ان يطلب ماله لان المدين عاهده على الوفاء فالراهب عند دخوله الرهبانية عاهد الله بحفظ رسومها وانما الرئيس مقام للمحافظة على هذه الرسوم . فغاية مهمته وحتمها هما ان يطالب مروثوسيه بما عليهم لله بمقتضى معاهدتهم له تعالى ومن ثم ليس للمروثوس ان يتشكى من رئيسه لانه يطالبه باسم الله وباسم الكنيسة بما لهما عليه من واجب العدل والضرورة وهكذا كما ان الرئيس موجب عليه ان يقدم لمروثوسيه كل ما يساعدهم في الحصول على الكمال مفروض عليه ايضاً ان يصدّهم ويحظر عليهم

كل ما يحول دون بلوغهم هذه الفريضة الرهبانية . فمن اين لنا اذا ان نتشكى  
أما نبيتنا الرهبانية الى هذه الواجبات ؟ أو هل يخطر لنا ان نسخر بالله ونعاهده  
بنذور هزلية كاذبة ؟

عد ٤

في ان وجوب هذه الفريضة لا يتوقف على حسن النتيجة او عدم  
حسنها في الحال

لانه يكتفي ان تكون مفيدة للراهب او للجماعة في المستقبل ولعمري ان  
النصح او التوبيخ ولو لم يُزيل الاثر في الحال بل ولو زاداه جسارة لا ينتج من ثم  
وجوب بطلانها حتى ولو كان الراهب المذنب غيـر مستعد لقبولها لانه كما قال  
القديس اغوستينوس : « ان مستوجب التوبيخ هو من رفض قبوله . » فيا هذا  
ألا تريد ان نبين لك نقائصك وجراح نفسك لكي ترى ضرورة الالتجاء الى  
مساعدة الطبيب ! وتأبى ان تُزيك حال نفسك على ما هي عليه من شناعة الرذيلة  
وردائها لكيلا تضطر لان تطلب الشفاء من امراضك فتعود الى جمالك الاول !  
فمن يا ترى اجدر منك بان تعرض عليه كما في مراآة كل جراحات نفسه وادناسها  
لكي تبادر الى تطهيرها وشفائها . » اهـ ( من كتابه في التوبيخ والنعمة ف ٥ )  
اذا لم يستفد المجرم من التوبيخ في الحال فلا يلبث ان يستفيد منه فيما بعد  
ومما يجدر بالربّيس هو ان يسعى لا وراء الخير الخاص فقط بل وراء الخير  
العام ايضاً وان يكون توبيخه تعليمياً ابوياً اكثر منه نصحاً اخوياً ومن ثم وجب  
ان لا يلاحظ فيه اصلاح المجرم اكثر من اصلاح حال الجماعة وتأيد جانب  
الرسوم القانونية وعليه فان لم يكن بهذا التوبيخ خير للمجرم فيكون خير  
للجماعة . ولما اخذ اوفامبوس بطريك القسطنطينية يلح على البابا جيلاديوس  
بان يعفو عن اكاسيوس وان لا يتشدد عليه وهو في حال لا يبعد عن اليأس والقنوط  
جاً بالسلامة وخير المذنب . فاجاب البابا : « ما هذه السلامة التي تشير اليها بان  
ادع الذنب بين الخراف وهل من سلامة للخراف والذنب رافع في وسطها ؟  
وتقول ايضاً ان التشديد على اكاسيوس ربما يؤدي به الى الهلاك . اما انا فاقول :



خيرٌ للانسانية ان يهلك الشرير من ان يطوح في خطر الهلاك الصالحين والاشرار  
معاً حرصاً على رضى الاشرار وخوفاً من اهانتهم . ولعمري ان من رام ان ينتشل  
الفريق من اللجة وجب ألا يتورط في نفس الخطر . « (رسالة ١ الى اوفامبوس )  
ولما كان في توبيخ الواحد اصلاح الجماعة كان من البديهي ان توبيخ المجرم  
والاقتصاص منه لاجل خير الكثيرين افضل من السكوت عنه والشفقة عليه  
مع خطر هلاكهم وسقوط القانون ومع ذلك فقد يسوغ للرئيس ان يسكت عن  
التوبيخ ويعفو عن المذنب . غير ان ذلك خاصٌ في ما لو رأى ان التوبيخ في تلك  
الظروف ليس فقط غير مفيد للخير الخاص بل مضرٌ به وبالخير العام ايضاً

عد ٥

في ان هذه الفريضة دقيقة وخطيرة الى حد ان القيام بها يضحي شديد  
الصعوبة وقريباً من الخطر

اننا لا نرى بين كل فرائض الرئيس كفريضة التوبيخ فانها تقضي التصرف  
بدهاء بين الحزم والركة والعدل والحلم والغيرة والسهولة في وقت واحد ومن  
ثم فان مثل فريضة التوبيخ مثل الضماد للجرح الذي يجب ان يكون في الوقت  
عينه مطرياً مبرداً وقابضاً حاداً ليكون فيه راحة للجريح واندمالاً للجرح .  
فالتوبيخ اذاً يستلزم ثلاثة اشياء مرض النفس الحقيقي والخاصة القابضة في الدواء  
وخلوص النية في المطيب لاجل شفاء المريض . فهذا قائمة صعوبة التوبيخ اي بان  
نبتن حقيقة المرض او الجرم وان نخفف او نلطف قابضية الضماد او مرارة التوبيخ  
واخيراً ان نحفظ مع المجرم شواعر الرقة واللفظ ونزيه ان لا بغية لنا ولا مراداً  
الأخير، الخاص والجوهري

اننا نرى في طب الجسد اموراً كثيرة تساعد الطبيب كاعراض المرض التي  
تكون عادة ظاهرة ومحسوسة . وشدة الالم التي تخفف مرارة الدواء . وهيام  
المريض في طلب الصحة ورغبته في اخذ الدواء كيفما كان طعمه . اما في طلب  
النفس فتدري كل شيء تقريباً يعاكس رغبة الطبيب ويقضي آماله فان الامراض  
المتزايدة والمشتبكة مع غيرها هي غالباً خفية ومختبئة في عمق الصدور . فالمنو

بمرض روحي قلما يشعر بمرضه وان شعر به فيستعذبه ويحبه ولذلك لا نزاه يطلب الدواء بل يبذل قصارى الجهد في اجتنابه او على الاقل في تخفيف مفعوله وجوعاته . ومن ثم يضطر الطبيب لان يحتال في شفاء المريض رغماً عنه . وبعد هذا هل تتوقف واجبات الرئيس على ان يوبخ مروتوسيه اجمالاً على بعض شوائب عمومية كلابل هي تفرض عليه ان يوبخ الافراد على مساوئهم وشوائبهم الخصوصية وذلك لسببين . اولاً ان الرهبان لا يتخذ احد منهم لنفسه التنبيهات العمومية الا ما ندر ولهذا قد شبه بلوتارك التوبيخات الاجمالية بسرج ذهبية ثمينة ولكنها بلا زيت ولا ذبالة ولا نور . والثاني ان بعض النقائص تكون بهذا المقدار خصوصية وفضيحة حتى ان الجماعة لا تتحمل نسبتها اليها ولا يمكن الاتيان بذكرها امام الجمهور بدون القاء العثار والشكوك

ليت شعري ما قولك في طبيب يدخل المستشفى ويقف في الوسط ويأخذ يري المرضى عموماً ادوات الجراحة والعقاقير المتنوعة ويدعو كلاً منهم الى ان ياخذ منها ما يناسبه ؟ فهذا عين ما عمله الرئيس لو اكتفى بالتنبيهات الاجمالية والتوبيخات العمومية ولم يعين لكل ما يناسبه

ومن المبادئ المقررة ان لا شيء اندر من توبيخ محكم ومقبول برضى مع ان كل توبيخ محكم بكمال ظروفه يكون مقبولا بالرضى والشكر . والراهب في آخر حياته ولو مهما كانت طويلة لو انعم النظر في التوبيخات التي عادت عليه بالخير لوجدها قليلة جداً وانما ذلك من صعوبة احكامها بكمال ظروفها وصعوبة الاستعداد الحسن ايضاً لقبولها

ومع هذا كله فعلى الرئيس ان لا ييأس ولا يقنط لان ما لا يربحه اليوم يربحه غداً وان لم يتوصل في الحال الى قطع كل الرذائل يتوصل الى قطع بعضها او تخفيف جرمها . قال القديس امبروسىوس : « كما ان الندامة على خطية واحدة تقي بنوع ما من كل الخطايا هكذا التوبيخ او العقاب على زلة واحدة يكون مفيداً لحفظ النظام بالعموم ويعتبر كأنه تجديد اذاعة الشريعة . اهـ (ك ٢ عن التوبة ف ١٠)

هذا واننا لو سلمنا بان الامراض الزمنة لا تشفى الا بصعوبة كبيرة ومدة

طويلة نعلم مع ذلك ان ما من جرح مها كان عضالاً يستحيل شفاؤه لو عولج بكل صبر بغيره خالصة وحكمة صادقة . قال القديس باسيليوس : « الا ترى في غالب الاوقات ان فن الزراعة يغير حالة الشجر بتوع ان تلك التي ما كانت تعطي الا اثماراً جافة وعدية اللثة اضحت تعطي اثماراً يانعة ولذيذة . فلا يقنط الرئيس اذاً لا من صعوبة المعالجة ولا من شدة المرض ولا من ضعفه او عدم لياقته ولكن فليلق كل اتكاله على قوة الله ورأفته ويقدم على العمل بصبر وشجاعة لا يعرفان الملل . اه ( عظة ٥ )

## الفصل الثاني

في ان النصح والتوبيخ ينبغي ان يكون مؤسساً على العدل

ان العدل يقتضي امرين اولهما ان لا يكون الرئيس سريع التصديق في استماعه الشكايات على مروءوسيه وان ينعم النظر في صحتها ولا ينفق الى الانفعالات النفسية التي يمكن ان تكون فيه ضد المشتكي منه . وثانيهما ان يكون مستتياً في فهم الفاظ الشكاية بنسبة قوتها وفي اجاء العقاب بمقتضى الحكم به :

## الباب الاول

في انه يجدر بالرئيس عند استماعه الشكايات وامعانه النظر في صحتها الا يكون سريع التصديق ولا منقاداً لانفعالاته النفسية :

## المقالة الاولى

في كيف يمكن الرئيس الا يصدق الوشايات الكاذبة :

في انه يجدر بالرئيس الا يصدق الوشايات الكاذبة والا يكون العوبة  
في ايدي الوشاة يميلون به كيف شاءوا :

لا غرو ان الرئيس مضطر لان ينبه الى زلات الاخوة لانه بذاته لا يقدر  
ان يلحظ ويرى كل شيء . واليه توجه هذه الاية : « اتبع الحقيقة » ( امثال ف ٢٣ )  
ولكن يجب الحذر من ان يبتاع الكذب ويدفع ثمنه الى الماكرين . قد جرت  
العادة القانونية ان يُعين في كل جمعية واحد للمحافظة على النظام الخارجي وان  
يبلغ الاوامر والنواهي الى اصحابها وان يعرف الرئيس بكل ما يحدث في الدير  
مما تهتم معرفته . اما الراهب الذي يصلح لهذه الوظيفة فهو الذي يبغض النسيمة  
ويكره نقل الكلام والايخبار . لان مثل هذا لا يبلغ الرئيس الا الامور التي  
تكون ذات بال ويغضي عن الاشياء التافهة التي يحسن بالرئيس ان يسكت عنها .  
او هو على الاقل يبلغ الاشياء المشكوك بها والطفيفة كما تكون بدون مبالغة  
البتة وحينئذ يصير على الرئيس اما النظر فيها او الاغضاء عنها . فالرئيس الذي  
يكون له منه فطن ورزين قلما ترى تحت ادارته شيئاً بغير نظام وترتيب او  
احداً يقدم بسهولة على فعل الشر . فيخال الجميع انه حاضر في كل مكان  
وانه يرى غوامض الافكار لان التعليمات تأتيه في وقتها وهو يميز صحيحها عن  
فاسدها وهكذا قلما يفوته شيء مما يعنيه الوقوف عليه

ومن ترى ابعد الناس عن معرفة الحقيقة واشدهم عذاباً بدون طائل واقامهم  
صلاحية لثة الجمهور به غير الرئيس الذي تكون حاشيته من ذوي الحسد  
والتغنت لانه يصغى اليهم في كل شيء . ويقبل منهم كل وشاية ويتصور كلاً من  
رهبانه كما يصورونه له ولقرط ارتياحه الى اقاويلهم وتسليمه لمطامعهم وخبثهم  
يضحى في نظر الجمهور عبداً لهم او العوبة بين ايديهم . لانه مع كونه قادراً  
على ان يدير شؤن مروتوسيه برأي نفسه لا يرويه يسير خطوة الا برأي حاشيته  
ومن ثم لا يحسبه مروتوسوه رئيساً بالفعل بل بالاسم لا غير لانه وان كان مترهاً  
عن الانفعالات النفسية والاعراض الخصوصية يخضع مع ذلك خضوعاً تاماً



لاتفعالات ذويه ومآربهم الفاسدة

ومن البين انه لا يسوغ للرئيس ان لا يسمع الا لفئة واحدة من الرهبان والا يصدق الا قولهم لان من لا يسمع الا لفئة واحدة ولا سيما اذا كانت مرتبطة بمصالح خاصة وغاية واحدة يضحى في آخر الامر كواحد منهم يشعر شعورهم ويتفعل بانفعالاتهم ولا يلبث ان يجاريهم حتى يستولي عليه المكر والخداع فيغادر الاستقامة ويتمسك بالظلم . ثم أليس لاهل الصلاح انفسهم زلات واوهام أما هم بشر كسائر الناس ؟ واذا كانوا بعداء عن النقص والخطا فليسوا مع ذلك بمعصومين . وبالنتيجة ان الرئيس الذي لا يسمع الا بفئة واحدة يكون سريع التصديق وشديد التأثير وسهل الانتياد والانشداد

قال القديس برناردوس : « ان لسرعة التصديق ثلاثة مفاعيل : الاول شدة الغضب على غير داع . والثاني شجب البار . والثالث الحكم على الغائب بدون بحث ولا تنقيب وهذا ما جعله ان يكتب الى البابا تلميذه : « حذار من الرذيلة التي يتورط فيها الملوك والعظماء . وهي سرعة التصديق التي تحاكي الغلب بالتحيل والمكر بنوع انها تصطاد كبار القوم وقلما تدع احداً من الملوك ينجو من مكائدها » ( من كتاب اعتباراته ك ٢ ف ١٤ )

اما اسباب سرعة التصديق فهي عادة اولاً كرم اخلاق الرئيس لانه لما يكن هو مستقيماً مخلصاً يحكم في الغير بانهم كذلك . ثانياً ميل الانسان الطبيعي الى تصديق الشر . ثالثاً رذيلة الكسل التي تميل الى التصديق والجزم وتأبى معاناة البحث والتدقيق . رابعاً حب التسلط والتحكم الذي ينتهز صاحبه اول فرصة لاطهار القوة . وخامساً نذور تلك الفضيلة الثمينة التي نسميها ( الافراز ) او قوة التمييز بين الحق والباطل التي يأبى صاحبها ان يصدق كل شيء .

ان القديس فرنسيس الاسيزي عندما اراد وهو على سرير الموت ان يبين لخليفته ما هي الصفات الضرورية للرئيس اشار الى هذه فقال : « ينبغي للرئيس اولاً ان لا يكون مرتاحاً الى تصديق الوشائات ولا سيما تلك التي يقدمها الفضوليون والثرثارون فيجذب به اذا ان لا يكون سهلاً بسمع الشكايات ولا سيما بتصديقها قبل ان يتأني له ان ينقب عنها ويدقق في امر حقيقتها . والقديس

فرنسيس بورجيا كان من عادته ان يقول ان الرئيس السريع التصديق لا يقدر ان يكتسب لنفسه الثقة اللازمة لحسن السياسة وان الافضل له ان ينخدع مرات عديدة في سرعة تصديقه الصلاح من ان ينخدع مرة واحدة في سهولة توهمه الشر . ومن البين ان المجازفة في الحكم شين في الجميع الا انها في من اخذوا على انفسهم سياسة الاخوة بروح المحبة والركة افطع واسواء عاقبة . والقديس اغناطيوس لويولا كان يأبى الحكم على الرهبان الغائبين لانهم لا يقدر ان يدافعوا عن ذواتهم . وقد كان يعتبر احد مدبريه الاب بولانك من افضل الالباء رزانة وامساكاً عن المجازفة في الكلام ومع ذلك ما كان يصدق ما يبسطه له في القول الشفاهي من احوال الامور التي كان متولياً ادارتها بل كان يطلب منه ذلك خطأ لانه كان يعتبر ان القول الشفاهي غير محسوس بالنظر ولا تمكن فيه الروية كما في الكتابة . ومن اجل ذلك لم يكن ليقبل شكاية او تحبيراً هاماً الا خطأ . واما الاخوة الذين كان يتأكد انهم من اهل القنور ومياييون الى نقل الكلام والاخبار الجارحة فلم يكن يتحصلهم في الدير قط حتى ولا نصف ساعة

## عدد ٢

في ان الرئيس جدير بان يعلم مروضيه ما يجب عليهم وما يستطيعونه في تبليغ الاخبار وان يريهم فطاعة ذنب النسيمة والثلث

ان مسألة تبليغ الشكايات ينظر فيها من وجهين : من وجه الحق العام ومن وجه الحق الخاص .

فمن وجه الحق العام ترى ان السيد المسيح نفسه قدس لنا الشريعة او بالحري علمنا المراجعة التي ينبغي حفظها بنوع ان النصيح الاخوي لا يكون اولاً امام شهود بل بين الناصح والمذنب لا غير . » وان لم يسمع لك فخذ معك شاهداً او شاهدين لكي يكون الامر مثبتاً من كلمة اثنين او ثلاثة فحينئذ ان لم يسمع فأشكه للكنيسة » . ( متى ٢٨ )

فلا تحسبن اذا ان امر الرب في النصيح الاخوي يوجب عليك او يسوغ لك ان تبليغ الرئيس حالاً كل ما تعرفه عن اخيك فاذا كانت زلة اخيك غير معلومة

من غيرك وكنت لا ترى ثم خوفاً من المراجعة ولا من سرّيان العادة السيئة بين الجماعة كان لك بل عليك ان تنصح اخاك سرّاً بينك وبينه اما اذا رأيت ان النصح السري غير كافٍ اما لكونك قد استعملته ولم يأتِ مجدوى واما لكونك ترى من المحتمل ان اخاك مستعدٌ لمعاودة سوء عمله واما لكون عمله هذا صار معاً ومأ عند كثيرين او هو جدير بتوبيخ شديد فحينئذ يسوغ لك او يجب عليك ان تشكوه الى الرئيس . وعند الريب في ما تقدم عليك ان تستشير أناساً من ذوي العلم والورع . قد اثبت القديس توما ان رسم السيد المسيح في امر النصح الاخوي لا يلزم العلمانيين فقط بل القانونيين ايضاً وان الرئيس يذنب فيما لو امر رهبانه بان يبلغوه حالاً كل ما يعرفونه بدون استثناء ولا تمييز . وان المروّسين كذلك يذنبون لو اطاعوا الرئيس في هذا الامر . ( س ٣ في النصح الاخوي ف ١ ) ويقول ايضاً هذا القديس العلامة ان المروّس لا ينبغي ان يبلغ رئيسه ما عنده على احد الاخوة ما لم يَرَ فيه الرصانة والفطنة التي تجعله اهلاً لاصلاح الاخ المذنب . ( المحل نفسه ف ١ ج ١ ) . والقاعدة العمومية لذلك هي ان المشتكي او الناصح يجب ان يراعي جانب المشكوم منه بنوع ان يتوصل الى نصحه واصلاحه من دون ان يلحق بصيته ضرراً ولا ان يس حساساته اذا امكن . وهذا ما عناه السيد المسيح في امره بان النصح السري يسبق التبليغ او الشكوى الى الكنيسة اعني ذوي السلطان . وهذا ما فهمه المدققون من مؤسسي الرهبانيات . غير ان ذلك كما لاحظ القديس فرنسيس سالس يختص بالنقائص الكبيرة التي تشين صيت صاحبها ولا بالهفوات الصغيرة التي يمكن تبليغها الى الرئيس بدون محذور او ضرر ومع هذا فان علماء الحق القانوني يستثنون من هذه القاعدة العامة ما اذا كان الرئيس العام نفسه او معتمداً من قبله وقد على الدير بداعي الزيارة الرسمية فعند ذلك يمكن لكل من المروّسين ان يبلغ الرئيس العام او الزائر من قبله ما يكون عنده على احد الاخوة ولو كان في ذلك بعض الضرر على المذنب لان مثل هذه الزيارة تعتبر ابوية اكثر منها قضائية ومن ثم فلا يخشى على المذنب ان يصادف فيها ضرراً بل يرجى منها نفع له وللجماعة .

اما من وجه الحق الخاص في بعض الرهبانيات التي يترك كل واحد من افرادها

عند دخوله فيها حقه بالنصح السري أولاً ثم على يد شاهدين او ثلاثة فلكل من الرهبان اذا كان عنده على اخيه شيء . ان يبلغه الى الرئيس بدون مراعاة حاساته هذا اذا لم يكن ثم شريعة طبيعية او عهدية تمنع ذلك . غير ان الفريضة القانونية لا توجب التبليغ بل تجيزه مع مراعاة مبادي . الفطنة والمحبة الا اذا كان النصح السري لم يأتِ بنتيجة . ولا يخفى ان من ساغ له ان يعمل شيئاً لا يجب عليه عمله من باب الضرورة ولا يعفى احد من مراعاة شريعة الفطنة لان ليس كل ما يجوز لائقاً وموافقاً كما نبه الرسول فلو رأيت مثلاً ان الرئيس غير متصف بالفطنة والسداد والمحبة وان المذنب الذي تشكوه اليه يتضرر ضرراً اعظم من الخير المأمول للجماعة ألا تردعك الفطنة عن ان تشكوه واذا شكوته مع ذلك ألا ترى انك اتيت عملاً يغير روح القانون ورغبة المشترع ؟ . اما النامون اذا وجدوا بين الجماعة فيستحقون اعظم لوم وعقاب . قال يوفيس ( مكتوب ٧ ) : « ان من نم عن خبث ورداءة لا نجد لوماً ولا عقاباً يوازي ذنبه . ومن نم عن خفة وقلة روية فذنبه لا يغفر بدون توبيخ شديد . اهـ » وبدون هذه الصرامة يخشى من فتح باب واسع لسقوط القانون والنظام الرهباني . ان القديس فرنسيس الاسيزي عندما علم ان احد الرهبان وشى باخيه الى نائب الرئيس ارسل معتمداً من قبله قال له : « اذهب الى الدير وتفحص المسألة فان وجدت المشكور باراً فارتد بالمشتكي عقاباً صارماً يشهره بأعين جميع الرهبان لان الرهبانية تكون في خطر ورائحة فضائل الاخوة تزول وتفتن ان لم تسدّ الأفواه السامة فانا أريد ان تبذل كل جهد وعناية في قطع هذا المرض الوبائي ثلاً يتفشى . والراهب الذي يكون قد فضح صيت اخيه يستحق ان يُترع . واسمع ما يقوله الروح القدس بهذا الشأن ( امثال ٦ ) « ستة يبغضها الرب والسابع رجس عندي . . . . وهو ملقي الشقاق بين الاخوة » وقال ايضاً ( ف ٢٦ ) : « بانقطاع الخطب تنطفئ النار وبزوال النمام يسكن النزاع . » وكذلك قال ابن سيراخ ( ٢٨ ) : « ان الرجل الخاطيء يبلبل الاصدقاء ويلقي الشقاق بين المسالمين . . . النمام وذو اللسانين اهل للعنة لاهلاكها كثيرين من اهل المسألة . »



في انه على الرئيس ان يبذل قصارى الجهد في تمييز الصحيح عن الفاسد  
من الشكايات المقدمة له وفي معرفة خلوص الشاكين واستقامتهم

اعلم انه لما كان الطبع البشري قابلاً للانخداع وكان على الرئيس ان يتفحص  
أمر مرويوسيه ويوقف على حقيقتها لزمه ان لا يسرع في الحكم بالأمور ولا سيما  
اذا كانت هامة حذراً من انه يشجب احداً من دون سبب او يتبين ان نتيجة  
تنقيبه لم تكن الاً الانخداع

أول فرض على الرئيس هو ان لا يعير الشكايات اذن التصديق بسهولة .  
ولا شك بانه خير له في هذا الموضوع ان يخطى بالنقص من ان يخطى بالزيادة .  
فالاولى به اذا ان تفوته معرفة بعض الزلات من ان ينخدع للوشايات الباطلة  
ويفتح سبيلاً لكثرة المعاريض والشكايات . قال ابن سيراخ ( ف ١٩ ) : « من  
اسرع التصديق هو ضعيف العقل ولا تصدق كل كلام . » وقال ايضاً ( ٤٢ ) :  
« ومتى قسّمت فبالعدد والوزن » وبالنتيجة اسمع كل شيء . ولا تصدق الا ما  
ينبغي تصديقه . فضع الكلام في ميزان العدل ولا تصدق قول أي كان . قال  
الحكيم ( امثال ١٤ ) : « ان الساذج يصدق اما الحكيم فيتفحص طريقه » وقال  
ايضاً : « اذا كان السلطان يصغي الى كلام الكذب كان الخادمون له كلهم منافقين  
( ١٩ : ١٢ ) وبعد أليس يُعرف الانسان من النظر الى اهل ثقته . قال الحكيم :  
« ان المنافق يصغي للسان المنافق والخذاع يسمع للشفاة الخادعة » ( امثال ١٧ )  
وعلى هذا فان استقامة القلب ورصانة الحكم تعرفان بعدم سرعة التصديق لانه  
لما كان الناس يكذبون عادةً كان من الواجب ألا نصدق الاً بحجج قاطعة وظروف  
خارقة العادة . ان تصديق كل شيء وعدم تصديق شيء . بالاطلاق هما طرفان  
متناقضان بينهما طريقة وسطى ذات حكمة وسداد ألا وهي ان تسمع ولا  
تصدق الاً ما كان مثبتاً او معقولاً .

والفرض الثاني على الرئيس هو ان يسعى بذاته لاستطلاع الحقائق . الا انه  
يضطر بذلك لان يعرف اولاً اخلاق المخبر او الشاكي ومرامه ونياته لان التخبر

والبلاغ يشبهان الماء المار في قلب الارض فانه يتكيف من المعادن التي يمر عليها .  
وكثيراً ما يتخذ الرؤساء بتصورهم الرهبان عارين من الاميال البشرية  
وحبة الذات لكونهم كرسوا ذواتهم لله واختصوا به او لان عليهم شعار بعض  
السلطان لان طبيعتنا تبتى مع كل هذا بشرية وضعيفة ففي العالم ترى اهل السعاية  
يسعون في الخفاء ولا يريدون ان يروا من يسعون به ويطلبون ان يتخذ كلامهم  
وكلام نصرانهم بمنزلة الصدق الذي لا يفتقر الى شهادة او برهان ويشورون  
باستعمال القسوة واظهار قوة السلطان باسرع وقت ويسألون الوالي ان يحافظ على  
سرهم كل المحافظة ويستعملون في وشاياتهم الفاظاً مبهمه وذات معان متباينة  
ليمكنهم عند مسيس الحاجة ان يتمطوا لها تفاسير غير مقصودة ويتخلصوا من  
المسؤولية . ولكي يبعدوا عنهم كل مظنة وشبهة يختارون لوشايتهم اوقاتاً  
وظروفاً موافقة ويبدلون قصارى الجهد في ان يقصروا الموشي به عن مقابلة الحاكم  
لئلا تتسنى له تبرئة نفسه واذا اعيأ على احدهم البرهان المطلوب يعزي عيه الى  
سذاجته وقلة خبرته ويؤكد بالقسم ان لا محرك له الى هذه الشكوى سوى الغيرة  
الخالصة والذب عن العدالة والراحة العمومية . فطوراً يظهر الوداعة والرقعة  
ويكثر من التبجيل والتمايق والشفقة على المذنب المسكين راثياً لضعف الطبيعة  
وفسادها ليبين للحاكم انه لا يقول في المذنب كل ما يعلم رزانه منه واشفاقاً  
وطوراً يأتي الحاكم بشيء من الغلظة والقحة متوعداً متهدداً ومستنمراً باصحاب  
الحاكم وذررائه كأنه يستنمض همتهم لانتاذ المملكة من فساد ذاك المسكين  
ضحية بغضه وعدوانه .

ولو تسامح الرؤساء بتصديق الوشايات لحدث في الرهينة مثل ما يحدث في  
العالم من السعاية والمكر . والسعاة على ما لحظ الاب بوفيس في تحريره السابع  
يكونون عادة من ذوي العقول الصغيرة الذين يقتلهم الحرف كما يقول الرسول  
وينتفخون لادعائهم بالمعارف ويعتبرون دثار القانون في ما به قيامه وقوامه هذا  
ومن جرأ قصر افكارهم يحلون الظواهر محل الحقيقة ويرون في الضوضاء  
والغوغاء حجة قاطعة لمدعياتهم . ومن اساليب سياستهم انهم يستخدمون المداينة  
والتسليق لمراعاة الرئيس ويعملون بكل مكر ودهاء لكي يتخلصوا من كل

مراقبة ومناظرة وفوق هذا فان شهواتهم المتغلبة تميل بهم الى الحسد والحقد وحب الذات المفرط اما طباعهم الجموحة فتحملهم على المبالغة في كل ما يقولون والافساد بكل ما يعملون فيسكبون في قالب جديد كل الحوادث والظروف ويجعلونها على وفاق مع هواهم ومشربهم وكأنهم يقيمون بنايات عظيمة من الاوهام التي لا تآزجها ذرة من الحقيقة .

فبمثل هذه الحوادث ينبغي للرئيس ان يعمل بكل جهده لمعرفة الناس ودرس اخلاقهم فيقابل الراهب المشكو بالشاكي وينظر في علاقات الشاكي وبما يدفعه الى اثبات شكواه وينتقب عن ارسله وعلامه وعن يكون له جرء مغنم من هذه الشكوى وينعم النظر ايضاً بمصدق الشاكي وبامباله الطبيعية ومعارفه وبعد ذلك فليميز عما لا يكون في العريضة الاً حشواً أو شيئاً من ضروب الفصاحة ما يكون فيه الجوهر والبرهان . وبعد اطراح الاول وامعان النظر في الثاني فاذا لم يجد فيه الاً تقديرات او ظنوناً فارغة او اموراً ليس فيها شبه للحقيقة يجدر به اذ ذاك ان يوجه اللوم الى الشاكي ويمتدح من المشكو الذي لو لم يكن من ذوي الفضل والفضيلة لما تحامل الحاسدون عليه والمنافق لا يمكنه ان يتحمل الفضيلة في غيره وهو خلوة منها :

اما اذا كانت الوشاية من راهب شيخ ورصين فيجب ان يعيرها الرئيس اذن الاعتبار ولكن لا يصدقها بغير تدقيق . وان وجدت بعد الفحص غير صحيحة فليظهر له افكه بلا محابة .

وعلى الرئيس ايضاً ان يضع ذاته موضع المشكو ليرى باي عدل وصرامة كان يجب ان يعامل الشاكي الماكر ولا يقبل التهمات والظنون لانها لو كانت مقولة عليه لحسبها مظلمة وانتقاماً وبالتيهة لا ينبغي ان يرتاب برؤوسه وينسب اليه الخيانة لمجرد شكايات غير ثابتة بل لا تعزى الى احقر الناس على وجه الحسد والتخمين

واذا كانت الشكايات مقدمة من راهب شاب فوان لحظ الرئيس فيها الحقيقة او بعضها فيجدر به ان يصرف الشاب يرفق وبشاشة من دون ان يظهر الاعتبار لشكاياته ولا الاهتمام بها لكي يردعه ويثنيه عن هذه الطريق البويرة .

واذا لحظنا في الوشايات شيئاً من المبالغة فنقول لمقدمها باديء بدء اننا نتروي  
بالمسألة ونجري ما يكون الاحسن واذا ما التقينا بعد زمان بالشاكي نقول له  
بلطف وبشاشة : يا صاح اننا لم نجد الامر كما توهمناه اولاً مبيين له بذلك  
كذبه واحتياه . واذا كانت الشكاية على راهب شيخ ورصين فينبغي ان لا  
يتساهل الرئيس بسماعها لان حياة الشيخ الفاضل الماضية من شأنها ان تشفع به  
وتنفي عنه الترهات والظنون الباطلة

واذا اتاك احد مروؤسيك يكشف ضميره ويشكو لك بعض اموره فاسمع  
له باناة وصبر لان الراهب ان لم يسمع له رئيسه فالى من يمضي ويشكو امره .  
ولك مع ذلك ان تنظر في حقيقة شكواه . اما اذا حاولت رفع الالهام  
والظنون من فكره فاحذر من ان تفتح له سبيلاً لتشكايات جديدة

وشكوى الشريك على شريكه تستلزم اهمية خصوصية ومع ذلك فالرئيس  
من حيث التزامه بالمحافظة على السلامة ينبغي له ان يجاوب الشاكي بقوله لو أتى  
شريكك وأقرّ مثل اقرارك لقبول بالمحبة والصنح . وبعد فما اجدرك اتيها  
الرئيس في كل حادث ولو عظيماً بان لا تظهر للشاكي ولا لغيره ما تعرفه او  
تفكر به بحق المشكوك منه بل عليك ان لا تبدي اقل دلالة على انك مستاء منه  
او متعامل عليه لان مثل هذه المظاهرات لا يمكن ان تخفى على المشكوك منه  
مهما بالغت في كتمانها واذا ما بلغت اليه فلا ريب بانه يفقد كل ثقة بك . والشاكي  
كذلك لانه يقول في نفسه اني ان لم اثبت ما شكوت به اخي فاعاقب بمثل هذه  
الصرامة . وان لم تر ضرورة ماسة الى ابعاد احد الرهبان عن عساه يكون اسبباً  
لعاره فلا ينبغي ان يطلع المشكوك منه على شيء مما عندك من الوهم أو سوء الظن  
في حقه بل عليك ان تبذل الجهد في تبرئته اذا امكن لان بذلك بنيان الشاكي  
وتعزية المشكوك منه الذي لا بد ان يعلم يوماً ما كل ما كان في حقه واذا مست  
الحاجة للفحص عما عرض لك فاياك ان تستخدم لذلك الشاكي نفسه مهما ظهر  
لك انه مستقيم وتزيه وكذلك لو كلفت كثيرين النظر في امر ما فلا تدع احداً  
منهم يعلم ان له في ذلك شركاء .

وان حدث ذنب من احد الرهبان في الخارج فلا تسائل الاجانب عن ذلك



بل استطلع الحقيقة بواسطة احدهم الذي يمكنه ان يقف على الحقيقة بسهولة وبدون ان يظهر انه مهمٌ بذلك . ومما لا يشوبه ريب ان الرئيس الذي يكثر التساؤل والتنقيب داخل الدير او خارجه عن قال هذا او فعل هذا او شعر بهذا فانه يضر بصيت جماعته ويخفض بشأنه عند من يسألهم مثل هذه السؤالات وبالاكثر عند من يسأل عنهم .

وبالنتيجة كلما كان الرئيس متزهاً ومترفعاً عن الظنون والالوهام الباطلة بحق مروضيه كانوا له محبين وبه واثقين ومنه قريبين وواقفوه على كل ما يهمه الوقوف عليه من احوالهم الباطنة والخارجة .

## الجزء الثاني

في كيف يجب على الرئيس ان يحذر امياله الخصوصية

عد ١

في انه يجب على الرئيس ان يدقق في ما اذا كان فيه بعض الاميال المنحرفة التي تؤثر بعقله واحكامه من دون ان يشعر بذلك

انه لما كانت الرئاسة مسلمة للرئيس لاجل خير الجماعة لا لاجل خيره الخاص فكان الرئيس مذنباً اشد الذنب ضد العدل لو استخدمها لاجل مرغوباته وامياله الخاصة زاعماً انه بذلك يخدم الحق ومجد الله . وهكذا على الرئيس ان ينتبه الى قوة شهواته السرية لنألا تستولي عليه فتميل به حيت مالت وهذه الشهوات والاميال المنحرفة هي اولاً الكبرياء . فالتكبر يجتهد باذلال مروضيه لكي يتعظم هو ويتزع عن راس اخيه الاكليل لكي يضعه على رأسه ويعتبر ان التنيه الاخوي أو التوبيخ مفروض لاجل تعظيم نفسه ومجده الخاص ويعتقد ان صلاحه قائم بفساد مروضيه أو كأنه كلما عابهم واشهر نقائصهم اخفى جراح عيوبه أو اشفاها

ثانياً الحسد فان الحسود يسر بالوشاية بخصمه لإعتقاده ان تشنيع صيت

الحكم يكون له شأنًا وخيرًا لمستقبله . والحسود اذا كان جباناً فيكتم بالظنون والالوهام الباطلة أو جسوراً فيخلق اكاذيب شتى وان وقعاً فيتوصل الى اخصام والمنازعة

ثالثاً الغضب . قال القديس غريغوريوس ان ذوي الاخلاق الفظة يحملهم الغضب احياناً على نوع من الجنون فيصوبون اعمالاً لا تنطبق على القتل ولا على الصواب ويلقون بين مروثوسيهم القلق والشغب عوض الراحة والسكينة . وعند فورة الغضب لا يشعرون بما يعملون ولا يباليون بالسجس الذي يلقونه بين الاخوة . وما هو شر من كل ما تقدم انهم يتصورون حدة الغضب من دواعي الغيرة على البر والعدل

وبما انهم يعتبرون اعمال الرذيلة كفضيلة يكثر من العيوب والنقائص ولا يشعرون » ( الراعي ق ٣ ف ١٢ )

رابعاً عدم الثقة اذا كان الرئيس قليل الثقة فلا يرى في احد من مروثوسيه فضيلة راهنة لان خير الاعمال وبرها تضحى لديه باطلة او مشكوكاً بها . وازيد خوفه من الانخداع بالظواهر يصعب عليه ان يثق بالحقيقة مهما كانت بيئة ويخال انه بمذقه يرى الامور غير المنظورة ومن ثم تطمح به نفسه الى ادراك خفيات الضمائر وهو لا يدرك الا الترهات والظنون الباطلة في مروثوسيه وفي جميع الذين يعاملونه حتى انه لو جازاه احد خيراً بدل خير يظن ان وراء ذلك بعض الاغراض المنحرفة واذا لحظ ان بعض اخوانه او اصحابه يحسنون الظن بالناس يستهزي بهم ولا يعد ذلك منهم الا سذاجة ويرى ذاته يفوقهم كثيراً بالذكاء والادراك بمجرد كونه كنوداً لا يحسن الظن باحد :

خامساً من اساء الظن في الناس يضعى كالا حق لا يدري شيئاً بعلمه الحقيقية « لان الاحق لا يسمع كلام الحكيم » ( امثال ٢٨ ) بل يسمع كلام قلبه فالرئيس اذا ما سبق واساء للظن بك لا يقدر ان يصدقك بشي . لان قلبه المقعم من هذه الظنون لا يبتى فيه مشوى للحقيقة كيفما حاولت الدخول اليه ومن ثم تراه ينكبر عليك ما يستصوبه في غيرك وما كان يعظمه بالامس تعظيماً يحقره اليوم اي اختقار . واذا اذنبت امامه بشي ويراك مذنباً ملوماً في كل اعمالك واذا سقطت

مرة واحدة ييأس من قيامك ويعتقد انك فاسد السيرة والسريرة وغير قابل  
الاصلاح وكما ان هذه الظنون هي مغائرة العدل وذات خطر في نتائجها هي  
كذلك باطلة وخداعة في مبداها لان مبداها في المذنب يكون اما نقصاً طبيعياً  
واماً ذنباً اختيارياً فان كان الاول فلا يوجب على المروثوس ذنباً بل بالحري يجعله  
جديراً بالشفقة والحنان وهو كافٍ لمذته وان الثاني فهما كان الذنب عظيماً لا يمنع  
كون المروثوس فاعله لم يزل ابناً لله وعضواً من اعضاء السيد المسيح :

فالرئيس اذا ما لاحظ في مروثوسه هاتين الصفتين كيف يمكنه ان يحقد عليه  
او يتنط من اصلاحه :

فليحذرن الرئيس اذا هذه الظنون السيئة ويبذل قصارى الجهد بتبديدها  
وبان يتباعد عن يريدون ان يوعبوا افكاره منها والآخر قلعاً يأتي بعمل غير معيب .  
اما اذا كان عقل الرئيس صائفاً هادئاً فيشبه المرأة الصقيلة بنوع ان كل ما يبلغه  
من اقوال مروثوسيه او افعالهم ينطبع فيه كما هو بدون زيادة ولا نقصان :  
فاذا شئت ان لا يكون لاميا لك وسابق ظنونك تأثيراً في اعمال سياستك  
ينبغي لك ان تتروى لهذين الامرين وهما : اولاً قوله تعالى بلسان داود النبي  
« اني ادين الابرار » ( مز ٧٤ ) وثانياً قوله : بفم ابن سيراخ : « افهم ما عند قريبك  
مما عندك » ( ٣١ ) او حاكم قريبك كما تريد انت تحكم : وهذان الامران يبعدانك  
عن روح حب الذات ويدخلانك في روح الرب القاضي الاسمي وبذلك تضحي  
بنياتك واحكامك مستقيمة بارة نقية لا يشوبها كدر الاهواء المنحرفة :

عد ٢

في انه يجب على الرئيس ان يطرح عنه كل تأثير من الاهانات التي  
تكون قد ألحقت به قبل تبوئه الرئاسة

اي خجل لا يلحق بالرئيس واي خيانة لا تعزى إليه اذا ما التي جانباً واجبات  
مهمته التي هي خير مروثوسيه ومصلحتهم العامة واخذ يستعمل كل سلطانه  
للانتقام من اولئك الذين يكونون قد وبخوه او عتوه في ما مضى فانه ولو ساغ  
له شرعاً الاقتصاص من الذين اذنبوا بحقه غير ان بذلك طريقاً قريبة للخطر

وسريعة الزلق فيخشى على السائر فيها من انه عوض سعيه وراء القانون والصواب ينقاد لهوى الطبيعة الفاسدة فتميل به الى اخذ الثأر والانتقام

قال القديس غريغوريوس ان الهرج والشغب اللذين يحدثان في الجمعيات الرهبانية يكونان في الغالب موجّهين ضد ذوي السلطان وكثيراً ما يفضيان بمثيريها الى مجاوزة حدود الفطنة والعقل بنوع انه يخال من بيدهم الحل والعقد ان الاقتصاص والانتقام ايضاً ضروريان لحفظ النظام وشأن السلطان وانها شيء غير محرم هذا ولولا قوة النعمة لكانت الفظاظة والغضب يلانزمان السلطة ولا ينفكان عنها باكثر اعمالها كما يحدث لكثيرين من اولي السلطان

اما القديسون فقد انتصروا على هذه الاميال الطبيعية اي انتصار وتلكت فيهم فضيلة الصبر وقد ثبت انهم لم يقوموا في الظاهر بواجبات السلطان احسن قيام الا عندما كانوا يرون انهم سامعون في الباطن وخاضعون لصوت النعمة ثم انهم خوفاً من المغالاة ومجاوزة حدود الصواب في الاقتصاص من المذنبين اليهم كانوا يرغبون دائماً في الصّنع عنهم وعدم المبالاة بالحقوق الشخصية وكان من يشاهد اعمالهم هذه يقول كأن قجة المتبردين وتطاولهم عليهم تريدانهم رفقا ورقة » ( اداب ك ٢٠ ف ٢١ )

والقديس ايزيدوروس من بيلوز كتب الى احد الاساقفة قال : « انه ليس لغير داع قال الروح القدس » لا تكن صديقاً ( او عادلاً ) بافراط » ( جا ١٧ ) فمن جهتي اريد حليمك ان يفوق عدلك ولا سيما في ما يختص بالاهانة الماتحة بك من اخصامك وان تكون سرحاً حتى في النقائص التي تظهر لك انها لا تستحق المسامحة ( ك ٣ رسالة ١٣١ ) والكردينال كزيمين قال في ساعة موته : « ان ضميره يشهد له انه في مدة حياته الطويلة التي كان فيها وزيراً لم يتجاوز حدود العدل والاستقامة في فرض العقوبات ومنح الانعامات لانه لم يعتبر احداً قط كعدو الا اعداء الملكة والمصلحة العمومية

وموسى كايم الله عندما رأى انه موسع عاراً واهانات من الشعب الذي كان أدى اليه اعظم الخدم لم يغضب بل اسرع واختباء في المظلة لكي يصلي ويتضرع من اجل هذا الشعب الخائن ويقدم حياته لله فداء عنهم . وعلى هذا فقبل ان



تميل نفسك الى جهة ما وتقطع بحكم بات توقف قليلاً واسبر قلبك لعل فيه بعض الاميال التي تضاد العدل او انه لم يزل مضطرباً بمحركات الغضب او لم تزل نفسك فاقدة السكون والراحة في حين الغضب . فاعلم ان العدل والمحبة يوجبان عليك ان تكف عن العمل في حين اجتداد الغضب وتنتظر الوقت الملائم وهذه هي الوسطة الوحيدة التي تخلصك من العواقب الوخيمة وتولييك الفضل والسمة الشريفة . ولو سار الرئيس بدون هذا التحفظ والاجترار لكان سيده سير اعمى فيقع في وزطيات كثيرة ويتصور الاوهام حقائق وبقدر ما يكون غيوراً على شرفه وحقوقه الخاصة يسد اذنيه ولا يسمع لمن يريد ان يبين له حقيقة الواقع ولا لمن يحتاج عن نفسه من المروثوسين . ومن جراء ذلك لا نراه الا ملتحفاً بسمات الكدر والنفور . ولو تظاهر انه لا يعاقب احداً من اخصامه الا بموافقة على العدل والبر فهو في الحقيقة لا يبتغي الا التشنى ولذة الانتقام . فلتحرز من هذه الشائبة كان تسيباريوس قيصر يؤجل قضاء احكامه الهامة الى ما بعد عشرة ايام . والملك توادسيروس كان يؤجلها ثلاثين يوماً :

ومما يجدر بالرئيس ايضاً ان يضاعف محبته ورأفته الذين يكونون قد اهانوه في ما سلف وان يحسن اليهم في كل فرصة وان يثني عليهم ويدافع عنهم وان لا يظهر شيئاً من الانفعالات التي يشعر بها من سوء اعمالهم . وذلك اولاً فراراً من معاملتهم بشيء يضاد العدل او بما تشتم منه رائحة الانتقام بحجة المحافظة على السلطان وكبح التمرد والعصيان :

وثانياً لاجل بنيان الاخوة اذ يعلمهم ان بذلك يقابلوا الشر بالخير بموجب تعليم الرسول . واخيراً لكي يربح لله نفوس المذنبين : قال العاهل سيجسمون : « لني اذا ما صفحت عن عدوي قتلتُه واذا رفعت مقامه جعلته صاحباً لي » . هذا واذا ما ظهر من الرئيس شيء من الحدة والغضب فيوقن الناظرون ان الرئيس هو المذنب وليس المروثوس وانما يريد باحتدامه ستر قبائح لا غير اذ انه من المبادي المقررة ان البرارة لا تخشى غائلة عملها للبرور ولا تتسجس لامرهما كان . ولنا في نهاية هذا الفصل ان نذكر ثلاث نصائح قالها احد المعلمين الافاضل لتلميذه ابن الملك وهي :

- ١ حذار من ان تعامل احداً معاملة عدو بل عامل الجميع كاصحاب واصدقاء فان كانوا كذلك عدلت في صنيعك والآن تكون عملت عمل حكيم فطن لانك قد تكتسبهم بذلك وتجعلهم لك اصدقاء.
- ٢ تحرّ في احكامك مراعاة جانب اخصامك واياك التعامل عليهم او على الاقل توقف عن الحكم بشجبهم الى ان يتضح لك انهم اهل للشجب والخذلان . واعلم انك في محاكمة اصحابك ينبغي لك ان تعتبرهم كأنهم غير اصحاب ولا خصوم واما في محاكمة الخصوم فيجدر بك ان تحسبهم اصحاباً واصدقاء.
- ٣ احسب نفسك كأحد افراد تبعك وعامل كلاً منهم كما تود ان تعامل انت لو كنت في مقامه فدافع عن الغائبين وعن كل من وقع عليه شكوى وبذلك تربح قلوب مبغضيك لا محالة

## الفصل الثاني

في انه على الرئيس ان يتحرى الحقيقة في ما يُشكى به مروؤسه وان يكون عادلاً في اجراء الحكم عليه :

اولاً في الحقيقة التي يجب على الرئيس ان يتعراها في ما يُشكى به مروؤسه

عد ١

في ان تحري الحقيقة يوجب على الرئيس ان لا يعتبر الشكوى المشكوك بها كحقيقة ولا الحقيقة كأنها مفعولة بسوء نية

ان التوبيخ يلحق بالمتنب اشد عار وخجل ولذلك تراه يبذل قصارى الجهد في تبرئة نفسه فلنه يزن كلام الرئيس وكل حركة من حركاته ويتدبرها من كل وجه علّه يجد بذلك ما يزي به نفسه ويخطي الرئيس الذي لا يوفق بحاله . فلذا اتفق انك نسبت اليه زلة وكان بريئاً منها فيدعي حينئذ البرارة في سائر اعماله وينسب اليك اختلاق التهمات الفارغة عن حسد او عدوان . ومن الثابت ان مثل

هذا الادعاء ولو كان باطلاً يصادف اذناً صاغية واعية - لما كان عليك ايها الرئيس ان تتحاشى كل ما يمكن ان يُعزى اليك من التعصب والتعريض وان تظهر ان لك رغبة خاصة بالمحاربة عن مروثوسك المذنب حتى ولو كان جرمه بيناً يجدر بك بالاحرى ان لا تقوه بكلمة ولا تأتي بعمل يدل على تصديقك الوشايات التي لم تقدم عليه الاً بطريق الظن والتخمين . والا كان له سبيل الى ان يرتاب بخلوصك وانصافك . فخاطبه اذاً في هذه الحوادث كانك غير مصدق شيئاً منها ولكنك مجبرٌ من قبل مهمتك على ان تسمع وتسال وبتين له ان اعتبارك اياه باق كما كان وانك تحبه محبةً خالصة ولهذا تريد ان تفتح له قلبك وتوقفه على ما يقال فيه لتعرف ماذا تجيب عنه

الا انه في بعض الحوادث قد يسوغ للرئيس مراعاةً لخير المشكور منه او لخير الجماعة ان يتنص من المروثوس عن ذنوب غير ثابتة ولكن لا ينبغي ان يكون ذلك باحكام رسمية . لان الظنون منها باطلة وهي الناجمة عن حسد الناميين . ومنها غير باطلة وهي المتأتية عن محبة الروساء المخلصين . فقد يسوغ للاب ان يسيء الظن بولده ولكن ليس له ان ينم به بل عليه ان يرغب في ان يكون مجدوعاً بسوء ظنه لان كل من اساء الظن عن داعٍ لا عن خبث نية ورداة فانه اذا عرف اخيراً أن ظنه كان بغير محله يفرح فرحاً قلبياً وهذا ما يقتضيه العدل والصواب

هذا وبما امتاز الراهب بالفضل وحفظ القوانين وجب على الروساء ان يحسنوا الظن فيه وان لا يتساهلوا بقبول الشكايات عليه . اما اذا كانت الشكاية ذات بالٍ او تكررت المعارض بها مرات فيمكن الرئيس ان يسأله عن ذلك بوجه غير رسمي اذ يقول له يا صاح انت تعلم كثرة الاقاويل وان افضل الناس يُحكى عليهم ولا بأس بذلك اذ لا يصح الاً الصحيح وقد بلغني عنك كذا وكذا فارجو ان تقيدني بالحقيقة لاعرف كيف اجيب عنك لو بلغني ذلك مرةً أخرى . وبالاجمال لا ينبغي للرئيس ان يخاطب مروثوسه بشيء مما ذكر قبل تأكيده الحادث والا فيحسب المروثوس رئيسه من اهل الحققة سيء الظن سريع التصديق

ثم انه لو تأكد صحة الشكوى لا ينبغي ان يحكم على المذنب بسوء النية غير انه يسوغ له احياناً أن يسأله سؤال مرتب يجب الوقوف على الحقيقة فيقول له مثلاً : يا صاح قد احكيت كذا او علمت كذا وهذا ثابت . . . . . ولكني ارجو منك ان تفيدني عن قصدك بذلك وماذا تريد به فقد فسروا نيتك بكذا وكذا وانا لم اصدق شيئاً بل اريد ان اسمع من فمك الحقيقة الخ . . . . . فارجو ان تفيدني عما عندك

قال القديس برنودوس يجب على الراعي الا يكون متوانياً بمراقبته سيرة رعيته الخارجة . اما في تفسير النيات الباطنة فينبغي ان يكون حسن الظن ورحيماً للغاية ( الى الابداء في المجمع العام )

وعليه فوان كان الحادث بعض الاحيان يستهل سوء الظن والريبة الا انه لا يسوغ الحكم الجازم بذلك لانه لا شيء خفي على الحس وقابل للتفسير مثل النية فان لم يُعامل المروثوس بمثل هذه المعاملة يرفض كل ما يُعزى اليه ويحتج على مفسري نيته الباطنة بقوله لماذا تنسبون اليّ هذا الغرض الرديء ولا ترون ان تعتبروا فيّ الصلاح او على الاقل النزاهة عن الشر انما ذلك لانكم لا تحسنون بي الظن وهذا لعمر الحق بغض وتحامل

## عدد ٢

في ان الانصاف والصواب يقتضيان بان لا يُستنتج من الشكايات المقدمة على المروثوس الا ما تتضمنه بالحصر والتدقيق من دون ادنى مبالغة او مغالطة

فلو قيل للمشكو اننا رأيناك وسمعناك مرات عديدة تقول او تفعل هذا مع انه لم يُر ولم يسمع انه فعل ذلك الأمرة واحدة او مرتين او نادراً فيكون ذلك من المبالغة . وكذلك لو قيل له : انك ميال الى هذه الرذيلة والى مخالفة هذه الفريضة وكثيراً ما فعلت ذلك مع انه بالحقيقة لم يخالفها الا نادراً فلا يستوجب اذ ذاك الا تنبيهاً خفيفاً . قال غراسيانوس ان الحكم لا يغالي بكلامه لان ذلك لا يخلو من العيب اما لقلة الصدق واما لقلة الفطنة والرزانة وكذا المبالغة



في الحديث فانها تشف غالباً عن خفة العقل وفساد الذوق . ومن المبالغة ايضاً ان تقول : « لقد تأكد لدينا » عندما لا يكون بلغنا الشيء الا بطريق السمع وقد تبلغنا بهذه الطريق اكاذيب شتى كما بلغنا حقائق راهنة

ومن المغالاة ايضاً ان تقول عن المذنب « ان هذه الرذيلة صارت فيه كغريزة او ملكة لا يقدر ان ينجو منها اذ قد اتخذها كهدى ولا يريد ان ينجو عنها » بيد انه لم يفعل ذلك الا نادراً جداً . ولعمري انه لا شيء يهين المروءوس المشكوك مثل هذه المبالغات التي قلما ينتبه الروساء الى شرها

من القياس الفاسد ان تنسب للأعمال لمتشابهة نية واحدة وغاية واحدة كأنك تقول مثلاً لمروءوسك انك من امد غير بعيد عملت العمل الفلاني او سافرت الى المحل الفلاني بقصد الغاية الفلانية وموئخراً حدث منك العمل نفسه والسفر عينه فاذا لم يكن لك فيه سوى تلك الغاية التي قصدتها اول مرة وهكذا لو قلت لمروءوسك : « انك في القديم كنت متعوداً هذه الرذيلة فاذا انت اليوم متعودها » وايضاً : لو قلت له : « اليوم انت اذنبت الذنب الفلاني فاذا في الماضي ايضاً كنت تقترف هذا الذنب ولكننا لم ندر بك » وكذلك لو قلت له انك اليوم اذنبت هذا الذنب فاذا في الغد لا بد لك من السقوط فيه لان ما انت عليه في الحال لا بد ان تكون عليه في المستقبل » ومن القياس الفاسد ايضاً ان تستخرج قلة الفطنة او الاهمال من عدم النجاح كما لو قلت لاحد مروءوسيك : « اذك لم تنجح في هذه الدعوى فاذا قد اذنبت لانه كان يوسعك ان تغير الحوادث التي طرأت وتستأسر الخواطر التي هاجت وماجت ومن الفاسد ايضاً ان يتخذ الرئيس كهدى راهن او قاعدة ثابتة بعض اعتقادات او توهمات يعتقدونها صحيحة مثلاً : « ان الطبع الفلاني ميال للرذيلة الفلانية » او ان تهذيب الشبيبة على النمط الفلاني يولد في الرجال الاميال الفلانية . او ان اولاد العائلة الشريفة لهم المزية الفلانية واولاد العائلة الوضيعة المزية الفلانية فاذا يحكي ان اعرف مقدماً ما سوف يحدث من هذا او ذاك ولا اخاف بذلك شططاً

وماذا اقول عن تلك الطريقة التي يتخذها بعض الروساء في تقرير المذنب فانهم يعتبرونه بسوءالات عديدة مختلفة لكي يستخلصوا منه جواباً فيه شبه

الحقيقة او دلالة عليها

والمذنب اذا اصر على نكران الحقيقة ولم يعد بالامكان معرفتها من وجه آخر فاخلأ سبيله اخرى بك من ان تريده عثاراً وتمحلاً وعداوة . فالرئيس يعتبر انه قام بواجباته اذا ما نهض بهمة وسأل عن حفظ الرسوم والتوانين واما اذا لم يتصلب ويقسُ على المذنب الذي يأبى الاعتراف والاذعان فلا يحسب ذلك منه الاً فعل فطنة ومحبة

« ثانياً »

في ان فرض العقاب على المروؤس ينبغي ان يكون بعدل واستقامة

عدد ١

في ان العدل يقتضي من الرئيس ان يستمع للمذنب كل ما يريد ان يورده محاماةً عن نفسه

وماذا تراه ينجم عن الاحكام الصادرة بدون معرفة اركانها وبدون عدالة سوى الدمدمة على الحاكم وامتهانه وعدم الطاعة له فان السلطان والعدل اخان لا ينفصل احدهما عن الاخر في كل جمعية ولا سيما في الجمعيات الرهبانية . ومن الثابت انه اذا كان السلطان يجعل الروساء والسلاطين شبيهين بالله فالعدل يقوي السلطان ويكسبه رونقاً وجمالاً جوهريين

وعليه فان من المبادي الاولى للعدل ان لا يُحكم بشجب انسان ايّاً كان قبل استنطاقه والوقوف على ادلة راهنة على ذنبه . وبذلك ترى الحقوق الطبيعية والمدنية والكنسية متفقة على ذلك كل الاتفاق : قال العلامة شيشرون : « انه اذا شجب احد قبل استنطاقه كان ذلك برهاناً على برأته » ومن البين ان العبد لا يشجب من معلمه ولا الابن من ابيه قبل سماع مدعاه . قال ابن سيراخ : « لا تدم قبل ان تفحص . وتفهم اولاً ثم وبخ » ف ١١ وقبل ان يُنزل الرب الصباوت النار على مدينتي صدموم وعمورة قال : « اتزل وارى هل فعلوا طبق صراخوسا البالغ اليّ » تكمو . ف ١٨ . ثم ألم يعامل الله تعالى ابوينا الاولين آدم وحوّاً هذه

المعاملة فانه قد استنطقتها وسمع اعذارهما مع انها آلت الى خزيها وشجبها .  
ومن الامثال المتداولة ان من لا يسمع الا جرساً واحداً لا يعرف الا رنة واحدة  
والشكوى مهما كان لها من ظاهر الحقيقة لا ينبغي القاضي ان يتخذها بمنزلة الصدق  
قبل نهاية الدعوى واتباع الرسوم وسماع ما يدافع به المشكو منه عن نفسه :  
قال غراسيانوس : « ان الكذب له دائماً المحل الاول ويطناد وراءه الحمقاء بقوة  
كلمة القال والقيال التي تتطاير من فم الى فم بدون سند ولا برهان . واما الحقيقة  
فلا تكون الا متأخرة ولا تبلغ مكانها الا أجلاً جداً . فكأن الزمان قائدها  
يسير بها على رجل واحدة . ومع ذلك فالعتلاء ينتظرون وصورها ويحفظون لها مقاماً »  
( رجل البلاط مبدا ١٤٦ ) فكم من الاشياء تظهر للعين والاذن شريرة للغاية  
وهي مع ذلك صالحة لا شر فيها البتة . وقال ارليطوط ان الباطل له شبه الحق  
ويقرب من الصدق اكثر من الحقيقة نفسها . والملك اسكندر تلميذه عندما كانت  
تبلغه شكايات على احد ما كان يسمعها الا باذن واحدة واما الاذن الاخرى  
فكان يسدها ويقول اني احفظ هذه سليمة لتسمع للمشكو منه عندما يأتي  
ليدافع عن نفسه . والرئيس الذي لا يتخذ هذه الاحتياطات لا يلبث ان يحكم  
احكاماً مخالفة للحق والعدل . والمرووس اذا ما رأى تحاملاً عليه ييأس وينكر  
كل ما عزي اليه ويشكو من رئيسه سرعة التصديق وسوء النية ويحمل رهباناً  
كثيرين من ذوي الفضل ايضاً على تصديق مثل هذه الشكايات

ولو قدرنا ان لديك براهين قاطعة على ذنب احد الرهبان فينبغي مع ذلك ان  
تعطيه فرصة كافية لكي يوضح لك افكاره ويبري نفسه بما يمكن ولا تقطع  
حديثه عندما يكون آخذاً بتبرئة نفسه بل اسمع له باناة ومحبة وبالاكثر لا تظهر  
الاشمزاز من حديثه ولو كنت لا تثق بكل ما يقول ويتعلل . هذا ما لم يكن  
ذنبه بيناً ولا سبيل لقبول عذره على الاطلاق . ثم لا تستخف بما تراء قريباً من  
التصديق في براهينه وتقبل ما يقدمه من الظروف المخففة لجرمه بل ذكره اذا  
امكن ببعض ظروف لم يتذكرها هو وهي تريد حجته قوة . فانه بذلك يشق  
بانك غير متحامل عليه بل انك تربي لخاله وتهتم بتبرئته . ولعمري اي اب يرى ابنه  
مجرماً ولا يهتم بتبرئته او لا يرى نفسه سعيداً لو تمكن من تبرئة ساحته وتخلص

من انزال العقاب به  
واذا وجدت حججاً قوية تؤيد برائته فلا تترك مجبج آخر او تتخذ  
طريقاً آخر تظهر لك ان برائته غير أكيدة ومما يستوجب الاسف ان بعض الروساء  
قليلي الهمة والاجتهاد خرفاً من عناء التنقيب والتدقيق ومن استياء الواشي  
يقولون : « انه لما كان يتمسر الوصول الى الحقيقة في دعوى هذا الراهب  
فيحسن ان نحرمة من حق المناصب او من حق الصوت وبذلك نكون راعينا  
الشاكي والمشكور منه »

او لا يدري مثل هولاء الروساء ان هذه الطريقة هي الاكثر خطراً من  
سواها وان هذا العقاب بغير تدقيق لراهب فاضل شديد ومرجداً وربما يكون  
هو المقصود من الواشي لا غير . ثم ان الحكم على هذه الصورة بدون تدبر لا  
يكون الا حكماً وهمياً غير شرعي

## عدد ٢

في ان العدل يقتضي ان لا يفرض الرئيس من العقاب الا ما كان

على قدر الجرم .

لا ريب في ان الفرق عظيم بين ذنب اقترف عن سهو او جهل او ضعف او  
عدم انتباه او في النادر وبعد مقاومة عنيفة وبين ذنب اقترف عن خبث بروح  
النكاية او بتمام الاختيار والانتباه مرات متتابعة . ففي الاول يكني التنبيه  
البسيط للمذنب لكي يتدع عن زلته اما في الثاني فيقتضي الردع بلهجة قوية  
وعزم شديد

قال القديس غريغوريوس : « ان التوبيخ الاخوي يمكن ان يكون احياناً  
بكل رقة ولطف . هذا عندما يكون الاخ قد زل عن جهل او عن ضعف لا  
عن خبث ورداءة لانه حينئذ يستوجب كل رفق ومسامحة . كيف لا ونحن  
ما دمنا لابسين هذا الجسد الضعيف الفاسد لا يمكن ان نكون معصومين  
من السقوط



فليتعلم اذا اكل منا باختباره الشخصي ان يكون شفيقاً على اخوانه ولا ينسى ضعفه عندما يوبخهم بشدة وصرامة . وقد توجد ظروف على عكس ما تقدم تستوجب كل صرامة او يعتبر فيها ان مرارة الدواء تنبه المريض وتجعله يشعر بسوء حاله واهمية مرضه وبالاخطار التي تهدده لعله يرعوي ويرتدع عن غيه»  
( الراعي ق ٢ ف ٩ )

وفي الزلاّت التي تكون عن خبث يوجد ايضاً فرق كبير ما بين غاية رديئة وغاية اردى في قصد المخالفات . فعلى الرئيس حينئذ ان يلاحظ ذلك سواء كان محافظة على رسوم العدالة او على استقامة نيته في عمله بحقوق مهسته فان الابهاء التديهيين كانوا احياناً كثيرة يفرضون عقوبات قاسية على هفوات خفيفة وانما كان ذلك لكيلا تصير الحقيقة ثقيلة ولئلا تنقاد الجماعة من هذا المثل الى ارتكاب الهفوات اية كانت بدون مبالاة . اما مع عدم وجود هذا المحذور فينبغي فرض العقوبات على قدر جرم الزلة والأتهافت الاكثرون على ارتكاب الخطايا الكبيرة وعدوها كالصغيرة ومن البين انه لا يسوغ من اي وجه كان ان تقدم شكوى على راهب او ان يفرض عليه قصاص ايّاً كان مع معرفة برأته لان العدل لا يسمح بذلك ولو بحجة امتحان الراهب وانما فضيلته . والّا ظهر ان الرئيس متحامل وسقط اعتباره عند الجماعة وسبب لهم عثراً . اما المروؤوس الذي نسبت اليه نقائص لا يكون قد وقع فيها فلا يعلم احد ما يحيش في صدره من الاضطراب ولا ما تكون نتيجة شجبه على غير ذنب .

نعم ان العادة جارية في بعض رهبانيات على ان يوبخ البعض لاجل نقائص خفيفة وطفيفة للغاية غير ان ذلك لا يكون الا مع رهبان اشداء بالقضية ويكونون غالباً منبهين الى مراد الرئيس في توبيخهم وعارفين ان النقائص التي تنسب اليهم لا تعد ذنوباً في اعين الجماعة ولا ينبغي ان يخاطبهم الرئيس بشأن ذلك الا بكلام عمومي ينطبق على الكثيرين كأن يقول مثلاً : « يا أخي ان اعمالكم هذه تعدونها طفيفة وهي كذلك ولكنها علامة القصور في العبادة ولا تاتى من كرسوا ذواتهم لله وتجنّدوا لخدمته تعالى ويلزمهم التقدم يومياً في درجات الكمال . . . وما اشبه . » ولعمري كما انه يجب الا تشفق على من يثبت ذنبه

بل ان تخنض كبرياته امام الجماعة بالتوبيخ او بالعقاب هكذا لا يجب ان تؤدب او تهين من لا يستحق الا المديح والثناء لاجل مثابرته على حفظ القوانين والرسوم وقد يوسوس الشيطان لبعض الرساء ان يتزلوا في مروؤسيهم بعض العقوبات الخفيفة على غير ذنب قصد حملهم على اكتساب اجر الاحتمال ولكن من الثابت انه لا يجوز عمل السيآت لتأتي الصالحات . بل لا تكون في الغالب نتيجة مثل هذه العقوبات الا التشكي والتذمر

قال لانسيوس : يكتفي في الغالب قصاصاً للراهب على هفواته الخفيفة ان يشعر بان رئيسه قد شاهد ذلك كما لو رآه يتكلم في اوقات الصمت او يتهامل في الصوم الرهباني او انه تأخر عن حضور المائدة او الكنيسة وما اشبه ذلك

### عدد ٣

— في ان العدالة تقضي ايضاً على الرئيس بان يافظ على صيت المذنب —

### اشد محافظة

١ فلا يوجب اذن الرئيس احياناً علانية الا على بعض النقائص المشهورة والتي يقضي اصلاحها ورفع الشكر المتأخرة عنها قصاصاً عينياً . والزلة اذا كانت خفية ولا يَشْهَرُ من افشائها فمهما كانت كبيرة يبقى للراهب حق على حفظ صيته وبعدم اشهار زلته يكون خير للرهبانية كلها كما لا يخفى . فعلى مثل هذه الزلات الحتمية ينبغي ان نوبخ توبيخات سرية ونحافظ على اعتبار المذنب ومحبته كما كنا نعامله قبل سقوطه وبذلك نكون قد راعينا العدل ورفعنا الشكر وابدينا للمروؤس لطفاً ورقة من شأنها ان ترده الى الصواب . ولو عاملناه بخلاف ذلك لرفعنا عن بحياه ختم البرادة والحشمة واسأنا الى الجماعة كلها ( كما لاحظ القديس اغوستينوس في رسالته ١٨٥ الى بونيفاسيوس ) وهذا الحتم لا يقدر احد بدونه ان يحيا حياة رضية لكونه جزءاً جوهرياً في النفس المسيحية ولا سيما في نفس الراهب وتري ان السيد المسيح قد حافظ عليه في يهوذا العاش حتى في ساعة تسليمه

لَهُ وان الله تقدست اسماءه يعيده الى الخاطي حالاً يتوب اليه توبة صادقة ويحفظه  
للإبرار كعلامة الشرف وعربون المحبة ولو كانوا فيما مضى قد اقتربوا من الذنوب  
اعظمها وأكثرها

يا لله إذا أياها الرئيس لا تمحُ هذا الحتم السماوي عن جبين أخيك وان الجأتك  
الضرورة فاحذر ان تلحق به غير ضرر خفيف . وإياك ان تهتك ستره فلا يعود  
يستطيع ان يعمل عاره وخزيه بل لا تدعه يشعر بانك عارف بكل عيوبه  
وبالأكثر لا تدع الجماعة تكتشف ارجاس نفسٍ قد اتخذها الله لَهُ كعبد لا يريد  
ان يدخله او يطالع على ما فيه احدٌ سواء

والزلة تعتبر سرية ما دام لا يدري بها الا اثنان او ثلاثة في الجماعة  
العديدة . ومع ذلك فقد يوجد بعض حوادث فيها يسوغ للرئيس بل يجب عليه  
ان يوبخ توبيخاً عانياً وهذا فيما لو رأى ان العدوى تسري في الجماعة وتضر في  
الرسوم الرهبانية وأنه قد نهى المذنب عنها سرّاً مرات ولم ينته

٢ ولا يسمح الرئيس لاحد اياً كان بان يساعده في توبيخ الاخ المذنب  
لان ذلك مما يدل على ضعف السلطان ويبيع الراهب المذنب واصحابه على  
الرئيس ومعاونيه ويخشي ايضاً من ان الراهب المذنب الذي يوبخ بحضرة الجمهور  
ويؤمى من كل منهم بامر السهام اذا ما رأى ذاته مهاناً كل هذه الاهانة ومشوهاً  
بمطاعن عديدة مختلفة يئأس ويقنط ويومي ذاته في اعظم ورطة

٣ على الرئيس ان لا يوبخ مروؤسه امام اناس خارجين وان لا يدع احداً  
منهم يعرف شيئاً من نقائصه . وهذا الامر كلي الاهمية في الرهبانية لان  
الاحتداد وثورة الغضب يظهران بسهولة ما يجب كتمه وهذا مما يلحق اهانة  
بالشخص المذنب وبالجماعة ايضاً ويشوه ماء الفضيلة الرهبانية

٤ من الواجب على الرئيس ان لا يقول ولا يفعل شيئاً تشتم منه رائحة  
الاحتقار للمذنب او يسبب لَهُ امتهان الجمهور . لان الاحتقار شيء والتواضع  
شيء آخر فيمكنك ان تسبب التواضع لمروؤسك بداعي المحبة اما الاحتقار فلا  
يمكنك ان تلحقه به من دون اهانة . واذا ساء للرئيس من قبل مهمته ان يقاوم  
كبرياء مروؤسه ويسبب لَهُ التواضع فلا يسوغ لَهُ البتة ان يمتنه او ان يسبب

له الاحتقار من اي كان . قال القديس يوحنا فم الذهب : « ان الالهانة من اينما اتت غير مقبولة ولا محتملة لانها ان كانت من المروثوس للرئيس عدت قحة وجنوناً او من متساو الى متساو حسبت قلة ادب وان من رئيس مروثوس حسبت فعل كبر وخيلاء ( عظة ٣٩ على اعمال الرسل )

فان عيرت مروثوسك بصفة اصله فكانك تقول له انه غير جدير بالاعمال ولا بالفضيلة وهذا ما ينالف الصواب لان الجدارة بالاعمال والفضيلة ليست موقوفة على الشرف او المكانة . وان عيرته بنقص او مرض في جسمه او لقلّة قدرته فانك تبين له انه لا خير فيه وانه ثقيل على الجمعية . وان عيرته بكونه لم يترك شيئاً للرهبانية حين دخوله فيها اعلنت ان لا سبيل للتعويض على الرهبانية الا بالمال وكأن الجدم الرهبانية مها كانت والفضيلة وتقدمة الذات بكل طواعية هي كلها لديك كلاشي . الا ترى ان القلب البشري سريع التأثر عندما تمس الطف شوارع اعني الشرف . واخيراً نقول ان من يمتحن يمتحن ايأ كان وان الرهبانية اذا ما فقدت دعائم الادب والمحبة فقدت كل غبطة وتعزية

#### عد ٤

في ان العدالة تقتضي من الرئيس ان لا يعاقب الا المذنب وان لا يعاقبه عن الزلة الا مرة واحدة وان لا يشفق على الواحد ويقسو على الآخر

١ لا شك في ان العدالة تقتضي من الرئيس ان يقف عند عقاب المذنب وحده وان لا يضم اليه غير رهبان ابرياء بحجة ان لهم معه بعض العلاقات فاذا شئت مثلاً ان توبخ اخاً لدخوله قلاية اخيه بنهر الاوقات المعينة فلا يسوغ لك ان توبخ معه صاحب القلاية ان لم يكن هو قد دنا الى الدخول عليه في الوقت المحرم . وكذلك لو عمل احد الاخوة وقت التنزه ما لا يحل عمله استحق ان يحرم من التنزه فليس لك ان تحرم الاخوة كلهم من ذلك لانه لا يسوغ ولا من وجه ان تعاقب جماعة ابرياء بجريرة مذنب واحد والا اشعلت نار الشغب وهيجت جيوش الدمدممة والتذمر

٢ ان العدالة تقتضي ايضاً ان لا يعاقب المذنب عن زلة واحدة مرات



عديدة . وبعد التوبيخ او العقاب مرة عن الزلة الواحدة فلا يسوغ لك ان تكرر ذلك بل يجدر بك ان تري المذنب انك قد نسيت زلته ولم يبق لها في ذهنك ذكر البتة ولعمري ان المراجعة بالتوبيخ على ذنب قد كفر عنه او التنديد بعد حين دلالة على صغر الفكر ولوم النفس واي خير يرتجى من ذلك سوى فتح جرح كان قد اندمل . فان الله جلت عدالته لا يعاقب عن الذنب الا مرة واحدة .  
٣ لا يسوغ للرئيس ان يعاقب من اذنب اليوم عن ذنوب ماضية . ولو لم يكن قد عوقب عنها بوقتها

لان في الاصلاح الاخوي كما في الحق الشرعي ينبغي الاقتصار ما امكن . والرئيس الذي يراجع عقوبات ذنوب ماضية يكتسب لنفسه الكره والمقت ويفتح باباً للاقتصاص من ذنوب كثيرة قد كفر عنها اتم تكفير . ومع ذلك فقد يسوغ ان تذكر الاخ بذنوب ماضية لتريه انه في ورطة ملكة سيئة وان من اخص واجباته ان ينتبه لذاته ويرعوي عن غيه قبل ان يسقط في ورطات اعظم . ومما يحظر على الرئيس استعمال كيلين او عيارين فيكيل او يزن لاهل النفوذ بكيل وميزان ولاهـل الخمول بكيل وميزان آخـرين لتخوفه من اوائك وازدراجه هؤلاء . ومن لا يرى كثرة الشرور التي تنجم عن هذه المحاباة والاخذ بالوجوه . فالذين يوضع على مناكلهم كل ثقل القانون يأخذون بالقلق والتذمر والذين لا يسألون عما يفعلون يضحون كن لا قانون لهم ولا نظام وهيئات يعودون فيما بعد الى السيرة الرهبانية الحقة

وينبغي مع ذلك ان نغز ما بين الاخذ بالوجوه والمراعاة الواجبة للبعض بالنسبة الى سـنهم او مقامهم او فضيلتهم او طباعهم الخ وستكلم عن هذا في مقالة القطة

عد ٥

في انه يجب على الرئيس ان لا يبلغ زلة الاخ المذنب الى الرؤساء الكبار ولا الى من يخلفه في الرئاسة ما لم يرو في ذلك فائدة حقيقية  
ولما اذا تسرع الى تبليغ زلة مروثوسك الى الرئيس الاكبر فان كنت قد

وبخته سرّاً على زلتِهِ وهو قد كفر عنها فما الحاجة بعد الى ان تمزق صيته وترفع امره الى الرئيس . قال لانسيوس ان الوشاية الى الرئيس الاكبر هي امر من العقاب وفي مثل هذا الحادث ينبغي ان تسمع الى صوت ضميرك القائل لك « لا تفعل بالناس ما لا تريد ان يفعله الناس بك » (الرئيس الكامل) وان كنت لم توجهه بعد فلماذا تسرع الى الوشاية به وما قصدك بذلك ؟ هل اصلاح اخيك او بالحري اشفاء غليل الحقد والبغضاء او ان ترفع عنك ما تتوهمه من ملامة رئيسك الذي ربما قد اظهر لك غير مرة انك في تدبيرك شوئون الاخوة تميل الى القسوة والحقة اكثر منهما الى الشفقة والرزانة

نعم انه قد يوجد بعض حوادث تستلزم مشورة بعض الاءاء الافاضل غير ان ذلك ينبغي ان يكون مع اشخاص قليلين ومتصفين بالتقوى والرزانة وعلى الرئيس حينئذ ان يفهمهم انهم ملتزمون بحفظ السر حفظاً مقدساً . ويمكن الرئيس باكثر هذه الحوادث بل يجدر به ان يأخذ رأي اهل مشورته باصلاح ما يكون قد حدث من دون ان يذكر لهم اسم المذنب

واذا بان للجماعة ان الرئيس سريع التصديق وغير متأن في بت احكامه ولا يبطؤ . ان يبوح بالسر اولاً الى اهل مشورته ثم الى الاب المرشد وبعد الى الرئيس الاكبر واخيراً الى خلافهم وبذلك يسود صيت رهبان فضلاء وذوي سمعة جيدة فيحكمون بوحدة الرأي انه من اهل الحقة والطياشة ولا قدرة له على كتم السر ومن ثم لا يبقى لهم به ثقة البتة ولما كان للرأي العام ولظاهر الاحوال تأثير في عضد السلطة اشد من تأثير الحقيقة فالرئيس الذي تكون هذه الحال حاله مع جماعته يفقد تسمياً كبيراً من اعتباره وبعد قليل يفقد كل سطوة ومهابة بل يضحى في آخر الامر كن لا سلطان له على الاطلاق

ومما تقتضيه العدالة من الرئيس انه بعد توبيخه مروؤسيه بروح الرب اذا لحظ فيه رغبة الاصطلاح فلا ينبغي ان يبتى في افكاره شيئاً من سوء الظن به ولا ان يبتى بين اوراقه شيئاً من الملاحظات المضرة به لانه لما كان منتهى الفضل في الرئيس ان يعمل بعدلٍ يماثل عدل الله فلا ينبغي له ان يحافظ على العدل اكثر من الله نفسه ولا ان يذكر فيما بعد ذنباً قد أحمى من مدة طويلة . بل عليه ان

يعيد له صيته الاول وان يعامله كأنه لم يذنب قط ويلاشي كلما تضرع عليه ويمكنه ان يضر في مستقبله . لانه كيف يبرأ امام الله من لا يريد ان ينسى هفوة لاهيه ولا ان يطرح من فكره ما سبق له من سوء الظن فيه ويعود الى اعتباره اياه كما كان قبلاً . او كيف يزكي امام الله من يؤسس كل معاملته اخاه على حادث او حادثين ويبني عليهما كل تصوراته فيه واحكامه عليه وكل ذلك يصح على الرئيس الذي عندما يسلم من يخلفه في الرئاسة ما لديه من الاوراق والملحوظات يجتهد في ان يبيد سمعة البعض من الذين اذنبوا مرة او مرتين في مدة رئاسته وان يعطل مستقبلهم بالكلية

ومن المؤكد ان الضرورة او خير الجماعة او خير المذنب نفسه يقتضي احياناً ان توقف الرئيس الجديد على شوائب المذنب ولا سيما اذا كانت اضحت مثل ملكة ردية منفرسة في طباعه ويخشى منها خطر العدوى ولكن بغير هذه الظروف لماذا لا نؤمل اصلاح المذنب بدون تسويد صيته عند الرئيس الجديد وتترجى انه بعد تنبيهات عديدة يرجع عن غيه ويجتهد في ان يكون راهباً صالحاً بموجب عهد، لله تعالى حين دخل الرهبانية وبعد فلماذا لا نقول انه لو عاملنا الله بالتسوية التي نعامل بها قريبنا فما عساه يكون قد حل بنا ؟

هذا ولم يكون خجل الراهب وبوئسه عظيمين اذا ما شاهد كل واحد من الرؤساء يوجه على زلة قد ارتكبها من مدة طويلة . وبالخصوص عندما يرى ان الاخوة باجمعهم يعدونه كجرم وفاقد كل اعتبار . فاذا لم تكن فضيلته سامية وخارقة العادة يضطره الامر الى ان يقيم دعوى على رئيسه ويجتهد بان يلحق به شيئاً من الضرر باي وجه كان . وما عساه تكون النتيجة من ذلك الا عداوة تدوم لحد الموت او خسارة ذلك الراهب المضطهد الذي يئس من حياته الرهبانية اذ لا يراها الا موعبة من المتاعب والشكوك المتواصلة

## الفصل الثالث

في ان الفطنة هي ركن التوبيخ الاخوي

ان الفطنة تعلم الرئيس ثلاثة اشياء ١ ان يختار الوقت الموافق للتوبيخ ٢ ان يداعي طباع كل واحد من مروضيه ٣ ان يُعطي المرضى بالروح الدواء جرعة فجرعة بحسب قوة كل واحد منهم

## الباب الاول

في ان الفطنة تعلم الرئيس ان يختار الوقت الموافق للتوبيخ

وبتدريء اولاً في الاشارة الى معاتير التوبيخ وبعد نتكلم على القواعد التي تسهل الطريق للتوبيخ حتى يؤمل منه النجاح بل يتأكد تأكيداً ادبياً

## المقالة الاولى

في المعاتير التي يسقط فيها الرئيس غالباً عند قيامه بفرض التوبيخ

## المعثرة الاولى

وهي تأخير الرئيس عن التوبيخ في وقته

قال ابن سيراخ « يا بني قبل المرض استطب » (ق ١٨) فكان الروح القدس يخاطب الروساء هكذا « اليكم اوجه خطاي يارعاة النفوس اجمع . كونوا متيقظين الى اول حركة تبدو من الشر فان عنايتكم ليست لاجل المرضى فقط



بل لاجل الاصحاء ايضاً . فان علمت لشفاء المرضى فيلزمكم ان تعملوا ايضاً  
لوقاية الاصحاء من المرض والطبيب لا يُعد ماهراً ومجتهداً لو ضدد الجراح فقط  
بل يُعد ماهراً وحكيماً اذا استدرك الامر قبل وقوعه ووقى المريض من العملية  
الجراحية . فهذا ما ينبغي لطبيب الانفس ان يتحراه ويعمله

قال القديس اغوستينوس « ان الذي يسقط بخطيئة ويوتبخ حالاً على سقطته  
يقوم بسرعة وسهولة لانه لا يكون قد انغمس بعد في اقدار الخطيئة ولا الخطيئة  
تكون قد تأصلت باصول العوائد والملكات » (مقالة ٤٩ على يو) . وقال القديس  
غريغوريوس التريزي : « ان مقاومة الخطيئة وهي مقبلة اليك لاسهل من مقاومتها  
بعد وصولها واستيلائها عليك » (عظة ٢٦) . الاترى من البديهي ان اسناد  
الصخر وهو في مكانه لاسهل من ايقافه في طريق منحدر بعد سقوطه او من  
ارجاعه الى مكانه الاول بعد وصوله الى اسفل المنحدر

ولذلك فان لحظت ان احد رهبانك متهاون في الاشياء الصغيرة او انه يميل  
بسهولة لمعاشرة الرهبان القاترين او انه قليل العمل وانما يتشاغل بالتنقل من قلاية  
الى قلاية وقلما يتحادث باحاديث روحية . والاخر يضيع الوقت بالباطل ويأتي  
بالغرباء الى محل التكلم في الدير ويكثر الزيارات الى الخارج ويصاحب اهل  
النفوذ ويجب معاشرة النساء . او ان رأيت غيره معذباً بتجربة ضد دعوته حتى  
اضحى يستخف بالقوانين واخذ من ثم يجادل ويماحك في عدم لزوم بعض الوصايا  
الرهبانية او عدم مناسبة بعض الفرائض القانونية وكان لا يطيع الا بعنف وابطاء .  
فاعلم عندئذ انك جدير بالاسراع الى المحاماة والذنب عن النظام والقانون  
ومقاومة كل من يخالفهما ولا تبطيء اذ ذاك في ان تكوي الجرح قبل ان يتولد  
فيه الغريرناء . فقليل من الشدة والحزم في بادئ الامر يوقف جري الشهوة  
البهيمية فينكف صاحبها عن التوغل في مهامه الشر وينجو من العواقب الوخيمة  
اماً في التسويف والتأجيل فتصادف عقبات من الصعوبة تكاد لا تنتصر عليها  
اعظم القوآت البشرية ومن اعتلّ بوجوب الرفق بالذنب فليعلم انه بعمله هذا لا  
يرفق به بل يدفعه بقسوة بربرية الى وهدة الهلاك . قال سينيكا الفيلسوف « ان  
المساحة بكل الذنوب هي قسوة ليست باقل شراً من القسوة التي تأبى المساحة

بشيء من الذنوب اهـ

ولما كان الرئيس اباً وجب عليه ان لا يحفظ في قلبه ذكراً للاكدار والمتاعب التي يكون قد سببها له الرهبان بمخالفاتهم بل يجدر به ان يتسلط على هيجان الحركات الثائرة في قلبه وان يثق في طاعة رهبانه له فيرشداهم الى سواء السبيل قبل ان يشردها فيضلوا

اما الرؤساء الذين يلحقون بمجمعاتهم ضرراً وينبغي ان نطلب النجاة والتخلص منهم فتوعان . منهم من يلبغون الرؤساء الكبار ذنوب مروثوسيم قبل ان ينصحوهم عنها ويدأومون مع ذلك على مؤانستهم وملاطفتهم كأنه لم يبد منهم شيء يسيئهم او يكدر خاطرهم . ومنهم من يظهرون للمذنب خشونة ونفوراً مدة طويلة ولا يبينون له ذنبه ولا علة اشتزازهم منه كل هذه الايام المديدة . فهو لاء لا ترجو الجماعة منهم خيراً بل لا تتوقع منهم الا البؤس والاكدار اما اولئك فلو امعنا النظر في مجمل سياستهم فلا نجد فيهم شواعر الخوص والمحبة كما في الالباء بل امارات الخداع او دهاء اهل السياسة وتقليقاتهم الكاذبة

## المعثرة الثانية

وهي التسرع في التوبيخ

قال القديس برونزوس « كما ان الرزانة او الفطنة بدون حرارة المحبة تكون جبانة وصغر نفس كذلك حرارة المحبة من دون رزانة وفطنة تكون عاثراً ومهاكة اهـ ( عظة ٢٤ على النشيد ) يريد بذلك ان الرئيس من دون حرارة المحبة يسقط ويسقط مروثوسيه في وهدة الفتور والخنول ولو كان على جانب من الرزانة والفطنة . اما ان كانت فيه حرارة المحبة من دون فطنة فيتمادي اولاً في الصرامة الا انه فيما بعد يعود الى الفشل والفتور

ومن المعلوم ان الرئيس باحتماله ذنوب مروثوسه وقتاً ما يبيد له دلائل المحبة اكثر مما لو عاقبه عنها في الحال ويكون كانه قد اخفى ذنوبه وستر عيوبه . ولا

شك ان الرفق يضعف المروءوس يقبل به الى التوبة اكثر من اعنائه ومعاسفته على كل هفوة . وانك اذا اقنعتة او تركته يقتنع بضعفه من تكرار سقوطه فتحمله غالباً على التيقظ والتجند ضد اسباب السقوط . والمريض كلما شعر بمرارة الالم المسبب من عدم الوقاية اقبل بسهولة على اخذ الادوية النافعة مهما كان طعمها واحتاط لنفسه باشد الوقاية

والامر الجدير بكل اهمية واعتبار انما هو ملاحظة العوائد القديمة التي بمواصلتها الدائمة تكون قد اكتسبت نوعاً من الشريعة ومن يعلم ضعف الطبيعة البشرية وعجزفتها يرى ان اصلاحها من شوائب قديمة اخذت مجرى العادة لا يكون الا برفق وسلاسة بحيث لا يشعر احد بهذا الاصلاح لو امكن . والا لو باغت الرئيس مروءسيه واراد اصلاحهم بعنف وتعنت لزادهم شرّاً وتمسكاً بعوائدهم السيئة قال غراسيانوس « ان الزمان طبيب ماهر لمن يعرف ان يستخدمه . فانك ترى مثلاً اموراً كثيرة كانت ذات بال واضحت اخيراً كلا شيء . من جراء سياستها بالرفق واللين وعدم المقاومة . واموراً غيرها كانت كلا شيء . وامست اخيراً ذات اهمية وذلك من افراط الاهتمام بها وسياستها بعنف وقسوة لان المرض قد يحدث احياناً عن الدواء فلا يخال ان اذا ان التسامح احياناً هو طريقة مضرّة بخير الاصلاح ( رجل البلاط مبداء ١٢١ ) وما مثل امراض النفس الا مثل امراض الجسد فهذه نرى احياناً ان تسكينها وتلينها احرى من تحريكها وتهيجها الذي كثيراً ما يسبب التهاباً وموتاً . ولم مرة لا يحسن الجراح مداواتها الا بتركها مدة ريثما تكون قد تطبخت لانها لو بُضعت قبل الوقت لالتهبت وعظم شرّها . وهكذا يوجد بعض شهوات في الانسان لا يمكن مقاومتها وكبحها قبل ان يكون المبتلي بها قد عيى بنوع ما وكل من تعب الضمير

ونرى غالباً ان التأني في التوبيخ وتأجيله الى مدة ينجع في قلب المذنب بخلاف ما لو اتزل به بسرعة وعدم ترور لان التوبيخ بعد وقوعه يحسب كأنه لم يكن . وما عدا ذلك فان بعض الامراض كالسرطان مثلاً لا يعالج الا بالملاطفت وذلك لا ابتغاء الشفاء لانه غير ممكن بل لاجل تسكينه وتأخيره عن التقدم ما امكن .

وبعض الادوية لا تكون إلا مضرّة لو استعملت حالاً بعد تركيبها قبل ان  
تسحق وتعجن وتختمر . وهكذا التوبيخ فانه ان لم يُفد المجرم في الحال الاّ  
زيادة تصلب وقحة فقدّ يعود عليه بالنفع عندما تكون حارة الحمى سكنت  
او همدت

ولو انصف الروساء لشعروا واعترفوا ان التوبيخات التي اتزلوها في مروثوسيهم  
بتسرع وحدة لم تكن ناجمة عن غيرة واخلاص بل عن اضطراب وروح النكابة  
لانهم لاحظوا فيهم شيئاً من المقاومة لماآربهم ومشروعاتهم . ولعمري ان الروساء  
من حيث كونهم مكلفين من قبل العناية بصوالح مروثوسيهم وهم لا يزالون  
بشرّاً مثقلين من عبّ امراض الطبيعة فان لم يرفقوا بضعف المروثوسين ويساعدوهم  
في بلاياهم يحسبون عتاة ظالمين لا ابا . رحومين

ومن ثم ينتج احد امرين اما ان المروثوسين ياخذون ان يبغضوا رئيسهم  
ويكرهوه من جراء ضغطه وتشديده عليهم واما ان الرئيس يفشل ويقنط ويأخذ  
ببغض مروثوسيه والاشمئزاز منهم . والامران سيئان ومسيان فتدبر . اه

### المعثرة الثالثة

وهي اهتمام الرئيس باصلاح كل هفوة دون استثناء

ان من يريد اصلاح كل هفوة لا يُعدّ أباً حنوناً بل جندياً مأموراً اجراء ولا  
يكون لعمله هذا نتيجة سوى اعتبار الجمهور له انه ذو افكار عاتية وسوداوية  
لا يقدر ان يحتمل شيئاً . اذا كان في البيت كلب لا ينبح الا وقت الاقتضاء فاذا  
نبح ليلاً او نهاراً ينتبه كل اصحاب البيت وينظرون من يفد عليهم في تلك  
الساعة اما لو كان ينبح في كل ساعة لداعٍ ولغير داعٍ ويقلق اهل البيت بنبحه  
المتواصل فاذا نبح وقت الحاجة لم يكثر احد بنبحه ولو كان لداعٍ هامّ : قالت  
القديسة شانتال : « يخلق بنا ان لا نوبخ او ننبه مروثوسينا على كل هفوة لان  
ذلك يتعب الفكر ويجعله معتاداً سماع التوبيخ بدون انتباه ولا اهتمام . اه »  
( رسالة ١٤ ك ٢ ) وقبل ان نصلح هفوة واحدة فينبغي ان نترك عشرة بدون



اصلاح ولا سوأل حتى نعدّ المذنب ونؤمله الى قبول الاصلاح لان الهفوات العديدة لا بدّ ان تكون صادرة اما عن غفلة وقلة انتباه وهذه اصلاحها بمرمتها في وقت واحد مما يفوق القوى الطبيعية واما ان تكون صادرة عن شرّ وخبث وهذه ايضاً يستحيل اصلاحها دفعةً واحدة . وقد يحدث كثيراً ان الراهب الذي تكرر توبيخه لاجل خفة منه او طياشة يُضحي اخيراً ردياً وكارهاً الاصلاح ولذلك ينبغي التحرز الكلي من اعنات ذوي الطباع القاسية السريعة التأثير .

ولا بدّ للرئيس الفطن الحكيم من ان يغضي الطرف ويمسك عن مؤاخذة هفوات عديدة محتملاً ومنتظراً الوقت المناسب لذلك . وأولو العرف والاختبار يؤكّدون ان بعض الهفوات لا يستطيع الرئيس اصلاحها بدون ان يسقط هو سقطات افطع وأشدّ ضرراً .

وربّ معترض من الرؤساء يقول : أأست انا المطالب امام الله بكل الهفوات التي اغضي واتسامح بها ؟ اجيب نعم ولكن الاغضاء عن الهفوات والتسامح بها بعد وقوعها لا يُعدّ اذنًا بفعلها . وحقاً ان من لا يريد ان يغضي عن شيء من الهفوات يحمل مروّسياه على اقرار ذنوب فظيعة . قال القديس يوحنا فم الذهب « ان الله جلّت حكمته قبل ان يرشقنا بصاعقة يتهددنا بعود كثيرة وهيئات بعد ذلك ان يتزل بنا اكثر من شرارة صغيرة . » ( عظته ٢٢ للشعب )

ولعمري ان الله القدوس طبعاً والعدل والقدرة بالذات لا نراه يعمل لابادة الشر باسره بل لاستخراج الخير من الشر الذي يتحمّله . وليس كأنه تعالى لا يقدر ان يبيد الشر باجمعه بل لانه يرى جأت حكمته ان ايجاد الخير من الشر هو انسب لمجده من ابادته كل ما فيه شائبة الشر . ونرى ان القديس برناردوس يُعطي البابا اوجانيوس هذا الملحوظ وهو ان الانبياء معاً كانوا عليه من الغيرة للاصلاح فقد تركوا مع ذلك للرسول اشياء كثيرة بغير اصلاح وان الرسول تركوا اشياء كثيرة لخلفائهم وانه ينبغي من ثمّ لقداسته ان يترك لمن يخلفه شيئاً بدون اصلاح . اهـ ( تأملاته ك ٢ ف ٦ ) واوعز اليه في محل آخر ان يغض الطرف ويفتحه بحسب الاقتضاء اذ قال له : « تجاهل باشياء واغض عن اشياء وتناس غيرها كأنك لم تدري بها . » ( ك ٤ ف ٦ ) . ولنسمع كلام القديس غريغوريوس اذ قال

في هذا المعنى : « انه لحسن ان تغضي احياناً عن الهفوات السرية ولكن ينبغي اذ ذاك ان ننبه المذنب الى ان جرمه لم يبق مخفياً ولكن قد صار الاغضاء عنه رجاء ان يعرف ذنبه ويرعوي عنه مقتصاً من نفسه بما قد استحقته وعفا عنه حلم الرئيس ولطفه . ولهذا وبخ الرب اليهودية عندما قال لها بلسان نبيه إشعيا : « انك كذبت ولم تذكريني ولم تتألمي في قلبك . ألم اكن ساكناً وذلك من القديم فانت لهذا لا تخافيني » ( ف ٥٧ : ١١ ) فكان الله اذاً يعرف نقائص شعبه ومع ذلك كان يغضي عنها كأنه لم يدر بها » ( الراعي ق ٢ ف ١٠ ) . وفي محل آخر يمثل هذا العلامة القديس الرؤساء بالاشبال التي تربض داخل اوجارها منتظرة اغتنام الفريسة . فهكذا الرؤساء يكمنون داخل ضمايرهم مغضين عن كل توبيخ كأن لا اهتمام لهم باصلاح الشوائب وهم مع ذلك يتربصون الفرصة المناسبة لابتداء غيرتهم ومحببتهم ( ك ٣٠ في الاداب ف ٧ )

## المقالة الثانية

في القواعد التي تسهل نجاح التوبيخ او تؤكد  
القاعدة الاولى

= لا توبخ مروضك في حال اضطرابه ولا في حال اشتداد وطأة الشهوة عليه = والا فتلقه في الغيظ والغضب واذ ذاك تكون انت المسؤول بما يأتيه من التجاديف والعصيان . قال القديس فرنسيس سالس : « ماذا ترى تصكون حالتنا لو عاقبنا الله على كل خطيئة في حال اقترافنا ايأها » . فمن الواجب اذاً ان يعطي الرئيس وقتاً للمذنب كي يهدأ فوراً اضطرابه ويتأمل قليلاً بما جنت يده ويستعد لمقاومة الشهوة التي استولت عليه ووقعته في تلك الورطة . ولعمري ما الغاية من التوبيخ او النصح الاخوي ؟ أمأ هي اقناع المذنب بذنبه وحمله على التوبة والاقلاع عنه ؟ وهل يمكن اقناعه عندما يكون ظلام الاضطراب مسدلاً على عقله او هل يمكن حمله على التوبة بدون ان يُعطى زماناً ليفتح لها قلبه المقل بوجهها ؟ وبما لا ريب فيه ان التوبيخ لا يكون له

نتيجة حسنة إلا عندما يكون صادراً عن قلب نقي وفكر هادي . رائق وموجهاً الى فكر وقلب صافين نقيين ايضاً ولذلك يرى القديس اغوستينوس انه خير لنا ان نؤجل التوبيخ الى وقت او نهمله بالكلية اذا لم نجد استعداداً لقبوله لان المقصود منه انما هو الاصلاح وهذا لا يكون بالرغم والاعنات . وعلى ذلك قال : « ان تأجيل التوبيخ او النصيح بكذا حادث لا يُعد موافقة على الاثم بل بالخري عمل فطنة ارشدت اليه المحبة . اهـ ( ك ١ في مدينة الله ف ٧ ) والقديس غريغوريوس يقول ان الرئيس جدير بان يكون كلاً لكل انسان من مروءتيه لاجل خير الاصلاح ومن ثم يلزمه ان يكون شفوفاً او شديداً قاسياً او ليناً بمقتضى طباع المذنب وحالته الادبية . ولعمري لما كان الرئيس لا يقصد في توبيخه سوى الاصلاح وجب عليه ان يسير مع مروءتيه بكل دعة وتواضع حتى يستميل قلوبهم ويستولي على افكارهم فينجع بهم نصحه ويكون ما يريد . ( الراعي ف ٣ )

وكذلك لو رأيت الشهوة آخذة في المجرم كل مأخذ فلا تحاولن مقاومة بعنف وقوة بل اقتدين بما يعمل به صياد السمك في مثل هذه الحوادث كما علم القديس دوروثاوس اذا رأى حوتاً كبيراً قد وقع في شبكتهم وأخذ اولاً ينجب ويضطرب ويذب البحر لاضطرابه فلا يسحبونه بعنف في الحال بل يرخون له الشبكة ويسيرون معه كيف شاء حتى اذا هدأ روعه وسكن اضطرابه سحبوه بسلاسة ولباقة فيبلغ معهم الى الشاطئ من غير معاسفة ولا مقاومة . فالاجدر اذاً بالرئيس في مثل هذه الظروف ان يعطي مهلة لذي الشهوة الهاثة عليه يكل او يعل من وعورة الطريق في التيه والزيع او يشعر اخيراً بملاطفة الرئيس له فيخجل ويعود عن غيه واباطيله . وعلى هذا النمط تكون كانك قد ابرمت معه شبه مخالفة بها تميل به اليك شيئاً فشيئاً لانه عندما يرى انك لا تقاومه كل المقاومة يستسلم قليلاً قليلاً الى نصائحك الحبية وتحريضاتك الابوية . وبذلك تحمد حرارة الشهوة وتضعف قواها فيتهاون لك عندئذ ان تحاربها حرباً عواناً وتفتك بها من ان تلتحق بصاحبها ضرراً البتة

ولا ينجب لاحد ان ما تقدم رأي خاص يستحيل اجاؤه بالعمل كلاً بل

هو حمية ثابتة بالاختبار . فان اقوى ذريعة للانتصار على سورة المجرم هي مواساته والتواطوء معه ظاهراً لان النتيجة من هذه السياسة انما تكون كما تقدم استثناس المجرم وتقربه من رئيسه . بنوع انه يتدي بان يستصوب نصائحهم ويستمعها ثم ياخذ في العمل بها برضاً وطية خاطر . وكثيراً ما نرى من الخيل الجموحة التي لا تقبل اللجام ولا تحمل نخس المهاز وانما ذلك لان يداً قاسية عودتها ذلك فاذا اتفق ان يداً ماهرة تديرها باللين والملاطفة فانها تتناسي شيئاً فشيئاً عوائدها السيئة وتأخذ بالانقياد طوعاً كيفما شاء مديرها الماهر اللطيف

وهكذا اذا اخذ احد الرهبان يقسو ويتصلب فيجدونا اولاً ان نلاطفه ونواظفه على مرامه لان تصلبه يكون اما طبيعياً وحيثئذ لا يؤخذ بالشدة والمقاومة او ناجماً عن اضطراب وقتي فاذا قسوت عليه ازداد فوزاناً واتصل به الغضب الى اليأس والى اقتراف منكرات مشككة . ومن ثم فاحسن ذريعة لتسكينه انما هي ان تعطيه مهلة ونتظاهر موقناً اننا راضون بما اتى به او مفضون عنه وبعد ايام يهدأ روعه ويتفتح عقله وقلبه فيرى سوء عمله ويفهم مقصد رئيسه بنصحه له فيرتدع عن شره باناة وسهولة . ولعمري انها لحكمة كبرى ان يحتمل العدو الى ان يغلب ذاته بذاته

### الاعادة الثانية

هي ان لا تنزل بالمجرم شيئاً من التوبيخ او العتوبة ان لم تر فيه او في الجماعة حسن العاقبة في الحال او الاستقبال او على الاقل ان لم تكن النتيجة الحميدة اعظم من القبيحة

ان الاصلاح يكون ضرورياً اذا ما كانت الزلة ذات بال وكانت مضرّة بنجر المذنب او بنجر الجماعة

وعليه فينبغي ان نعزي الطرف عن هفوات كثيرة طفيفة . قال بالتازان الفارس : « لا تأت بالتوبيخ متواتراً ولا لاجل امور طفيفة لانك بهذا لا تحسب من القيورين المجتهدين بل من القساء القاسين . وانك اذا ضربت بسيف



السلطة ضربات متواترة فلاته واضحى المضروب به لا يشعر بالالم » (كتاب حياته ف ٢٣)

اما اذا كان لك رجاء باصلاح المجرم من دون توبيخ فلا توبخه او على الاقل لا تنزل به عقاباً . الا ترى ان الطب وجد لمساعدة الطبيعة على المرض اما لو رأينا الطبيعة قادرة وحدها ان تتصل من المرض فلا نستدعي طبيباً ولا نأخذ دواءً

قال القديس غريغوريوس : « قد يوجد بعض الهفوات التي تستلزم الاغضاء عنها ولو كانت ظاهرة ومعروفة . وذلك عندما نرى الظروف لا تسمح باصلاحها علناً خوفاً من استفحال الشر . ان فقاء الدمل بغير اوانه يضر به وربما يسمه ويجعل شفاءه مستحيلاً فالرئيس الذي يلتزم ان ينتظر الوقت الموافق للاقتصاص من المذنب اقتصاصاً صلاحياً ينبغي له ان يحمل ثقل اوزاره وهذا ما جعل المرتل ان يقول : « على ظهري وضع الخطاة آثامهم . » ( مزمور ١٢٨ ) . فعلى الظهر توضع الاثقال . فان النبي في شكواه ان الخطاة وضعوا آثامهم على ظهره يقول صريحاً : « اني احمل على مناكبي حملاً لا مناص منه وهو الخطايا التي لا اقدر على اصلاحها » ( الراعي ق ٢ ف ٩ ) . « واذا كانت الهفوات عمومية بنوع ان كل الجمهور او الاكثرين يجاهرون في المعاماة عنها لانهم لا يريدون ابطالها فاياك ان تقتحم ملاشاتها بالتوبيخ العمومي او الاقتصاص عنها لانك بذلك تريد الجرح او تفتح جروحاً جديدة . فالاغضاء حيثئذ بنظنة هو الانسب والاصح . ولك في هذه الغضون ان تستفرد الواحد بعد الآخر من المجرمين وتخضعه على الاصلاح ببراهين توافق ذوقه وان رأيتهم باجهم يعاندون ولا يخضعون فالتجبي . انت الى الصلاة وكفى اه ( مودست دي سانت امايل . الراس الكامل ك ١ ف ٨ ) ولا جرم ان احسن دواء لبعض الامراض هو عدم الدواء وهكذا الامر في بعض امراض النفس

قال جراسيانوس ان مهارة الطبيب تعرف من عدم اعطاء دواء كما تعرف من اعطائه . لان كمال الصنعة يستوجب احياناً عدم المعالجة وترك الطبيعة وحالها

### القعدة الثالثة

هي تأجيل الاصلاح الى ان يكون المروثوس قد تأهب بالنعمة الى قبول النصيح وأحسن الظن في رئيسه :

كل احد يعلم كلام صاحب الاقتداء اذ قال : « كلمني ايها الرب الهي . انت يا نور الانبياء والروح الذي توحى لهم انك قادر بدون واسطتهم ان تجعل الحقيقة تلج نفسي اما هم فلا يستطيعون بدونك شيئاً . فيمكنهم ان يتكلموا كلاماً سامياً الا ان كلامهم لا يضرم القلب هم يعطون الحرف اما انت فترشدنا الى المعنى هم يدآون على الطريق اما انت فتمنح القوة للمسير فيها . هم يعملون في الخارج فقط اما انت فتتير الباطن وترشد القلوب . هم يسقون وانت تعطي قوة النمو . كلمني اذن ايها الحق الابدى كلمني لئلا اسمع بدون طائل لانه ما الفائدة لو كان الصوت يقرع اذني وقلبي غير مضطرب في نار المحبة . كلمني كي تتعزى نفسي قليلاً واتمكن من اصلاح سيرتي . ( ك ٣ ف ٢ )

والعلامة فنيلون كتب بهذا المعنى الى احدى الرئيسات قال : لا يحسن ان يبضع جرح بدون ان يوضع له شيء كثير من المراهم . والمريض لا يُعطى مسهلاً ما لم يعط بعض مقويات . ولا تعمل عملية جراحية ما لم يُرَ ان الطبيعة تقوى على احتمالها وتساعد على اندمالها « والعامل ينتظر سنين عديدة حتى يصادف فرصة مناسبة لالقاء نصحه لانه ينتظر حتى ان العناية تعد الظروف في الخارج والنعمة تفتح القلب في الداخل . واذا قطفت الشمر قبل نضجه فلا تلقي الا الحسارة . ومن ثم يجدر بالروساء الا يوبخوا مروثوسهم على زلاتهم الا عندما يشعرون ان النعمة قد اهلتهم لقبول التوبيخ ومن اللازم ايضاً ان نصبر على هفوات كثيرة ولا نقول شيئاً في الخارج الى ان يكون الله قد بدأ ان يكلم النفس الخاطئة في الباطن . ولنقتدين بصوت الله العذب اللطيف الذي يوبخ النفس ولا يدعها تشعر بمرارة التوبيخ بل يبان لها انها هي التي توبخ ذاتها وليس الله يوبخها . والتوبيخ على خلاف هذا النمط لا يكون نصيحاً خلاصياً بل تنديداً

منكباً واشعال نار البغضاء

واقول ايضاً اننا نلتزم في بعض الاحيان ان نألف النقائص الكبيرة ونأنس اليها اذا وجدت في بعض الصلّاح ونصبر حتى يلهمنا الله الى مقاومتها واستئصالها شيئاً فشيئاً من تلك الانفس القديسة والأثقل راحتها وتقتلع القمع مع الزوأن .  
الأتين ان الله جلت حكمته كثيراً ما يبقي حتى في الانفس المتقدمة في الفضيلة والقداسة شيئاً من النقائص التي لا تليق بحالتها الحاضرة ولا توافقها وانما ذلك دلالة على ما كانت عليه من قبل ان ينتشلها من تعاستها فمثل هذه الانفس ينصها ان تشتغل هي باصلاح ذاتها اما انت فيخصك ان تصبري على ضعفها وتحمليه اه  
(مكتوب ١١٦)

وبعد فالاصلاح يستلزم امرين احدهما ان يكون المرووس متأهباً بالنعمة .  
والثاني ان يكون محسناً الظن في رئيسه لان المريض طاماً يسيء الظن في طبيبه لا يقبل من يده دواء مهما كان . وعليه فلا تأل جهداً ايها الرئيس في ان تزيل باديء بدء من فكر مرووسك سوء الظن فيك وعدم الثقة بك فبادره في المحاورة ولاطفه ولا تدعه يعلم انك عارف بكل ما قال او فعل لتلايظن انه قد فقد كل اعتباره عندك بل ابن له ان لا غرض لك في ما تعامله به سوى خ .  
وان الاب لا يهتم بشيء مثلاً يهتم بصحة ولده . وانك تفضل لو امكن ان تحتل العقاب اخرى من ان تفرضه عليه . وانك لو كنت في الحال الموجود هو فيها لكنت ترغب من صميم القواد ان تعود الى حفظ الرسوم وان الرئيس لا يقتص من احد عن لذة او رغبة كلاً بل انه لا يقدم على ذلك الا عن كره ومن اجل الضرورة .  
وانه لنقص وعيب في الراهب ان يتصور في رئيسه العدوان والجور عندما يقصد اصلاحه من بعض النقائص في حين ان المريض عندما يرى الطبيب يعطيه اذوية كريهة الطعم او يقطع له بعض اعضائه لا يتصور فيه الا المحبة والاخلاص فكيف نحن لا نرى في الرئيس الذي يقصد اصلاحنا صديقاً ومحباً مخلصاً .  
وبالنتيجة بما ان الرئيس مسؤول عند الله عن كل فرد من رهبانه فلا يقدر ان يهمل العمل والاهتمام في خير كل واحد منهم . ولذلك فاذا نصبح مرووسه او وبنيه فلا ينجيل لنا ان بصوته زجر المنتقم بل حنان الوالد الذي يتوسل الى بنيه

ليرجعوا اليه ويكونوا ناعمي البال  
فان اباء المجمع الافسوسي عندما حكموا بشجب نسطور قالوا : « اننا لا  
نلفظ هذا الحكم الا من اجل الضرورة واعيننا مغرورة بالدموع السخينة . اهـ

## الباب الثاني

في ان الفطنة تعلم الرئيس ان يؤلف بين طباعه وطباع مروثوسيه

عد ١

في انه على الرئيس ان يعتبر سن من يريد اصلاحهم

لقد تقدمنا القديس غريغوريوس النريزي في هذا المعنى فقال : « انه من  
المستحيل ان تتخذ في سياسة الناس طريقة واحدة لان الاستعدادات ليست  
واحدة ولا متساوية في الجميع فما تراه لائقاً ومفيداً للواحد يكون في الغالب غير  
لائق ومضراً للآخر فالاعشاب التي يستخدمها بعض الحيوانات لقوتها ونموها  
تكون لغيرها سماً قاتلاً . والدواء الذي يوقف جري مرض يقوي مرضاً خلافاً .  
والخبز الذي يقوي الاجسام الصحيحة يضر بالاجسام السقيمة . ولعمري ما مثل  
استعدادات الناس الباطنية الا مثل اوتار الكمنجة التي ان لم تمسها يد ماهرة  
في فن الموسيقى مساً متغاثراً لا تأتي باصوات رخيمة وايقاعات مطربة . فهكذا  
على الراعي ان لا يعامل الجميع معاملة واحدة بغير فرق ولا تمييز » (الراعي ق ٣)  
وقال في المحل نفسه لا تعاملن الشيوخ كما تعامل الشبان لانه اذا كان النصح  
مع شيء من القسوة يوافق الشبان ويحملهم على عمل الخير فهو لا يوافق الشيوخ  
الا ممزوجاً بشراب اللين والاعتبار . ولهذا السبب قال الرسول الى تلميذه تيمو :  
رسالة ١ ف ٥ : « لا تفرع شيخاً بل عظه كأنه ابوك والعجائز كأنهن أمهات . اهـ  
ولما كان التفرع عس الشرف والشرف من خصائص الشيوخ وجب نصيحهم  
بالرقة والاهابة . بل ان نسترحين عيوبهم وحيناً نلقنهم النصح بطريق غير  
مستقيمة كأننا نتكلم عن نقائص عمومية واخيراً ينبغي ألا نكلمهم بالأعبادات  
الرفق والرقة دلالة على ما عندنا لهم من المهابة والاعتبار .



وهل أريد بذلك ان الشيخ له ان يدعي العصمة من الذنب والعقاب كلاً  
لانه بذلك يسبب لنفسه الحياء ويطلب مكافأة بنس المكافأة . واكني اقول  
ان اللياقة والعدالة الطبيعية تفرضان علينا ان لا نخطب الراهب الطاعن في السن كما  
نخطب الشاب . لان الشيخ يكفيهِ تواضعاً ان يرى رئيسه اصغر منه سنّاً . واحياناً  
اقلّ منه عاماً وخبرة .

أما اذا كان الشيخ لا يشعر بما يُقدم له من الاكرام والاعتبار ولا يرعوي  
عن ضلاله بعد تكرار النصيح له كما تقدّم فحينئذٍ لا سالف اعماله ولا بياض  
شعره يعصمه من الذنب او يقيه من التوبيخ المستوجب للاصلاح لانه هو اشدّ  
التزاماً بالكمال من الشبان . ووصمة الذنب على محيّا تكون اشنع منها على  
محيّاهم . ومثله الرديء في وسط الجماعة يكون اكثر ضرراً من مثلهم . وحيثما  
لا يكفي اللين يجدر العمل بالقساوة التي عليها وحدها يتعلق اذ ذاك امر الخلاص .  
( مودست دي سانت امايل . الرئيس الكامل ك ١ ف ٨ )

اما في سياسة الشبان فيمكن الرئيس ان يمزج اللطف والرقّة بشيء من  
القسوة . لان الشبان كالنصبه الخضراء فيقوى على ان يميل بهم كيف شاء وهم  
ايضاً كالشمع اللين تطبع فيهم كل صورة وكل رسم . فان لم يُسرّع الرئيس الى  
اصلاحهم في الحال تتأصل فيهم العوائد السيئة الى حد ان يعمي اصلاحهم امراً  
صعباً او مستحيلاً ايضاً .

فلا شكّ اذن ان الرؤساء لا يصيرون اذا اغضوا على اصلاح الشبان بحجة  
كونهم لم يزالوا ضعفاء بالقضية . ولا يصيرون ايضاً لو اغضوا على اصلاح الشيوخ  
بداعي كونهم سريعي التأثير لان الاصلاح امرٌ ضروري لجميع الناس من اي  
طبقة او نوع كانوا فلازم للشبان لكي يكبحوا جوح اميالهم القوية . وللشيوخ  
لاجل ابلاغهم غاية الكمال . اهـ ( مودست دي سانت امايل )

وقال القديس غريغوريوس البابا : « بعبارة وجيزة » ان اقتصاص الرؤساء  
من المذنب في الظروف المناسبة هو عين المساحة واغضاءهم عنه في مثل هذه  
الظروف هو عين الاقتصاص لانهم يدعونهُ يتقدم في طريق الهلاك . اهـ ( اداب

في انه على الرئيس ان يراعي مقام من يريد اصلاحهم

فلا ينبغي للرئيس ان يعاقب او يوبخ علانية من دون ضرورة داعية من يكونون بوظيفة آباء روجيهين او مقلدين بعض الرئاسة او كانوا فيما مضى بوظائف سامية لانهم يرون ذلك محطاً من شأنهم وجارحاً حاساتهم .

وهذه المراعاة تجب ايضاً لمن لهم سمعة الفضيلة والمحافظة على القوانين لئلا توهن عزائمهم . ويضعف تأثير مثلهم الصالح فالأفضل في مثل هذه الظروف ان ننفي عن الذنب كلياً او ان نكتفي ببعض تنبيهات سرية او عمومية

اما الرؤساء المحليون فاذا رأى الرئيس الأكبر وجوباً لتوبيخهم فله ذلك ولكن مع احترام السلطة لانه ولو اساء استعمالها البعض من المتقلدين خدمتها فهي مع ذلك نقطة من سلطان الله وجديرة بكل مهابة واحترام وتستوجب حباً بالصالح العام حفظ مقامها وشرفها . فبعضرة المروثوسين ينبغي تخفيض جرم الرؤساء او الاغضاء عنه لو امكن ولم يكن الذنب مشتهراً . اما اذا امت الحاجة الى توبيخ الرؤساء او الاقتصاص منهم علناً فيقتضي اذ ذاك ان نأخذ بين الذنب والسلطة ونظهر اننا مستعدون للمحاسبة والذب عنها واننا نقاوم كل من اراد ان يغتتم فرصة ذنب الرؤساء للامتهان بحقوق الرئاسة ومخالقة اوامرها . ان الرب قد ضرب مريم اخت موسى ولكنه جلت حكمته قد اغضى عن هارون لانه كاهن مع انه كان شريكاً لمريم اخته في الذنب

واذا قام خلاف بين الرئيس ومروثوسه واشتباه فيمن هو المذنب وجب ان يراعى جانب الرئيس . ومن البين ان مراعاة الرئيس الأكبر للسلطة ومحاماته عنها اينما وجدت هي مراعاة لسلطانه الخاص

قال القديس غريغوريوس انه اذا دعت الضرورة لاصلاح بعض الرؤساء فيجدر حينئذ بالرئيس الأكبر ان يستشيرهم عما ينبغي اجاؤه لاصلاح مثل هذه الشوائب لو وجدت في بعض الرؤساء من دون تلميح الى انها موجودة فيهم . وبعدما يحكمون بوجوب الاصلاح يمكنه ان يبين لهم ان تلك الشوائب هي

فيهم فيضطرون اذ ذاك ان يُضغوا لاوامره ويمتثلوها صاغرين لانهم يرون ذواتهم مرتبطين برباط الحكم الذي اصدروه هم انفسهم وعلى هذا سأل النبي ناتان داود الملك رأيه وحكمه بحق الغني القوي الذي اعتدى على الفقير الضعيف ولم يلمع له شيء الى ذنبه الذي كان ارتكبه بحق اورياً . لان رجل الله ناتان اذ رأى ذاته بحضرة رجل خاطي ومملك معاً احتال بان يأخذ هذا الخاطي الجسور بكلامه وحكمه والا يدع له مهرباً او نجاةً من الحكم الذي يكون قد لفظه هو نفسه فقد اخفى عليه قصده مدة وانما ذلك لكي يبعثه عندما يرى ذاته واقعاً في الشرك الذي نصبه لنفسه . وهكذا فان التقرير الذي قرع به النبي ناتان الملك داود لو وجهه اليه في بادئ الامر لما كان له هذا الرقع والتأثير . اما الحيلة التي اتخذها فقد جعلت لتوبيخه تأثيراً عظيماً . فانه قد حضر لدى الملك كما يحضر الطبيب عند المريض وهو يريد ان يرى العضو الزمن الذي ينبغي قطعه ولكنه لا يثق بصبر المريض على احتمال ألم القطع فيجتهد اذ ذاك ان يخفي آلة الجراحة تحت ثوبه ويدنو من المريض بحقة ولباقة ثم يعاجله بغتة بالقطع بنوع انه لا يشعر بغرضه قبل تمام المرام . وانما ذلك حذراً من ان المريض يأبى العلاج والعملية فيهلك فريسة المرض وضحية الهلع

عد ٣

في انه على الرئيس ان يلاحظ في من يريد اصلاحهم درجة فضيلتهم وحسن استعدادهم

ان الراعي الفطن لا يكدر النعجة المريضة في سيرها لانه يعلم انها بذلك لا تشفى بل تموت ومن يريد ان ينظف اناة واهياً سريع العطب لا يبالغ في فركه خوفاً من كسره . وما الفائدة من الدواء في جسم قد انهكه المرض ولم يبق قادراً ان يحتمل العلاج . او ما الجدوى من التنظيمات او الاوامر التي يعطيها الوالي لو كان الراي العام مقاوماً له والشعب كله مهيجاً عليه . فتدبر اذا في امر الاصلاح بحسب ما ترى الامراض الروحية قوية او ضعيفة

فالرهبان الراسخون في الفضيلة والمستعدون للكمال يقدر الرئيس ان يعضدهم

لبلوغ الكمال بالنصح والتوبيخ ولو بشدة وقساوة لانه لا يخشى ازعاجهم ولا قنوطهم من مثل هذه المعاملة التي تريدونهم نشاطاً في طريق الفضيلة . اما اذا كانت زلاتهم نادرة وقليلة فالاحسن الاغضاء عنها لان الضمير والحياء ينبهان مثل هولاء الافاضل فيقومون من سقطتهم حالاً كن يزلق في طريقه ويشعر انه لم يره احد فينهض للحال وينفض الغبار عن ثيابه قبل ان يراه الناس ويمزأوا به

اما الرهبان القاترون الذين لم يألفوا النظام ولا التهذيب الرهباني ويحتاجون في كل ساعة الى التنديد والتوبيخ والاقتصاص فيجدر بالرئيس ان يغضي عن هفواتهم الخفيفة ولو تعددت ليتمكن ان يقاوم ببأس وشدة فتائصهم الهامة التي تلقي الشكوك بين الاخوة . واذا كان ضعفهم الروحي اضحى متناهيًا بنوع انهم لا يستطيعون احتمال التوبيخات العلنية فالاحسن ان تنصحهم سرًا وتبين لهم سوء المنقلب ان لم يراعوا وذلك بطريقة غير مستقيمة كأن تضرب لهم مثلاً كما فعل ناتان مع داود او تستعمل غير حيلة توجهها عليك المحبة الابوية وروح الرب . واياك ان توبخهم على كل زلة خفيفة لانهم بذلك يضحون بليدين وغير مكترئين للتوبيخ كيفما كان

والمتوردون انفسهم لا يطيتون ان يُعتوا تعنيًا متواصلًا فينبغي ان نعطيهم مهلة ليرتاحوا قليلاً عليهم بذلك يعرفون زلتهم ويوعون . ان القديس يوحنا فم الذهب يوشدنا الى ذلك بقوله وعمله : انه بينما كان ذات يوم يخطب بلهجة مرة وعنيفة ضد المتمولين من مال الظلم توقف هنيئاً وقال كفاهم اليوم تقريباً ولا تزداد في التنقيب والتنديد عليهم لئلا نوغر صدورهم غيظاً وحنقاً علينا فلا يقبلون النصح ولا يعملون للاصلاح . واننا نرى الطبيب يستعمل بعد كل عملية جراحية ادوية ملينة وانما ذلك مساعدة للطبيعة كي تعود اليها قوتها فتتمكن من التقدم الى تمام الشفاء (جلد ٤ على قول الرب : ان كان مستطاع )

اجل ان الغاية المقصودة هنا هي شفاء المريض لا مراعاة ذوقه وامياله . ولكن لما كان شفاؤه متعلقاً على ارادته وليس على قوة الدواء وجب ان نسترضيه لنميل به الى ما نريد منه . ان القديسين فيلبوس النيري وفرنسيس سالس عندما لامبها بعض الناس على عدم طلبها من بعض السيدات اللواتي كن يرتشدن منها



ان يمتنن من الافراط في التزين بالحلى والملابس الثمينة قالوا : انها يرغبان اولاً في اكتساب القلب لانهما كانا يعتقدان انه اذا ما استوليا على هذا الحصن يكونان قد استوليا على كل ما يرغبان وبالحقيقة من يستولي على باطن الانسان يكون قد استولى على ظاهره بدون صعوبة ولا مقاومة . فقد قال الاول منها : « انه اذا ما استحوذت العبادة على انفس هؤلاء السيدات فهن يتركن التزخرف والتزين من تلقاء انفسهن ويعملن فوق ما يرغب الاب المرشد ولاجل ذلك تروني اغضي الطرف الان عن الظواهر واشتغل في تحسين الباطن . اه » الا ترون اهل البيت عندما يشاهدونه فريسة النار يلقون كلما فيه الى الخارج : فهكذا اذا ما اشتعلت نار محبة الله في قلب الانسان يعتد كل ما سواها باطلاً ويأخذ حالاً في ان يطرحه الى الخارج لينجو من العبودية له . اه

عد ٤

في انه على الرئيس ان يلاحظ كيفية طباع من يريد اصلاحهم

اذا كان عمك مع اناس عقلاء وذوي فطرة سليمة فيمكنني في امر اصلاحهم ان تقول كلمة لينة وعذبة بل يمكنني احياناً ان تريهم زلهم بارق العبارات . وانك تبلغ بهم كل مبلغ اذا ما اكتسبت ثقتهم بك وانعطافهم اليك . بل انك في الغالب لا ترى وجوباً لتنبههم على هفواتهم لانك تراهم خجلين منها ومستعدين تمام الاستعداد لاصلاحها ولتجديد نشاطهم في طريق الفضيلة ومن كانت طباعهم سريعة التأثير فمعاملتهم باللفظ اولى لان اللطف يأخذ فيهم كل مأخذ . ولعمري لماذا نطلب بعصامة ما يتيسر نيله باللين والروقة ؟ او لماذا نكسر بعنف ما يمكن ان نلويه برفق

اما ذوو الطباع الحادة الشرسة فالاجدر الاتلاحتهم بزيادة الاحاح لتلا تضرهم فيهم نار الغضب وتريدهم تورطاً في شرهم . بل حدثهم من وقت الى آخر بما يوافق ذوقهم ومشرهم لانك بذلك تهمد سورة غضبهم وتتمكن بعد حين من ان تعاودهم بالنصح والحض على الاصلاح مع الرجا بانهم يسمعون لك واذا كانت معاملتك مع العنودين وقساة القلوب فيلزمك ان تكون ذا

فطنة زائدة وحذاقة بالغة . والأفلا يمكنك ان تستفيد من نصيحهم شيئاً بل تريد هم غالباً شراً وعناداً . ومع ذلك فاذا كانت نقائصهم ذات بال ويخشى من تقشیرها والقاء الشكوك فالتوبيخ بالرب يضحى ضرورياً لانه ان لم يجد المجرم نفعاً فيجدي الجماعة خيراً كبيراً . واذا رأيت ان تعضي احياناً عن بعض ذنوبهم فلا ترهم انك خائف منهم لان ذلك مما يثبتهم في غيهم ويقوي فيهم روح الخيلاء والاستبداد . اما اولو الصلف والعجرفة فاجتهد بان تريهم حقيقة حالهم بالتفصيل وان ما يوثرونه من الرفعة والمجد لا يرضي الله . وهذا لعري افضل واسطة لاقتناعهم . لانك عندما تريهم ان الاعمال التي يفتخرون بها هي باطلة ورجسة امام الله فلا بد ان ينجلوا خجلاً متدساً وينتبهوا لغيهم . وفي الغالب يسهل اصلاح الذين لا يعرفون ذواتهم مجرمين لانك اذا ملتهم ووبختهم على عمل يكون شره ظاهراً وليس لهم ان يعتذروا منه فلا يلبثون ان ينتبهوا ويعودوا للصواب والاسهل من ذلك اصلاح من يكونون صغيري النفس جبناء . فانك اذا اثبتت على بعض اعمالهم الجديرة بالثناء وذمت اعمالهم الملوثة فتأخذهم الحمية حالاً ويعزمون على ترك هذه . والتمسك بتلك . ومما يساعدك على اكتسابهم هو ان تريهم ان اعمالهم الملوثة لم تكن منهم الا عن ضعف طبيعي يحدث لكثيرين وانك تعتقد حسن استعدادهم ورغبتهم في الكمال الرباني واخيراً ان ليس لك بنصحهم غرض او رغبة سوى خيرهم وتبليغهم الكمال . « ( الراعي ق ٣ ف ٩ ) » ثم ان توبيخنا المتكبرين يكون له اجزل فائدة لو اتبعناه بالثناء على بعض خصائصهم الحميدة . وبالاكثر لو بينا ما لهذه الخصال من المنافع الحاضرة والمستقبلية . فهم بعد سماعهم ثناء يسرهم لا يأنفون من توبيخ يسيئهم . ومما يسهل لنا ان نحمل المتكبر على عمل الخير هو ان نبين له ان عمله مفيد لصالح العموم اكثر منه لصالحه الخاصة . لان الكبرياء او عزة النفس تدفع مثل هؤلاء لعمل الخير عندما يرون انهم فيه يخدمون صالح القريب

في انه على الرئيس ان يلاحظ في من يريد اصلاحهم ضعف عقولهم

### وامراضهم الوهمية

ان القديسة ترازيا تشير ان لا نطلب من الراهبات الواهيات العقل شيئاً لا يدركن اهميته ولو كنَّ مع ذلك فاضلات ومستنيرات بالروح . فلو ظن هؤلاء الراهبات مثلاً ان الفريضة الموجبة على كل راهبة ان تشكو اختها لرئيستها عند الاقتضاء هي فريضة ثقيلة محجفة بالمحبة الاخوية فيليق بالرئيسة ان لا تسألهن القيام بهذه الفريضة لانها تقلق ضمائرهن وتلقيهن في الوسوس والبلبال . ولتكتف بطاعتن في الامور الجوهرية طالبة من الحق سبحانه ان ينير عقولهن ويدين الصواب والساد . ومما اتى عن هذه القديسة انه اذا اتت راهبة تشكو لديها من مرض موهوم فكانت القديسة تسمع لها بكل تأنٍ واصغاء . وتدعو لها الطبيب وتأمرها باستعمال العلاج وبالحضوع لما يأمر به الطبيب الى ان تكون رأت ذاتها قد نقهت من ذلك المرض

وقال الاب اكواثيما : « ان الراهب القانوني والعامل بتعب وكدر اذا أتى يطلب من رئيسه الراحة والاعفاء من العمل مدة فلا ينبغي للرئيس ان يتصور فيه مرضاً وهمياً . بل يجدر به ان يصدق قوله ويدعن لمطلوبه . اما لو كانت تعليمات الطبيب او غير علامات تؤكد ان مرضه وهمي وانما حبه للبطالة يجعله ان يطلب الراحة بتواتر فيجب حينئذ ان يعامله الرئيس بموجب الرسوم الآتية وهي :  
١ بعد ان يكون اظهر الرئيس كل اهتمام بمرض الراهب وعلاجه ينبه الطبيب والاخ الممرض وكل الذين يتنبون قلايته ان يفهموه ان مرضه سليم العاقبة وانه بعد قليل ينته منه . وبهذه الاثناء لا يبخل عليه بشيء من حسن المعاملة والتمريض ليقن ان المرض مع هذه المعاملة لا تطول مدته

٢ واذا لم يزل الراهب معتقداً انه مريض ويشتكى من ضعف اقوى وشدة الالم فاوغز اليه ان يختار ما يراه يناسب راحته مثل كثرة التنزه والمواكيل اللطيفة

والمغذية وزيادة النوم هذا ولو كنت انت وكل ذوي الخبرة لا ترون فيه اثرًا للمرض . وبعد معاماتك اياه مثل هذه العاملة وتأكيذك له اهتمامك ومزيد عنايتك به فاسأله اذا كانت البطالة لا تسبب له الضرر شيئاً من الاتزاج والصداع فلا غرو انه يعترف لك بالحقيقة وعند ذلك ادفعه الى ان يقترح عليك عملاً يرغبه فاذا اقترح عملاً مما لا تسوغه عوائد الرهبنة فتقول له ان هذا يفوق سلطانك اما لو طلب شيئاً مما يوسعك ان تمنحه اياه فلا تتأخر عن ذلك وهبه ما يشتهاه

٣ وان لم ينجع به شيء مما تقدم فاوغز الى الاخوة ان لا يترددوا الى قلايته علّ وحشة الانفراد والعزلة تحمله على ان يرغب ويطلب العمل مع الاخوة داخل الدير او خارجاً عنه

٤ واذا رأيت مياًلاً الى تغيير الهواء فلا ترفض عليه سؤله لان اوهام مثل هولاء الرهبان وتأثيراتهم هي مما لا يقاس عليه وليس لاحد ان يقتدي بهم وليس بغريب ان يحدث لهذا الاخ ما حدث لكثيرين من امثاله وهو انه بتغيير الهواء مدة يخال له انه قد عوفي تماماً . اما اذا أوى مبارحة دير سكناه فأشر على الطبيب ان يبين له ضرورة تغيير الهواء . وعندئذ إمانه يرضخ لامر الطبيب وتكون النتيجة المرغوبة وإما انه يؤكد لك وللطبيب انه قريب من العافية ولا يعوزه الا الراحة اياماً قليلة داخل الدير وبهذه الطريقة لا تلبث ان ترى اوهامه قد زالت وصحته عادت الى احسن مما كانت عليه

وبعد هذا يتكلم الاب اكوافيتا عن الراهب الذي يتارض عن كسل وتقاعد فيقول :

١ ان تسأل مثل هذا الراهب عن الاشغال التي تتبعه ويشمّر منها فيعطى ما يختار لانه لا يمكن ان يأبى كل عمل ويقول عن ذاته انه لا يصلح لشيء على الاطلاق .

٢ وبعد مدة تحرضه على اعمال اكثر اهمية ولو كان فيها اوفر صعوبة مبيناً له انه بقدر ما يقدم من الخدم المفيدة للرهانية بقدر ذلك يضحى فيها معتبراً ومحبوباً .



٣ ثم تقدم له مثال الرهبان الذين كانوا يوماً ما قلق البال في امر صحتهم ولم يجدوا دواء اجزل نفعاً وفاعلية لشفائهم من حسن خضوعهم لامر الطاعة وامثالهم او امر الروساء بنشاط وسلامة قلب . وبهذا ينجو الرئيس من محظورين الاول انه لا يظهر لمروثوسه عدم ثقته بمرضه فيزيده حزناً وكآبة . والثاني يبين له ان مرضه هذا لا يستوجب الخوف والاهمية الزائدة وهذا مما يساعده على ان يُقلع عن اوهامه الباطلة

ولا غرو ان هذه الامراض الوهمية هي نصيب الطبيعة الضعيفة فينبغي ان تعامل من كان مصاباً بها بالصبر والمجبة وحسن المراعاة لئلا تزيد حزناً وبأساً

### الباب الثالث

في ان الفطنة تعلم الرئيس ان لا يعطي الادوية الا جرعة بعد جرعة وعلى مقدار قوة المريض

عد ١

في انه على الرئيس ان يعرف اولاً نوع المرض الادبي وعلمته في مروثوسه ثم يبين له حقيقته ويحمله على الاقرار به

فاذا شئت ان تستعمل علاجاً لمريض فاجتهد اولاً بان تعرف سبب المرض وما هي اعراضه وهل هو متقطع او متواصل . مزمن او حديث وما هي مدته والظروف التي ساعدت على مواصلته او جعلته ان يتقطع وافحص ايضاً عما هي مفاعيله وعن علمته فهل هو متأثر عن مزاج العليل او عن طبعه او عن العادة او عن بعض الاميال المنحرفة . ثم ما هي العناية التي بذلها المريض للتخلص من مرضه هذا او هل يطوح بنفسه عادة في الاخطار وما هي الادوية التي استعملها لحد ذاك الوقت وهل لم تجده نفعاً

قال مودست دي سانت امابل : ان اول شي . يجدر بالرئيس ان يعمل عندما يرى ذاته ملتزماً ان يعاقب مروثوسه هو ان يبين له اولاً عظم ذنبه ببراهين دامغة ثم يعاقبه وبهذا يحمله على قبول العقاب بطواعية ورضاً . اما لو عاقب اولاً مروثوسه ثم بعد ذلك اخذ يبين له ذنبه لفعل ضد القطنة والنظام . الا ترى كيف يعمل الجراح فانه قبل ان يبتدي . بعملية يأخذ بان يبين لعليله الفساد المتكون في العضو الزمن الواجب قطعه ويويه ايضاً سوء . العاقبة ان لم يُذعن للعملية . فهكذا ينبغي للرئيس من قبل ان يضرب بسيف العقوبات ان يبين لمروثوسه حقيقة جرمه وانه ان لم يكفر عنه بالعقوبات القانونية يضر بنفسه وبالجماعة . وهذا البنيان لا يكون بطول الكلام ولا بزخرفته بل بايضاح الحقيقة على مقتضى الحال واظهار اهمية الذنب من دون مبالغة » ( الرئيس الكامل ك ا ف ٨ )

فاجتهد اذاً اولاً بان تقنع المريض ليعترف بحقيقة مرضه . فألقِ عليه بعض المسائل وابدأ خطابك بيادي . راهنة لا يختلف فيها اثنان واستخرج منها نتائج توافق الموضوع او بالحري فليكن الموضوع طالباً لها . وبذلك تحمل مريضك على الاقرار بحقيقة مرضه والاذعان لمداواته بمقتضى روح القانون

ان من كان مريضاً مرضاً ادبياً قلما يذعن بسهولة للاقرار بحقيقة مرضه لانه لا يشعر به فلذلك ينبغي ان نبين له ان اعراض مرض النفس هي في الغالب غير محسوسة وان من كان ممنواً بها لا يراها في نفسه كما يراها غيره لان الكبرياء ومحبة الذات تمنعاننا من نظر عيوبنا ونقائصنا . فيلزمنا بمثل هذه الامور ان نشق بما يقوله لنا رؤساؤنا ولو لم ندرك كل الحقيقة في الحال ونشق بها كما نشق بما يعلمناه الايمان المقدس ولو كنا لا نتوصل الى معرفة اسراره الخفية . اما بعد زمان فلا بد من ان نتيقن الحقيقة ونذعن لكل ما قالوه ويقولونه لنا . وقد يتفق غالباً ان الادوية المستعملة لشفاء الجسد تضر به لوقوعها في غير موقعها اما الادوية التي نستعملها لشفاء النفس مثل الاماتة والكفر بالذات وما اشبه فليست غير مضرّة فقط بل انها لا تخلو من الافادة اصاب المرض او لم تصبه وسواء كانت النفس مريضة كما يبان ام سليمة . هذا وانه لما يوجب الخجل على الراهب ان يظهر عدم الثقة بروسائه الذين اقامهم الله اطباء النفس بيخا يثق كل الثقة بما يصفه ويقول له اطباء

الجسد . فما عساك تقول عن مريض يخاطب طبيبه بهذا الكلام : « عليك انت ان تحزر مرضي وترى الدواء الملائم لشفائه اما انا فلا اقول لك شيئاً ولو مها صار »  
انما تقول ان ذلك امين الحماقة

قال القديس غريغوريوس : « ان الراعي اليقظ يلزمه في بعض الاحياء ان يستخدم الظروف المعلومة لديه لكي يستنتج منها ما هو خفي ومكنون في اعماق ضمائر مروثوسيه وان يوجهم باطف ورقة لكي يتوصل من معرفة الهفوات الصغيرة الى اكتشاف نتائج اكبر واعظم . مكنونة داخل ضمائرهم ولذا كم السبب قال الروح القدس للنبي حزقيال : « يا ابن البشر انقب الحائط » ويقول النبي « فنقبت الحائط فاذا بمدخل فقال لي الروح ادخل وانظر الارجاس الخبيثة التي يصنعونها في هذا المكان فدخلت ونظرت فاذا كل شكل من الدبابات والبهائم النجسة وجميع اصنام اسرائيل مرسومة على الحائط (ف ٨) . فان حزقيال هو صورة الراعي والحائط يشير الى رياء الرعية ونقب الحائط انما هو اجهاد نفس الراعي للاكتشاف على خفايا الضمائر . فالنبي بعد ما نقب الحائط وجد مدخلا وهكذا الرئيس اذا اجهد النفس بامر النصيح والتوبيخ بوقته وبسائر ظروفه المتوجبة يجد مدخلا الى قلوب مروثوسيه ويرى كل ما يكون فيها من الشوائب والنتائض اه . وقد قال هذا القديس ان كلمة الراعي التي يوبخ بها هي بمثابة المفتاح لانها تفتح الضمائر وتكشف نقائص خفية كانت مجهولة عند ارتكابها نفسه اه

## عدد ٢

في ان اخص واجبات الرئيس في مثل هذه الظروف ان يحرّض الراهب

المذنب على ان يتفرغ للأعمال الروحية وان يساعده فيها

بموضوعات تقوية خاشعة

اما الموضوعات والنصائح التي تقدم في مثل هذه الظروف فهي فحص الضمير بدقة وتواتر على موضوع الرذيلة المتسلطة . قراءة الرسوم والقوانين بتأن وتدبر . بعض النوافل التقوية الموافقة للموضوع . تواتر الزيارة للقربان المقدس بجرارة .

وبعض نخب من التواريخ والبياديء الحكيمة التي يني الرئيس بجمعها له مطبقة على الفضيلة التي يكون محتاجاً إليها بنوع خصوصي . ثم اعتبار هذه القضية في السيد المسيح وفي قديسيه والانتطاع عن الاعمال الجسدية او عن بعضاً مدةً لاجل التفرغ للحياة الروحية الباطنية . وبعض اعمال التواضع والتقشف وبنوع اخص المناولة بعض الاحيان فوق العادة مع استعدادات خصوصية . واعتراف عام او فحص الضمير العام لاجل تجديد التوبة الحقيقية .

وقبل مباشرة عمل الرياضة العمومية او الخصوصية يترتب على الرئيس ان يستفهم عن النقطة الهامة في عيوب مروؤوسه لكي يرشده الى العناية باصلاحها بنوع خاص . وبعد نهاية الرياضة يفحص الرئيس عن المقاصد الصالحة التي يكون قصدها الراهب في هذه الرياضة ويعني في ان يرشده ويساعده بكلها يلزم لاكمال الاصلاح .

ومن الاعتبارات التي يمكنك ان تلقيها عليه بعد الرياضة هي قواك له : لا يوجد للراهب طريقة وسطى بل يكون عادةً اما صالحاً واما رديئاً . نعم ليس احد يعلم علم اليقين ان كان اهلاً للمحبة او للبغضة ولكن نعلم من قوله تعالى : « من ثارهم تعرفونهم » . ان الوصول الى قعر الهاوية لا يكون بدفعة واحدة . واذا ذاك فهل ياترى انا بعيد عن السقوط بهذه الهاوية . ان مخالفة القوانين لا تكون عادة بدون خطأ او بدون خسارة بعض النعم . ومن خرج عن حيز القانون لا يسهل عليه عادة ان يبتنى في حضن الرهبنة . وان ارتداد الوثني الى الايمان هو اسهل من ارتداد راهب فاجر او متراخ بقوانينه الى الحرارة والنشاط . ولماذا انا صرت راهباً هل لكي البس الثوب الرهباني واتجنب بعض الخطايا القبيحة لا غير ؟ وهل هذه الغاية كانت كافية لتركي اهلي ووطني ومقتناي وملاذ الطبيعة . وكيف يليق بالراهب ان يضيع بالملاهي والاكاذيب وقتاً كهذا ثميناً ووجيزاً ؟ فيا ما اسمى دعوتي ! ويا ما ارفع درجة الكمال التي يترتب على البلوغ اليها ويا ما ابعدني عنها الان ولماذا اراني اقتدي بالفاترين ولا اقتدي بالنشيطين الحارين . وهل سيرة فلان وفلان غير الصالحة تقدر ان تركيني امام الله ؟ . ولو فرضنا ان هؤلاء الفاترين كانوا من المتقدمين بالسن والشرف والمعارف فما لي ولهم . فهل



يوافقتني ان اموت وانا في هذه الحال . فهل كفّرت عن خطاياي وبلغت الغاية التي قصدتها في الرهبانية ؟ والى متى اقول القد القد ولماذا لا اقول الآن الآن . في هذه الساعة ابتدي بحياة التوبة والعبادة الحارة ؟ وان لم ابتدي في هذه السرعة فابقي طول حياتي فاتراً لا اغرس في نفسي فضيلة ولا اقتلع منها رذيلة . وبذلك اي ذنب لا آتية بحق الجماعة التي يجب عليّ بنيانها ؟ وبحق الكنيسة التي دُعيت لخدمتها وبحق نفسي التي كنت قادراً ان اغنيها باعظام الفضائل والاستحقاق ؟ وأمي الكنيسة المحاربة من اعداء الدّاء لا يعرفون الكلل ولا الملل هل ترضى مني بان اكون راهباً اديباً مجتنباً عمل المنكرات القظيمة لا غير ؟ والانفس المسلمة لعنايتي اما كانت تتقدس لو رأيتني قديساً ؟ وتثواني لو رأيتني متوانياً ؟ ومن انا حتى اقاوم مقاصد الله فيّ فلا اقبل نعمه ولا اقدم له الا نصف ما يمكنني تقديمه من عقلي وفكري ونشاطي . فيا للخيانة ؟ ويا للخصارة التي لا تعوض فاني لو وجدتُ شيطاً يوماً اكون متوانياً اياماً واشهرًا طويلاً . وأرى اني قادر بسهولة ان احصل على ما انا مفتقرٌ اليه من فضيلة وهمة . وكيف لا اقدر على ما قدر عليه عددٌ غفير من القديسين وهم بشر مثلي . او لماذا لا اعمل ما احضّ غيري على عمله . وما هذا التغفل فاني اريد خلاص القريب واسعى في تحصيله ولا اسعى لخلاص نفسي . آه ياتنفي لو عرفت عطية الله لما خامر ك الملل . لقد اعدّ الله لكل عمل تعليمه بهمة ونشاط ثواباً عظيماً ودرجة سامية في النعمة والمجد فان قلب يسوع هو مخزن النعم وينبوعه وهو الرجاء الوطيد لكل من لجأ اليه .

ومن النجع الادوية التي ينبغي للرئيس وللواعظ ايضاً ان يستخدمها هي ان يعتبر ما قد اثر فيه وفي الآخرين ويستعمله بانواع واشكال جديدة توافق الظروف الحاضرة .

عد ٣

في انه يترتب على الرئيس ان يجتهد في اكتساب ثقة مروضيه وفي ان يحسن مقابله ولو تكررت مرات عديدة في النهار

ليس للرئيس ان يرتاب من ان الراهب الذي سقط في الفتور الروحي يرغب

في ان يعود الى حارته الاولى . بل يجب عليه ان يبذل معظم جهده في ان يبين له ببراهين دامغة. الوسائط التي تبلغ به الى الغاية المطلوبة . وان ابي حيناً ان يعمل بهذه الوسائط فليس على الرئيس ان يقنط بل ان يأمل استعمالها من مروتوسه بعد حين ومما لا ريب فيه ان لطف الرئيس وجهه المخلص لصالح مروتوسه هما اللذان يحملان الراهب عادة على الاذعان والتسليم المطلق لمشوراته . فابذل اذا قصارى الجهد بان يكون لمروتوسك ثقة بخلوصك نحوه وبان يزورك مرات عديدة في النهار لو امكن كي تخاطبه بشأن صالحه الروحي الحقيقي فيرى انه كلما فتح لك صدره واطلعتك على خفايا ضميره ازداد اعتبارك وحبك له . وأبن له انك لو اطلعت من الآخرين على نقيصة من نقائصه للمته ووبخته ايضاً عليها اما لو اتى هو عفواً وكشف ضميره معترفاً بجهلته معها كانت لازداد اعتبارك له اذ يكون قد كفر عن ذنبه باقراره به عن رضى تام وحرية كاملة لانه لم يقصد سوى طلب المشورة والمساعدة على عدم الرجوع اليه . وأبن له ايضاً ان الحالة الرهبانية مع كونها محبة الكمال فن شأنها ان تلقى الراهب بمعاطب كثيرة ومن ثم نحتاج فيها الى يد ابوية ترشدنا الى الصواب وتساعدنا على المسير باستقامة ونشاط وقد قال بذلك القديس غريغوريوس ان لا شيء يساعد على شفاء الجرح مثل فتحه لخراج الفساد منه كما انه لا شيء يضر فيه مثل بقاءه مغلقاً والصديد فيه

قال الاب اكواثيكا في مقالته الثانية « اتعلم اي متى يكون الرئيس كاملاً على حساباته تنضيه وظيفته انما ذاك لما يصير يقبل رهبانه بكل لطف وبشاشة حتى انهم يقبلون اليه بكل سهولة ويطلعونه من تلقاء خاطرهم على كلما عندهم من صالح وطالح . واذا ونبهم او ونجهم على شيء ما يستعذبون ذلك ويقبأونه بشكر ومنة

ان المحرك الاول للتوبيخ والاصلاح انما هو القلب ومن المعام ان من القلب الى القلب سيلاً اعني ان للقلب حساً خاصاً لادراك ما يصدر عن القلب . فانه يفت ويرفض كلما يرى فيه شيئاً من الكراهية والنفور كما انه يتقبل بكل دعة وهشاشة ما يلحظ فيه من الحب والاخلاص . فاذا شئت ان تكتسب

القلب او تستأسره فاجتهد بان تبدي له الود والاخلاص . . ألا ترى بوناً عظيماً بين قاطع الطريق الذي يقبل اليك ليطن صدرك بمديته وبين الطبيب الذي يدنو منك ليفتي لك دملّة ؟ فانها لا يتقدمان اليك بهيئة واحدة بل لكل منهما هيئة ومنظر ينبي . بمقصده . فالاول الذي يقصد الفتك بك لا يتروى في ما يعمل ليساب حياتك . اما الثاني الذي لا يقصد الا تخفيف اوجاعك فيتبصر ويتروى كيف يمكنه ان يفتح لك الدملّة من دون ألم زائد وبعد فتحها ياخذ حالاً بتضميدها . وهلاً تميز الواحد من الآخر من مجرد اقدمهما اليك ؟ فانك بدون ريب تهلع من منظر الاول وتصيح المدد قائلاً ابتعد عني يا شقي يا عدو . اما الثاني فانك تستأنس به وتفتح له صدرك ليشق الدملّة ويخرج منها المادّة الفاسدة التي هي علّة الملك . وانما ذلك لانك تقرأ على محياً الواحد ما يمكنه صدره من البغضاء والحسد وعلى محياً الثاني ما يمكنه صدره من شواعر المحبة والشفقة

#### عد ٤

في انه على الرئيس ان يؤجل تنفيذ العقاب من يوم الى آخر وان يختص بالخصوص ان لا يعاقب احداً قبل ان ينبه افكاره الى ذلك

اعلم باني لا اقصد تحريضك على اهمال العقاب كلاً بل على تأجيله من يوم الى يوم وعلى الاجتهاد بجعله خفيفاً لطيفاً . لان من ترك من حقوقه شيئاً بالوقت المناسب فانه ليس فقط يفعل فعل كرم وشهامة بل يعمل ايضاً اعمال فطنة وينال اخيراً أكثر مما له . ألا ترى ان الله جلت حكمته اجاز للبرانيين ان يسرحوا نساهم ويعطوهم كتاب الطلاق . وهذا بعد ان اعلن لهم وحدة الزواج وعدم انفصام عراه ؟ وقد سمح لهم ايضاً ان يقدموا له ضحايا خارجاً عن اورشليم بعد ان حذر عليهم ذلك باجلى بيان . ومن الدواعي الكافية لتأجيل العقاب ولتخفيفه او لتغيير نوعيته ان ترى مروءتك موشكاً ان يقلق ويضطرب او ان الدواء مع التأني ينجع فيه بزيادة . ولا بأس لو رجعت بعد قليل الى مواصلة العقاب المتوجب مع بعض التخفيف والتغيير . وبهذه الاثناء ضع هذا الراهب بين اخوة صالحين وافاضل يمكنه ان يستفيد من مثاهم ونصائحهم وعين له بالخصوص اباً

روحياً من ذوي النطنة والفضيلة الراهنة . اما الاخوة الذين يكون فيهم شيء من مرضه او تخشى من احاديثهم معه او معاشرتهم له ضرراً ما فابعده عن مساكنهم ما امكن .

واذا رأيت من الضروري ان تنزل به قصاصاً قاسياً فاعدد لذلك طريقاً بالرفق والمحبة كي يرى كل احد والمذنب ايضاً ان محبتك ووداعتك تطفوان على كل اعمالك كما يطفو الزيت على الماء لو مُزج به . ومن الثابت ان الاصلاح ولو بشيء من التوبيخ او العتاب يأخذ بمجامع القلب وينجح لو كانت المحبة والوداعة تتقدمانه وتلطفان بجلاوتهما ما به من المرارة الطبيعية . وبالنتيجة ان الاصلاح يكون مقبولاً ومحبوباً لو عرف الرئيس ان يكون هو نفسه مقبولاً ومحبوباً عند مروتوسيه لان المروتوس المحب للرئيس لو شعر بمرارة عند انزال العتاب به للاصلاح لنسب ذلك الى مفاعيل زلاته ولا للرئيس الذي لا يراء يتوخى الاً خيره والتكفير عن ذنبه . وبهذا تكون نتيجة تأخير القصاص الاصلاح والمحبة . وعرفان الجميل نحو الرئيس .

فاجتهد اذاً بالألا تدع في توبيخك وعقابك من المرارة الاً ما كان ضرورياً . فهكذا يعمل الطبيب النطن فانه اولاً لا يضع في العقاقير من المرارة الاً ما كان ضرورياً . وثانياً بعد ان يأخذ العليل الدواء يعطيه شيئاً من الحلو ليصلح به ذوقه ولا تنزل العتاب في مروتوسك المذنب قبل ان تنبه وتعدده لقبوله بشواعر الدين والفضيلة . فلو اقدم احد الجراحين على عملية قبل ان ينبه العليل لذلك فما عساك تنول عن غلاظة طبعه . قد جاء في سيرة المكرمة الام اغنيس ان ملاكها الحارس وبجها توبيخاً مرأاً على انها بككت إحدى الراهبات قبل نصحتها بروح الرب وتبليانها لها ذنبها ووجوب احتمالها العقاب لاجل التكفير عنه وبنيان القريب فينبغي لك اذاً ان تنبه مروتوسك قبل اصدارك له الاوامر بيومين او ثلاثة لكي يارب امياله الانحرنة ويتقوى على العمل بما تأمره به . وبعد قيامه بما أوامر به اظهر له انك نسيت جرمه ورضيت عنه الرضاء التام . واذا التمس منك شيئاً يوافق هواه ويضر باتمام ما أمر به فلا تمتعه اياه بعنف وقسوة بل حضه على مواصلة الصلاة وعلى التسليم لامر الطاعة . وبعد ذلك لو رأيت انه يعتقد ان هذا الطلب



يوافق صالح نفسه وكرر طلبه فلا ترفض عليه سؤله . ثم في بعض الاحيان اذا رأيت موافقاً بالرب فاطلب انت منه انجاز بعض اعمال صعبة ومرة على الطبيعة ولك ان تمدحه او تذمه بقدر ما تراه نشيطاً او متوانياً . وان هو احب ان يقدم على بعض الافعال الخطيرة فاسمح له بذلك مع ارشاده الى مواصلة الصلاة ومعرفة الذات والتواضع المسيحي

واذا توصلت الى ان تجعل مروءوسك يطلب منك من قبل نفسه ان تعين له بعض القوانين او بعض الاماثل والتشقات . ويرغب بان توبخه وتنبهه امام العموم فتكون قد نجحت في عمل الرياسة وفزت بما يوليك فخراً واستحقاقاً

عد ٥

اخليق بك ان توثب مروءوسك اولاً بينك وبينه سرّاً وان تصفح بطيبة خاطر عن الذنوب التي يشكو نفسه بها وان تقيمه حكماً على ما يستوجه من العقاب وفاء عنها

ابتديء اولاً في التوبيخ السري واكتف به ان لم تقض الضرورة بالتوبيخ العلني وفي هذا اتفق مع المذنب على كيفية العقاب وكيفية وابدل الجهد بان يكون خفيفاً لطيفاً بقدر ما ترى الراهب مطواعاً وخاضعاً ومما لا ريب فيه ان المذنب المعترف به عن ارتياح وطيبة نفس هو مقتدر بسهولة اللهم ان لم يكن ثم معثرة ومع ذلك فينبغي ان يلطف العقاب ويخفف بقدر الامكان . بخلاف ما اذا تبين ان المذنب مصر على ذنبه ولا يريد ان يثني عنه ويعود الى التوبة . وبالجمله فلتكن مقابلتك للرهبان برفق ووداعة وليكن كلامك معهم عذياً فيأمنون بك ويأتون اليك بثقة وهشاشة ويعربون لك عما في اعماق قلوبهم وهذا ما يساعدك على ان تقاوضهم بحرية وتبدي لهم ارشادات فعالة .

وبالخصوص لا تجاف من يأتيك معترفاً بذنبه ولو علمت انه لم يتقدم الى ذلك الا بعد ان عرف انك بلغت ذنبه . وتقبل عذره ما لم يكن قد سبق ووعدك حرّات بمواعيد فارغة

واذا اقتضى الحال ان تُنزل بالمدنب عقاباً شديداً فلا تفرض عليه كلما يستوجب بل دعه ان يفرض هو على نفسه ما تأمر به الرسوم الرهبانية والعوائد المرعية . وهذه كانت عادة القديس اغناطيوس والقديسة شانتال فكانا يحملان المدنب على ان يختار لنفسه العقاب الذي كان يستوجه وكانا يوافقان رأيه بذلك ولعمري ان العقاب لا يكون موافقاً بالرب ومفيداً كل الافادة الا متى كان مقبولاً برضى ومتسماً بطيبة خاطر . اما اذا كان المدنب اتصل الى حالة تصلب القلب وموت الضمير فيناسب اذ ذاك ان تبادره بعقاب مريع يوقظه من غفلته التعيسة ويمكن الرئيس ايضاً ان يتلو عليه العقاب المفروض من القانون لمثل ذنبه ويسأله بقوله له : « انت ماذا ترى أما ان ذنبك يستوجب هذا العقاب بموجب نص القانون ؟ » وبعد ذلك يقول له : اخي اني اعتقد ان اسفك الشديد وتوبتك الصادقة تعوضان عن صرامة القانون ولذلك اخفف لك العقاب بكذا وكذا ولا اريد ان يعلم احد بعقابك ولا بذنبك محافظة على اسمك وشرفك ودفعاً لعثار الاخوة . اما اذا كان العقاب معيناً ومحدوداً من القانون فليس للرئيس ان يبدله بأخر بل له ان يغير بعض الظروف التي تتعلق بإرادته ( مثل كون العقاب سريراً او علناً في هذا المحل او في محل آخر ) .

وان كان للرئيس ان يختار هذا او ذاك فليختار ما يراه انسب لطبع المدنب والتكفير عن ذنبه ولردعه عن المعاودة الى الذنب نفسه

والداعي لهذه القطنة والملاطفة في اجراء عقاب المدنب او توبيبه هو : « ان بغض الحقيقة مغروس في الطبيعة لان الحقيقة تنافي حب الذات المغروس في كل انسان » ( باسكال )

ولذلك تحتم على الرؤساء في تنفيذهم الاوامر الشديدة ان يتفحصوا منها شيئاً ويتفحصوا لما بقي منها طرقاتاً واساليب شأنها الاتمس حاسات المجرمين . ومع كل ذلك لا تزال الحقيقة مكروهة بنوع انه لا يكاد يوجد من يحتمل عقاباً او توبيهاً بغير تذمر او شكاية :

ولتكن توبيخاتك موجزة وبغاية الاقتصار ولا تتخذ العلاجات القوية  
الاً عند الضرورة القصوى واذا فرضت عقاباً فلا تطلب اقامة  
حتى آخر حرف لئلا يظهر انك تريد التعنيف لا التثقيف

لقد تقدم ان الرئيس في معاقبته مروءوسه المذنب ينبغي له ان يحاكي الطبيب  
الجراح في عملياته الجراحية فطيه ان يقوم بعمله باطفر وسرعة لكي يتخفف الم  
العقاب ويقصر مدته ولا ينجّل اليه ان الفائدة تقل بهذه الملاطفة لانه لا بد ان  
يشعر المذنب برفق الرئيس به وجهه له فيسوقه داعي الحب وعرفان الجميل الى  
اصلاح نفسه برغبة وشوق . وان اطلت الكلام في توبيخك لا يكون له  
وقع ولا تأثير كما لو كان موجزاً فبالاطالة يخشى عليك من الزلل وعلى  
مروءوسك من الملل بل ربما عدّ الاطالة تعنيفاً له وافضت الحال الى اليأس  
والقنوط . فكلما كان الحديث موجزاً كان فعلاً لانه يُبقي وقتاً للتروي  
والتأمل . ومن مبادئ الحكماء التي ليس عليها نكير ان من اراد ان يُطاع  
ويُهاب يجدر به الا يطيل الكلام . قال سنيكا الفيلسوف « ان الكلام الموجز  
حقيق باولي الامر والنهي » « وهو كلام الملوك » ( تاسيت ) وقال القديس  
غريغوريوس « على الراعي ان يجتزأ من الكلام الردي فقط بل من ان يبالغ  
بشيء ولو في اقواله الصالحة نفسها وان لا ياتي بكلمة في غير اوانها لان كثرة  
الكلام وازدحامه يضيعان كثيراً من الحقيقة ومجدها وفوق هذا فان اطالة الكلام  
عيب بالخطيب لانه يبين فيه انه عاجز عن توقيع كلامه وتطبيقه على ذوق السامع  
ومقتضى الحال اهـ

لما اذا كان المذنب من اهل الحق والطيش فينبغي ان تكرر عليه الكلام  
وتوضح له بزيادة اهمية ذنبه ليتجشّن في فكره ولا ينسى بعد قليل ما قيل له  
ولا تستعمل من العلاجات القوية الا ما ندر لئلا يفقد مفعولها ولا تستعملها  
ابدأ مع ذوي الافكار المستقيمة والقلوب السليمة لان مثل هؤلاء يمكنك ان  
تكتسبهم بالبرهان والملاطفة بل لا تستعمل شيئاً من هذه الادوية الفعالة قبل

ان تكون سبوت استعدادات الاخ المذنب ليري ما هو الانسب في علاجه التأجيل ام التعجيل فان كان الاول فتوقف الى حين وان كان الثاني فتسخذ بعض الاحتياطات اللازمة للرفق بضعف فضيلته كما يفعل الطبيب مع المريض المنهك القوى . « اما اذا كان عظم الجرم يستوجب عصاً من حديد كما رسم المجمع التريدينيني فاعمل بها ولكن بعد سقيها بماء اللطف والمحبة وبهذا نكون عاملنا المذنب بعدلٍ ممزوج بالرحمة وبصرامة ممزوجة باللين بنوع اننا من غير اظهار القساوة نبين للجميع اننا محافظون على حفظ النظام والقوانين لان ذلك ضروري لاصلاح المذنب او على الاقل لاجل بنيان التريب بمشال المحافظة على الرسوم والنظام » ( جلسة ١٣ ف ١ في الاصلاح )

وعندما تلاحظ ان المذنب اخذ باصلاح سيرته بآين له انك شاعر بذلك وقادر عمله حق قدره وشهادةً لذلك اترك له شيئاً من العقوبات التي تكون قد فرضتها عليه بموجب رسم القانون . لانه من القواعد المسلم بها ان العقاب يكون دائماً اخف من الذنب . فبذلك ينجو الرئيس من ان ينسب اليه الظلم ويجد سيلاً لان يعمل بالعدل والرحمة معاً وهذا امر مفيد للغاية بل ضروري لنجاح عمل الاصلاح . فان الرئيس الذي يستعمل الشريعة بكل قوتها ويطلب الدين حتى اخوفلس لا يُعدّ اباً ولا طبيباً وانما هو قاضٍ قاسٍ ذو قلبٍ صخري لا ينعطف للشفقة او هو سيافٌ عتيٌّ له ذراع من حديد . وعليه فانه ان لم ينعطف على التائب عند مشاهدته توبته الصادقة الفعالة يظهر للناس انه محب للانتقام وراغب في شفاء غليله باهانة الاخ المذنب قال الحكيم « يا بني لا تكن صديقاً ( عادلاً ) بافراط » ( الجامعة ف ٧ ) يريد بذلك النهي عن بلوغ حد العدالة في اصلاح القريب وعقوبته . وقال سينكا « من الشطط ان تقتص من المذنب كل ما يستوجب ذنبه » وان الله جلت حكمته على ما يعلم اية اللاهوتين لا يعاقب المذنبين في الجحيم بكل ما تستوجبه خطاياهم

وكان القديس اكليمينطوس البابا تلميذ الرسل يقول للكهنة « تقبلوا الخطاة التائبين بفرح ولطف وهشاشة وافسحوا لهم مجالاً ليشقوا بكم ويؤمّوا فيكم نيل مرغوبهم ولا تخافوا انكم بذلك تكونون سيئاً لعودتهم الى السقوط . فلو



رأيت انساناً يثني على شاطئ نهر وسقط فيه وكاد يخنق فمدّ اليك يده وطلب اليك ان تنتشله فهل لك ان ترفسه برجلك وتدفعه الى العمق بداعي انه مذنب وان فعلت ذلك الا تكون قاتلاً اخاك شرّ قتلَةٍ»

انه بينما كان احد الاكليركين مسجوناً في سجن اسقفية أنبسي طلب مواجهة القديس فرنسيس دي سال فمنعه الخدام واذا علم بذلك القديس قال لهم : انكم اذا منعموه عن مقابلي فليس لكم ان تمنعوني عن مقابله وبما انكم ابستم ان تسمحوا له ان يخرج من السجن ويأتي اليّ فانا ادخل السجن آتياً اليه . وهكذا كان ولما نظر القديس ذلك الاكليركي تأثباً منطرحاً على قدميه يسأل المغفرة اقامه للرجال وعانقه وصفح له فقال حينئذٍ التائب « يا سيدي انا مستعد لان اترك بطيية خاطر وظيفتي للفقراء وفاء عن ذنبي » اما القديس فقال له « ليس هذا يسرني ولكني آمل ان الشكوك التي اوقعتها بسقوطك في الاثم تزيلها بقيامك وتعوض بتوبتك النصوح احسن تعويض فهذه الآمال قد تمت فعلاً وعلى هذا كان القديس يقول « ان الحلم يثني . التأبين اما القساوة فلا تثني . الا خداعين

#### عد ٧

في انه لا ينبغي ان تدع مروثوسك مضطرباً حزيناً بعد اقامه العقاب المفروض عليه بل يجدر بك ان تبدي له المودة والهشاشة لكي ينتعش ويقوم من سقطته نشيطاً

فبعد ان يكون المروثوس اقرّ بذنبه وتكون قد نصحته النصائح السرية يجدر بك ان تبدي له كل مؤانسة وبشاشة كأنه لم يأت ذنباً قط . وليطمئن باله الى انك لا تعاتبه في المستقبل على ما فرط منه بل ولا تجحف بحق اعتباره على الاطلاق . لان خوفه من سوء الظن به يسلب حرية ضميره وراحة افكاره . واذا كنت ونبت مروثوسك ظاهراً وهو قد خضع وتم اوامرك ضاعف له اسباب المودة بتواتر زيارتك له وبمنحه بعض الهبات الخصوصية . وحينئذٍ يصير من القلب الى القلب سبيل ويرى انك آخذ بمداواة جرحه برفعك عنه السهم الذي لم ترشقه به الا عن حبه وباجتهادك في ان لا يبقى للجرح أثرٌ البتة ولعمري اننا

لازى شيئاً يحمل المروثوس على حب رئيسه والقيام بواجباته مثل اظهاره له المودة والملاطفة بعد ان يكون قام بما أمر به . ان المكرم بطرس رئيس الكافس كان يقول لمروثوسه في مثل هذه الظروف : « لاشك بانى ابديت لك ما احزنك ولكنى ارجو منك ان تصدق ان غاييتى لم تكن ازعاجك بل الاقبال بك الى النشاط في حفظ قوانينك لان واجباتى تقضى عليّ بان اقتادك الى السماء بسلاسل المحبة ولو مع شيء من العنف وعلى رغم منك اهـ

ولعمري اذا زل الراهب مرة فلا يضحى عدواً لرئيسه بل يبتى له ابناً . ويجدر بالرئيس ان يبدي له الشفقة ويعامله بشواعر الوالدة . فهذه اذا رأت ولدها سقط تسرع لاقامته او على الرئيس ايضاً ان يتصف بصفة الطبيب الذي اذا مني احد اصحابه بمرض لا يتعد عنه ويفادده مضوئاً باوجاعه بل يجتهد بمداواته وبان يبرهن له عن صدق حبه بارجاعه صحته الاولى وعليه فكيف يتاقى لنا ان نعامل بقساوة نعمة اتى المسيح بطلبها ولا وجدها بعد العناء الجزيل حملها على منكبيه بفرح عظيم واتى بها الى حظيرته ودعا اهل السماء ليشاركوه بفرحه . وسروره والراعى لو وجد نعمة مجروحة فهل يقتص منها بجراح أخرى او بالحري يمن عليها ويضمد جراحها ؟ ثم لو كنا في مقام ابى الابن الشاطر ماذا عسانا نكون عملنا مع هذا الولد العقوق الكنود . فربما كنا تركناه يبكي وينوح زماناً طويلاً وتهددناه وانزلنا به اشد عقوبة قبل ان نقبل توبته . اما ابوه فتراه ملقاً على عنقه يقبله ولم يكديده يكمل اعترافه بذنبه حتى دعا جميع مجاوريه الى وليمة الفرح والابتهاج . ولعمري لو كان هذا الاب قاسياً فظاً لما عاد اليه ابنه ابداً بل كان هلك جوعاً لا محالة وهو في غربته يرعى الحنازير

ويا ما اشد شطط بعض الروساء الذين بعد ان يكرنوا انزلوا بالذنب امر العقوبات يتكونه أليف الاخران قانطاً مدعين انه يستوجب ان يقاسي حزناً استحقه بذنبه وان يطلب ماء التغزية في ينابيع الفضيلة . ولا يفشل . ولكن لو كانت فضيلة هذا الراهب بلغت الى حد الشهامة لما كان سقط ومن تراه يعوض عن نقص فضيلته غير ابيه الروحي اعني رئيسه الذي يجدر به ان يشجعه ويقويه . اما الرئيس فان لم يكن متعمقاً في الفضيلة فلا يقدر على هذه الملاطفة والتغزية لان

فيها ما ينافي اميال الطبيعة بالنظر الى طبيعة المجرم القطة وقلة جدارته بالملاطفة  
قال سيدنا يسوع المسيح ذات يوم للقديسة جوترودا « ان من الروساء من  
يعملون الخير مع الصالحين حباً بالله . غير انهم يعاملون الاشرار بقساوة حتى انهم  
يضررون بهم اكثر مما ينفعونهم . فالكنيسة هي جسدي وانا رأسها ولكن  
اعضاء هذا الجسد ليست كلها سليمة ونقية مثل الراس بل منها ما هي مريضة  
ومغطاة بالقروح . والبعض من الروساء المنتقدين والمنددين ينقمون من اعضاءي  
هذه ويلطمونها بضربات شديدة بأشد قساوة حتى انهم يدمون جروحها فيشب  
الدم والصدید الى وجوههم فيلتطخون هم ايضاً ويتدنسون بالقساوة وقلة الرحمة  
اما انا بما اني ربهم وابوهم الخنون فتأخذني الرأفة والشفقة وأتظاهر كأنني لم اشعر  
بالقساوة التي الحقوها باعضاءي المحبوبة ولا اريهم الا اني راضٍ من حسن نياتهم  
فاغسل وجوههم بدمي والبسهم حلة المجد التي استحقها اصفياء القديسون اهـ .  
وهذه الامثلة كان لها في قلب القديسة وقع عظيم حتى انها على قول كتبة حياتها  
كانت كأنها رطبت لسانها بدم الحمل بنوع انها لم تقل قط لاحدى راهباتها  
كلمة مرة او غير مقبولة . فكانت بتوبيخاتها نفسها تقرب الراهبات منها  
وتحبهن اليها وانما ذلك من شدة انعطافها القلبي ومحبتها الخالصة لهن

عد ٨

في انه اذا بقي المذنب مصراً على غيه بعد ان اسمعته تهديدات الشريعة  
الالهية يجب حينئذ ان تعامله بموجب رسم القانون

قال القديس غريغوريوس : ان الذين لا تردعهم الشجون عن الرذيلة يفتقرون  
الى توبيخات شديدة وتقریعات مرّة بنسبة قساوة قلوبهم . فذكرهم بايات  
الكتاب المنذرة عليهم يروعون من خوف الهلاك الابدي . قل لهم مثلاً كلام  
الحكيم « لو دقت السفينة في هاون بالمدق لم يفارقه سفنه » ( امثال ٢٧ : ٢٢ )  
وكلام النبي ارميا اذ يقول « قد ضربتهم يارب فلم يحزنوا . اقلقتهم فلم يقبلوا  
التأديب وصلبوا وجوههم اكثر من الصخر وابوا ان يتوبوا » ( ٥ : ٣ ) وقوله ايضاً  
« لقد اثكلت وابدت شعبي ولم يرجعوا عن طرقهم » ( ١٥ : ٧ ) . « قد عاجلنا

بابل فلم تُشفَ . فاهجروها ولنذهب كل واحد الى ارضه » (الراعي ق ٣ ف ١٤)  
وبعد هذا فلا يبقى لك الا واسطتان الاولى ان تغزل الراهب عن دير  
سكنه حيث يلقي الشكوك . والثانية ان تبعده عن الرهينة لو اوجب الامر  
قال القديس اغناطيوس ان عزل الراهب عن دير سكنه لا يغير صفاته لانه  
بتركه لا يترك عاداته المذمومة . ولذلك لم يكن يرتقي عزل المقلقين عن دير الى  
آخر رغبة بالالفقة والسلامة لانهم حينما حاولوا يلقون الشغب والقلق فيزداد شرهم  
قال لانسيسيوس ليس للرئيس ان يطلب عزل الراهب عن ديره لاجل علة  
طفيفة لانه اولاً مما يضاد المحبة ان ترسل الى رئيس آخر راهباً لا تريده انت من  
جاء نقائصه . وثانياً قلما تجد رهباناً خالين من كل شائبة وفقاً لرغائبك واميا لك  
الخصوصية . وكيف تعلم ان الذي تستبدله لا يكون شراً منه فالا جدر بك اذا  
ان تعنتي باصلاح مروثوسيك لان سائق العجة اذا طلب تغيير الخيل بتواتر قيل  
انه غير ماهر بمهنته

ان احد السائح طرد ذات يوم من دير الانبا آيليا وذهب عند القديس  
انطونيوس فهذا ابقاه عنده مدة ثم اعاده الى ديره ولما أبى رهبان ذلك الدير ان  
يقبلوه كتب اليهم القديس ضارباً مثلاً فقال : « رأيت مركباً هاج عليه البحر  
فاغرقه الا انه بعد خسارة ما كان فيه طاف على الماء وعاد الى المينا محطماً . اما  
انتم فبعد وصوله الى المينا عندكم بهذه الحالة التهمة تريدون ان تقذفوه الى الم  
ليغرق ويهلك » فلدى سماعهم هذا الكلام فهموا مراد القديس وقبلوا اخاهم  
كانه كان ضالاً فوجد

ان بلتازار القارس كان يطلب من روساء معاملته ان يرسلوا اليه شراً من  
عندهم من الاخوة بخصالهم وطباعهم آملاً بانه يصلح نقصهم بحكمته وفضيلته  
خلاقاً لما كان يعمل الاكثرون من الروساء الذين لا يريدون ان يساكنوا باديرتهم  
الا الكاملين بكل صفاتهم . ولكن غير الكاملين الذين نعدهم كرضى وسقام  
فماذا نعمل بهم ؟ فان تنقيهم من دير الى آخر يعرضهم لخطر جمة . اولاً لان  
تغيير ايدي الاطباء يضر المريض ضرراً بليغاً . ثانياً لانهم عندما يرون الجميع  
يشمتون منهم ويأبون معاشرتهم يقنطون من الشفاء واصلاح حالهم ويلجأون



اخيراً الى هجر الرهبانية وخسارة دعوتهم وانفسهم معاً  
اما لو اتفق ان كان المكان هو سبب العثار لمروثوس او لوثيس فحينئذ يضحى  
امر الغزل او التغيير ضرورياً . اذ عليه وحده يتوقف رفع السبب  
واذا ألجأت الضرورة الى ابعاد الراهب من الرهبانية فلا ينبغي ان نتردد  
بذلك لان على هذا يتوقف خلاص الرهبانية من العثار والتأخر الادبي ويتوقف  
على ذلك ايضاً في الغالب خلاص الراهب الذي يكون قد أبلى اصلاح نفسه في  
حضن الرهبانية . اما الاسباب الموجبة للابعاد فهي على رأي القديس اغناطيوس  
ان يكون الراهب اصرّاً على ذنوبه ومعاصيه ولم يرتدع عنها لا بواسطة حظه على  
محبة الله ولا بواسطة عناية الرؤساء به ولا بالعقوبات العادية التي فرضت عليه فعند  
ذلك سواء كان المذنب واحداً ام اكثر حتى لو كان من عائلة ملكية يتحتم ابعاده  
وكان قدس الله روحه يقول : ان من يحافظ على راهب هذا صفته حياً  
بمجد الله يشبه انساناً يقطع شجرة من اصلها ويؤمل ان يستغل من ثمارها وكان  
الاجدر به ان يقطع الاغصان الشاححة ويحفظ الاصل اذ بذلك ترجع المائبة كلها  
الى الاغصان السليمة الباقية فتريدها غوراً وتعطي ثماراً اشهى واغزر . يعني  
بذلك ان اصل الشجرة هو الرهبانية والاغصان اعضاؤها . اما الاسباب الكافية  
للابعاد فهي على رأي هذا القديس ١ زلة ثقيلة وذات عثار بما يضاد الطهارة  
٢ التثبت بالرأي الخاص الى حد العصاةة . ٣ اختلاق طرق جديدة ذات  
خداع في امر الفضيلة . ٤ الاراء الخطرة في الحقائق الدينية . هذا وقد سئل  
احد الرؤساء العاملين اية هي الرهبانية المدعومة باقوى الدعائم في حفظ روحها  
وحرارته الاولى . اجاب « هي الرهبانية اليسوعية لان رسومها تمنع الافاضل من  
رهبانها عن مبايحتها لقبول الدرجات الاكليريكية وتسهل ابعاد الرهبان الذين لا  
تكون موفرة فيهم الفضائل الرهبانية اه

« والابعاد لا يكون الا بقوة من له السلطان الشرعي مثل الرئيس العام او  
الرئيس الاقليمي او رئيس اخر قد تولى هذا السلطان من الرئيس العام نفسه وكل  
ذلك بعد اخذ رأي المجمع الديري الذي يُعقد لهذا الغرض . والرسوم المحدودة  
لذلك من اوربانوس الثامن واينوشنسيوس الثاني عشر تجب مراعاتها اذا كانت

الندور احتفالية . اما اذا كانت الندور بسيطة فتكفي مراعاة الرسوم المحدودة في قوانين الرهبانية من اخذ رأي المجمع . لانه ليس للاستقف ولا للرئيس ان يطرد بسلطانه الخاص راهباً او راهبة من الرهبانية

اما الراهب والراهبة اللذان لم ينحلا من نذرهما بمجرد خروجهما من الرهبانية فعليهما ان يحفظا الندور بقدر ما تمكنهما حالتها الحاضرة خارج الرهبانية ويلزمهما ايضاً ان يجتهدا في اصلاح سيرتهما كل الاجتهاد ويطلبا العود الى الرهبانية . وان أبا الرهبان قبولهما فلهما ان يرفعا دعواهما الى جمعية الاساقفة والقانونيين في دومة ولكن عليهما ان يثبتا بشهادة اسقف المحل انهما اصلا سيرتهما الماضية « (كريسون . المكتب اللاهوتي ك ٥٤)

وفي قوانين القديس مبارك يحق للراهب الذي يكون قد أبعد من الرهبانية ان يُقبل فيها بعد تحقيق اصلاح سيرته حتى ثلاث مرّات . ولو سنّ هذا القديس قوانينه في هذا العصر لكان اوجب قبول الراهب ثلاثين مرّة بعد طرده من الرهبانية

وعلماء اللاهوت يفرضون على الرئيس بموجب الحق الطبيعي والالهي ان يفتش عن الراهب المطرود او الهارب وان يستدعيه الى حضن الرهبانية وذلك لكي يسهل له طرق اصلاح نفسه بمقتضى قوانينه لئلا يهلك خارجاً عنها . اما داعي الزام الرئيس فهو ١ ان الراهب وان مطروداً او هارباً لم يزل مروثوسه و ٢ ان مثل هذا الراهب يتحضر شأن الرهبانية لو بقي متشجاً بثوبها في الخارج و ٣ لانه يلقي عثاراً في الخارج لكل من يراه ويعلم امره . وهذه الدواعي هي عمومية في كل آن ومكان ولاسيا الاماكن التي لا تساعد فيها الحكومة باجبار الراهب على خلع ثوبه الرهباني

## الفصل الرابع

في ان التأديب ينبغي ان يكون صادراً عن المحبة  
ولتتكلم اولاً في مفاعيل المحبة في التأديب ثم نتكلم في كيف يمكننا ان  
نحجتي اثار المحبة ونحافظ عليها

## الباب الاول

في ما تعدله المحبة في التأديب  
ان المحبة في التأديب تنقي النية وتجعل الكلام عذبا وتخرج  
كل اعمالها باللفظ والدعة

## المقالة الاولى

في ان المحبة في التأديب تنقي النية

عد ١

في ان المحبة لا يُقصد منها في تأديب الذنب سوى اصلاحه

قال مودست دي سانت امايل انه لما كان التأديب صورة انتقام الله من  
الذنب وانتقام الذنب من نفسه لم يكن للرئيس ان يقصد به سوى ما يقصده  
الله والمذنب في هذا الانتقام . والحال ان الله جلت رحمته لا يعاقب المذنب في  
هذه الحياة للانتقام بل للاصلاح وهكذا المذنب لا يقصد في تعذيبه جسده سوى  
اصلاح شوائبه . ثم ان عذاب الله اذا كان صادراً عن صرامة العدل بلقينا في  
وهدة الحُري والحُجل ويملا قلوبنا خوفاً ورهبة واما اذا كان متأثراً عن الرحمة

فَيُفْعِم قلوبنا تغزية ويحملنا على اصلاح حالتنا وكذلك تعذيب المذنب جسده وتظاهره بالغضب عليه هل يكون للانتقام كلاً بل للاصلاح ( الرئيس الكامل ك ١ ف ٨ ) .

- والقديس غريغوريوس لما فسر امر الله القاتل لهارون « وتحمل ابداً بحضرة الله الحكم على بني اسرائيل » قال : « ان الرموز بمحمل الحكم على بني اسرائيل بحضرة الله هو ان الكاهن يجب ان يحاكم رعيته بمقتضى روح الرب لا غير فلايدع روح الطبيعة البشرية يترج باعمال مهمته المقدسة ولا يُدخل في تاديبه المذنب شيئاً من الانفعالات الشخصية او من المآرب الخصوصية ليكون حكمه على المذنب غير مشوب بشيء من اميال الجسد او امارات الغضب اه والمجمع التريدينيني يوضح جلياً انه لا يسوغ للرئيس ان يقصد في تاديبه المذنب سوى احد امور ثلاثة وهي اما حفظ النظام الرهباني واما اصلاح حال المذنب او رفع العثار اذا حكان المذنب غير قابل الاصلاح . ( جلسة ١٣ ف ١ في الاصلاح )

وعليه ان لم تقصد في توبيخك مروؤوسك الا اذلاله لا غير فتكون بذلك هتكت حرمة القدسيات بتدنيسك السلطان الذي اعطاكه الله للبنيان لا للهدم . فليس لك اذا ان تقصد بالتاديب سوى الاصلاح لا غير . واما الحزن والحزني اللذان يرافقان عادة التاديب فلا تكون قصدهما الا كما ذكر الرسول اعني لاجل التوصل الى الاصلاح وتثيته . ولكن الذين يقصدون بالتاديب شقاء غليلهم تحت طي القيام بالواجبات فهم على ما يقول الانديس اغوستينوس . والقديس توما لا يدركون شيئاً من حقيقة التاديب . وبما انهم فرحوا بالحزن والضغط اللذين حاقا بمن وقع عليهم التاديب لم يكن تأديبهم صادراً عن فيض المحبة وانما هو انتقام مجت صادر من قلب مقروح ومفعم من صديد البغض والحقد

والتأديب الذي يكون مصدره البغض والحقد لا يكون بمقتضى تعليم القديس توما معيياً في بعض صفاته العرضية فقط بل في جوهره بالنفس ولا يقال فيه انه مفعول الغيرة بل هو محض اعتداء واهانة . وعلى هذه الصورة لا يكون فضيلة تستوجب الجزاء بل هو رزية جديرة بالعقوبة . والقديس اغوستينوس يزيد على



هذا قوله « أحب وقل ما بدا لك فالكلام متى كان ناجماً عن قلب محب لا يخرج ولو كان ظاهره مرأً لان قائله لا يقصد بسله سيف كلام الله سوى بتخليص المذنب من عبودية شوائبه اه

عد ٢

من الواجب ان يميز وتفرق بين المذنب وذنبه حتى اذا عاقبنا  
على الذنب لا نبغض المذنب

قد كتب القديس غريغوريوس الى سيرياك قال : « كن متيقنا اني عندما اظهر اشد التساوة على المعاصي ابطن لارتكبيها اشد المحبة والاخلاص . واني اعتقد تمام الاعتقاد ان الذي لا يفرق بين الشخص الزال وبين زلته ولا يعرف في توبيخاته ان يقرع الرذيلة ويجل الشخص الذي سقط بها مظهرأً له كل محبة وانعطاف يكون في ضلال مبين ولا يفهم ما هو التأديب اه

وقال تريتيم كثيرون يوبخون بالقسط والعدل ولكن قليلون الذين يوبخون بحلم وروية . ولعمري ان الذين يتعقبون المذنب ويقرعون به بكلام مرويعاقبونه باشد العقوبات طبقاً لذنبه ليس عددهم بالقليل لان ذلك سهل على كل انسان . ولكن الصعوبة والحكمة انما هي بان تستخرج من هذه الصخرة الصلدة اعني التتريع والعقاب ماء التوبة الصادقة الذي يصلح لغسل ادران الذنوب وهذا لا تجده الا نادراً لان الذين يميزون بين الشخص والذنب ليسوا بكثيرين

وقال القديس دوروثاوس « ما من احد يبنض الخطية بقدر ما يبغضها القديسون ومع ذلك لم يبغضوا الخطاة فانهم ما كانوا يحترقونهم ولا يبدون لهم الكره ولا الاشتمزاز بل كانوا يبدون لهم المحبة والانعطاف والاحترام وما كان مشلهم معهم الاً مثل ام حنون ولدت ولدأً مسخأً فانها ليس فقط لا تمتهنه ولا تعيره بل تضاعف محبتها له وشفقتها عليه لاعتقادها بانه ابنها وانه باكثر افتقار الى الالتفات والتغذية اه

قال القديس برزدوس « اعلم ايها الرئيس ان الله لم يرفعك الى هذا المقام او الدرجة لكي تروض الذناب بالقوة المجبرة بل لترعى الخراف بحب وانعطاف

والنتيجة انك لست في هذا المقام لاجل اذلال الساقطين بل لاجل انهاضهم واعزازهم . (في الاحد الثاني بعد الفصح)

وقال الاب يوحنا يسوع مريم الكرملي في أحد ارشاداته لمعلمي المبتدئين « ابذلوا غاية الجهد في ان تميزوا او تفرقوا في توبيخاتكم للاخوة المبتدئين بين الذنب والمذنب حتى اذا قرعتم الذنب بما يستحقه لا تلاحقوا شيئاً من الاهانة بشخص المذنب . وهذا لا يتوقع ما لم تميزوا بالفكر تمييزاً كاملاً بين الذنب والمذنب لكي توجهوا في كلامكم الى الذنب وحده ما يستوجب من المقت والكره وتحصوا شخص المذنب بما يجدر به من المحبة والاكرام لانه اخونا واخو السيد المسيح نفسه واجتنبوا الكلام الذي تشتم منه رائحة تسلط معلم القتيان بل عدوا ذواتكم كانكم مبتدئون بالرهبانية والفضيلة ايضاً . فليس لكم ان تكلموا اخوتكم إلا بتمام الدعة والطف . وبهذا تستحقون الاجر المعد للرحماء . »

## المقالة الثانية

في ان المحبة تفيض في الكلام العذوبة .

عدد ١

قد يحق لك بعض الاحيان ان تغضب ولكن احذر اذ ذاك من ان

تكون لهجتك لهجة الغضب والحق

نعم ان الغضب بذاته ليس بدموم ولكن بشرط ان يكون ناجماً عن داعٍ ومعتدلاً مستقيماً وخالياً من كل حماقة واهانة وان لا يبدو الاً بعد اظهار امارات الحب والدعة وان يكون نادراً جداً اعني في بعض الظروف الموجبة وان يكون اذ ذاك موجهاً لاصلاح المجرم لا لاذاته ويمكنه بعد فورانه ان يهدأ ويوسع مكاناً للحلم والرافة . قال القديس يوحنا فم الذهب : « ليس كل حركات الغضب خطية ولكنها تكون خطية متى صدرت عن سبب غير عادل او تجاوزت الحدود . ولعمري ان كل ما يعطينا الحائق يعود لخيرنا ؟ ومن ثم فان الشهوات الطبيعية على

موجب قصد العناية هي لنا بمنزلة المهاز للفرس تنبه افكارنا وتوقظ تراخيها وهي لنا كحد السيف البتار لاننا بها نقطع صعوبات كثيرة اه (الغظة السادسة في مدائح القديس بولس)

قال احد القدماء « ان الغضب هو جامي العقل وهو الذي يعضده ويساعده على تنفيذ اوامره » وقال القديس اغناطيوس لروساء رهبانيته « لا تطفئوا غضبكم بكليته ولكن همدوه وروضوه لانه ليس من الصواب ان يتسلط الغضب على الرئيس بل ان يتسلط الرئيس على غضبه وان يذخره حين الحاجة بشأن اخضاع مروثوسيه وتنبه افكارهم الى اعتبار السلطان اه

وبعد تقرير هذا المبدأ نقول اذا ثبت ان القساوة تولد الخوف فاللين والرفق يولدان المحبة . وان المحبة وحدها لها أن تسود في احكام التأديب ونظامه بنوع ان القساوة نفسها اذا وجدت لا تكون ناجمة إلا عن عواطف المحبة . هذا وللمجمع التريدينيني كلام في هذا الصدد جدير بان يطبع في قلب كل رئيس الا وهو قوله : « فليذكر الروساء والاساقفة انهم اقيموا رعاة لا مضطهدين وليحذروا من ان سلطانهم الروحي يتحول الى تسلط وتأمر بشري بل فليعاملوا مروثوسيهم بكل رفيق ولين وبعواطف المحبة كأنهم اخوانهم او اولادهم وليذلوا كل جهدهم في ان يبعدوهم عن الشر قبل سقوطهم فيه لئلا يضطروهم الامر بعد حدوثه الى توبيخهم ومعاقبتهم . اما اذا سقط احدهم بؤلة فكما يتفق لضعف الطبيعة فعلى الرئيس ان يذكر تعليم الرسول بهذا الشأن وهو قوله « وبخ وبكت واصلح بكل رفيق وصبر » لان عواطف الحب تؤثر في التأديب اكثر من الصرامة . والتحريض يفيد اكثر من التهديد والملاطفة اكثر من القوة » ( جلسة ١٣ في الاصلاح )

فالويل اذا للروساء ذوي الطباع الغظة القاسية الذين يوسعون مروثوسيهم اهانات وشتائم . لانهم اذا ما سلكوا هذه الطريق لا يقدرّون ان يغادروها فيما بعد ولا بد ان تسبب لهم عذاباً أليماً . لان من يدع الغضب يستولي عليه مرة بعد مرة يضحي في حوزته ولا يعود يتكلم الا بالتزق والغضب وهذه الرذيلة من شأنها ان تزداد يوماً بعد يوم ولا سيما في الروساء وهم لا يشعرون

وما عساه يحدث عن ذلك فان المروثوسين متى تعودوا سماع هذه التقريعات ومشاهدة العبوسة والغضب تحف قلوبهم ويصبحون لا يكثرثون لها كثيراً فيسي الرئيس غير قادر على ان يحركهم الى عمل الا بهذا المهاز الحديدي مهاز الغضب والفظاظة وهم يتعودون شيئاً فشيئاً ان يعاملوا بعضهم هذه المعاملة وكثيراً ما يبادلون الرئيس نفسه هذه المعاملة الجافية

الا ترى ان الولد لا يسمع لأمه ويهابها كما يسمع لآبيه ويهابه وانما ذلك لان الام تتكلم كثيراً وتهدد تهديدات شديدة وتشتم وتتسخط ولا تفعل الا قليلاً او لا تفعل شيئاً اما الاب فيتكلم قليلاً ولا يتهدد الا نادراً ولكنه عند مسيس الحاجة يعمل ما ينبغي عمله فيهابه الولد ويسمع له

فالتهديدات القاسية اذاً والشديدة ينبغي ان تكون نادرة وخيفة ليبقى لها في ذهن المروثوس ذكرٌ هام يذكره في وقته ويتجنب اسبابه لانه لو تعودت اذناه سماع التقريعات المرة والتهديدات الشديدة يمي اخيراً مثل الصخور الموجودة على شاطئ البحر التي لا يهدها عجاج الامواج ولا لطماته الشديدة المتواترة . او انه يمي كالاصم الذي لا ينتبه الا لصوت الرعود القاصفة

## عد ٢

في انه يجدر بالرئيس ان يتجنب التقريعات المرة جهده والاً

يستعمل التهكم الا نادراً جداً

نعم لقد وُبح الرب يسوع توبيخاً مرّاً اذ قال « ايها الرجال الحق والبلداء » والقديس بولس بكّت اهل غلاطية بقوله لهم « يا اهل غلاطية المجانين » ولكن هذا التقرع الذي لم يقع الا على المذنب لا ينبغي ان يستعمل الا في الضرورة القصوى لاجل خير المذنبين بعد افراغ سائر الوسائط وان لا يكون الا نادراً جداً لانه كما لحظ القديس كاجيتانوس عند ذكره الشروط التي جمعها القديس توما لهذا الغرض قال : « ينبغي لاستعمال مثل هذا التقرع المروحي خصوصي من الروح القدس لانه يصعب جداً على المروثوس ان يصدق كون تقرعاً كهذا يصدر



عن مبدأ المحبة لا عن كره وبغض اهـ

وهكذا قل عن التهكم لانه ولو ساغ للرئيس في بعض الاحيان ان يتهكم على بعض الاعمال لما بها من الخساسة والدناءة او على الترق الصادر من احد المروثوسين لا يليق به مع ذلك ان يبدي لاي كان من مروثوسيه السخرية او التهكم لان ذاك مما يهين المروثوس ويحمله على النفور من رئيسه والبغض له . وبعد فلو ساغ في النادر استعمال شي من التهكم فليكن موجهاً الى العمل ليعين مافيه من الدناءة مع المحافظة على اكرام المذنب واجلاله

وقد قال سينكا في الكتاب الاول من تأليفه في الحلم « ليس بين كل اصناف الحيوان ما يشبه الانسان في سهولة تأثره ومزيد افتقاره الى الموانسة والملاطفة ومن العجب العجائب ان نرى الناس لا يغيضون بسهولة ولا ينقمون من كلب او حيوان ونزاهم مع ذلك يغيضون على الانسان وينقمون منه كانه احط وادنى من سائر الحيوان . ومن العجب ايضاً اننا لا نرانا نغضب على المرضى لاجل مرضهم بل ان مرضهم بقدر ما يكون ثقيلاً يحملنا على مساعدتهم والرفق بهم فما لنا والحالة هذه لا نرى ان للنفس امراضاً مثلما للجسد وانها اي النفس في حال المرض تفتقر مثل الجسد الى الرفق بها والمساعدة لها والى طبيب يعاملها كمحب شفيق لا كعدو . حقود يستغزه الغضب والحق . فعلى الوالي اذا ان يعنى بسلامة النفوس وراحتها كما يعنى بحياة الاجساد وصحتها

وما عساها تكون نتيجة التأديب اذا كان بكلام الهجر المهين ؟ ان القديس فرنسيس سالس يجيب على هذا السؤال بقوله « ان النتيجة من تأديب كذا تكون غالباً تدهور المروثوس من خطية عرضية الى خطية مميتة » لانه عندما يرى رئيسه يحترقه ويعامله بهذه القساوة يصبح لا يقدر على ان يشق به ولا ان يسمع له مهما قال . والشيطان خزاه الله اذ يرى الراهب بهذه الحالة مضنكاً وغير معضود من قوة فضيلته الضعيفة ولا من ارشادات رئيسه الغير المسموعة يغتم الفرصة ويضاعف له وساوسه فيسقط باليأس والقنوط وهيئات ان يقوم من هذه الورطة . اجل لقد يحتمل الراهب شيئاً من الاستبداد وزيادة التشديد لانه قد يخال ان بذلك مجد الله وخير الجماعة . اما متى رأى انه مهان ومحتر بافراط

فلا يتالك عن ردّ الاهانة ومقاومة الشر بالشر بل ربما افضى به الامر الى القنوط  
 وخلع نير الرهبانية . ولجل ذلك نقول ان الاهانة لا تصلح الضائر بل كثيراً  
 ما تفسدها . وقال القديس يوحنا فم الذهب في هذا الصدد « ان الذين من  
 عادتهم ان يرتكبوا اعظم الفظائع لا يمتثلون ان تدعوهم بالاسم الذي يستحقونه »  
 فكيف يطيق ذلك من لم تكن حالهم الاً حال الكسل والقسل ؟

عد ٣

في ان الرئيس يرتكب ذنباً فظيماً لو حمل مروثوسه على ان يحبيه بجواب  
 مر وهو ينبغي بذلك علةً لمعاقبته

ان الحكيم في مواضع عديدة يكرر قوله « ان الانسان الغضوب يوجد  
 النزاع . والكلام المولم يجرح القلب ويشير الغضب اه وقد استشهد القديس  
 ايرونيوس كلام فيتاغوروس القائل « لا تشعل النار بالسيف » يريد بذلك ان  
 لا تحرك بالكلام المر الحواطر الغضوبية والمترفعة . وقال القديس بوناونتورا  
 « لو رأيت انساناً لا يكاد يضبط نفسه من شدة اضطرابه وغضبه ووخزته  
 بكلمة مرة فاذا تكون عملت ؟ ان عملك هذا يشبه عمل انسان رأى كلباً هائجاً  
 واخذ يدفعه للهياج فينهشه بانيابه » ( الستة اجنحة ف ٤ )

قال القديس بولس الرسول « ايها الاباء لا تغيطوا بنيكم لتلايفشوا »  
 وقال القديس بوناونتورا « ينبغي للرئيس ان يتخذ وصية الرسول هذه لاجل  
 السبب المنوء به لان المروثوس لو لاحظ في صوت رئيسه او حركاته او بهيئته وجهه  
 شيئاً من القضاظة لقسل ولا عاد يجسر ان يفتح له قلبه بل يتصور ذاته كواحد  
 من اصحاب ايوب لما قالوا له « لو بدأنا ان نتكلم معك لحننا ان يشق عليك او  
 ان تتخذ كلامنا على خلاف ما نريد اه ( ايوب ف ٤ ) ولذلك ينبغي للرئيس ان  
 يكبح جماح غضبه واذا كلمه احد مروثوسيه يحبيه برقة ورزانة ولطف . وقال  
 القديس بونزدوس « ان الاساقفة او الرساء الصالحين والامناء يعرفون تمام المعرفة  
 انهم لم يرتقوا الى المراتب العالية لاجل الغزوالافتخار بل لاجل تخلص النفوس  
 ومن ثم اذا لاحظوا او تاكدوا في احد مروثوسيه علامات الغيظ منهم او سمعوه

يقدر بهم فلا يغضبون بل تأخذهم الغيرة على ان يذكروا واجبات مهمتهم  
فيترووا ويروا في انفس مروثوسيه امراضاً روحية وكلوماً تستلزم سعيهم  
واعتناءهم بتضميدها وشفائها . وعند ذلك أيتاقي لهم ان ينقموا منهم كما يفعل  
السيد مع عبده كلاً بل يسرعون لداواتهم كاباء روحين واطباء محبين وصادقين  
في خدمة ما انتديوا له اه ( عظة ٢٥ على نشيد )

والاب يوحنا يسوع مريم الكرمل يقدّم على ذلك برهاناً ساطعاً اذ يقول : « انك  
اذا استعملت الكلام المر المولم ينتج عنه احد امرين فاما يتخذ المروثوس كلامك  
هذا عن بغض للانتقام فيرفضه ولا يقبله واما انه يتحمّله بصبر مقدّس . ولكن  
الحال لاول يزيده فوراناً وبعداً عنك وعن الصواب . والثاني يفشله فلا يجسر  
ان يبدي عملاً او يفوه بكلمة . وفي الحالين لا تكون اتيت عملاً مفيداً  
فيا ذوي المراتب العالية يا من تدعوهم فروضهم الى التأديب الاخوي  
اعلموا وتأكدوا ان كلامكم يصمي القواد كالسهام الحادة . ومتى اصابته  
يقبلها على كل وجه وينظر بها من كل جهة ويتأمل في ليله اكثر من نهاره كل ما  
فيها من المعاني فيذوق من ثمّ مرارتها دفعات متواترة . ولذلك ينبغي لك ايها  
الرئيس ان ترن كلامك بيزان الفطنة والمحبة قبل ان تلفظ منه لفظة واحدة  
لانك مهما تدبرته وترويت فيه فلا تدري كل ما فيه من الثقل والمرارة كما يدره  
ويشعر به من يصب اليه . وعليه فلا يجدر بك ان ترن بيزان اعتبارك الخاص  
بل بيزان شعور مروثوسيك واستعدادهم لقبوله .

#### عدد ٤

في ان الرئيس اذا خاصمه احد مروثوسيه بالكلام المر او بعركات  
الحدة والمنازعة يجب ألا يجاوبه بمثل كلامه بل ان يصمت  
وان تكلم فليكن كلامه رزيناً ومشعراً بالشفقة  
على غباوة المروثوس والرافة به

لانا اذا كنّا نعدّ مخاصمة المروثوسين بعضهم مع بعض خفةً وجنوناً فما  
عسانا نقول في رئيس يتزل قبالة مروثوسه للمكائدة والمنازعة ؟ فان ذلك بما

يخضع شأنه ويضعف سلطانه . وقد وخب القديس غريغوريوس البابا توبيخاً  
مرّاً أو تلك الرؤساء الذين يماحكون وينازعون مروثوسيم مشافهةً قال « يظن  
مثل هؤلاء الرؤساء انهم عندما ينازعون مروثوسيم هذه المنازعة يظهرون قوة  
سلطانهم وحكمتهم لانهم يبدون هذه الاعمال امام الملائقين الذين يصوبون  
عملهم ولا يدرون هداهم الله انهم بذلك يشبهون الخيول غير المروضة كما اشار  
الحكيم الى ذلك اذ قال : « لا تجاوب الجاهل على سفهه لئلا تكون انت نظيره »  
( امثال ٢٦ ك ٢٣ في الادبيات ف ١٠ )

فاذا اخذ المروثوس يبري نفسه امامك واخذت الحدة منه بعض المأخذ فلا  
تكبح حدته بحدة ولا ترفض مقالة بل استمع له بهدوء بال واعلم ان في  
السمع والاصغاء للمروثوسين حذاقة كبيرة تسكن روعهم وتصلح عيوبهم . لان  
من تصغي لسماعه لا يفصل عنك الا مسروراً فتكون بسماعك له قد احسنت  
اليه احساناً كبيراً . فدعه اذا يتشكى ويتعلل ولو كانت علله فارغة لانه بذلك  
يفرغ ما في صدره من المرارة والسهم وهذا لعمرى كاعداً تخرج من قلبه وتغادره  
هادئاً مطمئناً . اما بعد هذا الثوران والانفجار فالزم انت الهدوء والسكينة ولا  
تبدل له الا الرقة وكرم الاخلاق وبذلك تربحه وتستولي على قلبه وهو لا يدري  
ثم ألا ترى ان القلب المضغوط له ان ينفث شيئاً من سم الحدة ولا جناح  
عليه لان الفضيلة لا تلاشي الطبيعة بالكلية بل تكملها . فلو سمعنا ايوب البار  
يلعن يوم مولده اسددنا اذاننا ونسبنا كلامه هذا الى التجديف ومع ذلك يشهد  
له الكتاب بانه بار ولم يخطيء بكلامه . او ما عسانا نقول عن سيدنا يسوع  
المسيح تقدست اسماؤه لما قال : « يا أبت ان امكن أجز عني هذه الكأس »  
ولما قال ايضاً من على الصليب « إلهي إلهي لماذا تركتني » فما هذه التأوهات الا  
مفاعيل الطبيعة البشرية ولا جناح عليها .

وقد يتفق احياناً للمروثوس في وقت الضغط والشدة ان يحمله الغضب على  
عدم الخضوع واظهار شيء من العصيان اما بكلام قاس او باصرار على السكوت  
بعناد وتصلب . اما انت فعامله اذ ذاك بالرفق واللين ولا سيما اذا كان من ذوي  
الفضل والاعتبار فلا تلح عليه بل افسح له ليراجع فكره ويسكن بلباله اما



لو اتصل المروثوس الى اظهار شيء من الوقاحة بصوته او حركاته فعلى الرئيس حينئذ ان يلوي عنه الى ان يكون هدأً باله لانك لو ازدجرت بكلام مهين او فرضت عليه عقوبات مرة حين ثورته فانك عوضاً عن ترويض اخلاقه تريده غضباً وحنقاً ولا تراه بعد ذلك الا عبوساً كالح الوجه ويغتم كل فرصة ليرد عليك اجوبة مرة وفظة ويظهر لك قلة الاحترام وعدم الاعتبار بروح رديئة فاسدة وهذه دلائل واضحة على حقته واصرارته على المكابرة وعدم الخضوع ونقول ايضاً انه لو فرضنا ان مروثوسك شتمك امام الجمهور علانية فعليك مع ذلك الا تبدي امارات الغضب والحنق بل اربن الجميع انك متسام بفضيلة الصبر وضبط الهوى بقدر ما انت متسام برفعة المقام والشرف

فقد يسوغ لمعلمي الاحداث ان يضاعفوا العقوبة للاولاد اذا ما اظهروا العناد ولم يسمعوا . اما الرئيس فان ما يرفع شأنه في مثل هذه الظروف ليس الحدة والغضب بل الترفع عن ذلك والصفح بكرم الاخلاق عما ابداه المروثوس من الغباوة والحقاكة . ولو ساغ تنبيه المروثوس على ما اتى به فلا يكن في الحال بل بعد مدة عندما يكون قد صحا من سكرة طيشه . ولا تفرض عليه اذ ذاك شيئاً من العقوبة بل اصفح عن اهانتته اياك صفحاً مطلقاً او لا تفرض عليه الا عقوبات خفيفة ليرى هو والجميع انك غير ناغم منه أخذاً بثأر نفسك او شفاءً لقلبك

الا ترى ما يقول داود النبي عن السيد المسيح « اني احفظ في ملجأ ما دام المنافق امامي » ( مز ٣٨ ) ومتى البشير عندما يخبر عن الاهانات التي اُحقت بالسيد المسيح له المجد يقول « انه كان صامتاً ولم يفه بكلمة » والوثنيون انفسهم قد اعطوا مثلاً لهذه الشهامة وكبر النفس فقد جاء عن الملك قيصر ان احد الخطباء المدعو كانون عابه في المجلس على مسمع الجمهور وعيره بانه رجل سكتير فلم يجبه بكلمة . وان هيلفيوس مانيا وثب بومبايوس القائد الروماني على انه قتل كثيرين اما بومبايوس مع انه كان في اوج الغز وقوة السلطان فلم يثار لنفسه ولم يجبه بكلمة . وجاء ايضاً عن فيلبس المكدوني انه بعد ان حكم على احدى النساء بالقتل استغاثت المرأة في وسط للمجلس من حكم فيلبس السكران عند المساء بحكمه وهو صائم وصاح في الصباح فلما سمع الملك ذلك تبسم ضاحكاً

وامر باطلاق سبيلها

ومن النصائح الاثني عشرة التي اعطاها للروساء بالتأازار القارس قوله « اذا وجدت مروثوسك غضباناً ومعانداً فسكن انت روعك وافكر بانه اخوك وابن الله وعضو من اعضاء السيد المسيح ولكنه في الحال مضطرب بقوة ابليس وانك انت غير معصوم من سقطات كهذه في بعض الاحيان . ولا تدع هذه النفس تهلك بذنبك وقد مات المسيح لكي يخلصها . واعلم انك بقلة صبرك تهلكها وبجملتك وطول اناتك تخلصها » ( كتاب حياته ف ٣ )

وقال الاب اكواقيفا « لو دمدَمَ مروثوسك عليك وشكا من معاملتك له وقد عرفت ذلك من رجل ثقة فلا تحزن ولا تضطرب بل تصام ولا تقل امام احدٍ ان هذا الراهب غير محتمل او انه يستحق التأديب او ان انساناً كهذا لا تتحمله الرهبانية بل ينبغي ان تقول بكل اناة ودعة انه ليسوءني ان ارى هذا الراهب مزعجاً واني لباذل قصارى الجهد لكي اريحه ويهمني جداً ان ازيل من عقله الظنون الباطلة والالوهام التي لا داعي لها . فانه لا يتكلم مثل هذا الكلام الا عن غيظٍ وحنق والذي يزيدني حزناً وغماً ان اعمالاً كهذه لا تخلو من العثار وتستوجب العقاب وانا لا اريد ان ازيدة همّاً فليس لنا الا الدعاء لاجله لعل الله يوحى اليه الصبر والى الحكمة لكي نرى كيف نتلافى امره . فيا ليت العناية تساعدني على شفائه بدون اضطراب الى عقابه وزيادة حزنه . والنصيحة الثانية هي ان الرئيس ولو اجلأته الضرورة الى التوبيخ والتأديب يجب مع ذلك الا يظهر شيئاً من الغضاظة والغضب والاضطراب بل فلتبدُ على عياه الرزانة الايوية والرافة مع اللطف والحزم وهذا ما يجعله مهيباً ومحبوباً معاً

عدد ٥

في انه اذا رأى الرئيس في نفسه انه قد اخطأ ضد المحبة او ضد العدل يلزمه الرجوع عن خطاه من دون خجل ولا تأخير ولكن بفطنة ورزانة

قال القديس غريغوريوس انه يصعب على الراعي ان لا يتجاوز احياناً حدوداً

الفطنة في امر التأديب اذ يقول او يفعل شيئاً لا يقع في محله ونخص بالذكر التوبيخ لاننا فيه نتجاوز غالباً حدود الاعتدال . ومما لا ريب فيه ان الرئيس اذا بلغت به الحدة الى حد الافراط في المساواة التي مروثوسه المذنب في اليأس والقنوط . ومن ثم حالما يشعر بانه ارتكب هذا الشطط ولو عن غفلة وغير تعمد عليه ان يسرع في الرجوع عن شططه ويطلب الى الله المسامحة بدموع سخينة عن ذنب قد اقترفه ولو بداعي الغيرة وفرط المحبة لحفظ النظام . وهذه هي المشورة التي اعطاناها الرب بقوله لموسى « اذا دخل الرجل مع صاحبه غابةً ليقطع حطباً فضرب بالقأس ليقطع الحطب فانفلت الحديد من العود فاصاب صاحبه فمات فهذا يهرب الى واحدة من هذه المدن فيجى . كيلا يسعى ولي الدم في طلب القاتل ويدركه بعد الطريق ويقتله وليس عليه حكم قتل اذ لم يكن مبغضاً له من امس فما قبل » (تثنية ١٩)

وكاننا نذهب الى الغابة كل مرة اردنا الاطلاع على نقائص مروثوسنا ونقطع الحطب بضير سليم عندما نريد ان نقطع للمروثوس اسباب الخطية ولكن قد تقع القأس من يدنا حينما تشتعل فينا نار الغيرة بافراط وقد يفلت الحديد من الهراوة لو افرطنا في توبيخ المجرم ومعاقبته . ولذلك يكون المروثوس قد قُتل بكلامنا المرّ وتوبيخنا المؤلم لانه اذا لم يرَ من وراء التوبيخ لاجباً ولا انعطافاً نحوه فقد تصور بنا البغض وراح يبطنه لنا ومن ثم يتحتم على من ضرب اخاه هكذا وقتله بمجاوزته حدود المحبة الاخوية ولو على غير تعمد ان يلجأ الى احدى المدن الثلاث فينجو من القتل وهذه المدن هي الايمان والرجاء والمحبة ولها وحدها ان تنقذنا من موت الخطية وبعد ذلك لو صادف احد اقارب المقتول وهو لاجىء الى احدى هذه المدن لا يقتله بل يوق له ويصفح عنه اعني ان سيدنا يسوع المسيح المعامي عن اخوته الصغار لا يقدر ان ينتقم من الرئيس المجرم اذا ما وجده لانذاراً بالتوبة الصادقة بايمان ورجاء ومحبة » (الراعي ق ٢ ف ٩)

اليك هذا المبدأ « لا تصير من خطية واحدة خطيتين » وقد اضاف اليه غراسيانوس قوله « ان كثيرين من جراء محاماتهم عن ذنب واحد يقتفون ذنباً اقلع او ذنباً عديدة » والكردينال مردوث لم يكن يعتد كاحق من ارتكب

ذنباً بل من كان بعد ارتكابه الذنب لا يعرف كيف يكفر عنه وان المحاماة عن دعوى باطلة لاشد بطلاً من الدعوى نفسها . لا شك بأنه يشق على الرئيس ان يرى احداً يحمي عن المذنب ومع ذلك فقد يلزمه ان يسمع ويعتبر الملاحظات التي يعطيه اياها بعض الرهبان الشيخ او الفضلاء . على بعض المذنبين كما لو قال له احد الشيخ مثلاً : ان هذا الذنب من هذا الاخ ما كان ليستوجب كل التوبيخ والعقاب الذي اتولته به لان طباع هذا الاخ او سنه او سوابقه توجب له شيئاً من الرفق والملاطفة . ولكن لو كان التوبيخ المرء او العقاب الشديد لم تكن له مسحة الاهانة او الاحتقار للراهب المذنب او لم يكن صادراً عن شدة غضب او احتدام مفرط بل عن غيرة حقيقية على خيره واصلاحه فلا يناسب ان نحمل الرئيس على طلب المغفرة له لان القديس اغوستينوس في معرض كلامه بهذا الصدد لا يوجب طلب المغفرة على الرئيس الا اذا كان توبيخه قد صدر عن غير روية وفي حال اضطرام نيران الغضب حتى انه سبب للمجرم اهانة حقيقية لا يتحملها الا القليلون المتفردون بشهامة الفضيلة . وعند ذلك لا ينبغي ان يتصور الرئيس انه يطلب المغفرة او بترضية مروؤوسه يخفض شأن السلطة او شرفه الخاص كلا بل هو يأتي عملاً عادلاً يبرهن على حكمته وشهامة فضيلته ولذلك لا يجدر به ان يطلب المغفرة او يؤدي لمروؤوسه الترضية بتدلل ويصغر نفس بل بنوع شريف يدل على الشهامة في الفضيلة وكبر في المروءة يحمل الراهب المذنب على الخضوع والتوبة لا على التمرد والعصيان

وعلى هذا المبدأ نقول انه اذا اتفق للرئيس الاصغر ان فرض قصاصاً يفوق الذنب فعلى الرئيس الاكبر ان يحققه مع العناية بالأذى بالسلطان الذي هو واحد في الرئيس الاكبر والاصغر . ولذلك نرى في كل الرهبانيات ان الرئيس العام يحفظ لنفسه فرض العقوبات الثقيلة او انه يحظر فرضها بغير علمه



### المقالة الثالثة

في ان المحبة تُلهم الرقة واللف في ممارسة كل عمل

عد ١

على الرئيس ان يسعى بطرق مختلفة ذات لين ولف لكي ينتصر  
على مكابرة مروثوسه ويخفف اشجانه

اننا نرى الطبيب الماهر قبل قيامه بعملية موجهة يأخذ يلمس بلين ورفق  
الاعضاء السليمة التي حول العضو المريض ويرشق هذا بقاء فاتر لتليينه وتخفيف  
المه . وهذا ما ينبغي للرئيس ان يعمل . قال القديس يوحنا فم الذهب « تريد  
حقاً اصلاح اخيك ؟ نَح اولاً واسأل الله من صميم الفؤاد ان يوتي معرفه ذنبه  
ثم بين له عن محبتك له واخلصك وبعد ذلك أبْن له شيئاً مما هو عليه من سوء  
الحال وانك لم تقدم على هذا البيان الا حياً بخيره وانك لا تقصد بذلك فضيخته  
او اهانتة ولكنك كصديق مخلص تريد ان تنبهه على هفواته ليحذرهما . واذا  
اوجب الامر فلا تأنف من ان ترمي على اقدامه وتستحلفه بان يرعوي عن غير  
وهكذا يفعل الطبيب المحب عند وجوب شفاء الجسد ولا سيما اذا كان المريض  
يأبى اخذ العلاج او الخضوع لعملية موجهة اه (موعظة ٣ لقب انطاكية )

ومن كلام هذا القديس مديحه لمحبة بولس الرسول اذ يقول ما فحواه كما  
ان الاب الذي يرى ابنه المريض يأبى اخذ الدواء ويدفعه عنه يقيم بجانبه ويأخذ  
يتملقه ويسترضيه ويعتنقه ويضمه الى صدره ويقبده ويعده بان يعطيه كل ما  
يرغب فيه بشرط ان يأخذ الدواء ليشفى من مرضه هكذا الرسول بولس فانه  
يعتق جميع المسيحيين ويضمهم الى صدره كأنهم ولدٌ واحد وحيد واذا رأى  
انهم بعد سقوطهم في الخطية وتدنسهم باوساخها يأبون قبول النصائح والعلاجات  
الشافية لأوصابهم فانه يهب لارشادهم ويكي وينوح على سوء حظهم ولا

ينفك عن التوسل والابتهاال اليهم حتى يرى انهم غلبوا بقوة محبته ودموعه  
السخينة ورضخوا لما يريد ان يعطيهم اياه من الادوية الفعالة لشفاء امراضهم  
الروحية وارجاعهم الى الصحة التامة التي فقدوها

وقد قال القديس غريغوريوس في مدحه محبة هذا الرسول العجيب « ان  
المحبة جعلته يقول « من كان منكم مريضاً ولم امض انا ومن وقع في  
عثار ولم احترق انا » من نار الغيرة عليه اه

ويقول ايضاً في محل آخر « مع اليهودي صرت يهودياً » لا كانه اضاع الايمان  
القدس بل كانه يضع ذاته في مركزهم ليستطيع ان يعاملهم بكل شفقة ورأفة  
كما يود ان يعامل هو من الآخرين لو كان في حالة اليهود مقصياً عنه الايمان ومعدماً  
ادعائاته » ( الراعي ق ٢ ف ٤ )

والقديس برزدوس في خطابه ٢٣ على نشيد الاناشيد يقول للروساء اجتهدوا  
بان تكونوا محبوبين من مروثوسيكم لا مخوفين واذا الجأت الضرورة الى معاملتهم  
بشيء من القسوة فلتكن قسوتكم قسوة اب لا قسوة ظالم منتقم . كونوا  
كالوالدة في تلميقاتها وكالاب في توبيخاته وانبذوا عنكم الجفاء والغضب . ابعدوا  
عصا الانتقام واطهروا ثدي المحبة وليكن صدركم ملائناً من لبن الرضاء لا  
متنفخاً من ورم الصلف والعجرفة اه . وقال في محل آخر « ان المحبة والدة حنونة  
تعرف ان تتلمق الصغار وتشدد الكبار في العمل . فحيناً تونب العتيدين وصعاب  
الاراس فتعطي كلاً ما يستحقه وتعنتق الجميع بحب والدي . فهي لينة في توبيخها  
ومخلصة في تلميقاتها وحنونة في قسوتها وسليمة النية في تقبيلاتها وصبورة في حزنها  
ووضيعة في غيظها واضطرابها اه ( رسالة ٢ )

وقال الانبا روبرتوس « ان المحبة تقسو وتتملق ولكنها تتملق اولاً ثم  
تقسو على من لم ينجع فيهم الملق . وهذا هو النظام الذي مشى عليه السيد المسيح  
فانه اتى العالم اولاً مملواً رحمة ورأفة وسوف يأتي ثانياً منعماً عدلاً وقسطاً  
غير ان الرحمة هي التي فتحت باب محبته الينا اه ( حياة القديس باخوميوس )

في بعض امثلة على رقة الروساء ولطفهم

جاء عن القديس فرنسيس يورجيا انه ما كان يظهر للذنوب من الكره والنفور بقدر ما كان يظهر للذنوب من الرقة واللطف . وانه من جملة الوسائط التي كان يستعملها لاقلاع الذنوب عن ذنبه هو ان يظهر له اعتباراً حقيقياً وثقة خصوصية بفضيلته . فكان يقول له « اني متأكد ان الله لم يسمح بذنبك هذا الا جزاء لخطاياي وبما اني انا مذنب مثلك بهذه الخطية فمس العدل ان احمل معك وزرها واساعدك على التكفير عنها . فانا اعلم اعمال التوبة الفلانية وانظر انت في ما تريد ان تعمل »

والقديس يوحنا الرحوم اذ سمع يوماً احد اقاربه يشكو من اهانة حدثت له قال له « لا احتمل ان يهان ذو قرابتي فانا مستعد ان اشاركك باشد العقوبات من هذا الشخص الذي ألحق بك الاهانة . ولكن لما رأى ان قد هدأ فوراً غضب نسيه قال له « الان اقول لك الحقيقة انك اذا شئت ان اعرفك من ذوي نسي وقرابتي عليك ان تغفر لمن اساء اليك وان لا تعود فتفكر في هذه الاهانة ابداً وجاء عن القديس توما فيلانوف انه كان بين كهنة ديوانه واحد مذموم السيرة جداً وقد كلفه قضاء غرض له لدى الكرسي الرسولي فوعده القديس بذلك غير انه حين ازمع ان يسافر قال له رتب يا ابني احوال ضميرك تنل غرضك وهكذا صار » .

والقديس اغناطيوس اعترف اعترافاً عاماً الى احد الالباء الذي رآه منجبل من ان يعترف له بذنب كان قد اقترفه . وفيما كان يوماً احد الاخوة ماراً بالتراب منه وعلى وجهه امارات الاضطراب والغضب قال له ( يا اخي دومينيك ان الله اولئك قلباً رجباً ووديعاً فلماذا لا يكون خارجك مثل باطنك ) . وفي مرة اخرى فاه امامه احد الرهبان بكلمة غير لائقة فلم يشاء ان يعترضه في الحال بكلمة بل اظهر له ببعض حركات وجهه انه غير راضٍ عن ذلك وهذا كان كافياً لانتباه الاخ واصلاح حاله وقد أكد لنا واحد من كتبة حياة هذا القديس انه لم يوجد

بين جميع الرهبان الذين ومنجهم وعاقبهم من اغتاض منه بل كان كل منهم يغتاض من نفسه لان القديس كان يبين له جسامته جرمه لا بزخرفة الكلام وتنسيقه بل بمقتضى واقع الحال وكان يدع له ان يختار لنفسه العقاب الذي يراه متوجباً لذنبه وهو قدس الله روحه كان في غالب الاوقات يحفض من العقاب الذي يكون قد فرضه المجرم على نفسه

ولنسيوس في تأليفه المعنون ( شروط حسن السياسة ) لم يشاء ان يفرض على المذنب عقاباً في المساء وقت العشاء لئلا يزعجه ذلك فلا يدعه يرقد براحة بال . ولا اراد ان يفرضه عليه في الليلة التي يستعد فيها للتناول لئلا يفقد السلى وبهجة القلب التي يكون عليها من يحسنون الاستعداد لتناول السر العظيم . وهكذا ينبغي ان لا يوبخ الاخ الطباخ وهو يعد للاخوة طعامهم ولا المعلم وهو يستعد لاعطاء الامثلة ولا الراعظ وهو مزعج ان يصعد منبر الخطابة او يتأهب لبعض الاحتفالات الكنسية . وهكذا لو كان الاخ شاعراً بمرض ولو خفيفاً فلا توتبه على ذنبه ولا تعاقبه به لئلا تريد على الله ألماً جديداً وربما اوقعته في مرض شديد واما اذا لاحظت انه مثقل باحزان داخلية كتجربة او قلق ضمير فيتحتم عليك ان تبادره ببارق الكلام والطفه لتغريه وتحفف اشجانه

طوبى للروساء الذين يلاهم الرب من روحه فيضحون كاقديسين يتهددون طويلاً لكيلا يعاقبوا ويفتحون لروثوسهم قلوبهم كي يفتح لهم هو ايضاً قلبه ويبدون له الاعتبار لكي يضع فيهم ثقته وامانيه ويفتخرون به ليفتخر هو بهم ويفرحون بنجاحه ليزيدوه نجاحاً واذا مست الحاجة الى ان يوبخوه فانهم يجدون سبيلاً لمديحه من وجه اخر فيثنون على نشاطه ويكافئون نجاحه ويمنحونه بعض الانعامات . فتراهم حيناً يعذرونه على زلته فينسبون لها للجهل او عدم الروية او لضعف الطبيعة او للغفلة واذا نسبوا الوم الى الفعل يمدحون النية ويعترفون بانهم هم ايضاً سقطوا مرات عديدة في مثل هذه الزلة ولا يأمنون عدم سقوطهم فيها في المستقبل ولا يرون الكمال في عدم السقوط بل في سرعة النهوض منه سواء كان ذلك النهوض بقوة فضيلتهم او بواسطة من يساعدهم على ذلك بارشاداته ونصائحه . وتارة تراه يستعملون كلام التمليق لكي يستميلوا القلوب النافرة



والمشاهدة فيقولون للمجرم : « بالحققة ان الجرم كبير ولكن الضمير نقي والطبع  
لين سهل والفضيلة ثابتة راهنة وانهم يثقون بحسن المستقبل لان الماضي كان دائماً  
حسناً وان رجوعه الى سواء السبيل لا يقتضي الا بعض خطوات من قهر الذات  
وكبح الارادة وانه يجرم جرماً اعظم لو تأخر عن اصلاح ما فرط منه مع كل ما  
اعطاه الله من المزايا الصالحة والمناقب السامية » .

## الباب الثاني .

في كيف يمكن ان يفوز الرئيس بهذه المحبة  
وكيف يحافظ عليها

ان الفوز بهذه المحبة والمحافظة عليها يكونان اولاً في ان يعرف الرئيس  
ولا ينسى انه ضعيف . وثانياً في ان يحافظ على السلام الباطني . وثالثاً  
في ان يتعلم في الله نفسه صناعة التأديب

## المقالة الاولى

في ان الرئيس يتوصل الى الفوز بالمحبة والى حفظها اذ عرف ولم ينس  
انه ضعيف مثل سائر الرهبان

عد ١

في ان الرئيس يتحتم عليه ان يقول في نفسه : هل من زلة ارتكبتها الغير  
ولم ارتكبتها انا او لا يمكن ان ارتكبتها فيما بعد

فهذا ما علمناه الرسول بقوله « تبصر انت لنفسك لتلا تجرب انت ايضاً انه  
(غلاطية ٦) تبصر فيما مضى وقل اما عملت شيئاً في الماضي يشبه زلة هذا الاخ .

وفي الحال أما انا على شيء من ذلك . وفي المستقبل هل انا معصوم من السقوط . ولا سيما لو وجدت بمثل الظروف التي وجد فيها هذا الاخ . فالرئيس العاقل جدير بان يتصور السيد المسيح مخاطبة بما خاطب به بنات اورشليم « ابكين على ذواتكن » او كما خاطب الذين شكوا له الامراة الزانية « فمن كان منكم بغير خطيئة فليبدأ بان يرحمها بحجر » قال القديس اغوستينوس في تفسير ذلك : « ان شئت ان يعاملك الناس بالرحمة عاملهم انت كذلك » (عن الزانية ف ١٤) وقال في موضع آخر تحمل لانك لهذا ولدت وتحمل ايضا لانك محتاج الى ان يحملك الناس . فان كنت دائما في البر ولم تسقط فاشفق على الضعفاء وكن رحوماً واذا كنت قد سقطت فلا يبرح من بالك سقوطك . ومع ذلك من هو الذي لم يسقط قط » وقد كتب هذا العلامة الى الاسقف او كسيلوس قال « ونحن لم نزل جسراً معرضين للسقوط في فخاخ العدو لان الاسقفية لم تغير فينا الطبيعة البشرية » (رسالة ٢٥٠) فهل يليق بنا ان نكون قساة ومتعجرفين كأن رتبنا جعلتنا معصومين من الخطاء والزلل

وقال القديس اغناطيوس الشهيد للقديس بوليكر بوس ان شئت ان تكون جندياً كاملاً للسيد المسيح فاحتمل ضعف الجميع كما احتمله هو نفسه وقد كتب عنه الرسول انه قد احتمل ضعفنا اه ومن المعلوم ان الاجر على قدر التعب فان لم تحب ان تعاشر الا الانام المتساوين بالركة واللطف فما عساه يكون اجره . فانا اريد منك واتمنى لك ان تقوى على ترويض شر الطباع واشدها شراسة وعصياناً . والاب فيلانوفا اليسوعي كان يبكت نفسه بهذا الكلام « فيلانوفا احتمل في الآخرين ما تريد ان يحتملوا هم فيك » وان شئت ان تضمد جراح اخيك فلا تغفل عن النظر الى جراحك الخاصة لان النظر الى ضعفك وشقائك يجعلك وديعاً وصبوراً وشفيقاً ومحباً اه .

وكان احد اباء البرية من عاداته ان يقول عندما يرى احداً سقط في زلة : ان هذا سقط اليوم اما انا فربما اسقط غداً اه . وايوب البار كان يقول لاصحابه الذين عتوه « الى متى تعنون نفسي وتقطروني باقوالكم ولما ترهقوني مثل الله » (١٩) وقد فسر هذا الكلام القديس غريغوريوس قال « لماذا تعيدوني وتخزوني

كأنكم الله اي معصومون عن الزلل ولا تصيكم مصيبة»  
وقال المعلم جرسون (( لو كان المونب بهذا العتو ملكاً سماوياً لكان ذلك  
محملاً منه وامأهو انسان خاطيء فتأنيبه هذا يخالف الانصاف ويجعل المدين ان  
يدينه بالدينونة نفسها التي يدينه بها )) وقال القديس يوحنا فم الذهب ان الله  
جلت حكمته لم يختار لنا الكهنة والعلمين من بين الملائكة الانقياء والمترفعين  
عن الضعف البشري بل من بين البشر المصابين بداء الجهل وشهوات الجسد  
المنحرفة . وانما ذلك ليكون من يتتقد سيرتنا ويؤشديننا سواء السبيل عارفاً  
بضعفنا وجهلنا . ولهذا جعل للمرضى اطباء يعنون بشفائنا والضعفاء يساعدوننا  
والباكين يعزوننا ويمسحون دموعنا

## عدد ٢

في انه يليق بالرئيس ان يعتبر جميع الاخوة افضل منه وان يشكو  
نفسه كأنه هو علة كل زلة من زلاتهم

قال صاحب الاقتداء : « اذا رأيت اخاك يقترف علانية ذنباً ولو كبيراً فلا  
تعد نفسك مع ذلك خيراً منه لانك لا تعلم كم من الزمان تثبت انت في الفضيلة  
ولا تسقط . فاننا باجمعنا ضعفاء ولكن انت احسب نفسك اضعف الجميع »  
(ك ١ ف ٢)

وسيدنا له المجد قد تنازل وعلم القديسة مريم المجدلية التي من باتري  
كيف تسير بهذا المعنى فقال لها : « لا تقيدي امامك هفوة ولا تبكيتي احداً على  
زلة قبل ان تعتري انك اقل كالأمن الجميع اه ولنسمع ما قاله القديس  
غريغوريوس في هذا الصدد : ان الرئيس الذي يقسو على مروضيه توجب عليه  
فضيلة التواضع ان يعرف انه واياهم من طينة واحدة وان كانت العناية قلده  
سياستهم واولته معاقبتهم . بل يجب عليه ان يتصور الجميع خيراً منه لاننا نحن  
مشر الروساء نستعمل حرف الثريعة بكل صرامة لاجراء العقاب على كل من  
يجرم وليس لاحد ان يسألنا عما نفعل او يلومنا على شيء . ولذلك سوف نوذي الله  
حساباً ادق لاننا نعمل كل اعمالنا من دون سؤال ولا محاسبة . اما المروثوسون

فيكفرون عن ذنوبهم بما نالهم من التنديد والعقاب وكلما زدنا قساوة عليهم ازدادوا هم برًا ونقاوة امام الله ولذلك يتحتم علينا ان نخجل نفوسنا ونذلتها كل مرة استعملنا بحق مروثوسنا حرف الشريعة بصرامة وتدقيق . اهـ ( الراعي ق ٢ ف ٥ )

وكل يعلم من الاختبار اليومي انه كلما تقدم الانسان بالفضيلة ازداد دعةً وشفقة على اخوته ومن ثم يمكننا ان نحكم حكم جزم بانه كلما كان الرئيس قاسياً كانت فضيلته ضعيفةً وغير راسخة . فقد قال العلامة فينيلون : ان الكامل يحتمل نقص الاخرين . ومحبة الذات بقدر ما تكون قوّة في الانسان تكون صارمة باللوم والتنديد على القريب وليس احد ينفر ويتأذى من شائبة محبة الذات مثل المحبين لذواتهم والمعجبين بانفسهم لان الاهواء المنحرفة لا تظهر لاحد جديدة بالهزء والامتهان وغير محتملة كما تظهر لمن هم مصابون بها

وبعكس ذلك محبة الله فهي مفعمة من اللطف والدعة والرفق لانها توافق الجميع وتكون كلاً للكل وتنتظر بصبر متأنية وهكذا كلما تجرد الانسان من حب الذات استطاع ان يحتمل نقائص محبي ذواتهم وتمكن من ان يعاملهم بالرفق والالانة الى ان يتخلصوا من هذا الرذيلة الموبقة ( مکتوب ١١٦ )

وما عدا الاعتبارات المقدم ذكرها من انه ينبغي للرئيس ان يوجه انظاره الى نقائصه الخاصة وان ينسب لذاته نقائص الاخوة وعدم نجوع التأديب فيهم يجب ايضاً ان يحسن النظر في عنايته بكماله الخاص وفي هل هو مفرغ معظم الجهد في اكتساب روح التقوى والاتحاد مع الله لكي يكون مثلاً للاخوة وتكون الفطنة مصاحبة كل عمل من اعماله . ولينظر اذا كان هو نفسه غير مدقق بحفظ القوانين ايتها كانت او اذا كانت له رغبة في التأتمر ويستصعب الخضوع للروساء الكبار او اذا كان محباً للتظاهر والمجد الفارغ باذلاً معظم عنايته في الاعمال الخارجية . واذا كانت هذه الحال حاله فكم يضيع من الزمان وكم يكون متوانياً في حق مهمته وكم تكون افكاره مبددة وعقله وحسه الروحي مشتغلين بما ليس لله وحينئذ تحمد حرارة التقوى ويفقد روح التواضع ويسهر عن بآله ان يصلي لاجل مروثوسيه وان يقدم عنهم اماتات خصوصية . هذا وربما كان في تأديبه المذنب



يسمع لصوت الطبيعة التي تحب العظمة والانتقام أكثر من سماعه لصوت النعمة فيفرض العقاب بحركة الغضب والهوى البشري وروح النكاية . فيستعمل كلاماً جارحاً ومهيناً ويبالغ في تجسيم الزلة فارضاً عليها عقوبات قاسية . ومهيناً أحياناً كثيرة من يكون قد عمل كل ما يوسع ليكفر عنها ويكتسب رضا .

ان القديسة شانتال كتبت لاحدى رئيسات رهبانيتها بهذا الشأن قالت : « ضاعفي عنايتك من يوم الى يوم كي لا يكون تأديبك للاخوات قاسياً او مرأ لان هذا غير لائق ولا يفيد البتة . فان الرؤساء بهذا العصر لا يمكنهم ان يقولوا مثل القديس بولس : انا بريء من دمك اعني انا بريء من المآثم التي يرتكبها هذا الشعب . لاننا نحن مثقلون بخطايانا الخاصة وبخطايا اجنبية هي خطايا مروثوسينما وهذا انما يكون امأ من عدم سوأنا او من شدة الصرامة في سوأنا لاننا اما نهمل التأديب كلياً واما نعمل به ولا نخرجه بشيء من حلاوة المحبة المقدسة » والقديس برنردوس كان يقول : باطلاً يقولون لي ويؤكدون اني عملت مع هذا الراهب المخل في واجباته كل ما امكن عمله واني بذلت له النصيح الخالص مع كل علامات الحب المؤثرة في القلب واني حضضته بكل الحجج القاطعة واني بارشادي ونصحي له ابديت كل فطنة وكل ملاطفة واني لم انس ولم اهمل شيئاً مما كان يمكنه ان يحملة على تسميم واجباته . لاني ما دمت ارى ان العمل الذي انا ملتزم اتمامه لم يتم بعد كما هو متوجب لا ادري كيف يهدأ بالي او يستريح ضميري موقناً اني عملت ما يجب علي » ( عظة ١٢ على سفر النشيد )

ولعمري ان الطبيب الصالح والحكيم اذا مات عليه نسب ذلك لتقصيره ولو كان قد افرغ كنانة جدّه وجهده . فانه يتصور اما انه لم يعطه كل العلاجات المقتضاة او انه لم يعطه اياًها في حينها او انه اعطاه شيئاً مضرأ او او . . . وهكذا الوالدة الحزينة اذا توفي ولدها ترى انها قصرت بمعالجته او في خدمته مع انها تكون بذلت غاية المقدرة والسهر . ولماذا لا تكون حاسات الرئيس كذلك اذا رأى مروثوسه مصرأ على غيه ولا يريد ان يرجع الى اتمام واجباته . وانما كان ذلك لانه غير متصف بصفات الوالدة ولا بصفات الطبيب الصالح .

واذ تقرر وثبت ان الرؤساء هم بشر ضعفاء مثل مروثوسيهم وان القاسين

منهم ليسوا عادة الا اكثر فضلاً او فضيلة بل انهم في الغالب هم سبب زلات المروثوسين وسبب عدم النجاح في تأديبهم ونصحهم . فماذا تكون النتيجة وما العمل هل ان نغضي عن الزلات ونوافق بلسان حالنا على هدم النظام والقانون ؟ كلاً ولكن يترتب علينا ان نصلح بروح المحبة والدعة وان نجتمع بين الحزم والرافة متخذين مبدأ احد الاباء القديسين القائل : « اصفح كأنك محتاج كل يوم الى ان يُصفح عنك وتجنب كل هفوة كأنك لا تصفح عن هفوة ابدًا بل تعاقب عن كل زلة بكل صرامة واخيراً كن بلا رحمة ولا شفقة على ذاتك . اما على الآخرين فكن مملوءاً رافّةً وحناناً » . اهـ

فهذا الشرط لا غير يرى القديس توما انه يسوغ للخاطي ان يوجب خاطياً مثله . لان الرئيس اذ ذاك ولو كان اشد خطاء من مروثوسه فان نظره الى ضعفه وشقاه لا يدع الغباوة تستولي على افكاره وتعمي عقله بل يحركه الى الرافّة والشفقة . لانه يقول : « لا شيء . يعتقنا من عبودية روح البغض ويوليننا روح المحبة والركة مثل النظر الى ضعفنا وشقائنا » ( ٢٠٢ سوال ٣٣ ف ٥ ) واخيراً اقول ان روح الدعة والرافة هو روح الانسانية الذي لا يسوغ لاحد ان يتعري منه

## المقالة الثانية

في ان الرئيس يمكنه ان يحصل على المحبة ويحفظها لو حافظ على سلامة النفس محافظةً كاملة

### عدد ١

في ان اضطراب الرئيس يضر به وبمن يقصد اصلاحه ضرراً بليغاً اذا ونبت اخاك او نهته الى شيء او تعاطيت معه غرضاً ما فكن ساكن الجاش هادياً ومتزهاً عن كل تأثر لان من يعتمد على شفاء جرح القريب لا ينبغي

ان تكون اصابه مجروحة والّا فلا يتيسر له اجراء العملية . هكذا انت احذر من ان تعالج جرح اخيك وانت مجروح . قال القديس يوحنا فم الذهب : « الا ترى كيف ان القاضي عندما يريد ان يبت حكماً يجلس على كرسيه ويتشج بثوبه الرسمي فهكذا عليك ان تعمل عندما تريد ان تحكم على اخيك بالعقاب او الذنب فاجلس على كرسي السكينة والسلام واتشج بثوب الرفق والرحمة » (عظة ٢٦) ومن القواعد العمومية التي يعطيها ارباب هذا الفن هي ان الرئيس اذا لم يَرَ ذاته حاصلًا على السكينة وهدو البال فالاجدر به ان يؤجل توبيخ مروثوسه الى وقت انسب ولا يصعب مثل هذا التأجيل ولا يكون الا مفيداً . والاب كلوديوس اكواثيكا يؤيد هذا المبدأ بقوله : « ان المروثوس لا ينجع فيه التوبيخ الا بامرین ضروريين وهما : اولاً اعتباره رئيسه اعتباراً باطنياً واعتقاده به الفضيلة الحقيقية . وثانياً اعتقاده ان لا شيء حمله على تأديبه سوى روح المحبة . والحال ان اضطراب الرئيس وحركة الغضب على محياه يزعان من المروثوس هذين الاعتبارين ويبينان له ان الرئيس لا يقصد في توبيخه سوى العدوان والانتقام اه (رسالة الى الروساء)

ان الفيلسوف افلاطون يحظر على كل رئيس شرب الخمر اثلاً تصعد حمياها في رأسه فتقلق افكاره ويضطرب عقله . ومن امثلة العجم قولهم : « لا تبدِ عملاً في وقت الغضب والّا تكون كمن يلقي بنفسه في البحر وقت هيجانه اه وكان من عادة سقراط ان يقول لعبده : « لولا حركة الغضب في الان لكنت احب تأديبك بما يستحقه عمالك هذا اه

وليس من الصواب ان نطفيء النار بالنار ولا ان نسكن الغضب بالغضب . ولكن كما ان اطفاء النار يكون بالماء هكذا اخماد الغضب يكون بروح السلامة والدعة . واذا مست الحاجة لكي يكون في التأديب شيء من النار فليكن كضوء السراج الذي لا يشتعل الا شيئاً فشيئاً ومع وجود الزيت . وهكذا اذا كان الرئيس ساكن الجاش وصافي الخاطر يكون لكلامه وقع وتأثير في قلوب مروثوسيه لانه اذ ذاك لا يحمل احداً فوق طاقته ولا يتجاوز حد العدالة والاستقامة بل يتروى في كل الظروف مثل طبع الجرم واستعداد المجرم ويعطي

كلّاء دواء يناسبه بروح الدعة والحزم . اما الفكر المضطرب فبمعكس الامر لا يرى كيف يتصرف مع الله ولا مع القريب لانه يغالي في كلامه وافعاله وقلما يقف على حد معقول بل يغالي في كل شي . فيظلم الذنب ويمكّم احكاماً جزافية بغير دليل ولا مسوغ ويشتمّ من مروثوس المجرم ويمتهنه وبذلك يزعم ويمحزن قسماً كبيراً من الجماعة . وعلى هذا المتوال تراه في غالب الاحيان عندما يقصد ان يضمد وخزة ابوة يضرب بالسيف ويخرج جرحاً بليغاً

وكأني بك تقول : « ان لم اظهر شيئاً من الحدة لا يهابني مروثوسي » ولكن ما ذلك الا وهم وضلال لان كل ما تقوله في حال احتدام الغضب ولو كان بغاية الصواب والانصاف ينسبه المروثوس الى انحراف الاميال البشرية . وبالعكس فان ما تقوله في حال السكينة والهدوء يقبله بطيبة نفس ويرى ان لومك له حال محله . وانما جرمه هو الذي حملك على توبيه لا غير . واذا اعترف المذنب بذنبه فان الله يرضى عن دعتك ويفقر ذنوبك

ان بالتأزار القارس في نصائح الروساء يرسم لهم هذه القاعدة وهي « لا توب مروثوسك ابداً وانت في حال الاضطراب مهما بان لك انك مصيب في التوبيب والاضطراب . ولكن انتظر وقت السكينة والراحة لانك بالسكينة لا غير تسكن اضطراب اخيك وتقوى على اصلاح حاله . وهو اذ ذاك يعرف ذنبه ويندب عصاوته وتمرده ويرجع اليك صاغراً مطيعاً . والسبب في انه لا يسوغ ابداً للرئيس ان يوبخ باحتدام هو كون وصايا الرب برومتها مرجعها المحبة ونقاوة القلب والحال ان المحبة ونقاوة القلب لا وجود لهما مع الحدة والاضطراب ( كتاب حياته ف ٢٣ )

والقديس باخوميوس اذ كان متاكداً هذه الحقيقة لحظ ذات يوم انه محرك للغضب حزن وشكى نفسه لله قائلاً « اني لا اصلح لسياسة اخوتي ان لم تساعبني نعمتك وتنقذني من مثل هذه الحركات التي تخرج بي عن الصواب اه



في ان كثرة زلات المروثوسين وجسامتها ليس من شأنها ان تدهش  
الرئيس ولا ان تقلقه

على كل رئيس ان يعتبر ديره بمنزلة مستشفى فلا يندهش لو صادف فيه انواع  
الامراض والاولصاب وما محل الرئيس في جماعته الا محل العظم في الجسم فانه  
يعضد اللحم الضعيف ويقويه . او هو في جماعته على ما قال اشعيا بمكانة الراعي  
في القطيع فعليه ان يحمل على ذراعيه الخراف الصغيرة ويسند الضعيفة والمنهكة  
من التعب

والقديس فرنسيس دي بول كان يقول ان زلات القريب من شأنها ان تحرك  
فينا حاسات الشفقة لا امارات الغضب . ولا ينبغي ان نندهش حتى ولا من  
النقائص التي من شأنها ان تدهش ايأا كان لان من عرف قلب الانسان لا يُدهش  
من شي . ولا يستغرب شيئاً الا نادراً جداً والزلة نفسها ولو كانت جديرة بالبغض  
فهي مع ذلك اجدر منها بالشفقة

والاب مرتينوس غونيارا اليسوعي الذي كان رئيساً في سالمانك يخبر انه اذ  
كان يوماً يشكو الى الرب يسوع نقائص مروثوسيه شاهد في صفحة قلباً صغيراً  
غرقاناً في نقطتين من الماء . وسمع صوتاً يقول له : « انظر قلبك كيف هو  
غرقان في نقطة من الماء » . وبعد ذلك أري قلباً فسيحاً للغاية وسمع هذه  
الكلمات « انظر قلب الله المحاط بالوثنيين والاراطقة وانواع الذنوب المختلفة ولا  
يزعجه من ذلك شي . ولكنه ينظر بطول الاناة ارتداد هولاء الخطاة . واعتبر  
انك حقيق بان تصيغ قلبك على صورة هذا القلب الالهي » وبعد حين يريك  
الله ان مروثوسيك الذين تشتكي من سيرتهم هم من عداد المختارين المعدين  
للسعادة الخالدة

وقد جاء في سيرة القديس اغناطيوس ان تلميذه لينوز الذي كان رجلاً فاضلاً  
جداً وكان يمت ويكره اقل الزلات كان في غالب الاحيان تاخذه حركة الغضب

ويشكو الى القديس معلمه زلات الاخوة باحتدام مفرط . فالقديس ونبه ذات يوم على هذا وقال له « اخش من ان بغضك المفرط لنقائص اخوتك يفضي بك اخيراً الى بغض شخصهم وهذا يضر ضرراً جسيماً في الخير الذي تتوخاه »

وبطرس ليفثر تلميذ القديس اغناطيوس ينبه الروساء على الافكار التي تلقى الشقاق والتزاع بين الاخوة انما هي من الشيطان ويجدر بهم ان يجتهدوا باطفائها بكل سرعة كما يطفئون الافكار الردية المضرّة بفضيلة الطهارة . وكان يقول « لا تذكر زلة اخيك الا وانت ذاكرٌ معها الله الذي يحتملها ويسوع المسيح الذي غسلها بدمه والقرصة التي تناولها بها كي تمارس فضيلة الدعة والصبر وابتديء بالصلاة اليه تعالى قبل ان توبخ اخاك وابذل الجهد بان تتقرب منه ولا تنفر منه او تقصيه عنك . ادنُ منه بلطف وعامله معاملة قلبية خالصة واعلم ان لا شيء يضر باصلاحه مثل ابتعادك عنه »

ثم ان الحزن واليأس من جراء النقائص لها من خصائص الاغراز الحديثين في الرئاسة وذوي الطباع التزقة . فعلى الرئيس ان يعتاد مشاهدة النقائص بدون قلق ولا اضطراب بل فليرمقها بعين الشفقة كما يرمقها الرب والملائكة ولا يكن في كلامه او صوته او هيئة وجهه شيء من الغلظة والقساظة . فليس المروؤوس بنقصك ولا عدوك حتى تبادره بالصياح وباعين مشتعلة من الغيظ والحقن او بهيئة العظمة والتجبر كانك تريد ان تلقى في قلبه الذعر والرعب او كأنه اناء معد لكي تفرغ فيه كل ما في بك من الكآبة والسويداء . فلا تدعه والحالة هذه ان يلحظ فيك شيئاً من عدم الرضا عنه او قلة الاكثارات له او ما يدل على النفور منه او الامتهان والازدراء بل اعتنِ بتهذيب حديثك معه وبسائر حركاتك بنوع انه لا يلاحظ فيك سوى كرم الاخلاق ولين العريكة والغيرة على مصالحه عن خلوص ومحبة . وبهذا لا يبقى سبيل للمروؤوس الى ان يبغض التأديب والمؤدب بل يضطر لان يقبل التأديب ويبارك اليد التي تعني بتأديبه

عدد ٣

في ان الرئيس الذي يثبت في روح الهدو والسلام لا ييأس ابداً من  
نجاح مسعاه في التأديب

اذا أُجرح غزالٌ بسهم صياد لا يموت لساعته بل يحمل السهم مسافةً ما ثم  
يقع ميتاً وهذا مثل المذنب الذي تريد اصلاحه فانه متى ردد بفكره نصحك له  
بروح المحبة والدعة فانه يرعوي اخيراً ويعود الى الحياة الروحية . لان ثباتك  
على نصحه واحتماله يجعله ينجل اخيراً من عناده . وعنايتك الابوية المتصلة تجبره  
على اصلاح سيرته . وان لم يصلح نفسه لاول مرة بالتام والكمال فانه يظهر  
شيئاً من الرزانة واعتبار القوانين وبذلك تكون قد حصلت على شي من بغيتك  
وكففت شر العثار وصار لك ما يؤملك بتمام النجاح

هذا واما الرئيس العديم الصبر فيقول : « اني لقد نصحت هذا الراهب مرة  
واثنتين وثلاث ولم يكن من نصحه نتيجة ولذلك لا ارى مرضه قابلاً للشفاء اه  
ولكن يا صاح كيف تدعو هذا الراهب غير قابل للشفاء وانت لم تعالجه بعد الا  
معالجة طفيفة وخالية من الغيرة الحقيقية . فانك لم تقابله بمقابلات خصوصية ولم  
تبد له المحبة القلبية ولا نصحته النصائح المخلصة . وما مثله معك الا مثل ذاك  
الذي ضربه اللصوص في طريق ايريميا ومر به اللاوي وجازه مغضياً عنه . أفلا  
ترى ان مروثوسك هو عابد قد ضحى في جانب التقوى والفضيلة ضحايا الابطال .  
وان نفسه الان مجروحة وكماله معتل وخلاصه معرض للاخطار . فما بالك تغادره  
يائساً بعد استعمالك له العلاج لاول مرة . اهكذا تفعل الوالدة مع ولدها المريض .  
او هكذا يعامل الطبيب عليه . الا تراه كيف لا يألو جهداً ولا يكل من  
السهر عليه والعناية به . ولو تبين له ان مرضه عضال وغير قابل للشفاء . وانما  
ذلك لانه اخذ اجرة تافهة . وما عساني اقول اما ان الله نفسه الذي يرى بسابق  
علمه ان ذاك الخاطي لا يتوب . ومع ذلك لا يزال يواصله بنعمه ومساعداته  
حتى آخر نسمة . تأمل في السيد المسيح كيف انه لم يسمح بقلع الزوآن من بين

القمح قبل وقت الحصاد . وانت مع جهلك عاقبة امر مروؤسك تقتصيه من فكرك وتحكم بهلاكه . الا تذكر ما تكلف السيد المسيح لاجلك وما عملته . النعمة بجانب خلاصك . فلا تيأس اذاً من خلاص اخيك بل صل لاجله ومر الآخرين ان يصلوا ايضاً . وثق بان النعمة وطول المدة يسهلان كل صعب . وبعد فمن انت حتى تضع حداً لمراحم الله . او لا تترك ما يقوله الاطباء بان الامراض الحادة كثيراً ما يكون شفاؤها قريباً

فلا يسوغ اذاً لرئيس اياً كان ان يقول : « ان هذا الراهب لا يغير سيرته ولا بد من ان تكون اخوته ردية » لان احكاماً كهذه لا تنافي الفطنة واللياقة فقط بل تنافي العدل والانصاف ايضاً . واحذر بالخصوص ان تتكلم امام احد الرهبان عن نقائصه مبيناً له عدم رجائك باقلاعه عنها ورجوعه الى محبة الصواب . لان هذا مما يحمله على التلويط ولا يعود فيعمل لاصلاح شوائبه ما كان قادراً ومستعداً ان يعمل . ومن يعلم كما يقول القديس اغناطيوس اذا كان مثل هؤلاء الرهبان ذوي الشوائب لا يتقدمون في طريق الفضيلة بمدة شهر اكثر مما يتقدم ذوو الطباع اللينة والسهلة بمدة سنة كاملة . لان اولئك يجهدون انفسهم ويتعبون اكثر من هؤلاء . وانما الاجر على قدر التعب

جاء في اخبار اباء البرية عن احد الرهبان انه اذ سقط ذات يوم في زلة . وبخه الرهبان توبيخاً مرّاً فاتي يشكو امره للقديس انطونيوس فلحقه الرهبان واوسعوه اهانة بمحضرة القديس ايضاً واذ كان حاضراً القديس بنفوسيوس السيقالي اراد ان يبين للاباء ان غيرتهم هذه غير مرتبة ومغايرة للفطنة . فضرب لهم مثلاً قال : « اني رايت رجلاً غريباً في احد الانهر الى ركبته فاتي اناس ليعينوه على الصعود من الماء فغرقوه الى عنقه » فصفق له القديس انطونيوس وقال : « هوذا بالحقيقة رجل يفهم كنه الامور ويصلح ان يسوس الناس ويخلص الانفس »



في ما كتبه العلامة فينيون الى إحدى الرئيسات بشأن المحافظة على  
الصبر والسلامة في امر التأديب

قال « ارى انك تتبعين امارات الحدة وتتمادين فيها ولا تريدين ان تقني عند  
الحد الذي رسمه الله لك . فان العناية الربانية هي التي حركتك الى الاحتدام  
ولكنها تضع لذلك حداً ينبغي الوقوف عنده . فان الله لا يطلب منا ما يفوق  
القوة ولا تؤدين له يوماً ما حساباً الاً على الاشياء التي كانت تحت طاقتك . وان  
الروساء يجدون في كل زمان ومكان انما غير سهلي الانقياد يابون اخضاع رقابهم  
لنير الطاعة . واذا شئت ان تخلصي انفس مروؤوساتك فلا تحاولي ابلاغ جميعهن  
اقصى درجة الكمال لان ذلك لا يتسنى لك مع بعض الانفس التي لم تتعود بعد  
التدقيق في حفظ القوانين بدون ادنى خلل . ولكن اجهدي نفسك بان تكوني  
محبوبة من الجميع . ولاير الكل انك تحبين الله محبة فعالة وعودي مروؤوساتك  
ان يكشفن لك نقائصهن بكل دالة وثقة . ابيني لهن في قلبك قلب والدة  
وانك تريدين المساهمة معهن والمساهلة الى حد تسمح به الرسوم الجوهرية .  
واطيلي اناتك مع كل واحدة بقدر ما تحتاج اليه نظراً الى طبعها وفضيلتها . ولا  
تحتكمني في امر الجميع علي غط واحد . بل كوني كلاً لكل واحدة كما  
ترشد اليه الفطنة والنعمة وعندما تريدين ان تدفعي المبتدئات بالفضيلة الى ما قدام  
ارفتي بالضعفات واحتملي تقاعدهن . فعلى العاقل ان يرى حداً لسلطانه وانه اذا  
غالى في الشدة هاجت الجماعة وماجت واقدمت على العصيان . ومن تذكر ما  
كان عليه المروؤوسون في بادىء امرهم يرضى بما هم عليه الان من التقدم ولو كان  
قليلاً . واني لا اقصد بنصاخي هذه خفض شأن الشريعة او قلة الاعتبار لقوانين  
الرهينة ورسومها . كلاً ولكني اريد احتمال ما لا يمكن رده وان نتظرونترجي  
ونبين ولو عن بعد محجة الكمال . ونشجع اولئك الذين لا يطبقون النظر اليها  
كي يستأنسوا ويتقدموا نحوها ولو بعض خطوات . ومن خصائص فضيلة الايمان  
ان نعمل في الظلام بنوع اننا لا نرى في الحال ثمرة عملنا . فانك وان لم تشاهدي

في مروءاتك إلا الاسترخاء والتذمر والتقسيم وعدم الرضاء والمعاكسة ايضاً . فثقي مع ذلك ان في هذه الارض التي تظهر كأنها مغطات بالشوك والقرطب ينبت شي . من الحنطة الجيدة . ولأجل هذه الحنطة يريد الله ان يمتحننا . فانا اتمنى لك ان تكوني في هدو وسلام في كل ما تعملينه وان تنتظري بصبر العناية التي لها وحدها ان تعد نفوس مروءاتك وتوكلها لمطاوعة النعمة . وسماع ارشاداتك فتتقدم بافضيلة كشهوة قلبك . اما بعد ايضاحك الحقيقة وبيان اساليبها فانتظري ان تعمل هي في العتول والقلوب ما لا نستطيع نحن عمله وهو ان تضحي لديهم شهية ومرغوبة . فاعلمي اذن ما هو مستطاع لديك ولا تحاولي ان تقدمي لله من المجد فوق ما يريد منك وارضى بجزر ارادته اليومي وهذا حسبك

### المقالة الثامنة

في ان الرئيس يمكنه ان يحصل على المحبة وان يحفظها في قلبه لو درس صناعة التأديب والاصلاح في الله نفسه

عدد ١

في ان الله يعامل الخطاة برأفة وحنان اكثر من الامهات

فلنستحضر بقدر الامكان فرح الوالدة واندعاشها عندما تشاهد لأول مرة ثمرة احشائها وابن الاوجاع يتسم لها وكيف هي تناغيه متممة . وبأي بهجة تراه ينشأ ويتقوى وتظهر على محياء سمات وجهها وهيأتها وكيف تقاسمه الافراح والاكدار واخيراً كيف ان معظم اشواقها وانعطافاتنا تنحصر وتستغرق في هذا الموضوع الوحيد لحبها وبهجتها . فهكذا يعاملنا العلي الرحيم لان قلبه احن من قلب الامهات كيف لا وقد قال تقدرست اسماؤه « هل يمكن الوالدة ان تنسى ولدها ولا تذكره بالشفقة وان امكن الوالدة ان تفعل هذا فانا لا انساك الى الابد » (حكمة ١٢)

اني لما كنت طفلاً وكنت احياناً كثيرة اتخلق باخلاق الغيظ والغضب فانقر من حضن امي وألصقتها بيدي وارفسها برجلي . فهل كانت هي تباديني بمثل هذه الاعمال! وما كان بوسعها ان ترميني من بين ذراعيها فأصرع واتهشم ولكنها بعكس ذلك كانت تضميني الى صدرها باكثر حنان من ذي قبل وتضعف تتبيلها لوجنتي وتدني في من ثديها وهو لي ينبوع ماء الحياة

هكذا يحتضننا الرب ويتعلقنا بيننا نكون نحن متخلقين باخلاق الغضب ولكي لا يكون عندنا ريب في ذلك فهو قد اوحى لنيه اشياء هذه الكلمات « كمن تغذيه امه كذلك اغذيكم يقول الرب . وفي الحضن تحمانون وعلى الركبتين تدلون » (٦٦) واوحى له ايضاً ان « اسمعوا لي يا آل يعقوب الذين أقبلوا من البطن والى مشيكم ألقكم . انا صنعتكم فانا أحملكم . أنا ألقكم وأنجيكم » (٤٦)

ولعمري فان الله بذلك يسبق ويسكن بالنا ويهدي . روينا وما كان اولانا ان نقول له تعالى : (ربي والهي انك تكون شقيقاً عليّ وترحمني الى اجل مسمى من العمر . ولكن لو سقطت في ايام شيخوختي وزلت قدمي بعد ان ابيضت شعوري فماذا عشاء يمل لي من قبل عدلك وكيف تعاماني ) فقد سبق واجابني على ذلك بقوله (حتى الى ايام شيخوختك اكون برحمتي معك كما انا الان واحتملك حتى في ايام مشيكم وكل ما صنعه معك حتى الان اصنعه حتى تلك الايام) اما من رئيس قد بلغ المشيب يقرأ هذه الكلمات فيشعر بأنه هو الذي عامله الله هذه المعاملة المملوءة رحمة ورأفة

ولما كنت طفلاً وكنت اخذ بيدي بعض الآلات الجارحة كيف كانت امي تسرع فتأخذها من يدي . وتتهددني لو رجعت فامسكها بيدي ومع ذلك عندما كنت ارجع والعب بها واجرح يدي ايضاً ثم امضي الى والدي الشقيقة وابين لها جرحي فهل كانت تذكرني اولاً بتهديداتها السالفة او كانت تقتص مني بالحال كلاً ولكنها كانت تبادر بكل سرعة ولهفة الى تضديد جرحي مازجة دموعها بدمي .

وانت ايها الاله الصالح لكي تبعدنا عن الخطيئة تتوعدنا وتتهددنا وترعد

وتبرق فتقول : ( ان الموت رابض كالاسد ليقتسكم والجحيم تنتهز الفرصة لتبتاعكم . وتحيل لنا اننا لو ارتكبنا خطية واحدة لا يبقى لنا سبيل الى المغفرة ومع ذلك فبعد حدوث الشر وارتكاب الخطية نراك تتملقنا وتحضنا على الرجوع اليك فانك تنبهنا وتمهلنا وكأنك تشغل السماوات والارض في امر توبتنا اليك ورجوعنا عن الاثم والنفاق

فهل لنا ان نتعجب لو رأيناه تعالى يشبه نفسه بالحمامة داعياً غضبه غضب حمامة ونحن نعلم ان الحمامة لا سم فيها ولا حقد عندها وانها لو ارادت الانتقام لنفسها تنوح وتبكي بكل دعة ورقة وتلمس باجنحتها من ضربها اس لين وملاطفة .

## عد ٢

في انه عندما يريد الله ان ينتقم من المجرم تقوم  
رحمته فتعارب عدله

اننا لو انعمنا النظر في ابونا الاولين عندما ارتكبا المعصية لأينا انهما لم يكادا ينتهيا من المخالفة وينظرا في كيف يتمتعان بشرة عملهما المنكر حتى انكرت الخليفة باجمعها هذا العصيان وطلبت الى الله عز شأنه ملاشاة الجانس البشري ولا عجب لو كانت الكمالات الالهية اجمت على هذا الانتقام . ولكن في الحقيقة نرى ان في معبنة هذا التجمال قامت الرحمة الالهية وقاومت الخليفة باسرها بل صادمت قوة الكمالات الالهية وانخذت نار النضب الالهي المشتعلة على الانسان وذريته . ولكي توقينا شر ضربة قاتلة ختمت جباهنا بخاتمها الخاص كما ختمت يوماً جبهة قائين وحمتنا في حضنها كما في حصن حصين . وهكذا الرحمة وحدها قاومت كل ما قام علينا وحفظتنا من كل مضرة

ولكي تتيقن حقيقة هذه المشابهة افتح الكتاب الكريم فترى ان الله جلت احكامه عندما اراد ان يبيد العالم بالطوفان وتوعده به نحواً من مئة سنة . وهكذا لما شاء ان يقتص من ذنوب نينوى لم يقطع عليها حكماً الاً بعد تهديدات عديدة وقد ارجل ازال الحكم بها مدة اربعين يوماً وفوق هذا كله فانه اذ رأى نينوى



قد تابت اليه بلبس المسوح تاب عليها ورفع عنها صاعقة غضبه التي كانت تتهددها من ساعة الى ساعة . واما اراد ان يعاقب اليهود بالسبي الى بابل انذرهم بذلك مدة اجيال عديدة فاقام لهم انبياء كثيرين وخاطبهم بلسانهم بانواع شتى وكان على موجب نص النبي آرميا يقوم بالعداة ليرشدهم الى سبيل التوبة وما كان مثله بذلك الاً مثل صديق حميم يرى صديقه مهدداً بضربة شديدة فيقوم اليه باكراً ويوقظه من نومه ليعلمه بالنازلة الزمعة ان تحل عليه

فما الرموز بمثل التينة العذبة الثمر وبالبستاني الذي يطلب لها المهلة لعلها تثمر اما يدل ذلك على انه لما يقوم العدل الالهي ويأخذ بيده الفاس ليقطع الاشجار العقيمة المبالة الارض . ( وما هي الاً عبارة عن الخطاة الذين لا يقومون بحق واجباتهم ) . ويلقيها في النار التي لا تطفأ . تقوم الرحمة الالهية وتتوسط مع العدل وتشفع بالخطاة طالبة لهم المهلة والنعمة عليهم يتوبون ويعدلون عن شرهم فينجون من عذاب الجحيم

وما معنى كلام النبي داود ( مز ٥٩ ) « يارب اريت شعبك الشدائد وسقيتنا جمر الترنح وجعلت لمتيك علامة ليهربوا من وجه القوس » فما القوس لعمرى سوى عدل الله وما العلامة التي اعطاها هوها للهرب من القوس سوى رحمته الواسعة وقد قال القديس يوحنا فم الذهب في تفسيره آية داود النبي : « يصقل سيفه ويطأ قوسه ويهينها » ( مز ٧ ) ان الله تقدرته مع كونه عادلاً بنوع غير متناه ويمقت الخطيئة مقتاً لا يقدر فانه لا يعاقب على كل خطيئة ولا يعاقب بسرعة فكأنه لا يعلم بعض الذنوب او يجهل ما له من القدرة الضابطة الكل لينتقم منها فقد قال النبي « يصقل سيفه » واما ذلك لكي يخيف الخطايء فيرتدع عن اقتحام الشر وينجو من العقاب فهذا السيف اذاً لا يكون للضرب بل للتهويل الذي يحمل على التوبة «

وقال المرتل ايضاً ( مز ٧٦ ) « أمدى الدهور يقضي السيد ولا يغود يرضى من بعد . . . أنسى الله الرأفة ام حبس على الغضب احشاه » اننا نحن نقول احياناً « ان الغضب اخذ مني مأخذ بنوع انه لم يكن يوسعي الصبر ولا الشفقة » اما الله فيتول (( انا لم اقدر ان انسى الرأفة والغضب مها كان شديداً لم يحبس احشائي

عن الرحمة والرضوان . فلا يمكنني ان احدث الى الابد ولا ان اقضي شعبي الى  
النهاية لان مراحمي تفيض مثل مياه الانهر الغزيرة التي لا يمكن ضبطها ولا حبسها  
بل انها تأخذ مجريها كل ما تصادفه امامها ))

وبالحقيقة ان الله لا يريد موت الخطي . بل ان يرجع عن طريقه ويحيا . الا  
وهو الصالح والرحيم طبعاً بل هو نفس الصلاح والرحمة . واذا عاقب لا يكون  
جنوع ما الا عن اضطرار وبأسف شديد لان العقاب يتنافى امياله الطبيعية الى  
الرحمة والرافة

عد ٣

في انه لا اعذب ولا اعجب من نوع التأديب الذي استعمله الرب يسوع  
اننا نرى في هذا الامر كما في غيره الرب يسوع ملكاً منفعاً من الرافعة والحنو  
وزاه الحمل الوديع الذي حمل خطايا العالم . والراعي الصالح الذي يبذل حياته  
لاجل خرافه . والمشتري الذي يسن علينا شريعة جديدة بان نحب اعدانا . وان  
نبارك من يلعننا . وان نفقر سبعين مرة لا سبع مرات اعني دائماً وبدون نهاية .  
واي مشهد عجيب لا يرينا تعالى في مزجه القوة بالدعة في الحرب العوان التي  
اثارها على الرذيلة والضلal . فكأنه يوبخ تارة علناً وتارة سراً على انفراد .  
واحياناً بالكلام وآونة بمجرد السكوت . بينما كان الرسل يوماً ساهين عن  
اعجوبة تكسير الخبز سألوه : « من اين لنا خبز يكتفي هذه الجموع » فالسيد  
المسيح اجابهم بالتلميح الى الآية المقدم ذكرها وبذلك ومنجهم على قلة ايمانهم ولما  
اتوا فاخبروه عن الايات التي كانوا يصنعونها قال لهم : « اني رايت الشيطان نازلاً  
من السماء . . . » وغالباً كان يعطي نصائحه بصورة مبدأ عام . فهكذا لما شعر  
بان تلاميذه يتخاصمون على ايهم يكون الاكبر قال لهم : « من اراد ان يكون  
الاكبر فيكم فليكن الاصغر » . واننا نراه حيناً يوبخ بقوله : « لماذا تعنتون  
هذه المرأة » وحيناً كان يسأل سراً او يقول كلاماً بسيطاً به يستدعي الافكار  
للانتباه مثل قوله : « يا بطرس ان عندي شيئاً اقوله لك » ولما أبت احدى مدن  
السامرة ان تقبل اثنين من تلاميذه وطلبا اليه قائلين : « يارب أتريد ان نطلب

ان تنزل ناراً من السماء وتاكل هولاا السكان » فاجابها : « لستما تعلمان من اي روح انتما . فان ابن البشر لم يأت ليهلك نفوس الناس بل ليخلصها » وبعد ان اوصى التلاميذ وحضهم مرة واثنين على السهر والصلاة ووجدهم بعد ذلك نياماً . ولانه لم يجد الفرصة مناسبة للتأديب كف عن توبييخهم وسكت

وقد هدى لاوي وزكا وغيرهما بقبوله دعوتهم بل بدعوته نفسه الى ولائهم وفرط موأانسته لهم . وقد مس قلب المجدلية بدماحه لها ان تدنو منه وبشئائه عليها ومحاماته عنها . ومن لا يرى فرط دعتة وتنازله في مخاطبته السامرية ولاسيا في قوله لها : « لو كنت تعلمين عطية الله . . . » لان هذه الكلمة خرقت فؤادها واحالت قلبها الى قلب مؤمن وخاشع . وكان توبييخه للجانب نوعاً وتوبييخه لاصحابه نوعاً آخر . فقد قال للاولين : « ايها الجيل غير المؤمنين والمتوي . . . » اما لتلاميذه فقال : « ان هذا الروح لا يطرد الا بالصوم والصلاة » مبيناً لهم برقة انهم لم يزالوا متصرين في واجب الامانة وحرارة العبادة . ولما اخطأ بطرس بروح الكبرياء وبجة توبييخاً مرأاً وامأاً اأا اخطأ عن ضعف وخوف اكتنى بان ينبه الى ذلك بالتفاتة اليه برقة ووداعة . وحينما قصد ان يبارح تلاميذه لم يشاء ان يوضح لهم فرط حبه اياهم لئلا يفجع قلوبهم بل وبجهم على قلة ايمانهم ثم مع يهوذا الماكر نفسه اما انه تعالى افرغ كل نوع من الحنو والرأفة . فانه ليس فقط لم يطرده من بين التلاميذ ولا اخذ من يده الصندوق ولا ضربه بصاعقة الحرم كما كانت تستوجب اعماله بل هو تعالت مراحمه لم يُبن اولاً خيانتة ولا فرط محبته للفضة وسرقاته وانما دعاه لوليمة العشاء السري وغسل له قدميه واعطاه جسده المقدس مأكلاً واولاه شرف كهنوت العهد الجديد ودعاه يا حبيبي وبعد ان سمح له بتقبيله عانته هو وقبله . ومن تراه لا يمتنع عندما يلاحظ ما عمله الرب يسوع في شأن ارتداد اورشليم غير المؤمنة . فقد زارها مرأت عديدة وعلمها الحقائق الساطعة وعمل فيها الآيات والعجائب وانذرها بالمصائب التي كانت مزمنة ان تحل بها وقد رثاها بشديد البكاء والاسف اذ قال : « يا اورشليم يا اورشليم كم مرة اردت ان اجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » ومذ ارتفع على خشبة الصليب ليُهدّي غضب ابيه عن هذا الشعب

القاتل إلهه قال لابيه « يا أبتي اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يصنعون » والان  
وهو جالس على عرش مجده لا ينفك عن استعمال كل الوسائط العائدة لخلاصنا  
فهو يشفع بنا ويقدم الزفرات عنا بينا نحن لانفك عن اهانتة فهو يقدم عنا لابيه  
جراحاته المقدسة ودمه الثمين ونحن نواصل فتح هذه الجراحات وهرق دمه الطاهر  
بتجديد خطايانا

#### عد ٤

في ان الله ينتظر توبتنا بطول اناة ويغفر لنا بدون تأجيل وانه اذا ما  
رآنا رجعنا اليه يعد نفسه غائماً ظافراً

اننا بارتكابنا اول خطيئة قد طردنا الرب من قلبنا فوقف خارجاً مهاناً  
يقول لنا : ( يا بني اعطني قلبك ) وبعد ارتكابنا ثاني خطيئة قد ضاعفنا اهانتة  
تعالى ومع ذلك لم يزل يدعونا بطول الناة ويكرر قوله الاول ( يا بني اعطني  
قلبك ) ثم زدنا على خطايانا خطايا لا عدد لها مظهرين له تعالى النفور والاشمئزاز  
اماً هو فلم يقنط من رجوعنا ولا اراد ان يخذلنا بل استمر واقعاً علي باب قلبنا  
يدعونا بصورة احن واخشع من الاول كما اعلما هو ذلك بلسان يوحنا الحبيب اذ  
قال : ( اني واقف على الباب اقرع ) ( روياء ٣ ) فقد اخذ على ذاته وعزم ان  
ينتظر رجوعنا اليه بدون ملل . وكأنه تقديست اسمائه يقول في ذاته : ( ربنا  
يتخشع هذا القلب ويرجع اليّ ولا يبعد ان يعد البعض طول اناتي ضعفاً وجهلاً  
ولكن لا بأس فاني اتسامح بان يوتلب الناس بعظمتي بشرط ان لا يرتابوا برأفتي .  
وبهذه الاثناء اي بينا هو يدعونا ونحن لا نجيب دعوته ماذا يعمل انه لا يزال  
يقرع باب قلبنا ويكرر هذا القرع ولا يتوقف مدة حتى يعود الى القرع بقوة اشد  
ولقد تأخرنا مدة طويلة عن سماع صوته والرجوع اليه فاذا رجعنا اخيراً بتوبة  
صادقة هل يتأخر هو ساعة او دقيقة عن قبول توبتنا . او هل ينتظر مدة لكي  
نطرح على قدميه خاشعين وباكين . كلا . بل لا نكاد نفتح فمنا لنظهر له توبتنا  
حتى يسمع صوتنا ويمسحنا مغفرة خطايانا وهكذا بلحظة عين ننقل من الخطيئة



الى النعمة ومن الجحيم الى النعيم . وبعد هذا أطلب منا تعالى شروطاً تضمن له ثباتنا في المستقبل على الفضيلة وعدم نكسنا بوعودنا ومقاصدنا بنوع ان هذه الشروط تؤخر قبول توبتنا ولو يوماً واحداً او ساعة واحدة . كلاً . بل وكأنه جلت احكامه لقرط وجده وانعطافه الى رجوعنا اليه يسهوا عن ذلك او انه يؤثر ان يُعرض رحمته لحيانتنا على ان يؤخر مغفرة خطايانا التي يرغب في ان يمنحناها رغبة اشد من رغبتنا في نيلها . ان المصالحة بين الناس بعد ثلم المحبة ووقوع العداوة لا تكون ابداً مثل الصداقة الكاملة والغير المشلثة لانه لا بد لها من ان تترك في القلوب شيئاً من غيوم الاكدار وسموم الخزازات . اما مسأله الله لنا بعد اهانتنا له فتد علينا المحبة الاولى بكهاها وتريد عليها انعامات خصوصية تحرك الابرار الى شيء من الحسد ولنا في تحقيق ذلك امثال الابن الشاطر . ومثال القديس بولس الذي صار رسولاً وركي الى السماء الثالثة . والقديس بطرس الذي بعد جحوده معلمه ثلاث مرات بقي رئيس الرسل والكنيسة جمعاء ويحقق ذلك بالاكثر مثال ابينا الاول آدم الذي بعد مخالفته لم يكذب يسمع كلمة المعاقبة حتى سمع معها كلمة الوعد بتجسد ابن الله من نسله

فهذا هو الانتقام العجيب الذي ينتقم به الرب من الخاطيء . فانه يغلب الشر بالخير ويغفر الخاطيء بفيض النعم حتى انه لا يستطيع من وجهه الا ان يجبه تعالى ويباركه بمقدار ما يستحق وان يبكي خطاياه بكاء كافياً . واعجب مما تقدم هو انه تعالى بعد معاملته الخاطيء هذه المعاملة يحسب انه قد انتصر انتصاراً عظيماً واستحق التهنة والمجد من خلائقه اجمع من في السماء ومن على الارض

ولذلك يجدر بنا ان نشترك مع النبي داود في تراتيل التهليل والفرح اذ نقول معه : « من الغداة اسرع الرب الى اعانتي . . فهو يسير امامي لكي يهتد لي الطريق . ويتبعني من الراء لكي يحامي . وهو يستترني ويحيطني بحبته . وهو يمسك بيدي ويحفظني كحدقة عينيه ويظل جناحيه . ويخفي في ستر وجهه . رحمته مفعمة وداعة ورأفة ونعمة . . وهي افضل من الحياة . . . إلها إله الرحمة وابو المرحم . . كتوزه كتوز مراحم . . واحشاؤه احشاء مراحم . ورحمته ارفع من السماوات واوسع من الابدية وهو عين الرحمة »

## الفصل الخامس

في الاصلاح الذي ينبغي ادخاله احياناً الى الجمعيات الرهبانية

نتكلم اولاً في واجبات الرئيس والمروثوسين في الاصلاح ثم نسن  
الطريقة الواجب اتباعها في ملاشاة العادات  
الرديئة والتخربات والمنازعات

### الباب الاول

في واجبات الرئيس والمروثوسين في امر الاصلاح

عدد ١

في انه يجب على الرئيس ان يبذل كل جهده وجده في  
اعادة حفظ القوانين

ان محور الكلام في هذا الباب لا يدور الاً على العادات التي تجري احياناً  
ضد القوانين ولا تكون قد اكتسبت بعد قوة الشريعة لا من حيث مرور  
الزمان ولا من حيث طبعها . ومن ثم فلا يكون لها قوة على السماح بشيء ولا على  
تحريم شيء . . فلا تسن شريعة جديدة ولا تلغي شريعة قديمة بل ليس لها ان تفسر  
شريعة او تؤولها تأويلاً يوافق ذوق المخالفين . ومن المعلوم ان العادة لا تكتسب  
قوة الشريعة الاً بثلاثة شروط . الاول ان لا تكون العادة منافية للصواب ولا  
للاداب الحميدة ولا لجوهر النذور او النظام الاساسي بموجب روح الرهبانية  
وغايتها . كما لو كانت مثلاً في اهمال تلاوة القرض في الحوروس او اهمال شريعة  
الانقطاع عن الزفر في كل الايام . او في خرق حصن الاديرة المحصنة او إلغاء

شريعة السكوت المطلق في الرهبانيات التي تكون هذه الامور من مبادئها  
الاساسية او شرائعها الجوهرية

الثاني ان لا تكون العادة متحصرة على عمل بعض الافراد . بل ينبغي ان  
تكون بمجموع اعمال عمومية مكررة من اغلبية الجمهور . وهذا لا يكون مثلاً  
فما لو حدثت بعض المخالفات في احد الدير او في اديرة قليلة او لم يسكت عن  
هذه المخالفات الا نزر من الرؤساء الخاصين

الثالث ان تكون هذه العادة قد توطدت في المدة المطلوبة لذلك . وتأيدت  
من السلطة الشرعية التي ينبغي ان تكون قد عرفت بها ولم تُعنِ بلاشاتها عندما  
تيسر لها ذلك . ويستثنى من ذلك افعال بعض القوانين التي ولو كان كل منها  
بذاته وعلى حدته لا يُعد جوهرياً الا انها مجملتها لازمة وضرورية لقوام الرهبانية  
وبإغ غايتها وتقديس انفس افرادها . وبعد ايضاح ما تقدم بقي علينا ان نضع  
رسوماً لما يجب على الرئيس والمروءوس في امر الاصلاح

قال مودست دي سانت امابل في تأليفه المعنون الرئيس الكامل ( ك ٤ ف ١ )  
« قد اجمع اللاهوتيون وحكموا بالخطأ المبيت على الرئيس الذي يتساهل بدخول  
عادة سيئة في رهبانيته او يتوانى بملاشاة مثل هذه العادة ولو كانت قد دخلت فيها  
من قبل واستتبت وكذلك القول عن يتقاعد عن حفظ عادة حميدة ومقدسة  
موجودة في رهبانيته لان من حاول هدم قلعة برفعه منها الاعمدة القائمة عليها لا  
يكون اقل ذنباً ممن يعمد الى هدمها بضرب المدافع . ومن سلم انساناً الى عدوه  
بعد نزع سلاحه عنه بنوع المكر والخديعة لا يكون ألحق به شراً اخف من  
الذي يأخذه بالقوة مكتوف اليدين ويسلمه الى العدو جهاراً وعدواناً لان حفظ  
العادات الحميدة في الرهبانية يساعد على قوامها ونجاحها مثلاً يساعد على تقهرها  
وهدمها ادخال العوائد الرديئة . ومن ثم فمن يتوانى بحفظ العادات الحميدة في  
رهبانيته او بقيامها بعد سقوطها لا يذنب بحق رهبانيته ذنباً اخف من ذنب من  
يُدخل او يتسامح بدخول عوائد رديئة فيها »

وقال ايضاً ( في المحل المذكور ) : « ان المجمع التريدينيني في الجلسة  
الخامسة والعشرين قد امر جميع الرؤساء بان يجددوا المعيشة العمومية وان

ينظموها تبعاً للعادات السابقة في الرهبانية وقد امرهم ايضاً بان يبذلوا قصارى الجهد والحياة في ان يعيدوا كل القوانين والرسوم الى حالتها الاولى فيما لو كان قد اعتورها شيء من الخلل والتغيير .

ومن البين ان المجمع المقدس لم يُعِنْ في قوله « اعادة الرسوم الى اصلها » حفظ الرهبانية في ما هي عليه في الحال بل ان يتجدد فيها ما دثر ودرس لان الامر في اعادة قلعة مثلاً الى حالها الاولى هو غير الامر بحفظها على حالها الحاضرة . فالحاكم الذي يكون قد تولى اصلاح معقل والمدافعة فيه ان لم يُعِنْ الاً بحفظه على حاله الحاضرة واتفق له انه بعد قليل غلب وخذل في وقت القتال هل يكون له عذر او مغفرة عند ملكه ؟ وعليه فلا عذر لك لو قلت اني احافظ على نظام الرهبانية كما استلمته لان هذا النظام انما هو وديعة في يدي فانا اردتها مثلاً استلمتها . فقل لي رعاك الله لو انك وجدت قسماً من املك الدير في حال التلف والخراب او قد اعتدى عليه احد الناس واختلبه أفتدعه على حاله وتقول هكذا كان من قبل ان اتولى رئاسة الدير . او هل كان لك بمثل هذا القول عذر مقبول ؟ لا لعمرى . بل انك كلما وجدت الخراب عظيماً ومدته قديمة تهتم باصلاحه باكثر سرعة ونشاط . او هل تعتقد بان التزامك اصلاح ما دثر من روح الرهبانية القديم هو اخف منه في اصلاح احوال املاكها . اولست ترى ان خير الرهبانية وشرفها قائمان في خير النفوس لا غير . أو يسوغ لرئيس ان يهتم بالماديات اكثر من اهتمامه بالروحانيات . نعم ان نظام الرهبانية وحفظ قوانينها هو وديعة بين يدي الرئيس غير ان هذه الوديعة هي حية فتزداد او تنقص بقدر ما يعتني بها او يهملها ومن ثم فاذا توانى الرئيس ولم يواصل عنايته بها تضعف وتتلاشى .

ألا ترى كيف ان رب البيت غضب على العبد الكسلان واراد ان ينتقم منه لانه لم يتاجر بوزنته ويربح بها بل ردّها اليه كما كانت ملفوفة بمنديل . والنبي حزقيال يؤكّد لنا ان الرب لم يرض من راعي شعبه لانه حفظ رعيته على ما كانت عليه بل اغلظ في توبيخه لانه لم يعتن بتقدمها وتحسين حالها فقال له انك لم تقم ما كان ساقطاً ولم تقوم ما كان معوجاً ولم تقوّر ما كان ضعيفاً ولم تنعش ما كان ذاوياً ذابلاً . اه والنبي ارميا امره الرب بامرين اولاً بان يقتلع ويهدم كل



ما كان ضد الشريعة الالهية . وثنياً بان يبنى ويفرس كل ما كان موافقاً ومساعداً للقيام بها . ومن ثم لا يكفيك ان تحفظ الشريعة على الحال التي وجدت فيها بل عليك ان تفرغ كل جهدك في ارجاعها الى ما كانت عليه اولاً .

ولا تقولن معذراً ان الشريعة قد هرمت بنوع ما وتلاشت بذنب سلفي فماذا علي . لانه وان كان الذنب الاول على سلفك فالذنب الثاني عليك . وذنب الواحد لا يكون ابداً مغفرة لذنب الآخر . وما كان واجباً على سلفك عمله ولم يعمل هو واجب عليك اكثر منه . فاسمع بهذا الصدد القديس برناردوس يقول لك « من الواجب عليك ان تبذل قصارى الجهد والجد بالقول والمثل في ان تسلم من يخلفك في الرئاسة القوانين سالمة نقية من كل شائبة كما سلمها اليك سلفاؤك فاحذر إذن من ان تدخل في الرهبانية عادة سيئة سواء كان بتحريضك على ذلك فعلاً او بسكوتك واغفالك . واحذر ايضاً من ان تفقد عادة صالحة سواء كان بتوانيك او بواطاة شيطانية ومساهمة مع ذوي الفساد الذين لا يحفلون الا بآربهم الشخصية وملاذهم الدنية . فلا تتسامح بشيء من ذلك لا في نفسك ولا في الآخرين الذين يعملون بسهولة كل ما يرونك تعمله . لان كل من يعطي مثلاً صالحاً او رديئاً يشارك في عمل من يجذو حذوه ان خيراً وان شراً ويقاسمه الثواب والعقاب » اهـ

بينما كان القديس فرنسيس الاسيزي منفرداً على جبل الحمامة ومتأهباً لقبول قوانينه من الروح القدس عرف بالروح ان البعض من رهبانه كانوا أتوا اليه يطلبون المساهلة وعدم التدقيق في حفظ هذه القوانين . فحينئذ تحرك القديس بالروح وارتعش ورفع عينيه الى السماء وهتف بالله وقال : « يارب اني لقد قلت في نفسي ان هؤلاء الانام لا يصدقونني . فمن نحوي انا ورققائي الذين يحبون الفقر اننا نحفظ هذه القوانين بكل دقة ونشاط حتى المات . واما هؤلاء العاصون المتمردون فلا يمكنني افحامهم . فعند ذلك اجابه الرب يسوع من داخل الغمامة وقال : « ايها الانسان الحقير ما الذي يقلقك أفهذه القوانين هي عملك . انا قد املتيتها عليك وانا أريد ان تحفظ حرفاً بحرف حرفاً بحرف حرفاً بحرف من دون تأويل او تفسير من دون تأويل او تفسير من دون تأويل او تفسير . وانا عالم بضعف الانسان

واعرف ان أخفف عنه ما لا يطيق عمله فالذين يأبون حفظ هذه القوانين بتدقيق  
فليغادروا الرهبانية وانا ادعو اليها من يقوم مقامهم ١٠ هـ

عد ٢

في انه يجب على المروءسين ان يصوتوا اعادة حفظ القوانين والرسوم

ان الكلام هنا لا يتناول الاصلاح الذي يأمر به الخبر الاعظم بسلطانه  
المطلق لانه لا يوجد بين العلماء المدققين من يرتب بان قبول مثل هذا الاصلاح  
غير متحتم على الرهبان اجمالاً وافراداً . ولا يتناول ايضاً الاصلاح الذي يجده  
المجمع العام في رهبانيته . لان العلامة سوارس وكبراء اللاهوتيين يعلمون ان  
الرهبان ملتزمون ان يخضعوا لهذا الاصلاح بدون معارضة . وهذا الواجب لا يستثني  
الرهبان الذين يكونون قد دخلوا الرهبانية ونذروا فيها نذورهم قبل هذا  
الاصلاح وعندما كانت سائرة العادة المضادة سواء كانت هذه العادة أضحت  
شرعية ام لا . لان الراهب عندما يدخل الرهبانية يأخذ على ذاته ولو مضمراً انه  
يقبل ويسلم بكل ما تأمر به السلطة الشرعية مما يختص بجوهر الرهبنة ويساعد  
على قوامها وابلغ الرهبان غايتهم المقصودة ومن المؤكد ان سلطان المجمع  
العام شرعي وان غاية اجتماعه النظر باصلاح شؤون الرهبانية

وانما الكلام هنا عن الرهبانيات الخصوصية المستقلة التي يكون قد سرى  
فيها بعض العادات التي على ما تقدم تضر بجوهر النذور او في بلوغ الغاية المقصودة  
في تلك الرهبانية او في النظام الرهباني او اخيراً في تقديس انفس الرهبان  
ورباً معترض يقول ان الراهب الذي يكون قد نذر في وقت كانت سائرة  
فيه تلك العادة لم يُظن به انه اوجب على نفسه حفظ ما لم يكن محفوظاً وقتئذ  
في الرهبنة . ولكننا نجيب بما قاله مودست دي سانت امابل في تأليفه المعنون  
الرئيس الكامل ( ك ٤ ف ٢ ) :

١ عندما الزمت نفسك يا اخي حفظ النظام الرهباني لا يمكن ان يفترض  
انك قصدت شيئاً يضاد الخير العام . لان النظام الطبيعي يوجب في كل حال  
تفضيل الخير العام على الخير الخاص . ولا شك في ان اهمال بعض الفروض الرهبانية

يضاد الخير العام لان هذه القروض هي جوهرية في الرهبنة . ومن ثم فان اهمال بعضها مخلٌ بالحياة القانونية التي تهتم كل فرد من افراد الرهبنة . نعم ان الاصلاح لا يخلو من المشقة عليك غير ان مثل هذه المشقة يوجبها الخير العام على الخير الخاص . واننا نرى كل يوم ان الجسم المدني اعني الهيئة الاجتماعية والجسم الطبيعي يضحي الخير الخاص لاجل الخير العام . وذلك ظاهر في الاقتصاص من المذنب واعدامه الحياة ايضاً عند الضرورة وفي قطع العضو الزمن لاجل سلامة الجسم

٢ لما دخلت الرهبانية أخذت على نفسيك ليس حفظ النذور الجهرية بذاتها فقط بل حفظها بموجب روح القانون . وروح القانون على ما قاله القديس توما هو شيء من الدعوة الرهبانية ومن الظروف الخاصة بالنذور لانها تسهل حفظها وتضمنه لطول الحياة . والحال ان الخلل الذي وجدته في الرهبانية عند دخولك اليها ليس هو القانون بل هو عادة مضادة ومعاكسة له . ولنا ان نقول ايضاً : انه آفة للقانون وللرهبانية . وعلى مبدأ الحق القانوني « ان الراهب ينذر حفظ القانون لا حفظ العادات المضادة له » فالمسيحي الذي يخضع للكنيسة بقبوله سر العباد ألا يلتزم الطاعة لها عند ما تقوم لاصلاح بعض الشوائب ؟ وهل من يقبل له عذراً لو قال : اني لما قبلت سر المعمودية كانت العادة جارية على ما هي الان ولذلك لست ملتزماً بقبول الاصلاح . وعليه نقول انه ولو غدا الرؤساء انفسهم مساعدين للخلل بتغاضيهم ومساهمتهم فالمرؤوسون مع ذلك لا يُعذرون في تركهم القانون وتتبعهم العادات المضادة له . ومن ثم فاذا قام الرؤساء بعد حين واكتبوا على العناية بحفظ القوانين واستئصال العادات المضادة لها فلا يسوغ حينئذ للمرووسين ان يناصروهم في ذلك بل يتحتم عليهم ان يساعدوهم بكل جهدهم بخضوعهم التام لحفظ الرسوم والقانون بتدقيق

٣ ان الحق الذي لك او الانعام بعدم الزامك حفظ باب من القانون لا يكون الا مدّة وجود العادة الجارية ضد حفظ هذا الباب . غير ان هذه العادة لا تضيع حق الرؤساء ولا الزامهم بالمحافظة على القوانين وبمناصفة العادة السيئة التي جرت ضدها ولو مدة طويلة . فاذا انتبه الرئيس وعاد الى القيام بحقوقه وبما هو مفروض عليه وابيت انت قبول الاصلاح تكون قد ابيت الطاعة لمن تجب

له وخالفت نذرك بمادة ثقيلة . لان اصلاح الشوائب او رفع العادة المضادة للقوانين ليس فيه شيء من الزيادة على القانون ولا مما يفوت حدود سلطان الرئيس لان اخص واجباته انما هي ارجاع الرسوم الى اصلها ومبداها الطبيعي

٤ وعلى تقدير انك اضمرت صريحاً ان لا تعاهد الله بحفظ القانون الا كما كان محفوظاً وقت دخولك الرهبانية اي حفظاً غير مدقق فلا بد مع ذلك من انك تكون قد اضمرت ولو بنوع غير صريح انك تعاهد الله بحفظ القانون بتدقيق عندما تقوم الرهبانية وتعود الى حفظه بتدقيق وصرامة . لانه لا يُقدَّر عليك ولا تقدر ايضاً ان تعاهد الله بحفظ عادة سيئة مضادة للقانون ولروح الرهبانية . ولا الكنيسة المقدسة تقبل منك مثل هذا العهد الفاسد . ومن ثم فان عهدك هذا الاضماري يوجب عليك قبول الاصلاح عندما ترى الرهبانية مستعدة لاجرائه والقيام به بدقة ونشاط

٥ وما مثل القوانين بهذا الامر الا مثل القصر الذين ولو طال الزمان على مغدوريتهم فان الشرائع المدنية تصوب مدعاهم بعد طول المدة وترفع المغدورية عنهم لانها تعتقد ان قصرهم سؤل لوكلائهم الغدر بهم وسلب اموالهم . فهكذا القوانين هي تحت حماية الكنيسة المقدسة وهي فرع من نظامها وفرائضها فاذا اهملها ولو مدة طويلة بعض الروسا الذين اقامتهم وكلاء عليها وانتبهت بعد ذلك لهذا الاهمال وارادت اصلاحه فلها ذلك وعلى كل راهب من افراد الرهبان ان يخضع لهذا الاصلاح ويقوم به

٦ ولا شك بانك في دخولك الرهبانية لم تعاهد الله بمناسبة القوانين وتدميرها . والحال ان اخلل الدائم بحفظ القوانين هو دمارها لان اخلل اول مرة يأتي بمثله ثاني مرة والثاني بثالث وهلم جرا الى ان ينتهي التواني وخبث النية بتأويل القوانين تأويلات كاذبة . ولا ينفكان عن التقدم من معثرة الى اخرى حتى يتم دمار القانون والنظام الرهباني معاً

٧ من المقرر انه لا يسوغ لاحد ان يمنع غيره عن التمتع بالخير العام المختص بالجماعة . والحال ان القانون خير عام يختص بجماعة الرهبان اجمالاً وافراداً . فلو اردت انا حفظه بتدقيق لا يقدر احد ان يقاومني . لانه لو كان لي ولاخي حقل



واحد باثر من زمن مديد وانا اريد حراثته وغرسه فهل لاخي ان يمنعني عن ذلك؟  
فالقانون هو هذا الحقل المهمل من الحراثة فلو شئت انا ان ارجع الى حفظه والقيام  
بكل ما يرسمه فهل يسوغ لاحد اخوتي الرهبان ان يقاومني بذلك كلاً . ومن  
البين ان مقاومة الاصلاح من بعض الرهبان كثر او قل عديدهم ولا سيما اذا  
كانوا من ذوي الكلمة والنفوذ هو منع لكل واحد من افراد الرهبانية عن  
حفظ الرسوم بتدقيق وعن التمتع بنجر القانون العام الا وهو راحة الضمير  
الكاملة المطلوبة بنوع خاص في الدعوة الرهبانية

٨ ومن مبادي الحق القانوني ان ما كان ردياً في الاصل لا يصير صالحاً فيما  
بعد ولو تمادى الزمان . وانه لا الخداع ولا الاغتصاب يكونان اساً لحق شرعي .  
فاذا اختلست مالي بمكر او باغتصاب فلن تكون ابداً مالكاً له ملكاً شرعياً  
عادلاً . وهكذا فان احتقار القوانين وعدم العمل بها لا يكون حقاً شرعياً لاحد  
ولو مها طالت مدته لانه مبني على المكر وقوة الاغتصاب . وهل من الممكن  
ان يصير احتقار القانون قاعدة قانونية . او لعل السكوت عن هذا الاحتقار  
كان عمومياً من جميع الروساء وفي كل زمان ؟ كلاً ولكن قد جرى التنبيه عليه  
مرات غير انه لما كثر المخالفون ينس اكثر الروساء والرهبان الصالحون وانكفوا  
مدة عن القيام بحقي واجباتهم في امر التنبيه والوعيد . ومن ثم فهذا السكوت  
لا يكون حقاً مرعياً لا يرجع به لانه لم يكن عن رضا واستحسان بل عن كره  
ورغم . وبعد فلو اراد الروساء السكوت عن رضا فلا يسوغ لهم . فينتج اذا  
ان السكوت لم يكن الا عن اغتصاب مراعاة للضرورة وان هو الا احتمال  
موقت لاجل قساوة قلوب العصاة المتبردين . وبمثل هذه الظروف لا يبرح القانون  
حافظاً حقه كثر المخالفون او قلوا وطالت مدة المخالفة او قصرت . نعم قد يسوغ  
لرئيس ان يسكت ما دامت الظروف لا تسمح له بالتكلم ومقاومة المخالفين  
حذراً من الوقوع في شرٍ اعظم . واما اذا تغيرت هذه الظروف فيجب على  
الرئيس ان يهب للمحاربة عن القوانين وعلى الرؤوس اياً كان ان يخضع لذلك  
خضوعاً كاملاً

## الباب الثاني

في السياسة الواجبة لازالة العادات السيئة وملاشاة الفتن والخصومات

عدد ١

في السياسة الواجبة لازالة العادات السيئة

ونكتني في هذا المعنى بان نورد بعض ما قاله صاحب مرشد

الروساء (نصيحته ٤١)

قال : « اذا كانت هذه العادات لم تدخل الرهبانية الاً من زمن قريب  
فاقتصر في نوع ازالتها على قراءة القوانين والقوانين وعلى شرحها وبيان دخول  
هذه العادات الموبنة . وبين كذلك ما عليك من عظام الموجبات لله وللناس  
الذين انتخبوك لهذه الوظيفة وأبن ايضاً ما انت عليه من الحزم في المحافظة على  
الرسوم بكل تدقيق اذ بدون ذلك لا تكون لضيرك راحة البتة ثم اوضح  
التغير الذي طرأ على الرهبانية وما ينجم عنه من الضرر في القوانين والكمال  
الرهباني في الحال او في الاستقبال وانك من ثم لا تستطيع ان تنفك عن هذه  
المحافظة لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل لو جددت لك الرئاسة  
اما اذا كانت هذه العادات قد اندست في الرهبانية من امد طويل فلا  
تحاول قلعها كلها باسرع وقت لان ذلك مما يجعلك في اعين مروؤسيك كجدد  
الرهبانية او مصالحها فينفرون منك وينبذون كل ما تتوخاه . فالتأني والرقعة  
في مثل هذه الحال افضل واجدى نفعاً من اللجاجة والصرامة والسيد المسيح  
نفسه عزت قدرته لم يلاش كنيسة اليهود دفعة واحدة بل كما لحظ القديس  
اغوسطينوس اماتها ودفنها بانارة واکرام . فان التغير السريع ولو من الشر الى  
الخير لا يخلو من الاخطار والمعاطب

وما احدثه طول الزمان لا يحويه إلا طول الزمان فان حاولت شفاء مرض مزمن بسرعة وقوة لا تلاقي إلا زيادة الاخطار والمحن . ومن المقرر ان اصلاح رهبانية قديمة هو اصعب من انشاء رهبانية جديدة

فان القديس فرنسيس سالس كان من مباده ان يسير في اصلاح الديورة بكل تأنٍ ولطف وكان من عادته ان يقول : « ان النجاح لا يكون الا من الاقل الى الاكثر وان الله جلت حكمته لا يفتقر الى الزمان ليبلغ كل علة معلولها وهو مع ذلك وان اتم بقوة كل ما يريد لا يتمه الا برفق واناة وبترع غير محسوس . اه » وكان في ادخاله الاصلاح الى ديورة الرجال يطلب شيئين الصلاة العقلية مع القراءة الروحية رفيقتها اللازمة لها والمثابرة على سرّي التوبة وتناول القربان المقدس وكان يقول ان الاصلاح يتم بذلك بهدوء وسكينة اذ لا ينجم عن ذلك ضجيج ولا معاسفة ولا معاكسة البتة

وكذلك في اصلاحه ديورة الراهبات كان يطلب شيئين وهما دقة المحافظة على حصن الدير والصلاة العقلية مرتين في النهار وكان يقول : « بهذين الامرين يمكن بسهولة ارجاع اولاء البنات المحصنات الى حفظ واجباتهن بدقة ونشاط . اه هذا ما نؤرا من الراهبان والرهبات الذين يكونون عقدوا النية وصمموا الغريزة على عدم قبول الاصلاح باي وجه كان . وقد صور الاب صورن هولاء الافراد بصورة مريعة اذ قال : « انهم ذوروثوس من حديد وصدور من نحاس لا تدع للنعمة مدخلا وهم يرون الشهامة في عدم الطاعة واحتقار كل فريضة حتى انهم يضحون للشياطين غنيمة باردة اه (م ٢ ك ٥٠)

سر بين الاخوة سيرة الحكمة والتدقيق في الرسوم والقوانين واتخذ لك في ذلك خطة واحدة لا تتغير فيكون لك هية واعتبار ويرى الجميع انك محب للقانون وللأخوة معاً . وعندما يعتبرك مروثوسك هذا الاعتبار يسهل عليك ان تقدمهم في معارج الكمال وهم لا يشعرون لا بكرب ولا بعناء . وبعد فلا تدع احداً منهم يحتاج الى شيء من الماكل والملبس لان التراخي بحفظ القوانين يكون مبداءه عادة الحب المفرط لرغائب الطبيعة وتقصير الرساء في تأدية هذه المطالب وان ما يقويك وينصرك على افكار الاخوة هو ان لا تسير امامهم

وانت رئيس سيرة لم تكن سرتها وانت مروؤوس بنوع ان لا يقال عنك انك تقول ولا تعمل او انك تفرض لنفسك قانوناً ولمروؤوسيك قانوناً آخر . وكلما بان لك او توهمت ان امر الاصلاح شاق او مستحيل ضاعف عنايتك بحفظك القوانين وجهدك بان تكون من الحارين في العبادة . فيفعل حينئذٍ مثلك ما لا يفعله قولك اكد لمروؤوسيك بقاطع البرهان ان الله يعطي الروساء من القطنة والغيرة ما لم يُعطوه من قبل لانه جات حكمته يساوي بين الهبات والواجبات واذا مست الحاجة الى عتاب المذنب فعاقبه ولكن ابن له انك لم تجر ذلك الا مكرهاً لاجل المحافظة على القوانين واذك اذا عملت على اخضاعه لنير الطاعة فما ذلك الا حباً بخيره لا غير . واقتصر في غالب الاوقات على تنبيه المروؤوس وحضه على اجتناب المخالفات حضاً بسيطاً ليناً . تكلم قليلاً وصل كثيراً ولا تقل او تفعل شيئاً يمكنك ان تجعل به فيما بعد ولا تلجأ الى المواربة والمخاتلة لانه لا بد لكل خفي ان يظهر ولكل مجهول ان يُعلم . انتق مروؤوسيك من الرهبان الصالحين وابذل قصارى الجهد في مسالة الرهبان القدماء ذوي النفوذ والذين لا يبعد ان يخلفوك في الرياسة لكي يواصلوا يوماً العمل الذي تكون بدأت به ويبقى الروح في الرياسة واحداً . افرض صلوات غير عادية لاجل نجاح العمل . ألق رياضة روحية على عموم الرهبانية بواسطة مرشد محنك متصف بالحزم والدعة وسداد البرهان وعذوبة الكلام ومقتدر على ان يكمل في منبر التوبة ما يكون بدأ به في منبر الخطابة

وعليك بالخصوص ان تتوصل الى كشف اصول العادات السيئة مثل كثير العدد من اباء الاعتراف في دير واحد وقلة اعتبار القوانين التي هي خطيرة في عين من يريد بلوغ الكمال الرهباني . وعدم الصمت في اوقاته وهو في تعليم الاءاء الروحيين من اعظم ادلة الاصلاح والنجاح في القضية وكثرة مقابلة الخارجين ولو داخل الدير وهذا ينبغي ان تعين له مواقيت محدودة اما التجول خارج الدير لغير داعٍ صوابي وبغير اذن الرئيس فلا يُعد من الشوائب فقط بل من المنكرات التي لا يليق احتمالها في الرهبانية ولو كانت في شخص واحد واهمال القروض الروحية التي يجدر ان يُسن لها سنن لا يتخطاها احد بدون داعٍ ضروري .



وعليك ايضاً ان تنظر في شوائب الرساء مثل قلة حرمتهم او مجافاتهم لروؤسهم وقلة غيرتهم وسهرهم على مصالحهم . اما مثل هولاء فوأن لم يجدر بك ان تسكت عنهم او تبرئهم فع ذلك لا تلمهم بالتوبيخ والتوبيخ بل اقتصر على لوم الزمان والتشكي من الظروف التي لا تمكنهم من القيام بحق واجباتهم كما يرغبون لترئيم بذلك انك لا تبي الظن بحسن نياتهم . ومن الشوائب التي تضر بالاصلاح تكثير الفرائض ومساهلة الرساء بالاعفاء منها . فاكثف انت باصلاح التأويلات الكاذبة للتوازن اما تفسيرك لها فينبغي ان يكون مدعوماً بصحة البرهان وصلاحيه السلطان

عد ٢

في السياسة الراجية لرفع الفتن وازالتها من الرهبانية

في هذا يفتقر الرئيس الى كبر العقل وسعة الصدر وجيل الصبر وطول المدة لان الحدة يلزمها شيء من الحماقة فهدم ولا تبني . الا ترى ان النوتي الذي ينتخر بعدم مطاوعته جري العواصف لا يلبث ان يغرق ويكون فريسة الامواج واللجة . ولعمري ان محاذرة المعاطب لا تقل مجداً عن مقاومتها والظفر عليها ولهذا يقال ان القوة جديرة بالآ تفارق الفطنة ابداً حتى ولو امكنها النوز برغبتها من دون مساعدتها . فاحتاجي اذاً بالقوة ان لا تسير خطوة الا بتقتضى ارشاد الفطنة وعلى الفطنة ان تعد وتسهل للقوة كل ما تبغيه وتروم نياله

قال العلامة بوفيس ( رسالة ١٤ ) « اسرع الى تبديد شمل الاحزاب التي تتألب وتتأيد بكثرة العدد وقد تتخذ لها في الظاهر غاية محمودة تستر بها اما في الباطن فلا يكون قصدها الا مغايراً للعدل والاستقامة . فيرومون اضعاف سلطان الرئيس بحجة توقيفه عن مطامعه المدمومة . واثما قصدهم يكون توسيع نطاق الحرية المعاكسة لكل نظام وقانون . فاقطع ربط هذه الالفة بالفطنة والدربة لا بالقوة والمعاسفة ثلاً تريداهم حقاً واعتصاباً . وأبن بالركة والمجاملة لزعيم تلك العصابة ولذوي النفوذ انهم بهذا التصرف يثلثون حقوق المحبة والنظام والالفة الاخوية وانك مستعد كل الاستعداد لان تحفظ سرهم لو كاشفوك به

وتحسن مكافاتهم . وهذه المباحثة تكون مع واحد منهم لان كثيرين يتألقون  
بمثل هذه الاحزاب عن بساطة قلب وعدم معرفة لغوايلها فاذا اسعدهم الحظ  
برئيس ذي حكمة ودراية يرشدهم سواء السبيل يرتشدون بسهولة ويعودون  
الى ما كانوا عليه من حب الالفة والسلامة . »

لا تستعمل القسوة اولاً بل اللين والرفقة اما روساء الاحزاب الذين يتودون  
الآخرين الى الفتن ولم يراعوا عن غيهم بعد تكرار التنبيهات فيجدر بك ان  
تعاملهم بشيء من الحزم والصرامة . غير ان ذلك لا يكون قبل دقة النظر  
والتروي الكامل في حالة هؤلاء المشاغبين وافكارهم وفي قوة حزبهم ولا يفُتَك  
ان حزب المشاغبين يظهر عادة انه اكثر عدداً مما هو في الحقيقة فلا تعبأ بما يشيعونه  
عن وفرة عددهم ولا شك بان الخطر القريب يظهر اعظم مما يكون في الواقع  
لان الخوف يصوره كذلك وكما مرة تورطنا في الاخطار من مزيد تهيننا لها  
وقعودنا عن مقاومتها في نشأتها فعظم شرها وازداد وبالها . وهكذا الجبانة عند  
الخطر تكون شراً من الخطر نفسه . واقول ايضاً ان اهل الثورة يظهر عديدهم  
في وقت الهيجان غفيراً لانهم يمشون في مقدمة القوم ويشيرون الحركة والضوضاء  
بينما نرى اهل السلامة يأبون المزاومة ويلجأون الى الخلوّة ويلتزمون السكوت .  
اماً لو رأيت الجماعة كلها او اكثرها تألبت عليك وعاضدت المشاغبين فالنظرة  
تقضي عليك حينئذ بان تتأني ولا تقاوم القوة بالقوة لئلا تتلعب الخطة مع الزوآن  
وتريد الفتنة هيجاناً . قال القديس اغوستينوس : « لا يسوغ ابداً ان نهمل  
الصالحين لاجل الاشرار ولكن يسوغ لنا ويبدربنا ان نحتمل الاشرار لاجل  
الصالحين اه

ان العقل النطقي يقضي على الانسان ان يفضل الطريق الامينة على الطريق  
الشريفة وان ينكسر بفطنة وتدبر امام الشر في وقت الضرورة راجعاً عن طريقته  
او معرجاً عنها عندما يصادف فيها اخطاراً لا تقتحم . انه ان الواجب ان نقاوم  
الظلم والظالمين ولكن لا يسعنا الا ان نخضع لاحكام الضرورة ولا نزع اننا  
نستطيع ان نأخذ كل شيء بالقوة . فلا نتظاهر باننا عارفون ما لا نقدر على  
اصلاحه ولنؤجل من يوم الى آخر ما لا نقدر على انجازه في الحال . وكثيراً ما

يكون في تضحية شي . من حقوق السيادة حفظاً وتأيداً لها . فاذا لحظت ان لا سبيل لك في الحال الى اصلاح بعض الشؤن ألا يجدر بك ان تتغاضى عنها وتوَجِّلها الى فرصة انس ؟ . وان ابیت السلوك في هذه الطريق حسبك الناس ناقص الحجي متهوراً او من ذوي الخشونة والغلظة . لانك اذ لم تدعن لاحكام الضرورة أُجبرت على القهقري والتحطم بانياب القوة الغالبة اه (بوفيس مکتوب ١٠) .

اماً ذور الارادة الصالحة من الرهبان فاعضدهم وشجعهم واعتبرهم واذا داهمهم بعض المصائب فحضهم على الصبر والمجبة واعتصم بهم لكي تستميل اليك سائر الرهبان المنحرفين عن جادة الصواب او تبدد شمل تجمعاتهم لانه من الضروري ان تكون اكرية الرهبان خاضعة لك ومذعنة لامر الاصلاح . ابذل قصارى الجهد في حفظ النظام في الاجتماعات الرسية وابن للجميع عظم الخطيئة التي يطالب بها اولو الدسائس الذين لا يسيرون بموجب ارشاد الضير . ولا تسمح لاحد بان يتغيب عن المجمع او ان يرفض اعطاء صوته فيه بغية إلقاء الخلل في الاقتراع .

ومن يعلم ان العناية لا تعد لك تجارب امر من كلما تقدم . فربما يتشبث رهبانك بعزل فارغة ويشتمون منك ويعملون كلما بوسعهم من ضروب الخيل والمكر حتى يلجنوك الى الاستقالة من الوظيفة او يحملوا الرؤساء على عزلك عنها ولكي يبيتوا للناس انك فقدت ثقة الجمهور واعتباره يتحاشون مخاطبتك ويأبون ان يكشفوا لك افكارهم بل قلما يدخلون قلايتك وتراهم لا يعتدون بك ولا باوامرك ولا تراهم شاكرين لك شيئاً مما تعمله لاجلهم او تبديه لهم مهما بالغت في حبهم فسواء تكلمت او سكت انت المخطي . وان حاميت نفسك ولو بكل دعة ورقة عدوك عاتياً وظالماً وان انت لثمت السكوت وألقيت كل همك على تدبير الرؤساء الكبار قالوا انك مذنب بعين نفسك ولا تجسر على الاتيان بادنى حركة . وبعد فانهم يعزون اليك كل القلق والشغب وتشويش النظام الذي يكونون هم قد احدثوه لكي يشجبوك به اذ يقولون : « كيف يمكن اويسوغ ان يُترك الجمهور كله في قلتي واضطراب من اجل رجل واحد ؟ اه ولكن اينك ان تبدي لمقاومة هذه الدسائس غير الصبر الطويل والدعة الكاملة

ثم اعرض للروءساء واقع الحال وكن مطمئن البال  
اماً لو كانت الوشايات التي يشكونك بها مخرقة بخير الرهبانية العام ضرراً  
جسيماً فلا بد لك اذ ذاك من ان تحامي نفسك بكل الجهد المستطاع وهذا ما  
يعلمه شمس المدارس القديس توما اللاهوتي . ولكن اذا كان الضرر خفيفاً لا  
تعباً به . واماً اذا كان الضرر جسيماً غير انه لا عيس الا مصالحك الخصوصية فالك  
حيث ان تحامي نفسك والك ايضاً ان لا تحاميهما حباً بفضيلة الصبر والمجبة

عد ٣

في ما ينبغي عمله لاجل تسكين الخصومات

اجتهد في ازالة المنازعات في حال نشأتها لانه لو ظهرت في الانق غيمة سوداء  
وعقبته في الحال ربح شمالية لبددتها ولم تذر لها اثرأ . امأ لو سكنت الريح  
فتعاضم تلك الغيمة وتقي غيوماً متكاثفة ولم يعد شيء يبدها بل لا بد من ان  
ينجم عنها الغيث المذار والسيول الجارفة . فاذا رأيت الامر هاماً تحر الفحص  
عنه بدقة وبدون ابطاء . ولكن اعط كلاً من الفريقين وقتاً كافياً ليكشف لك  
ما له وعليه ولا تبتر احداً بالليل عنه او اليه ولو بان لك انه منبع الشر واصلة  
ولا يبعد ان يبالغ كل منهما بما يشكو به رفيقه فيقول لك : « ان خصمي اتى  
بمكرة لم يسمع بمثله قط . . » فدع كلاً منهما يفرغ كنانة شكواه ولا تبدر  
الملل ولا تكن كمن يحاول حصر الرياح بكهف بل ابذل قصارى الجهد بان  
تعطي صاحب الحق حقه ولا تستصغر شكاية لانها ولو صغرت في عينك ليست  
كذلك في عين من يشكو ألها

واذا تعاضمت الخصومة وبدأ ما يضاء الاداب فاقص من الفريقين لان  
الواحد يكون قد اخطأ بابتدائه رفيقه بالاهانة والآخر بانتقامه لنفسه وانك  
باقتصاصك من الاثنين اذا لم ترفع من قلبيهما كل سم البغضاء فتدع على الاقل  
الآخرين عن الاتيان بمثل هذه المنازعات

وقد يحدث بعض الاحيان ان يجتدم الفريقان ويغضبان الغضب الشديد لاجل



امور تافهة واحياناً تكون المنازعة على اراء مدرسية فتثلم المحبة قبل ان تنجلي الحقيقة . وقد يحدث ايضاً ان يتبع احد الفريقين رأياً يضاد رأي الكنيسة ويخالف الايمان القويم فاذا حضرت مثل هذه المحادثات فأوقف جريها او حولها الى موضوع آخر .

واذا وجد بين مروثوسيك من يكونون مولعين بالمجادلات والمباحكات التي كثيراً ما تجرح المحبة فعين لهم رفقاء من ذوي اللين والدعة لكيلا ينفذي الأمر بهم الى المشاحنة والمنازعة

وفي آخر هذا الفصل « في الاصلاح » واختتام هذا الكتاب « في التأديب » نقول كلمة نصيح للرئيس : « ان اعتبر جماعتك كلجة بمرتثور منها في ساعة لا تظنها زوابع شديدة تهول امر الملاحين واءظمهم بسالة . ولكن اعلم مع ذلك ان الله هناك يسود على قوة البحار ويسكن امواجه المضطربة فيحني تحت نير شريعته اقصى رقاب العاتين والمتمردين

فلا تفشل اذاً ولا تيأس لانك بالنعمة والحزم والصبر لا بد من ان تبلغ الغاية من مقاصدك الخيرية . فغار النصر معدٌ لفضيلة الثبات وكلما قاسيت من الشدائد في جانب الجهاد والظفر كنت حقيقاً باعظم الاجر والثواب

ولا ارى في ختام هذا الكتاب كلاماً انجع في قلوب الروساء من كلام الذهبي القم في هذا الصدد اذ كان يحث المؤمنين على المثل الصالح لبنيان القريب . قال : « اذا كنتم اليوم لم تقنعوا احد فستقنعونه في الغد او بعد الغد . وان لم تتوفقوا الى ذلك ابداً او لم تتوفقوا الاً مع افراد قلال العدد فان اجركم معد في كل حال وهو اجرٌ كامل . الا ترى ان سادتنا الرسل على الرغم من مزيد رغبتهم في هداية العالم باسره لم يوفقهم الله بكل مبتغاهم فاذا رمت ان تربح العالم كله للسيد المسيح ولم تقدر فلا يصدقك شيء عن ان تربح له تعالى قسماً ولو صغيراً فان لم تقدر ان تربح له تعالى مئة فاكتفِ بربح عشرة . وان لم يسعدك الحظ بربح العشرة فاكتفِ بربح الخمسة او بربح شخص واحد حتى اذا لم يتيسر لك ربح شخص واحد لا تقنط من العمل بل واصل عنايتك الى آخر نسمة من حياتك . تأمل في ما يعملهُ التجار فانهم لا يقصرون عملهم على جمع الذهب بل يجمعون من الفضة والنحاس

والحديد وكل ما يتيسر لهم ولا يتوصلون الى جمع القناطير المقنطرة من الاموال الا لانهم لم يتهاونوا بجمع الدراهمات اليسيرة لان من تواني بالربح القليل قلما تساعده الفرصة على ربح الكثير . ولا يُضحى غنياً عظيماً الا من واصل العناية بجمع كل ما يتيسر له من الارباح كبيرة كانت ام صغيرة .» ( العظة ٣ على الرسالة ١ الى الكورنثيين )

## الفصل الثالث

### في الارشاد الروحي

مدار كلامنا في هذا الفصل يكون على العناية التي ينبغي للرئيس ان يتخذها في تقديم مروثوسيه في الحياة الروحية

#### عد ١

لا يسوغ للرئيس ان يدع رهبانه يتقاعدون عن التقدم في طريق الكمال

قال السيد المسيح « انظروا واسهروا وصلوا واقول اسهروا . وما اقوله لكم فكلجميع اقوله اسهروا لانكم لا تعلمون في اية ساعة يطرق السارق » ( مر ١٣ ) ومن لا يسهر يدركه الاجل بغتة . فما الفائدة من قيام الحقيقة في وجه من لا يفتح عينيه ليراها ومن عليه في الجماعات الرهبانية ان يفتح الاعين المغمضة وان يقرب المصاحف او القوانين الرهبانية الى ابصار الرهبان الذين يفضون عنها وان يصعد الى قمة العقل ليشاهد اقدام العدو في معصية الحرب؟ ان هو الا الرئيس الذي يسميه الاباء القديسون حارس مدينة الله وعين الجماعة وضمين الانفس ومنازة بيت السيد المسيح وحارث حقل بيت العائلة وامين حظ مروثوسيه . فتباً اذن

وتعصاً لتلك الجماعة الرهبانية التي يمكن ان يوجه اليها كلام أشعيا النبي القائل :  
« ان رقباءها كلهم عمي لا علم لهم وكلهم كلابٌ بكمٌ لا يستطيعون النباح  
حالمون مضطجعون محبون للنوم » (ف ٥٦) ونرى السيد المسيح يعامل المتسواني  
بواجباته معاملة العبد الشرير اذ قال له : « ايها العبد الشرير الكسلان » (متى ٢٥)  
ولا شك انه يريد بذلك ان الراعي المتواني يلحق بقطيعه من الضرر عين ما يلحقه  
به اللص السارق

قال القديس مبارك في كتاب قوانينه « وليعلم الرئيس ان من واجباته ان  
يؤدي الى خرافه كل ما يتوقعه منه رب العائلة » (ف ٢) فكأنه يقول ان الرئيس لا  
يعطي جواباً عن النقائص التي يرتكبها مروثوسه فقط بل عن قلة تقدمهم في  
الفضيلة كما في وسعهم . ومفاد ذلك ان الرهبان الذين كان في امكانهم ان يتقدموا  
في الفضيلة تقدماً عظيماً ولم يتقدموا الاً تقدماً بطيئاً من تقصير الرئيس في حضهم  
وارشادهم في طريق الكمال فالرئيس يكون مطالباً بكل ما يخسرونه من  
درجات المجد التي كانت معدة لهم جزاء فضائلهم لولا توانيه في اتمام واجباته  
نحوهم . وهذا عين ما قاله القديس برزدوس للبابا اوجانيوس وهو : « من حيث  
انك رعاك الله لا متسلط على رعاياك فقط بل مدين لهم . ابذل قصارى الجهد حتى  
ان الذين لم يذوقوا بعد لذة الفضيلة يذوقوها ولا يفقدوها بعدما تقدموا فتمتعوا  
بها ويعودوا اليها باقرب ما يمكن من الزمان اذا كانوا فقدوها . » (اعتباراته  
ك ٣ ف ١)

ولعمري ان الكمال دين على الراهب يؤدي منه في كل يوم جزءاً ولا يمكن  
ان يفقه تمام الايفاء . او هو خبزه اليومي الذي يبتاعه بعرق جبينه . او هو تجارة  
يستخدم فيها كل قواه وكل رأس ماله من دون ان يضع حداً او مقياساً لارباحه  
فان قلت انا غني ولا حاجة لي الى اكثر مما عندي ولا اريد ان اكون اغني من  
آبائي . . فكلارك هذا لا يكون كلام راهب . قال القديس غريغوريوس ان  
المدين بالفدينار لو وفي منها مئة لا يمكنه ان يقول اني برئت من ديني . والمسافر  
الذي لم يقطع من طريقه الاً نصف المسافة لا يعتدبا قطعه لعله انه لم يبلغ بعد  
غاية سفره . » وقال ايضاً ان من شرع في عمل الكمال المسيحي مثله مثل من يقطع

نهرًا غزير الامواه وسريع الجري فان توقف ولو قليلاً عن مقاومته الجري اختطفته السيل . ولذلك قال ائمة الالباء ان التوقف في الحياة الروحية هو تأخر . وعدم الربح خسارة . وإلقاء السلاح انكسار تلم . والعمل بابطاء . وتوان . هو هدم العمل السابق وملاشاته . تقول انك لا تريد ان تكون احسن من ابائك ولا تدري ان قولك هذا يعني انك لا تريد ان تكون فاضلاً . وان قلت انك لا تريد ان تصعد الى قمة جبل الكمال فذلك اشارة الى انك لا تريد الا ان ترحف في عمق الوادي . والا فكيف يتفق انك بعد ان اتخذت الرب يسوع قدوةً ومثالاً تقاوم الان نعمته وتمتن صلاحه وتنكص في عهدك

ولاجل ذلك يترتب على الرئيس ان يحضّ رهبانه ويستنهضهم الى سلوك طريق الكمال التي قيل عنها » ان الذين يعرفونها قليلون واقل منهم الذين يدخلون فيها . واقل منهم ايضاً الذين يسلكونها ويتقدمون فيها اه « وعليه يجب على الرئيس كما يعلم لانسيسيوس ان يفاوض رهبانه هذه المفاوضات الروحية مرّات كثيرة وان يسألهم في كل فرصة عن نجاحهم الروحي وان لا يقتدي ببعض الرُساء الذين يقضون اكثر اوقاتهم او كلها بقراءة المراسلات والجرائد والزيارات العالمية ولا يهتمهم غير السياسة والمصالح الزمنية رهبانية كانت ام عالمية « ( في شروط الرئيس الصالح )

## عد ٢

في انه من واجبات الرئيس الاولى ان يتطلب من رهبانه  
الكمال الذي يوجبه القانون وتساعد على  
اكتسابه الحياة الرهبانية

لما كان كل قصد الراهب عند دخوله الرهبانية تحصيل الكمال الذي يوجبه القانون وتساعد العيشة العمومية على الوصول اليه كان على الرئيس ان يبذل معظم عنايته في مساعدة الرهبان على الفوز بهذه البغية المقصودة والضالة المنشودة  
ولعمري لا يرفض احد ارادته المطلقة ويتعلق بارادة غيره الا تعرض تساوي



اهميته هذه التضحية الكبيرة . فما هو اذن غرض الراهب بتضحية ارادته الخصوصية على مذبح الطاعة في تلك الرهبانية تحت طائلة تلك القوانين والرسوم . انما هو لا شك ان يحمي نفسه بقوة الطاعة المقدسة وبمساعدة قوانين الرهبانية ورسومها من شر الرذائل التي تدهمه من داخل والمخاطر التي تكتنفه من خارج . وان يحصل بهذه الحماية على الكمال الرهباني . وبالحقيقة ان الراهب لما كانت الاميال المنحرفة تتسلط عليه كسائر الناس وكان معرضاً لآخطار الشكوك والفساد ولا يطمئن الى استقامة ارادته ولا الى ثباتها رغب في ان يلتجئ الى احدى الرهبانيات محتسباً في ظل رسومها وقوانينها آملاً انها تقيه شر الفساد وتعضده في طلب الخير وفي الخضوع لنير الفضيلة وانه يبلغ على هذه الصورة الى القداسة والكمال بلوغاً اخص فيما اذا كانت الرهبانية الملتجئ اليها حاترة امتياز التثبيت من الكرسي الرسولي . والحال ان الرئيس هو حارس الرهبانية ومحام عن القوانين باسم الكنيسة . فوجب عليه اذن ان يحافظ بواسطة القوانين على اولئك الذين اتخذوها دستوراً لهم وان يساعدهم بها على بلوغ غايتهم التي هي الكمال المسيحي . ولما كان جميع الرهبان في كل رهبانية يسلمون ارادتهم لارادة رئيس واحد وجب ضرورة على هذا الرئيس ان يجمع مصالح الجميع الى غاية واحدة ألا وهي الكمال وان يوجه ارادة الجميع الى طلبها والحصول عليها بأمن طريقة واسهلها .  
فهذا يكون كمال الجميع بالعموم وكمال كل واحد بالخصوص قائماً في ممارسة القانون وبه تقوم الحياة العمومية التي هي نتيجة العمل بموجب القانون وبه يوجب على الرئيس ان يحض رهبانه ويحملهم على بلوغ الكمال الذي يطلبه القانون ولا يكون عادة إلا في المعيشة المشتركة

والكنيسة المقدسة تعتبر الاشتراك في المعيشة اعتباراً شديداً ولذلك تنهي عندما تثبت رهبنة من الرهبانيات عن اقامة دير جديد ما لم يتيسر له جمهور كاف لقيام القوانين وحفظ الاشتراك في المعيشة

قال القديس برزدوس : لا شيء مقبول لدى الله مثل الاشتراك في المعيشة والنظام والרגائب « فالاشتراك في المعيشة يقوم باقتسام المنافع العمومية اقتساماً متساوياً والاشتراك في النظام يقوم بالرياضات الروحية والخدم الجسدية المطلوبة من

الجميع بدون استثناء إلا لداع موجب وأما الاشتراك في الرغائب فلا يكون إلا في ازدياد الاخاء الصادق والحب الكامل بين افراد الجمهور باجمعهم . قال الانبا بالتازار القارس « ان العيشة بين الجماعة عيشة عمومية هي افضل ضحية مقبولة عند الله وينبوع بركات غزيرة . ولما كان يسأله بعض الرهبان ان يجيز له بعض تقشفات لم يأمر بها القانون ولا هي مألوفة عندهم كان يقول له : اتبع الجمهور في كل شيء من دون زيادة ولا نقصان اه وكان من رأيه ان الافضل للراهب ان يعيش مع الجمهور كما يعيش الجمهور من دون ان يميز نفسه عنهم بشيء من الاشياء . وكان يقول « قصر الحياة قليلاً او اعتلال الصحة مقروناً بمشاركة الجمهور خير من طول العمر او حسن العافية بالانفراد عن الجمهور والامتنياز عنه بشيء مما يدعو الى الحسد والدمدمة اه وكان يلتمس من الله ان يوليه دائماً هذه النعمة التي كان يعتبرها من اعظم النعم وهي ان يعيش هذه العيشة المشتركة الى آخر يوم من حياته وكان يتبع اتباعاً مدققاً سير الجمهور في كل خطواته مع انه كان مصاباً ببعض الامراض التي لم يكن يبوح بها خوفاً من ان يتخذ الروساء ذلك حجة فيعنفوه من بعض الاعمال العمومية روحية او زمنية . وكان متيقناً ان الراهب الذي يجهد نفسه للقيام بكل الخدم العامة يساعد الله مساعدة فائقة على القيام بها وبسرعة التقدم في الحياة الروحية

واننا لا نريد بما تقدم ان نعني الرئيس من مساعدة من كان من رهبانه مدفوعاً الى كمال اسى وفضيلة ارفع طالباً الارتقاء الى درجة من الكمال فائقة تباعاً لمفعول النعمة به . قال بروتولاوس الشهيد ان القديسين لم يصيروا قديسين إلا بتلبية داعي النعمة التي سمت بهم الى مرتبة من الكمال سامية بل فائقة . وعلى الرئيس ألا يغفل عن ان يتمتع الراهب ليعرف الروح الذي يحمله على الرغبة في هذه الفضائل السامية فان الوسطة الاقوى للامتحان انما هي الطاعة فمن امثل امرها كان روح الله محركاً ومن أبى الامتنان كان محركاً من الروح الحثيث . وعليه ايضاً ألا يظهر انه يعتبر ما يحوزه الراهب من النعم من هذه الجهة وألاً يحكم بصدق قداسته استناداً على فضائله الممتازة وإلاً اضرب بتواضع الراهب المنعم عليه بهذه المنحة الخصوصية واقام عليه من بين الاخوة نقاداً وحساداً .

اما روح الحسد فيتولد في الجميع ولا سيما في الشابات المتعبدات لانهن اميل الى المواهب والاعمال الممتازة عن غيرهن . ولهذا هن اشد احتياجاً من الجميع الى ان يفهمن تعليم الرسول بان المحبة افضل من كل المواهب الفائقة العادة . وان الاعتماد في الرهبانية انما يكون على القداسة التي ترسمها القوانين ويقويها الاشتراك في المعيشة »

اما كيفية منح الانعامات والتفسيحات فقد تكلمنا فيها ملياً في الفصل السادس من الكتاب الرابع عندما بينا ما يجب على الرئيس من العناية الابوية باحتياجات مروثوسيه الروحية والزمنية .

### عد ٣

في انه يجب على الرئيس ألا يعل من ارشاد رهبانه وحضهم على المسير والتقدم في طريق الكمال

ان الجهل ليس من مفاعيل الخطيئة الاصلية فقط بل من اسباب الخطيئة الفعلية ايضاً . فمن يعمل في حال الجهل يكون كمن يمشي في الظلام يعثر في كل خطوة او يضل عن السراط المستقيم . ومن ثم نقول ان السيد المسيح قصد في مجيئه الى الدنيا ازالة الجهل كما قصد استئصال الخطيئة فهذا ينبغي ان يكون عمل كل مرسل يقتفي اثار معلمه بدليل قوله تعالى : « علموا » فمن اتخذ على ذاته مهمة الراعي كان بذلك معلماً ايضاً .

ان لتحريض الرؤساء مروثوسيهم على العمل ثلاثة مفاعيل . الاول : ان الرئيس يعظ نفسه ويحضها على العمل بما يعلمه . الثاني : انه يشجع الحارثين ويلقي الحرارة في قلوب القاترين . الثالث : انه ينبه الافكار الصالحة ويوقظ الارادة الخاملة . فكم من الرهبان من يجهلون طريق الكمال اما لانهم يرضون بمعرفتها النظرية واما لانهم ينخدعون في التطبيق بين اعمالهم ومبادئ الكمال ورسومه ولذلك لا يُعتبر تحريض الرئيس سراجاً مضيئاً فقط بل ناراً تنير وتحمي .

ولكن ينبغي ان يكون كلام الرئيس بسيطاً ومتيناً وليكن كأنه مضمخ بطيب الفضيلة وزيت المحبة فيضحي ذا قوة بها يبلغ حتى القلب

وهذه الارشادات تقتضي استعداداً طويلاً وروية جدية وهذا لا يتيسر لمن يكونون منهمكين في الاعمال الكثيرة او الدروس العسقة لان هذه تستغرق كل اوقاتهم وتشغل افكارهم وقواهم العقلية وتعوقهم عن الالتفات الى واجبات مهامهم الخطيرة . واذا كان الرئيس ممن لا يمكنهم الوعظ والارشاد فعليه ان يقيم وكيلاً من ذوي الرزانة والمعارف ينوب عنه في هذه المهمة الشريفة اما موضوع ارشاداته فينبغي ألا يتجاوز عادة حدود الملاحظات القانونية والفضائل الرهبانية حتى لا يكون كلامه بذيئاً ومهزواً به .

واذا ابنت الحد الذي تمتد اليه واجبات القوانين فبين ايضاً سمو المجازاة المعدة للامناء في حفظها بتدقيق لانه اذا كانت معرفة واجباتنا تفقه العقل وتنيره فمعرفة شرف المجازاة تقوي الارادة وتولد فيها الشجاعة . ومما يجدر ذكره في هذه الارشادات هو روح الرهبانية او غاية تأسيسها وسيرة مؤسسها واقوالهم والمبادئ التي كان يرددها قديسوها وما جرى لهم في مدة حياتهم من الامور الخطيرة . والسر العظيم الذي كشفه ديتريوس الغالييري لبثولماوس ملك مصر ليحسن سياسته لم يكن سوى ارشاده اياه ليقرأ كثيراً اخبار الملوك اجداده . قال كاسيودورس ان مديح القدماء والثناء على اعمالهم يكون لنا اقوى دافع ومحرك الى الفضيلة لان الانسان ينجعل ان يرى انه شر خلف خير سلف . اما بوليسلاس الرابع ملك بولونيا فكان معلقاً في عنقه صورة ابيه منقوشة على ايقونة من ذهب وكان كلما خطر له ان يعمل عملاً خطيراً يذني الصورة من شفتيه ويقبلها باحترام قائلاً : وقاني الله يا ابي من ان اعمل عملاً يشين ذكرك الشريف او لا يليق باسمك الملكي

ومن الواجب تكرار الكلام من وقت الى آخر في موضوع الفضائل التي تريد غرسها في قلوب المروثوسين وفي الشواثب التي تريد استئصالها منهم . ولا بأس بزيادة البرهان على ذلك وزيادة الاسهاب ايضاً لان اجتماع الرهبان كلهم في كل ارشاد قليل وكل الارشادات لا يكون لها الوقع الواحد عند الجميع وليس كل ما يعلق في الذهن يؤثر في القلب تأثيراً لا يمحي الى الابد . ولذلك فالموضوع الذي لم تتكلم فيه الا مرة او مرتين يكون كأنك لم تتكلم فيه قط . ألا ترى ان من اراد ان يطبع ختمه على شمع لزمه ان يشد عليه . وهكذا من اراد ان



يصبغ ثوباً من قماش ويعطيه لوناً جديداً قائماً وجب ان ينطه في ماء الصبغ اكثر من مرة . واذا طلب الدائن ماله من مدينه وأبى هذا ان يؤديه اليه فلا يكف او يتأخر عن مطالبته حتى يستوفي ماله

اما الرؤساء الذين يعرفون أهمية وحدة الموضوع ويتبعونه في خطبهم وارشاداتهم فليسوا بكثيرين لانهم لا يهتمون بجمع افكارهم وتصوراتهم . فانك ترى في احاديثهم وخطبهم آيات باهرة مسبوكة في قالب الفصاحة مجبوكة من المعاني الروحية . الا انها غير منسقة ولا متتابعة على النظام والتدرج . فترى كل خطبة بذاتها نفيسة في بابها ولكن لا علاقة لها بما قبلها ولا بما بعدها . فكان الرؤساء بذلك ينجطون خبط عشواء لانهم لا يتبعون غاية واحدة ولا يسألون انفسهم عما عملوا ولا عما يعملون او يجب عليهم ان يعملوه في المستقبل

اما القديس غريغوريوس فيريد منا ان تكلمنا عن فضيلة ان نحذر من حمل السامعين على الرذيلة المضادة فقد قال : « ينبغي ان يمر الواعظ منا في وسط الشهوات اللحمية مر السهام او ان يكون كلامه كسيف ذي حدين يقطع يمنة ويسرة ولا يذر شيئاً مما يصادفه . فاذا حرض المتكبرين على التواضع لا يحمل صغار النفس على الجبانة . واذا حض الجبناء على الحزم والثبات لا يدعو اهل العجب الى الزيادة من التمرد والقحة واذا دعا البطالين الى العمل والحركة لا يوهم ذوي الخفة ان في كثرة الحركة والتقلب في المساعي خيراً او نوعاً من الفضيلة ولا اذا دعا ذوي الحركة الى الهدو والسكينة يدعو بذلك محبي التقاعد والراحة الى سبات النوم حاسبين ان لا راحة للضمير الا فيه فتضحى حياتهم موتاً لا خير فيها البتة . وعليه فاذا حاولت كبح عواصف الغضب في ذوي الغيظ والسخط فلا تريدن القلوب الضعيفة جبانة . واذا اردت ان تحمل القلوب الضعيفة على المنافسة والعمل فاحذر ان تريد اهل الحق استشاطه وتضرماً وبالنتيجة اذا علمت قوماً نوعاً من الفضيلة اجهد بان لا يقال عنك انك تأمر غيرهم بنوع من الرذيلة المضادة واذا مدحت الكمال فلا تهج الفضائل المعتادة العمومية . واذا مدحت هذه المناقب العمومية فلا تعط سبيلاً للظن بانك تنهي عن التقدم في معارج الكمال الى ما وراء هذه الفضائل المأمور بها من الرسوم والقوانين الرهبانية » (الراعي ق ٣ ف ٣٧)

## الباب الثاني

في القطة التي تقتضيها مهمة الرئيس

عدد ١

لا ينبغي للرئيس ان يقتاد كل الرهبان الى الكمال في طريق واحدة

انه وان وجب على الرئيس ان يحافظ على المساواة في سياسته الظاهرة يضطر في الباطن لان يعامل كلاً بما يوافق طباعه وعوائده وان يميز بين الاطفال والابطال في نهج الفضيلة . فان الله لا يساوي الجميع بما يهبهم من الشيم والعقل والعزم وسائر القوى الفاتكة الطبيعة مثل اثاره العقل ونهضة الفضيلة . ولم يخلقنا جميعاً اهلاً للقيام بامور متساوية ولا يقصد ان نبلغ كلنا الى حد واحد من الكمال ولا يدبر كل واحد منا بوسائط واحدة . فعليه لا تساق جميع النفوس على وتيرة واحدة ولا يصح ان توجه الى كل منها كلاماً واحداً ولا ان ندفعها كلها الى غاية واحدة بسرعة واحدة ومدّة واحدة بعينها

لقد تقدم ان الطباع والامزجة تختلف اختلافاً بيّناً . فالواحد متأماً من العادات والاداب والعزم على الاعمال ما ليس للآخر . ألا ترى في بعض الناس نفوساً كريمة ذات بسالة وحزم في كل ما تبغيه . وفي بعضهم نفوساً خسيسة ضئيلة وضئيلة عاجزة عن كل خير ؟ فذو النفس الكريمة يطلب التقدم في الفضيلة فان اخرته انت عن مسعاه تكون قد قاومت يد العناية الربانية . واما ذو النفس الخسيسة فيقصر عن الوصول الى المطلوب . وان انت ضيقت عليه ذهب عملك بغير جدوى . وقد يتفق ان ينجو هذا بالطريق التي يهلك بها ذاك لان من الناس من يفتقر الى ان تراقب خطواته واحدة فواحدة ومنهم من لا يفتقر الى شيء من ذلك ومنهم من يحسن ان تدعهم يسرون على سلامة ضميرهم بالنظر الى الله بفضيلتهم او الى انهم يهتدون من انفسهم لو ضلوا يوماً من الايام

وقصارى القول انه يلزم الرئيس من جهة ان يتبع في سياسته خطة واحدة لان الرهبان في كل جماعة مدعوون الى نوع من القداسة تقتضيه رسوم الرهبانية وغايتها . وينبغي له من وجه آخر ان لا يجذو في سياسته جذواً واحداً لان رهبانه مدعوون الى درجات من القداسة مختلفة باختلاف النعمة والقوة التي لكل منهم فالمقصود بالخطة الواحدة لزومها من حيث انها تتعلق بالقوانين والعادات الواحدة . وبالخطة المختلفة من حيث وجوب المراعاة لميل كل من المروءسين . ولا استعداداته الطبيعية . فانظر رعاك الله الى الادوية التي يصفها الطبيب فانها تختلف بعضها عن بعض اذ انه يستعمل القطع والكبي وغير ذلك من المليّنات والمسكّنات والمنبهات والمغذيات والمسهلات غير انه لا يستعمل شيئاً من ذلك الا بحسب اللزوم لكل مرض ولكل مريض ومن يا ترى يدعو لمعالجته طبيباً لا يصف الاّ علاجات واحدة لجميع الناس كيفما كانت امراضهم وامرجتهم . ان ما يُطلب من الطبيب بالنظر الى كونه مداوي الطبائع ومساعداً على بقاء قواها يُطلب هو عينه من الرئيس بالنظر الى انه خادم النعمة والمساعد الامين على اتباع حركاتها

## عد ٢

لا يجدر بالرئيس ان يجعل الرهبان موافقين له بل ان يوافقهم هو نفسه ان كان الرئيس لا يأمر ولا ينهي الاّ بمقتضى ذوقه وميله فذاك يُعدّ منه وقاحة وكبريا بل خيانة لروح الله القدوس ويدل على انه غافل عن تهذيب نفسه وغير مستنير بالروح ليدرك مفاعيل النعمة الحقة ويميزها تمييزاً حقيقياً . وانه لا يملك هواه ولم تتمكن فيه بعد فضيلة الكفر بالذات حتى يقوى على العدول عن امياله الخصوصية ويطابق اميال غيره . وانه بعيد عن الكمال شديد الحسد فلا يطيق ان يكون غيره اسمى منه قداسة وهو اسمى من غيره مقاماً وانه يسعى في اكراه الرهبان على ما يخالف اخلاقهم وضميرهم حتى يجبرهم الى اتباع طريقته وخدمة افكاره فيحملهم بذلك على النفور والحيانة ويجعلهم في حيرة تقضي بهم الى النشل والحمول . وانه وان كان ممن امتازوا بالعقل والذكاء لا يعرف ان

يقرب النفوس اليه ولا الى الله تعالى . بل ربما يهلك منها اكثر مما ينجي او على الاقل يقعدها عن التقدم في طريق الفضيلة اكثر مما يدفعها الى ذلك ويساعدها عليه

قال القديس اغناطيوس انه لامر خطر جداً ان يحاول الرئيس اقتياد كل الرهبان في طريق واحدة . واشد من ذلك خطراً محاولته ان يصوغ الجميع في قالب اخلاقه الخاص

والقديسة تريزيا تشدد النكير على الرئيسات اللواتي لزيد شغفهن بالتشرف يطلبن من سائر الراهبات ان يتقشفن مثلهن . واللواتي من شدة ميلهن الى طول الصلاة يُبعن او يفرضن صلوات تتجاوز الحد المعتاد والرسوم في القوانين . فمثل هؤلاء تأمرهن بان يتبعن سير القانون ويعملن اعمالهن بحسب الهام الروح القدس . اهـ

ولعمري اذا كان النظام يوجب من طبعه على المروثوس ان يطابق اميال الرئيس لكي يحسن طاعته له فما يوجب على الرئيس ايضاً ان يوافق اخلاق مروثوسه لكي يتسنى له ان يحسن ادارته ويقوده الى غايته الشريفة التي هي الكمال الرهباني ؟ اني اخال الروح القدس يقول لمن يريد ان يصر اميال مروثوسه ضمن دائرة ميله الخاص : من انت حتى تقاوم مقاصدي ؟ فاذك ميالاً الى التقشف وغيرك ميال الى المحبة . اتمنعي عن ان اهب هبات مختلفة وان اقم مقاصد رحمتي في هذا وذاك ؟

ان لله في ملكوته اماكن متعددة وتجليات مختلفة وكل مناً له هناك مكانٌ معد له وزينةٌ يتجمل بها واكليل محفوظ لمكافاته . فمن شان مفاعيل النعمة ان تبلغنا في الاخرة العرش الذي اختارنا الله له بالنسبة الى النوع الذي نحن عليه من انواع القداسة

فما اشد ما يجب على الرئيس من العناية ليعرف مقاصد الله تعالى في كل راهب حتى يرى كيف يوافقها ويراقب مسير النعمة وما عملت فيه وما عساها تطلب منه وذلك لكي يتبع خطواتها ولا يسبقها ويتحقق امرها بالنظر الى النجاح والحبوط والسقوط والنهوض والانتقياد والمعاندة وان ينظر من خلال الطبيعة ورغائبها الى



ما خص به الروح اقدس تلك النفس من الانوار والاشواق وما يريد فيها من اسباب التقرب والانعطاف لان طريقه ووسائطه انواع تختلف باختلاف طرق المدير الاول العظيم الذي هو الله تعالى . وعلى هذه الصورة عندما يطابق الرئيس سياسته المنظورة على سير النعمة الغير المنظور يساعد النفس بل يدفعها الى التقدم في معارج الفضيلة تتقدماً عجيباً

### عدد ٣

على الرئيس في مساعدته مفاعيل النعمة ان يستعين بالاميال الطبيعية  
كما تستعين بها النعمة نفسها

لا سبيل لنا الى ادراك حقيقة تلك النعمة التي تختلف اشكالها باختلاف الظروف والاحوال حتى تصيب الغرض برمية صادقة وهي مع كل ذلك لا تزال هي . بجوهرها فانها تطرح عنا مظان الغرور وتقرب اليها اسباب الهداية لتساعدنا على بنيان بعضنا للبعض الاخر فانها تنتهز الفرصة الموافقة او تخلق فرصة موافقة فتحضنا بها على اخير وتضغط علينا وهي تظهر كأنها خشيت من زيادة الضغط وتحتجب حيناً ثم تعود الى العمل مبتدئة . فما اعظم هذا الخدق المقدس وما اشد هذه المداراة فانها لا يغضبها ستوطننا ولا يبعدها توانينا . نقصد ان نشدد قوانا ونعضد ارادتنا التي من شأنها السقوط في كل خطوة وعلى هذا النمط تنعش فينا الحياة على مهل وتحملنا كما تحمل الام ولدها . وتبحث لتعرف ما هو مزاجنا وتعمل فينا على قدر استعدادنا لانها لا تلاشي الفطرة بل تريدها كما لا ولا تقتلع منا الالام البشرية بل تميل بها من . المفاسد الى المحامد فتعطي الفضائل بدل الرذائل . وكانها قطرات ندى يولد في الازهار والاثار لوناً وطعماً يختلفان باختلاف طبائعها فيكسني الورد بالارجوان والزنبق بالبياض الناصع . فالنعمة كذلك تتخلق باخلاقنا وتقدم لنا ما يوافق ذوقنا فتبهر هذا بجمال الفضيلة وتخيف ذاك بقبح الرذيلة . تجندل البعض بالرعب وتقيم البعض بالرجاء . تذكر اخا السجايا بالعوارف التي جادت بها عليه وحليف العدل بمقوق الخالق على المخلوق . فانها لم تنير قسوة اخلاق شاوول ولا رقة قلب المجدلية بل غيرت حتى المضطهد

الى حماسة الرسول وسعير العشق الدنس الى نار الحب المقدس . فالسر في النعمة هو انها تمتلك الامنا بالامنا وتثبت الفضيلة على اصل الرذيلة وتجعلنا قديسين كما نريد نحن كما لو كان لنا الخيار بنهج خطة قد استنا وتهي . لنا من الخير ما يوافق اخلاقنا ولا تتقاضانا به الا بعد ان نرين لنا فتنجه ونلقي عليه مسحة من اللطف اطيب جداً من كل لذة تدعونا الى الكفر بها

وليعلم الرئيس ان في كل واحد من رهبانه عيوباً معروفة ينبغي ان يستأصلها منه ومناقب حسنة ينبغي ان يزيد بها تحسناً . فليستخدم هذه المناقب لآبادة الرذائل ويبدل قصارى الجهد في ان يبلغ رهبانه الكمال بواسطة ما هم عليه من حسن الاستعداد والاميال القوية . لقد اشار كامبيس انه يجدر بالرئيس احياناً ان يعتصب الطبيعة ويكبح جموحها لكي يقوم اميالها ويبلغها الكمال غير ان ذلك لا يكون الا في ظروف خارقة العادة . اما في المعتاد فالطبيعة تعاون الاصلاح والاصلاح يعاون الطبيعة (قالة لونتيليان) فاننا بذلك لا نكون خرجنا عما يجب ان نقف عنده من حدود التشبه بالحكمة والعناية الالهيتين اللتين قال عنها سليمان الحكيم انها تدبراننا برفق وتحوز (الحكمة ١٢) وكما انه يحق للرئيس ان يتفحص جيداً اميال مروثوسيه واستعداداتهم للفضيلة عليه ايضاً ان يتفحص اميالهم للرذيلة والمعاطب التي هم فيها ليري كيف يبدل موضوع اميالهم الردي بموضوع صالح . واذا كان الموضوع صالحاً او غير ردي فيقوي الاميال والانعطافات الصالحة ويزيدها تشبهاً بالفضيلة

#### عدد ٤

في انه يجدر بالرئيس ان يسوس مروثوسيه برفق وناة وان لا يحاول تبليغهم الكمال بدفعة واحدة

اما بعد فأي رئيس له حاسات اب ولا يعرف كيف يتنازل مع مروثوسيه ويرفق بهم او يسألهم شيئاً يفوق طاقتهم ؟ . فالوالدة التي تتمشى مع بنها لا تمشي بقدر قوتها بل بقدر قوة ابنها . وكذلك الطبيعة والصنائع البشرية لا تراها تعمل اعمالها الا بالتأني المألوف . فالخطة مثلاً قبل ان تعطي حباً لا تكون في الارض

الألساساً ثم عشياً وبعد ذلك تصير قصبة . والحفار الماهر كم يضطر لضرب المطرقة والازامل لكي يعمل من الصخر شخصاً كاملاً والمصور كم ينبغي له من التنسيق والتدقيق لكي يتم عمل صورة نفيسة . هكذا الله نفسه يتخذ له زماناً ليس بقليل لكي يبلغ مختاريه الكمال المسيحي . لان النعمة لا تسير الا بتدرج وسيرها يكون غالباً بطيئاً جداً فان القديسين الذين بلغوا قمة الكمال بدفعة واحدة هم قليلون . والرئيس الذي يرى انه مفعم من الغيرة هل بلغ الكمال هو نفسه بيوم واحد ؟

فلا تتوقع اذا ان يكون المبتدئون والرهبان الحدباء ناجين من كل شائبة ومدرسين في حفظ الرسوم مثل القدماء في الرهبانية . ومن المعلوم ان اصلاح الشوائب لا يكون بدفعة واحدة ولا يمكن ان نعمل كل شيء في يوم واحد . والمسير في طريق الفضيلة خاصة لا يكون الا من القريب الى البعيد او من القليل الى الكثير . وعلى الانسان ان يتمتع قوته ومهارته قبل ان ياخذ بالاعمال الخطيرة . ولا بدع اذا كان المسافر يسقط في بعض خطواته او ان الجندي المحارب تلحقه بعض الجراح فان الطبيعة لا تنجو من ضعفها الا بمدة من الزمان . فمن ياترى حاز الكمال من اول دقيقة الا البتول مريم . اما نحن فلا نستطيع التقدم الا بالطريق التي قال عنها الحكيم « ان البار ينمو ويتقدم مثل النهار من الصبح الى الظهيرة » ( امثال ٤ ) وبعد فان الفضيلة جميلة وجديرة بان يتبعها الانسان ولو مع عناء وطول زمان .

فلا يغمنك اذا لو رأيت مروثوسيك لا يسيرون في طريق الكمال الا سيراً بطيئاً لا يوافق ذوقك ولا رغبتك في تقدمهم بكل سرعة ونشاط . ولا تقس قوتهم على مقياس غيرتك بل قس غيرتك على مقياس استطاعتهم . وخيراً للانسان في بعض الاحيان ان يسير سيراً بطيئاً من ان يسرع بمشيئه لان من اسرع بمشيئه ولا سيما في الظلام لا ينجو من السقوط وربما كان سقوطه عظيماً . قالت الام مريم يوسف في مبادئها « انك اذا حلت بسرعة كبة خيطان لاشتبكت وتقطعت وهكذا يعمل الروساء عندما يحاولون ان يبلغوا رهبانهم الكمال بسرعة . فان البعيد المسيح ذاته لم زه اعطى تلاميذه الكمال دفعة واحدة . والبستاني يفرح

إذا شاهد الاغراس التي نصبها حديثاً قد علفت ولا يطلب منها من اول يوم ثمرًا ولا زهرًا لأنه يعلم ان هذا لا يكون الا بعد زمان بعيد او قريب نظرًا الى طبع كل واحدة من النصب وكذلك كمية الاثمار لا تكون متساوية في الجميع بل ان هذه تعطي كثيرًا وتلك قليلًا بحسب طبعها

وبالحقيقة ان الرئيس مجبر على ان يبلغ رهبانه الكمال غير انه يجدر به ان يرفق بضعفهم ويتأني بقيادتهم وان لا يضغط عليهم ويسوقهم بعنف وتشديد لئلا تزل قدمهم او يسقطوا بمعاطب يعسر نهوضهم منها . ولذلك يترتب عليه ان يقتادهم بلطف وهشاشة كأنه يتملقهم ويسترضيهم ولا يدفعهم في طريق الكمال دفعاً او يجرحهم جرأً او يقتسرهم رغم انفسهم . ومن البين ان معين الماء ولو شحيحاً اذا كانت امياؤه لا تنقطع هو خير من ينبوع غزير لا يجري الا في ايام قليلة . ومن رض الشجرة رضاً شديداً ومتواتراً امامها وكذلك من اثقل حمل دابته انهمكها واتلفها

من المعلوم ان بعض الرهبانيات تقصد كمالاً اسمى مما يقصده غيرها لانها بموجب رسومها تعد الله بحياة مقدسة بالصوم والتقشف والصلاة ومن ثم فما يكون كافياً لغيرها يكون لها قليلاً وغير كافٍ . ولا يمكن رئيس هذه الرهبانية ان يعتذر بضعف الطبيعة ويتغافل عن حفظ رسوم رهبانيته وقوانينها . ومع كل ذلك لنا ان نعتقد ان الله جلت مراحمه بالنظر الى كل رهبانية والى كل راهب هو دائن . ولكنه رواف شفيق يطلب دينه باناة ويستوفيه شيئاً فشيئاً

فلنسمع تعليم السيد المسيح بهذا الصدد اذ يقول « ليس احد يشق رقعة من ثوب جديد ويجعلها في ثوب بال والى فيكون الجديد قد شق » (لوقا ٥) « ولا يضع خمرًا جديدة في زقاق باليه والى شقت الزقاق واريق الخمر » (مرقس ٢) قال الاب ليني في تفسير هاتين الايتين : « انه كلما كانت الاشياء نفيسة في ذاتها كانت في بادى الامر غير معروفة . ومن ثم لا يحسن بالروساء الا ان يرفقوا بضعف مروثوسهم وان لا يعرضوا عليهم الكمال الا عن بعد بنوع ما او كأنه موضوع للتأمل والتعجب اكثر مما هو للعمل به وان دعوتهم لاقتفائه والعمل به فلا تكن دعوتهم لهم من باب العنف او الجبر بل من باب الحض



والاستحسان . والألحيف ان يُلحق بهم ضررٌ لا اصلاح او تُكسر القصبة  
المرضوة ويُطفئ السراج المدخن «

عدد ٥

في انه يسوغ للرئيس بل يجب عليه احياناً ان يتساهل مع مروؤسيه  
في هفوات كثيرة يكون مصدرها الضعف البشري

كل شيء او لا شيء امران ينافيان السياسة الروحية والمدنية ايضاً .  
ولاثبات ذلك فانتا نسأل الرئيس ان ينعم النظر في الخمسة الاشياء الآتي  
ايرادها وهي :

١ ان كل واحد من رهبانه لا يكون له من الانعام ما يكون لاختوته .  
وربما لا يكون لاحد من المروؤسين ما يكون للرئيس من المساعدات السماوية  
ولذلك اذا حاول الرئيس ان يبلغ الجميع درجة واحدة من الكمال او الدرجة  
التي هو فيها فيتعبهم كثيراً ويتعب نفسه بدون طائل  
وقد كتبت القديسة شانتال الى احدى رئيساتها فقالت : « يجدر بنا ان  
نطلب من كل راهبة بقدر ما يمكنها وان لا نطلب ذلك الا برفق . هذا ما عدا  
حفظ النظام الخارج الذي ينبغي ان يكون عمومياً . اما ذوو العقول الصغيرة  
الذين لا يمكنهم ان يبلغوا درجة سامية من الكمال فلا يحسن بنا ان ندفعهم الى  
ذلك قسراً وجبراً ولا ان نعتهم باشياء تخالف ذوقهم ورغائهم . يجدر بنا ان  
نسدل ذيل المذرة على كثير من شوائبهم والآنطالبهم الا بما قل وان نجتنب  
ازعاجهم وحملهم على الغضب . وان نحرص كل الحرص على ان يكونوا راضين  
مسرورين . لكي يعملوا كل ما يعملونه عن طيبة خاطر فلا يحملهم الغيظ او  
اليأس الى القحة وخلع الطاعة . ولعمري ان الراهبات كلهن لا يكنّ على درجة  
واحدة من المقدرة وحسن الاستعداد فكيف لنا ان نطلب منهن طلبات واحدة  
متساوية ؟ وهذا ما يُحدث سبب الضائر للراهبات والرئيسات معاً ويسلب  
الراحة الباطنة التي بدونها لا يكون نجاح بالفضيلة ابداً اه

٢ ان بعض الرهبان مهما كانوا عليه من حسن الاستعداد فلهم في بعض

الاحيان غفلات وسقطات . وليعلم الرئيس ان سياسته ليست في السماء بل على الارض وان مروتوسيه ليسوا ملائكة بل هم بشر . وهل للطبيعة البشرية ان تسير سيراً متواصلاً بدون خلل ولا زلل . ومن ثم فمن لا يتنازل في بعض الاحيان ويتسامح مع ضعف الطبيعة فانه يعرض القضية الى اخطار جمة . وكان من عادة القديس فرنسيس يورجيا ان يقول « من اراد ان يقتاد الناس الى الكمال بطريقة لطيفة وجب ان يتنزل عن بعض حقوقه وان يغضي عن بعض شوائبهم . فالماهرون في اطلاق البنادق هم الذين يعرفون الا يحشوها فوق قوتها والاشعثت البندقية والحقت في مطلقها ضرراً ربّما كان جسيماً » . وقد جاء في سيرة هذا القديس ان شابين كانا يتمنعان عن الدخول في الرهبانية لان احدهما كان يريد ان يغير اثوابه كل يوم والاخر كان يريد لسكناه غرفة افسح من قلالي سائر الرهبان . اما القديس ففتحها مبتغاهما ودخلا الرهبانية ولكن محبة الفقر حملتها بعد زمان وجيز على التخلي عن هذا الانعام والاختصاص

٣ من النادر ان تصادف بين العابدين نفوساً كثيرة مستعدة ان تسعى للكمال في طريق واحد وسرعة واحدة . فاذا حاولنا ان نقتادها بالطريق التي تراها صعبة يرتبك امرها ويُعاق وصولها فلندعها تتعلم من التجربة وتتعود ان تعاض بنفسها عما تكون قد خسرت بهذنها . قال القديس يوحنا كلياكوس « ان حذاقة المعلم لا تظهر في تهذيبه اولاداً اذكيا . اصحاب عريكة لينة بل في تهذيبه شباناً غلاظ العقول شرسي الاخلاق . كما ان فراسة الخيال لا تكون في ركوبه خيلاً سهلة الانقياد بل فيما لو حاز قصب السبق على خيل غير مروضة » . وهكذا نجابة الرئيس لا تقوم باقتياده الى القضية رهباناً يجذون في طلبها من تلقاء انفسهم بل باقتياده اليها بلطف وفطنة رهباناً عرفوا بمعارضة الرسوم والتواني بحفظها

٤ ان من التدابير المماوة حكمة وفطنة التي يتخذها المرشدون احياناً في تخليص الانفس العابدة من شوائبها هي ان يجعلوها راضية بنفس هذه الشوائب وذلك باغضائهم عن بعض نقائصها او بالمساحة بما يؤمل اصلاحه باقرب وقت . وبذلك تاخذ الطبيعة بعض الراحة ثم تعود الى الجهاد باكثر قوة واشد عزم

وهذه القاعدة من قواعد الحكمة تذكرنا باحد مبادئ القديس اغناطيوس

وهو قوله «تخلّ عن بداية الحديث ليكون لك اخوه اه يريد بذلك ان سلم اولاً ولو ظاهراً بما يريد، قريبك الذي تقصد ان ترجه لله فيسلم اخيراً هو بما تريده انت

وتاريخ حياة هذا القديس مشحون بمثل هذه النكت من الافعال التي تدل على الاغضاء عن الشوائب والتزل عن بعض الحقوق حباً بالسلامة ونجاح الفضيلة . وقد جاء عنه ان احد المبتدئين اذ رأى نفسه يوماً ما منهوكة من المعيشة القانونية ابى ان يبقى في الرهبانية وهم بتركها فدرى به القديس فسمح له ان يعيش برهة من الزمان على هوى نفسه اعني ان ياكل ويشرب وينام ويتوم على ما يوافق ذوقه ففعل كذلك وبعد ايام قليلة خجل من حياة الرفاهية والتواني وعاد الى ما كان عليه اولاً من حفظ النظام العمومي بكل دقة ونشاط ومرة اخرى عرف القديس بان احد المبتدئين الذي كان من اشرف رومية أمر بخدمة المعلمين الحجارين فعناه من هذه الخدمة لاعتقاده انها ترجعه وربما لا يتحملها بطيبة خاطر . وقد سأل الاب غوثالف هذا القديس في هل يسمح له ان يخص بعض المبتدئين الشبان ببعض العطايا لتنشيطهم على اعمال الفضيلة فقال له نعم اريد ذلك وارغب فيه اشد رغبة لان هولاء الشبان انما هم ابناؤ الله الصغار فاكسبهم له تعالى بكل ما يروقهم وهو نفسه قدس الله روحه أمر بان يوزع على اثنين من المبتدئين كانا اخوين بالجسد وصغيرين بالسن شيئاً من المربيات التي كانت ارسلته لهما والدتهما . وان مبتدئاً آخر كان قد اتى معه من البيت بمصلوب صغير فابقاه له مدة وبعد عندما شعر بان المبتدي قد غا في الفضيلة قال له « قد حان الوقت يا اخي بان تتفرغ عن هذ المصلوب من بين يديك وتحفظه في قلبك فسمع المبتدي ذلك واطاع فرحاً مبتهجاً

هـ ان نير الرهبانية ثقيل جداً لانه يدوم طول الحياة وقد دعاه الالباء القديسون استشهاداً . أفما يجدر بالرئيس ان يعني بتخفيفه ويزي السيد المسيح نفسه مجتهداً بان يجعل نير الديانة خفيفاً سهلاً بواسطة تغزية النعمة اما تغزية الرئيس فتكون بلين جانبه ولطفه

إذا اراد الرئيس معاملة رهبانه باللين واللفظ المعكبي عنها وجب عليه

الانتباه الى ثلاثة اشياء

(١) ان لا يدع الجمهور يعلم بالانعام والتفسيح الذي يمنحه للبعض منهم لئلا يتخذوا مندوحة لطلب مثل هذا الانعام والتفسيح فتسي القوانين والنظام دراسة ومنسية

(٢) ان لا يمنح هذه الانعامات والتفسيحات لغير داع صوابي وان لا يمنحها لاحد بطريق التأييد . والا اتخذها الموهوبة لهم مثل حقوق راهنة ويعصر او يستحيل فيما بعد حرمانهم منها

(٣) ان يحرصها في عدد قليل من الشيوخ او المرضى والا اي لو كثر عدد النعم عليهم بالتفسيح لا يبقى للرسوم الرهبانية من أثر وهذا التعليم مأخوذ كله عن مودست دي سانت امايل ( الرئيس الكامل ك ١ ف ٥ )

## الباب الثالث

في كشف الافكار

عدد ١

في غاية كشف الافكار

ان الاسباب التي حملت مؤسسي الرهبانيات واولهم القديس اغناطيوس على سن فريضة كشف الافكار مرجعها اربعة امور :

الاول التسهيل على الرئيس في ان يسوس مروتوسيه ويبلهغم غاية الكمال كما هو مفروض عليه من قبل مهمته . لانه ان لم يثق به المروتوسون ويوقفوه على حقيقة حالهم الباطنة كيف يتسنى له ان يرشد الضال ويقوي الضعيف او يسلي الحزين ويثبت عزائم المضطرب وان يعطي كلاً منهم ما يوافقه ويحتاج اليه من



## النصائح والتعليقات الخلاصية

ولعمري ان العناية هي التي دبرت ان يكون لنا مرشدون يقودوننا حتى في الطرق التي تظهر انها سهلة وامينة اذ لا يتدبر بامر نفسه الا الله وحده وعليه نرى موسى قد اتخذ له مرشداً حماه بترو ويولس الرسول اتخذ حانيا واباء البرية اتخذوا شيخهم او رئيسهم . فكأن الانسان الذي ابى ان يخضع لاوامر ربه عندما امره بذاته أُلجئ الى ان يخضع لانسان مثله يأمره بسلطانه تعالى . فالأب المعرف مها كان فطناً حكيماً لا يمكنه ان يرشد المعترفين له الا بمقدار ما يعرفه منهم عن احوالهم غير ان معرفة التائب بنفسه كثيراً ما تكون غير صائبة من حيث فرط حب الذات وشدة الاميال المنحرفة فيه وعليه فمعرفة التائب بنفسه لا يركن الى صحتها الا اذا اضفنا اليها مشاهدة واقع الحال وهذا انما يكون في رياضة كشف الافكار لان الرئيس يُعتبر كشاهد عيانٍ لاعمال مروثوسيه فاذا اطلعه المروثوس على مكنونات ضميره يحبطه عارفاً حالته معرفة كاملة

الثاني تنبيه الرئيس مروثوسيه الا يتأدوا ويتورطوا في القورور فيقعوا في خدائع الشرير وجبائله

فيما اكثر الذين يتيهون في طريق الفضيلة لاننا مها كنا حكما ودهاة بارشادنا غيرنا فنحن بارشاد انفسنا جهلاء واغبياء وانما ذلك من فرط محبة الذات التي تسوغ لنا ما لا يسوغ وتلقينا في ورطة الهلاك . وعليه فعلم الرئيس في كشف الافكار انما هو ان يرفع النقاب عن خدائع المحال الذي كثيراً ما يخدعنا بتملية الشهوات المضطربة فينا . وان يبين للعقل ضلاله في انقياده الى اميال الارادة وعدم تمييزه بين الهام النعمة ودسائس الطبيعة الحيثة . وبذلك يود كثيرين من التيه الى سواء الطريق ويعدل غيرة البعض المتفاوتة حدود القطنة ويشعل في قلب غيرهم نار الغيرة التي يراها خامدة او هامدة

الثالث هو ان يعزي المحزونين ويثبت المضطربين . فمن المعلوم ان الرهبانية لا تخلو من الاشجان والاحزان والمصائب الداخلية التي يلقيها العدو بين الاخوة ولذلك نفتقر نحن معشر الرهبان الى يدٍ قديرة تسندنا وتشجعنا والى قلب شفيق يوق لمصابنا . فالرئيس الذي نكشف له كل ما لنا وعلينا من الاحزان والافراح

والمخاوف والآمال وسائر اسرار قلبنا هو المتكفل براحتنا ولا يمكننا ان نستغني عنه بنوع من الانواع

ولعمري انه لتغزية كبرى وتأمين عظيم للراهب امكانه ان يقول في ذاته : ما دمت متبعاً ارشادات رئيسي كما يتبع الطفل تعليمات أمه انا في مأمن من الضلال في طريق الخلاص لاني وان ضللت في هذه الحال لا اذنب ولو استسرت بارشادات نفسي لحسرت قسماً كبيراً من اجر استحقاقي بخلاف ما لو سرت على ارشاد مرشدي قاني لا اخسر شيئاً لان صلاحية اعمالى تكون مؤكدة مضمونة بل انى ازيد على اجر اعمالى اجر الطاعة التى هي عند الله افضل من الذبيحة

الرابع هو ان نحمل كل راغب فى الرهبانية على معرفة ذاته والتقدم فى الفضيلة :

انه لمن الممكن ان يعيش الراهب سنين عديدة فى الرهبانية بدون ان يتوصل الى معرفة ذاته معرفة باطنية حقيقية اذا لم تضطره الرسوم والعادات المقدسة لان يسر غور باطنه مرات فى السنة ويرى ما هو عليه من صالح وطالح ويتبين استعداداته للتقدم فى طريق الخلاص . فكم من الرهبان حتى نبض الشيوخ انفسهم تجدهم يكتفون ببعض التقشفات الخارجة ويهملون امارة اميال وشهوات رديئة فى بواطنهم فيكون من ثم بنيانهم الروحي مؤسساً على الرمل فلا يلبث ان يسقط ويكون سقوطه عظيماً

وهذا امرى ما جعل القديسة شانتال ان تقول لراهباتها مرات عديدة : يا اخواتى العزيزات ان كشف الافكار فريضة تكفل وحدها حفظ سائر الفرائض كما كان يقول ابونا المطوب مؤسس الرهبانية . وبالحقيقة ان الراهبة التى تفقد الثقة برئيستها لا تلبث ان تفقد روح الرهبانية ايضاً . ولكم نصحي سعداء لو مارسنا هذه الفريضة بامانة وتدقيق عملاً بنص القانون وروح الرهبانية

في مادة كشف الافكار . مأخوذة عن قوانين بعض الرهبانيات المثبتة  
من بيعة الله اثباتاً رسمياً

ان اشهر الواد التي تظهر ضرورية هي :

١ الدعوة الرهبانية . هل للراهب بعض الاشتزاز منها ام هو لا يزال  
داغياً فيها رغبة قلبية ؟

٢ النذور . هل يشعر بارتياح الى حفظها وكيف يحفظها أبشوق وسهولة  
ام بضجر وصعوبة ؟

٣ الرسوم والقوانين : هل يرتاح الى درسها وفهمها وحفظها بتدقيق ؟

٤ الصلوات العقلية واللفظية : هل يمارس برغبة ونشاط كل ما هو مفروض  
عليه من قبل القوانين والعادات بهذا الشأن وما هي نوافله الخصوصية ؟

٥ الفرح والحزن : وما هو سبب كل منهما فيه وما هي تأثيراته ؟

٦ التغذية والنعيم في الامور الروحية وما هو مصدر كل منهما أهو روح  
الله أم روح الشيطان وكيف يستدير وقت حلولها ؟

٧ الخدمة المكلف القيام بها : هل يتمها بامانة ونشاط او هل تعرض  
له بعض الصعوبات في ذلك وما هي ؟

٨ الفضائل : ما هو مقدار ارتياحه اليها وما هي الموانع التي تحول دون  
وصوله اليها بالعموم او الى بعضها بالخصوص ؟

٩ وساوس العدو : ما هي وكيف يقاومها ؟

١٠ التقشفات التي يمارسها : ما هي وكيف يمارسها ؟

١١ الاسرار المقدسة : كيف يستعد لقبولها وما هي الفوائد التي  
يجتنيها منها ؟

١٢ القراءة الروحية والارشادات : باي رغبة ونشاط يسمعها او يستعملها ؟

١٣ المحبة الاخوية : هل يحب اخوته بالسواء او انه يميل الى بعضهم ميلاً

شديداً وينفر من البعض الآخر بانفة وكره ؟

- ١٤ الرؤساء: كيف ثقته بهم وجهه لهم ؟
- ١٥ الجماعة : هل يُسر ويستفيد من معاشره الجمهور او يلاقي فيها بعض الكرب والشكوك ؟
- ١٦ الصحة : اذا كان مضكاً من بعض الاشغال الشاقة او الاماتات القسفة وبماذا يمكن الرئيس ان يساعده لاجل اعتدال صحته ؟
- ١٧ هل يلحظ شيئاً على اخوته او في الاشغال العمومية ؟
- ١٨ ما هي الرذيلة المتغلبة عليه وماذا يعمل للانتصار عليها ؟
- ١٩ الفحص الخاص : ما هو موضوعه وهل يستعمله دائماً بنشاط ؟
- ٢٠ رغبته في الكمال الرهباني : هل ترداد فيه او تنقص ولاسيا بعد كشفه افكاره من آخر مرة حتى الان هل يرى انه يتقدم او يتأخر ؟
- اما الرهبانيات التي لا يكون فيها الرئيس كاهناً سواء كان في اديرة الراهبات او الرهبان فيحظر في كشف الافكار ثلاثة امور . الاول ذكر الخطايا بظروفها . الثاني ذكر الاشياء التي يحتاج في حلها الى فتوى لاهوتية . الثالث الاشياء التي يفضي ذكرها الى خجل مرتكبيها او الى تهيج الشهوات الكامنة لان اموراً كهذه تختص بحكمة الاعتراف . ولا يسوغ للرئيس الذي لا يكون كاهناً ان يتدخل فيها . واذا اراد المروؤوس لزيادة ثقته بنقطة رئيسه او حباً بامانة ذاته ان يبين شيئاً في كشف الافكار يسبب له الخجل والتواضع فلا بأس من ذلك بشرط الا يكون الرئيس هو المتدخل في مثل هذه الامور
- ولعمري اذا كان كما يعلم اللاهوتيون بالعموم يبطل الزامنا بالاعتراف في كل الخطايا الميتة عندما نرى في ذكر خطيئة ما يضر بنا او بشخص اخر فيسوغ لنا بالاحرى في كشف الافكار ألا نذكر بعض الاشياء التي نرى فيها ما يعرض صيتنا الى الفضيحة او يحمل الرئيس على الغضب او على سجن الافكار . لان فريضة كشف الافكار ما هي الا قانونية ولا تلزم في كل حال
- قالت القديسة شانتال : ان الرئيسة التي تزل بافشاء سر كشف الافكار لن تستحق ان تكون رئيسة ولا ان تدعى امّاً لانها بذلك تقلل ثقة الراهبات بالام الرئيسة فلا يستطعن بعد ذلك ان يطلعنها على خفايا قلوبهن فتتلاشى من ثم فريضة



كشف الافكار . فالله نسأل ان لا يكون بيننا رئيسات يؤلن هذه الزلة ولا اخوات يفقدن ثقتهم بفطنة الام الرئيسة وفضيلتها  
وبعد فان هذه القديسة تنصح للرئيسات نصائح مفيدة في سماعهن ككشف الافكار وللراهبات في كشفهن افكارهن قالت : اما كشف الافكار فينبغي ان يكون وجيزاً واضحاً وبسيطاً لان محبة الذات تحمل الانسان على المواربة والمطاولة فيجدر بنا ان نبتديء كشف الافكار بتبيان امر الاشياء لان فتح القلب لله على هذه الصورة يولينا الظفر على الحياء البشري ويجعله تعالى ان يمنحنا بركات خصوصية ولا غرو فان الذي يرغب في خلاص نفسه رغبة حقيقية لا يتوخى الا البساطة والايضاح بخلاف من تكون رغبته فاترة في خلاصه وتقدمه بالفضيلة فانه يقول كثيراً ولكنه يدور حول النقطة الهامة ولا يذكرها بنوع جلي . ولذلك يكون التطويل في كلامه على غير جدوى . فينبغي ان نعامل مثل هؤلاء بالانانة واللفظ وان نحضهم على التمسك بدعوتهم بقلب طيب ونية صافية . والله هو الذي يلهم الصواب ويجعل القلوب واعية خاشعة »

### عدد ٣

في ما اقتصر عليه المجمع المقدس من مادة كشف الافكار لدى اثباته  
قوانين بعض الرهبانيات الحديثة المختصة بالنساء

ان جمعية الاساقفة والقانونيين التي قامها الاحبار الرومانيون للنظر في مثل هذه الشئون قد رسمت مراتب عديدة لدن تفحصها واثباتها قوانين الراهبات :  
« ان مادة كشف الافكار ينبغي ان تكون مقتصرة على مخالفة القوانين العمومية وعلى التقدم في الفضيلة وما سوى ذلك ينبغي ان يوضح للاب المرشد في سر الاعتراف وان رياضة كشف الافكار لا تعتبر إلزامية بل اختيارية ولا تكون خطأ بل مشافهة . »

لان كشف المخالفات العمومية يفيد الخير العام والمحافظة على الرسوم والقوانين اما التقدم في الفضيلة فيعود كشفه الى خير المروءوس الذي يفتح قلبه الى رئيسه الملتزم بمساعدته في كل ما يأول الى نجاحه في الفضيلة

قد نالت راهبات الآلام تثبيت قوانينها في سنة ١٧٩٠ وقد اصلحت منها الجمعية المقدسة جملة اشياء منها ما يختص بكشف الافكار في الفصل السادس والثلاثين . فقال الاباء الكليو النيافة في ما اصلحوه ما نصه :

« اذا وجدت احدى الراهبات صعوبة في كشف افكارها لرئيستها فلتمارس هذا الكشف الاب مرشد ذمتها » وهكذا اراد ذوو النيافة ان تكون الراهبة مطلقة الحرية في امر كشف افكارها للام الرئيسة او للاب المرشد في سر الاعتراف نفسه .

وفي عام سنة ١٨٥٤ نظرت الجمعية المقدسة في اصلاح قانون احدى الرهبانيات الحديثة فقال الاب امير الكلي الاحترام في احدى ملاحظاته ما نصه : « قد جا في هذا القانون انه يجب على كل راهبة ان تحضر مرة في كل سبة لدى رئيستها وتجتو امامها على ركبتيها وتبين لها كل ما ارتكبته من المفوات او مخالفات القانون ومهما كان مما يزعج الضمير لكي توقفها على حقيقة ضميرها الخ

فقال الاب الموما اليه بشأن ذلك ليس من رأيي اثبات فريضة هذا الكشف السري المذهب لانه يشبه سر الاعتراف ويمكن ان يتخذه بعض السذج نوعاً من السر . وما عدا ذلك فانه يخشى ان ينجم عنه تعب للضماير وان يكون مادة للوساوس والخطايا . نعم ان هذه الفريضة موجودة في قوانين رهبانيات آخر ولكنها كثيراً ما كانت سبباً لعراقل شتى قد اعتبرت الجمعية المقدسة ذات اهمية . » وبالنتيجة قد ألغت الجمعية المذكورة الفريضة التي كانت تلزم الراهبات القاطنات بعيداً عن الرئيسة العامة ان يكشفن افكارهن خطأ لانه يخشى ان تقع مثل هذه المكاتيب بين ايدي كاتبة الاسرار او المدبرات اللواتي قد لا يكون للراهبات فيهن من الثقة ما لهن في الام الرئيسة

الخلاصة ان فريضة كشف الافكار وان تكن جزيلة الفائدة لا تخلو من الشوائب والحدورات ولا سيما بين الراهبات لان جنس النساء ضعيف وشديد الميل الى المداخلة بالامور الفضولية ولذلك كان من السداد والحكمة ان تقتصر الجمعية المقدسة مادة الكشف على ما تقدم . وقد حكمت بمثل ذلك في رهبانيات الرجال الذين لا يوتقون الى درجة الكهنوت . اما الرهبانيات المثبتة من الكنيسة والتي

روثاوها كهنة فلها ان تتبع نص قوانينها في هذا الشأن ولا حرج . . .

عد ٤

في كيف ينبغي للرئيس ان يعامل مروتوسيه لكي يكون لهم عليه  
دالة فيثقوا به ويفتحوا له قلوبهم

١ مجدر بالرئيس ان لا يظهر لاختوته الرهبان الا المحبة واللفظ والرزانة  
قال القديس غريغوريوس يجب على الراعي ان يستشير مع رعيته بلطف عظيم يتسنى  
معه لكل منهم ان يدنونه بدالة ويوضح له خفايا قلبه ويلتجى اليه في حال  
الضيقة والبلية كما يلتجى الطفل الى امه فيجد في نصحه له وصلاته من اجله  
تعزيز في التلق ونجاة من كل بلية

فحفظاً لهذه الصلاة الودية يجب على الرئيس ان لا يصلح بنفسه غلط القاري .  
ولا يجري العقوبات قصاصاً للمخالفات الطفيفة ولا ان يعطي بذاته او يرفض الاجازة  
بامور صغيرة تافهة . لان هذه الامور واشباهها ينبغي ان يقام لها وكيل مخصوص  
يسهر عليها سهرأ بليغا ويرتشد من الرئيس بكلاما يقتضي لها . وهكذا يقتصر  
الرئيس بسياسته مروتوسيه على ما من شأنه ان يستميل اليه القلوب ويعلق عليه  
الثقة العمومية

٢ ان لا يلح على احد من المروتوسين بان يطلعه على شيء من ذنوبه او من  
تجاريبه فوق ما يرغب المروتوس نفسه بان يطلعه عليه بل فيظهر بانه لا يعلم عنه  
ولا يظن فيه شيئاً من النقائص غير ما كشفه هو له

٣ ان يتحاشى كل توبيخ واصلاح مزعج ليس في وقت كشف الافكار  
قط بل عندما يقرب الوقت ايضاً لان هذا الوقت لا يصلح فيه الا المودة  
والملاطفة ليعطي المروتوس تلك الدالة اللازمة لفتح قلبه . اما التوبيخ والاصلاح  
فاجله الى وقت آخر الا اذا كانت بينك وبين المروتوس مودة خارقة او كان هو  
يرجو منك ان تقول له كل ما عندك بلا مراعاة وكنت لا تحشى انزعاجه ولا  
تاويلاته العدائية لما تقوله له . واذا كنت زائراً او فاحصاً وليس لك فرصة طويلة  
فالافق ان تبقي ما لديك من النصائح او التوبيخ المر الى وقت اياك من الدير

اي بعد ان يكون الجميع قد انجزوا كشف افكارهم  
 ٤ استعمال بعض حيل مقدسة تحمل الروثوس على فتح قلبه المغلق والمغم  
 غماً . فظهر له اولاً مزيد اهتمامك في مصالحه واسأله عن صحته وعن مهنته وعن  
 اهله ثم تكلم كلاماً عموماً عن سعادة الرهبان الفضلاء وعن الفضيلة التي تحملنا  
 عليها معايشرة الجماهير القديسين وبعد ابن له حسن استعدادك لان تخدمه خدمة  
 حقيقية تؤول الى راحته وسعادته في الدنيا وفي الاخرى وليتخيل حديثك شي  
 من الاسف على شقاوة الطبيعة البشرية والمصائب التي تتبعنا في كل حال  
 وانتبه الى ما تتضمنه اجوبته ولو كانت بعيدة الرمي عليك تعرف ما يمكنه  
 صدره او ما هو سبب غمه وحزنه . واذا كابر في اخفاء مصيئته فيمكنك ان تقول  
 له انك عارف بحاله غير ان العلاج لا يعطى الا لمن يطلبه ولا يفيد الا من يقبله  
 برضى وهذا يستلزم بساطة القلب والكشف عما به للطبيب الروحي فان مثل  
 هذه الوسائط كثيراً ما تأتي بفائدة وتحمل الروثوس على كشف افكاره وبيان  
 حاله واحذر ان تظهر له شيئاً من الاندهاش او الغم لكبر ذنبه وسوء حاله بل  
 ضاعف له مظاهر الحنان والاعتبار وأكد له رجاءك بنجاحه وشفائه من هذه  
 الامراض الروحية

ع د ٥

في بعض قواعد لحفظ السر المعروف في كشف الافكار

هذه القواعد ينبغي ان تكون مرعية في كل رهبانية يمارس فيها كشف  
 الافكار بحسب نص قوانينها وعاداتها  
 القاعدة الاولى : لا يسوغ للرئيس ان يؤخر نذر المبتديء او ارتقاء الراهب  
 الدارس الى درجة الكهنوت بمجرد ما عرفه عنه من كشف افكاره الا اذا كان  
 المبتديء او الدارس نفسه يطلب هذا التأخير لدواع صوابي  
 القاعدة الثانية : لا يسوغ للرئيس ان يسأل كاشف افكاره عما اذا كان  
 سقط بمحادث محفوظ الحل منه ولا عن الخطايا التي يجب كشفها في سر الاعتراف  
 وهاتان القاعدتان هما على رأي لانسيوس جوهريتان :



القاعدة الثالثة : لا يسوغ للرئيس ان يستخدم ما عرفه في كشف الافكار  
لاجل سياسته او مراقبته الراهب الذي كشف افكاره الا اذا كان الراهب نفسه  
قد رغب اليه وقدم الرجاء بهذا الشأن بل لا يسوغ له ان يستخدم مادة الكشف  
لسياسة الجماعة اذا شعر بانه يصدر عن ذلك ما يزعج الذي كشف افكاره لان  
اهمال المحافظة على هذا السريضر بفريضة كشف الافكار ويلاشيها في وقت  
قصير .

ولعمري اذا كان كشف الافكار يستازم مثل هذا التدقيق والمحافظة في  
الرهبانيات الحقيقية التي لا يترأسها الا الكهنة فكم يجب من التدقيق في اخويات  
الراهبات او في اخويات الرهبان التي لا يترأسها كهنة

## الفصل الرابع

في بعض مسائل غير ما تقدم تختص بحسن الادارة الروحية

اخص هذه المسائل : الشهوة المتغلبة - نوعية قهر الرذيلة واكتساب  
الفضيلة - التجارب - الدرجة الثالثة في سلم  
الصلاة - ممارسة الافضل والاكمل في اعمالنا

### الفصل الاول

في الشهوة المتغلبة

عد ٣

في بعض قواعد ترشد الراهب الى معرفة الشهوة الكامنة  
فيه والمتغلبة عليه

من الثابت ان كل انسان يشعر في ذاته بشيء من الميل الى كل نوع من

الرذيلة وبهذا المعنى لا فرق بين انسان وانسان بل كلنا متساوون بالطبيعة الفاسدة ومع ذلك فان لكل منا ميلاً شديداً لاحدى الرذائل ورغبة زائدة فيها وهذه هي الرذيلة المتغلبة على ذاك الانسان التي ينبغي له الفحص عنها والاجتهاد باستئصالها .

والقواعد التي يذكرها علماء الروح لمعرفة هذه الرذيلة . هي :

١ ان ينظر الراهب مدققاً في كيفية مزاجه لان للمزاج والاخلاق الغريزية تأثيراً شديداً في الاداب . وقد اسهبنا الكلام في كيفية الاخلاق في الباب الثاني من الفصل الاول من مؤلفنا هذا

٢ ان نتذكر الامثلة الحية التي اتخذناها من الذين عاشرفناهم والاميال التي ربيناها في قلوبنا في مدة التجربة لان الصغير من دأبه الاقتداء . بالكبير ومثلما يأخذ عنه النطق بلغة مخصوصة يأخذ عنه كذلك نوعية آدابه ويتخلق باخلاقه لانه كما ان الطفل يتسمم من جليب والدته لو كان مسموماً فكذلك التلميذ يتسمم وتفسد اخلاقه لو وجد في اخلاق معلميه شيء من سم الرذيلة والفساد

٣ ان نفحص عن الافكار التي تشغل بالنا في غالب الاوقات اعني التي تفاجئنا في الصباح حالما ننتبه من الرقاد ولا تبارحنا حتى آخر دقيقة من النهار عندما نغرق في سبات النوم والتي تداهمنا في وقت الراحة والسكينة . حتى في مواقيت الصلاة والاختلاء مع الله بل كثيراً ما نراها في الحلم ايضاً لانه كما شهد ربنا له المجد : « حيثما يكون كثركم يكون هناك قلبكم »

٤ ان نبحث مدققين عن سبب افراحنا القوية الشديدة وعمماً يسبب لنا النكايه او يدفعنا الى التهافت على الاخطار والتورط في المكاره وكذلك عمماً يعلو قلبنا من الخوف والهلع او يوجب صدرنا من ضروب الرجاء والامانة لان الشهوة المتغلبة هي التي تاتي النفس في الاضطراب والانتباض او توليها الراحة والسكينة تبعاً لما تكون قد فازت برغوبها او لم تقرب به وهي التي تصير الانسان سريع التأثر عديم الفطنة ثقيلآ على نفسه وعلى الجميع

٥ ان نصغي الى بعض الكلام الذي يبدر منا على غير رؤيه والى بعض المبادي التي ننطق بها دون ان نفقه معانيها والى كل ما يغلب في احاديثنا ولاسيا

في وقت الحرية والنفلة عندما نكون في مأدبة مثلاً او في لهو وغبطة ومجازبة لاطراف الاحاديث مع الخللان لان « القم ينطق بما في القلب »

٦ ان نسأل الاصحاب المخلصين الذين يعاشروننا عما يرونه فينا ولنتنبه الى ما يقوله عنا او يطعننا به مشافهة الابخام والحساد والى ما يشاع عنا بالعموم والى ما نصحنا به ابائنا ومعلمونا ولاسيا في مدة التجربة

٧ ان نبحث عن النقاية التي نبتغيها في اكثر اعمالنا او التي تحملنا على العمل لان الشهوة المتغلبة هي التي تسري ولو خفية وبنوع غير منظور في كل اعمالنا وحركاتنا وهي فينا ربة السيرة والسريرة

٨ ان ننظر في الهفوات والنقائص التي نسط فيها عادة كل يوم او كل سبة او شهر او سنة ولنعلم ان الشهوة المتسلطة هي التي تلتينا في الذنوب الكبيرة والمتواترة . وما مثلها في القلب البشري الاً مثل شجرة في تربة جيدة تنمو وتمتد اغصانها بسرعة

٩ ان نكتشف على حيل الحال وحيل العالم ضدنا . فالمحال خراه الله مثل قائد حاذق ينظر اولاً الى الجهة الضعيفة من المعسكر او الى الميل الضعيف في القائد المحارب ضده ثم ينازله في حرب عوان . هكذا الشيطان كما يقول القديس اغناطيوس انه ينظر اولاً الى الشهوة المتغلبة فينا ويعضدها مؤيداً لها في ترغيبه فتزداد قوة . وكثيراً ما تنتصر علينا . فلننظر اذاً في الجهة التي يحاربنا فيها العدو الجهنمي وهي نفسها تكون الشهوة المتغلبة

وكذلك العالم من دأبه ان يلاحظ الميل القوي في الانسان ويجهتد بان يدخل اليه منه فمن يحب التمليق مثلاً يتملقه ومن يحب رفعة المقام او الغنى او شهوات الجسد وما اشبه ذلك فينبذه غاية مرامه لان من مبادي روح العالم ان قلب الانسان لا يقوى عليه الا من اكتسبه بالحسن والتمليق . ولذلك يمكننا ان نقول بكل صواب ان السلاح الذي يحاربنا به العالم عادة هو تلك الشهوة المتغلبة التي نروم ان نعرفها وان نقوى على استئصالها من قوادنا

١٠ ان نصغي الى ما يخاطبنا به الروح القدس في صلواتنا ومناولاتنا وفي فياراتنا اقربان المقدس لانه تقدرت اسماؤه يقاوم ما يراه فينا مخالفاً نياته المقدسة

وما يجرمنا ثمة الاسرار او يلقينا في شر المعاطب فلنمن النظر اذا في ما يرشدنا  
اليه الروح القدس باطناً او ينهانا عنه

١١ وينبغي ان نخاف خاصة تلك الشهوة التي تحاربنا من مدة طويلة حرباً  
عواناً بقوة ترداد في كل يوم وتقضي اماننا عن النجاح والظفر بها

١٢ واخيراً ان ننظر ما هو الميل المنحرف فينا الذي لا نقاومه إلا بعنف  
واجتهاد او ما هي الشائبة التي نناضل عنها عادة ونبرئها من كل عيب وهي تكون  
الشائبة المتغلبة فينا لانها هي التي تجعل صاحبها سريع التأثر ولا سيما في ما يلاحظ  
التنديد بها فيكاد يتحمل القذى او الخشبة في عينه اخرى من ان يقال له كلمة  
بشأن الاقلاع عن هذه الشهوة المتغلبة لانه كما قال « فينالون » لو حاول قلعها  
يشعر كأنه يسلخ جلده عن بدنه وهو في قلعه غيرها من الشهوات لا يشعر بصعوبة  
اكثر ممن يطرح عنه الثوب الذي يكون فوق الزنار فمن تعقب هذه القواعد الاغلبية  
لا يلبث ان يعرف ما هي الشهوة المتغلبة فيه وينتصر عليها لو اراد.

## عد ٢

في بعض حججها يمكننا ان نحض الراهب على ان يحارب الشهوة  
المتغلبة عليه

١ ان هذه الشهوة تسم فضايلنا وتخفض شأنها

ولعمري ما فضيلة الراهب اذا ما تسلطت عليه الشهوة إلا فضيلة مشوهة  
بالشوائب وعارية من الاجر والثواب . لان الرذيلة تكون قد افسدت قلبه  
وضمضت عقله حتى انه لا يحكم بشيء حكماً مستقيماً ولا يعمل عملاً متزهاً  
ومجرداً لمجد الله بل لا يدرك شيئاً الاً على حسب ميله المنحرف . فالشهوة هي  
التي تسود على اعماله التقوية وكأنها تلقنه بنوع ما كل ما يطلبه بصلاته ولذلك  
تراه اذا احب العزلة والسكوت يكون ذلك عن امارات الوحشة او الحزن  
والغم . واذا احب العمل والحركة فيكون عن رغبة التظاهر او الشهرة . واذا  
اظهر لوسائله الخضوع والطاعة فيكون لاجل اكتساب رضاهم او لمطامع زمنية



غيرها لا يصل اليها الا بمساعدتهم . وكأني به يحيك من هذه الفضائل الزائفة نسيجاً يستربه عورة آلامه المنحرفة . وكما ان صاحب العيوب الطبيعية لا ينجل منها كذلك الذي تكون فيه شوائب ادبية روحية لا يشعر منها بما يتعب الضمير ولا يقلق مضطرباً لانه مع وجود هذه الشوائب فيه لا يرى انه عارٍ من شواعر التقوى وحب الفضيلة . فالذي يرى مثلاً انه قليل الصبر او فظ الاخلاق يعزي نفسه بكونه غيوراً على طلب الخير والذب عن الاستقامة والذي يرى في نفسه ميلاً شديداً لقبول المديح والتعظيم من الناس يقول في قلبه لا بأس بذلك لان الراهب محتاج لحسن الصيت والسمعة الصالحة الخ . وبالعكس فان المصاب بالشهوة المتغلبة لا يستحسن فضيلة تضاد شهوته هذه القوية وكأنه لا يعترف بفضيلة لم تكن منطبقة على ميله الشرير او متأتية عنه فاننا نرى النمام مثلاً يقول لا اعرف باي ضمير يحسر الانسان ان يدنو من مذبح الرب كل يوم وهو يضيع ساعات كثيرة من زمانه في البطالة مع انه اي النام يقدر ان يتناول الاسرار المقدسة بكل راحة الضمير بعد ارتكابه من النسيمة ما يثقل ضمير كل مسيحي عاقل . ونرى الكسلان يندد باخيه لانه اتى بعض الاعمال ولم ينجح بها وهو يمضي الايام والشهور بالبطالة بدون ادنى عمل خوفاً من ان يعمل عملاً ولا ينجح به .

اما لو تكلم مثل هؤلاء عن اشياء لا علاقة لها مع شهوتهم المتغلبة فترى احكامهم مستقيمة وارائهم صائبة بخلاف ما لو تكلموا في ما يتعلق بآرائهم القوية . فكم من الرهبان يقلقون ويضطربون من جوار شرود افكارهم في الصلاة وهم مطمئنون مع الشكوك التي يلقيونها بين الاخوة من تسامحهم بامور كثيرة تضر بالعيشة العمومية او بجوهر نذر الفقر مثل التخصيص بآكلهم المتأنقة وملابسهم الناعمة واحرازهم نقوداً وما اشبه ذلك وما هذا الا لان شهوة التمتع والترفع متغلبة عليهم .

وهكذا نرى من الرهبان من يتصورون الفضيلة حيث لا فضيلة بل ليس هناك الا شهوتهم المتغلبة

## ٢ ان الشهوة المتغلبة تقودنا الى نقائص شتى

لانه من المقرر بالاختبار ان الشهوة متى تغلبت على الانسان لا تنفك تعمل به حتى تدرك اقصى مرغوباتها مهما كانت المسافة بعيدة والطريق وعرة خطرة وهذا يجري لكثيرين ليس في النقائص الطفيفة فقط بل في افطع النقائص واكبرها والّا فقل لي ناشدتك الله ما الذي حمل يهوذا الغاش على بيع معلمه وقتل ربه ؟ او ما الذي اوصل الملحدين مثل آريوس ولوتاريوس وامثالهم الى تلك الارطقات الموبقة ؟ وبلغ بكثيرين غيرهم ممن اشتهروا بالفضل والغيرة الى ان سقطوا بخطايا فظيعة وسيوا عثارا هائلا ؟ لا غرو فان شهواتهم المتغلبة كانت السبب لكل ذلك . نعم انهم لم ينظروا من البدء سوء العاقبة بل توهموا ان فضيلتهم اكبر من ان تغاب وعقولهم اسمى من ان تتدهور في معاطب كهذه ولكن واقع الحال يشهد بان شهواتهم المتغلبة هي التي فعلت في زمن قصير ما لم يخطر لهم على بال وهدمت بدقائق قليلة ما لم تبنيه فضيلتهم الا بايام طوال وسنين عديدة

## ٣ وهذه الشهوة تحملنا في غالب الاوقات لا على ان نعذر نفسنا على كل الشوائب التي فينا فقط بل على ان نعتبرها كفضيلة ايضاً

من المعلوم ان ونخر الضير يزعج الافكار فاذا شعر به صاحب الملكة عني حالاً باخماد ناره او باطفائها كلياً . فمن يعاشر بعض الاخوة عشرة خصوصية مثلاً او من ينفر من البعض لا يخلو من الهواجس المضنكة خوفاً من ان المحبة الخصوصية للبعض وفرط الاختلاء معهم او النفور من غيرهم يكون فيه شيء من العثار والخطاء لان زيادة الاختلاء مع البعض يسبب تنديداً وقدماً في بعض الاخوة وفي الروساء ايضاً والنفور كذلك يسبب العثار من قنور الحب الاخوي المفروض في القوانين الرهبانية والوصايا الالهية . ولكن من تمكنت فيه هذه الرذيلة بتملك الشهوة يوجد لنفسه مخرجاً من وصمة هذه الخطايا بقوله اني بتملك العشرة الخصوصية وبالتنديد لا اقصد مخالفة القوانين ولا لقاء العثار وانما ابتغي تفريج النفس والتنديد بالنقائص ايّاً كان مرتكبها ولا يحملني على ذلك غير

حب النظام والترتيب وهكذا انا في نقوري من فلان وفلان لا اقصد الا تحاشي الشر والابتعاد عن اسبابه بيد ان الحقيقة ليست كذلك ولكن الشهوة المتغلبة تري الشر خيراً والخير شراً . وقانا الله شر هذه الرذيلة . والاغرب من هذا هو انه يوجد من يقول « اني لست وحدي في هذه اخلة الذميمة او لست اريد التوصل فيها الى الخطاء الميتة » فكأن الله يدينه يوماً على موجب كثرة او قلة عدد المساوين له في الرذيلة او لا يحاسبه الا عن الخطايا الميتة او له ان يتورط في الخطايا العرضية تعمداً ولا يتخطاها الى الميتة

ولا يخال ان اتحاد أوار الضير على هذه الصورة او فسادة يقتضي حرباً طويلة كلاً بل حالما تتملك الشهوة وهي تراعي جانب الحرية فتستولي على اميال القلب فتضعف قوة العقل الناهية وحالاً تكون الغلبة للحرية ويموت الضير المستقيم . واعمرى ان هذا ما حمل القديس اغوستينوس على قوله العجيب : « ان ما تريده لا نراه الا صالحاً وعدلاً ومقدساً . » وما ذلك الا لتغلب الارادة على العقل لاننا اذ ذاك لانحكم على الاشياء كما هي في ذاتها بل كما نريدها ونتمنها

#### ٤ للشهوة المتغلبة عاقبة وخيمة للغاية

واعمرى من يمكنه ان يقطع مجاري لذة هذه الرذيلة او يبدد جفاف ضلالها . اهو الراهب الذي استولت عليه الرذيلة كلاً وانى له ان يحارب خلية قد ارتبط معها باشد علائق المحبة وامضى معها عهد الصداقة المؤبدة جازماً انه لا يُبدي حركة بدون رضاها وهو لا يعتبرها الا ملكاً سماوياً قد اتحد معها وصارا شخصاً واحداً

او هل للاب المرشد معرف هذا الراهب ان ينقذه من هذا الاسر . كلاً لانه معها اجهد نفسه في البراهين الدامغة فيجيبه تلميذه : انك ياسيدي حاكم عليّ حكماً جائراً فان ضميري لا يبكتني بشيء مما تتصوره في وهو لعمرى اعدل شاهد وانا كنت ارجو انك تؤيد راحة ضميري لا ان تلقيني في الوسوس والاهوام . وفوق هذا فانه يقول في نفسه : « ان هذا المرشد موسوس الافكار

ضيق الصدر غير محتمل في تقولاته وعلى هذا النمط هو يبدد عن افكاره كل ما يراه يضاد ميله الشديد وشهوته المتغلبة

فعلى الرئيس اذا ان يبذل قصارى الجهد بان يقتلع من قلوب مروسيه هذه الشهوة المتغلبة اذ يبين لهم من القواعد التي ذكرناها ومن غيرها ما يقنعهم بسوء العاقبة وبضرورة استئصال هذه الرذيلة . وما اجدره بان يحمل كلاً منهم على ان يخاطب نفسه بكلام الابطال قائلاً : « يا نفسي هوذا المأزق فلم يبق امامك الا الموت او الحياة . لان عدوك قد اخذ على ذاته ان يقتك بك ولم يبق لك باب للنجاة الا بقتله فهي لذلك والافانت مقتولة . ثم يلتفت الى العدو الذي هو الشهوة المتغلبة ويقول لها : ايتها الشهوة المقتولة انت التي حلفت ان تهلكيني وحاولت قتلي مرات وانت الى الان تحاولين ذلك وانا قد تهددتك مرات بالاعدام ولم افعل اما الان فقد عاهدت الله اني لا اعمل عملاً قبل ان اتخلص منك . فبهذا النهار اريد ان افتك بك وانجو من عبوديتك . هوذا الغضب قد اخذ مني مأخذه ولا يطفئه الا البطش بك . وكأني بك تشين من تحت الرماد كالافعى السامة ولكن اعود فاضربك على ام رأسك ولا انفك حتى ارضك رضى . وبعد يقول الرئيس لراعيه : اياك يا اخي ان تسكن خاطرك بقولك اني لست معذباً الا بشهوة واحدة . وهل يسوغ للمريض ان يهديء باله اذا رأى ان ليس فيه الا مرض واحد وكان المرض عضالاً قتالاً ؟ او هل لاسير مغفل بسلسلة قوية ان يسكن روعه بقوله اني لست مربوطاً الا بزنجير واحد كلاً لانه لا فرق بين ان يكون المسجون مقيداً بسلسلة واحدة او بسلاسل كثيرة اذا كانت الواحدة كافية لقيده وحبسه عن الحرية ولا بين ان يكون المريض ممنوعاً بمرض واحد قتال او بامراض متعددة . ولذلك يجدر بكل منا ان ينحدر الى عمق قلبه ويبيده الواحدة مصباح مضي وبالاخرى سيف بتار لكي يرى على نور المصباح ما هي الرذيلة المتسلطة فيه ويقطع بالسيف اسبابها . وهل من متردد في قتل هذا المسخ الجهنمي افاياك يارب اسأل ان تعطيني على القتل بهذا العدو لانه عدوي وعدوك معاً . فخذ بيدي يا الهي وظفري مقرر . »



## الفصل الثاني

في كيف نحارب الرذيلة ونكتسب الفضيلة

عدد ١

في كيف نحارب الرذيلة

قال صاحب الاقتداء : « امران يساعدان على اصلاح النفس اصلاحاً كاملاً وهما محاربة الرذيلة التي تميل اليها الطبيعة اشد الميل وممارسة الفضيلة التي نرى اننا باشد افتقار اليها (ك ١ ف ٢٥) »

فلتكلم اولاً عن نوعية محاربة الرذيلة وثانياً عن نوعية اكتساب الفضيلة عملاً بتعليم القديسين فالنوع الاول يقوم على اربعة اركان او قواعد وهي  
١ محاربة الرذيلة المتسلطة لانه ما الفائدة من ان ندور بالحافظنا الى هنا وهنا ان لم ننظر تَوّاً الى القلب ونرى ما يميل به بقوة غالبية الى الخطية ! فالطبيب الماهر اذا ما رأى على اللسان عفونة لا يضيع الوقت بتنظيفه بالغسل او التجريد بل يعطي المريض دواء يطهر معدته التي هي مركز العفونة ولا يعتني بجثم الجرح قبل اخراج الصديد منه وتنقيته من كل فساد

ولا غرو ان الشهوة المتغلبة هي العامود في بنيان الرذيلة فاذا سقط يسقط البنيان برمته او هي جليات الجبار الذي اذا صرع صرع السكر ايضاً  
٢ ان نبتدي بقطع اسباب هذه الرذيلة التي تكون ظاهرة ومشككة وسهلة الانقطاع . وبعد ذلك نتوصل الى قطع ما كان منها غير ظاهر او دقيقاً او عسر الانقطاع . لان الرب نفسه لم يأمر شعبه اسرائيل بملاشاة الكنعانيين دفعة واحدة لئلا يفشلوا بل ان يبددوهم شيئاً فشيئاً (تثنية ٧: ٢٢)  
ولا تخف من انك اذا جمعت كل قوتك لقطع دابر هذه الرذيلة وحدها يفاجئك العدو من جهة اخرى ويحاربك برذائل أخر لان من يقاوم بقوة ولو رذيلة

واحدة يتشرب بغض الرذيلة بوجه عام ويزداد بسالة في حرب العدو اذا استظهر عليه من جهة اخرى

٣ وان نوجه الى هذا الغرض كل قواتنا الروحية مثل فحص الضمير بتدقيق ونشاط والاعتراف الذي تكون هذه الرذيلة مادته والمقاصد الصالحة لهذه الغاية . وكل صلواتنا وطلباتنا تكون كذلك لاجل الفوز بالانتصار على هذه الرذيلة والقراءة الروحية التي تلهمنا بغض هذه الرذيلة او محبة الفضيلة التي تضادها . والعقوبات التي نعاقب بها من جراء سقوطنا بالرذيلة نفسها . واخيراً التأمل الذي يرينا بنوع خاص شناعة هذه الرذيلة ونتائجها الموبقة

ولما كان العدو يُلاقى بنفس الاسلحة التي يحارب هو بها وكانت الشهوة الغالبة هي عدونا الالذ الذي يطلب هلاكنا على افطع طريقة وجب علينا ان نلاقيا بمثل هذا العدوان وان لا نفتقر عن محاربتها الى ان نبيدها

٤ ان نحارب الرذيلة بما يضادها طبعاً مثلاً ان نحارب شهوة الغضب بالوداعة والتواني بالنشاط والتدقيق وتشيت الافكار بجمعها وحصرها في الداخل . والكبرياء بالتواضع . اما رذيلة الدنس فوان كانت مقاومتها مفيدة لا ينبغي ان نعاسفها او نصارعها مصارعة بل ان نعرف ذلنا ونجتهد بابعاد الافكار الخبيثة عنا بالصلاة الحارة

ومن المعلوم انه لا سبيل لتلق افكارنا لو شعرنا بان نار هذه الرذيلة لم تطف بعد حقاً ولاننا لا تزال نشعر ببعض لدغاتها بل يجب ان نجتهد بان لا نغلب لهجماتنا ولا نحفل بها ولنتأكد اننا بعون النعمة لا بد من ان نظفر بهذا العدو عاجلاً او آجلاً

عد ٢

في نوعية اكتساب الفضيلة . لاكتساب الفضيلة اربع قواعد :

١ ان نختار الفضيلة التي نراها اكثر لزوماً لنا وهي اما التي تضاد الرذيلة المتسلطة علينا او التي نراها اوفق لذوقنا واسهل لدينا من سواها . فان اخترنا الاولى نكن قد عملنا عمليين عظيمين لاننا بذلك نكون قلعنا وغرسنا او هدمنا

وبنينا . وان اخترنا الثانية نوئل النجاح في التقدم بالفضيلة باكثر سرعة  
ان منظر السماء لعظيم مبهج ولاسيا لو نظرنا بالنظارة المعظمة لاننا نشاهد  
عندئذ جسامه النجوم والكواكب وما لكل منها من الرونق والامتيازات  
الخاصة ولكن ليس هذا المنظر الا صغيراً بالنظر الى السماء الحقيقية حيث نشاهد  
مجد القديسين وبها فضائل كل منهم . ولا غرو ان مثل هذه الفضائل في السماء مثل  
لآلي وجواهر ثمينة مرصعة بجلل او تيجان ملوكية . ولذلك يجدر بكل نفس  
تطلب السعادة السماوية ان تغار على الارض باتقان نوع من الفضائل اتقاناً خصوصياً  
تتاز به هنا لكي تتاز به ايضاً هناك مثل سائر القديسين ويوضع به برفير مليكنا  
السماوي سيدنا يسوع المسيح او اكليله البهي .

٢ ان لا نتخذ موضوعاً لاجتهادنا الخاص الا فضيلة واحدة بل ان نعني  
باتقانها فرعاً بعد فرع لانه لا يهر بالعمل الا من يعتني بعمل واحد . وقد جاء  
في امثال العامة « كثير النط قليل الصيد » وقالوا ايضاً من امسك بيده بطيختين  
لا يضبط منهما واحدة .

وهنا كذلك لا محل للخوف من اننا اذا وجهنا عنايتنا الى اتقان فضيلة  
واحدة او الى اتقان فرع من فروعها نهمل سائر الفضائل لان من بذل اقصى  
العناية باتقان فضيلة لا يمكنه الا ان يمارس سائر الفضائل عندما تسنح له الفرصة  
٣ ان نعتبر الفضيلة المراد اكتسابها اعتباراً سامياً لاننا اذا اعتبرنا الشيء  
لا نلبث حتى نشتهي واذا اشتيناه جددنا بطلبه ومن طلب اجنب ومن جد  
وجد . وبعد فن اراد ان يعتبر فضيلة وجب عليه ان يتروى جيداً كم هي شريفة  
ومفيدة وضرورية . وان يعين النظر بمحاسن هذه الفضيلة في الرب يسوع والبتول  
مريم وفي الرسل وسائر القديسين . ولذلك فليتل بعض المقالات عن هذه الفضيلة  
وليأخذ منها بعض الاعتبارات التي تكون له مادة لبعض تأملاته الخاصة كما  
اوصى القديس اغناطيوس

٤ ان نمارس مرات في النهار افعال هذه الفضيلة المطلوبة لان الفضيلة بوجه  
العموم تقتضي شهامة وتزاهة اذ ان الطبيعة من ذاتها ميالة الى النقص والرديلة لا  
الى الفضل والفضيلة ومن المقرر ان الفضيلة لا تكتسب الا بتكرار الممارسة

وهي كفن الموسيقى مثلاً او التصوير فانه لا يكتسب الا بالممارسة والفضيلة باولى حجة لا تكتسب ملكتها بدون عمل وعناء لان ملكوت الله يُنصب ومن ثم يترتب على كل من رغب في الفضيلة ان يعرق عرق القربة ويحارب ويكافح ولا ينخدعن احد فان الله لا يعمل فينا الفضيلة بل يعطينا ان نعمل نحن فيها . هذا ما خلا فضيلة الايمان والرجاء والمحبة التي هي وحدها مفاضة منه تعالى مجاناً اما سائر الفضائل فمكتسبة بالعناء والطلب لانه تعالى يستجيب طلبنا باعطائه ايانا القرص المناسبة والنعم اللازمة لممارسة الفضائل التي نريد اكتسابها . ولذا كم السبب كان القديس فرنسيس كسفاريوس يكرر قوله لاختوته : « انتصروا على ذواتكم اغلبوا ذواتكم » وعندما لحظ ان البعض كانوا متعجبين من تكراره هذا الكلام قال : « هذا ما اخذته عن معلمي وابي القديس اغناطيوس وهو كاف لمن يريد ان يحفظه ويعمل به . »

اما الزمان المطلوب للملاشة الرذيلة او لاكتساب الفضيلة فلا يمكن تحديده بل نتول انه يجدر بنا ان نحارب الرذيلة حتى نرى انها لم تعد تقوى علينا ونغارس افعال الفضيلة حتى نرى انها اضحت لدينا سهلة ومستحبة . وما مثل ذلك الا مثل شجرة عظيمة فهذه لم تبلغ كبرها العظيم بمدة قصيرة ولا يمكن قطعها بضربة فأس واحدة بل كما اقتضى لكبرها سنون عديدة يقتضي لقطعها زمان مديد وعناء شديد .

وهذا لعمرى اخص تعليم يجب ان يعلمه الروساء مروثوسيهم ولذلك يجدر بهم ان يسالوهم مرات مثل هذه السؤالات : « اي رذيلة تقاوم اليوم او اي فضيلة تجدد في اكتسابها » ومن جواب المروثوس يعلم كيف يعامله ويدخل في عقله ولبه مثل هذه العالم الروحية المقدسة



## الباب الثالث

### في التجارب

عد ١

في بعض مبادي غومية ينبغي للرئيس ان  
يعلمها لروثوسيه

اخص هذه المبادي . يتعلق في ما يجب على الراهب ان يعمل قبل حلول التجربة  
وفي وقت حلوها وبعد حلوها . فقبل حلول التجربة يجب على الراهب :  
١ ان لا يخاف منها خوفاً مفرطاً لان التجربة بذاتها ليست بخطيئة ان لم  
يكن الراهب هو الذي اتى بنفسه فيها . ولا اللذة بالتجربة خطيئة ما دامت  
الارادة تنفر منها ولا ترضى بها . وهكذا مهما كانت التجربة قوية او وخيمة لا  
يمكنها ان تلحق بالنفس اذى الخطيئة ما لم تصادف في تلك النفس شيئاً من الرضا  
والقبول وان الله جلت حكمته لا يسمح بالتجربة الا لمقاصد خيرية مثل اختبارنا  
ومواضعتنا وكفرنا بالعالم وتطهيرنا وتققيتها باسرار الحياة الروحية وزيادة اجونا .  
وكما انه لا شيء . يرجع المتواني الى عبادة الله والتضرع اليه مثل ثوران العواصف  
ولا شيء . يجب المسافر بوطنه مثل شدة كوارث القربة هكذا الراهب المسافر  
في تيار هذا العالم فانه كلما اشتدت عليه التجارب ازداد تقياً وثقةً بالله وكفراً  
بذاته وبسائر امور الدنيا . قال ابن سيراخ : « الذي لا يمتحن ماذا يعلم ! (٣٤)  
ولعمري هل من اكليل الا بالظفر وهل من ظفر الا للمجاهدين او هل من جهاد  
بلا حرب فالتجربة اذا تنيل اكليل الظفر

٢ ان ننتبه الى حيل المحال الذي بها يجتهد ان يسدل على بصائرنا ظلام  
الضلال فيلقينا تارة في الوساوس ويبتين لنا ان نير الفضيلة قاس وغير محتمل فيجب

ان نظرحه عنا . وطوراً يرينا ان الكمال الرهباني لا يطلب كل هذا التدقيق  
بم حفظ القوانين والرسوم لان الله لا يمسك نعمه على الذين يخلون بمثل هذه القروض  
الحقيقة وهو خراه الله لا يطالبنا في بادئ الامر بارتكاب خطايا ثقيلة بل يكتفي  
مننا بالخفيف اليسير وبعد ذلك يطلب اكثر

وحيثما يتخذ صورة ملك النور ويحضنا على عمل بعض الخير ولكن هذا الخير  
يكون امماً طفيفاً وامماً غير مستطاع او لا يوافق دعوتنا الرهبانية ومن ثم لا يكون  
خيراً الا بالظاهر اما في الحقيقة فيكون شراً مجتاً . والامر في كل ذلك هو انه  
خراه الله يلقي بعض الجفاء بيننا وبين الرئيس لكي نبتعد عنه ولا نكشف له  
تجاربنا لئلا نقوى بنصائح على الظفر بها

وفي حال التجربة على الراهب اولاً الا يرضى بها على الاطلاق بل ان يفر  
منها بكل سرعة لئلا يقع في اوهاقها

٢ الا يردد فكره فيها ولا يسائل نفسه هل يسوغ له ان يخل بشيء من  
قوانينه او سائر فروضه لانه مثلاً ان المتعب يميل الى الراحة كذلك المضنك من  
التجربة يرغب في التسليم لها طلباً للراحة

٣ ان لا يكتفي في محاربته العدو برد هجماته بل عليه ان يهاجمه بمباشرة  
افعال بعض الفضائل الغراء مثل التواضع والصبر والامانة ومحبة الله وفحص الضمير  
بتدقيق والتأمل برزانة ونشاط

٤ وان يضاعف ثقته بالله تعالى مستنداً على قول الرسول : « ان الله امين  
فلا يحتمل ان تتجربوا فوق طاقتكم » (كو ١٠ ١) قال القديس يوحنا فم الذهب  
« وما مثل الله في سماحه بتجربتنا الا مثل الموسيقى الذي انما يمس وتر ربابته مساً  
دقيقاً بقدر ما يلزم لاعطاء الصوت المطلوب . » او مثله على ما قال القديس افرام  
مثل الفاخوري الذي لا يضع خرفته في اتون النار الا بقدر اللزوم فتراه يضع الاناء  
الرقيق مدة قصيرة والسميك مدة طويلة والمتوسط مدة متوسطة تبعاً لاقتضاء  
كل منها . »

٥ ان لا يعين النظر ابداً بما نظر او سمع من امر التجربة ولا في هل انه  
رضى او لم يرض بها ولا سيما اذا كانت التجربة مما يضاد الطهارة لانه بهذا الفحص

يتوصل الى شيء من اللذة واحياناً الى الرضى ايضاً . بل الاجدر به في وقت التجربة ان يتشبه بالطفل عندما يرى شيئاً مريعاً فانه يفر منه للحال ويسرع الى حضن امه محتجباً فيه . اما بعد حلول التجربة فعليه

١ اذا لم يكن قد انقلب لها ان يشكر الله على ما اولاه من النصر والظفر لاننا بالشكر ننال زيادة النعمة وننجو من المجد الباطل . وان يعين النظر في ما يقصده تعالى بارساله تلك التجربة اليه وان يستفيد من ذلك وان ينظر ايضاً في كيف نجا من اشراكها ليتعلم ان ينجو مرة اخرى وان يكون على حذر لئلا يفاجئه العدو بعد ذلك مصحوباً بأرواح أخر شر منه

٢ اما اذا كان قد سقط فليقم حالاً . قال القديس فرنسيس سالس : « اذا ما سقطنا فلنسأل ضميرنا وقلبنا هلا يزال على قصده السديد وعزمه الشديد بان يخدم الله بكل قدرته واني لارجو ان الجواب يكون بالايجاب وانه يفضل الموت الف مرة على ترك هذا العزم المقدس واذا ذاك اقول له يا قلبي مالك والخوف او الجبانة . فيجيب اني حزين على ما فرط مني وعلى وجودي حتى الان بهذا الضعف . وعلى هذا تضطر لان ترثي له لان سقوطه لم يكن عن خبث بل عن ضعف فيجدر ان تقويه ونشجعه برفق ولين لا ان تزيد غيظاً وحنقاً على ذاته لئلا يفضي به الامر الى الفشل » ولكن اصلاً لما فرط منه يحسن به ان يياشربعض افعال التوبة مثل فعل التواضع ومحبة الله الخ

## عدد ٢

في بعض مبادي ضرورة لمعالجة بعض تجارب قوية وغير اعتيادية  
يجب ان يعرفها كل رئيس

من التجارب ما نسميها غير عادية نظراً الى شدة وطأتها ووخامة عاقبتها وقلة عدد المعتزين بها لجزيل فضلهم وقداستهم فمثل هذه التجارب يثيرها العدو من جراء شدة بغضه لتلك الانفس التقية وحنقه عليها . وتسمح بها الحكمة الالهية اما لزيادة تنقيته تلك الانفس او لامتحانها وتققيتها في امور الروح . . (او . او)

اخص هذه التجارب :

- ١ اليأس ومن يقع في هذه التجربة يعتقد ذاته من الهالكين مهما كانت فضيلته قوية واحياناً يخال انه يسمع صوتاً في داخله يقول له : اقتل نفسك وانج من هذه الحياة التعيسة او يظن انه بقتله ذاته يقدم لله ضحية مقبولة
- ٢ الريب في الايمان . ومن جراء ذلك تكون عنده كل اسرار الديانة وتعاليمها كلها حكايات او اضعاف احلام بل يتخيل انه لا يقدر ان يقول « انا او من » او اذا قال ذلك لا يكون قوله مقبولاً لديه تعالى لانه يتصور ذاته كوثني او كجاحد وجود الله
- ٣ بعض تصورات او توهمات تضاد فضيلة الطهارة فيراها المصاب كأنها ذنب عليه وهو مع ذلك لم يرض بها على الاطلاق . فهذه التصورات ترجع افكاره وتقلقه اي قلق حتى انه لا يعود يرى اذا كان قد رضي بها او ابها ولا اذا كان يوسعها الا يرضى بها او ان لا يسقط في الخطيئة على رغم ارادته
- ٤ بغض الله . ومن يقع بهذه التجربة يرى ذاته مبغضاً من الله ويبغض كلما يختص بالله ويود لو ان جميع الناس يبغضون الله ويجدفون على اسمه القدوس ومن بلغ به شره الى هذه الحال يقطع رجاء من الخلاص الابدي ويستسلم الى اعظم الفظائع والمنكرات
- ٥ الاشتزاز والنفور من الرئيس او من بعض الرهبان بنوع ان المصاب يستمع كل ما يرى فيهم مثل احاديثهم واعمالهم وحركاتهم وهيئة وجهم ومشيتهم وصوتهم حتى انه لا يتصورهم الا خصوماً او اعداء
- ٦ كره لدعوته الرهبانية ولسائر الاعمال الروحية مثل الصلوات القرضية وسرّي التوبة والقربان المقدس والوعظ وخدمة الانفس على اي وجه كان . بنوع انه يضحي مبغضاً لكل ما كان يحبه ويعتبره من الامور الروحية المقدسة وياما اشد ما على الرئيس من واجب المحبة لمن كانت هذه حالهم وما اعظم ضرورة الرأفة بهم ما داموا معذبين بهذه الوسوس فعليه ان يعزيهم ويفرج همومهم بنصائح خلاصية كأن يقول للواحد منهم مثلاً : يا اخي ان في تضيق



الشیطان هذا عليك دلالةً على ان فضيلتك راهنة وانك عند الله مقبول ومحبوب لانه كما قال القديس فرنسيس سالس « لا ينبغ الكلب الاً على الغريب ولا تُشن الغارة وتحمل الحملات العظيمة الاً على القلاع الحصينة » فلم تخاف وانت بسيرتك مثال الفضيلة وقدوة لسائر الاخوة تخاف لانك شعرت بالتجربة وانت باذل قصارى جهدك في عدم الرضاء بها . او لا تعلم انك بذلك تحارب حرب الابطال وتنال اكليل المجاهدين؟ ومما لا ريب فيه هو انه تعالى لا يسمح بورود هذه التجارب عليك الاً لحيرك او انه يريد ان يدربك بهذه الحرب الروحية لكي تكون يوماً ما مرشداً فطناً وقائداً حكيماً

ومن اللازم الضروري ان يحض الرئيس هولاء المروؤسين :  
١ على طاعة مرشدهم ولو رأوا او تأكدوا عدم موافقته لنصائحه لهم او انها مضره بهم ايضاً

٢ على المثابرة على تكميل اعمال الفضيلة ولو كانوا يشمتون منها ويكرهونها  
٣ الى الازدراء في حيل المحال . وعلى هذا قال القديس فرنسيس سالس :  
انه لما كان الشيطان روحاً متكبراً كان لا شيء يبينه ويخزيه مثل الاحتقار وعدم الاكتراث لوساوسه . ومن الواضح ان محاربة العدو تدل على الخوف من قوته الا ترى انه اذا استطت نحلة على وجهك كيف انك تزيلها بيدك واذا لسمتك قبل ان تبارحك فلا تحفل بها خفة لسمها . هكذا استمر مع وساوس العدو الجهنمي .

واذا كانت التجربة ضد دعوته فعلى الرئيس ان يبين له ان الاسباب التي حملته على التهرب هي نعمة فائقة الطبيعة وهي باقية هي هي وان لم يشعر بها في الحال وان الله الذي لا يعمل عملاً ناقصاً لم يدعه الى الرهينة ليرجع فيما بعد بدعوته ويطرده منها وان تكرار نذره ومواعيده الكثيرة انما هي نعمة مخصصة من الله وعلامة واضحة انه تعالى لا يريد الاً ثباته في دعوته . وان الدعوة الرهبانية هي على موجب تعليم جميع الالباء اين طريق للخلاص وآمن السبل اليه سواء كان من جوار وفرة النعم الخصوصية او الابتعاد عن اسباب الخطيئة . والعكس يقال عن يترك هذه الدعوة المقدسة لانه يجحد النعمة فتبارحه ويلقي بذاته في اعظم .

المخاطر . ومن قال بخلاف ما تقدم ولو كان من اعظم العلماء لا يكون الا مخالفاً  
لابليس وعاضداً نياته الخبيثة لان الراهب يتحتم عليه ان يخضع لصوت رئيسه  
ولعلامات النعمة اكثر من خضوعه لتعاليم البشر اياً كانوا

قد جاء عن القديس اغناطيوس انه صام وصلى مدة ثلاثة ايام متتابعة لكي  
يستمد لاحد رهبانه النجاة من هذه التجربة وانه قضى مدة اخرى قسماً كبيراً من  
الليل مع احد رهبانه ليسليه ويعزيه في تجربته ويرشده باقوى البراهين للنجاة منها  
ولما كان يشعر بالهام الهى بان سبب التجربة كان اخفاء خطيئة في الاعتراف كان  
يبدل قصارى الجهد ليحمل ذلك الراهب على اصلاح اعترافه وكان يوقظ الاب  
المرشد ليلاً لسمع اعتراف الراهب المذكور كيلا يبقى معذباً بتجربته طول الليل

## الباب الرابع

### في درجة الصلاة الثالثة

عد ١

في ما تتوقف عليه الدرجة الثالثة من الصلاة وفي من هم

الرهبان المدعوون اليها

ليس موضوع كلامنا هنا الدرجة الاولى من الصلاة التي هي طلب الله بالتأمل  
العقلي ولا الدرجة الثانية التي هي الاقتراب من الله بالانعطافات القلبية ولا الرابعة  
التي تتوقف على راحة النفس في الله ولا الخامسة التي تكون في اتحاد النفس مع  
الله لان الاولى والثانية هما عاديتان ولا صعوبة فيهما والرابعة والخامسة نادرتان  
ولهما ايضاحات مسهبة في تأليف عديدة ولكن موضوع كلامنا الدرجة الثالثة وفيها  
نحصر مقالاتنا

أ ان هذه الدرجة التي هي عبارة عن الانشغاف به تعالى تتوقف على ثلاثة

امور النظر الى الله وذكر الله والارتياح الى الله . وبهذا يكون عقلنا وذكرنا وارادتنا ساعية كلها معاً لادراك الانشغاف به تعالى . فهذا الانشغاف اذاً يكون عبارة عن النظر العقلي والذكر والارتياح . فالعقل يرى الله بالايان كأنه حاضر وينظره تعالى نظراً بسيطاً بغير مراجعة في الفكر ولا قياس ولا احتجاج . والذاكرة التي تردد ذكر الله مرات متوالية تصير هذا الذكر خالداً في الذهن وعند ذلك ترتاح الارادة الى الله ارتياحاً وتنتعش بذكره ومنظره . فبعض العباد الذين يمارسون هذا النوع من الصلاة ينظرون الله في كل شيء ويرون انه مالى الكرن بنوع انهم لا يتكلمون ولا يتحركون الا في الله وهكذا لا يعملون عملاً ولا يرون رأياً الا في الله

وغيرهم ينظرون اليه تعالى باقصى قوى نفسمهم وغيرهم ايضاً يرونه تعالى في اعماق قلوبهم وهولاء اكثر تقدماً في هذا النوع من الصلاة ولكن لكل ان يتبع اميال نفسه بدون معاسفة

وفي هذه الحال يمكننا بل يجدر بنا ان نفكر بالاعمال العجيبة التي عملها السيد المسيح والبتول مريم وذلك :

١ متى ألهمتنا النعمة هذه الافكار و٢ في الاحتفالات الكنسية و٣ عندما نشعر باننا مفتترون الى ذلك بشأن احترام حاسات الحب نحوه تعالى  
٢ اما الدعوة الى هذه الحالة السعيدة فقد تكون بنوع خارق العادة وقد تكون بنوع عادي

فبالنوع الاول يعطي الله هذه الموهبة من يشاء ومتى يشاء من دون اقل استعداد من قبل الموهوب له بل من دون انتظار ولا سبق معرفة لشيء مما يتعلق بهذه الهبة السماوية وهذا يكون فيما لو دعت النعمة الارادة دعوة حثيثة بقوة ولطف والارادة لا تكاد تشعر بهذه الدعوة حتى تسلم ذاتها تسليماً مطلقاً غير ان الله جلت حكمته لا يدعو عادة بمثل هذه الدعوة الا الراهب الذي يكون قد افرغ كنانة جهده في خدمته تعالى وفي طلب مرضاته عز وجل

اما النوع الثاني فيدعو الله به اولئك الرهبان الذين عندما يكونون قد سمعوا شيئاً عن محاسن هذه الصلاة او قرأوا شيئاً عن منافعها الجزيلة او عن قداسة

الاشخاص الذين فازوا بها وشعروا بما حملهم على السير في هذه الطريق لاجل الوصول الى الكمال . والذي يدلنا على ان هذه الدعوة هي من الله لا من الشيطان ولا من الطبيعة هو اننا في وقت فقدان التعزية الروحية وفي حين رغبتنا بالاختلاء الروحي الباطن نميل بجميع رغائبنا ومقاصدنا واعمالنا الى غاية واحدة الا وهي رضا لا غير . وضمن وقاية لنا من وساوس الشيطان انما هي مشورة الرئيس او للرشد الحكيم

عد ٢

في فوائد هذه الصلاة وفي كيف يتدرب بها الراهب الذي يكون قد رقا الله اليها

١ ان الفوائد المعلقة على هذه الصلاة شريفة هي وعديدة لان من تمتع بها يمكنه بسهولة

١ ان يعرف احسن معرفة كمالات الله لانه تعالى ممثل ابدًا امام عينيه . وان يفقه باجلى بيان فقره الخاص وضعفه الطبيعي لانه بمشاهدة الله الدائمة يشاهد نفسه كأنه بمرآة صقيلة فيرى ما فيه من العيوب والنقائص

٢ ان ينقطع انقطاعاً كاملاً عن المخلوقات لكي يتعلق بالخالق وحده لان من خواص هذه الصلاة ان ترفع العقل والقلب عن الارضيات لتحصلهما وتبلغهما الى السماويات

٣ ان يشرع بالعمل بهذا المبدأ المدعو بمبدأ القديسين العام وهو : « كل شيء : ولا شيء » يريدون بكل شيء الله وبلا شيء كل ما سواه

٤ ان يتمكن في فضيلة التواضع لانه بنظره الدائم الى الله الكلي القدرة والغنى والعظمة لا يمكنه ألا يرى ضعفه ومسكنته وكونه عدماً ايضاً

٥ ان يعيش عيشة التقشف السامية والضرورية التي تتوقف على اماتة حركات النفس الباطنة وعلى ارتفاع افكارنا وعواطف قلبنا الى تعالى بعبادة مستمرة

٦ ان يحصل على العين النقية المحكي عنها في الانجيل المقدس التي تنظر الله في كل شيء ولا ترى ان تميل بنظرها الى ذاتها ولا الى شيء من الخلائق مهما



كان . ومثلها بذلك مثل الابرة المسقية من المغناطيس فكيفما دارت بها الدوائر  
تبقى متجهة نحو القطب الشمالي

و٧ ان يحب الله من كل قلبه ومن كل عقله ومن كل قوته لانه لا يرى  
في كل شيء الا الله ولا يفكر الا بالله ولا يريد شيئاً غير الله  
و٨ يتمتع بالسلام الحقيقي الذي لا يوجد الا في الله مقرر راحتنا وغايتنا  
وسعادتنا وحياتنا

و٩ ويستحيل بنوع ما الى صورة الله كما يبين ذلك بولس الرسول لانه  
يتعود ان يشاهد الله وان يخاطبه ويفتح له قلبه ويضمه اليه ويعتقه بانشفاف  
مقدس يزداد فيه ويتجدد كل يوم وكل ساعة

٢ اما كيفية تدرب من ارتقى الى هذه الدرجة من الصلاة فتتوقف بنوع ما على  
ابعاد كل ما من شأنه ان يؤخر فيه او يلاشي الانعطاف القلبي نحو الحضرة الالهية  
ومن ثم يلزم من بلوغ الى هذه الدرجة : ١ ان لا يعسف نفسه لابرار بعض  
الافعال المفيدة او التي كان يراها ضرورية من قبل . ولكن لو ألهمه اياها الله فله  
ان يقبلها ويعمل بها بهدوء وسكينة و٢ ان يعمل اعماله الروحية مثل فحص  
الضمير والصلوات اثرية وما اشبه بدون ان ينقطع عن رياضة نظره العقلي  
و٣ ان يقوم بباقي اعماله مثل الدرس واعمال الوظيفة او التثنية وحضور المائدة  
للاكل والشرب وما اشبه ذلك مع المحافظة على استحضار الذات الالهية تبعاً  
للعادة التي يكون قد ألفها و٤ عند انتباهه من النوم صباحاً حالما يفتح عيني  
الجسد يفتح كذلك عيني الروح كي يشاهد بها الله ومثلما ابتداء صباحه وانهي  
نهاره برياضة مشاهدة الحضرة الالهية هكذا يجب عند مضيه الى النوم الا تغيب  
عن نظر عقله مشاهدة الله فينام في حضن العناية الربانية

اما النقائص التي يسقط فيها صاحب هذه الصلاة فهي عادة : ١ عدم  
تأكده صلاحية هذه الحال او عدم وجوده بها حقيقة ولكن ليس لذلك دواء  
انجع من مشورة الرئيس او المرشد الحكيم . ٢ عدم مطاوعته الهامات النعمة  
التي تطلب منه احياناً شيئاً من التشف والجهد فوق المعتاد مع ان لا شيء يساعد  
على القيام في هذه الصلاة السامية مثل مجاورة النعمة بالمطاوعة لاهاماتها . و٣

تقاعده عن اقام الصلوات المفروضة والعبادات العادية بحجة كونه دائماً في الصلاة مع ان المثابرة على هذه القروض والعبادات اجدر به من كل احد لامتناله دائماً بازاء الحضرة الالهية و٤ البطالة لانه لو دأبته تجربة التواني والفتور في صلواته قلما يكثر لان يعود الى حارته الاولى ولذلك تستولي عليه الافكار الغريبة والترهات الباطلة . وهـ الجبانة واليأس من خوفه ان يبين الله او ان لا يقدر على ان يحبه المحبة الواجبة وهذا اليأس يأخذه منه مأخذه عندما يتأمل حال العالم التاسعة وانه مجبر على السكنى بين الناس ومعاشرتهم .

لا غرو ان لكل رهبانية نظاماً يرتب اوقات الصلوات ونوعيتها فعلى كل رئيس ان يحافظ على نظام رهبانيته ولكن ليس له ان يزعج من يراهم بلغوا الى هذه الدرجة من الصلاة بل عليه ان يساعدهم للثبات فيها والتمتع بنجراتها

## الباب الخامس

### في ممارسة العمل الافضل

#### عد ١

في بعض سوالات تتعلق بممارسة العمل الافضل :

كتب الرسول الى الرومانيين قال : « لا تتشبهوا بهذا الدهر بل تحولوا الى صورة اخرى بتجديد عقواكم لتختبروا ماهي مشيئة الله الصالحة المرضية الكاملة (ف ١٢) فالرسول يشير هنا الى ثلاث درجات من الفضيلة صالحة ومرضية وكاملة . قال القديس انسلموس : « ان درجة الصلاح تليق بالمبتدئين والمرضية التي تسمى على الصالحة تليق بمن اخذوا بالتقدم في طريق الكمال واما الكاملة فهي اسمى درجة يمكننا ان نتمناها

فاذا كان بولس الرسول يعلم طريق الكمال الاسمى جميع المؤمنين حتى الذين لم يكونوا قد ارتدوا الى الايمان الا حديثاً افيليق برئيس الا يرشد رهبانه

الى هذه الدرجة السامية وهم قد ربوا بمجد الفضيلة وتجردوا لبلوغ الكمال

س ١ على اي شي - يتوقف العمل الافضل ؟

ج يتوقف على ان يختار الراهب من شيئين او من نوعين لعمل شيء واحد الشيء الاحسن او النوع الاحسن . وهذا لعمرى يكون عندما يتفق للراهب ان يعمل هذا او ذاك بهذا النوع او بنوع آخر من دون طائلة الخطاء على الاطلاق لان الشيتين او النوعين يكونان صالحين غير ان الواحد منهما يفضل على الآخر ولذلك اقتداء بقول الرسول يختار الافضل والاكثر كمالاً على ما سواء

س ٢ واي عمل يمكننا في الحياة الرهبانية ان نسميه الافضل او الاكثر كمالاً ؟

ج في واجباتنا نحو الله ان افضل عمل هو العمل الذي يؤدي لعزته تعالى اعظم مجداً نظراً لصلاح العمل بذاته وللحرارة التي نعمله بها . اما في واجباتنا نحو القريب فالعمل الافضل هو الاكثر افادة له سواء كان ذلك في الخيرات الزمنية او الروحية بنوع اخص . اما في الواجبات التي للراهب على ذاته فالعمل الافضل هو الذي يسوم الطبيعة اكثر عناءاً ويساعدها اقوى مساعدة على عدم الانتغلاب لحيل العدو . ويوجه الاجمال نقول ان العمل الاكثر كمالاً في الراهب هو الذي يوافق بالاكثـر المشورات الانجيلية بحسب روح الرهبانية المنتمي اليها والمقام الموجود فيه

س ٣ هل العمل الافضل يتم من دون تعلق ببعض الظروف ؟

ج كلاً لانه يتعلق ولا شك بظروف مختلفة لان الافضل لهذا بالنظر الى طباعه والتجارب التي تعرقل بها والواجبات التي تختص به لا يكون الافضل لغيره لاختلاف الظروف المذكورة . وهكذا العمل الافضل في هذا الزمان لا يكون كذلك في زمان آخر لانه اما ان الحوادث تتغير واما ان مقاصد الله تعرف بعد حين على غير ما كانت محسوبة من قبل . ومن البين ان العمل لا يكون اكثر كمالاً ما لم يكن موافقاً للواجبات بمجملتها من دون ان يلحق ضرراً باحدها . ثم ان العمل الافضل على ما يعلم القديس فرنسيس دي سال لا يتوقف على كثرة الاعمال بل بالحري على حسن القيام بها

س ٤ هل يمكننا بسهولة ان نعرف ما هو الافضل من بين اعمالنا ؟  
 ج نعم يمكننا ذلك لو احسنّا سمع صوت الروح القدس الذي يكلمنا في  
 الداخل واصفينّا لارشاد العقل المستقيم المستنير بنور الايمان . واذا ما خامرتنا  
 الريب يمكننا ان نسأل انفسنا مثلاً كيف عمل السيد المسيح والقديسون في مثل هذه  
 الظروف . وما هي تعاليمهم في هذا الشأن او ما عساهم كانوا يعملون لو كانوا  
 في مثل مركزي هذا . وما عساني ابتغي في ساعة الموت او في ساعة الدينونة  
 الاخيرة من امر هذا العمل او من كيفية عمله ؟ او ما عسى احد الهالكين او احد  
 القديسين كان يعمل في مثل هذه الظروف لو بعث الواحد ليكفر عن ذنوبه  
 والآخري ليزيد على اجر ثوابه اجراً جديداً . او بماذا كنت اشير على احد الرهبان  
 لو طلب مشورتي وكان يهمني امر كماله . وبعد فان للراهب قوانين ورسوماً  
 ترشده الى الصواب وله ايضاً رئيس اقيم من العناية الربانية ليؤمّنه في المخاطر  
 ويهدي روعه في المخاوف . فليرتشد منهم

عد ٢

في بعض اسئلة تتعلق بنذر العمل الافضل

١ ما هو الالتزام الذي يوجب على من ينذر نذر العمل الافضل  
 ج كل نذر ما عدا النذور الرهبانية يتعلق الزامه بحرية الناذر مهما كان  
 موضوع النذر كحفظ احدى الفضائل مثلاً او بعض القوانين او غير ذلك سواء  
 كان النذر مؤبداً او لأمدة معينة فللناذر ان يلزم نفسه الزاماً ثقيلاً او خفيفاً  
 وعليه فاذا لم يلزم نفسه الاً الزاماً خفيفاً فمخالفته نذره لا توجب عليه الاً اثماً  
 خفيفاً اما اذا الزم نفسه الزاماً ثقيلاً فقد يقترب خطاءً مميتاً تبعاً لثقل المادة  
 وتكرار المخالفة بتوان وقلة اعتبار

٢ أيسوغ لكل راهب ان يعز هذا النذر ؟

لا يراى مثل هذا للنذر ينبغي ان يكون الراهب مدفوعاً اليه من روح الرب  
 وماؤناً له به من رئيسه . وان يكون متصفاً بضيق وعقل سليم ومحتجراً بحفظ  
 القوانين الرهبانية وممارسة سائر الفضائل بنشاط وتدقيق



فعلى الرئيس الحكيم عندما يسأله احد رهبانه ابراز مثل هذا النذر ان يشير عليه بان يروض ذاته اولاً على العمل الافضل وبعد هذا الترويض يأخذ على ذاته عدم مخالفة القوانين ولو باقل الاشياء ثم يسمح له بان ينذر نذراً به يريد ان يعمل العمل الافضل وبعد ذلك يمكنه ان يسمح له بان ينذر هذا النذر لاجل مسمى وتحت طائلة الخطاء الخفيف لا غير اخيراً له ان يحدد المدة وان يضيق بالزام النذر ولكن مع كل ذلك لا يسمح له بالنذر المؤبد بل لو طراء صعوبات غير عادية على حفظ هذا النذر يسوغ للرئيس ان يفسح فيه كما لو حدث شغب او توان من قبل الرئيس او حدثت حروب وما شاكل ذلك

٣ ما الفائدة من هذا النذر

اولاً ان الانسان بهذا النذر يقضي على نفسه قضاء مبرماً بان يكون اميناً في خدمة الله بكل اعماله كبيرة ام صغيرة خطيرة ام حقيرة . وبان يحب الله بكل قوته محبة فعالة لا تنفك عن العمل والتقدم وبذلك يشعر بجراحه تعالى التي تساعده على حفظ الوصايا الالهية وعدم الاخلال بشيء من واجبات دعوته

ثانياً انه بهذا النذر يحرم على النفس التمتع بشواتها الجسدية ويساعدها في الانتصار على الاميال التي قلبا تنطفيء حارثتها من الطبيعة مها تسامى الانسان في الفضيلة . ويكفر ايضاً عن الزلات الماضية ويتقي المستقبل

وبهذا النذر يمكن ان يربح الانسان في دقيقة واحدة استحقاق حياة طويلة لانه من حيث هو غير متأكد طول حياته ويخاف من ان الموت يسلب منه الوسائط التي تمكنه من تمجيد الله مدة طويلة يقدم لله بهذا النذر ضحية ارادته التي تشمل كل اعمال الحياة مها كانت شاقة وطويلة

٤ أليس في هذا النذر ما يمنع حرية العقل والقلب

كلاً اذا كان النذر مفعولاً بتمتضي الشروط المطلوبة . قال الاب لا كولومبير : اني لا اخاف ان يسلب مني هذا النذر راحة الضمير ولا ان يجعلني سبياً للعثار لانه كما قال المرتل كلما احب الانسان شريعة الله شعر براحة ضمير وطمأنينة نفس . وعلى هذا النحو ترى شدة العناية بحفظ الصغائر من القوانين تولى النفس تمام الحرية والحال ان هذا النذر يساعد على العناية بحفظ القوانين كل المساعدة لا من

حيث انه يبعدنا عن وساوس الخطية فقط بل من حيث انه يحمله تعالى على ان يغيثنا بفيض النعم . ومن ثم فان مجرد التفكير في هذا النذر يوجب قلبي فرحاً وابتهاجاً لانني اتوسم فيه الحرية والسلام وسهولة الحصول على السعادة التي نبتغيها ونجد في طلبها ( كتاب رياضاته )

عدد ٣

في كم يفيد الراهب ويجدر به ان يعود نفسه بممارسة العمل الافضل  
فلتذكر اولاً الفوائد التي تنجم عن هذه الممارسة - النجاة من الخطاء  
الاختياري لان من يكون قد ابرز هذا النذر لا يبقى عليه ان يميز في اعماله بين  
الصالح والطالح بل بين الحسن والاحسن لا غير  
- التخلص من كل ميل الى النقائص لان الانسان بهذا النذر يقصد ان  
يتعد عن الخطية حتى ظلها - نقاوة النية ومطابقة الارادة مع الارادة الالهية  
والعناية بمحفظ الصغائر لان من يكون قد نذر هذا النذر يتحتم عليه الاجتهاد في ان  
يؤدي لله اعظم تمجيد - الحرارة في العبادة والتيقظ الدائم في استحضار الله لان  
صاحب هذا النذر لا يبرح من باله ان يطلب رضى الله في كل حركاته وسكناته  
- امانة مستمرة بقمع الاهواء المنحرفة - غيرة فعالة . لان الله عز شأنه يجازي  
عادة حتى في هذه الحياة فضيلة الذين يكرسون ذواتهم له تكريساً مطلقاً -  
سرعة التقدم في الفضيلة حتى اسمى درجاتها وذلك بسبب عادة استعمال الفضائل  
كأما : - الغنى الوافر في الروحيات للتكفير عن الذنوب ولحشد كنوز الاستحقاق  
- اخيراً نقول ان ممارسة العمل الافضل انما هو اين طريق موصلة الى الخلاص  
لأنها تبعد عنا اخطار الهلاك وترقينا بسرعة الى قمة الكمال . وبالنتيجة ان ممارسة  
هذه الفضيلة تعود علينا بكل الخيور الروحية . ان القديس اغناطيوس كان  
يهتف غالباً ويقول ان كسلنا لفظيع لاننا نرى في دور الملوك ضباطاً وقواداً اشد  
تهالكاً بخدمة مواليتهم منا بخدمة مولى الموالى . وياما اقل عدد اولئك الذين  
يستفيدون من دم السيد المسيح المراق لاجل خلاصهم وهم قادرون ان يجنوا  
منه كل الفوائد . وياما اقل الذين يفقهون ما كان عساه تعالى ان يعمل في امر

تقدمهم ونجاحهم في الفضيلة لو سلموا ذواتهم الى نعمته تسليماً مطلقاً . وكان يقول ايضاً ان عملاً واحداً كاملاً يرضى الله ويقدم فاعله في الكمال اكثر من الف عمل غير كامل . وان العابد الحار يتقدم في طريق الكمال بخطوة واحدة اكثر مما يتقدم القاتر في سنين عديدة

انه لمغبوط اذن ذاك الراهب الذي يعرف كيف يضحي ذاته لمجد الله بنوعٍ سامٍ . ولاجل غاية متزهة عن كل شائبة لانه بذلك يحوز نعماً جمّة مع سلامة القلب ومحبة الروح القدس والطمأنينة في امر الخلاص وفوق هذا فان الله يفيض في قلبه روح الغبطة والتعزية

ومغبوط ايضاً الرئيس الذي يرى بين جماعته رهباناً متصفين بهذه الصفة لانهم يكونون بين اخوتهم قانوناً حياً ومثالاً للفضيلة ويستمتطرون عليه وعلى جماعته غزير البركات



## [ الكتاب السابع ]

في الصبر على المحن والمضادات

### الفصل الاول

في انه لا بد للرئيس من ان يصادف شيئاً من المضادات

عد ١

أ انه لا السيد المسيح نفسه ولا اعظم القديسين حكمة امكنهم ان يرضوا كل الناس واذا حاول احد الرؤساء ان يرضي الجميع فاننا نوجه اليه قول احد العلماء الذي قال : هل انت اوفر حكمة من الله تعالى الذي خلق الملائكة فعصاه الثلث منهم وتمردوا عليه . وسن للبشر شريعة فخالقها اكثرهم وبالتالي ارسل ابنه لافتقاد العالم فاماتوه . وهكذا اذا اشرق شمسك طلب بعض الناس المطر واذا ارسل المطر طلب البعض الآخر الصحو ومن تراه راضياً بكل ما ترسله اليه العناية الربانية . وبالنتيجة هل لنا ان نتوقع حكماً اعدل واحكم من حكم الله تعالى ؟ ومع ذلك نرى الاكثرين غير راضين منه كل الرضاء « اه

ولعمري هل انت احكم من السيد المسيح انه كان مع كل حكمته اذا آكل الخبثاء قيل عنه انه اكل شره واذا اتى بعجزة قالوا انه مستخدم للارواح الشريرة . واذا جاد بتعليمه وادهش قالوا انه مشعوذ مضل . وبالنتيجة انه ما اتى بعمل وارضى به الجميع

او هل انت احكم من البتول مريم فقد عرفت وتحققت ان خطيئها القديس يوسف كان قد وقع باعظم حيرة لما شعر انها حبل ولم يكن بعد عالماً بحقيقة السر الا انها مع ذلك لم تر ان تبين له الحقيقة ولا ان تخفيها عنه لانها كانت ترى ان بتبيانها خلافاً لامر الله الذي لم يكن اذن بذلك وبإخفائها حيرة وعذاباً على رجل



الله الكلي القداسة ولذلك لجأت الى العناية الربانية لتغيثها وتغيث رجلها في تلك الضيقة . اهـ

جاء في اعمال الرسل ان القديس بولس اراد ان يترك في انطاكية يوحنا مرقس لانه كان أبى ن يذهب معه الى اورشليم اما رفيقه القديس برنابا فاراد ان يبقيا مرقس في صحبتهما وقد اختلفا لذلك وذهب كل في طريق وقد جاء عن القديس برزددوس انه أُعطي قوةً لاجتراح المعجزات ولكنه لما كان يُقدم على عمل معجزة كان خاله واخوه يقولان له اذك رجل متكبر ولا بد من ان تهلكك الكبرياء اهـ واذا احجم عن عمل المعجزات كان الرهبان يقولون له : « يامعلم انك تحني وزنة سيدك وتحرم الرهبانية خيراً وفخراً يمكنك ان توليها ايها بسهولة . فانك بصنيعك هذا تحزن قلوب اخوتك الرهبان والملائكة ايضاً اهـ وقد حدث خلاف بين القديس ابيفانوس والقديس يوحنا فم الذهب على ضلال اوريجانوس فقال الاول انا لا يمكن ان اتحمل الارطقة اما الثاني فقال : ينبغي ان تميز بين الارطقة عن ذنب والارطقة عن غير ذنب » فقال اذ ذاك القديس ابيفانوس « اني اراك تميل الى اوريجانوس فاجابه فم الذهب « اما انا فاراك تميل الى محالني الحقيقة . فاغتاظ لذلك ابيفانوس وقال لقم الذهب : انا راجع الى كرسي ولكن اقول لك من قبل الرب انك لن تموت في القسطنطينية بل في المنى فاجابه فم الذهب وانا اقول لك انك لا تصل الى كرسيك بل تموت مثلي على الطريق وانت مسافر في البحر فهذان الرجلان قديسان وقد تنبأ الا انها قد اختلفا وكل محق بدعواه من وجه ومخطئها من وجه آخر

عد ٢

في ان اختلاف الطباع وسوء الظن لا يدعان احداً يُرضي الجميع ولعمري ما العمل عندما يسألك الكثيرون امراً لا يمكنك ان تهبه الاً لواحد فقط . او سألك الناس ما يغيظ الله او لامك البعض على عمل لا تقدر ان تبوح بأسراره ولا بما حملك على صنيعه وهكذا القول عندما تكون المذاهب مختلفة والمصالح متناقضة

الا ترى بين الناس قوماً شجعاناً لا تتعدهم الاخطار ولا الموت . وقوماً  
جنباء يسقطون تحت ثقل ذرة من الرماد ويقعون لو عثرت رجلهم بوريقة من  
عشب ؟ . وكذلك من الناس من تكون اخلاقهم راضية وديعة لا يرغبون الا  
في المسالة والمساهلة وغيرهم ذوو اخلاق فظة قاسية لا يهرون الا المقاومة والمعاندة  
ومنهم من يكونون ذوي فطنة وحكمة لا يبدون عملاً الا بعد التروي والتدقيق  
ومنهم حمقاء ناقصو الحجب يتهورون في كل اعمالهم ويتهاقون على فعلها تهافت  
الفراش على النور . هذا خفيف وحاد الطباع وذاك ثقيل بارد . الواحد سامي  
العقل والمدارك يُخلق بافكاره كالنسر في طيرانه والاخر بليد يزحف على الارض  
كالسلحفاة فكيف يتأتى لك والحالة هذه ان ترضي جميع الناس

ثم لو قدرنا انك توصلت الى ارضاء الداخلين في جماعتك فمن اين لك ان ترضي  
الخارجين ؟ . ثم لاحظ الداخلين انفسهم الا ترى ان منهم من لا يشغلهم شاغل  
عن التنقيب في اعمالك والتنديد بها ومنهم من يعجبهم العجب بذواتهم ولا يدعهم  
يستحسنون عملاً لم يكونوا الشارعين به حتى ان الفضيلة والبرارة تكونان في  
اعينهم ثقيلتين وممقوتتين . وهل من رادع يردعهم او يثنيهم عن غواياتهم ؟ او  
هل من برهان ساطع او حجة قاطعة تبين لهم حقيقة لم يريدوا ان يدعوا لها ؟  
كلاً ولا يهمهم التهور في الظلام بشرط ان يعملوا ما يعن لهم . واذا كانوا كذلك  
فأني لك ان ترضيهم

قال القديس بطرس داميانوس : «الهي اي صبر لا يضطر له الرئيس  
وهو عليه ان يحمل ثقل اخلاق مختلفة ومتباينة فاذا كان من اهل العمل وتعاطي  
اشغالات خارجة قالوا انه جوال لا يعرف الخلوة ولا الحياة الروحية الداخلية . وان  
احب الخلوة والاعتزال قالوا انه قصير المعرفة وايس في وسعه ان يدبر الامور الخارجة  
الروحية وان اظهر شيئاً من الصرامة القانونية قالوا انه قاس محب للانتقام وان ابدى  
اللين والملاطفة قالوا انه جبان ضعيف . واي الناس لا يرى ان الصواب في رأيه  
وانه حقيق بان يتبعه الجميع وليس عليه ان يتبع احداً ؟ .

والامر العجيب كما قال العلامة بوفيس هو ان ذوي العقول الثاقبة والاذكياء  
هم المتشبهون بارآتهم والمتعنتون بزيادة على غيرهم وقد ترى فيهم رغبة في اماتة

شهوات كثيرة ما عدا طباعهم القظة وميلهم الشديد الى التنديد فانهم يهتمون بامانتها وكأن المطيع يستقل نير الطاعة ويروم تخفيفه في طعن اللسان والغيبة . او كأن عدو الخير خزا الله لا يكل من زرع الشقاق بين الرئيس ومروؤوسيه . فكلما اجتهد واحد في البناء اجتهد الآخرون في الهدم . لان الطبيعة تأبى الخضوع وتجد في الاستبداد اشد اللذات اه

وقال ثريتموس : « من اتادر ان تجد رئيساً يرضى مروؤوسيه لانه في الغالب معرض لسهام قبحهم وتنديدهم وهكذا قلما يرغب في امر لا يأبونه وينكرونه عليه . اه

### عد ٣

في انه كل رئيس اراد اصلاح الشوائب في مروؤوسيه  
عرض نفسه للقدح والطنع

في الحقيقة انه اذا اراد الرئيس ايقاف الشهوة ومقاومة الضلال استهدف لرد السهام عليه . قال القديس اغوستينوس : ليس امر سهل ان تجد رجلاً يحب اجتمال التوبيخ . واين رجال العصر من ذاك الذي قال فيه الروح القدس : « وبجة فيجبك » وقال هذا القديس نفسه في محل آخر « ان الاتيم يبعض البار لانه لا يرضى بنفاقه وقال ايضاً « ان الاسقف لا يكون صالحاً في عين المنافق الا اذا سكت عن نفاقه »

وقد كتب القديس بولس الى الرومانيين قال : « ان امكن سالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون » ( ف ١٢ ) والى هذا القول اشار القديس غريغوريوس البابا اذ قال : « ان الرسول عارف بانه غير ممكن للصالحين ان يعيشوا بسلام مع الاشرار ولذلك قيد كلامه بقوله « ان امكن » وقال ايضاً لمكسيموس اسقف سولونيا « كن على تمام الثقة انه يستحيل على الانسان ان يرضى الله والاشرار معاً ولذلك كل ما كان مقبولاً لدى الله هو ممقوت عند الاشرار »

قال القديس برناردوس : « ان من القضايا الثابتة ومرجعها واحد هاتين القضيتين

وهما ان من يرضي الصالحين لا يكون الاً صالحاً : ومن لا يرضي الاشرار لا يمكن ان يكون شريراً »

وقد كتب الى الالباء المجتمعين في سواسن لاجل اصلاح احد الاديار المنتمية الى رهبانية القديس مبارك قال : « انه لمن المستحيل ان تدخلوا الاصلاح هذا الدير او ترجعوا اليه العادات القديمة في حفظ الرسوم والقوانين بتدقيق بدون ان تهيجوا ضدكم خواطر بعض الرهبان الذين تعودوا القصور والتواني لان الاصلاح يزعجهم ويشككهم ايضاً غير ان شكهم لا يكون الاً فريسياً . ولذلك لا ينبغي ان تعبأوا بهم لانهم عريان وقادة عميان بل اهتموا بخلاص السذج وانبذوا عنكم تمرّد الحبثاء . وما العمل في شفاء مريض يأبى كل علاج . فمن الحكمة ان تنظروا الى احتياجاتهم لا الى ارضاء رغائبهم المعوجة . وبما انهم لا يريدون ان يتقدموا في واجباتهم الروحية فعليكم ان تدفعوهم اليها ولو بشيء من الاكراه والقوة . واني لعالم انكم لا تبلغون هذا الوطر الاً باحتال المقاومة والاضطهاد ايضاً ولكن تقروا ان بهذا اجركم وشرفكم اه (رسالة ٩١)

وقد كتب القديس ايرونيوس الى القديس اغوستينوس قال : « ان الكاثوليكين باجمهم يحبونك ويعتبرونك ولكن ما يوليك مجداً وفخراً افضل هو كون الاراطقة يكرهونك اعظم كره . واطن انهم لا يكرهوني اقل منك وانهم ان لم يُقدموا على قتلي وقتلك فليس ذلك عن عدم ارادة منهم اه (رسالة ٨٠)

ان الطوباوي بطرس فورنيه لما ألح عليه اباء رهبانيته بقبول الرئاسة العامة ابى معتذراً وقال ١ اني اشعر بذاتي عدم الجدارة لهذه المهمة ٢ اني بقبولي على ذاتي عناء هذه الخدمة اعرض نفسي لخطر الهلاك ٣ اني بذلك اخسر محبة الاكثرين وافقد اعتبارهم لاني اضطر لان اتشدد في حفظ القوانين وهذا لا يرضاه الجميع اه (كتاب حياته)

ولعمري ان في هذا الامر لا كبر حيرة لان الرئيس إماماً انه يتشدد بمحفظ القوانين والرسوم او لا . فان تشدد اغاظ الاكثرين من رهبانه وان لم يتشدد اغاظ الله تقدست اسماؤه



في ان الرئيس معرض لنكران الجميل من مروثوسيه مدة رئاسته وبعدها

قال غراسيانوس ان الثقة بدوام عرفان الجميل لضرب من السداجة لان نكران الجميل امر عادي عند الاكثرين . الا ترى كل احد بعد ان يكون شرب من العين يوليها ظهوره ؟ وبعد ان يكون عصر الليمونة يطرح قشرتها على الارض ؟ وهكذا على ما قال تاسيت ان معرفة الجميل حمل لا يهوى الانسان الاّ خلعه عن منكبيه اه

ويوحنا لوقا احد الرهبان الصغار كان ينصح الرؤساء ثلاث نصائح به يستطيعون ان يحافظوا على سلامة الضير وهدوء البال . وهي قوله ١ . استشير في كل اعمالك . ٢ . لا تسرع في توبيخ المذنب ٣ . لا تنتظر جزاء اتباعك الانكران الجميل . وقال مودست دي سانت امابل ان الرئاسة تظهر لك باسمه ضاحكة وانما ذلك رياء وخداع لكي تحملك على محبتها وطلبها لانك لا تكاد تتولاها حتى تقدم لك التعب عوضاً عن الراحة التي كانت تعدك بها والعبودية عوضاً عن السيادة وحينئذ ترى ان تملقاتها ما كانت الاّ بقصد ان تلقيك في اعظم الشدائد اه ( الرئيس الكامل ك ٢ ف ٤ ) وقال ايضاً ( ف ١١ ) « قبل ان تكون رئيساً ترى انك معتبر ومحبوب من جميع مروثوسيك فاذا تقلدت الرئاسة ترى الاكثرين يبتعدون عنك وكمأنهم ينبذونك خلف ظهورهم وغيرهم يقومون عليك ويخاصمونك والاغرب انك ولو غاليت في اعزاز احد الرهبان ومحبته واتفق لك ان قلت له كلمة مرة تحسر كل ما لاطفته به وتصير عنده نحساً وبلاء

والخدم الخطيرة التي تكون خدمت بها الرهبانية لا تجد من الرهبان الاّ التذر القليل يعترف بها اما الباقيون فلا يذكرون لك الاّ ما فرط منك ضدهم ولو حباً بخيرهم واصلاح حالهم . واذا فاه البعض بالثناء عليك امتعض البعض الآخر واجمعوا على هجوك ولومك . اه

ولعمري ان شجون الرئيس واحزانه لعظيمة لانه يرى ان نياته الصالحة تعد شريعة واتباعه المتواصلة تلاقي المنافرة والمعاكسة . وهو حباً بالقيام بقرق الرياسة يهتم

غاية الاهتمام بنجاح مروتوسيه ولكنه بعد ان يكون بذل قصارى الجهد في النصيح الودي والحض الابوي على الاقلاع عن بعض الشوائب يرى الاكثرين مكابرين على عاداتهم السيئة فعندئذ كيف لا يتولاه الكدر والقنوط فهو نار مشتعلة ولا يرى حوله الا جليد اليوسة والاصرار على الخطاء . واذا سأل نفسه في كل مساء او في كل اسبوع او كل سنة ماذا عملت لخدم الان واي خير جنيته للرهبانية من حيث تقدم رهباني في معارج الفضيلة يسمع صوتاً من داخل ضميره يقول له انك لم تعمل الا قليلاً جداً او لم تعمل بعد شيئاً فحينئذ يبدأ يوم نفسه بقوله اني اخطأت في اخذي الحطة الثلانية وربما لو اتخذت غيرها لنجحت وهكذا يأخذ ضميره بان يقلق ويتسجس وربما بلغت به شجونه الى شيء من النقوط واليوسة ولا سيما اذا ما لحظ ان كثيرين من الذين كان يرجو فضلهم وفضيلتهم يبدون له التور والعلظة

اما بعد نزولك عن منصة الرياسة فتهياً ١١ هو امرٌ مما تقدم لان كثيرين يرومون ان يثأروا لنفوسهم منك عما احتملوه في مدة رياستك من الضغط وقمع الحرية فيبدأون في التنديد بكل اعمالك ويظهرون الفرح بنزولك عن منصة الرياسة والابتهاج بقيام خلفك عليها

فمثل هذه المعاملة الدالة على الخيانة ونكران الجميل كانت تظهر للقديس يونا ونثورا نفسه من امر ما يعرض للرئيس من الامتحانات . .

وموسى النبي امتاز بوداعته هتف الى الرب قائلاً : « ابتليت يارب عبدك . . حتى وضعت اثقال جميع هولاء الشعب علي . . . والان ان كنت فاعلا لي كذا وتلقي علي كل هذا الحمل فاقتلني ان حظيت في عينيك ولا ارى بليتي » (عد ١١)

وعلى ما اخبر المؤرخ بيتاركوس ان أشد قصاص كان يتمناه البابا ادرينانوس لمبغضيه انما هو ان يصيروا يوماً باباوات وهذا نفسه كان يشتهي سينكا الفيلسوف اي ان يصير اعداؤه ملوكاً وكان يزيد على هذا مبداء آخر وهو ان من اراد ان يتسلط على الناس يجدر به ألا يحفل ببغضهم ولا بامتهانهم له ولا بتنديدهم به اه

## الفصل الثاني

في الفوائد التي يجتنيها الرئيس من المقاومات

عددا

في ان المقاومات تكون للرئيس ذريعة بها يجتني نقاوة النية والتيقظ  
في كل اعماله

لقد كان سهلاً عند الله جلّت حكمته ان يبلغ الاسرائيليين امانيتهم بوصولهم  
الى ارض الميعاد في وقت قصير بعد خروجهم من مصر ومع ذلك لا نراه تعالى  
عمل كما تقدم بل انه تقدّست اسماءه سمح للشعوب الغريبة ان تتصدّى لهم في  
مسيرهم وقلما تقدموا خطوة بدون كفاح ونزال  
انك تقول مرّاتٍ لله تعالى: يارب انا احبك من كل قلبي ومن كل نفسي  
ومن كل قوتي وهو جلّت احكامه يريد ان يتمتعن صدق وعودك هذه وامانتك  
ولذلك يوليكَ سياسة رهبانٍ عتاة وغير مدربين على الحياة الروحية . ولعمري ان  
كنت تحبه تعالى محبة خالصة حارة فلا يشقّ عليك ان تتحمل هؤلاء الرهبان  
حباً بوجهه الكريم . نعم ان مثل هؤلاء الرهبان لا يستحقون الملائمة ولا  
المساهلة ولكن الرب يسوع يستحق اكثر من ذلك لانه مثلاً يحتملك ويساعدك  
بكل نوع على امر خلاصك يطلب منك ان تحتمل لاجل اسمه القدوس اخوته  
هؤلاء الصغار .

قال بالتازار الفارس ان الرئيس مجبر من قبل مهمته على ان يخدم مروثوسيه حباً  
بالله خدمة العبد لمولاه وليعلم انه بقدر ما يظهر له مروثوسوه من قلة الامتنان  
لخدماته ومن نكران الجميل او الخيانة فيكون بذلك حظه امام الله اوفر  
واعظم لان تلك الخدمة تكون اذ ذاك مجردة لجد الله .

وعليه فكل خدمة نقدمها لراهب منكر للجميل تكون فعل محبة محض

للغزة الالهية . وبعكس ذلك لو قدّم لك الرهبان كل ما عليهم من الاكرام والاجلال والمحبة فيخشى انك ترضى بذلك وتقبل كل اجرِكَ هنا . ولذلك يجدر بك ان تقابل الاساءة بالاحسان والامتهان بالاجلال والبغض بالمحبة .

قال غراسيانوس : « ان الحكيم يستفيد من عدوه اكثر مما يستفيد الجاهل من صديقه . ألا ترى ان الحسد يحملون الانسان على العمل واحتمال المشاق بنشاط اما الملاقون فيحملونه على الرخاء وحب البطالة . فان العاقل يتخذ الحسد كمرآة بها يرى نقائصه ويجهتد باصلاحها بمقدار ما يجهتد الحسود بان يتعقبه ويعدّ شوائبه . وقال في هذا المعنى ساوردرا : « فوأن كان التذمر بذاته شراً إلا انه للجماعة خير وفائدة . لان مثله مع الاقوياء والمتسلطين مثل الحكمة مع الفرس الجموح »

قال سينكا الفيلسوف : لا يصير احدٌ ذا فضيلة راهنة ما لم يكن له صديق امين وعدوٌ عظيم .

وقال بهذا المعنى القديس ايرونيوس قولاً يشير الى حقيقة روح الديانة المسيحية وهو اذا شئنا ان لا نجد عدونا ما يشكونا به فلنبتعد عن كل ما يمكنه ان يوقع في ذهنه الريبة بنا والمظنة وبعد ذلك يُسدّ فم الوقح ولا يقول ان في أشعة الشمس ظلاماً .

ومن المقرر بداهة ان في المقاومات للرئيس رادعاً له عن اتباع اهواء الطبيعة الفاسدة . ومما جاء عن القديس اغناطيوس قوله المشهور : « وقانا الله من تنديد العدو بنا تنديداً صادقاً » . اهـ

## عد ٢

في ان المقاومات تفتح للرئيس سبيلاً لاقتناء التواضع وبغض الوظائف

من المبادئ المقررة انه لا يصلح للرياسة الا من كان يخاف عبثها وكان مستعداً للغزلة عنها متى شاء الله . لانه كما قال القديس اغوستينوس كلما كانت الرياسة سامية كان اخوف منها اعظم . ألا ترى ان السقوط من مكان شاهق اعظم خطراً منه لو كان على الارض المنبسطة . ولذلك كما انه يجدر بمن كان



سائرًا في طريق عالية خطيرة ان يتزل الى اسفل كذلك يجدر بمن يتيه كبراً وعجباً في علو مقامه ان يطلب الدعة والاتضاع ولكن يا للعجب من اميال الطبيعة فان الذي لا يكون بالامس قبل الرياسة الا مرغماً بقبولها تراه اليوم مسروراً بها مستعذباً لها ومتمسكاً باهدابها أي تمسك وتراه ينفر ويشمئز من مجرد التكلم عن تركها او عن نهاية مدتها وهو بعد ان كان يعتقد عدم اهليته لها صار يدعي الان سرّاً وعلناً انه الاجدر بها والاليق لها من كل وجه .

اما العناية الربانية فتُرسل له حيناً بعد حين من المقاومات اعظمها ومن الشدايد أمرها يرغب في العزلة وينفر من اعباء الرياسة

ان من يحملق في الشمس يبهر من ساطع نورها فليرصفه احد وثنائه عن هذه الحلقة لاراحه وانقذه من فقد البصر . وهذا مثل كثيرين من الرؤساء الذين يعملون من شدة تفرسهم في مجد الرياسة فيفتقرون الى ان يأتهم ملك النار كما قال الرسول ويصفهم رادعاً ايأهم عن الانشغاف بحب الرفعة فيستفيقون لذواتهم ويرون ما في الرياسة من المشاق والاعطال .

ولعمري انها لسنة عامة ان يكون لكل انسان شيطان يصفعه . فهوذا السيد المسيح نفسه صُفِعَ بنوع ما من يهوذا العاش والفريسيين . وساداتنا الرسل صُفِعُوا اي صُفِعَ من المضطهدين والاخوة الكذبة . وداد من ابيشالوم ابنه ويوسف من اخوته واسحق من اسمعيل وهابيل من قاين ورئيس الملائكة ميخائيل من سطانايل . ولذاكم السبب هتف القديس بولس قائلاً : « ان الذين يريدون ان يحيوا بيسوع المسيح بالتقوى يجدر بهم ان يضطهدوا »

جاء عن القديس فرنسيس الاسيزي انه بينما كان يتفاوض مع احد الاخوة المسمى لاون في شأن التواضع قال : « لو قدّرنا ان استدعاني اخوتي الرهبان الى المجمع العام واظهروا لي كل اكرام واجلال واتلوا علي بالرجاء ان اقف بهم واعظاً وانهم بعد نهاية الوعظ قاموا يقولون بصوت واحد لا نريد ان تترأس علينا بعد كفى ما تحكمت بنا كل هذه المدة وانت رجل عار من المعارف ومن الفطنة والدربة . وبالتالي اوسعوني شتماً واهانة فانا مستعد ان احتمل كل ذلك بروح الصبر الجميل والتواضع والفرح كما لو كانوا يثنون علي ويقرظونني لاني ان لم احتمل

كذلك لا اكون راهباً صالحاً . وأردف هذا بقوله : « ان الرياسة مملوءة اخطاراً .  
على امر الخلاص من جهة المجد الباطل الذي كثيراً ما يفقدنا ثواب اتعابنا او من  
جهة الصعوبة في سياسة الناس واكثرهم صواب المراس في الانتقاد . اما حالة  
المروثوس فكلها دواعٍ للاجر والثواب ومن ثم فاذا رفعوا عني الرياسة انجو من  
المسؤولية تجاه خلاص نفوس عديدة . اما لو بقيت حاملاً اثقالها فانا على شفير  
هاوية الهلاك . وكيف لا أؤثر ما يكون لي مجلبة النعم على ما هو معثرة ومزلقة  
للهلك . اه

عد ٣

في ان في المضادات سيلاً للرئيس الى احتمال القريب والصفح عن الالهانات  
لما خرج شمعى للقاء داود وكان يرميه بالحجارة والشتائم قام بعض غلمان الملك  
يقولون له دعنا نقتل هذا الكلب الذي يتقح هكذا ويلعن سيدي الملك . اما  
داود فقال لهم : « دعوه يلعن لان الرب قال له . لعل الرب ينظر الى مذاتى  
ويجزيني خيراً عن لعن هذا ايّاي اليوم » ( ٢ ملو ١٦ ) فلماذا لا تعتقد ايها الرئيس  
ان شمعك هو ذاك الراهب فظ الاخلاق الذي لا يألو جهداً في مقاومتك  
واهانتك ؟ او لماذا لا تقول مع داود لعل الله سمح بهذا لزيادة اجري وثوابي  
ومجدي في يوم القضاء ؟ قال القديس ليكوري : « ان النفس تستحق ثواباً في  
احتمالها بتواضع فعل اهانة اكثر مما تستحق في صيام عشرة ايام على الحبز والماء »  
وقال الانبا اقيلا اننا لو قلنا « ليكن اسم الرب مباركاً » في وقت الشدة  
لاسدينا له تعالى شكراً يفوق شكرنا له فيما لو رتلنا الف مرة التسبحة المعدة  
لشكره تعالى في وقت فيضان مواهبه .

قال القديس برزدوس : « ان اول خطوة بخطوها الانسان في طريق الكمال  
هي ان لا يترفع فوق اقرانه . والثانية ان يكون طائعاً والثالثة ان يحتمل  
الاهانات بصبر » وقال في هذا المعنى سينكا الفيلسوف : « ان عمل المعروف مع  
اهل الصلاح لامر شهى وعذب لكن عمل المعروف مع منكري الجميل امر  
عسر وشاق . اما لو رأى الانسان انه مُبغض ومهان من آخرو واصل عمل المعروف

منه لاظهر بذلك انه من اصل ملكي او مشترك بالطبع الالهي » ولعمري ان من خصائص ابناء الله ان يبادلوا الشر بالخير . « لان من عمل المعروف مع اهله لا يكون افضل من وثني او عشار » ( متى ١٦ )

وبعدُ فان احتمال القريب والصفح عن عيوبه ومبادلته الشر بالخير انما ذلك كله من لوازم الحياة الاشتراكية وهو اشدّ لزوماً لحياة من يتقلدون سياسة الرهبان ولعمري ما الحياة المشتركة غير صبر واحتمال متبادل لان ضعف الطبيعة والشوائب المنغوسة فيها لا تبارحها ابداً . ولذلك نرى شيئاً عظيماً من هذه الشوائب في نفس الرهبان الذين بلغوا من الفضائل النادرة مبلغاً كبيراً ونرى ايضاً ان معاشرة مثل هؤلاء الافاضل لا بدّ لها من فضيلة الاحتمال والقناعة . ومن ألبى ان يحتمل نقائص قريبه لا يحقّ له ان ينتظر منه احتمال نقائصه الخاصة وبهذا المعنى حظ الرئيس اسعد من حظ كل راهب لانه متحتم عليه وحده ان يتحمل نقائص جميع الاخوة . وعنه يقال ما قيل عن القديس بولس : « انا أريه كيف ينبغي له ان يحتمل لاجل اسمي ( اعمال ١١ ) فالرئيس اذا على ما قاله بالتأزر القارس هو اقلّ الناس حظاً في رافة الناس به وفي شفقتهم عليه كيف لا وقلبه دائماً مشحناً وقيداً وواجاعه شديدة مرّة »

وفي رأي القديس فرنسيس سالس ان العلامة الوحيدة للفضيلة الراهنة انما هي احتمال التجارب فقد قال هذا القديس ما نصه : « ان النار الخفيفة تطفيها الريح اما النار القويّة فتزيدها الريح اضطراباً وكما ان مياه الطوفان اصعدت السفينة نحو السماء كذلك مياه التجارب تصعد النفس الى الله »

وكان من عادته قدّس الله نفسه اذا قيل في حضرته عن احد انه من اهل الفضيلة ان يسأل هل خدم هذا منصب الرياسة وهل كان له اخصام ؟ فكأنه يشير بذلك الى ان الفضيلة الراهنة تقتضي مضيّ الرياسة . واذا قيل له ان فلاناً من اخصامك يقدح بك بقوله عنك كذا وكذا كان يقول : « انه اذا لم يقل عني غير هذا فهو يؤحمني او انه يجهل كل نقائصي ولومه هذا لا اراه صادراً عن خبث وحسد بل بالحري عن حبر وشفقة لانه بذلك لا يلومني كل اللوم الذي استحقه . ولعمري إما اني مستوجب هذا اللوم او لا فان كنت مستوجباً له فيجدر بي ان

اصلح ذاتي والآن فأكون قد استوجبت في مرة غير هذه ويجدر بي اليوم ان اكفر عن ذنبي في الامس . وعلى تقدير ان ما يُقال عني لا يصدق عليّ لا في الحال ولا في الماضي فيكون مع ذلك تنبيهاً لي لئلا اسقط في المستقبل . وبعد فما هذا غير صليب قول لا فعل او هو صليب خفيف مكون من حركات هوائية او طنين ذباب فكيف لا احتمله بصبر وفرح ؟

والقدّيس اغوستينوس كان على هذه الحاسات لانه كان يقول : « ان خصومي ولو على غير معرفة يعينوني على التقرب من الله لانهم بمعاندتهم واهانتهم لي يحملوني على ان اطلب لهم المغفرة وهذا ما يحمله تعالى على ان يمنحني مغفرة ذنوبي وانا في اشد الفاقة الى ذلك . »

### الفصل الثالث

في كيف يجب على الرئيس ان يسير في وقت التجارب

عدد ١

اذا اتت التجارب من قبل اهل العالم ينبغي للرئيس ان يتغزى ويذكر ان هذا دأب العالم مع ذوي الغيرة الرسولية وليطمئن ببسالة لان الرب معه

يقول العلماء ان الارض ما كانت لتثبت لولا ما فيها من قوة التجاذب المختلفة . وكذلك سفر السفن في البحار لا يكون بدون حركة الامواج مداً وجزراً ومثل ذلك صحة الانسان فهي لا تقوم الا بدورة الدم ومن ثم يظهر ان قوام الجمعيات المشتركة المعيشة انما تكون في دوام الحرب الروحية التي يثيرها الاضطهاد من وقت الى آخر

الا ترى كيف تنبأ السيد المسيح على كنيسته اذ قال : « لا بد من الشكوك » او هل وجدت الكنيسة في وقت من الاوقات هادئة من حرب



الاضطهاد وشكوكه ؟ وما هذه الحرب الأ بين الضلال والحق او بين الشهوات المنحرفة والفضيلة او بين بني الشيطان وابناء الله ولعمري ما هذه الحرب الا التي اثارها في السماء لوسيفورس على القديس ميخائيل وهي التي أشعلت نيرانها في وسط الفرنوس بين قايين وهابيل وهي التي بلغت الى قتل ابن الله على جبل الجلجلة ولا تنظني نيرانها الا عندما يقتل الدجال آخر واحد من الشهداء القديسين .  
وعليه فما حظ من محارب الضلال والرذيلة الا حظ السيد المسيح نفسه وحظ سادتنا الرسل او حظ الكنيسة المقدسة باجمعها

قال القديس فرنسيس سالس : « ان سياسة الانفس هي صناعة الصناعات فمن قام باعبائها قامت عليه المحن والشدائد . لانه اذا كان قيل عن السيد المسيح انه علامة الخلف والاضطهاد فماذا يكون من امر جبلته ؟ واذا كان علت احكامه لم يخلص الانفس الا باحتمال امر الشدائد والعذاب فأني لتلاميذه ان يتوصلوا الى هذا العمل الشريف بدون احتمال المشاق ؟ »

وللقديس غريغوريوس كلامٌ يملأ النفس التقية عزاءً وتسليّةً قال : « كما ان الاشراق ليس لهم حظ بشيء في السماء كذلك الصالحون لاحظ لهم شيء على الارض »

وقال احد الابرار الروحانيين : « انه كلما كان العمل مجرداً لمجد الله كان عسراً ولا ينجح في انجازه الا من كان مستثيراً بنور سماوي لان كل ما كان لله او من الله كان مرّاً في بداءته وعذباً في نهايته بعكس اعمال الشيطان التي تكون عادةً عذبةً في البداءة ومرةً في النهاية . وعليه فكل عمل لا يصادف مقاومة ولا صعوبة لا يمكننا ان نشق به كأنه من الله . وبالعكس اذا رأيت العالم يقاومك ويضطهدك لاجل عمل ما فتق ان ارادة الله فيه وان نجاحه يكون على قدر العناء والشقاء . »

جاء عن القديس اغناطيوس انه كان ذات يوم كنيئاً كاسف البال ولما سئل عن سبب حزنه قال ان الرهبانية في الاقليم القلائي فاترة بسلام دائم وراحة كاملة وان ذلك ليحزنني لانه علامة عدم الرضا من الرب يسوع الذي لا يريد ان يشركنا بالآمه . الا انه في اليوم الثاني ظهر باسماً فرحاً ولما سئل عن السبب قال :

« ان الرب يسوع ظهر لي في نهاية تأملي وقال لي ابشر يا اغناطيوس ان صلواتك الحارة قبلت ورهبانيتك ما دامت موجودة لا تنفك عن مشاركتي في احتمال الشدائد والاضطهاد

وهكذا كان القديسون يعتبرون الشدائد والاضطهاد كعلامة لرضا الله عنهم ومسيرته بهم . ولذلك لم نرهم قط قنطوا او جبنوا في مقاومة اشد التجارب بل كانوا دائماً يزدادون شجاعة وبسالة

وكان القديس اغناطيوس يقول ان الملائكة لا يقلقون مضطربين ابداً كيفما كان حال نجاحهم بمخدمتهم للبشر بل هم راتعون بالسلام على الدوام ولا يألون جهداً بالبحث عن طرق توافقهم على خلاص الناس وهكذا يجب علينا نحن ان نصنع . لاننا كما قال القديس بوناونتورا لا ينبغي ان نتأخر عن الجد في القيام بواجبات مهمتنا ولو لم نصادف في اعمالنا الا المقاومات والمعاسفات . وقال الاب سان يورس ان العناية الربانية نفسها كثيراً ما لا تصادف في اعمالها مع البشر الا التشكي والتذمر ومع ذلك نرى الله جلّ جلاله يواصل اعمال عنايته على مقتضى الشرائع التي سنّها منذ الازل . « فلماذا لا نقتدي بمثاله . والقديس فرنسيس سالس كان يقول اعمل عملك كما ينبغي ودع الناس يقولون ما يبدو لهم » ولعمري ما مثل من يهاب هذه المقاومات الا مثل من يمتنع عن السفر صيفاً خوفاً من لسع الذباب »

قال دوم برتولي : « اني اروم ان ارضي الله والناس ولكن لو اتفق اني لا استطيع رضا الناس بدون اغضاب الله فاني ابذل النفس والنفيس في سبيل رضا الله وليقل الناس في ما شاءوا . وعليه فاذا رأيت المنددين يبالغون في تشكياتهم لا تعبأ بهم فانهم يلاقون ما يستحقون من العقاب في الهوان وعدم الاحتفاء بمقالاتهم . واما انت فتجد تعزيتك في شهادة ضميرك وفخرك في مماثلتك معلمك الالهي الموسع الاماً وعاراً والمعلم ساودرا لما كان يريد ان يبين للملك تلميذه اهمية عدم اضطراب المأوك وسكينة النفس فيهم في حال الشدة والامتحان قال . « ان وجه الملك كالمرآة للشعب به ينظرون فيه دواعي القشل ودواعي البسالة وما مثل الشعب بذلك الا مثل المسافرين بجرأ الذين في حال اضطراب الامواج

ينظرون الى وجه الملاح وياخذون من اماراته دلائل الخطر او الامان فهكذا جميع اهل المملكة يوجهون الحاظهم الى الملك ومثلما يروونه على ثبات جأش او على خوف يمتثلون شجاعة او جبانة . وقال ايضاً : « ان لم يستدرك الملك خوف الشعب ويبدده من قلوبهم يستولي القشل على اهل المشورة فيضحي الكل آمريين ولا يبقى من يخضع للاوامر

ولسنا نريد بما تقدم ان نبعث الروساء الى القحة بداعي البسالة والغيرة لان ظروفًا كثيرة تقضي على الرئيس بان يعدل عن عزمه او أن يؤجله الى زمان . فان سادتنا الرسل لما طردوا من اورشليم توجهوا الى اصقاع الوثنيين . والسيد المسيح نفسه هرب من وجه هيرودس وفرّ مرات عديدة من امام اليهود . وهكذا فعل القديسون اجمالاً كل مرة امكنهم ذلك من دون الحاق ضرر بحق واجباتهم او بحق الايمان

واذا رأى الرئيس انه في ريبة من عدم امكانه انجاز العمل من جوار كثرة المقاومين او قوتهم ونفوذ كلمتهم عليه اذ ذاك ان لا يتقدم الى العمل الا بهدوء وسكون اثلا يثير الحواطر عليه ومن ثم فليظهر للناس كأنه يتمتع الامر ولا يريد ان يباشر العمل في الحال

فينتج من ثم ان محبة الصليب لا تمنع روح القطنة ولا الاتكال عليه تعالى يحرم اتخاذ الوسائط التي يرشد اليها العقل الصحيح والراي السديد

عد ٢

في انه اذا شعر الرئيس بان المقاومات والمنازعات تاتي من قبل رهبانيات غير رهبانيته يجب ان يضاعف لهم افعال الملاطفة والاعتبار ويحذر كل كلام ينجم عنه حسد او بغض

قال احد الرهبان الافاضل الاب بيره « اننا نقر معترفين ان كثيرين من الرهبان يبتعدون عن العالم بالجسم اما بالروح فلا يبتعدون عن شوائبه . فانهم عوضاً عن ان يشربوا روح المحبة من قوانينهم الخاصة يستخدمون القانون للتباعد والتباغض . فهم لا يرون في الرهبان الذين ينتمون الى غير رهبانيتهم الا خصوماً

ومنازعين ومن ثم يثقل عليهم ان تُعد لهم او تنسب اليهم اعمال خطيرة او غيرة او فضيلة . فيغضون عن الشر الذي تجب مقاومته ويقاومون الخير الذي يعمله هولاء الرهبان وما ذلك الا لانهم ليسوا من رهبانيتهم . فكانهم ساحمهم الله يرون امتهاناً لرهبانيتهم وقوانينهم الخاصة في ان يعمل غير رهبانهم شيئاً من الخير والفضيلة . ولذلك يتجندون للقدح بهم وخفض شأنهم في كل فرصة . وان لم يتمكنوا من القدح في اعمالهم يقدحون في نياتهم ومقاصد بل ان روح البغضة يسوغ لهم القدح في شخصيتهم وفي رهبانيتهم وفي معيشتهم ومسراهم وسائر اعمالهم . الى حد انهم يحزنون ويكتبون لو سمعوا بنجاحهم ويفرحون لو علموا بمصائبهم وبالنتيجة انهم انصار لخصومهم ومحبون لاعدائهم ولو كانوا من الارائقة والمشاقين . وفي كل هذه الاعمال العدوانية الشيطانية يرون في انفسهم كأنهم يحامون عن الحق ويحمون ذماره »

فاذا وجد الرئيس بين رهبانه من كانت هذه الحال حاله ينبغي له ان يسهر عليه سهره على عدو الدوان يحظر عليه التجول بل يجسه في غرفته لو امكن . ومن يكون عمل عملاً او قال شيئاً يهين ويغضب بعض الرهبان غير المنتمين الى رهبانيتهم يوجب عليه رئيسه ان يسترضيهم بطلب المغفرة والصفح عما اقترفه في حقهم

وقد كتب في هذا المعنى القديس فرنسيس كسفاريوس الى احد اخوانه الاب غوصي ما نصه : « اني اوصيك وضية خاصة بان تظهر المحبة والبشاشة والرقّة الى اخواننا رهبان القديس فرنسيس والقديس عبد الاحد . وان تنتهز كل فرصة ممكنة لتؤكد لهم اعتبارك وخلصك الحقيقي التام . ولذلك ابتعد بكل جهدك عن كل ما من شأنه ان يزرع الشقاق والمباعدة . وابذل قصارى الجهد في ان يُقال عن رهباننا انهم ممتازون بروح الدعة والتواضع الحقيقي المؤسس على معرفتنا حقارتنا وضعفنا لان لنا بذلك اقوى مقاتل لروح الحسد والبغضاء والظنون الباطلة . واريد بنوع خاص ان لا تخفي هذه الحاسات في داخل قلبك بل ان تبديها بالخصوص للاباء المتأزين بالفضيلة والمثلة فاجتهد بان ترورهم زيارات حية وانتهز الفرصة لتقدم لهم كل اعتبار واجلال . وبهذا تبعد عن افكار اهل



العالم ما يتوهمونه بنا من روح المغايرة والحمد والبغضاء (رسالة ٧٦)  
وقد اخبر الاخ لاون رفيق القديس فرنسيس الاسيزي ومرشده ان معلمي  
القديس فرنسيس والقديس عبد الاحد كانا في كل فرصة يتخذان الوسائط الفعالة  
لتأسيس المحبة والسلامة بين رهبانها فكان كل منهما يتمدح من رهبانية اخيه  
ويستحلف رهبانه الخصوصيين بان يبالغوا في المحبة والاكرام لآخوانهم . وقال  
ان القديس عبد الاحد طلب بكل الحاح من القديس فرنسيس ان يعطيه زناره  
الذي كان مجدولاً من جبل بعقد كثيفة . ولما حصل عليه شد به وسطه من  
تحت الثياب وكان يعتبره كرباط للمحبة والاعتبار مع القديس فرنسيس  
هذا وان هومبرتوس رئيس الاخوة الواعظين العام ويوحنا بارم رئيس الاخوة  
الصغار العام كتبوا الى رهبانها في سنة ١٢٥٦ رسالة عامة قالوا فيها مانصه « انظروا  
ايها الاخوة الاحباء باي خلوص ينبغي ان يحب بعضكم بعضاً انتم الذين قد  
ولدتكم الكنيسة المقدسة بوقت واحد وجعلتكم القوانين المتشابهة اخوة  
حقيقين واقامتكم العناية الربانية في مهمة واحدة وهي تخلص الانفس وكم قد  
احب ابوانا القديسان فرنسيس وعبد الاحد والرهبان الاولون بعضهم بعضاً .  
وكيف كانوا يتبادلون عواطف المودة الخالصة . فهم بالحقيقة كانوا ملائكة السماء  
واحتملوا بعضهم بعضاً كما احتملنا السيد المسيح . فكان الواحد يفرح لنجاح  
الآخر وكانا يتساعدان في كل ما من شأنه ان يبعد عن الرهبانيتين الشقاق  
والخلاف . اه

وقد رسمت قوانين اكثر الرهبانيات اجابة لرغائب الاحبار الرومانيين ان  
يسكن الروساء العامون في عاصمة الكشككة رومه وذلك لاسباب كثيرة منها  
مراعاة المرووثوسين من جور بعض الروساء وسهولة المعاطاة مع المجمع المقدس  
وانتشار الرهبان في العالم الكاثوليكي باسره . والمحافظة على التعاليم الصحيحة .  
وبنوع اخر لاجل المحافظة على روح المحبة والسلام ونشره بين الرهبان اجمعين  
ايما وجدوا في العالم كله لان سهولة المواصلات والمودة بين الالباء تؤيد المودة  
والمواصلات بين البنين

في انه اذا كانت المقاومات ترد علينا من قبل كهنة الرعايا يجب ان يبرهن  
لهم الرؤساء بمثال رهبانهم انهم انما اقيموا خارج الاديار لمساعدتهم  
في خدمة النفوس لا غير

في اول مجمع عام عقده رهبان الاخوة الصغار اخبر بعض الرهبان ان كهنة  
الرعايا كثيراً ما يمنعونهم لا عن اخذ الصدقة فقط بل عن اللقاء المواعظ ايضاً وان  
كل ما يبذلونه من الخدم والمعرف بوجه هؤلاء الكهنة لم يصادف قبولاً . فقام اذ  
ذاك القديس فرنسيس وقال : ايها الاخوة انما نحن مرسلون لمساعدة الكهنة في  
خدمة رعاياهم ولسد الخلل الذي يحدث منهم في بعض الاحيان . والاجر معد علي  
قدر التعب . وتعلمون ان عملنا يكون مقبولاً لديه تعالى بمقدار ما يكون مفيداً  
لخلاص الانفس وخلص الانفس لا يكون بابتعادنا عن الكهنة بل بزيادة تقربنا  
منهم فاذا هم قاومونا فالله الذي قال « لي النعمة وانا اجازي » هو يقتص منهم  
بقدر استحقاقهم . ولذلك اوصيكم اخوتي بان تخضعوا للرؤساء الكنسين  
وتحترموا اوامرهم وارادتهم لتنجوا من طعن سهام الحسد فحافظوا على السلامة  
واربجوا الشعب ورؤساءه وهذا افضل واحب علي قلب يسوع مما لو رجم  
الشعب وحده وتركتم للرؤساء سبب شك . ومن ثم فالاجدر بكم ان تستروا  
نقائص خدمة الرعايا وتعوضوا عنها باتعابكم الخاصة مع محافظتكم علي روح  
التواضع » (كتاب حياته )

وقد جاء في سيرة القديس اغناطيوس انه كان يطلب من الالباء المقلدين عمل  
الرسالة ان يبذلوا قصارى الجهد بان تكون غيرتهم ممتجة بملح القطنة بنوع انهم  
لا يدعون لاحد سيئاً معقولاً للشكوى منهم . وكان قدس الله روحه يقول ان  
عندنا نوعين من العملة بكرم الرب . فالنوع الاول يبني ولا يهدم وهؤلاء هم  
الذين يمزجون غيرتهم بزيت الرقة ويعتقدون انه لا ينبغي فقط العمل بكل ما  
كان ممكناً بل بكل ما كان مفيداً وغير محرم . ولذلك اذا رأوا في عملهم شيئاً

للشك او لشبه الشك فانهم يحجمون عن العمل ويعتاضون بفعل الروداعة والتواضع عن اعمال الغيرة التي يكون قد منعها ذنب الاخرين . اما النوع الثاني فانه يهدم اكثر مما يبني . وهؤلاء هم الذين لا يلاحظون في اعمالهم الرسولية الا روح الغيرة والحراة غير مبالين بما يمكن حدوثه من الشر لو اصرّوا على غيرتهم . ولذلك لا يربحون نفساً حتى يخسروا عشرة لانهم متى راموا شيئاً طلبوا انجازه ولو كان فيه خراب العالم . وهكذا يُبعدون عن الرهبانية اشخاصاً كانوا لها دعامة قوية وسنداً مكيناً في تسهيل الطرق لربح الانفس . فمثل هؤلاء لما كان القديس اغناطيوس لا يقدر ان يرد جموح غيرتهم المتجاوزة لحدود القطنة كان يبعدهم عن عمل الرسالة ويأمر برجوعهم الى ما بين اخوتهم الرهبان في الاديار »

واخيراً بكل أسف اقول انه لمن النادر ان يوجد في مكان واحد كهنة علمانيون خدمة رعايا ومرسلون قانونيون ولا يوجد بينهم شيء من الخلاف والتزاع لان عدو الخير لا يألو جهداً بان يوحى للفريقين روح الحسد والمغايرة ثم روح الشقاق والبغضاء . ولعمري ان العصمة من الخطاء ليست للبشر كيفما كانوا . فالقديس بولس كان يشكو من بعض الكهنة الذين كانوا يزاحمون ويوعجون في اعمال الرسالة . بل ان الرسل كلهم قبل حلول الروح القدس عليهم كان فيهم شيء من روح المغايرة والحسد

والقديس بوناونتورا في محاماته عن رهبانه الذين شكاهم البعض بانهم يمنعون او يأخذون الاحسان الذي كان يعطيه الشعب للفقراء قال : « لو شئنا ان لا نوّسس رسالة الا حيث يرضى خدمة الرعايا الاكليروس العلماني لظننت باننا لا نجد محلاً نضع فيه رجلنا . لان خدمة الرعايا واوباش الناس الذين يهيجونهم علينا يطردوننا من كل مكان » ( كتاب المحاماة )

ولعمري من اين لنا روح التجرد والترفع عن عوامل الطبيعة لنقول مع موسى النبي : « من يعطيني ان ارى الشعب كله يتنبأ ويتكلم بوحى روح الرب » ومع الرسول الذي قال : « كيفما بُشر باسم الرب يسوع فانا افرح واتهلل بشرط ان يُبشر به » ولما كان هذا الترفع والتجرد نادرين كان اجتهاد الاكثرين محصوراً في تحصيل مصالح خاصة . وهذا ما يدفع الاكثرين من رجال الاكليروس الى المباعدة

والمخاصمة فيرى من ثم كل منهم شريكه في اتعاب الرسالة ندأ يزاحمه او عدوًا يعتدي على حقوقه . ولعمري ان ذرة من روح التواضع والغيرة الرسولية والفضيلة الراهنة كانت تُكفي لازالة هذا الشر ولكن اين توجد هذه الذرة الصغيرة وهنا نذكر بعض الحجج والبراهين التي يمكن الرؤساء ان يقدموها لكهنة الرعايا فيما لو نشأ بعض النزاع بينهم وبين رهبانهم المشتغلين بأعمال الرسالة في القرى والمدن

١ ان الخبر الاعظم نفسه قد اثبت هذه الرهبانية بموجب قوانينها والاساقفة هم الذين يدعونهم الى ابرشياتهم كفيلة نشيطين تمس الحاجة في بعض الاوقات الى معاونتهم . ومن ثم فلا يُظن بهم انهم زيادة فضولية او دخلاء على كهنة الرعايا لازعاجهم او للتشغيل عليهم في اعمالهم الرعائية كلا ولكن رسالتهم قانونية مشبهة مثل خدمة كهنة الرعايا

٢ في المدن الجامعة التي تحوى مثلاً نحو مئة الف نسمة ولا يوجد فيها اكثر من عشر خورنيات وهي تفتقر الى ما ينيف على عشرين خورنية فالمرساون يسدون هذا الخلل بواسطة كهنتهم وكنائسهم ومن البين لعمري ان كلما كثرا الحصاد لزمّت كثرة الحصادين وغيرتهم على العمل . وان الذي يقوي العسكر ويشدد نظامه انما هو عدد القوّاد النشيطين العارفين بفنون الحرب

٣ ان المرسلين القانونيين لما كانوا لا يشتغلون بتوزيع سرّي العباد والزواج كان لهم من الوقت اكثر من غيرهم لاستماع الاعتراف والاستعداد للارشاد والمواظ وكذلك بما انهم ليس لهم مداخلعة مع ابناء الرعية بامور سياستها لا سبيل لهم الى المنازعة والمباعدة معهم وما عدا ذلك فان الاساقفة كثيراً ما يفوضون اليهم سلطاناً اوسع مما يفوضون الى سواهم ومن ثم يكونون اقدر من غيرهم على خدمة الانفس وارشادها الى طرق الخلاص

٤ ان الكمال المسيحي الذي يلتزمه الرهبان القانونيون بموجب قوانينهم ورسومهم يجعلهم ان يتعمقوا اكثر من سواهم في درس الحياة الروحية ومن ثم تجد الانفس التقية من علمانيين واكليريكيين تتوارد اليهم بكامل الثقة للارشاد وقبول الاسرار



هـ حيثما وجد المرسلون تجد اعمال المحبة والغيرة تنمو غمواً محسوساً وكذلك الاخويات الروحية والاعمال التقوية والرياضات العمومية تزداد تقدماً ونجاحاً ونرى شيئاً من الغيرة المقدسة بين كنائس اخورنية وكنائس المرسلين في حسن استعمال الرتب والاحتفالات الكنسية . ومن ثم يكثر عدد المتقدمين الى الاسرار المقدسة وينجو الكثيرون من توانيهم في الاعمال الروحية . وفي كل ذلك اعمال ظاهرة محسوسة لا ينكرها الحسود مهما اشتد حسده وبغضه

عد ٤

في رد اعتراضات كهنة الرعايا على القانونيين المقيمين بينهم

الاعتراض الاول : ان القانونيين ياخذون قسماً كبيراً من الاحسان الذي تان معداً للمؤمنين الفقراء

ج . ان هذا غير صحيح لان الاحسان للمؤمنين يزداد بقدر ازدياد العبادة والتقوى ولما كانت هذه تزداد بوجود المرسلين وغيبتهم الرسولية كان الاحسان للمؤمنين يزداد كذلك

قال القديس بوناونتورا : ليس لاحد ان يمنع المؤمنين عن ان يصنعوا الصدقة مع من يريدون وبالاخص مع فلة الكنيسة الذين بصلواتهم يضاعفون الخير على المحسنين ومن تراه يضل او يخطيء مثل هؤلاء الذين يتبعون حركات التقوى الكامنة في صدورهم . أو هل لنا ان نشير عليهم بخلاف ذلك لو طلبوا مشورتنا ؟

ولنؤين شيئاً مما قاله الرسول بهذا الصدد : (( أليس لنا حق بان نأكل ونشرب . . . ومن يقيم حرباً على نفقته . . . وهل عظيم ان نطلب منكم موثونة الجسد نحن الذين نعطيكم قوة الروح . . . أو ليس لمن يخدم المذبح ان يعيش من المذبح اه

الاعتراض الثاني : ان وجود المرسلين في محل يجعل كنائس الرعايا غير أهلة بالمؤمنين فهذا غلط ظاهر وضلال مبين لان غيرة المرسلين تزيد التقوى في نفوس المؤمنين وزيادة التقوى هي التي تجعل الكنائس أهلة

وهل من ضرر على كنائس الرعايا التي قلما تكفي لايفاء المؤمنين واجباتهم ان توجد كنائس للمرسلين تساعدهم على القيام باخص فروضهم الدينية ؟ وعلى فرض ان المؤمنين يؤمنون بكنائس المرسلين اكثر من كنائسهم الرعائية فهل من ضرر بذلك !

ورب معارض يقول « ان في ذلك قلة مراعاة لوصية الكنيسة » فنجيب ان الكنيسة مع مزيد احترامها لكنائس الرعايا تأمر او تسمح باقامة كنائس للمرسلين ولا تحظر على المؤمنين شيئاً من قيام فروضهم الدينية فيها الا المناولة الفصحية وكفى بذلك دليلاً على ان الكنيسة تعتقد ان وجود كنائس للمرسلين وسيلة لنمو العبادة والتقوى والمنافسة في اعمال الغيرة الرسولية . ومن لا يرى ان في حجز حرية المؤمنين عن ايفاء واجباتهم الدينية واستعمال الاسرار حيثما شاءوا تضيقاً لطريق الخلاص وقد بذل السيد المسيح دمه ليجعل نيره طياً وحمله خفيفاً . ورب قائل ايضاً : « ان في التردد الى كنائس الرعايا بنياناً للقريب » فاجيب لو قدرنا ان مزيد التردد على كنائس المرسلين يقلل من اعتبار كنائس الرعايا فبنيان القريب يبقى هو هو ومجد الله كذلك ولنا حينئذ ان نقول لو قام اكليروس الكنائس الرعائية بواجباتهم حق القيام لانتاب المؤمنون كنائس رعاياهم باشد رغبة ولازداد مجد الله اضعافاً وتمتع المؤمنون بحرية ضباطهم بان يقضوا واجباتهم الدينية حيثما شاءوا . واذا قال اخر : « ان هذا يمنع الراعي عن رعاية قطيعه » فنجيب ان الراعي الاول الشرعي انما هو الحبر الاعظم والثاني هو الاسقف والحال ان قداسة الحبر الروماني هو الذي يثبت الجمعيات القانونية والاسقف يدعوهم الى رعيته ومن ثم فالؤمن الذي يتم فرضه في كنيسة القانونيين يكون قد قام بواجب ضميره متبعاً ارادة رؤسائه الشرعيين وليس لكهنة الرعايا ان يتعلوا بسقوط سلطانهم لان لهم وحدهم ان يوزعوا الاسرار المختصة باخوارنة مثل سر العمد والزواج والمسحة وغير ذلك مما يختص بوظيفة البطرارشيلى

وبالنتيجة نقول : ١ سعيده هي تلك المدينة او القرية التي يحل فيها

المرسلون لان اسباب الخلاص تتوفر فيها من كل وجه

٢ ياما اجدر كهنة الرعايا بان يسروا ويفرحوا بحلول المرسلين عندهم لان لهم

فيهم اقوى مساعد على القيام بمحقوق خدمتهم  
٣ ان كل من يد اليهم يد المساعدة يضحى شريكاً باعمال غيرتهم الرسولية  
ومن قاومهم قاوم مجد الله

ولذا كم السبب نرى الكرسي الرسولي يأمر بتشديد الاديار في اكثر المدن العامرة  
ويغنيها بالانعامات الروحية . والسادة الاساقفة مع علمهم ببعض الخسارة الزمنية  
على خوارنتهم يدعون الرسلين الى ابرشياتهم ويعضدونهم بملء سلطانهم وهكذا  
الخوارنة الفيورون يقبلونهم بكل فرح لعلمهم بالخير الذي يكون لابنائهم رعيته  
على يد هؤلاء ملائكة السلام . وهكذا كان ظهورهم دائماً في اعصر الدين  
والتقوى وتبديد شملهم في ازمة الكفر والضلال . قال الرب له المجد للقديسة  
تريزيا : «ولو كانت الرهبانيات لم تبقى على حوارتها الاولى فانها مع ذلك تقدم لي  
خدمات اثيرة ومجداً عظيماً . ولولا الرهبان لكان العالم بأسره حالاً» (اعمال القديسة  
تريزيا جلد ١ وف ٤٥٤ من طبعة ١٨٥٢)

#### عدد ٥

في انه يجب على الرئيس ان لا ييأس او يترك شئون الرئاسة اذا

قاومه بعض الرهبان الغير الكاملين او صعب المراس لانه

على مثل هؤلاء اقيم رئيساً

قال احد المتخرجين في الحياة الرهبانية الاب بينه اليسوعي : « ان تمثالاً من  
رخام يتأسس على الف مسيحي لو كان كل منهم من تلتاء نفسه يقوم بواجباته حق  
القيام ويسهل على انسان واحد ان يتأسس الف مليون من الملائكة . فاعلم رعاك  
الله انك اقميت رئيساً ومديراً وراعياً وطبيباً روحياً لا على الرهبان الفضلاء  
الكاملين بل بالخصوص على الرهبان الذين لم يبلغوا بعد ذروة الكمال ولا هذبوا  
اخلاقهم وعاداتهم تمام التهذيب فمثل هؤلاء استودعتك العناية الربانية لترشدهم  
وتبلغهم محبة الكمال

وكتب القديس فرنسيس دي سال لاحدى الرئيسات قال : « انك اقميت

رئيسة على الضعفا لا على الاقوياء . في الفضيلة . نعم انك اخذت على نفسك السور على الجميع ولكن بنوع اخص على الضعفاء . فتعلمي ان تحتملي اثقال مثل هؤلاء . الاخوات اللواتي لم يبلغن بعد الكمال الرهباني . ومهما رأيت من نقائصهن لا تظهرين العجب والدهشة بل كوني معهن رقيقة لتساعديهن على الاستفادة من شوائبهن واعلمي ان من كانت متصفة بأشد الاميال المنحرفة تبلغ غالباً مع العناية والاجتهاد اسمى الكمال اه

ان العبارة الاخيرة جديرة بكل اعتبار وانتباه وعليه فليس الرئيس الفاضل من ترأس في القردوس الارضي سائراً في طريق مفروشة بالزهور ولا ياكل الا السمن والعسل بل من كان مسمرأ ابداً على الصليب يشرب الخل والمر وهو مهم من جلد المقارع . والحال هل للرهبان الفضلاء الصالحين ان يعلقوا رئيسهم على الصايب ويوسعوه جلداً واهانة كلاً بل ان هذا عمل الرهبان الفاسدي الاخلاق . ولعمري ان الرهبان الفضلاء يبنون الرئيس بمثلهم ويعزونه بفضائلهم اما الاردياء فيضطرونه لان يحتملهم ويؤدبهم ويعلمهم بمثله الصالح . فعليه اذا ان يستفيد من الصالحين ويفيد الاشرار

واذا رمت الاقالة من رياستك او مغادرة الدير الذي انت فيه الى دير آخر فاعلم ان عزمك هذا متأثر عن قصر في الفضيلة والصبر لا عن غيرة صادقة ولا دليل هناك على الشجاعة والحكمة بل على الجبانة والحقة . فالسيد المسيح لم يكن يجهل استعداد اليهود للاعتداء عليه يوماً ما ولقولهم بضجيج وصراخ اصلبه اصلبه . . . ومع ذلك لم يغادر اليهودية ولا انكف عن عمل المعروف الذي كان ابتداء معهم . والقديس يعقوب الرسول لم يبارح اسبانيا مع انه اقام فيها سنين عديدة ولم يرد منها الى الديانة الا القليلين . ويولس الرسول لما كان عائداً الى اليهودية وعلم بان بني قبيلته يعدون له اشد اضطهاد لم ينثن عن طريقه . ويقول ايضاً ان الشيطان خراه الله لا يكف عن محاربة من يروم اهلاكه مهما طال به الزمان . فكيف يسوغ لك ايها الرئيس ان تفشل مؤيساً اذا صادفت في عملك شيئاً من الصعوبة والمشقة . وقال القديس فرنسيس دي سال : « ان الله يكره السلام في من سبق فاعدتهم للحرب وانه تعالى اله الحرب كما انه اله



السلام ومن ثم لا يجدر بالعابد الحقيقي ولا سيما الراهب إلا أن يرضخ لما أعدته له  
العناية الربانية سلاماً كان أم حرباً . وقد ينجل لك إنك في مكان آخر أو في  
خدمة غير خدمتك هذه تعمل أعمالاً كبيرة خطيرة ولكن ما مثلك في ذلك إلا  
مثل الطبيب الذي يغادر مريضه بداعي اشتداد مرضه أو النوتي الذي يترك  
سفينة وقت هيجان البحر واشتداد الخطر عليها

وكأني بك تقول اني لولا اثنان أو ثلاثة من رهباني العاتين لكنت في  
فردوس لان سائر الرهبان ملائكة . ولكن مهلاً من ارسل لك هؤلاء الرهبان  
العاتين ! وهل انت اول من يحتمل صعوبة اخلاقهم وقمردهم . اليس هو الذي  
يحتملهم من قبلك وهو الذي استودع غيرتك ومحبتك امر خلاصهم . اما قولك  
ان سائر الرهبان ملائكة وهؤلاء وحدهم هم الاشرار فلا اخاله صحيحاً لان  
مثل هؤلاء ولو لم يعملوا إلا ما قل من الفضيلة فقد يُحسب لهم من الاجر والثوات  
اكثر مما يُحسب لاولئك نظراً الى فظاظة اخلاقهم وعدم تربيتهم على الفضيلة .  
وليس بغريب ان تراهم يوماً ما في السما على طبقة اعلى من طبقة اولئك الذين  
تسميهم ملائكة

والمصيبة كل المصيبة هي اننا لا نطابق ارادتنا مع ارادة الله في ما يريد  
منا . فان ما يرضيه تعالى لا يرضينا . لانه ان ارادنا في الضيقة طلبنا السعة وان  
اراد لنا الآلام اردنا نحن الراحة والتعزية . يريد منا النشاط والاجتهاد في اعمالنا  
ولو لم يكن فيها إلا نجاح قليل ونحن نبتغي ان تنمو الفضيلة فينا وتثمر اثماراً  
شهية بدون عناء ولا تعب . وهكذا اذا اراد تعالى ان نكون في المطهر فنحن  
لا نبتغي لانفسنا إلا النعيم وان اراد ان نكون مع السقيمين نعتي بشفائهم فنحن  
نأبى إلا ان نكون مع الاصحاء وبكل ذلك لا نزيد ولا نبتغي إلا المحال  
وانما نخدع انفسنا بمقاومتنا ارادة الله وابتغائنا مشيئتنا وهوى انفسنا

في انه يترتب على الرئيس ان يواصل عمله وعنايته في مروضيه بدون  
نظر الى ما ينجم عنها من النجاح لانه تعالى لا يسأله عن  
النجاح بل عن العمل

من اهم الامور في الرياسة ان يعرف الرئيس كيف يحتمل بسلامة قلب  
الشخص الذي لا يقدر على ازالته وان يتصبر بهدوء بال على فقدان الخير الذي يبتغيه  
للرهبانية بالعموم او لبعض افرادها بالخصوص . ومن تراه لا يعتقد ان الله قادر  
ان يجبر الانسان على عمل كل ما يريده منه ومع ذلك فانه يحتمل نقائصه بكل  
اناة . فما بالنا نحن لا نرضى لله ما يرضاه تعالى لنفسه وليس لنا شيء مما له من القوة  
والمعرفة . نعم اننا لا نبتغي من مروضينا بما نطلبه من الطاعة والمعاونة الا  
الخير والصالح ولكن هل يترتب علينا ان نطلب الخير بطرائق لم يستعملها الله  
قط . او هل لنا ان نتصور اننا نحجب الخير اكثر مما يحبه تعالى . فلننتظر تدابير  
العناية ونحصل بالوقت المحدود منها اماً على الخير الذي نبتغيه واما على شيء آخر  
افضل منه . او ما عساه تعالى يطلب منا في مثل هذه الظروف سوى الصبر  
والتسليم لارادته القدوسة . ذلك خير لنا من النجاح الذي نطلبه بمساعينا الخيرية  
وقد كتب في هذا الصدد القديس برناردوس الى البابا اوجانيوس ما نصه :  
لا تفشل يا سيدي فان الله يطالبك بالعناية في المريض لا بشفائه . فقد سمعت  
قول السامري الى صاحب الفندق : « اعتن به » ( لو ١٠ ) ولم يقل له « اشفه »  
لانه ليس بإمكان الطبيب ان يشفي العليل في كل حال . واني استشهد على ما  
قدمته لقد استكم قول بولس الرسول ( ١ كو ١٠ ) . « اني عملت اكثر من  
الآخرين » فترون قد استكم انه لم يقل « قد نجحت اكثر من الآخرين لان  
فضيلة الديانة لم تسمح له بان يتلفظ بمثل هذا الكلام ويدعي بالنجاح . ثم ان  
هذا الرجل العلامة في الامور الالهية لم يكن ليجعل ان الانسان يجازي على  
حسب اعماله لا على حسب نجاحه فيها . وقد استكم ايضاً يجب ان تعمل ما يتعلق بها  
والرب سبحانه يعمل ما يتعلق به وهو جلت ارادته قادر ان يصنع الشفاء بدون

مزيد اهتمامكم واعتنائكم . فازرعوا اذا واسقوا وافلحوا كما هو مرتب عليكم  
اما إغناء الزرع فمختص بالله وحده متى اراد وان لم يرد فلا تخسر قد استكم شيئاً  
« لان الاجر معد على قدر التعب » ( الحكمة ١٠ ) فياله من تعب سعيد لانه  
لا يُعدم اجره كيفما تحولت الاحوال » ( ف ٢ )

وهذا المعنى نفسه تجده في كلام البتول مريم للقديسة برجييتا اذ قالت لها :  
« لا يليق باصفياء الله ان يجبنوا في خدمته ابداً بل يجب ان يضاعفوا العمل ليصير  
الاشرار صالحين والصالحين كاملين فان من يدعو اهل السيل مثلاً الى ان يتبعوا  
السيد المسيح اقتاد او لم يمتد احداً منهم فجزاؤه يكون عظيماً . ومثل ذلك  
مثل سيد امر عبيد له ان يثقباً جبلاً فانصرف الاثنان الى العمل فاصاب احدهما  
معدناً من ذهب والثاني لم يصب شيئاً فلكليهما حظ واحد من جهة الاجرة تبعاً  
للشرط والعمل

وقال في هذا الصدد القديس فرنسيس سالس ما نصه : « ان من الاعمال  
ما يامرنا الله بالشروع به ويأمر غيرنا بانجازه وان الفلاح لا يُلام اذا لم تأت ارضه  
بثمار جيدة بل اذا كان لم يحرقها حق الحراثة » ولعمري الحق ان الله جلت احكامه  
يعدّ البعض من الناس للزرع وغيرهم للحصاد . هذا لوضع الاساس وغيره  
لانجاز البنيان الا ترى كيف ان داود اعد الادوات لبنيان بيت الرب وسليمان اتم  
بنيانه . ولذلك ينبغي لنا ان نقف في العمل حيثما يشاء الله لانه تعالت احكامه لو  
لم يرد ان نعمل الاّ قسماً صغيراً مما قلدناه واراد انجازه بعد حين . انما كان  
بوسعه انجازه بوقته

## عد ٧

في انه ينبغي للرئيس ان يعتقد بان صبره يكون مفيداً للجماعة  
بمقدار ما هو مفيد لنفسه

لا بد من ان يقاومك مروءوسك مقاومةً شديدة وعنيفة الاّ انك مع ذلك  
تضطر لان تفعل الخير معهم بدون تأخير ولا ثمر ولا ضجر . واعلم ان صبرك  
هذا الجميل يتعلق عليه اجرُك واصلاح غير المروضين من رهبانك الذين تكون

انت سبب خلاصهم وهم يكونون لك موضوع فخر في اليوم الاخير  
قال احد العلماء الافاضل : « انك عندما تشاهد في الساحات العمومية بعض  
تأثيل للاسد منفجرة منها امياه صافية أحتشي ان تقتك بك تلك الاسد كلاً بل  
اذك تتفوس بها متعجباً من مهارة الناحت وتتقدم فتشرب منها الماء ناعم البال .  
هكذا ينبغي لك ان تتصور اخوتك الرهبان الذين تراهم يفنرون افواههم  
ويطيلون ألسنتهم ليتدحوا بك بدون رحمة فلا تخشاهم بل اجتهد بان تستقي من  
افواههم مياه الفضائل واجر الصبر الجميل

وقال الاب لويز : « ان مثل الرهبان المقاومين لروسانهم والمنددين بهم مثل  
العلماء الماهرين بفن الجدل فانهم عندما يتحنون الدارسين ويشددون عليهم في  
الجدال يبينون ان الطلبة متضلعون بالعلم ومقتدرون على حل المشكلات ومن ثم  
وجب على الرئيس ان يشكر فضل مروثوسيه الذين بمقاومتهم اياه يبينون فضله  
واتضاعه وثباته في الفضيلة »

وبالحقيقة ان عشرة الرهبان الصالحين عذبة ولذيذة غير ان عشرة الاشرار  
تجدي نفعاً وافادة اكثرو لو انصف الرئيس لابتاع الرهبان غير المروضين  
باغلي الاثمان

ولعمري كم من النعم الغزيرة التي لا يعادها ثمن يستطرها الرئيس على مروثوسيه  
بواسطة صبره واحتماله ثقل بعض الرهبان . قال العلامة فينيون الشهير ان الرؤساء  
بدون صليب هم عقاء لا يلدون بنين في النعمة . والصليب المحتمل بصبر يولي  
الرئيس هية لسلطانه وبركة خاصة لكل اعماله اه

وقالت القديسة شانتال ما ملخصه : « ان ما نعمله من الاعمال الصالحة بوجه  
الجاهير ولاسيا ممارسة فضيلة الصبر والاحتمال اذا لم تبدُ نتيجته في الحال فلا بد  
من ظهورها يوماً ما » هذا ونرى القديس يولس يفتخر بانه يكمل بجسده نقص  
آلام المسيح وانما يريد بذلك ان يستمد للخطاة باوجاعه المتنوعة شيئاً من استحقاق  
السيد المسيح وبهذا المعنى قال القديس فرنسيس دي سال عن القديس اسطفان انه  
لولم يصل من اجل شاوول لما كنا حزنا يولس اه

افيكون بلا اجر ما يعمله الرهبان الصالحون لاجل اصلاح اخوانهم المتوانين



بالفضيلة ؟ كلاً لانهم كم يأتون لاجل هذه الغاية من الصلوات والتقشفات والنصائح الحبية والامثلة الصالحة والاحتمال والصبر والسهر على ذواتهم ومقاومة الشكوك والقديس اغوستينوس يقول في هذا المعنى : « ان الصالحين لا يثبتون على الخير ان لم يمتحنهم الاشرار ويمحصوا فضيلتهم »

ومن ثم يجدر بك ايها الرئيس الفاضل ان لا تكف عن الزرع بالدموع لكي تحصد بالافراح . وان تبذل قصارى الجهد في حسن الزرع لكي يكون لك مثله ضعف في يوم الحصاد هذا وهل يشكو الفلاح من كثرة الزرع او من طول مدته كلاً لانه يعلم يقيناً انه على قدر كمية الزرع تكون نتيجة الحصاد بل انه عندما يرى حسن النتيجة في وقت الحصاد تأخذه الفيرة والندم على انه لم يزرع اكثر . الا ترى انك تزرع الان زرع الحياة الابدية وانما بذارك هو اولاً الصبر واحتمال المضادات ثم المواظبة على حفظ رسومك وقوانينك

ولننهين مقالتنا هذه وكتابنا بما قاله صاحب الاقتداء (ك٣ف٥٦) ايها الرب يسوع كمل معي كلامك ومواعيدك امنحني القبضة بان اكون اهلاً لحفظ وصاياك ولان اجلس معك في ملكوت ابيك . اني قبلت من يديك الصليب وانا مستعد لان احمله حتى المات كما تريد يا الهي . ولعمري ليست حياة الراهب الا صلياً ولكن هذا الصليب يتوده الى المجد الابدي . اني قد ابتدأت بالحياة الروحية فكيف يمكن ان ارجع الى الوراء . او كيف يسوغ لي ان اتأخر عن التقدم . انهضوا ايها الاخوة وقوموا بنا نمشي معاً اننا قد حملنا الصليب جاً بيسوع فجاً بيسوع لا نلقيه عنا اذ عليه يتعلق كل رجائنا . هوذا ملكنا يسير امامنا ويحارب عنا . فلتتبع خطواته ببسالة ولا يهواننا شيء . بل فلنكن مستعدين ان نموت في هذه الحرب موت الابطال ولا نفر من امام الصليب لئلا يلتحق بنا عار الهزيمة والحجل .

## فهرست

صفحة	م	
١	١	م
٠٣		الكتاب الاول في تدبير الجماعات الرهبانية
٠٣		الباب الاول في الرئاسة على اطلاقها وفيه ستة فصول
٠٣		الفصل الاول في صعوبة الرئاسة وفيه ثلاثة اعداد
٠٣		العدد الاول في ان تدبير الجماعة المشتركة هو رأس الصناعات
		العدد الثاني في ان الرئاسة تتطلب احراراً مناقب ممتازة يسبقها نوع
٠٥		من الدربة والتحنك
٠٧		العدد الثالث في انه على الرئيس ان يتعلم صناعة التدبير
١٠		الفصل الثاني في مضار الرئاسة وفيه ثلاثة اعداد
٠٧		العدد الاول في ان الرئاسة تلبو ذوي القليلة
١٢		العدد الثاني في ان الرئيس مطالب اشد مطالبة
١٤		العدد الثالث في ان تجنب الرئاسة اسلم من طلبها
١٧		الفصل الثالث في منافع الرئاسة وفيه ثلاثة اعداد
٠٧		العدد الاول في ان الرئاسة تدعو الى ممارسة فضائل كثيرة
١٩		العدد الثاني في ان الله يولي الرئيس عوناً قوياً
٢٠		العدد الثالث في انه يجب ان تتحمل الرئاسة بصبر واتكال
٢٣		الفصل الرابع في الرئاسة الموقته وغير الموقته وفيه ثلاثة اعداد
٠٧		العدد الاول في الحجج التي تؤيد الرئاسة غير الموقته
٢٥		العدد الثاني في الحجج التي تؤيد الرئاسة الموقته
٢٨		العدد الثالث في بيان رأي العلامة سوارس وعادة الكنيسة
٣٠		الفصل الخامس في ما يطلب في المنتخب من الصفات العامة وهي اربع

منحة

٣٠	الاصابة في الرأي	الصفة الاولى
٣٢	الفضيلة الراسخة	الصفة الثانية
٣٤	المعارف التي تتطلبها الرئاسة	الصفة الثالثة
٣٨	السن القانونية	الصفة الرابعة
٤٠	في واجبات الرئيس عند حلول الانتخاب وفيه اربعة اعداد	الفصل السادس
	في انه يجب على الرئيس ان يكون مستعداً لتخليه الرئاسة =	العدد الاول
	وان يكون سروره عند ذلك اشد منه عند قبولها =	
٤٢	في انه على الرئيس ان يذكر اذا مست الحاجة اباء المجمع	العدد الثاني
	بما عليهم من شديد الالتزام ان ينتخبوا من هو اجدر من غيره =	
٤٤	على الرئيس ان يحذر من الدسيسة والتجرب	العدد الثالث
	نصائح القديسة شانتال المتعلقة بحسن الصلة بين المنتخبات	العدد الرابع
٤٧	للرئاسة حديثاً والمغزولات عنها	
٥٠	في قداسة الرئيس وفيه اربعة فصول	الكتاب الثاني
	في روح الصلاة الواجب للرئيس وفيه ثلاثة اعداد =	الفصل الاول
	في ان روح الصلاة هو واجب وضروري للرئيس ليضبط =	العدد الاول
	نفسه من شتات الافكار ويقيها من قساوة القلب	
	ان روح الصلاة هو ضروري للرئيس لكي يعمل اعماله	العدد الثاني
٥٣	وهو خاضع لله	
	ان روح الصلاة ضروري في الرئيس ليتخلص من الصعوبات	العدد الثالث
٥٥	ويقوى على مساعدة مروضيه	
٥٩	في ان فضيلة التواضع ضرورية في الرئيس وفيه اربعة اعداد	الفصل الثاني
	في ان الرئيس المتواضع لا يرى نفسه اهلاً للوظيفة ولا ينسب =	العدد الاول
	الى نفسه شيئاً من الخير الذي يحصل في مدة رئاسته	
٦٢	في ان الرئيس المتواضع لا يعجب بالكرامة الموجهة اليه	العدد الثاني
٦٤	في ان الرئيس المتواضع يعمد الى ادنى الاعمال بطيبة خاطر	العدد الثالث

صفحة

العدد الرابع	في ان الرئيس المتواضع لا يجدر به ان ينجني فضائله وجدراته بالسياسة ولا ان يسمح بسقوط سلطانه	٦٦
الفصل الثالث	في ان السارك بموجب القانون ضروري في الرئيس وفي الاسباب الموجبة لذلك وفي ما يطلب من الرئيس سلوكه	٦٨
المقالة الاولى	بموجب القانون وفيه مقالتان في الاسباب التي توجب ان يكون السلوك بموجب القانون ضرورياً في الرئيس وفيها خمسة اسباب	
السبب الاول	هو علو درجته بين مروثوسيه ووجوده على مرآى من جميعهم	
السبب الثاني	هو ان الجمهور يقتني طريقة الرئيس سواء كانت صالحة ام طالحة	٧١
السبب الثالث	هو ان رذائل الرئيس ترمي بالرهانية الى الخراب والدمار	٧٣
السبب الرابع	هو انه ان لم يكن الرئيس مثلاً صالحاً كان اصلاحه لمروثوسيه تويخاً له	٧٤
السبب الخامس	هو انه ان لم يعظ الرئيس بمثله فواعظه عبث	٧٦
المقالة الثانية	في ما يوجب حفظ القانون على الرئيس وفيها اربعة مواجب	٧٧
الواجب الاول	ان يمكث في محل اقامته	
الواجب الثاني	ان يتقدم مروثوسيه في جميع الاعمال	٨١
الواجب الثالث	انه ليس له ان يسمح لنفسه بما لا يريد ان يسمح به لغيره	٨٤
الواجب الرابع	على الرئيس ان يكون قدوة كاملة في الصلاح الرهباني	٨٧
الفصل الرابع	في المحبة الواجبة في الرئيس وفيه عددان	٩٠
العدد الاول	في ضرورة المحبة في الرئيس	
العدد الثاني	في صفة هذه المحبة	٩٣
الكتاب الثالث	في الفطنة وفيه ثلاثة فصول	٩٦
الفصل الاول	في ان الفطنة ضرورية لحسن السياسة وفيه اربعة اعداد	
العدد الاول	تحديد الفطنة	



صفحة

٩٨	في ان الفطنة تُعد من مزايا روساء الجماعات	العدد الثاني
١٠٠	في ان الرئيس لا يقدر ان يتمم مهمات وظيفته بدون فطنة	العدد الثالث
	في انه يجب على الرئيس ان يطلب الفطنة من الله وان	العدد الرابع
١٠٣	لا يعل من طلبها	
١٠٥	في السياسة الدينية والسياسة العالمية وفيه خمسة اعداد	الفصل الثاني
١٠٥	في السياسة الدينية	العدد الاول
١٠٧	في وصف السياسة العالمية	العدد الثاني
١٠٩	في بعض علامات للسياسة العالمية في التدابير الرهبانية	العدد الثالث
	في ان مبادئ السياسة العالمية تضاد مبادئ الانجيل	العدد الرابع
١١٣	المقدس وان الظالم الذي يتبعها هو غير الحاكم العادل	
	في انه يجب ان يكره الرئيس السياسة العالمية وان هذه	العدد الخامس
١١٥	منزرة بالسياسة الروحية	
	في الشروط الجوهرية للفطنة الرهبانية وفيه سبعة فصول	الفصل الثالث
	في الشرط الاول من الشروط الجوهرية للفطنة الرهبانية	الفصل الاول
١١٨	وهو عدم الثقة بالذات وفيه اربعة اعداد	
١١٨	في انه ينبغي قبل كل شيء ان يعرف الرئيس ذاته	العدد الاول
	في انه يجب على الرئيس ان يحترص من شر الاميال	العدد الثاني
١٢١	المنحرفة والخلق السوء والافراط في محبة الذات	
١٢٤	في ان الرئيس عليه ان يتجنب في اعماله العناد والعجلة	العدد الثالث
	في انه يجب على الرئيس ان لا يكون كثير الثقة باهليته	العدد الرابع
١٢٧	واوهامه ولا سريع الحكم والتصديق	
	في الشرط الثاني الجوهرية للفطنة الرهبانية وهو معرفة	الفصل الثاني
١٢٩	الناس وفيه عددان	
١٢٩	من اهم اعمال الرئيس التعمق في معرفة الناس	العدد الاول
١٣٢	في كيف يكون التوصل الى معرفة الناس	العدد الثاني

صفحة

١٣٦	في الشرط الثالث الجوهري للفتنة الرهبانية وهو الاستفادة من اختبار الايام السالفة وفيه عددان	الفصل الثالث
	في انه ينبغي للرئيس ان يستفيد من اختباره الخاص واختبار غيره ايضاً	العدد الاول
١٣٩	في ان اقتداء الرئيس بغيره لا ينبغي ان يكون بدون فطنة وتميز	العدد الثاني
١٤١	في الشرط الرابع الجوهري لاكتساب الفتنة الرهبانية وهو معرفة طلب المشورة وفيه ثلاثة اعداد	الفصل الرابع
	في ان طلب المشورة مفيد جداً وفيه ستة ادلة	العدد الاول
١٥٠	في الصفات التي يجب ان يتحققها الرؤساء الكبار ومجمع المدبرين في المشيرين عند انتخابهم اياهم	العدد الثاني
١٥٥	في كيفية أخذ المشورة وفيه سبعة فروع	العدد الثالث
١٦٨	في الشرط الخامس الجوهري للفتنة الرهبانية وهو القيام بالاعمال حسناً وفيه تسعة فروع	الفصل الخامس
	طلب الخير العام	الفرع الاول
١٧٠	من الواجب ان نرضى بالممكن المستطاع في كل الاحوال حتى في اعمالنا الروحية	الفرع الثاني
١٧١	النظر في عاقبة الامر قبل حلوله	الفرع الثالث
١٧٣	عدم التأني في امر الفتنة	الفرع الرابع
١٧٥	اغتنام الفرصة والزمان الموافق	الفرع الخامس
١٦٦	لا يجدر بالرئيس ان يظهر في الابتداء كل ما له من النيات والمقاصد	الفرع السادس
١٧٨	اتخاذ الطرق اللازمة لاكتساب قلوب المروسين	الفرع السابع
١٨٠	ينبغي النظر في تأييد اعمالنا وتشيتها الى زمن طويل	الفرع الثامن
١٨٢	لا تتعجب من الحوادث ولا تفشل ابداً	الفرع التاسع

١٨٤	في الشرط السادس الجوهري للفطنة البشرية وهو	الفصل السادس
١٨٤	كتان السر وفيه اربعة اجزاء	
١٨٧	في اهمية كتمان السر	الجزء الاول
١٨٨	في موضوع السر من جهة الرئيس وفيه ثلاثة اعداد	الجزء الثاني
١٨٨	مكاشفات المروسين وزلاتهم	العدد الاول
١٩٠	فيما يتعلق بشخص ثالث	العدد الثاني
١٩١	في السياسة الداخلية والرسائل	العدد الثالث
١٩١	في موضوع السر من جانب المروسين وفيه عددان	الجزء الثالث
١٩٢	في الامور التي توجب المهمة او المصلحة كتمانها	العدد الاول
١٩٢	في الامور التي لا يتأتى كشفها بدون ثلم حقوق المودة	العدد الثاني
١٩٢	او المحبة الاخوية	
١٩٤	في كيفية كتمان السر الشرعية العادلة وفيه عددان	الجزء الرابع
١٩٤	مقابلة الباحثين بالاسرار بالصمت والوزانة	العدد الاول
١٩٦	مقاومة الحثاء بالاستقامة لا بالغيظ	العدد الثاني
١٩٨	في الشرط السابع للفطنة الرهبانية وهو الحصول على	الفصل السابع
١٩٨	منبه خاص الى النقائص وفيه اربعة اعداد	
٢٠٢	ان النصيح يفيد الرئيس بنصيحته اكثر مما يفيد سائر	العدد الاول
٢٠٥	الاصدقاء	
٢٠٨	ان من يلق الرئيس هو من ألد الاعداء واكبر الخونة وفيه	العدد الثاني
٢٠٨	اعتباران ١ انتفاع البائع الخداع ٢ كبرياء المشتري المغرور	
٢٠٨	في ان التنبيه يجب ان يجري بادب واحترام	العدد الثالث
٢٠٨	في ان الرئيس عليه ان يقبل النصيحة برضى وشكر	العدد الرابع
٢١١	في الموافقة بين الرفق والحزم وفيه ثمانية اقسام	الكتاب الرابع
٢١١	في ان الرفق والحزم هما ركنا السياسة الرهبانية وفيه	القسم الاول
	سبعة فصول	

صفحة

٢١١	اي سياسة هي الحسنى بين السياسات الرهبانية	الفصل الاول
	في ان اللطف والبشاشة جوهران في كل سياسة	الفصل الثاني
٢١٢	ولاسيما السياسة الرهبانية	
	في ان الحزم والثبات ليسا باقل ضرورة للسياسة الرهبانية	الفصل الثالث
٢١٤	مما هما لسياسة اخرى	
	في انه من الواجب ان يأتلف اللطف والحزم في	الفصل الرابع
٢١٦	السياسة الروحية وان يفعلا معاً كل ما يفعلانه	
	اذا اقتضى الامر ان يعيل الرئيس الى احدى الجهتين	الفصل الخامس
٢١٧	فليختار جهة الرأفة والركة .	
٢١٩	في ان موسى كايم الله هو نموذج اللطف والحزم	الفصل السادس
٢٢٠	في واسطتين ضروريتين للتأليف بين الحزم والركة	الفصل السابع
٢٢٢	في علامات السياسة القاسية وهي تسع علامات	القسم الثاني
٢٢٢	الامر باشياء صعبة للغاية	العلامة الاولى
٢٢٣	الافراط بالتثقل على الرهبان في رسوم وفرائض مختلفة	العلامة الثانية
	استعمال بعض عبارات حكمية وحتمية مثل قولهم « انا	العلامة الثالثة
٢٢٦	اريد انا امر انا احتم »	
٢٢٧	كلام الرئيس لمروثوسيه بغلظة وعتو	العلامة الرابعة
٢٢٩	سد الرئيس اذنيه عن استماع التثكيات والاعتذارات	العلامة الخامسة
	هي ان الرئيس يرفض كل ما يطلب منه او انه لا يهب	العلامة السادسة
٢٣١	شيئاً الا بكره واشمئزاز	
	ان يتبع الرئيس مروثوسيه في كل خطوة ولحظة ليرقب	العلامة السابعة
٢٣٢	بذاته كل اعمالهم وافكارهم	
٢٣٤	غيرة الرئيس المفرطة على الاحترام الواجب لمقامه	العلامة الثامنة
٢٣٦	وهي اظهار الميل الى فريق دون آخر	العلامة التاسعة
	في العلامات التي بها يعرف الرئيس انه متغاض وكثير	القسم الثالث



صفحة

٢٣٨	التسامح في سياسته الرهبانية وهي تسع علامات	
٢٣٩	هي ان لا يهتم الرئيس الا بالمسائل الهامة في الغاية	العلامة الاولى
٢٤١	هي ان يكون الرئيس سريع التصديق في قبول اعتذارات	العلامة الثانية
٢٤٣	مروثوسيه وتصويب ما يدعونه لتبرئة انفسهم	
٢٤٥	هي عدم المعاقبة على بعض الذنوب والنقائص	العلامة الثالثة
٢٤٦	التوبيخ الذي لا يكون إلا حفظاً للظواهر	العلامة الرابعة
٢٤٨	التسامح على طريق الحياء البشري	العلامة الخامسة
٢٤٩	هي ان لا يعزز الرئيس سلطانه من وقت الى آخر ببعض	العلامة السادسة
٢٥٠	اعمال خطيرة	
٢٥١	الانقياد لامر الغير	العلامة السابعة
٢٥٢	التسوية عند اقتضاء العمل	العلامة الثامنة
٢٥٣	هي ان يكون الرئيس عديم الثبات متقلباً في مقاصده	العلامة التاسعة
٢٥٤	في البشاشة التي هي رفيقة ملازمة للوداعة وفيه سبعة فصول	القسم الرابع
٢٥٥	في انه يجب على الرئيس ان يبذل كل جهده في اكتساب	الفصل الاول
٢٥٦	قلوب مروثوسيه	
٢٥٧	في ان الرئيس حقيق بان يكون مع مروثوسيه سهل	الفصل الثاني
٢٥٨	المقابلة والمفاوضة	
٢٥٩	في انه يجب على الرئيس ان يحسن قبول مروثوسيه في	الفصل الثالث
٢٦٠	كل فرصة وزمان	
٢٦١	في ان الرئيس ملتزم احياناً ان يتقدم راهبه بالحسن	الفصل الرابع
٢٦٢	ليستميله اليه بعد نفوره منه وابتعاده عنه	
٢٦٣	في انه يجب على الرئيس ان يكون عند مقابله مروثوسيه	الفصل الخامس
٢٦٤	طلق الوجه	
٢٦٥	في ان كلام الرئيس يجب ان يكون ليناً عذباً	الفصل السادس
٢٦٦	في ان الرئيس حقيق بان يخفض جناحيه لمروثوسيه	الفصل السابع

صفحة

٢٦٥	وينعطف عليهم بفرح القلب	
	في ان الرزانة رفيقة ضرورية للحزم وفيه خمسة فصول	القسم الخامس
٢٦٨	في ان رزانة الرئيس تتأقأ اماً من ذكر جلال الله الذي يمثله بشخصه واما من بعض مزاياه الخصوصية	الفصل الاول
	ان رزانة الرئيس قائمة في ان لا يذهب بجمهوره مذاهب	الفصل الثاني
٢٦٩	القسوة والجفاء ولا مذاهب الدالة المفرطة التي تحاكي الفنج والتدلل	
	في ان الكلام بدون تروٍ وتدبر يضر برزانة الرئيس	الفصل الثالث
٢٧١	ضرراً كبيراً	
	في ان رزانة الرئيس تتوقف كثيراً على كيفية جلوسه	الفصل الرابع
٢٧٣	مع مروثوسيه للتتزه او للمعاورات	
	في ان رزانة الرئيس تتوقف ايضاً على ثباته وعدم تقلبه	الفصل الخامس
٢٧٤	في سياسته واخلاقه	
	في ان فضيلة اللطف تقتضي ايضاً عناية ابوية باحتياج	القسم السادس
٢٧٧	المروثوسين وفيه خمسة فصول	
	في ان هذه العناية هي من خصوصيات المحبة الرسولية	الفصل الاول
	في ان هذه العناية بضرورات المروثوسين الزمنية هي	الفصل الثاني
٢٧٨	الكفيل لحفظ النظام الرهباني	
	في ان هذه العناية بالزمنيات لا يجب ان تتوقف على اللازم	الفصل الثالث
٢٨٠	والضروري فقط بل عليها ان تبادر الى عمل المعروف قبل طلبه وقبل الحاجة اليه	
	في ان من واجبات الرئيس ان يعتني بالمرضى من مروثوسيه	الفصل الرابع
٢٨٣	عناية ابوية	
	في ان هذه العناية بالقرب لا توجد عند من لا اكسال	الفصل الخامس
٢٨٧	له على العناية الصمدانية	

صفحة

٢٩٠	في ان السهر على حفظ الرسوم هو من لوازم الحزم والثبات وفيه بابان	القسم السابع
٢٩٠	في ان موضوع السهر على القوانين يتناول ثلاثة امور ولكل مقالة	الباب الاول
	في القوانين وفيها اربعة اعداد	المقالة الاولى
٢٩٠	في ان الرئيس هو امين القوانين والحارس لها والملازم ان لا يدع احداً يتعدها بنوع من الانواع	العدد الاول
	في انه لا سلطان للرئيس مطلقاً على ان يمس شيئاً من القوانين	العدد الثاني
٢٩٢	الاساسية في الرهبانية ولا ان ينير عادة من عاداتها المألوفة	
	في انه يجب على الرئيس ان يفهم جيداً روح الفرائض وجوهرها وذلك لكي يعرف كيف يفسرها او يتسامح ببعضها عند مس الحاجة	العدد الثالث
	في ان الرئيس يفتقر الى فطنة متناهية اذا ما دعت الضرورة الى تجديد شيء في العادات او الفرائض الرهبانية	العدد الرابع
٢٩٧	في الوظائف وفيها اربعة اعداد	المقالة الثانية
٢٩٩	في ان الرئيس عند توزيعه الوظائف يجب ان ينعم النظر في ميل المروؤوس الخاص واهليته لتلك الوظيفة	العدد الاول
	في انه يجب على الرئيس في توزيعه الوظائف ان ينظر الى فضائل مروؤوسيه وطباعهم	العدد الثاني
٣٠٠	في انه يجب على الرئيس ان يسهر بنوع خاص على الرهبان البطالين	العدد الثالث
٣٠١	في انه يجب على الرئيس ان يبالغ في سهره على الاخوة المعرضين من قبل وظائفهم لفقدان الفضيلة	العدد الرابع
٣٠٣	في معاوني الرئيس في مهام وظيفته وفيها خمسة اعداد	المقالة الثالثة
٣٠٥	في انه يجب على الرئيس في انتخابه معاونيه ألا يلتفت	العدد الاول

صفحة

الى اميائل المروثوسين ولا الى مكاييد بعضهم ضد اخوتهم	العدد الثاني
في انه يجب على الرئيس في انتخابه معاونيه ان لا يركن	
الى امياله الخصوصية ولاسيا الطمع	
٣٠٧	
في المعثرة الثالثة وهي عجة الذات المفرطة وفيها ستة اعداد	المقالة الثالثة
يجب على الرئيس ان لا يعتبر ذاته بالحقيقة الاً خادماً	العدد الاول
لمروثوسيه	
٣٢٧	
في ان الرئيس بقبوله الرئاسة يجعل ذاته كنيلاً عن	العدد الثاني
مروثوسيه	
٣٢٩	
في ان الرئيس حقيق بان يقضي حاجات مروثوسيه قبل	العدد الثالث
حاجات نفسه	
٣٣٢	
في انه على الرئيس ان يفضل ايضاً خير مروثوسيه الروحي	العدد الرابع
على خيره الروحي نفسه	
٣٣٤	
في ان الرئيس خليق بان يفحص فحصاً مدققاً عن قيامه	العدد الخامس
بالسهر الواجب على خير مروثوسيه	
٣٣٦	
في انه ينبغي للرئيس ان يفحص فحصاً مدققاً عن افراط	العدد السادس
محبه ذاته	
٣٣٩	
في بعض امثلة الوداعة واللفظ وفيه اربعة اعداد	القسم الثامن
٣٤١	
داود النبي والقديس يوسف والقديس بولس	العدد الاول
في القديس مبارك والقديس برناردوس والقديس فرنسيس	العدد الثاني
الاسيزي	
٣٤٣	
في القديس اغناطيوس	العدد الثالث
٣٤٥	
في القديس فرنسيس دي سال	العدد الرابع
٣٤٧	
الكتاب الخامس	
في النصيح الاخوي وفيه خمسة فصول	
٣٤٩	
في ان الرئيس ملزم نصيح مروثوسيه وفيه خمسة اعداد	الفصل الاول



صفحة

العدد الاول	ان واجب النصح على الرؤساء اشد واكثر امتداداً منه على المروءسين	٣٤٩
العدد الثاني	في ان الرئيس مأمور بالنصح امرأ جازماً حتى انه يكون مسؤولاً عن كل ما يذنب به مروءسوه من جرأء اهماله او تقاضيه	٣٥٠
العدد الثالث	في ان فريضة النصح او التوبيخ لا تنافي المحبة بل تقتضها وتصدر عنها	٣٥٣
العدد الرابع	في ان وجوب فريضة النصح لا يتوقف على حسن النتيجة او عدم حسنها في الحال	٣٥٥
العدد الخامس	في ان فريضة النصح دقيقة وخطيرة الى حد ان القيام بها يضعي شديد الصعوبة وقريباً من الخطر	٣٥٦
الفصل الثاني	في ان النصح والتوبيخ ينبغي ان يكونا مؤسسين على العدل وفيه بابان	
الباب الاول	في انه يجدر بالرئيس عند استماعه الشكايات وامعانه النظر في صحتها ألا يكون سريع التصديق ولا منقاداً لاتفعالاته النفسية وفيه مقالتان	٣٥٨
المقالة الاولى	في كيف يمكن الرئيس ألا يصدق الوشايات الكاذبة وفيها ثلاثة اعداد	
العدد الاول	في انه يجدر بالرئيس ألا يصدق الوشايات الكاذبة والأ يكون العوبة في ايدي الوشاة يميلون به كيف شاءوا	٣٥٩
العدد الثاني	في ان الرئيس جدير بان يعلم مروءسيه ما يجب عليهم وما يستطيعونه في تبليغ الاخبار وان يريهم فظاعة ذنب النيمة والثلب	٣٦١
العدد الثالث	في انه على الرئيس ان يبذل قصارى الجهد في تمييز الصحيح عن الفاسد من الشكايات المقدمة له وفي معرفة خلوص	٣٦٤

صفحة

٣٦٤

الشاكين واستقامتهم

في كيف يجب على الرئيس ان يحذر امياله الخصوصية وفيها عددان

المقالة الثانية

٣٦٨

في انه يجب على الرئيس ان يدقق في ما اذا كان فيه بعض الاميال المنحرفة التي تؤثر بقله واحكامه من دون ان يشعر بذلك

العدد الاول

٣٧٠

في انه يجب على الرئيس ان يطرح منه كل تأثير من الاهانت التي تكون قد ألحقت به قبل تبوئه الرئاسة

العدد الثاني

٣٧٣

في انه على الرئيس ان يتحرى الحقيقة في ما يُشكى به مروثوسه وان يكون عادلاً في اجراء الحكم عليه وفيه فرعان

الباب الثاني

٣٧٧

في الحقيقة التي يجب على الرئيس ان يتحراها في ما يُشكى به مروثوسه وفيه عددان

الفرع الاول

٣٧٧

في ان فرض العقاب على المروثوس ينبغي ان يكون بعدل واستقامة وفيه خمسة اعداد

الفرع الثاني

٣٧٩

في ان العدل يقتضي من الرئيس ان يستمع للمذنب كل ما يريد ان يورده محاماة عن نفسه

العدد الاول

٣٨١

في ان العدل يقتضي ان لا يفرض الرئيس من العقاب الا ما كان على قدر الجرم

العدد الثاني

٣٨٣

في ان العدالة تقتضي ايضاً على الرئيس بان يحافظ على صيت المذنب اشد محافظة

العدد الثالث

٣٨٤

في ان العدالة تقتضي من الرئيس ان لا يعاقب الا المذنب وان لا يعاقبه عن الزلة الا مرة واحدة وان لا يشفق على الواحد ويقسو على الآخر

العدد الرابع

٣٨٤

في انه يجب على الرئيس ان لا يبلغ زلة الاخ المذنب الى

العدد الخامس

صفحة

الروساء الكبار ولا الى من يخلفه في الرئاسة ما لم ير في ذلك فائدة حقيقية	٣٨٤
في ان الفطنة هي ركن التوبيخ الاخوي وفيه ثلاثة ابواب	٣٨٧
في ان الفطنة تعلم الرئيس ان يختار الوقت الموافق للتوبيخ وفيه مقالتان	
في المعاذير التي يسقط فيها الرئيس غالباً عند قيامه بفرض التوبيخ وهي ثلاث	
وهي تاخير الرئيس عن التوبيخ في وقته	٣٨٧
وهي التسرع في التوبيخ	٣٨٩
وهي اهتمام الرئيس باصلاح كل هفوة دون استثناء	٣٩١
في القواعد التي تسهل نجاح التوبيخ او تأكده وهي ثلاث	٣٩٣
في ان الفطنة تعلم الرئيس ان يؤلف بين طباعه وطباع مروضيه وفيه خمسة اعداد	٣٩٩
في انه على الرئيس ان يعتبر سن من يريد اصلاحهم	
في انه على الرئيس ان يراعي مقام من يريد اصلاحهم	٤٠١
في انه على الرئيس ان يلاحظ في من يريد اصلاحهم درجة فضيلتهم وحسن استعدادهم	٤٠٢
في انه على الرئيس ان يلاحظ كيفية طباع من يريد اصلاحهم	٤٠٤
في انه على الرئيس ان يلاحظ من يريد اصلاحهم ضعف عقولهم وامراضهم الوهمية	٤٠٦
في ان الفطنة تعلم الرئيس ان لا يعطي الادوية إلا جرعة بعد جرعة وعلى مقدار قوة المريض وفيه ثمانية اعداد	٤٠٨
في انه على الرئيس ان يعرف اولاً نوع المرض الادبي وعلمته في مروضه ثم يبين له حقيقته ويحمله على الاقرار به	
في ان اخص واجبات الرئيس في مثل هذه الظروف ان	

الفصل الثالث

الباب الاول

المقالة الاولى

المعثرة الاولى

المعثرة الثانية

المعثرة الثالثة

المقالة الثانية

الباب الثاني

العدد الاول

العدد الثاني

العدد الثالث

العدد الرابع

العدد الخامس

الباب الثالث

العدد الاول

العدد الثاني

صفحة

- يحرص الراهب المذنب على ان يتفرغ للأعمال الروحية وان  
يساعده فيها بموضوعات تقوية خاشعة ٤١٠
- العدد الثالث  
في انه يترتب على الرئيس ان يجتهد في اكتساب ثقة مروتوسه  
وفي ان يحسن مقابله ولو تكررت مرات عديدة في النهار ٤١٢
- العدد الرابع  
في انه على الرئيس ان يؤجل تنفيذ العقاب من يوم الى  
آخروان يختص بالخصوص ان لا يعاقب احداً قبل ان ينبه ٤١٤
- افكاره الى ذلك
- العدد الخامس  
الخليق بك ان توثب مروتوسك اولاً بينك وبينه سرّاً  
وان تصفح بطيبة خاطر عن الذنوب التي يشكو نفسه بها  
وان تقيمه حكماً على ما يستوجبه من العقاب وفاء عنها ٤١٦
- العدد السادس  
ولتكن توبيخاتك موجزة وبناية الاقتصار ٤١٨
- العدد السابع  
في انه لا ينبغي ان تدع مروتوسك مضطرباً حزيناً بعد  
اتمامه العقاب المفروض عليه بل يجدر بك ان تبدي له المودة  
والهشاشة لكي يتعش ويقوم من سقطته نشيطاً ٤٢٠
- العدد الثامن  
في انه اذا بقي المذنب مصرّاً على غيّه بعد ان اسمعته  
تهديدات الشريعة الالهية يجب حينئذ ان تعامله بموجب  
رسم القانون ٤٢٢
- الفصل الرابع  
الباب الاول  
المقالة الاولى  
المقالة الثانية  
العدد الاول  
في ان التأديب ينبغي ان يكون صادراً عن المحبة وفيه بابان ٤٢٦
- في ما عمله المحبة في التأديب وفيه ثلاث مقالات =
- في ان المحبة في التأديب تنقّي النية وفيها عددان =
- في ان المحبة تفيض في الكلام العذوبة وفيها خمسة اعداد =
- قد يحق لك بعض الاحيان ان تغضب ولكن احذر اذ  
ذاك من ان تكون لهجتك لهجة الغضب والحق ٤٢٩
- العدد الثاني  
في انه يجدر بالرئيس ان يتجنب التقرّيعات المرة جدهه وألاً  
يستعمل التهمك إلا نادراً جداً ٤٣١



صفحة

- العدد الثالث في ان الرئيس يرتكب ذنباً فظيماً لو حمل مروثوسه على ان يجيبه بجواب مروثوس وهو يبقى بذلك علة لمعاقبته ٤٣٣
- العدد الرابع في ان الرئيس اذا خاصمه احد مروثوسيه بالكلام المروءات بحركات الحدة والمنازعة يجب ألا يجاوبه بمثل كلامه بل ان يصمت وان تكلم فليكن كلامه رزيناً ومشعراً بالشفقة على غباوة المروثوس والرافة به ٤٣٤
- العدد الخامس في انه اذا رأى الرئيس في نفسه انه قد اخطأ ضد المحبة او ضد العدل يلزمه الرجوع عن خطاه من دون خجل ولا تأخير ولكن بفطنة ورزاقه ٤٣٧
- المقالة الثالثة في ان المحبة تلهم الرقة واللف في ممارسة كل عمل وفيها عددان ٤٤٠
- العدد الاول على الرئيس ان يسعى بطرق مختلفة ذات لين ولطف لكي ينتصر على مكابرة مروثوسه ويتخفف اشجانه ٤٤٢
- العدد الثاني في بعض امثلة على رقة الروساء وانفهم ٤٤٢
- الباب الثاني في كيف يمكن ان يفوز الرئيس بهذه المحبة وكيف يحافظ عليها ٤٤٤
- المقالة الاولى عليها وفيه ثلاث مقالات في ان الرئيس يتوصل الى الفوز بالمحبة والى حفظها اذا عرف ولم ينس انه ضعيف مثل سائر الرهبان وفيها عددان ٤٤٩
- المقالة الثانية في ان الرئيس يمكنه ان يحصل على المحبة ويحفظها لو حافظ على سلامة النفس محافظة كاملة وفيها اربعة اعداد ٤٤٩
- العدد الاول في ان اضطراب الرئيس يضر به وعن يقصد اصلاحه ضرراً بليغاً ٤٥٢
- العدد الثاني في ان كثرة زلات المروثوسين وجسامتها ليس من شأنها ان تدهش الرئيس ولا ان تقلقه ٤٥٤
- العدد الثالث في ان الرئيس الذي يثبت في روح الهدوء والسلام لا ٤٥٤

صفحة

٤٥٦	يأس ابدًا من نجاح مسعاه في التأديب في ما كتبه العلامة فينيان الى احدى الرئيسات بشأن المحافظة على الصبر والسلامة في امر التأديب	العدد الرابع
٤٥٧	في ان الرئيس يمكنه ان يحصل على المحبة وان يحفظها في قلبه لو درس صناعة التأديب والاصلاح في الله نفسه وفيها اربعة اعداد	المقالة الثالثة
٤٥٨	في ان الله يعامل الخطاة برأفة وحنان اكثر من الاممات	العدد الاول
٤٥٩	في انه عندما يريد الله ان ينتقم من المجرم تقوم رحمته فتتغارب عدله	العدد الثاني
٤٦٠	في انه لا اعذب ولا اعجب من نوع التأديب الذي استعمله الرب يسوع	العدد الثالث
٤٦١	في ان الله ينتظر توبتنا بطول اناة ويغفر لنا بدون تأجيل وانه اذا ما رآنا رجعنا اليه يعد نفسه غائبًا ظافرًا	العدد الرابع
٤٦٢	في الاصلاح الذي ينبغي ادخاله احيانًا الى الجمعيات الرهبانية	العدد الخامس
٤٦٣	في واجبات الرئيس والمروءسين في امر الاصلاح وفيه عددان	الباب الاول
٤٦٤	في انه يجب على الرئيس ان يبذل كل جهده وجهده في اعادة حفظ القوانين	العدد الاول
٤٦٥	في انه يجب على المروءسين ان يصوبوا اعادة حفظ القوانين والرسوم	العدد الثاني
٤٦٦	في السياسة الواجبة لازالة العادات السيئة وملاشاة الفتن والخصومات	الباب الثاني
٤٦٧	في السياسة الواجبة لازالة العادات السيئة	العدد الاول
٤٦٨	في السياسة الواجبة لرفع الفتن وازالتها من الرهبانية	العدد الثاني

صفحة

٤٧٩	في ما ينبغي عمله لاجل تسكين الخصومات	العدد الثالث
٤٨١	في الارشاد الروحي	الفصل الثالث
٤٨١	لا يسوغ للرئيس ان يدع رهبانه يتقاعدون عن التقدم في طريق الكمال	العدد الاول
٤٨٣	في انه من واجبات الرئيس الاولى ان يتطلب من رهبانه الكمال الذي يوجب القانون وتساعد على اكتسابه الحياة الرهبانية	العدد الثاني
٤٨٦	في انه يجب على الرئيس ألا يمل من ارشاد رهبانه وحضهم على المسير والتقدم في طريق الكمال	العدد الثالث
٤٨٩	في القطنة التي تقتضيها مهمة الرئيس	الباب الثاني
٤٨٩	لا ينبغي للرئيس ان يقتاد كل الرهبان الى الكمال في طريق واحدة	العدد الاول
٤٩٠	لا يجدر بالرئيس ان يجعل الرهبان موافقين له بل ان يوافقهم هو نفسه	العدد الثاني
٤٩٢	على الرئيس في مساعدته مفاعيل النعمة ان يستعين بالاميال الطبيعية كما تستعين بها النعمة نفسها	العدد الثالث
٤٩٣	في انه يجدر بالرئيس ان يسوس مروثوسيه برفق واناة وان لا يحاول تبليغهم الكمال بدفعة واحدة	العدد الرابع
٤٩٦	في انه يسوغ للرئيس بل يجب عليه احياناً ان يتساهل مع مروثوسيه في هفوات كثيرة يكون مصدرها الضعف البشري	العدد الخامس
٤٩٩	في كشف الافكار	الباب الثالث
٤٩٩	في غاية كشف الافكار	العدد الاول
٥٠٢	في مادة كشف الافكار مأخوذة عن قوانين بعض الرهبانيات المثبتة من بيعة الله اثباتاً رسمياً	العدد الثاني
٥٠٤	فيما اقتصر عليه المجمع المقدس من مادة كشف الافكار	العدد الثالث

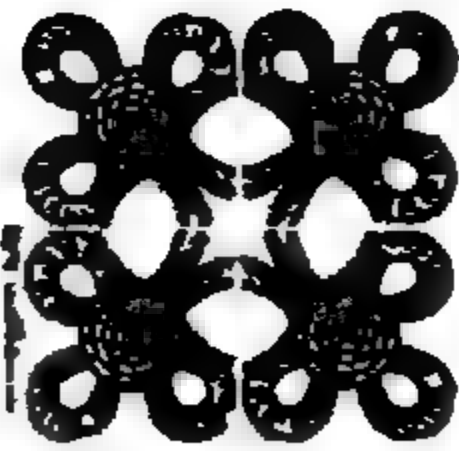
صفحة

لدى اثباته قوانين بعض الرهبانيات الحديثة المختصة بالنساء	
في كيف ينبغي للرئيس ان يعامل مروثوسيه لكي يكون لهم عليه دالة فيثقوا به ويفتحوا له قلوبهم	العدد الرابع
في بعض قواعد لحفظ السر المعروف في كشف الافكار	العدد الخامس
في بعض مسائل غير ما تقدم تختص بحسن الادارة الروحية	الفصل الرابع
في الشهوة المتغلبة	الفصل الاول
في بعض قواعد ترشد الراهب الى معرفة الشهوة الكامنة فيه والمتغلبة عليه	العدد الاول
في بعض حجج بها يمكننا ان نحض الراهب على ان يحارب الشهوة المتغلبة عليه	العدد الثاني
في كيف نحارب الرذيلة ونكتسب الفضيلة	الفصل الثاني
في التجارب	الباب الثالث
في بعض مبادي عمومية ينبغي للرئيس ان يعلمها لمروثوسيه	العدد الاول
في بعض مبادي ضرورية لمعالجة بعض تجارب قوية وغير اعتيادية يجب ان يعرفها كل رئيس	العدد الثاني
في درجة الصلاة الثالثة	الياب الرابع
في ما تتوقف عليه الدرجة الثالثة من الصلاة وفي من هم الرهبان المدعوون اليها	العدد الاول
في فوائد هذه الصلاة وفي كيف يتدرب بها الراهب الذي يكون رقاؤه الله اليها	العدد الثاني
في ممارسة العمل الافضل	الباب الخامس
في بعض سوالات تتعلق بممارسة العمل الافضل	العدد الاول
في بعض اسئلة تتعلق بنذر العمل الافضل	العدد الثاني
في كم يفيد الراهب ويجدر به ان يعود نفسه بممارسة العمل الافضل	العدد الثالث



صفحة

٥٣٥	في الصبر على المعن والمضادات	الكتاب السابع
٥٣٥	في انه لا بد للرئيس من ان يصادف شيئاً من المضادات « العدد ١ »	الفصل الاول
٥٣٦	في ان اختلاف الطباع وسوء الظن لا يدعان احداً يرضي الجميع	العدد الثاني
٥٣٨	في انه كل رئيس اراد اصلاح الشوائب في مروضيه عرض نفسه للقدح والطن	العدد الثالث
٥٤٠	في ان الرئيس معرض لنكران الجميل من مروضيه مدة الرئاسة وبعدها	العدد الرابع
٥٤٢	في القوائد التي يجتنيها الرئيس من المقاومات	الفصل الثاني
٥٤٢	في ان المقاومات تكون للرئيس ذريعة بها يجتني نقاوة النية والتيقظ في كل اعماله	العدد الاول
٥٤٣	في ان المقاومات تفتح للرئيس سبيلاً لاقتناء التواضع وبعض الوظائف	العدد الثاني



## اصلاح غلط

صفحة	سطر	غلط	صواب
٠١	١٠	شرف	اشرف
١٢	٠٥	يفوته	يفوته
١٨	٠١	محبة	محبة
٣٤	٠٦	في	الى
٤٦	٠٤	الغايبات	الغائبات
٥٢	٠٩	تحتي بينك وبين	تتغلى عن
٥٤	١٦	من	مما
٥٨	٠٣	الله	ان
٥٩	٠١	فيته	قيمة
٦٠	٢٢	خاصته	خاصة
٦٠	٢٣	ينحط	ينحط
٦٥	٢٢	كن	كان
٦٨	١١	لير	لير
٦٩	٢٢	درجة	درجته
٦٩	١٦	كا	كان
٨٣	٠٣	صنما	صتما اه
٨٤	٠٦	ولا يمشى اه	ولا يمشى
٨٤	٢٢	يها	به
٧٧	٠٩	وهذه	وهذه
٩٢	١٨	الاعبارات	الاعتبارات
١٠١	٠٢	بضلائل	بضلائل

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٠٢	٠٧	يبث	ويبث
١٠٣	٢١	ترذلني بين :	ترذلني من بين
١٠٦	١٢	والحوادث	والحوادث
١٠٧	١٨	آخر	أخر
١٠٩	١٩	افكاره	افكار
١١٠	٢٠	احد له	احد
✓	٢٣	جاد وكاد	جدّ وكدّ
١١٢	٢٤	ظاهرة	ظاهرة
١١٧	٣٤	قال الراعي	( الراعي ٠٠٠ ) قال ان
١٢٢	١٤	داء في العقل	ان داء العقل
١٢٥	٢٣	وهذا ناهيك	هذا وناهيك
١٢٦	٠٣	عند ذي	عند كل ذي
✓	١٣	من تسقط	من ان تسقط
✓	٢٢	بداء له	بداء به
١٢٧	١١	يعد	يُعدّ
١٢٨	٠٥	خولاً	حولاً
✓	١٨	النواقل	النوافل
١٣٤	١٠	لمرفة	لمرفة
١٥٢	٠٥	الاخير	الاجير
✓	٠٧	ومن نفسه	ونفسه
✓	٠٩	يُبهذك	ليبهذك
١٥٥	٠٣	وقد ارسطوس	وقد قال »
١٦٦	٢٦	ان يسلم	ان لا يسلم
١٦٨	١٠	لا تكلفها	لم تكلفها
١٧٣	٢٦	آمياً	أمياً

صفحة	سطر	غلط	صواب
١٧٥	١٧	بقلق	يتعلق
١٨٤	١٠	قصد	فصد
٢٠٩	٢٥	لك فقط	لك
٢١٣	٢٦	حم	هم
٢١٨	٢٦	ثانينا	فاتينا
٢١٩	٢٠	بتولاوى	بنولاوي
٢٢٠	٠١	العيب	العجيب
٢٢٢	١٠	يشين	بشئين
٢٢٥	٠٩	فراقض	فرائض
٢٣٦	١٦	عته هذه	عن هذا
٢٣٩	٠١	ومفتي	ومغنياً
٢٤١	٠٧	افرحنا	اخرجنا
٢٤٣	٠٥	يخظن	يخطن
٢٤٤	٠٨	يحرصهم	يحرصهم
٢٤٥	٠٩	وان يكف	وان لا يكف
٢٥١	١٨	الى خمسة	الى فمه
٢٥٢	١٥	تضطر	لا تضطر
٢٥٤	٠٢	دقيقة	رفيقة
٢٥٥	١٧	فلذلك	فان ذلك
٢٧١	١٩	لمقته	ينقه
٢٧٢	٢٣	للاهون	للاهوت
٢٧٥	٢٠	فالاثبات	فلاثبات
٢٧٦	٢٦	عهودها	لهودها
٢٨١	١٢	يتحمل عسراً	يتحمل مها
٢٨٣	٠٧	الشفقة بذلك	القائدة من ذلك



صفحة	سطر	غلط	صواب
٢٨٥	٠٦	لهذا المقدار	بهذا المقدار
٢٨٩	٠٣	بجيلين	انجيليين
٢٩٣	١٣	موته	قوم
٢٩٧	٠٤	يبتاع	نبتاع
٣٠٦	١٥	حبه	حبهم
٣١٥	١٦	ونجاحهم	ونجاحهم
٣١٩	٢٢	بدم	بعدم
✓	٢٥	حرية	حريته
٣٢٠	٠٤	الغاية	العناية
✓	١٦	بهذا	بهذه
٣٢١	٢٢	من	متى
٣٢٩	٠٢	فانار	فاننا
٣٣٤	١٤	فاين	فأبن
٣٥٦	٢٤	طلب	طَبِّ
٣٦٠	٠٨	بفئة	لقنة
✓	٢٠	ندور	ندور
٣٦٦	٢٥	يرفق	يرفق
٣٦٧	٢٣	التنيه	التنبيه
٣٧٥	٢٥	الحكم	الحاكم
٣٧٨	١٠	ارليطوط	اريسطوط
٣٨٠	١٠	الحقيقة	الحقيقة
٣٨٢	٠٤	ياالله	بالله
✓	٢٤	فيكنك	فيمكنك
٣٨٦	٠٤	يوكي	يُوكِي
✓	١٠	توقف	نوقف

صفحة	سطر	غلط	صواب
٣٩٠	١٢٠	وتترجى	وتترجى
٣٩٢	٢٤	بالملاطفات	بالملاطفات
٣٩٥	١٢	اغضي	اغضي عنها
٣٩٦	٠٨	فيجد رنا	فيجد ر بنا
٣٩٧	١٢	تعطيه	نعطيه
٤٠٥	٠١	متكباً	موقناً
٤١٨	١٩	باجمهم	باجمهم
٤٢٤	١٠	لا يعرفون	يعرفون
٤٥٣	١٢	افضت	افضت به
٤٧٦	١٢	هذا	هذه
٤٩٢	١٨	والحالة	والحالة
٥٠٣	١٠	الراجية	الواجبة
٥١٤	١٥	نقص ان نسد ونعضد :	نقص ان نسد وتعضد
٥١٧	١٩	يبطل	يبطل
٥٢٤	١٢	ما تريد	ما تريد
٥٢٧	٠٩	يلاقي	يُلاقى
٥٤٤	١٠	موافقته لنصائح	موافقة لنصائح
٥٦٢	٠١	وشعروا	شعروا
	١٦	وداد	وداود
	٠٦	ليصير	ليصيروا



























